رسالة علمية لنيل الدكتوراه

مُفتريات وأخطاء

دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة)

إعداد

أ. د. خالد بن عبد الله القاسم

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية

الجزء الأوّل

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

© دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، خالد عبد الله
مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية / خالد عبد الله القاسم ـ الرياض، ١٤٣١هـ
مج٢.
ردمك: ٨-٤٠-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٤١-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن ٢- الاستشراق والمستشرقون ٣- الكتب - نقد
أ - العنوان
ديوي: ٢٤٠,٩٠١ ١٤٣١/٢٦٧٤
رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٦٧٤
ردمك: ٨-٤٠-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٤١-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الصف والإخراج الفني
بدار الصميعي

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب: ٤٩٦٧
الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي: الرياض ـ السويدي ـ
شارع السويدي العام
هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩،
فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ
محمد بن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢١٧٢٨ تلفاكس: ٣٦٢٤٤٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني:
daralsomaie@hotmail.com

المقدمــة

- تمهيد
- أهمية الموضوع
- توضيحات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً- تمهيد :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمداً عبده ورسوله، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١]. وقال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢]. وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣][٤].

---

(١) آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) النساء الآية: ١.

(٣) الأحزاب الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) هذا نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وقد رواها أصحاب السنن الأربعة انظر : سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الفكر ، كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، برقم (٢١١٨) وسنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى=

أما بعد :

فقد أقام الله الحجج على صحة دينه ، وضرب لذلك الأمثلة ، وأبان الصراط المستقيم ، : قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٢].

وأخبرنا سبحانه عن حرص الكافرين من المشركين وأهل الكتاب على ردتنا عن ديننا ، وذلك لنحذر منهم ، فقال عن المشركين : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[٣].

=سنن الترمذي . بتحقيق أحمد شاكر وآخرين ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، أبواب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، برقم (١١٠٥) .

وسنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة المصرية القديمة. دطت ، كتاب الجمعة ، باب في كيفية الخطبة ، برقم (١٤٠٤).

وسنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وتحقيق د. بشار عواد معروف . طبعة دار الجيل بيروت ، ط . ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، برقم (١٨٩٢).

وصححه الشيخ الألباني كما في رسالته . خطبة الحاجة (١٠-٢٠) .

(١) الأنعام الآية: ١٥٣.

(٢) الأنعام الآية: ٥٥.

(٣) النساء الآية: ٨٩.

وقال عن أهل الكتاب : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(١)، كما أنَّ رسوله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وحذرها من كل شر ، وأقام الدلائل على صحة رسالته ، ورد دعاوى المبطلين بآيات ربه سبحانه ، فلم يمت ﷺ حتى أتم الله به الدين : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢).

ومن تمام الدين خلوه من النقص والعيب والاختلاف ، ووضوح حججه ومسائله ودلائله العقلية والنقلية الدالة على صحته وصدق المرسل به.

وتمام الدين ووضوح دلائله ومسائله لا يعني انتفاء شبهات المشككين الحاسدين الحريصين على تشويه الإسلام ، وعلى ردة المسلمين ؛ كما أخبر سبحانه في آيات كثيرة من كتابه الكريم.

وهنا يجب على المسلمين أن يظهروا تمام دينهم وكماله ، ويكشفوا بطلان دعاوى المبطلين ، وفُقدَانهم التجرّد والموضوعية حتى لا يغتر بهم مغترّ ، وهذا كله متيسر بحمد الله تعالى بما في الكتاب والسنة من قوة

---

(١) البقرة الآية: ١٠٩.

(٢) المائدة الآية: ٣.

الدلائل ، وظهور الحق ، وبيان الهدى ، كل ذلك صُرِّف بأوجه متعددة ، وبأمثلة متنوعة يجد فيها المسلم مبتغاه في بيان بطلان المبطلين في كل زمان ومكان ، وإن كان يحتاج إلى بعض الاجتهاد والنظر.

كما هو متيسر أيضاً بما في كتب المسلمين من ثروة علمية تصب في هذا الاتجاه من مقارعة المبطلين وبيان سبيل الهالكين.

إن شبهات أولئك الغربيين قد طالت صميم الاعتقاد ؛ من توحيد الله تعالى وصحة رسالة رسوله محمد ﷺ .

وإن مقارعة أولئك أو الرد عليهم وبيان صحة دين الإسلام هو من فروض الكفاية على الأمة ؛ حيث يأثم كل قادر إذا لم يقم بذلك من يكفي.

وقد ذكر الله شبهات المبطلين في زمن الرسالة وأبطلها ، بل بين أن ذلك من حِكَم إنزال القرآن الكريم على مراحل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1].

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد شواهد كثيرة تؤكد أهمية

---

(١) الفرقان الآيات: ٣١-٣٣.

الموضوع المهم الذي يستحق كل عناية واهتمام.

ثانياً : أهمية الموضوع :

«دائرة المعارف الإسلامية»[١] موسوعة ألّفها أساطين الاستشراق في بداية القرن العشرين الميلادي ، على هيئة أبحاث منفصلة مرتبة فيها المواد حسب الحروف الهجائية ، كما صدرت طبعة أخرى بعد ذلك ، وقد ترجمت بعض الطبعتين إلى اللغة العربية.

احتوت هذه الموسوعة على كم هائل من المصطلحات في العقائد والفقه واللغة والفِرَق والتصوف والفلسفة ، كما حوت تراجم لعامة الشخصيات المشهورة في تاريخ الإسلام ، وفيها معلومات وفيرة في التاريخ والبقاع والقبائل.

وتعُد هذه الموسوعة مرجعاً لكثير من الباحثين لأسباب كثيرة منها :

١ - وفرة المعلومات التي احتوتها ، وقد جُمعت من مصادر شتى في تخصصات مختلفة.

٢ - صياغة المعلومات فيها بأسلوب سهل يستفيد منه الجميع.

٣- سهولة الرجوع إلى المعلومات المطلوبة ؛ لحسن ترتيبها.

---

(١) سيأتي في الباب الأول تعريف أوسع بالدائرة.

٤- محاولة كثير من كتابها إظهار عملهم بمظهر المنصف الموضوعي.

٥- اغترار بعض الناس بأسماء أولئك المستشرقين وقَبولهم كل ما يكتبونه.

٦- عدم وجود موسوعة إسلامية بديلة.

ولهذه الأسباب وغيرها ، أصبحت الموسوعة مرجعاً للعلوم الإسلامية، ولكل ما يتعلق بالمسلمين ، خاصة في الغرب ، كما أنه لا تكاد تخلو منها مكتبة عامة داخل البلاد الإسلامية وخارجها ؛ حتى إنها تتوفر في المكتبات الأوروبية أكثر من كتب السنة.

هذه الموسوعة رغم ما قيل عنها من مزايا إلا أنها مملوءة بالأخطاء التي أفقدتها طرفاً كبيراً من فائدتها بسبب التشويه المتعمد من كثير ممن كتبتها. إضافة إلى أخطاء كثيرة متفاوتة وقع فيها كثير منهم لجهلهم باللغة العربية أو بحقائق الإسلام.

وقلما تجد موضوعاً من موضوعات الدين إلا وتجد التخليط فيه مما يفقده بهاءه وجماله وجاذبيته ، بل تجد فيه ، الشبهات والكذب أحياناً.

وإن من الواجب بيان ذلك خاصة في أمور الاعتقاد ، لرد تلك الشبهات، وإظهار جهل الجاهلين ، وحقد الحاقدين ، حتى لا يلتبس

الحق بالباطل ، ولا يُظن أن ما كتبوه هو الصواب بإقرار المسلمين لهم بالسكوت ، بل تُقام الحجة وتُظهر المحجة .

وختاماً أشكر جامعة أم القرى ممثلة بكلية أصول الدين (قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة) لاقتناعها بأهمية هذا الموضوع ، ومن ثَمَّ الموافقة على دراستي (الدكتوراه) لهذا الموضوع ، وتسهيل كل ما تتطلبه الدراسة، كما أشكر المشرف على البحث الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني ، على توجيهاته ونصائحه التي كان لها الأثر الكبير في هذا البحث ، كما أشكر كلاً من المناقِشَيْن : الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، والأستاذ الدكتور محمد الغيط أبو الفرت ، على توجيهاتهما القيمة لي. كما أشكر جامعة الملك سعود التي ابتعثتني لهذه الدراسة وقدمت لي كل تشجيع لإتمامها. كما أشارت جميع المجلات العلمية التي نسرت البحوث الملحقة .

ثالثاً : توضيحات :

هذه بعض التوضيحات المتعلقة بالمصادر وغيرها مما قد يحتاج القارئ إليه :

أولاً : المعلومات الكاملة عن أي كتاب موجودة عند ذكر الكتاب لأول مرة ، وفي ثبت المراجع ، والإشارة بـ(ددطت) أي بدون الدار ورقم الطبعة والتاريخ.

ثانياً : دائرة المعارف الإسلامية : الطبعة الأولى اشتملت على خمسة عشر مجلداً فيه المواد من حرف الألف حتى حرف العين ، والثانية اشتملت على ستة عشر مجلداً من حرف الألف حتى الخاء أعادت الثمانية مجلدات الأولى في الطبعة الأولى، وأضافت إضافات كثيرة ، وللتمييز بينهما في الهامش ، فإنني سأذكر لفظة (الأولى) للدلالة عليها ، وعند النقل من الثانية فإنني لن أذكر شيئاً؛ لأنها هي الأكثر ؛ وذلك بسبب أن كثيراً مما في الطبعة الأولى – من حرف الألف حتى الحاء- موجودة في الطبعة الثانية ؛ لذا فإنني رجعت إلى المجلدات ٩ – ١٥ من الطبعة الأولى ، والمجلدات ١ – ١٦ من الطبعة الثانية.

وهناك طبعة ثالثة صدرت بعد تسجيل الرسالة رجعت لها في بعض الفصول الملحقة [(١)] .

وبعد ذكر الأجزاء والصفحات ذكرت اسم المادة ثم المستشرق كاتب المادة.

ثالثاً : عند النقل من المراجع فإنني أكتب رقم الجزء والصفحة ، ولكن هناك استثناءات من ذلك : حيث أكتب اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث ، وذلك عند النقل من جميع كتب السنة عدا مسند الإمام أحمد

---

(١) سيأتي بيان أوسع عن هذه الطبعات أو الإصدارات للدائرة صـ ٦٥ .

فإنني أشير إلى الجزء والصفحة ، كما أنني أكتب رقم الحديث في الكتب المحققة مثل صحيح الجامع للألباني ، وإرواء الغليل وغيرهما.

رابعاً : حرصت على كتابة اسم السورة ورقم الآية المفسّرة عند النقل من كتب التفسير لسهولة الرجوع عند اختلاف الطبعات.

خامساً : الآيات القرآنية وضعتها بين القوسين ﴿﴾ ، والأحاديث النبوية والتواريخ بين القوسين ( ) وكذا عند النقل من الدائرة ، وسائر النصوص بين القوسين « »، وكذا عند الحاجة إلى تمييز بعض المصطلحات والأسماء عن سائر الكلام. وعند الحذف من نص منقول تكون الإشارة بنقط متتابعة «....» بين الكلام المنقول.

سادساً : حرصت على الرجوع إلى المراجع الأصلية بقدر الإمكان ، وعند تعذر ذلك فإن النقل بواسطة خيرٌ من ترك النقولات المفيدة.

سابعاً: ألحقت آخر الرسالة عدداً من البحوث سبق أن نشرتها أو قبلت في مجلات علمية محكمة رأيت إلحاقها في آخر البحث إتماماً للفائدة، ولأنها ذات صلة بموضوع البحث.

وفي الختام الشكر لله عز وجل على ما ولاني من نعم ، ثم لوالدي ومن كان له فضل ، والشكر موصول لجامعة الملك سعود التي هيأت لي الدراسة وكذلك جامعة أم القرى التي نلت عنها الدرجة وأخص مشرفي الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني عميد كلية أصول الدين في مكة .

* * *

الباب الأول

تعريف بدائرة المعارف الإسلامية

الفصل الأول : الاستشراق

الفصل الثاني : منهج الدائرة

الفصل الثالث : أبرز كُتَّابها.



الفصل الأول

الاستشراق

المبحث الأول : معنى الاستشراق

المبحث الثاني : نشأة الاستشراق

المبحث الثالث : أهداف المستشرقين

المبحث الرابع : وسائل المستشرقين.

تمهيد :

«يعد الاستشراق ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإنساني ، فلم يعهد أن طوائف متباينة العقائد والثقافات والجنسيات أطبقت كلمتها على دراسة دين لا تؤمن به كما فعل المستشرقون»[(١)].

وإن الجهود التي كان من ثمارها إخراج «دائرة المعارف الإسلامية» إلى الوجود فهي رغم كبرها تبقى في إطار الجهود الاستشراقية العالمية ، لذا آثرت قبل دراسة دائرة المعارف الإسلامية التعرض ولو بإيجاز إلى الاستشراق من خلال الحديث عن معناه ، ونشأته ، وأهدافه ، ووسائله ، كمدخل لدراسة هذه الموسوعة.

* * *

---

(١) الاستشراق والفقه الإسلامي ، محمد الدسوقي ٧٠١ ، بحث ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر ، العدد الخامس ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

المبحث الأول

معنى الاستشراق

الاستشراق هو : «دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه ، وخاصة الإسلام ، لأهداف مختلفة شتى ، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين»[(١)] .

فهم يدرسون غير الإسلام ، ولكن الإسلام يأتي في المرتبة الأولى ،

---

(١) هناك تعاريف كثيرة مختلفة في اللفظ متقاربة في المعنى. انظر :

- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ٣٣ ، إصدار نفس الندوة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

- رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد عبدالحميد غراب ٥ – ٧ ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير – الاستشراق – الاستعمار ١٠٤ ، عبدالرحمن حسن الميداني ١١٨ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

- الاستشراق ، إدوراد سعيد ٦ ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، الطبعة الثانية دت.

- الاستشراق ، والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د. محمد حمد زقزوق ٢٤ ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

كما أن بداية الاستشراق كانت لدراسة الإسلام واللغة العربية فقط ، ثم توسع بعد ... ليشمل ما يتعلق بالشرق ، فدرسوا حضارات الهند والصين وغيرهما[١].

* * *

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، مصطفى السباعي ١٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المبحث الثاني

نشأة الاستشراق

أُرجِعَ الاستشراقُ إلى أزمنة مختلفة ، وإلى أسباب متعددة ، وقيلت في ذلك الأقوال الكثيرة منها :

١ - أنه نشأ في زمن النبي ﷺ بعد احتكاك المسلمين بأهل الكتاب ، سواءً نصارى نجران ، أو يهود المدينة ، أو مع الروم في مؤتة وتبوك.

٢ - أنه نشأ إبان الفتوحات الإسلامية الأولى لمصر والشام[(١)].

٣- أنه نشأ مع ظهور نخبة من أهل الكتاب الدارسين للإسلام مثل : يوحنا الدمشقي[(٢)] الذي ألف كتابه «إرشاد النصارى في جدل المسلمين»[(٣)]،

---

(١) لا شك أن لتلك الفتوح العظيمة أثرها لدى النصارى الذين كان يسيطرون على تلك المناطق ، فتلك الفتوح دافع للنصارى لمعرفة الإسلام الذي أخرج أولئك القوم دعاة فاتحين.

(٢) يوحنا الدمشقي (٥٦ - ١٣٢هـ) نصراني عاش في ظل الدولة الأموية في دمشق ، وترجم كتباً عديدة ، وألف بعض الكتب مثل : «إرشاد النصارى في جدل المسلمين» و« محاورة مع مسلم» وقد تضمن الكتاب الثاني اتهام النبي ﷺ باختلاق الوحي لإشباع رغبات دنيوية ، (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٣٣ ، والاستشراق بين الموضوعية والافتعال ، قاسم السامرائي ٥٥ ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

(٣) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال ٥٥.

وعبد المسيح الكندي[١]، ويحيى بن عدي[٢]، وغيرهم[٣].

٤- أنه نشأ في الأندلس، إبان ازدهارها العلمي في ظل الدولة الإسلامية، مما تطلب من علماء الدنيا معرفة اللغة العربية للاطلاع على تلك العلوم وترجمتها.

وهذه الحقيقة يسعى الغرب لإخفائها. يقول سارتون[٤]: «كفانا سوءً

---

(١) عبد المسيح بين إسحاق الكندي عاش في القرن الثالث الهجري وكان نصرانياً يجادل عن دينه له الرسالة المجيدية وجهها إلى عبدالله بن إسماعيل الهاشمي جواباً على ما عرضه عليه من التدين بالإسلام. (انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٦/ ١٧٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دطت).

(٢) يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا (٢٨٠ - ٣٦٤) نصراني فيلسوف، عارف باللغتين السريانية والعربية، وترجم عدداً من الكتب من السريانية إلى العربية، درس على الفارابي، له كتاب «تهذيب الأخلاق». (انظر معجم المؤلفين لكحالة ١٣/ ٢١١، والاستشراق للسامرائي ٥٥).

(٣) الاستشراق للسامرائي ٥٥.

(٤) جورج سارتون بلجيكي ولد سنة ١٩١١م، رحل إلى أمريكا وتجنس بجنسيتها، عين محاضراً في تاريخ العلم بجامعة هارفرد، ثم تعلم العربية ببيروت، وكان متمكناً من الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويجيد اليونانية واللاتينية والأسبانية والإيطالية والعربية، وقد منح ست شهادات دكتوراه فخرية، وانتخب عضواً في عشرة مجامع علمية دولية، خلّف أكثر من خمسمائة بحث عدا العديد من المقالات، توفي سنة ١٩٥٦م. «انظر المستشرقون للعقيقي ٣/ ١٤٧، دار المعارف، الطبعة الرابعة، دت».

أننا أخفينا الأصول الشرقية التي لم يكن التقدم الهليني[١] مستطاعاً بدونها»[٢].

ومن أسباب نشوء الاستشراق في الأندلس نشوء حركة التوبة والتكفير المناهضة للنصرانية الأسبانية المتأثرة بالإسلام بعد استيلاء فونسو السادس على طليطلة (٤٨٨هـ - ١٠٨٥م)[٣].

وقد ذكر العقيقي[٤] من طلائع المستشرقين: جربر دي أورالياك

---

(١) الهلينية مصطلح للحضارة الذي نشأت في بلاد اليونان قبل الإسلام. (انظر تاريخ الحضارة الهيلينية لأرنولد توبيني ٦ - ١٣، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م).

(٢) تاريخ العلم، جوج سارتون ٢١، دار المعارف، مصر ترجمة لفيف من العلماء، إشراف إبراهيم مدكور وآخرين، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م، سر الحضارة الإسلامية في المبادئ التي جاء بها القرآن، والتي منها العمل على تشجيع كافة العلوم النافعة.

(٣) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، قاسم السامرائي ٢١.

(٤) نجيب العقيقي لبناني ماروني ولد سنة ١٩١٦م وزاول الصحافة وعلّم الأدب العربي، والفلسفة الإسلامية. عمل في جامعة الدول العربية من ملحق إلى مستشار (١٩٥٢ - ١٩٧٤) له مجموعة من المحاضرات والدراسات.

وترجمته هذه ملخص لما كتبه عن نفسه (انظر المستشرقون لنجيب العقيقي ٣/ ٣٣٥)، وكتابه هذا من أنفس ما كتب عن الاستشراق، ويعد بحق موسوعة للمستشرقين إلا أنه يؤخذ عليه تمجيدهم، ولا غرابة فهو نصراني وقد عد نفسه معهم فترجم لنفسه الترجمة المذكورة.

(٩٨٣ – ١٠٠٣م) راهب فرنسي قصد الأندلس وتعلم العربية والعلوم والرياضيات، ثم رحل إلى روما وانتُخِب بابا للفاتيكان[١].

٥- أنه نشأ بعد الحروب الصليبية، وذلك لمّا أخفقت تلك الحرب في تحقيق أهدافها أعاد المنصرون رواد الاستشراق الكَرَّةَ، وعلى رأسهم ريموند لول[٢] الذي أقنع ملك أرغوان سنة (١٢٧٦م) بإنشاء مدرسة لتعليم العربية للرهبان، وأشرف بنفسه عليها، ثم أنشأ معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، وبذل قصارى جهده لإثارة اهتمام الكنيسة والملوك بتعليم اللغات الشرقية في أوربا خلال ست سنوات (١٢٩٤–١٣٠٠م)، وفي مؤتمر فيينا سنة (١٣١٢م) أقر البابا أو بابا الفاتيكان إنشاء كراسي في خمسٍ من الجامعات الغربية لدراسة اللغات الشرقية «العربية والعبرية والكلدانية»[٣].

---

(١) المستشرقون، نجيب العقيقي ١/ ١١٠، دار المعارف، الطبعة الرابعة، دت.

(٢) ريموند لول (١٢٣٥ – ١٣١٤م) مستشرق فرنسي متعدد المواهب فهو شاعر وقصصي ورياضي ومعلم ومنصّر ومتصوِّف ورحّالة تعلم العربية وحفظ القرآن، وطاف بشمال أفريقيا أكثر من مرة ومات بها، وقد قال المستشرق رينان بأن: هدم الإسلام كان حلم جميع حياته. (انظر المستشرقون للعقيقي ١/ ١٢٢، رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٨).

(٣) المستشرقون للعقيقي ١/ ١٢٢، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصر ٣٣. والكلدانية: هي لغة النساطر (مسيحيي العراق) وهي فرع من السريانية. (انظر إظهار الحق ١/ ٦٧).

وقد ألّف القس زويمر[١] كتابه عن ريموند لول بعنوان: «أول مبشر بين المسلمين»، ومدحه بقوله: «وإلى يومنا هذا كل المستشرقين وكتاباتهم مدينون لريموند لول»[٢]، كما سمَّى ابنه ريموند لول إعجاباً به، وتخليداً لذكراه»[٣].

ويدل على صحة هذا القول صيحة لويس التاسع بعد هزيمته في الحروب الصليبية: «لنبدأ حرب الكلمة، فهي وحدها القادرة على تمكننا من هزيمة المسلمين»[٤].

---

(١) صمويل زويمر قس أمريكي معاصر، من زعماء المنصرين والمستشرقين ترأس مؤتمر المنصرين بكلورادو سنة ١٩٧٨م، ومن أهم إنجازاته تأسيس مجلة العالم الإسلامي، وهي أخطر مجلة تنصيرية، وقد رأس تحريرها ستة وثلاثين عاماً، كما كان مؤسساً للإرسالية الأمريكية في الخليج العربي ومقرها المنامة، فأنشأت العديد من الكنائس والمدارس والمكتبات والمستشفيات في البحرين والبصرة والكويت وقطر والإمارات، وظلت إلى سنة ١٩٧٣م لوجود إرسالية أخرى علنية، كتب زويمر العديد من الكتب التي تخدم أهدافه منها «تفكك الإسلام»، ويعد قدوة لعامة المنصرين. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٦١ – ٦٣).

(٢) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، قاسم السامرائي ٩٣، نقلاً عن أول مبشر بين المسلمين لزويمر ٦٤.

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٨.

(٤) موضوعية فيليب حتّى في كتابه تاريخ العرب المطول، شوقي أبو خليل ٥، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٦- أنه نشأ بعد فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م)، ووصول المسلمين مشارف أوروبا الغربية، ومحاصرتهم لفيينا، حيث تزايد الخوف من الإسلام والحقد عليه، فسعى أولئك القوم لدراسة الإسلام لتشويه صورته، ومعرفة أحوال أولئك القوم الذين أسقطوا ممالك النصارى[١].

ويترجح لديَّ أن الاستشراق – باعتباره دراسة الغربيين أو أهل الكتاب للإسلام- يرجع إلى ظهور الإسلام واحتكاكه بالغربيين؛ ذلك لارتباطه الوثيق بالسعي لردَّة المسلمين كما قال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[٣]. ولعدم رضاهم عن المسلمين إلا باتباع ما هم عليه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٤].

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٢٤ – ٢٥.

(٢) آل عمران الآية: ٦٩.

(٣) البقرة الآية: ١٠٩.

(٤) البقرة الآية: ١٢٠.

مع كون الاستشراق ينشط في الفترات التي يحصل فيها احتكاك بين الغرب والإسلام مثل أيام الفتوحات والحروب الصليبية والاستعمار.

أما الاستشراق الرسمي المنظم المُنْبثِق من المراكز العلمية فقد نشأ بعد فشل الحروب الصليبية، حيث تم إنشاء كراسٍ للدراسات الإسلامية في الغرب[١].

* * *

(١) المستشرقون للعقيقي ١/ ١١٢.

المبحث الثالث

أهداف المستشرقين

بذل المستشرقون جهوداً كبيرة ونشاطاً لا يُنكر في معرفة العلوم العربية والإسلامية ، وقد تمثّل ذلك في تعلمهم اللغة العربية ، ومن ثَم قراءة القرآن الكريم بلغته ، وكذلك السنّة النبوية ، وما كتبه علماء الإسلام ، وفي الترحال المضني في بلاد المسلمين ومخالطتهم والتعرف على عقائدهم وعاداتهم ، وربما استدعى ذلك لبس ملابسهم والتسمي بأسمائهم ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حد التنكر بأنهم مسلمون لتسهيل مهتمهم كما فعل هروجينيه[(١)] ، وقد يكون بعضهم أسلم فعلاً لمّا علم الحق كما كان من دينيه[(٢)] ، ولكن غالبيتهم العظمى لم يكونوا كذلك.

إن كل ذلك لم يخرج من فراغ ، وإنما لأهداف ومقاصد ظاهرة لمن تتبع كتاباتهم ، وسبر أغوارهم ، كما أن الملاحظ لنشأة الاستشراق ، ونشاطه في فترات مختلفة مثل نشاطه عند انتصارات المسلمين ، أو ظهور صحوتهم كما هو حاصل اليوم يعلم أن الهدف العام منه هو دراسة أحوال المسلمين للحيلولة دون انتصاراتهم وظهور دولتهم ، وأقصر

---

(١) انظر ترجمته صـ ١٦٦ .

(٢) انظر ترجمته صـ ٣٧.

عبارة تلخص أسباب دراستهم هي من باب : «اعرف عدوك».

ويمكن استقراء أهداف تفصيلية له فيما يأتي :

أولاً : الطعن في نبوة محمد ﷺ بأساليب شتى ، ومنها :

١ - إنكار الوحي المنزل على النبي ﷺ وتكذيبه ، وادعاء أن ما جاء به إنما هو من عند نفسه مستعيناً بما يعرفه من اليهود والنصارى.

وآخرون منهم يقولون إن النبي ﷺ لم يقصد الكذب ، وإن كان وقع فيه بسبب التباس الأمر عليه ، فظن (كما يزعمون) أن الوحي نزل عليه ، وليس هو كذلك في حقيقة الأمر.

٢ - الطعن في أخلاقه ﷺ ، وتشويه سيرته بالكذب الملفق ، أو التحليلات المصحوبة بالهوى.

٣ - الطعن فيما جاء به النبي ﷺ ، مثل دعواهم بوجود تناقض في القرآن والسنة.

٤ - الطعن في أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين ، وسائر أصحابه - رضي الله عنهم -.

ثانياً : الطعن في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومدح ومناصرة الطوائف المنحرفة مثل الصوفية والباطنية.

ثالثاً : الطعن في شريعة الإسلام ، وزعمهم أنها غير صالحة للتطبيق.

رابعاً : التشكيك في ثبوت السنة النبوية خاصة والتاريخ الإسلامي عموماً.

خامساً : الطعن في اللغة العربية و محاولة إحياء اللهجات المحلية والقوميات المختلفة وتشجيعها سعياً لإضعاف تمسك المسلمين بالقرآن، وللتفريق بينهم.

سادساً : التبشير بالنصرانية بين المسلمين ، ونجد بعض أولئك قد ترهبنوا [١] ، وكثيراً ممن يسعى لهذا الهدف ظاهراً ليس هو جل مراده في الحقيقة ؛ ذلك أن حملات التنصير تهدف لهدم الإسلام قبل أن تكون لنشر النصرانية ؛ حيث أن «الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ، ومن الذين يأتون فيها ، لا صلة بين أهدافهم الحقيقية والدين الذين يزعمون أنهم جاؤوا لنشره»[٢].

وقد صرح زويمر في إحدى مؤتمرات التنصير بقوله : «لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل ، أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، فعندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً ، أيها المبشر المسيحي يكفي أن تذبذبه ولو

---

(١) كالأب لامنس التي ستأتي ترجمته صـ ١٧٠.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ ٣٤ ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ١٩٨٢م.

لم يصبح المسلم مسيحياً»[١] ، لذا نجدهم تركوا بلادهم خالية من أي دين سوى المادية ، وملأوا العالم الإسلامي منهم.

وقد ظهر لمن تأمل مسلكهم عدم نزاهتهم ، وقد صرح بذلك بعض أبناء جنسهم ، ومن ذلك ما كتبه الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في مجلة «العصبة الأندلسية» متكلماً باسم النصارى المتألمين من أضرار المنصِّرين : «أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضي أن أكون بارعاً في الجدل ، أو عالماً شهيراً بالتاريخ»[٢].

سابعاً : أهداف استعمارية تخدم الدول المستعمرة لبلدان المسلمين بأخذ خيراتها ، وكذلك محاربة الإسلام في بلاد المسلمين ، والتفريق بينهم ، وطمس هويتهم ، وفرض عادات الدول المستعمرة ولغاتها على المسلمين.

إن المستعمر مهما كانت أغراضه المادية فهو يسعى إلى طمس حضارة المُستعمَر ، لاسيما إذا كانت تلك الحضارة مرتبطة بدين الإسلام الذي يشعر عامة الغربيين بالكره الشديد له.

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، محمود علي ١٣٨ ، بحث ضمن مجموعة أبحاث بنفس العنوان.

(٢) المرجع السابق ٣٥ ، نقلاً عن المجلة نفسها العدد الرابع عام ١٩٤٧م.

أضف إلى ذلك رغبة المستعمِر في تبعية المستعمَر، ومن ثم الحرص على تحطيم العامل الذي يمكن أن يقود المستعمَرة إلى الاستقلال.

ولا شك أن الإسلام هو أهم العوامل الدافعة لذلك، حيث أن فيه قوة دافعة للجهاد والتضحية تؤرق أولئك المستعمرين، وقد قال نابليون[١] إبان احتلاله لمصر: «إن أهم العقبات التي تواجه الاستقلال الفرنسي لمصر هي: ١- إنجلترا. ٢- الدولة العثمانية. ٣- الإسلام وهو أصعبها»[٢].

لذا لا يستغرب وجود تعاون وثيق بين الحكومات المستعمِرة وبين كثير من المستشرقين، والذي بلغ أَوْجَهُ بتوظيف أولئك المستشرقين في وزارات المستعمرات والخارجية والحربية أمثال: هروجينه، وجوينيبول، وماسنيون، وكولان[٣]، وغيرهم كثير.

---

(١) نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١) عسكري فرنسي أصبح إمبراطور فرنسا، غزا مصر سنة ١٧٩٨ واحتلها بعد حرب المماليك، حيث كان يحلم بإمبراطورية الشرق، انتصر انتصارات حربية كثيرة في أوروبا، هُزم بعد ذلك وقضى السنوات السبع الأخيرة من عمره أسيراً. (انظر شخصيات فوق العادة، السيد فرج ١١٥-١١٩، دار المعارف بمصر، دطت).

(٢) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، قاسم السامرائي ٥٢.

(٣) ستأتي تراجمهم جميعاً مرتبين في الصفحات: ١٦٦، ١٢٧، ١٥٢، ١٥٠.

«إن من يتتبع تاريخ الاستشراق في العصر الحديث يتبين له بكل وضوح أن دراسات المستشرقين للإسلام والمسلمين ذات ارتباط وثيق بخدمة الاستعمار، وخدمة التنصير، وخدمة الحكومات والاستخبارات الغربية في تحقيق مخططاتها وأهدافها الرامية -على المدى القريب والبعيد، وبالوسائل الخفية والمعلنة- إلى حرب شاملة ودائمة على الإسلام والمسلمين في مجالات العقيدة والشريعة والثقافة، وأحياناً في ميادين القتال»[1].

وهذا الهدف لم ينته بانتهاء الاستعمار المعلن، بل هو باق مع بقاء الإسلام، ومع بقاء أولئك القوم من أهل الكتاب، ومهما أرضاهم بعض بني جلدتنا بتقديم تنازلات فإنهم لم يقبلوا في النهاية إلا أن نتَّبِع ما هم عليه، كما أخبرنا بذلك ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2].

ولكن هذا الهدف يتشكل حسب طبيعة المعركة فتارة يكون حرباً صليبية، وأخرى جهوداً حثيثة لردة المسلمين عن دينهم باسم التبشير،

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ١٧٣.

(٢) البقرة الآية: ١٢٠.

وثالثة استعماراً ظاهراً، ورابعة فرض العقوبات والمحاصرة الاقتصادية على من لا يذعن لإرادتهم، وخامسة وضع الحكومات العميلة لتكفيهم ما يودون عمله، وسادسة التدخل باسم حقوق الإنسان... وهكذا.

وهذا الأمر واضح من موقف المستشرقين من العودة إلى الإسلام الذي أثار القلق والهلع في الغرب؛ وذلك لأسباب عديدة، أهمها العداء الصليبي القديم، وأيضاً لأن في قوة المسلمين وعودتهم إلى دينهم تحَرُّرُهُم من التبعية للغرب، وبالتالي المساس بمصالح البلاد الغربية -على حد قولهم- في البلاد الإسلامية.

وقد عقد مؤتمر عن الأصولية في قسم اللاهوت بجامعة شيكاغو في منتصف مارس ١٩٩٣م واستمر ثلاثة أيام وكان من أهم نتائجه إنشاء بنك معلومات حول الأصولية وحركاتها، وقد طبع ثلاث مجلدات في هذا الموضوع[١].

وقد استغل أعداء الإسلام أحداث ١١ سبتمبر لرمي المسلمين والإسلام بالإرهاب والتطرف دون تفريق، وما نسمع اليوم ونشاهد في وسائل الإعلام من تشويه الإسلام والمسلمين وتعميم أي حدث إرهابي يعمله مسلم بينما تمتلئ الأرض بأعمال إفسادية إرهابية واحتلالية

---

(١) مقال بعنوان الأصولية والسياسة العامة وتشكيل العالم الحديث في مؤتمر بجامعة شيكاغو مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٠٤٨، بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٤١٣هـ صـ٢٩.

تمارسها حكومات وأفراد لا يشار فيها إلى ديانتهم البتة.

وفي حقل الدراسات هناك آلاف المؤسسات البحثية التي تخدم السياسات الأمريكية ومن أهمها مؤسسة راند التي أنشأتها وزارة الدفاع الأمريكة بعد الحرب العالمية سنة ١٩٤٨م وقد خرجت سنة ٢٠٠٥م دراسة بعنوان : العالم المسلم بعد ١١ سبتمبر وتوصي الدراسة بدعم الليبراليين والحداثيين في العالم الإسلامي وإيجاد منابر تأثيرية لهم . ثم خرجت دراسة خطيرة عن نفس المؤسسة سنة ٢٠٠٧م بعنوان : « إنشاء شبكات إسلامية معتدلة » واستمرت الدراسة عامين . ومما جاء في الدراسة تصنيف المسلمين إلى متشددين وهم من يريد تطبيق الشريعة ويرفض بمساواة المرأة مع الرجل ويعادي الغرب ، وتقليديين ، ومعتدلين ، وليبراليين ، ومن أهم توصيات الدراسة : تقوية الليبراليين وإثارة الخلاف بين المتشددين والتقليديين حول مسائل دينية ، وتسهيل حلف مع التقليديين ضد المتشددين وإثارة النزاعات المذهبية ، وتشجيع الصوفية ، وإثارة الخلاف بين العرب وغيرهم [1].

---

(١) انظر : مجلة المختار الإسلامي العدد ١٩/ ٦/١٤٢٨هـ مقال بعنوان « خارطة طريقة أمريكية لنباء شبكات إسلامية معتدلة » لعلي حسين باكبير .

ومجلة العصر ٢/ ٥/ ٢٠٠٧م مقال عن مؤسسة راند : ومقالات أخرى موجودة في الشبكة العنكبوتية عن ذات الموضوع لمحمد الأنصاري بعنوان : معايير مؤسسة راند للمسلم المعتدل.

ومقال لمحمد جمال عرفة بعنوان : لماذا تبني أمريكا شبكات مسلمة معتدلة علمانية .

كما خصص الكونجرس الأمريكي ملايين الدولارات للدراسات عن الأصولية الإسلامية في البلاد الإسلامية مما أسهم في إخراج بعض الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها كتاب «الأصولية في العالم العربي» لدكمجيان[١]، الذي درس فيه بواعث الحركات الإسلامية، وتاريخها، وحجمها خاصة في مصر والعراق وسوريا والسعودية والخليج، وأخيراً وضع توقعاته المستقبلية، وفي الكتاب ملحق لجدول (٩١) جماعة إسلامية في العالم صنفها بحسب معتقداتها ودرجة جهاديتها، ومعلومات عن عضويتها وقيادتها وحجمها وبلدها وروابطها الخارجية[٢].

كما خرجت توصيات عديدة من المستشرقين الخبراء للحكومة الأمريكية لمحاربة الأصولية الإسلامية، منها على سبيل المثال :

---

(١) ريتشارد دكميجان مستشرق نصراني أرمني ولد سنة ١٩٣٣م في حلب ونشأ بها، هاجر إلى أمريكا وتجنس بجنسيتها، وعمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة نيويورك، ومحاضراً ومستشاراً في وزارة الخارجية، له كتاب الأصولية قدمه في الأصل كتقرير للحكومة الأمريكية كتب فيه عن خطر الصحوة الإسلامية وكيفية تحجيمها. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٥٢).

(٢) الأصولية في العالم العربي ريتشارد دكميجان ٢٤٧ – ٢٦٥، ترجمة وتعليق عبدالوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

- يوصي دكمجيان بإيجاد بديل إسلامي قادر على الحياة ليحل محل الأصولية النضالية، كما ينصح الحكام العرب بالقضاء على الأصولية بالإصلاح الشامل، والاعتدال في استخدام القوة[١].

- ويوصي ايلتس[٢] بإعداد دراسة الخطط في إثارة الشقاق بين الجماعات الإسلامية[٣].

- كما يوصي بابيس[٤] بتخفيض الروابط الأمريكية المعلنة بالحكومات «الموالية لأمريكا»، ولاسيما في البلدان التي تكون فيها حركات «إسلامية» متعصبة وقوية، فهنا لابد من إقامة تعاون سري بدلاً من الروابط المعلنة الواضحة.

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) هرمان ايلتس مستشرق أمريكي دبلوماسي خطير عمل في المخابرات الأمريكية، ثم تولى مناصب دبلوماسية متعددة في عدد من الدول العربية منها الرياض وجدة. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٥٣).

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٨.

(٤) دانيل بابيس مستشرق أمريكي سياسي عمل وثيقة هامة لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد بعنوان: «المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة»، ويقدم فيها توصياته للحكومة الأمريكية بشأن التعامل مع الشرق الأوسط. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٤ - ١٦٥).

وينصح بعدم تقديم المساعدة للمتعصبين «الإسلاميين» في صفوف المعارضة، مع التسليم بأن اتصال الولايات المتحدة بهم يساعد على فهم وجهات نظرهم ورصد نفوذهم، إلا أنه يجب ألا تمد يد المساعدة إليهم[١].

ثامناً: أهداف تجارية لتسويق بضائعهم وتشغيل شركاتهم، وتوظيف خبرائهم. كما كانت المؤسسات والشركات الكبرى تدفع المال الوفير من أجل الحصول على معلومات عن العالم الإسلامي.

تاسعاً: أهداف علمية وهذا لا ينكر؛ ولكنه لا يوجد إلا في أقل القليل منهم، ويعد أمراً فردياً خارجاً عن منظومة المؤسسات الاستشراقية التي لا ترضى ذلك، كما لا يرضاه الحكام السياسيون، وتأباه المؤسسات الدينية وغيرهم.

ومن أمثلة هؤلاء:

المستشرق الفرنسي دينيه[٢] الذي عاش في الجزائر وأسلم حين علم الحق.

وموريس بوكاي[٣] أعلن إسلامه بعد تبين موافقة القرآن مع العلم

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٨.

(٢) دينيه. ي. ت (١٨٦١ – ١٩٢٩) مستشرق فرنسي سافر للجزائر وأشهر إسلامه، وتسمى بناصر الدين، حج إلى بيت الله الحرام، وكتب بعض الكتب عن الإسلام، وعن النبي ﷺ، وعن الحج إلى مكة. (انظر المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٢٨).

(٣) طبيب فرنسي معاصر أسلم بعد دراسة مقارنة بين التوراة والإنجيل الموجودة اليوم والقرآن، ومع العلم الحديث، فأسلم بعد تبين الحق له، وألف كتابه «التوراة=

الحديث، على كثرة الموضوعات العلمية فيه، وظهور تناقض كتب اليهود والنصارى مع العلم أن موضوعاته فيها قليلة.

و محمد أسد[1] المستشرق النمساوي الذي أسلم وألف كتابه الشهير «الإسلام على مفترق الطرق» وكتابه الآخر «الطريق إلى مكة».

ومراد هوفمان السفير الألماني في المغرب، الذي أسلم بعد معرفة الإسلام، وكتب كتابه «الإسلام كبديل»[2].

كما لا تُنكر جهود بعض المستشرقين وإسهامهم العلمي –أياً كانت أهدافهم– ومن ذلك الكتب والمعاجم والموسوعات التي أخرجوها، والكتب التي حققوها، وكانت مفيدة للمسلمين، وعلى سبيل المثال:

– المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي أخرجته جماعة من المستشرقين وعلى رأسهم فنسنك.

=والإنجيل والقرآن والعلم» وخرج بنتيجة تناقض كتب التوراة والإنجيل الموجودة اليوم مع العلم الحديث رغم قلة المواضيع العلمية فيهما، كما هاله كثرة المواضيع العلمية في القرآن، وعدم معارضة العلم الحديث لها.

(١) ليوبولد وايس، مستشرق نمساوي ولد في ليفو سنة ١٩٠٠م عمل مراسلاً صحفياً في الشرق الأوسط، أسلم بعد دراسة مستفيضة للإسلام.

(٢) مراد هوفمان سياسي ألماني تولى سفارة بلده بالمغرب واعتنق الإسلام بعد دراسة واطلاع.

(انظر مقدمة كتابه الإسلام كبديل نشر مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام، ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

- مفتاح كنوز السنة لفنسنك أيضاً، وقد قام بنشره باللغة العربية محمد فؤاد عبدالباقي، وقدم له رشيد رضا وأحمد محمد شاكر[١].

كما كانت لهم جهودٌ لا تُنسى في كشف المخطوطات، وحفظها، وفهرستها والعناية بها، ويوجد في مكتبات أوروبا عشرات الآلاف من المخطوطات الإسلامية[٢]، وفي مكتبة باريس الوطنية وحدها سبعة آلاف مخطوطة عربية بينها نفائس علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها[٣].

ولكن هذا الهدف العلمي، وتلك الكتب النافعة، وهذه المجهودات قد ذابت في بحر تلك الأهداف السيئة والكتب المتجنية التي تركت الحياد، فحاول البعض دس السم في الدسم بكل دهاء، وأخذ الآخر يلقي بالسموم الظاهرة المشحونة بالحسد والحقد دون أي مراعاة للقواعد العلمية التي طالما تشبثوا بها في غير ذلك الموطن.

---

(١) من المعلوم أن هذين الكتابين ألفهما المستشرقون لتسهيل الرجوع للأحاديث النبوية لخدمة أهدافهم الخاصة، لا لخدمة الإسلام، وهذا معلوم من سيرة المؤلف.

(٢) المخطوطات الإسلامية وصلت للغرب عن طريقين في الغالب: الأول: المستشرقون الرحالة الباحثون عنها، ومن ثم شراؤها، والكلام هنا عنهم، والثاني: سرقة تلك المخطوطات أيام الاستعمار، ونقلها للغرب.

(٣) المستشرقون للعقيقي ١/ ١٤٢.

وهذا شاهد منهم وهو منتقمري وات[١] يقول : «وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين ؛ فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية ، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة»[٢].

وهو يقصد الآراء المتطرفة والقديمة. والحق أيضاً أنه من نفس الوجهة يجب إعادة النظر في آراء منتقمري وات وأمثاله إذ لا تزال كتاباتهم مخالفة للحقائق التاريخية ، وهي أيضاً غير معقولة للمسلمين ، ومن ذلك الدعوى بأن كل ما في الإسلام مُستقى من الأديان السابقة والجاهلية العربية.

يقول المستشرق المسلم هوفمان : «لكن الحق الذي ينبغي الإشارة إليه أن عدداً قليلاً فحسب من المستشرقين الأوربيين كان قادراً على التمييز بمنهجية منطقية مدركة لخفايا الموضوع المعالج ، أو دراسته دراسة متعمقة أصيلة مستوفاة ، ولا ريب أن العكس كان صحيحاً ، فقد نظر البعض إلى الإسلام بأعين القساوسة المبشرين بالمسيحية ، مثلما

---

(١) ستأتي ترجمته صـ ١٥٩.

(٢) محمد في مكة ٦ ، تعريب شعبان بركات ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، دطت.

فعل سير هاملتون جب[1] ، وتناوله بعضهم بأعين علماء الاجتماع الماركسيين مثل مكسم رودنس[2]....

والحق أيضاً أن معظم المستشرقين ، عن وعي أو غير وعي ، كانوا أداة لخدمة الاستعمار الذي تقحَّم البلاد العربية وأخضعها لسلطانه ، وإن كان بعض أولئك جواسيس للغرب بالفعل -وهم قلائل- مثل ت. آي. لورنس»[3] [4].

يقول منتقمري وات[5] : «منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون من أجل تقويم الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا للإسلام. ولكن رغم الجهد العلمي المبذول فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة التي ولَّدتها

---

(١) ستأتي ترجمته ص١٢٤.

(٢) هو مكسم رودنس مستشرق فرنسي ، ولد سنة ١٩١٥م في باريس ، وحصل على الدكتوراه في الآداب ، درّس في لبنان ، له دراسات عديدة في الآثار وعلم الاجتماع ، وهو ممن كتب كتابات قليلة في دائرة المعارف. (المستشرقون للعقيقي ١/ ٣٦١).

(٣) لورنس. ت (١٨٨٨- ١٩٣٥) مستشرق إنجليزي بلغ رتبة مقدم في الجيش البريطاني، رحل إلى الأردن وانضم إلى الثورة العربية ضد الدولة العثمانية ، له عدة مؤلفات منها «ثورة في الصحراء العربية». (انظر المستشرقون للعقيقي ٢/ ١١٦).

(٤) الإسلام كبديل ، مراد هوفمان ٢١٢.

(٥) ستأتي ترجمته صـ ١٥٩.

كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا زالت قائمة ، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتثاثها كلياً»[١].

ويقول برنارد لويس[٢] : «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[٣].

فالإنصاف فيهم عزيز ، بل إنهم رغم ذلك يظهر في كتاباتهم ما يدل على النزعة الاستعمارية أو التنصيرية الحاقدة.

يقول نورمان دانييل[٤] : «رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام ، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كلياً عنها كما قد يتوهمون»[٥].

---

(١) المستشرقون والإسلام ، عرفان عبدالحميد ٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م. نقلاً عن كتاب منتقمري وات «محمد نبي ورجل دولة» ٣ ، بالإنجليزية.

(٢) ستأتي ترجمته صـ ١٥١.

(٣) العرب في التاريخ ، برنارد لويس ٦٣ ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٥٤.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) المرجع السابق ٥ نقلاً عن كتاب «الإسلام والغرب» ١ بالإنجليزية.

بل إن جل المستشرقين ينظرون إلى الشرق والإسلام نظرة استعلائية ، وقد ساق إدوارد سعيد[1] الشواهد العديدة المثبتة لذلك ، ومثَّل بـ : بلفور وكرومر ونابليون ، وكيسنجر ، فالانطباع عن الشرقي هو أنه : لا عقلاني – فاسق – طفولي ، بينما الأوروبي: عقلاني – متحلٍّ بالفضائل – ناضج[2].

ولا شك أن الهجمات الاستشراقية تخف حدتها حيناً بعد حين بسبب الوسائل الكثيرة التي ساهمت في إيضاح الدين الإسلامي ، وبسبب تنبه المسلمين من الغفلة التي سادت أيام الاستعمار مما قلّص المساحة المتاحة للمستشرقين للطعن في الإسلام.

* * *

(١) إدوارد سعيد مفكر فلسطيني الأصل أمريكي الجنسية وأستاذ بالجامعات الأمريكية نصراني الديانة له كتاب (الاستشراق) ذاع صيته وهو دارسة موضوعية عن تلك الظاهرة.

(٢) الاستشراق لإدوارد سعيد ٦٣ – ٧٩.

المبحث الرابع

وسائل المستشرقين لبلوغ أهدافهم

يحرص المستشرقون على بلوغ أهدافهم ويستخدمون في ذلك كانة الوسائل المتاحة، ومن أهمها :

١ - تحقيق التراث الإسلامي بصورة انتقائية تخدم أهدافهم، وقد انتقل كثير من التراث الإسلامي إلى الغرب إبان الاستعمار، وأصبح إحياؤه يجري على النحو الذي يختاره الاستشراق.

والمدقق في نوعية الكتب التي حققها ويترجمها المستشرقون كالتي جمعها نجيب العقيقي مثلاً[١] يلاحظ أن كثيراً منها يبرز الكفر والضلال متمثلاً في كتب الفلاسفة[٢]، والباطنية[٣]، والحلولية[٤]، والزنادقة[٥]،

---

(١) حيث أنه حشد مئات الكتب التي حققها أو ترجمها المستشرقون، وجميع الأمثلة الآتية التي لم يشر لمرجعها مستقاة من كتابه المستشرقون ٣/ ٣٩٤ - ٤٣٨.

(٢) مثل تحقيق بوكوك الابن لحي بن يقظان لابن طفيل متناً وترجمة، واعتناء ماكدونالد برسائل في النفس لابن سينا وترجمتها، والأب جوسين الدومينيكي بترجمة آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي.

(٣) مثل اعتناء شتروتمان بكتب الإسماعيلية وتحقيقها.

(٤) مثل إخراج ماسنيون كتاب الطواحين للحلاج، وترجمته للفرنسية، وتحقيقه لديوان الحلاج، وإخراج كارده لتائيه ابن الفارض.

(٥) مثل رسائل المعري الذي حققها واعتنى بها مرجيلوث وينكلسون.

والفرق المنحرفة في الإسلام كالمعتزلة[١] ، و غلاة الصوفية[٢] ، أو ما يخدم أغراضهم من الكتب الفقهية[٣].

ولا ينكر تحقيقهم لبعض الكتب القيمة[٤] مثل : الخراج لأبي يوسف[٥]، وطبقات ابن سعد[٦] ، وصحيح البخاري[٧] ، وكتاب الشرح

---

(١) مثل تحقيق الأب جين يوسف اليسوعي لكتاب المجموع في المحيط بالتكليف لعبدالجبار المعتزلي (انظر مقالة بعنوان المستشرقون وعلم الكلام في مجلة الاستشراق الصادرة من بغداد العدد ٣ سنة ١٩٨٩م ص٩٤) ، وتحقيق السير وليم ناسوليز الكشاف للزمخشري ، واهتمام شار بالجاحظ.

(٢) مثل تحقيق أربري كتاب التوهم للمحاسبي ونيكلسون اللمع للطوسي ، وأشعار الرومي ، وتحقيق دي ساسي البردة للبوصيري ، وتحقيق شبرنجر اصطلاحات الصوفية للسمرقندي.

(٣) مثل نشر شاخت كتب : الحيل والمخارج للخصاف ، والحيل في الفقه للقزويني ، وكتاب المخارج في الحيل للشيباني ، ونشر لاوست رسالة الطلاق لابن تيمية.

(٤) وسبب ذلك أمران : ١- أن ليس جميعهم يقصد مهاجمة الإسلام ، بل رغبة بعضهم في ذات العلم كما سلف في الهدف التاسع ، ٢- أن أكثر هذه الكتب يستفيد منها المستشرقون أيضاً لتحقيق أهدافهم الأخرى.

(٥) أخرجه وحققه فانيان.

(٦) حققه خمسة من المستشرقين منهم بروكلمان.

(٧) نشر ثلاثة الأجزاء الأولى كريل الألماني سنة ١٨٦٢م ، والرابع جونيبول سنة ١٩٠٨م، كما ترجمه فايس سنة ١٩٣٥م. (انظر المستشرقون للعقيقي ٣/ ٥٤٧- ٥٤٩).

والإبانة على أصول السنة والدين لابن بطة العكبري[١]، وتاريخ الطبري[٢]، وغير ذلك.

٢- تأليف الكتب عن الإسلام وعلومه التي تخدم أهدافهم، وقد ألّفوا آلاف الكتب المتخصصة، حتى قيل إنه بلغ مجموع ما ألّفوه عن الشرق حتى منتصف القرن العشرين: ستين ألف كتاب[٣].

٣- فتح الأقسام المتخصصة في الإسلام في كبرى الجامعات الأوروبية، والأمريكية، مثل أكسفورد، وكمبردج، وليدن، وهارفرد، وميتشقن، والملاحظ أن أساطين المستشرقين درَّسوا بتلك الأقسام سنوات عديدة وخرَّجوا طلبة كثراً، وعلى سبيل المثال منتقمري وات الذي عمل أستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية والعربية في أدنبرة خمسة عشرة عاماً (١٩٦٤ - ١٩٧٩)[٤].

٤- إنشاء الجمعيات المتخصصة ونشر الدوريات المعنية بذلك، مثل

---

(١) حققه وترجمه وعلق عليه هنري لاووست (انظر مقالة بعنوان المستشرقون وعلم الكلام في مجلة الاستشراق الصادرة من بغداد العدد ٣ سنة ١٩٨٩م ص٩٨).

(٢) حققه دي خويه في ثمانية آلاف صفحة.

(٣) الموسوعة الميسرة للأديان للندوة العالمية ٣٨.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ١١٥ - ١٢١، والتواريخ المتعلقة بالاستشراق بالميلادي دون الإشارة لذلك؛ لتعذر الهجري.

المجلة الآسيوية في باريس (١٧٨٧)، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن (١٩٢٣)، كما يصدر المستشرقون الأمريكيون مجلة العالم الإسلامي وهي من أخطر المجلات الاستشراقية، أسسها صمويل زويمر (١٩١١)، ويشرف عليها الآن كنيث كراج، وطابعها تنصيري سافِرٌ[١].

٥- تأليف ما نحن بصدد الحديث عنه وهو دائرة المعارف الإسلامية، كما كتبوا في الدوائر الأوروبية في الموضوعات المتعلقة بالإسلام مثل دائرة المعارف البريطانية[٢]، ودائرة المعارف الإيطالية[٣] مشوهين صورته.

٦- إرسال الإرساليات وتشجيع الرحالة والمكتشفين لزيارة البلدان الإسلامية، وذلك لدراسة جغرافيتها؛ لتسهيل دخول المستعمر إليها، «ومن ذلك رحلة ماجلان التي كان من أهدافها الاستيلاء على الأرض الإسلامية في الفلبين، وإخضاعها لحكم الصليبيين، وكان ماجلان قد كتب للبابا عدة مرات يطلب الإذن منه بإعداد رحلة لإخضاع الكفار

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم لمصطفى السباعي ٢٨ – ٢٩.

(٢) خلال قراءتي لبعض المواد المترجمة فيها وجدت أنه على ما فيها من أخطاء فإنها أكثر موضوعية من دائرة المعارف الإسلامية، ولعل ذلك عائد إلى حداثة طبعها، وحذف ما لا يروج الآن لانتشار الإسلام وعلومه في بريطانيا.

(٣) نجد أن بعض من كتب في دائرة المعارف الإسلامية يكتب في هذه الدائرة مثل ليفي دلافيدا، وكارلو نللينو (انظر المستشرقون للعقيقي ١/ ٤٣٤- ٤٤٠.

[أي المسلمين] لحكم الصليب، فقام برحلته بعد إذن البابا له، ولما حاول رفع الصليب قتله المسلمون»[(١)].

ومما تقوم به تلك الإرساليات وأولئك الرحالة دراسة أحوال وعادات ولهجات الشعوب الإسلامية، ومخالطة أهلها، ومن ثم محاولات تنصيرهم، أو على الأقل تشكيكهم في عقائدهم، وقد تتقمص هذه الإرساليات أعمالاً إنسانية في ظاهرها كالعمل في المستشفيات والمدارس والجمعيات الإغاثية، وتجد هذه الإرساليات في أماكن المجاعات والكوارث مرتعاً خصيباً لردة المسلمين عن دينهم بسبب تقصير إخوانهم المسلمين.

٧- إلقاء المحاضرات في الجامعات والمنتديات في البلدان الإسلامية.

٨- عقد المؤتمرات الخاصة بهم لمحاربة الإسلام، وكان أول مؤتمر

(١) والمحزن أن تلك الرحلة تدرس لطلاب المسلمين على أنها من أعظم الرحلات العلمية الاستكشافية في التاريخ!
أما أنها استكشافية فنعم، وأما أنها علمية فليس شيء أشد من ذلك تزويراً على التاريخ، والمؤسف أن يقال في كتبنا: إن الذي قتله المتبربرون. (انظر واقعنا المعاصر، محمد قطب ١٨٩، مؤسسة المدينة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

لهم عقد سنة (١٨٧٣) في باريس ، وتتابعت بعده المؤتمرات التي تسعى لتحقيق أهدافهم ومناقشة مشكلاتهم حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دولياً ، ويحضرها المئات ، ومن أمثلة ذلك مؤتمر أكسفورد (١٩٢٩) الذي حضره ٩٠٠ عالم من خمس وعشرين دولة ، وثمانين جامعة ، وتسع وستين جمعية متخصصة ، ومن أواخر مؤتمراتهم مؤتمر مكسيكو (١٩٧٦) ، ويلقى في تلك المؤتمرات المئات من البحوث ، وتعقد فيها الندوات ، ويطبع في النهاية الكتب الجامعة لما ألقي من بحوث وندوات ومحاضرات في كل مؤتمر[1].

* * *

(١) انظر : المستشرقون للعقيقي ٣/ ٣٦٨. الموسوعة الميسرة للأديان ، الندوة العالمية ٣٨.

الفصل الثاني

دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول : صدور الدائرة وأهدافها.

المبحث الثاني : مصادرها.

المبحث الثالث : طريقتها في بث المطاعن.

المبحث الرابع : الترجمة العربية للدائرة.

المبحث الخامس : قالوا عن الدائرة.

تمهيد :

تعد «دائرة المعارف الإسلامية» أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق وهذا يرجع لأسباب متعددة منها : العدد الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها ، وكبر حجمها ، وتنوع المعارف فيها ، واستمرارية إخراجها ، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك ، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشراقي ، لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

* * *

المبحث الأول

صدور الدائرة وأهدافها

دائرة المعارف الإسلامية «Encyclopedia of Islam» مجموعة من المقالات والبحوث المتعلقة بالإسلام والمسلمين بأقلام كبار المستشرقين بدأت فكرتها عندما شعروا في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث : الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، فدعوا إليها في سنة (١٨٩٥) ، وكلّفوا هوتسما[١] بإنشائها ومطبعة ليدن بإصدارها ، وتولى نشرها دار بريل الهولندية ، واستعين بالمجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة للإنفاق عليها.

بدأ تأليفها سنة (١٩٠٦) ، ومن أوائل من بادر بها هوتسما ، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند والهولندية ، ثم حل محله فيما بعد فنسنك[٢] عام (١٩٢٤).

وتولى تحرير النسخة الألمانية : شادة ، وهارتمان ، وبوبير ، وهفننك[٣].

---

(١) ستأتي ترجمته صـ ١٦٤.

(٢) ستأتي ترجمته صـ ١٤١.

(٣) ستأتي تراجمهم صـ ١٣٨ ، ١٦٤ ، بوبير وهفنك لم أجد لهما ترجمة ، ووجدت مستشرقاً ألمانياً باسم سالمون بوبير نشر رسالتين فيما وراء الطبيعة للبهلواني ، ولم=

وتولى تحرير النسخة الفرنسية: رينيه باسه[١]، وأشرف أيضاً على جميع الأبحاث المتعلقة بشمال أفريقيا، ثم خلفه ابن هنري[٢].

وتولى تحرير النسخة الإنجليزية: أرنولد[٣] فأشرف على جميع الدراسات المتعلقة بالبلاد المتصلة ببريطانيا ما عدا مصر.

ثم عهد بالمقالات المختلفة في كل موضوع من موضوعاتها إلى مستشرقين آخرين يوقعون على ما يكتبون، وسآتي في المبحث القادم إن شاء الله على ترجمة لأشهر كتابها في أصول الدين. وقد صدر المجلد الأول واستمر حتى اكتمل في أربعة مجلدات كبيرة وملحق عام ١٩٣٨.

ثم أصيب نشاط لجنة الدائرة بعد الحرب العالمية الثانية بشيء من الاضطراب، وقُضي على بعض أعضائها في ساحاتها، ثم استأنفت نشاطها بإشراف كرامرز، وجب، وليفي بروفنسال[٤] بنشر طبعة جديدة

=أجد له سوى ذلك ٢/ ٣٦٠.

(انظر المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٦٠).

(١) ستأتي ترجمته صـ ١٠٩.

(٢) ستأتي ترجمته صـ ١١٠.

(٣) ستأتي ترجمته صـ ١٠٣.

(٤) ستأتي تراجمهم صـ ١١١، ١٢٤، ١٤٧.

منقحة سنة (١٩٥٤) ، ثم اجتمعت في روما سنة (١٩٥٦) ، وقبل استقالة جب ، فأصبحت لجنة التحرير مكونة من شاخت ، وشارل بيلا ، وبرنارد لويس[١] ، ثم عقدت بعد ذلك دورات تتغير فيها اللجان مع بقاء الهدف ، فصدر المجلد الأول من الطبعة الثانية الجديدة عام ١٩٦٠ تحت مسمى دائرة المعارف الإسلامية الجديدة.

قد منحتها مؤسسة روكفار ٤٥ ألف دولار لاستكمالها سنة (١٩٦٢)[٢].

فالطبعة الأولى صدرت خلال الأعوام (١٩١٣ – ١٩٣٨) باللغات الثلاث ، والثانية بالإنجليزية والفرنسية فقط (١٩٥٤ – ١٩٧٧).

وهناك إصدار ثالث تم البدء فيه عام ٢٠٠٧م ويرافقه نسخة إلكترونية[٣].

هذه الدائرة من أبرز إنتاج المستشرقين ، ولقد شارك في تأليفها العشرات من المستشرقين ، ولا شك أن لكل منهم أهدافاً من وراء الكتابة فيها ، يتبين الكثير منها من خلال كتابة كل منهم ، ولكن ذلك الاختلاف

---

(١) ستأتي تراجمهم صـ ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٥١.

(٢) انظر المستشرقون للعقيقي ٣/ ٣٧٠ – ٣٧٢ ، الأعلام ٥/ ٥٥٢.

(٣) انظر موسوعة ويكيبيديا في موقع الموسوعة.

محدود في أعداد قليلة منهم -خاصة فيمن يكتب عن عقائد الإسلام- إذ أن أهداف عامتهم هي نفس الأهداف العامة للاستشراق التي سبق بيانها، خاصة أن المشرفين عليها هم أئمة الاستشراق.

ولمعرفة أدق بأهداف الدائرة لابد من العلم بمدى حرصهم على تحقيق أهداف الاستشراق العامة في الدائرة، وذلك من خلال سبر لعدد مطاعنهم في الموضوعات المختلفة.

ولقد قمت بإحصاء تقريبي لها فخرجت على النحو الآتي:

١- مطاعنهم في الذات الإلهية أكثر من ٤٠ موضعاً.

٢- مطاعنهم في نبوة المصطفى ﷺ أكثر من ١٧٠ موضعاً.

مقسمة كما يلي:

أ- دعوى استقاء النبوة	أكثر من ٧٠ موضعاً
ب- الطعن في القرآن	أكثر من ٣٠ موضعاً
ج- الطعن في سيرته وأخلاقه ﷺ	أكثر من ١٥ موضعاً
د- مطاعن أخرى: «إنكار المعجزات، دعوى التناقض...»	أكثر من ٤٥ موضعاً
٣- مطاعنهم في السنة النبوية	أكثر من ٥٠ موضعاً
٤- مطاعنهم في صحابة النبي ﷺ	أكثر من ٣٠ موضعاً
٥- مطاعنهم في أهل السنة	أكثر من ٤٥ موضعاً

٦- انتقاص الشريعة الإسلامية	أكثر من ٩٠ موضعاً
٧- مطاعن عقائدية أخرى «إيمان، ملائكة، قدر، نشر خرافات...»	أكثر من ٥٠ موضعاً.
٨- مدح أهل البدع والغض عن أخطائهم	أكثر من ٥٠ موضعا
٩- مطاعنهم في الشريعة الإسلامية	أكثر من ٤٠ موضعاً

هذا إضافة إلى الأخطاء التي لا تصنف على أنها مطاعن، و الأخطاء الكثيرة في فروع الدين والتاريخ واللغة.

وعلى الرغم من كثرة مؤلفيها، ولما لكل منهم أهداف خاصة؛ إلا أن الأهداف العامة هي:

١- صد الغربيين عن الإسلام بتشويهه.

٢- ردة المسلمين عن دينهم.

٣- تزويد المبشرين والمستعمرين بمعلومات وشُبَهٍ عن الإسلام وهذا لخدمة الهدفين السابقين في الغالب.

ويلاحظ أنه كلما قلّت صلة الموضوع في الدائرة بالدين الإسلامي كالمواد الجغرافية واللغوية فإن كتابات المستشرقين فيها تكون أجود لقلة حساسيتها عندهم؛ فهي أشبه بالعلوم البحتة؛ ولأن غالب من يتصدى للكتابة فيها لا تكون لديهم أهداف سيئة.

المبحث الثاني

مصادر الدائرة

عند النظر في مصادر كل مادة نجد أن المستشرقين يعودون إلى كافة المصادر الإسلامية للبحث فيها ، والأخذ من كتب أهل البدع ، وذلك يوفر لأكثرهم مساحة أكبر للانتقاء لتحقيق أغراضهم.

ولكن هناك اتجاهات لابد من التنبيه عليها :

١ - أنهم كثيراً ما يتركون الاستدلال بالكتاب والسنة في بيان اعتقاد المسلمين والاستعاضة عنها بكتب القصص والعجائب[١].

٢ - أنهم يركزون على الكتب التي تجمع الروايات المختلفة والانتقاء منها كالطبري في تفسيره وتاريخه ، وكذا ابن الأثير وابن سعد ، لاسيما وأن هذه الكتب من المراجع الإسلامية.

٣- أنهم يُكثرون الاعتماد على بعضهم لاسيما كبار منظريهم وأخذ أقوالهم بالتسليم مثل مورتمان ومرجليوث[٢] في العقائد ، وقولد زيهر ولامنس[٣] فيما يخص السنة ، وهورجونيه[٤] فيما يخص الحج ومكة ،

---

(١) انظر صفحة ٦٤٢ من هذا البحث كمثال.

(٢) ستأتي ترجتهما صـ ١٥٦ ، ١٦٠.

(٣) ستأتي ترجمتها صـ ١٤٣ ، ١٧٠.

(٤) ستأتي ترجمته صـ ١٦٦.

وماسنيون[١] في التصوف، ونولدكه[٢] في الفرق.

٤- يجب الحذر فيما ينسبونه من معلومات للمصادر، حيث يلاحظ أنهم عند النسبة لمصدر ما فإن بعضهم أحياناً ينسبون إلى المصدر ما يستنتجونه منه فيظن القارئ أنه كذلك في المصدر، وهذا الاستنتاج ليس بالضرورة صحيحاً، بل أحياناً تكون النسبة خاطئة جملة وتفصيلاً، وقد حدث هذا حتى فيما ينسبونه إلى القرآن الكريم أحياناً[٣]، والسنة الشريفة[٤].

٥- مخالفتهم المنهج العلمي في الأخذ من المصادر المعتمدة في كل فن، وهذه أمثلة:

- الاستدلال بقوة الحديث على رواية أخرى في كنز العمال، مع أن صاحب كنز العمال إنما ينقل نفس ما في كتب السنة ولا يروي مستقلاً[٥].

---

(١) ستأتي ترجمته صـ ١٥٢.

(٢) مستشرق ألماني ١٨٣٦ - ١٩٣٠م. تعلَّم اللغات السامية ونال الدكتوراه في تركيب سور القرآن، كان واسع المعرفة. كتب عن الفرق والسيرة واللغة والتاريخ والأدب. (انظر المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠).

(٣) انظر صـ ٣٤١، ٤٩٩، ٥٠٥، ٧٧٧، ٨١٣.

(٤) انظر صـ ١٩٩، ٢٠٤.

(٥) انظر صـ ٦١٢.

- الاستدلال بالفهرست لابن النديم في معرفة شرعية أنواع من السحر[١].

- الاستدلال بالكتاب التركي المليء بالخرافات على عقيدة اليوم الآخر[٢].

- الاستشهاد بكتب القصص لبيان تطبيق المسلمين للأحكام الشرعية دون بيان مخالفة ذلك للسنة الشريفة حيث جاء في مادة ختم: (ويُطلب إلى القراءة تلاوة الختمات على روح المتوفى [انظر الشاهد على ذلك كتاب ألف ليلة وليلة في قصة التاجر أيوب وابنه])[٣].

* * *

(١) انظر صـ ١٩٨.

(٢) انظر صـ ٨١٤.

(٣) الدائرة ١٦/ ٤٩٥، ختم، بول.

المبحث الثالث

طريقة الدائرة في بث المطاعن

يصدق في أكثر من كتب في الشريعة في الدائرة ما قاله أبو الحسن الندوي في إحدى محاضراته عن المستشرقين: «ورغم الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس الموقر، من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية[1]، والحضارة والتاريخ الإسلامي، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية...

ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية، ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس- ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء كان من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في أنفسهم وأذهانهم.

---

(١) المقصود أنهم يلبسون الحق بالباطل، وأما الشريعة الإسلامية فليس فيها ضعف، وهذا مقصود المؤلف لا ريب، حيث إنهم يبحثون عن المواطن التي يُلبس فيها على قليلي العلم بالشريعة.

إنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً ، ويجودون لتمكينه في النفوس ، بذكر عشرات المحاسن التي ليست لها أهمية كبيرة ، وذلك كي يقف القارئ خاشعاً مؤدباً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم.....

وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسّون في كتابتهم مقداراً خاصاً من السم ويحترسون في ذلك ، فلا يزيد النسبة المعينة لديهم ، حتى لا يستوحش القارئ ، ولا يشير ذلك فيه الحذر ، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف»[١].

والسبب في ذلك معلوم وهو كرههم للإسلام وحسدهم لإكماله.

ويلخّص لنا المستشرق النمساوي المسلم محمد أسد كرههم للإسلام، وما ينتج عنه من محاولات للنيل منه ، ويصفه وصف الخبير بهم فيقول: «كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذه المذهبين بموقف عقلي متزن ، ومبني على التفكير. إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ،

(١) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ، أبو الحسن الندوي ١٥ – ١٧.

ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحت في البحث العلمي ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته.

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة... إنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة – حقيقية أو خيالية – ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد»[1].

* * *

(١) الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ٥٢ – ٥٣ ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، دط.

المبحث الرابع

الإصدارات العربية للدائرة

١ - الإصدار الأول قد خرج في سنة (١٩٣٣م) في خمسة عشر مجلداً، كل مجلد يقارب خمسمائة صفحة اشتملت على مواد من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهى بمادة «عارفي باشا»(١) وطبعتها دار الفكر بالقاهرة.

٢ - الإصدار الثاني وقد خرج في سنة (١٩٦٩م) في ستة عشر مجلداً كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، واشتمل من حرف الألف حتى أجزاء من حرف الخاء، وانتهى بمادة «خدا بخش»(٢) وهو مشتمل على ما وجد من الدائرة الأصل، ورمزوا للمواد المضافة بالرمز (+).

وقد بلغ عدد كتّاب الدائرة في كلا الطبعتين (٤٨٦) كاتباً، حرروا (٣٩٣٠) مادة(٣). وقد انتقدتهم في ٣٤٠ موضعاً في هذا الكتاب.

---

(١) رجل دولة تركي توفي سنة ١٣١٣هـ.

(٢) قانوني هندي محب للكتب وجمعها، توفي سنة ١٩٠٨م.

(٣) هذا العدد مع المواد التي أعاد كتاباتها في الطبعة الثانية مستشرقون آخرون، ويبلغ عددها قرابة ألف مادة.

وهناك بعض المواد لا تحمل اسم أي كاتب[1] ، وغالباً ما تكون المادة قصيرة لا تتجاوز صفحة أو صفحتين.

وبعضها الآخر يحمل في نهاية المادة اسم كاتبين[2].

وبعضها الثالث مقسمة إلى موضوعات كل موضوع يحمل اسم كاتب[3] ، وهذا النوع تكون المادة فيه طويلة تتجاوز عشر صفحات.

وجميع هذه الأنواع الثلاثة قليلة لا يتجاوز كل منها مائة مادة.

لجنة الترجمة :

أعد وحرر كلتا الطبعتين : إبراهيم زكي خورشيد ، وأحمد الشنتناوي ، وعبدالحميد يونس ؛ وقاموا بأنفسهم وبإشرافهم المباشر على لجنة لترجمة الدائرة[4] ، وعهدوا إلى بعض الأساتذة للتعليق عليها.

---

(١) انظر على سبيل المثال مادة «ألفية» أي القصائد الشعرية المحتوية على ألف بيت ، لا تحمل هذه المادة على توقيع. (انظر الدائرة ٤/ ٢٣٨).

(٢) مثال ذلك مادة «بيدر» وهي مدينة هندية قديمة تحمل توقيع كل من «شرواني» و««بيج». (انظر الدائرة ٨/ ٥٣٥).

(٣) من أمثلة ذلك مادة «بيت المال» حيث كتب بداية المادة «كولسون» وكتب عن تاريخ بيت المال «كاهن» ، وعن وضعه في الدولة العثمانية «لويس» ، وكتب «تورنو» عن وضعه في المغرب الإسلامي. (انظر الدائرة ٨/ ٥٠٣ – ٥٢٣ ، بيت المال).

(٤) يوجد أسماء بعض المترجمين في نهاية بعض المواد ، وهم : صبحي وهو كاتب في=

التعليق على الدائرة :

علّق على الدائرة عدة علماء ومفكرين ، فكانت تعليقات الطبعة الأولى غالبها في الهامش بخلاف الطبعة الثانية التي كان كثير من التعليقات في الأصل.

وهذا الجدول يبين المعلقين ومشاركتهم في الدائرة مرتبين حسب عدد مشاركتهم :

اسم المعلق	كتاباته	العدد
١ – مهدي علام[(١)]	متنوعة جيدة أغلبها شرعية قصيرة	٨٥
٢ – أحمد شاكر[(٢)]	دفاع علمي ممتاز عن الحديث والسيرة	٦٠
٣ – لجنة الترجمة	متنوعة جيدة غالبه شرعية	٣٥
٤ – أبو ريدة	متنوعة قصيرة منها ردود جيدة	٣٠

=نفس الدائرة ، وآدم وترجم مواد كثيرة ، وخورشيد وترجم مواد كثيرة ، وإبراهيم الأبياري ، وأبو ريدة ، وعبدالحميد يونس وهؤلاء الأربعة علقوا على الدائرة ، والشنتناوي ، وعبدالحميد لطفي ، وعبدالقادر.

(١) وهو منتدب لذلك من قبل وزارة التعليم.

(٢) ستأتي ترجمته صـ ٢٠٤.

٥- أمين الخولي	دفاع ممتاز عن السنة والسيرة	٢٨
٦- بدون اسم	متنوعة جيدة أغلبها شرعية قصيرة	٢٧
٧- عبدالنعيم حسين	اللغة الفارسية	٢٠
٨- محمد يوسف موسى	شرعية متنوعة منها ردود جيدة	٢٠
٩- محمد مسعود	الأندلس والحضارة الإسلامية	١٦
١٠- إبراهيم الطفيش	شمال إفريقيا	٦
١١- جاد المولى[١]	متنوعة شرعية ممتازة	٦
١٢- محمد عرفة	ردود متنوعة ممتازة	٦
١٣- محمد مصطفى	مدح الفلاسفة حلمي	٥
١٤- إبراهيم الأبياري	عقدية منها ردود ممتازة	٤
١٥- خورشيد	ردود جيدة	٤
١٦- عبدالفتاح بدوي	تعليقات لغوية	٤
١٧- حمزة طاهر	مسلمو أوربا	٣
١٨- عبدالحميد يونس	متنوعة	٣
١٩- جمال أفندي	متنوعة	٢
٢٠- عبدالوهاب النجار	ردود متنوعة ممتازة	٢
٢١- محمد حامد الفقي	عقدية تاريخية	٢
٢٢- محمد زاهد الكوثر	تاريخ الجركس	٢

(١) ستأتي ترجمته صـ ٢٩٥.

٢٣- مصطفى عبدالرزاق	متنوعة	٢
٢٤- أحمد الزيات	ألف ليلة وليلة	١
٢٥- جميل صليبا	شرح فلسفة ابن رشد	١
٢٦- حسن كامل الصيرفي	البحتري	١
٢٧- الدمرداش	الحساب	١
٢٨- راشد دستم	الجركس	١
٢٩- زكي حسن	شرح للتماثيل والتصوير عند العرب	١
٣٠- زكي مبارك	مدح شعر الأحنف وبشار بن برد	١
٣١- السيد علي المؤيد	اليمن	١
٣٢- الشاطر بصيلي	السودان المعاصر	١
٣٣- شفيق غربال	تونس الحديثة	١
٣٤- عبدالحميد العبادي	مدح ابن الأثير	١
٣٥- عبدالرحمن زكي	مصر	١
٣٦- عبدالرزاق الحسيني	بغداد	١
٣٧- عبدالعزيز سيد الأهل	رد ممتاز على السيرة	١
٣٨- عبدالعزيز كامل	رد جيد في السيرة	١
٣٩- أبو عبدالله الزنجاني	رد جيد	١
٤٠- عبدالوهاب حمودة	علم البلاغة	١
٤١- محمد الإبراهيمي	موقع جغرافي إفريقي	١
٤٢- محمد ثابت أفندي	شرح فلسفة ابن سينا	١

٤٣- محمد سرور	هامشية عن الظاهر بيبرس	١
٤٤- محمد عاشور	عقدية جيدة	١
٤٥- محمد عبدالفتاح إبراهيم	السودان	١
٤٦- محمد فريد وجدي[١]	رد ممتاز	١
٤٧- محمد فؤاد عبد الباقي	سيرة البخاري	١
٤٨- محمد كامل البنا	رد ممتاز في السيرة	١
٤٩- محمد مصطفى زيادة	ابن بطوطة	١
٥٠- محمد كامل حسين	شرح مذهب الدروز	١
٥١- نجلاء عبدالرزاق	شرح للفلسفة	١
٥٢- يوسف كرم	شرح فلسفة أفلاطون	١

فيكون مجموع التعليقات (٤٠٤) تعليقات، كثير منها في الدفاع عن الإسلام ولكن أكثرها ردود مختصرة[٢]، وبعض التعليقات ردود علمية ممتازة[٣]، وكثير من التعليقات تحتاج إلى تعليق عليها[٤]، وكثير منها توضيحات جغرافية وتاريخية ولغوية، لا علاقة لها بالدفاع عن الإسلام.

---

(١) ستأتي ترجمته صـ ٧٤.

(٢) وهي أفضل من لا شيء، ومن أمثلة ذلك ردود مهدي علام وأبو ريدة.

(٣) مثل ردود أحمد شاكر وجاد المولى ومحمد عرفة وعبدالوهاب النجار ومحمد عاشور ومحمد كامل البنا، وأغلب تعليقات إبراهيم الأبياري ومحمد يوسف موسى.

(٤) مثل تعليقات محمد مصطفى حلمي حيث تمجيد الفلاسفة، وزكي حسن حيث شرح مطول عن التماثيل والتصوير من غير إشارة إلى النصوص في تحريم ذلك.

وهذان الإصداران هما اللذان اعتمدتهما في الدراسة ثم صدر بعد مناقشة الرسالة الإصدار الثالث وهو كالآتي :

٣- الإصدار الثالث : أصدره مركز الشارقة للإبداع الفكري سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية وفي هذا الإصدار تم عمل الآتي :

١- الاعتماد على الإصدارين الأولين المترجمين بما فيهما من تعليقات مع اختصار كثير من المواد ، والمعلومات ، والتعليقات الأقل أهمية ، أو لكونها غير لائقة للقرآن الكريم ، أو لشخص النبي ﷺ ، وقد بقي ملحوظات كثيرة لم تحذف وقد أخذت ٢٢ مجلداً كل مجلد قرابة ٣٣٠ صفحة، وربما أضيفت معلومات جديدة لمادة موجودة في مكان آخر[(١)] .

٢- تمت ترجمة ما بقي من الدائرة من حرف العين إلى حرف الياء مع اختصار لكثير من المواد الأقل أهمية ، مع إضافة بعض التعليقات الجديدة ، وقد بلغت ١٠ مجلدات فأصبح المجموع ٣٢ مجلداً.

وقد عدت إليه في بعض الفصول الأخيرة .

* * *

---

(١) مثال ذلك أبو العلاء المعري الموجود ترجمته في الإصدار الثالث في نفس ترتيبها ٢/ ٣٧٤ – ٣٨٠ ثم أضيفت مادة جديدة «المعري» ٣٠/ ٩٤٤٣ – ٩٤٤٩ ، وربما أراد أن الموضع الثاني أنسب وليس الأمر سهواً بدليل إشارتهم إلى ذلك في الهامش ، وفي تقدير أن المادتين يجب أن تكونا في موضع واحد تسهيلاً للقارئ.

المبحث الخامس

قالوا عن الدائرة

من المفيد أن أنقل ما نشر عن الدائرة للعلماء المسلمين والكتاب العرب والغربيين من مدح أو ذم.

وهذه بعض النقولات في ذلك :

١- في سنة (١٩٣٣م) عندما ظهرت بعض الأجزاء المترجمة من دائرة المعارف الإسلامية باللغة العربية جاء في تعليق مجلة الهلال هذا المدح للمترجمين : «هذا المجهول الجليل الذي يقوم به هؤلاء الشبان الأفاضل في ترجمة هذا السِّفر الكبير الذي قام بتأليفه باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية كبار المستشرقين في أوروبا منذ خمس وعشرين سنة ليكون مرجعاً للحضارة الإسلامية، وما يتصل بها من فنون وعلوم وآداب»[1].

٢- قال محمد رشيد رضا[2] : «إن في هذه الدائرة عيوباً علمية

---

(١) الهلال السنة ٤٢ الجزء ٢، ١٣/ ٩/ ١٣٥٢هـ، أول ديسمبر ١٩٣٣م صفحة ٣٧٧.

(٢) محمد رشيد رضا المصلح المشهور ١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ بغدادي الأصل له مؤلفات عدة أشهرها تفسيره للقرآن، كما أصدر مجلة المنار وتحوي الآن على ٢٤ مجلداً. (انظر الأعلام قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي ٦/ ١٢٦، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤).

وتاريخية ، أهمها : أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها ، بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة»[١].

٣- قال محمد كرد علي[٢] : «ومن تصفح معلمة الإسلام[٣] التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن الهولندية بلغاتها الثلاث يتضح له مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية ، ويتجلى لعينيه ما وصلوا إليه ببحثهم واختصاصاهم في اللغات والعلوم»[٤].

٤- قال أحمد أمين[٥] : «إن نظرة المستشرقين في دائرة المعارف هي نظرة خاصة تختلف عن النظرة التي ينظرها المسلمون ، وبعضهم كان

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين ، أنور الجندي ١٩ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) ستأتي ترجمته صـ ١٠١٠.

(٣) هكذا سماها ، وربما لأنه قرأ النسخة الأجنبية.

(٤) موقف العرب من المستغربين ، ميشال حتى ، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة ببغداد العدد الأول ص٤٠ ، كانون الثاني ١٩٨٧م.

(٥) أحمد أمين بن الشيخ بن إبراهيم الطباخ ١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ ، مؤرخ وأديب مصري من أكثر الكتاب المصريين تصنيفاً. من كتبه «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» و«ظهر الإسلام» و«النقد الأدبي» كما كتب في مجلتي «الرسالة» و«الثقافة».
(انظر الأعلام للزركلي ١/ ١٠١).

متعصباً يمزج تعصبه ببحثه كما فعل الأب لامنس في بعض ما كتب»[(١)].

٥- قال فريد وجدي[(٢)] : «إن أكثر كُتّاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه ، وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب»[(٣)].

٦- قال أبو الحسن الندوي : «إن دائرة المعارف الإسلامية التي ألّفها المستشرقون -ولو كان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل- وصدرت منها طبعات متعددة تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية ، وأثمن ذخيرة للمعلومات الإسلامية ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها (كالعربية والأردية) بنصها وفصها ، وكان المتوقع المأمول منها أن تضع موسوعات إسلامية أصلية بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص في الموضوعات الإسلامية»[(٤)].

---

(١) سموم الاستشراق للجندي ١٩.

(٢) محمد فريد بن مصطفى وجدي ١٢٩٥ -١٣٧٣هـ ، كاتب مصري فاضل له العديد من المؤلفات أشهرها «دائرة المعارف» وله رد على قاسم أمين بعنوان «المرأة المسلمة» و«نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين». (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٣٢٩).

(٣) سموم الاستشراق للجندي ١٨.

(٤) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي ١٩، ما بين قوسين زيادة من كتاب آخر لنفس المؤلف ، وهو الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١٩٠ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧- قال تقي الدين الهلالي : «إن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوروبي ، وفي بروكلمان مثل ذلك وأقبح»[(١)].

٨- قال نجيب العقيقي مادحاً لها[(٢)] : «وقد تحققت الغاية من دائرة المعارف الإسلامية من إحاطة الناس حق الإحاطة بأحوال ملايين المسلمين واطلاعهم على تاريخهم وجغرافيتهم ودينهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وتراجم المشهورين من رجالهم ، بطريقة علمية خالصة، فجاءت أمتع كتاب عنهم في الغرب ، وأقرب إلى الحقائق والتمحيص والاستنباط ، والإحاطة في كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن»[(٣)].

٩- ذكر د. محمود حمدي زقزوق أن دائرة المعارف من إيجابيات المستشرقين ، ومن مؤلفاتهم ذات القيمة العلمية مع قوله : «على الرغم مما لنا نحن المسلمين على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من

---

(١) سموم الاستشراق للجندي ١٩ ، والتمثيل ببروكلمان غير مناسب ، لقلة أخطائه في الدائرة ، ولو مثل بمكدونالد ، أو كارده فو ، أو شاخت لكان أولى.

(٢) هذه عادته في تمجيد المستشرقين، لا غرابة حيث ذكر نفسه منهم في كتابه المستشرقون انظر ترجمته ص٢٩ ، ومع الاعتراف بوفرة المعلومات الدقيقة في كتابه عنهم ، ولكن لا أوافقه على آرائه الخاصة التي فيها مدحهم و تمجيدهم.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٣/ ٣٧٢.

ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين»[١].

١٠- قال ستيفن همفري أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كاليفورنيا : «دائرة المعارف الإسلامية مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوروبيين وهي لا تعبّر إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبي للحضارة الإسلامية ، وتناقض هذه المفاهيم وتختلف عن ما يؤمن به المسلمون أنفسهم ، بل يتناقض مع المراجع الإسلامية كالأزهر»[٢].

١١- قال محمد عبدالله مليباري : «ومن المؤلفات الاستشراقية التي حاولت إغراق التراث الإسلامي : دائرة المعارف الإسلامية ، التي نُشرت بثلاث لغات دولية هي الإنكليزية والفرنسية والألمانية ، واشترك في تأليفها عدد كبير من المستشرقين. إن كل ما نشر في هذا المؤلّف حاول كاتبوه أن يشككوا فيه بإعادة جذوره إلى المسيحية»[٣].

١٢- قال د. محمد أحمد دياب : «إن نشر هذا المعجم المسمى دائرة المعارف الإسلامية المعزو أكثر ما نقل فيه إلى كتب المسلمين يخدع أكثر

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د. محمود حمدي زقزوق ٨١ ، وكتابه الآخر الإسلام والاستشراق١٦ ، مكتبة وهبة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) في كتابه التاريخ الإسلامي.

(٣) المستشرقون والدراسات الإسلامية محمد عبدالله مليباري ٥٤.

القارئين له مما يُعدون من خواص المعلمين[١] ؛ لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه ، ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من خصوم العرب والمسلمين واللغة العربية»[٢].

١٣- قال شكري النجار عنها : «المرجع الأساسي لفكر المستشرقين وتصدر تحت رعاية عدة مجامع علمية غربية ، وتحوي مقالاتها خلاصة ما توصل إليه الدارسون من نتائج في مختلف الموضوعات الإسلامية ، فهي مستودع علمهم وخزانة معارفهم»[٣].

١٤- قال د. التهامي نقرة : «فدائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها المستشرقون بعدة لغات ، والتي عبأوا في تحريرها كل قواهم ، مرجع مهم حتى للمسلمين في دراساتهم مع ما يوجد فيها أحياناً من خلط وتحيف ودس»[٤].

---

(١) لعل مراده أنصاف المتعلمين.

(٢) أضواء على الاستشراق والمستشرقين محمد أحمد دياب ١٢٥ ، دار المنار ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) لم الاهتمام بالاستشراق ، مقالة في مجلة الفكر العربي ، بيروت ، مقالة لشكري النجار العدد ٣١ ، مارس ٨٣م ، صفحة ٦٢ - ٦٣.

(٤) القرآن والمستشرقون ، د. التهامي نقرة ١/ ٢٤. بحث ضمن مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، دطت.

١٥- قال أنور الجندي : «وُضعت دائرة المعارف باللغات الأوروبية في دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير ، بهدف أساسي هو أن تكون مادة في أيدي الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار إلى عالم الإسلام والعروبة ، ولذلك فهي تنضح بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب ، وقد كتبها جهابذة التبشير والاستشراق وحمّلوها كل خصوماتهم وأحقادهم.

وقد لفت الباحثون المنصفون النظر إلى أخطاء دائرة المعارف عندما أراد أن يترجمها نفر من الكتاب في الثلاثينات ، فقد تصدى لهم أكثر من باحث منصف يعارض خطتهم ، ويطالبهم بتصحيح تلك الأخطاء في صلب البحث ، ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه الشبهات في الهوامش ، ففوتوا كثيراً من الحقائق على القارئ المتعجل الذي لا يُعنى بالرجوع إلى الهامش»[١].

١٦- قال د. علي عبدالحليم محمود : «ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها

(١) سموم الاستشراق للجندي ١٧ – ١٨.

والدائرة ، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبّأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة ، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين»[١].

١٧- قال الشيخ أحمد بشير[٢] خلال سرده لأعمال المستشرقين : «أما أخطر الأعمال التي قام بها المستشرقون فهو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات ، ومصدر خطورتها أن المستشرقين عبّأوا قواهم وأقوالهم لإصدار هذه الدائرة وأصبحت مرجعاً لكثير من الباحثين والعلماء من المسلمين على ما فيها من خلط وتزييف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين»[٣].

١٨- قال د. طيار آلتي قولاج رئيس مركز الدراسات الإسلامية بوقف

---

(١) مقال بعنوان الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د. علي عبدالحليم محمود ، ضمن كتاب بنفس العنوان ١٠٢ ، وهو عبارة عن بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٦٩هـ ، إصدار جامعة الإمام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) رئيس جمعية إقامة الإسلام بمدينة مراوي بالفلبين.

(٣) مقال بعنوان الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، أحمد بشير ، ضمن كتاب بنفس العنوان ٢٧٤ ، انظر مقال : الغزو الفكري لعلي محمود ١٠٢.

الديانة التركي بإسطنبول معلناً تبني المركز لتأليف «الموسوعة الإسلامية»[١] : «كنت أتصفح أحياناً دائرة المعارف الإسلامية – الصادرة باللغة الإنجليزية في لاهاي- في طبعتها التركية المنقحة، وبالإضافات التي كتبها العلماء الأتراك، غير أنني أجد فيها نقصاً كبيراً من حيث المعلومات ونوعيتها وعرضها، إضافة إلى أن الموسوعات التي ينشرها علماء الغرب لا تعكس الروح الإسلامية ومؤسساتها؛ لأن العالم الغربي ينظر إلى هذه المؤسسات في إطار نظرته الخاصة التقليدية، وتتسم هذه النظرة غالباً بالتحيز والتحامل، ولا شك أن تصحيح هذه الأخطاء وصيانة الجيل الجديد من تلك التشويهات أمر مهم [فكان إنشاء الموسوعة]»[٢].

١٩ – قال زيد بن أحمد العبلان[٣] : «ومن أبرز الأعمال التي تكاتف المستشرقون على تأليفها وإخراجها للعالم أجمع دائرة المعارف

---

(١) انظر المقترحات في آخر هذا البحث.

(٢) الموسوعة الإسلامية رد علمي للتشويه الغربي لحضارتنا، مقابلة في صحيفة الشرق الأوسط ١٢/٨/١٩٩٤م الصفحة ١٥، ما بين القوسين الأخيرين باختصار.

(٣) حاصل على الماجستير من جامعة الإمام بالرياض من قسم العقيدة ببحث عنوانه : «الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية» سنة ١٤٠٦هـ.

الإسلامية ... وقد ترجمت أجزاء منها إلى اللغة العربية وعرض المترجمون ما ترجموه على عدد من المفكرين المسلمين وكتبت عليها حواش وتعليقات وردود، وإن كانت هذه الردود غير كافية؛ لأن المستشرقين قد أسفروا فيها عن خبثهم ومكرهم»[١].

* * *

(١) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، زيد بن أحمد العبلان ١٢٠، بحث ماجستير غير مطبوع.

الفصل الثالث

كُتّـَـــاب الدائــــــرة

تمهيد :

كَتَب في الدائرة (٤٨٦) مستشرقاً ، ومن المتعذر ترجمة جميع أولئك لاسيما أن أكثرهم لم يكتب في العلوم الإسلامية المتخصصة كالعقيدة والفقه وعلوم القرآن والسنة السيرة النبوية ، وإنما في أمور تاريخية جغرافية وعلوم أخرى ، لذا سيكون التعريف بكتاب الدائرة على النحو الآتي :

أولاً : سرد لأسماء غالب كتاب الدائرة مرتبين حسب عدد المواد التي كتبوها ، مع بيان الموضوعات التي تعرضوا لها ، والطبعة التي كتبوا فيها ، وعدد المواد التي حررها كل منهم ، وعدد المواضع التي تعرضت له فيها، ثم أخيراً بيان هل ترجمت له أم لا .

ثانياً : ترجمة لغالب من نقدت أقوالهم ، وللمكثرين من كتاب الدائرة.

* * *

أولاً: أسماء كُتَّاب دائرة المعارف الإسلامية:

هذا جدول تعريفي لـ(٢٩٠) كاتباً: من كُتَّاب دائرة المعارف الإسلامية كتبوا أكثر من ٩٢٪ من موادها حيث كتبوا (٣٦٥٤) مادة، كما بلغوا نسبة ١٠٠٪ ممن تعرضت لأقوالهم، وتركت (١٩٤) كاتباً كتبوا (٢٧٦) مادة؛ وذلك خشية الإطالة ولعدم أهمية التعريف بهم؛ لقلة مشاركتهم حيث إنهم كتبوا مادة واحدة أو عدة مواد قصيرة.

وتشير الخانة الأولى في الجدول الآتي لاسم الكاتب.

والخانة الثانية للموضوعات التي يكتب بها غالباً في الدائرة.

والخانة الثالثة للطبعة التي كتب بها، حيث يوجد ثلاثة احتمالات: الطبعة الأولى، أو الثانية، أو كلتيهما.

والخانة الرابعة لعدد مرات الكتابة في الدائرة، وإليه الإشارة بـ«ع١»

والخانة الخامسة لعدد مرات النقد في هذا البحث، وإليه الإشارة بـ«ع٢».

والخانة السادسة المشار لها بـ«ج» توضح إذا كان للكاتب ترجمة أم لا.

وسيكون ترتيب الأسماء حسب عدد المواد التي كتبها كل منهم.

اسم الكاتب	موضوعات كتاباته	الطبعة	ع١	ع٢	ج
١ - هيار كليمان Ci.huart	منوعة	كلتاهما	٢٢١	٤	نعم
٢ - بارتولد W.Barthoold	جغرافية آسيا	كلتاهما	١٥٩	-	نعم
٣ - فنسنك A.J.Wensinck	شرعية متنوعة	كلتاهما	٧٥	١٤	نعم
٤ - كرامرز J,H,Kramers	تاريخ وجغرافية آسيا	الأولى	٧٥	-	نعم
٥ - شترك M.Streck	جغرافية متفرقة من آسيا	الأولى	٧٤	١	نعم
٦ - بروفنسال L.Provencal	المغرب وأسبانيا	كلتاهما	٦٨	٢	نعم
٧ - ايفر G.Yver	المغرب والسودان والسنغال	الأولى	٦٦	-	نعم
٨ - تسترتشين V.Zettersteen	التاريخ الإسلامي	الأولى	٦٥	١	نعم
٩ - هيئة التحرير	متنوعة	الثانية	٦٥	-	نعم
١٠ - بابنكر F.Babinger	العثمانيون والبلقان	الأولى	٦٤	-	نعم
١١ - مينورسكي V.minorsky	فارس وآسيا الوسطى	الثانية	٦٢	-	نعم
١٢ - كارده فو Carr de Vaux	فلسفة وملل وفرق	الأولى	٦١	٤٣	نعم
١٣ - بزمي أنصاري b. Ansari	الهند وفارس وغيرهما	الثانية	٥٧	-	-
١٤ - بول fr.Buhl	الشام وسيرة وصحابة	كلتاهما	٥٥	٩	نعم
١٥ - رسكا J.Ruska	علوم ومختلفة	الأولى	٥٤	١	نعم
١٦ - هيج T.w.haig	أفغانستان والهند	الأولى	٥٤	-	نعم
١٧ - بروكلمان C.Brockelman	علماء وشعراء وأطباء	الأولى	٥٢	٢	نعم
١٨ - بلا Ch.Pellat	أدب وجاهليون ومعتزلة	الثانية	٤٦	٣	نعم

١٩- شليفر J.Schieifer	الجزيرة العربية	الأولى	٤٦	-	-
٢٠- ماكدونالد B.Macdonald	العقيدة والفقه	الأولى	٤٦	٤٨	نعم
٢١- بيكر Tc.H.Vecker	مصر	كلتاهما	٤٥	-	نعم
٢٢- مورتمان j.H.Mortmann	جغرافية العراق وتركيا	الأولى	٤٢	٢	نعم
٢٣- لامنس H.Lammens	شرعية والشام	الأولى	٣٩	٩	نعم
٢٤- كرومان A.Grohmann	الجزيرة العربية	كلتاهما	٣٨	-	-
٢٥- هارتمان R.Hartmann	جغرافية متفرقة في آسيا	الأولى	٣٧	١	نعم
٢٦- سوبر نهيم Sobernheim	المماليك والأيوبيون	الأولى	٣٧	٢	نعم
٢٧- لويس V.Lewis	الشام ومتنوعة	الثانية	٣٥	-	نعم
٢٨- كرنكوف F.Krenkow	شعراء وفقهاء	الأولى	٣٣	١	نعم
٢٩- كوتون J.S.Cotton	الهند والبنغال	الأولى	٣٣	-	-
٣٠- ماسنيون L.Massignon	صوفية ومتنوعة	الأولى	٣٣	٩	نعم
٣١- شاخت J.Schacht	الشريعة الإسلامية ومتنوعة	الثانية	٣٢	٣٧	نعم
٣٢- شادة A.Chaada	لغة عربية وشعر	الأولى	٣٢	-	نعم
٣٣- كاهن C.chahen	السلاجقة والترك والأكراد	الثانية	٣٢	-	نعم
٣٤- فاير T.H.waeir	الجزيرة العربية	الأولى	٢٩	٧	-
٣٥- باري V.J.Parry	جغرافية متفرقة في آسيا	الثانية	٢٧	-	-
٣٦- تسيبولد C.F.Seybold	الأندلس والمغرب العربي	الأولى	٢٧	-	-
٣٧- ديمز Longworth	جغرافية وتاريخ الهند	الأولى	٢٧	-	-
٣٨- كولان G.S.Colin	الأندلس وشمال أفريقيا	كلتاهما	٢٧	-	نعم

٣٩- ديفيز C.C.Davies	الهند	كلتاهما	٢٦	-	-
٤٠- سوردل J.Sourdel	الشام وأفغانستان	الأولى	٢٦	-	-
٤١- مارسيه G.Marcais	المغرب العربي ومتنوعة				
٤٢- منزل Th.Menzel	تركيا والدولة العثمانية	الأولى	٢٦	-	-
٤٣- ميراندا A.H.Niranda	الأندلس	الثانية	٢٦	-	-
٤٤- باسيه رينيه R.Basset	المغرب العربي والبربر	كلتاهما	٢٥	٤	نعم
٤٥- محمد شنب	المغرب وعلماء العروض	الأولى	٢٥	٦	-
٤٦- بيروتون بيج J.B.Bage	الهند والعمارة الإسلامية	الثانية	٢٤	-	-
٤٧- هونكمان W.Honignann	الشام والعراق وإيران	الأولى	٢٤	-	-
٤٨- بلسنر M.plessner	الفلاسفة العرب ومتنوع	الثانية	٢٣	-	-
٤٩- بوخنر V.P.Buechner	فارس وغيرها	الأولى	٢٣	-	-
٥٠- جوينبول Th.W.Juynboll	الفقه وأصوله	الأولى	٢٣	٥	نعم
٥١- سبولر B.Spuler	آسيا الوسطى وفارس	الثانية	٢٢	-	-
٥٢- كيس F.Giese	تركيا وكتابها وشعرائها	كلتاهما	٢١	-	-
٥٣- خليل إينالجق	البلقان وتركيا وروسيا	الثانية	٢٠	-	-
٥٤- قولد زيهر Goldziher	الحديث وشرعية ومتنوعة	الأولى	٢٠	٨	نعم
٥٥- مرجليوث S.Margokyouth	الصوفية وغيرها	الأولى	٢٠	٦	نعم
٥٦- تيشنر Fr.taescner	مدن وقلاع تركيا	كلتاهما	١٩	-	نعم
٥٧- رنتز O.Rentz	الجزيرة العربية	الثانية	١٩	-	-
٥٨- شترونمان R.Strothmann	اليمن وخراسان والصفات	الأولى	١٩	١٠	نعم

٥٩- فيت G.Wiet	مصر	الثانية	١٩	-	-
٦٠- هدايت حسين	الهند	الأولى	١٩	-	-
٦١- دنلوب M.dunlop	البحار ومتنوعة	الثانية	١٨	-	نعم
٦٢- ماسيه H.Massei	الأدب الفارسي	الثانية	١٨	-	-
٦٣- تيتزه A.Titze	تركيا وفارس	الثانية	١٨	-	-
٦٤- جب h.A.R.gibb	تراجم متنوعة	الثانية	١٧	١	نعم
٦٥- دني J.Deny	الأنظمة العثمانية والتركية	الثانية	١٧	-	نعم
٦٦- سوتر h.Suter	علوم وفلك	الثانية	١٧	-	نعم
٦٧- كانار M.Canard	متنوعة	الثانية	١٧	-	-
٦٨- أيالون D.ayalon	المماليك والسلاجقة	الثانية	١٦	-	-
٦٩- باريه R.Part	شرعية متنوعة	كلتاهما	١٦	٣	-
٧٠- بوين H.Bowen	العثمانيون	كلتاهما	١٦	-	نعم
٧١- بيفردج H.Beveridge	فارس	الثانية	١٦	-	-
٧٢- بوزورث C.E.Bosworh	آسيا متنوعة وقبائل عربية	الأولى	١٦	-	-
٧٣- سوردل d.Sourdel	العباسيون	الثانية	١٦	-	-
٧٤- ديسبول J.despois	ليبيا وإفريقيا بوجه عام	الثانية	١٥	-	-
٧٥- سافوري R.M.Safory	الصفويون وفارس	الثانية	١٥	-	نعم
٧٦- فاكليري L.V.vaglleri	الفتن بين الصحابة	الثانية	١٥	٤	نعم
٧٧- ليفي دلافيدا L.Sekkavida	جاهليون وبعض الصحابة	الأولى	١٥	٥	نعم
٧٨- هفنج Heffening	شرعية متنوعة	الأولى	١٥	٣	-

٧٩- كور a.Cour	المغرب العربي	الأولى	١٤	-	-
٨٠- مونتقمري W.Montgomery	جاهليون وصحابة وفرق	الثانية	١٤	٥	نعم
٨١- نيونهويس W.Nieywenhuis	جزر الملايو	الأولى	١٤	-	-
٨٢- هرزفلد E.Herzfeld	العراق وفارس	الثانية	١٤	-	-
٨٣- ووكر J.Walker	مصر	الأولى	١٤	٢	نعم
٨٤- ارنولد توماس T.Arnold	متنوعة	الأولى	١٣	-	نعم
٨٥- بانسكن A.Bennigsen	روسيا والقوقاز	الثانية	١٣	-	-
٨٦- تريتون A.S.Tritton	اليمن وشرعية ومتنوعة	كلتاهما	١٣	٥	نعم
٨٧- عنايت الله ش	الهند الإسلامية	الثانية	١٣	-	-
٨٨- فارمر T.G.farmer	الغناء والموسيقي	الأولى	١٣	-	-
٨٩- فراي Rn.Frye	فارس	الثانية	١٣	-	-
٩٠- لوفكرن O.Loefgre	اليمن	الثانية	١٣	-	-
٩١- هل J.Hell	حيوانات ونباتات	الأولى	١٣	-	-
٩٢- ارندنك C.Vanarendnok	شرعية متنوعة	الأولى	١٢	٣	نعم
٩٣- بيرك C.C.berg	جزر الملايو والصوم	كلتاهما	١٢	١	نعم
٩٤- ده بور Tj.De.Boer	فلسفة	الأولى	١٢	٢	نعم
٩٥- روسي E.Rossi	تركيا وليبيا	الأولى	١٢	-	-
٩٦- فكا V.vscca	الصحابة	الأولى	١٢	٧	نعم
٩٧- لوكهارت L.Lckhart	فارس وآسيا الوسطى	الثانية	١٢	-	-
٩٨- ميناج V.L.menage	تركيا والبلقان	الثانية	١٢	-	-

٩٩- آلان J.Allan	العملات الإسلامية	الأولى	١١ - -
١٠٠- تورنو R.Le.Tourneau	المغرب العربي وأخرى	الثانية	١١ - -
١٠١- فيدمان E.Widmann	علوم ورياضيات	الأولى	١١ - -
١٠٢- مانتران R.Mantran	تاريخ الدولة العثمانية	الثانية	١١ - -
١٠٣- نكتين B.Niktine	الفرس	كلتاهما	١١ - -
١٠٤- هاردي A.Harde	الهند وفارس ومتنوعة	الثانية	١١ - -
١٠٥- هوروفتز J.Horovitz	اليهودية والهند ومتنوعة	الأولى	١١ ٩ نعم
١٠٦- هولت P.m.hokt	السودان	الثانية	١١ - -
١٠٧- رتر H.Ritter	صوفية وغيرها	كلتاهما	١٠ - -
١٠٨- رستو D.A.Tustow	أحزاب تركيا	الثانية	١٠ - -
١٠٩- روزنتال F.Rosenthal	تاريخ منوع	الثانية	١٠ - -
١١٠- شوي C.Schoy	الفلك والسماع والرقص	الأولى	١٠ - -
١١١- كرايفه E.Grafe	مصر والفاطميون	الأولى	١٠ - -
١١٢- كرن T.Akern	جزء الملايو	الأولى	١٠ ٣ نعم
١١٣- كوبريلتي زاده محمد فؤاد	الأتراك والعثمانيون	الأولى	١٠ - -
١١٤- كوبف L.Copf	حيوانات ونباتات	الثانية	١٠ - -
١١٥- هودجسون G.s.hodgson	الشيعة والباطنية	الثانية	١٠ - -
١١٦- السيف n.elisseef	الشام وأنهارها	كلتاهما	٩ - -
١١٧- بلومهارت F.Blumhardt	أدب هندي وفارسي	الثانية	٩ - -
١١٨- بيوركمان W.Bjorkman	متنوعة	الثانية	٩ ٣ نعم

١١٩- دلافوسا M.Delafosse	إفريقيا الإسلامية	الأولى	٩	-	-
١٢٠- ركندورف Reckendrof	الصحابة ومتنوعة	الأولى	٩	٤	نعم
١٢١- سوسهيم K.Sussheim	متنوعة	كلتاهما	٩	-	-
١٢٢- فاخر عز	الأدب التركي	الثانية	٩	-	-
١٢٣- لنكرك S.H.Longrigg	العراق	الثانية	٩	-	-
١٢٤- متفوح E.Mittwoch	متنوعة	الأولى	٩	-	-
١٢٥- محمد شفيع	متصوفة هنود	كلتاهما	٩	-	-
١٢٦- براو H.H.Braue	جاهليون ومتنوعة	الأولى	٨	٣	-
١٢٧- بكنكهام F.Beckingham	عمان ونجبار وأخرى	الثانية	٨	٣	-
١٢٨- بلاشير T.Blchere	الأمويون خاصة شعرائهم	الثانية	٨	-	نعم
١٢٩- زامباور E.V.zambur	وحدات المقاييس المختلفة	الثانية	٨	-	-
١٣٠- كابرييلي F.Gabrilli	متنوعة	الثانية	٨	-	-
١٣١- كارديه L.Gardet	الفلسفة وعلم الكلام	الثانية	٨	٨	نعم
١٣٢- كندرمان H.Kindermann	قبائل عربية	الثانية	٨	-	-
١٣٣- كستر M.J.Kister	تراجم جاهليين	الثانية	٨	-	-
١٣٤- نيكلسون R.A.nicholson	التصوف	الثانية	٨	٢	نعم
١٣٥- لامتيون K.S.Lambon	فارس وتركيا	الثانية	٨	-	-
١٣٦- بجراكترفتش فهيم	البلقان وروسيا	الأولى	٧	-	-
١٣٧- بوساني A.Bousani	الشيعة والباطنية	الثانية	٧	-	-
١٣٨- بوفا L.Bouvat	آسيا الوسطى وإيران	الأولى	٧	-	-

١٣٩- ربصون J.Robson	شرعية متنوعة	الثانية	٧	٢	نعم
١٤٠- فايل Weill	لغة عربية	الأولى	٧	-	-
١٤١- فوك J.W.Fueek	مكة ومتنوعة	الثانية	٧	-	-
١٤٢- فولتين A.S.Folteen	متنوعة	الأولى	٧	-	-
١٤٣- كلكجاي Ch.QuelQuejay	تركستان وأذربيجان	الثانية	٧	-	-
١٤٤- ماندافيل J.Mandaville	الجزيرة العربية	الثانية	٧	-	-
١٤٥- تكتش J.Tkatsch	اليمن	الأولى	٦	١	-
١٤٦- سومر فاروق	قبائل تركمانية	الثانية	٦	-	-
١٤٧- شترن S.M.Stern	متنوعة	الثانية	٦	١	نعم
١٤٨- عطية A.S.Atiya	متنوعة	الأولى	٦	-	-
١٤٩- فانشو H.C.Fanshawe	الهند والبنغال	الأولى	٦	-	-
١٥٠- فليش H.Fieisch	لغة عربية	الثانية	٦	-	-
١٥١- لويكي T.Lewicki	تراجم إباضية	الثانية	٦	-	-
١٥٢- هارتنر W.Hartner	الفلك والزمان	الأولى	٦	٢	-
١٥٣- هللر B.Heller	الأنبياء	الأولى	٦	٥	نعم
١٥٤- هوتسما M.Th.Houtsma	السلاجقة والقاديانية	الأولى	٦	-	نعم
١٥٥- أورخينلي G.Orhonlu	الدولة العثمانية	الثانية	٥	-	-
١٥٦- بل إلفرد A.Bell	متنوعة	الأولى	٥	١	نعم
١٥٧- جبرائيل فراند Ferrand	متنوعة	الأولى	٥	-	-
١٥٨- دانكوس C.D,Encaus	أفغانستان وتركيا	الثانية	٥	-	-

١٥٩ - راسرز W.H.rassers	جزر الملايو	الأولى	٥	–	–
١٦٠ - شفارتز P.Schearz	خراسان والعراق	الثانية	٥	–	–
١٦١ - صدّيقي A.Siddigi	الهند	الثانية	٥	–	–
١٦٢ - كراتشكوفسكي Kratsch-Kosky	شعراء وفقهاء ومؤرخون	الأولى	٥	–	–
١٦٣ - لويس G.L.Louis	تركيا والغجر	الثانية	٥	–	–
١٦٤ - مولكان W.E.Muiligan	نجد والخليج	الثانية	٥	–	–
١٦٥ - مونس H.Mones	مصر ومتنوعة	الثانية	٥	–	–
١٦٦ - هدلي R.L.Headkey	الجزيرة العربية	الثانية	٥	–	–
١٦٧ - لاوست H.Laous	المذهب الحنبلي	الثانية	٥	٧	نعم
١٦٨ - إيزنبرغ J.Eisenberg	أنبياء اليهود	الأولى	٤	٣	نعم
١٦٩ - برنشفيك R.Btunschvig	الفقه وتونس	الثانية	٤	–	–
١٧٠ - بيدرسن J.Pederecn	تراجم صوفية	الأولى	٤	–	–
١٧١ - سميث M.smith	تراجم صوفية	الثانية	٤	–	–
١٧٢ - شرواني H.K.sherwani	الهند	الثانية	٤	–	–
١٧٣ - شمتز M.Schmitz	الأمويون في الأندلس	الأولى	٤	–	–
١٧٤ - شيدر H.Schaeder	تاريخية متنوعة	الأولى	٤	–	–
١٧٥ - طيان E.Tyan	الفقه	الثانية	٤	١	–
١٧٦ - عزيز أحمد	الأدب الأردي	الثانية	٤	–	–
١٧٧ - غوردن T.C.Gordon	البحر المتوسط	الأولى	٤	–	–
١٧٨ - فان دان برغ S.V.D.Bergh	الفلسفة	الأولى	٤	١	–

١٧٩ – فكته L.Fekete	المجر وتركيا	الثانية	٤	–	–
١٨٠ – لوسرف J.Lecerf	الاجتماع عند العرب	الثانية	٤	–	–
١٨١ – ليبر أوليبرت Lepert	الأدوية	الأولى	٤	–	–
١٨٢ – مينراق تبه	العثمانيون	الثانية	٤	–	–
١٨٣ – هللسون J.Hillekson	السودان	الأولى	٤	–	–
١٨٤ – اتنكهاوزن R.Ettinghhasen	حضارة فارس والمغول	الأولى	٤	–	–
١٨٥ – أحمد	العثمانيون والأتراك	الثانية	٣	–	–
١٨٦ – انهكر R.Anhegger	مدن أناضولية	الثانية	٣	–	–
١٨٧ – اولندوف E.Ullendorh	الحبشة	الثانية	٣	–	–
١٨٨ – بايصون G.Beysun	تراجم عثمانيين	الثانية	٣	–	–
١٨٩ – برتلز E.B.	فارس	الأولى	٣	–	–
١٩٠ – بويل Boyle	آسيا الوسطى	الثانية	٣	–	–
١٩١ – تريمنكهام S.Trimingham	الحبشة	الثانية	٣	–	–
١٩٢ – جوميه J.Jomier	مصر	الثانية	٣	–	–
١٩٣ – حسن حسني عبدالوهاب	ليبيا	الأولى	٣	–	–
١٩٤ – حسين أ. ب. م	البنغال	الثانية	٣	–	–
١٩٥ – داني A.H.Sani	الهند والبنغال	الثانية	٣	–	–
١٩٦ – دتريش A.Sietrich	متنوعة	الثانية	٣	–	–
١٩٧ – ديفردان G.Deverdun	المغرب	الثانية	٣	–	–
١٩٨ – ديمومبين Demombynes	الحج ومكة	الأولى	٣	١	نعم

١٩٩- رحمن	فلسفة وتصوف	الثانية	٣	-	-
٢٠٠- روبيناتش R.Rubinacci	الخوارج	الثانية	٣	-	-
٢٠١- ستيفن R.Stevenson	لغة عربية	الثانية	٣	-	-
٢٠٢- سلسكون M.Seligsohn	المغرب الإسلامي	الأولى	٣	-	-
٢٠٣- عرفات W.Arafat	صحابة ومتنوعة	الثانية	٣	-	-
٢٠٤- عرفان شهيد	تراجم جاهليين	الثانية	٣	-	-
٢٠٥- قدوري E.Kedourie	أنظمة عثمانية	الثانية	٣	-	-
٢٠٦- قرة خان	التاريخ العثماني	الثانية	٣	-	-
٢٠٧- كاسكل W.caskel	الجزيرة العربية	الثانية	٣	-	-
٢٠٨- كوالسكي T.Kowalski	الأدب العثماني	الأولى	٣	-	-
٢٠٩- كورنيفيان R.Cornevin	موريتانيا والسنغال	الثانية	٣	-	-
٢١٠- كوشوان A.M.Foichon	فلسفة	الثانية	٣	-	-
٢١١- ليتمان E.Littmann	متنوعة	الثانية	٣	-	-
٢١٢- ليون B.Leyne	الأدوية	الثانية	٣	-	-
٢١٣- مادلنج W.Madelung	الفرق الباطنية	الثانية	٣	-	-
٢١٤- مارسيه W.Macais	متنوعة	الأولى	٣	-	-
٢١٥- ماكس مايرهوف M.Meyerhof	الطب	الأولى	٣	-	-
٢١٦- مولر E.Moler	النجوم والتقويم	الأولى	٣	-	-
٢١٧- نادر البرت A.Nadr	معتزلة ومتكلمون	الثانية	٣	-	-
٢١٨- نالينو C.A.Nallino	النجوم والفلك	الأولى	٣	١	نعم

٢١٩- نور الحسن	الهند الإسلامية	الأولى	٣	- -
٢٢٠- هايد V.Heyd	النظم العثمانية	كلتاهما	٣	- -
٢٢١- هرجونية C.S.Hurgroje	أشراف مكة	الثانية	٣	- نعم
٢٢٢- ويلبر S.N.Wilber	جغرافية آسيا	الثانية	٣	- -
٢٢٣- أحمد مقبول	الجغرافية	الثانية	٢	- -
٢٢٤- إدريس H.R.Idris	المغرب	الثانية	٢	- -
٢٢٥- أوري S.Ory	تركيا وفلسطين	الثانية	٢	- -
٢٢٦- اولمان M.vllmann	السحر	الثانية	٢	- -
٢٢٧- اويستروب J.Oestrup	الأدب التركي	الأولى	٢	- -
٢٢٨- ايرفين Irvine	الفرس	الأولى	٢	- -
٢٢٩- ايفانوف Ivanow	الباطنية	الثانية	٢	- -
٢٣٠- بالجون J.M.s.Valijon	الهند	الثانية	٢	- -
٢٣١- باور H.Vauer	متنوعة	الثانية	٢	- -
٢٣٢- بيرك J.Veergue	متنوعة	الثانية	٢	- -
٢٣٣- برنز J.Prins	متنوعة	الثانية	٢	- -
٢٣٤- بن شيخ	الأدب الجزائري	الثانية	٢	- -
٢٣٥- بوراتاو P.N.Voraataw	الأدب التركي	الثانية	٢	- -
٢٣٦- بوسكويه G.H.Bousquet	فقه الحيض والجماع	الثانية	٢	- -
٢٣٧- بيرس H.Peres	الأندلس	الأولى	٢	- -
٢٣٨- بيستون A.F.L.Bceston	حضرموت	الثانية	٢	- -

٢٣٩- بيفار A.S.H.BGivar	آسيا الوسطى وإيران	الثانية	٢	- -
٢٤٠- تراس H.Terrasse	الحصون والأبراج	الثانية	٢	- -
٢٤١- جفري Sh.M.Jaferi	الشيعة	الثانية	٢	- -
٢٤٢- جوربف B.Djutdjuv	البلقان	الثانية	٢	١ -
٢٤٣- جويل B.Joel	الشريعة الإسلامية	الأولى	٢	١ -
٢٤٤- حتى فيليب F.Hitti	الجاليات العربية	الثانية	٢	- -
٢٤٥- خالدي W.A.S.Khalidi	الصوفية	الثانية	٢	- -
٢٤٦- دي مكيلو Di.Meglio	بنو خالد والعثمانيون	الثانية	٢	- -
٢٤٧- راي R.C.Rey	السودان وشمال أفريقيا	الثانية	٢	- -
٢٤٨- ريد H.a.Reed	جغرافية تركيا	الثانية	٢	- -
٢٤٩- ستوري C.Astorey	متكلمون ومتصوفة	الأولى	٢	- -
٢٥٠- سكارسيا G.Scarcia	إمامية وأفغان	الثانية	٢	- -
٢٥١- سمران Ch.Samaran	تونس	الثانية	٢	- -
٢٥٢- شترنزيوك Strzygowski	الأزد وأسبانيا	الثانية	٢	- -
٢٥٣- شمت J.H.Seimidt	الخزف والحرير	الأولى	٢	- -
٢٥٤- صبحي	شمال إفريقيا	الأولى	٢	١ -
٢٥٥- طالبي	الحبشة	الثانية	٢	- -
٢٥٦- عوض. ج	العراق	الثانية	٢	- -
٢٥٧- فسمان H.V.Wissman	البدو	الثانية	٢	- -
٢٥٨- فهد . ت	علم الحرب الشيعة	الثانية	٢	- -

٢٥٩- فولزر K.Vollers	أحمد البدوي	كلتاهما	٢	١	-
٢٦٠- فيدال F.s.Vidsl	قبائل عربية	الثانية	٢	-	-
٢٦١- فيريه F.Vire	الصيد عند العرب	الثانية	٢	-	-
٢٦٢- فيضي A.A.Fyzee	الهند	الثانية	٢	-	-
٢٦٣- قاوار عرفان A.Kawae	تراجم جاهليين	الثانية	٢	-	-
٢٦٤- كاستر M.Gaster	الحضارة السامرية	الأولى	٢	١	-
٢٦٥- كدس C.L.Geddes	اليمن	الثانية	٢	-	-
٢٦٦- كوك بلكين Goeekbilgin	تركيا	الأولى	٢	-	-
٢٦٧- كوناي الباي G.Alpay	تركيا	الثانية	٢	-	-
٢٦٨- كيوم A.Guillaume	متنوعة	الأولى	٢	١	نعم
٢٦٩- ماتيورس D.Matthews	عُمان	الثانية	٢	-	-
٢٧٠- موركنيسترن Morgenstierne	باكستان وأفغان	الثانية	٢	-	-
٢٧١- مونيول حق S.moinulhoq	الهند	الثانية	٢	-	-
٢٧٢- لويس A.Loues	شمال إفريقيا	الثانية	٢	-	-
٢٧٣- ليوسكي T.Lewicki	الإباضية	الثانية	٢	-	-
٢٧٤- نظامي K.A.Nizami	الهند	الثانية	٢	-	-
٢٧٥- نفيسي A.Nafici	متنوعة	الثانية	٢	-	-
٢٧٦- هتنكفورد G.w.Huntingford	أثيوبيا	الثانية	٢	-	-
٢٧٧- هوايتد R.B.Witehead	الأفغان	الثانية	٢	-	-
٢٧٨- هورتن M.Hortn	ثمامة بن أشرس وغيره	الثانية	٢	١	نعم
٢٧٩- والتزر R.Walzer	اليونان	الثانية	٢	-	-

٢٨٠- والش J.R.Wslsh	تراجم عثمانيين	الثانية	٢	-	-
٢٨١- أربري A.J.Arberry	التصوف	الثانية	١	١	نعم
٢٨٢- بالاش J.L.Pslache	السبت	الأولى	١	١	نعم
٢٨٣- بارث J.barth	أبو لهب	الأولى	١	١	نعم
٢٨٤- تشودي R.tschudi	التصوف	الثانية	١	١	نعم
٢٨٥- رنتو Tentu	أبو قبيس	الثانية	١	١	-
٢٨٦- جفري A.Jafri	آزر	الثانية	١	١	نعم
٢٨٧- شريك B.shreek	الإسراء	الثانية	١	١	-
٢٨٨- شلهود j.cheod	الحجاب	الثانية	١	١	-
٢٨٩- كلونيا Clonea	التصوف	الثانية	١	١	-
٢٩٠- عبدالله صالح جمعة[١]	الخبر	الثانية	١	-	-

* * *



(١) عبدالله صالح جمعة : هو السعودي الوحيد الذي كتب في الدائرة ؛ حيث كتب مادة (الخبر) والكاتب درس في الجامعة الأمريكية ببيروت ، وتدرج في شركة أرامكو بالظهران حتى عين مديراً عاماً في سنة ١٤١٦هـ.

تراجم
بعض كُتّاب الدائرة

لا شك أن الترجمة لجميع كُتّاب الدائرة تحتاج إلى بحث مستقل يخرج بنا عن موضوع بحثنا ؛ لذا اكتفيت بتراجم البارزين منهم ممن تيسرت ترجمته خاصة ممن انتقدت أقواله ، حيث ترجمت لـ(٧٧) كاتباً كتبوا (٢٢٨٤) مادة تشكل ٥٨٪ من مواد الدائرة ، كما تشكل كتابتهم المنتقدة في هذا البحث ٩٢٪ من جملة نقدي للدائرة. وهم مرتبون حسب الحروف الهجائية كما يأتي :

١ - أربري A.J.Arberry (١٩٠٥ - ١٩٦٩)[١]: مستشرق إنجليزي، تعلم في مدرسة اللغات الشرقية في بورتسماث ، ثم في كمبريدج ، أتقن العربية والفارسية ، وتتلمذ على نيكلسون ، وتأثر به ، وبرز في التصوف والأدب الفارسي.

تقلد عدة مناصب عدة ، منها : أستاذ اللغة الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية والإفريقية ، ثم رئيس لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية (١٩٣٢ - ١٩٣٤) ، ثم أمين لمكتبة ديوان الهند (١٩٣٤ - ١٩٣٩). ثم اخْتِير وزيراً للأنباء (١٩٤٠ - ١٩٤٤).

(١) جميع التواريخ في هذا الفصل بالميلادي لتعذر الهجري.

انتُخب في مجامع علمية منها المجمع العلمي بدمشق.

ترجم القرآن، ونظم الشعر، واهتم بالتصوف، ومن ذلك محاضراته عن السهرودي، وترجمته لكتاب التوهم للمحاسبي.

وله: «الإسلام اليوم»، و«مقدمة لتاريخ التصوف»، و«التصوف» و«موقف الإسلام من الحرب»، و«تراث الإسلام»، وآثاره كثيرة جداً.

قال عنه مصطفى السباعي: «إنجليزي متعصب ضد الإسلام، أستاذ الدراسات الإسلامية واللغوية في جامعة كمبردج، وهو أستاذ لكثير من المصريين المتخرجين من كمبردج».

وقد مدحه محمد صدر الحسن الندوي بقوله: «هو المستشرق الوحيد الذي استطاع أن يتحرر من روح التعصب الديني»[1].

---

(١) انظر:

- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم مصطفى السباعي ٣٠، المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الأعلام للزركلي ١/ ٢٨٧.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٣٨.
- المستشرقون والقرآن الكريم، محمد صدر الحسن الندوي، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٣٨٠ - ٣٨١، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي ٥ - ٨، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٩.

حرر في الدائرة مادة واحدة في الطبعة الثانية عن التصوف وليس في تلك المادة ما يدل على التعصب أو ضده[١].

٢- أرندنك C,VanArendonk (١٨٨١ – ١٩٤٧) : مستشرق هولندي تخرج بالعربية من ليدن ، اشتهر برسالته عن الإمامة في اليمن ، وعلى أثرها عين أميناً عاماً للمخطوطات والكتب الشرقية في مكتبة ليدن ، ثم أستاذاً للعربية في جامعتها.

من آثاره الأخرى : تاريخ المعتزلة ، والسحر في جنوب الجزيرة العربية ، وغيرهما[٢].

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٢ مادة متنوعة عن الإسلام ، وانتقدته ٣ مرات حيث اتهم صفات الله بالتجسيد ، وزعم تأثر الإسلام باليهودية ، والتناقض في الإسلام[٣].

٣- أرنولد توماس T.W.Arnold (١٨٦٤ – ١٩٣٠) : مستشرق ومؤرخ

---

(١) انظر صـ ١١٢٢.

(٢) انظر : المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣١٨.

- مستشرقون ، سياسيون – جامعيون – مجمعيون ، نذير حمدان ٥٥ ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٣) انظر : الصفات صـ ٢٧٣ ، ٤٢٥ ، الاستقاء صـ ٤٢٥ ، التناقض ٥٣٥.

إنجليزي مشهور، تعلم في بريطانيا ودرّس في عليكرة في الهند، ثم في بريطانيا أستاذاً في كرسي الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن ثم عميداً لها إلى وفاته، زار مصر وحاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الإسلامي، كان معجباً بالإسلام فألف كتابه المشهور «الدعوة إلى الإسلام»، وتُرجم إلى عدة لغات منها العربية والأردية والتركية(١).

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٣ مادة متنوعة، وإن كان وقع منه أخطاء(٢) إلا أنه لا يظهر في كتاباته التعصب.

٤- ايزنبرغ (هيرشبرج) J.Eisenberg : مستشرق روسي متخصص بتاريخ اليهود في الجزيرة العربية.

من آثاره : «اليهود في الجزيرة العربية» تناول فيه تاريخهم من خراب بيت المقدس إلى الحملات الصليبية، ومقالات متعددة منها : السموأل، وأدب النصرانية، واليهودية في الجاهلية(٣).

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى أربع مواد عن أنبياء اليهود، وقد انتقدته في ثلاثة مواضع، حيث زعم أن النبي ﷺ استقى قصصهم من

---

(١) انظر : الأعلام للزركلي ٢/ ٩٤. المستشرقون للعقيقي ٢/ ٨٤. مستشرقون لنذير حمدان ١٢٠.

(٢) كتب عن الخليفة انظر الدائرة الأولى ٨/ ٤١٨ - ٤٣٠، وخلط فيها بعض الشيء.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٥٠٣.

أهل الكتاب، وعرض في مادة «حواء» عرضاً مشوشاً نسب للقرآن أن خطيئة آدم كان بسببها[١].

٥- إيفر G.Yver: مستشرق فرنسي معاصر من أساتذة كلية الآداب في الجزائر، صنّف وكتب الكثير عن الجزائر وشمال إفريقيا[٢].

حرّر في الدائرة في الطبعة الأولى ٦٦ مادة تاريخية وجغرافية عن المغرب العربي والسودان والسنغال، ولا يظهر على كتاباته التحامل.

٦- إيوار (أو هيار)، كليمان CL.huart (١٨٥٤ - ١٩٢٧): مستشرق فرنسي درس في باريس في مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا وتخرج منها، وعُيّن مترجماً في قنصلية فرنسا بدمشق عام (١٩٧٥)، ثم في سفارة الآستانة عام (١٩٧٨)، ثم استُدعي إلى باريس للعمل في وزارة الخارجية أمين سر، ثم انتدبته لتمثيلها في مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام (١٩٠٥)، ثم عينته قنصلاً عاماً في عام (١٩١٢)، ثم ترك الوظيفة وانصرف إلى التدريس والتصنيف، فتعين أستاذاً للعربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية، ومديراً لمدرسة الدراسات العليا حيث كان يلقي محاضراته في تفسير القرآن بالفصحى،

---

(١) انظر ما يتعلق بحواء صـ ٣٢٦، ٣٤١، والاستقاء والتشكيك في النبوة صـ ٣٣٣.

(٢) انظر المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٥١. مستشرقون لنذير حمدان ١٢٠.

انتخب رئيساً لمجمع الكتابات والآداب، وعضواً في المعهد الفرنسي، والجمعية الآسيوية، والمجمع العلمي العربي بدمشق، كما منح أوسمة من فرنسا وتركيا واليونان وتونس والجزائر وإيران.

من آثاره: «تاريخ بغداد في العصر الحديث»، و«تاريخ العرب»، والكثير من الترجمات الأدبية، كما كتب مقالات منها: كتاب البيع في صحيح البخاري، والحج إلى مكة، ومهد الإسلام، وأصول الدولة في الإسلام، والمسلمون في الهند، والخلافة والجهاد، والحلاج، والجاحظ، وحكاية سلمان الفارسي، ونقائض جرير والفرزدق، وعن العديد من الدواوين العربية[١].

مدح النبي ﷺ بالصدق والاستقامة، قال شكيب أرسلان: «إنك لا تجد في تاريخ العرب للأستاذ «هيار» كلمة واحدة تدل على أن محمداً كان مرائياً أو مداجياً، أو كان يقول ما لا يعتقد، أو يعتقد ما لا يقول»[٢].

يعد أكثر من كتب في الدائرة حيث حرر في كلتا الطبعتين ٢٢١ مادة منوعة، وانتقدته في مادتين حيث زعم استقاء النبي ﷺ من النصرانية،

---

(١) المستشرقون للعقيقي ١/ ٢١٢ - ٢١٦.

(٢) حاضر العالم الإسلام، لوثرب ستودار، تعليق شكيب أرسلان ٣٩، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

وفي الفتن، كما أشرت إلى كتاباته عن الصوفية[١].

٧- بابنكر فرانس F.Babinger (١٨٩١ - ١٩٦٧): مستشرق ألماني درس اللغة العربية والتركية وأصبح أستاذاً للعربية بجامعة برلين ثم درّس اللغة التركية وعني بالتاريخ العثماني، وله آثار متنوعة[٢].

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ٦٤ مادة عن العثمانيين ودول البلقان واليونان، ولا يظهر في كتاباته التحامل.

٨- بارتولد W.Barthold (١٨٦٩ - ١٩٣٠) كبير المستشرقين الروس، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وتخصص فيه، حقق دراسات ابن خلدون المتعلقة بالسلطة في الإسلام، انتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي (١٩١٣)، ورئيساً للجنة المستشرقين فيه، من بعد الثورة حتى وفاته.

له العديد من المؤلفات تربو على أربعمائة غالبها دراسات تاريخية، أشهرها «تركستان عند غزو المغول لها» في مجلدين، وله دراسة عن عمر بن الخطاب، وعن الحروب الصليبية[٣].

حرر في الدائرة في كلتا الطبعتين ١٥٩ مادة تاريخية وجغرافية غالبها

---

(١) انظر ذلك استقاء صـ ٤٣٢، الفتن ٧٢٤، الصوفية ١١٢٣.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٥٨ - ٤٥٩

(٣) المستشرقون للعقيقي ٣/ ٨٠.

عن آسيا الوسطى وتركيا وفارس ، ولا يظهر في كتاباته التحامل ، بل يغلب عليها الرصانة وحسن العرض.

٩- بارث J.barth (١٨٥١ – ١٩١٤) : مستشرق يهودي ألماني درس العربية بجامعة برلين ، وكان يتقن العربية والعبرية ، واهتم بالشعر العربي وألّف فيه ، وقد تعلم العربية على يد فلايشر ونولدكه ، وتخصص في فقه اللغة العربية ومقارنتها باللغات السامية والشعر ، انتدب أستاذاً للعربية في الكلية الدينية العبرية ، ثم في جامعة برلين ، وكان من الذين سعوا لنشر تاريخ الطبري (١٩٠١).

من آثاره : شرح الكتاب المقدس ، أبحاث في الشعر الجاهلي ، وله مبحث عن القرآن في مجلة الإسلام[١].

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى مادة «أبو لهب» فقط، وزعم فيها أن النبي ﷺ قسا عليه رغم وقوف أبي لهب في صف النبي ﷺ[٢].

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٨/ ١٣٢.

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٩٣.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٠.

(٢) انظر ذلك صـ ٦٨٧.

١٠ - باسيه ، رينيه R.Basset (١٨٥٥ - ١٩٢٤) : ولد في فرنسا ، وبعد تخرجه في الثانوية قصد باريس ، وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ، فأُسند إليه كرسي العربية بمدرسة الآداب العليا بالجزائر (١٨٨٥) ، ودرّس فيها الحبشية والتركية والبربرية ، ووجد فرصة للتنقيب عن الآثار والمخطوطات الإسلامية في تونس ، كان في طليعة محرري المجلة الإفريقية ، ونشرة المراسلات الإفريقية ، كما كان يكتب في المجلة الأسيوية ، أسهم في مجلات علمية كثيرة ، ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥) ، عينته الخارجية الفرنسية قنصلاً لها في الجزائر ، كما انتخب عميداً لمدرسة الجزائر لما تحولت إلى كلية ، انتُخِب من مديري دائرة المعارف الإسلامية ، وعضواً في مجامع علمية كثيرة في باريس ، ولشبونة ، ومدريد ، وروما ، ودمشق.

وله آثار : عربية ، وبربرية ، وحبشية.

من مقالاته وأبحاثه : «صلوات المسلمين في الصين» ، و«الشعر العربي قبل الإسلام» ، بحث في تاريخ الحبشة ، ودراسات في اللهجة البربرية ، وبحث في القصص العامية في إفريقيا ، وبحث في فتوحات إفريقيا ، كما نشر أبحاثاً في الدوريات الإسلامية ، والمجلة الآسيوية ، والمجلة الإفريقية ، ومجلة الدراسات الشرقية ، وأشرف على تحرير

النسخة الفرنسية من الدائرة[١].

حرر في الدائرة في كلتا الطبعتين (٢٥) مادة عن المغرب العربي والبربر، وقد ذم مذهب الإمام مالك ووصفه بالتشدد، وذم المرابطين في المغرب، وكتب عن الطرائق الصوفية[٢].

١١ - باسيه، هنري H.Basset (١٨٩٣ - ١٩٢٦): مستشرق فرنسي وهو ابن رينيه باسيه السابق تخصص بدراسة المسلمين تاريخاً وأدباً واجتماعاً، وعُيّن مديراً لمعهد الدراسات العليا بالرباط، كتب عن المغرب وخاصة عن الآثار.

خَلَف والده في تحرير النسخة الفرنسية من الدائرة، وأنشأ مجلة الدروس المغربية والبربرية المعروفة باسم «هسبيروس»[٣].

لم أجد له في الدائرة كتابات، ولعله أشرف على كتابات، ولكنه كتب خارجها: «والرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه

---

(١) المستشرقون للعقيقي ١/ ٢١٨ - ٣٧١.

(٢) انظر فيما يتعلق بمذهب مالك صـ٩١٨، المرابطون ١٠٦٣، التصوف ١١٢٢، ١١٢٦.

(٣) انظر:

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٨٩.

- مستشرقون لنذير حمدان ١٢٠.

في وضعية بائسة، وهذه كانت حالة محمد في فترة ما»[١].

١٢- بالاش J.L.Palache (١٨٨٦ - ١٩٤٤) : مستشرق هولندي يهودي، نال رسالة الدكتوراه في بحثه : «المزار وأثره في الشعوب السامية» (١٩٢٠) تعين أستاذاً للعربية في جامعة أمستردام (١٨٨٦ - ١٩٤٤) وقد قُتِل من اليهود الذي حُمِلوا إلى ألمانيا.

له أبحاث في فقه العربية[٢].

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى مادة «السبت» زاعماً الاستقاء من اليهود فيما يتعلق بصلاة الجمعة[٣].

١٣- بروفنسال، ليفي E.Levi Provencal (١٨٩٤ - ١٩٥٦) : مستشرق يهودي فرنسي ولد في الجزائر وتخرج في كلية الآداب فيها، واشترك في الحرب. عين ضابطاً في الشئون الإسلامية بالمغرب، ثم أستاذاً في معهد الدراسات العليا بالرباط فمديراً له، وأثناء ذلك نال الدكتوراه في لغة قبائل شمال المغرب، كما عمل بالجزائر والسوربون

---

(١) الإسلام، هنري باسيه ٢٤ -٢٥، صدر بالفرنسية في ١٤/ ٩/ ١٩٦٠ باريس، ترجمة بهيج شعبان، تعليق مصطفى الرافعي ومحمد جواد مغنية، عويدات بيروت، دطت، رغم إقراره بعد ذلك بصفحات: بأن خديجة اختارت محمداً بفضل السمعة الحسنة التي يتمتع بها. ص٤١.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٢٠.

(٣) انظر ذلك صـ ٤٢٣.

أستاذاً لتاريخ العرب في عام (١٩٢٨) ، ثم جُنّد في القيادة العليا لشمالي إفريقيا عام (١٩٣٨) ، ثم كلفته حكومته بمهام خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق عام (١٩٤٣) ، ثم عُيّن أستاذاً للعربية بجامعة باريس عام (١٩٤٥) ، كما عمل مديراً للطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية، وأنشأ مجلة للدراسات العربية (أرابيكا) ، وكان كثير الاشتغال بالمخطوطات العربية ونشرها ، عُدّ المرجع الأول في الغرب لتاريخ الأندلس ، وكوفئ على جهوده في الحرب والاستشراق بأوسمة عديدة ، وعضوية جمعيات عدة منها : المجمعان العلمي العربي بدمشق واللُّغوي بالقاهرة.

كتب الكثير عن تاريخ وأدب المغرب والأندلس ، وشارك في تحقيق الذخيرة لابن بسام.

قال عنه عمر فروخ : «يهودي لكن موقفه من التراث الإسلامي ، ومن الحضارة الإسلامية ، ومن التاريخ الإسلامي موقف سليم ، وكتابه عن الأندلس جيد من حيث المنهج والاتجاه»[1].

---

(١) انظر :

- الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة ، عمر فروخ ، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ١٣٩.
- الأعلام للزركلي ٢/ ٣٥.
- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٩٣ - ٣٠٠.

حرر في الدائرة ٦٨ مادة في كلتا الطبعتين من الدائرة عن المغرب العربي وأسبانيا ولم أجد فيها ما يؤخذ عليه سوى نقل في مادة الرباط يوحي بانتشار الإسلام بحد السيف.

١٤- بروكلمان ، كارل C.Prpckelman (١٨٦٨ – ١٩٥٦) : مستشرق ألماني من أعلم المستشرقين ومن المكثرين في الدائرة ، تتلمذ على نولدكه ، ودرس اللغات السامية وأخذ شهادته فيها ، مع نبوغ بها ، أجاد اللغة العربية تحدثاً وكتابة وفقهاً ، ودرس التاريخ الإسلامي ، ونال الدكتوراه في كتابه : «العلاقة بين تاريخ ابن الأثير وتاريخ الطبري» (١٨٩٠) ، وعُيّن أستاذاً في الأدب العربي في العديد من الجامعات الأوروبية (١٨٩٣ – ١٩٤٧) ، كما انتخب في مجامع اللغة ، ومنها مجمع اللغة العربية في دمشق.

كانت ذاكرته قوية يكاد يحفظ كل ما يقرأ.

اشتهر بغزارة إنتاجه، وقد أحصي له (٥٥٥) أثراً بين كتاب وبحث ، حيث كتب في اللغات السامية والتاريخ الإسلامي ، كما عُني باللغة التركية.

ومن كتبه : الآداب العربية في مجلدين ، ومختصر كتاب علم النحو والصرف المقارن للغات السامية ، وديوان لغات الترك.

وكتابه «تاريخ الأدب العربي» من أهم كتب المستشرقين ، ولا يقتصر على ما كتب في الأدب العربي ، بل ويشتمل على ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية ، وقد خرج في مجلدين وملحق ، وبعد ذلك في ثلاثة مجلدات ، وقد كلفته جامعة الدول العربية أن يُدخِل الملحق في الأصل ، وينقلهما إلى العربية ، فباشر ذلك وترجم نحو ثلاثين ورقة ، ترجمة متقنة ما زالت محفوظة بخطه العربي الجميل في خزانة الجامعة بالقاهرة ، ولم يكمل مشروعه لمرضه ثم وفاته ، ثم قام بالترجمة عبدالحليم النجار فتوفي أيضاً قبل إتمامه ، وقد صدر منه ثلاثة أجزاء.

وله أيضاً : «تاريخ الشعوب الإسلامية» ترجم إلى العربية في خمسة أجزاء صغيرة[1].

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٥/ ٢١٢.
- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لرودي بارت ٣٦.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٢٤ – ٤٣٠.
- المستشرقون والدراسات الإسلامية ، محمد عبدالله مليباري ٥٩ ، دار الرفاعي للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- المنتقى من دراسات المستشرقين جمع د. صلاح الدين المنجد ١/ ٢٧ – ٤١ ، دار الكتاب الجديد ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ - ١٩٧٦م.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٥٧ – ٦٦.

وذكر أنور الجندي : أنه قرر في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية «أن النبي ﷺ استقى معارفه من اليهود والنصارى ، ولكن كانت معرفته بالكتاب المقدس سطحية وحافلة بالأخطاء ، وأن فيه إدانة للحركات الإسلامية الصحيحة ، والإعلاء من شأن الزنج والقرامطة والباطنية»[١].

مدحه عمر فروخ بقوله : «ثم هنالك من النجوم الثواقب في الاستشراق ، أولئك الذين خدموا الثقافة الإسلامية خدمة جليلة ، هنالك كارل بروكلمان»[٢].

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ٥٢ مادة غالبها تراجم مختلفة ، وإن كان فيها بعض الأخطاء القليلة ، وبالمقابل انتقد صحيح البخاري[٣] إلا أنه لا يظهر في كتاباته التحامل.

١٥ - بِل ، ألفرد A.Bell (١٨٧٣ - ١٩٤٥) : مستشرق فرنسي أقام مدة طويلة في شمال إفريقيا أصبح مديراً لمدرسة تلمسان حيث درس تاريخها وجغرافيتها.

(١) المستشرقون والتاريخ ، أنور الجندي ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٢٣٤.

(٢) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة ، عمر فروخ ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ١٣٦.

(٣) انظر صحيح البخاري ٦٠٤.

له كتاب : «نظرة في الإسلام عند قبائل البربر» ، وكتب عن «الموحدين» والصوفية[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة خمس مواد متنوعة ، منها مادة «الاستسقاء» عرض فيها الموضوع عرضاً مشوشاً ، وزعم أن صلاة الاستسقاء متشبعة بالسحر حتى ما ورد منها في السنة[٢].

١٦- بول (أو بهول) Br.Buhl (١٨٥٠ – ١٩٣٢) مستشرق دنمركي نال شهادته الجامعية في الدراسات الشرقية لاسيما العبرية والعربية ، وفي سنة (١٨٧٨) نال الدكتوراه في النحو العربي وتاريخ اللغة ، أصبح أستاذاً للعهد القديم بجامعة كوبنهاجن ، وكتب بحوثاً مستفيضة في العهد القديم، ثم رحل إلى الشرق (١٨٨٥) فزار مصر وفلسطين والشام ولبنان وتركيا ثم عاد إلى بلده وصنّف العديد من المصنفات عن رحلته فوضع كتاباً عن جغرافية فلسطين ، وآخر عن القدس حاول فيهما وضع الأماكن الواردة في الكتب القديمة والمذكورة في تاريخ المسيح على الخارطة.

---

(١) انظر :
- الأعلام للزركلي ٢/ ٧.
- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٤٦ – ٢٤٧.

(٢) انظر ذلك صـ ١٩٨.

كتب عن الإسلام، وتخصصت كتاباته عن القرآن والسيرة النبوية ، ترجم الكثير من أجزاء القرآن إلى الدنمركية[١].

حرر في الدائرة (٥٥) مادة عن الشام والسيرة النبوية وسير الصحابة ، وهو من الحاقدين المتحاملين، انتقدته تسع مرات في هذا البحث ، حيث أنكر بعض معجزات النبي ﷺ ، وعن خديجة وشكك في أن تكون أنجبت للنبي ﷺ ، كما حاول التشكيك بكثرة في القرآن والنبوة ، وكتب عن التحريف، محاولاً بيان سلامة كتبهم منه ورمى ذلك على القرآن ، كما زعم استقاء النبي ﷺ من النصرانية[٢].

وقد أخطأ العقيقي حيث قال عنه في كتاباته عن الإسلام : «فأظهر في جميع ذلك سعة اطلاع على الإسلام ، وبعداً عن الهوى... ولقد كتب مقالات عديدة في دائرة المعارف الإسلامية عن بدء الإسلام ومشاهيره وبلدانه تدل جميعها على تفوقه ودقة بحثه وصدق مصادره»[٣].

---

(١) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٢٢.

- مستشرقون لنذير حمدان ١٦٣.

(٢) انظر زعم التناقض صـ ٥٢٢ ، استقاء ٤٣١ – ٤٣٤ ، الشك في نبوته ﷺ ٣٣٢ – ٤٣٩ ، التشكيك في ثبوت القرآن ٥١١ ، تناقض في القرآن ٥٢١.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٥٢٢ – ٥٢٣.

١٧ - بوين هارلود H.Bowen : مستشرق إنجليزي له دراسات متنوعة في العديد من المجلات مثل : «المدرسة النظامية في بغداد» في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام (١٩٢٨) ، و«وزراء السلاجقة» في نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عام (١٩٥٧)[١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ١٦ مادة عن الدولة العثمانية ، وتراجم أعيانها ، وليس في كتاباته تحامل.

١٨ - بِلاًّ ، شارل Ch.Pellat : مستشرق فرنسي معاصر وُلد في الجزائر سنة ١٩١٤ ، وتعلم العربية وأخذ الليسانس في اللغة العربية ، وأخذ شهادته الجامعية في لغة البربر في الجزائر عام (١٩٣٨) ، ثم دكتوراه الآداب في جامعة باريس عام (١٩٥٠) ، وتقلد عدة مناصب علمية في مراكش ثم السوربون عام (١٩٥٦) ، وأصبح مديراً لدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الفرنسية عام (١٩٥٦) ، ثم مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس سنة (١٩٧٢).

له آثار عديدة تقارب الأربعمائة في دوائر المعارف المختلفة ، كما كتب عن الأدب العربي ، وقد اهتم بالجاحظ وكتبه ، واللهجة البربرية[٢].

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٣٢.

(٢) المستشرقون لعقيقي ١/ ٣٥٣ - ٣٥٧.

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٤٦ مادة غالبها عن الأدب وتراجم الجاهليين، ومدح بعض المعتزلة، كما كتب عن البربر[1].

١٩- بلاشير R.Blchere (١٩٠٠ - ١٩٧٣): فرنسي درس الثانوية في المغرب، وتخرج في كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢)، ثم عين أستاذاً للأدب في الرباط، ثم درّس في مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة (١٩٣٥)، وعندما نال الدكتوراه عُين أستاذاً في السوربون سنة (١٩٣٦)، كما عمل مشرفاً على مجلة المعرفة التي تصدر من باريس باللغتين العربية والفرنسية. شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس (١٩٥٦ - ١٩٦٥)، ثم عمل خبيراً في وزارة الخارجية الفرنسية في شؤون العرب والمسلمين.

وهو ضليع في العربية، وتعين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكتب عن العرب وآدابهم كتابات كثيرة وعُني بالمتنبي عناية خاصة، وله كتاب (تاريخ الأدب العربي حتى نهاية القرن الخامس عشر)، كما ترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء، وله كتاب «معضلة محمد» جمع فيه

(١) انظر مدح المعتزلة ١١١٥.

آراء المستشرقين المختلفة عن النبي ﷺ[١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ثمانية مواد غالبها عن الأمويين خاصة شعرائهم، ولا يظهر في كتاباته التحامل.

٢٠- بيرك (أو برغ) C.C.Berg : مستشرق هولندي كتب عن الفلسفة الإسلامية، وعن الغزالي في مجلة الدراسات السامية والإسلامية عام (١٩٥٧)[٢].

حرر في الدائرة (١٢) مادة في كلتا الطبعتين، غالبها عن جزر الملايو «التي تشمل إندونيسيا الآن»، كما كتب عن الصوم، زاعماً تأثر المسلمين فيه بالنصرانية[٣].

٢١- بيكر كارل Te.H.Becker (١٨٦٧ - ١٩٣٣) : مستشرق

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٢/ ٧٢.
- المستشرقون للعقيقي ١/ ٣٠٩- ٣١٢.
- مستشرقون لنذير حمدان ١٥٧.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ٣٦.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣١٨.

(٣) انظر ذلك صـ ٤٢٧.

ألماني، أستاذ اللغات الشرقية بالجامعات الألمانية ، زار أسبانيا فاهتم بالمشرقيات، فتضلع في دراسة التاريخ الإسلامي ، ثم زار مصر، وتعلم اللغة العربية على يد أستاذ مصري سنة ١٩٠١ ، وتوطدت العلاقة بينه وبين كثير من الشخصيات المصرية منهم محمد عبده ، فأحب مصر وعني بتاريخها ، أصبح مستشاراً سياسياً بعد قيام الحرب سنة ١٩١٣ نظراً لما بين ألمانيا وتركيا من محالفة ، أصبح وزيراً للمعارف سنة (١٩٢١ – ١٩٣٣) ، نشر مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، وله «مصر في عهد الإسلام»[1].

حرر في الدائرة في كلتا الطبعتين (٤٥) مادة في غالبها عن تاريخ وجغرافية مصر فكتب عن مدن مصر، وعن الدولة الأيوبية، والطولونية، والإخشيدية، كما كتب عن الجزية، وبيت المال، وليبيا، ولا يظهر على كتاباته في الدائرة أي تحامل.

٢٢- بيوركمان W.Bjorkman : مستشرق ألماني من آثاره (الأدب العربي الحديث) في مجلة الآداب الشرقية (١٩٢٦) ، و(تاريخ الإسلام)

---

(١) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤١٨ – ٤١٩.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٧٠ – ٧٤.

في نشرة معهد اليوم (١٩٧١) ، كما كتب عن التعليم في البلاد الإسلامية، وعن الدولة العثمانية[١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٩ مواد متنوعة. زعم تأثر الإسلام بالنصرانية ، وكتب عن الشرك كتابة مشوشة مليئة بالأخطاء[٢].

٢٣- ترتون A.S.Tritton (١٨٨١ – ١٩٧٣) : مستشرق إنجليزي لاهوتي تعلم في إنجلترا في كلية مانسلفد والقديسة كاترين وأكسفورد ، وعلّم في لبنان ، وعُيّن مساعد أستاذ العربية بإدنبرة (١٩١١) وجلاسكو ، وقد اهتم بالفقه ، قضى بعض الوقت في عدن، وزار الشام ، وطاف بقلاع المسلمين والصليبيين في الحروب الصليبية.

من آثاره : «الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين» ، وهو أهم كتبه ، و«أئمة الزيدية» ، و«علم نفسك العربية» ، و«علم الكلام في الإسلام» ، و«الطيرة في الإسلام»[٣].

حرر في الدائرة في كلتا الطبعتين (١٣) مادة غالبها عن اليمن

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٥٢.

(٢) انظر ذلك الشرك صـ ١٨٥ ، ٢٢٣ ، استقاء ٤٢٩.

(٣) انظر : الأعلام للزركلي ١/ ٢٧٨.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ١١٠ -١١١.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٩٥.

إضافة إلى مواد شرعية متنوعة ، وانتقدته في خمسة مواضع، حيث زعم في الدائرة استقاء النبي ﷺ من اليهودية ، وعرض اليوم الآخر عرضاً في غاية التشويش زاعماً أنه لا يوجد سوى الجزاء الجسماني ، كما كتب في مادة «الشيطان» بتخليط شديد[1] .

٢٤- تسترتشين كارل فلهم K.V.Zettersteen (١٨٦٦ - ١٩٥٣) : مستشرق سويدي تخرج دكتوراً في الفلسفة في جامعة أوبسالة سنة (١٨٩٥) ، وكانت أطروحته عن ألفية ابن عبدالمعطي، وعُيّن فيها أستاذاً للغات السامية ، وقام برحلات متعددة ، فزار مصر والشام وتونس أكثر من مرة ، كما تولى تحرير مجلة العالم الشرقي ، وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين ، تعين عضواً في جمعيات علمية كثيرة، منها المجمع العلمي العربي ، ترجم القرآن إلى اللغة السويدية ، وصنف بلغته «اللغات الشرقية» ، و«تاريخ حياة محمد» ، كما حقق تهذيب اللغة للأزهري ، والجزأين الخامس والسادس من طبقات ابن سعد ، كما حقق كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) لعمر بن يوسف بن رسول وغيرها، كان

(١) انظر استقاء ﷺ من اليهود صـ ٤٢٠ ، ومن النصارى ٤٢٧ ، وعن اليوم الآخر ٧٨٧، ٨١١، ٨٢٠.

يمضي مقالاته أحياناً باسم عبدالرحمن[(١)].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٦٥) مادة عن التاريخ الإسلامي.

٢٥- تشودي R.Tschudi (١٨٨٤ – ١٩٦٠) : مستشرق سويسري، وأستاذ للغات الشرقية في هامبورج، وزيورخ، ثم في بال.

صنّف كتاباً في الطرق الصوفية والحكومة العثمانية وفي الجهاد في الإسلام[(٢)].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة مادة واحدة عن التصوف.

٢٦- تيشنر Fr.taescner (١٨٨٦ – ١٩٦٧) : مستشرق ألماني اهتم بالآثار والفن والعمارة الإسلامية[(٣)].

كتب في الدائرة في كلتا الطبعتين (١٩) مادة، غالبها عن جغرافية تركيا، واهتم بالآثار والحصون والقلاع.

٢٧- جب، هاملتون H.A.R.Gibb (١٨٩٥ – ١٩٧١) : من أكبر مستشرقي إنجلترا في وقته، ولد في الإسكندرية، وتعلم في إنجلترا ورحل إلى الدول العربية وقابل العديد من الأدباء العرب، عمل أستاذاً

---

(١) انظر : الأعلام للزركلي ٥/ ٢١٢ – ٢١٣. موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٢٤.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٣/ ١٨.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٦٥.

للعربية في أكسفورد، بل هو خليفة مرجليوث في أكسفورد، ثم أستاذاً في جامعة هارفارد الأمريكية، ثم مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بهارفارد، منح سنة (١٩٥٤) لقب سير.

هو محرر الطبعة الإنجليزية من دائرة المعارف الإسلامية من (١٩٣٠ – ١٩٥٥)، كما تعين عضواً بالمجمع اللُّغوي المصري، وعضواً مراسلاً في المجمع العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي.

كتاباته عميقة خطيرة، اهتم بالأدب وصنّف في الدراسات الأدبية الحديثة، كما كتب عن التاريخ الإسلامي، ومن كتبه: «دراسات في حضارة الإسلام»، و«الاتجاهات الحديثة في الإسلام»، و«المذهب المحمدي».

رفع من شأن العصر الجاهلي، ولم تعجبه تسميته وأطلق عليه العصر البطولي، كما حاول أن يردّ كل تقدم في الإسلام إلى المسيحية، وأشاد بالثقافة اليونانية وحاول أن يردّ إليها الأدب العربي[1].

---

(١) انظر:

- الاستشراق والمستشرقون وما لهم وما عليهم مصطفى السباعي ٣١.
- المستشرقون والقرآن الكريم، أنور الجندي، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ٢١٦.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٢٩- ١٣٠، ٣/ ٣٧٢.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ١٠٥ – ١٠٦.

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (١٧) مادة أغلبها تراجم متنوعة، وقد كتب منتقصاً أبا عبيدة ﷺ[١].

وللأسف أن يصفه بعض المسلمين بأنه خدم العروبة والإسلام[٢].

٢٨- جفري، آرثر A.Jafri: مستشرق أسترالي درس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وله دراسات عديدة عن القرآن الكريم، كما كتب بعض المقالات منها: «تاريخ محمد»، و«الجدل الإسلامي المسيحي»، و«نصارى مكة»، و«الحركات الإسلامية» وغيرها[٣].

حرر في الدائرة مادة «آزر»، ومما زعمه أن آزر ليس هو أبا إبراهيم بل خادمه، ولكنه -كما يزعم- التبس على النبي ﷺ عند نقله من الكتاب المقدس[٤]!.

---

(١) صـ ٧٢٩.

(٢) انظر مقال: المستشرقون ليسوا كلهم أعداء، فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات، عبدالوارث كبير، مجلة الوطن العربي، الكويت، العدد ١٠٢، ٢١/ ١/ ١٣٧٨هـ - أيار ١٩٦٧م صحفة ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٥٨ - ١٥٩.

(٤) انظر صـ ٣٢٠، ٤٢٣.

٢٩- جوينبول Th.W.Juynboll (١٨٦٦ - ١٩٤٨) : مستشرق هولندي درس القانون واللغة العربية ، ثم اهتم بعلمي الحديث والفقه حيث حصل على رسالة الدكتوراه بعنوان «القواعد العامة لمذهب الشافعي في الرهن ، مع بحث عن نشأته وتأثيره في الهند الهولندية» كما أخذها برسالة أخرى هي : «الارتباط التاريخي بين المهر في الإسلام وبين الطابع القانوني للزواج في الجاهلية».

ومن آثاره الأخرى : «صحة الحديث الأدبي» ، و«المدخل إلى معرفة الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الشافعي» ، و«القرائن» ، ومقالات عن الإمام أحمد بن حنبل ، كما نشر كتاب الخراج ليحيى بن آدم.

قال إدوارد سعيد عنه : «كبير المستشارين البريطانيين كان يعمل مستشاراً للحكومة البريطانية والأمريكية في تخطيط سياستهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين»[١].

---

(١) انظر :

- الاستشراق إدوارد سعيد ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٢٩ - ٣٣٠.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٤٢.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٢٣) مادة غالبها عن الفقه والأصول، وزعم في الدائرة تأثر الإسلام باليهودية!، وانتقص من كتب السنة![1].

٣٠- جيوم (أو كيوم) الفرد A.Guillaume (١٨٨٨ - ١٩٦٢):

مستشرق إنجليزي تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى، تقلّد مناصب علمية عديدة منها أستاذ زائر للغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت، انتخب عضواً في مجامع عديدة منها المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العراقي.

تَغْلُب على كتاباته الروح التنصيرية، وقد تخرَّج على يديه كثير من المصريين الذي بعثتهم الحكومة المصرية للدراسات الشرقية.

من آثاره: «الإسلام»، و«أثر اليهودية في الإسلام»، و«فقه اللغتين العبرية والعربية»[2].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة مادتين الأولى عن قبيلة شمر بحائل بالجزيرة العربية، والثانية عن صحيح البخاري منتقداً له![3].

---

(١) انظر: تأثر الإسلام باليهودية صـ ٤٢٢، ٤٢٥، والسنة ٥٤٩، ٥٦٠، ٥٦٦.

(٢) انظر:

- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم مصطفى السباعي ٣٠.

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ١١٧ - ١١٨.

(٣) انظر صـ ٦٠٠.

٣١- دلافيدا ليفي G.L.Dellavida (١٨٨٦ - ١٩٦٧) : مستشرق إيطالي يهودي ، وهو أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما ، ومن كبار البحاثين في تاريخ الدين الإسلامي والمتضلعين من اللغة العربية ، عمل في مكتبة الفاتيكان ست سنوات (١٩٣٢ - ١٩٣٩) حيث قام بفهرسة المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة الفاتيكان ، ثم هاجر إلى أمريكا بعد التميز ضد اليهود (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ، وشغل هناك في فيلادلفيا كرسي اللغات السامية ، ثم عاد إلى إيطاليا ، وفي عام (١٩٤٧) شغل كرسي اللغة العبرية واللغات السامية بروما ، وأحيل إلى التقاعد عام (١٩٦١).

من آثاره : «خلافة علي» و«دراسة حديثة عن الرسول وأصل الإسلام»، و«اللغة والأدب السامي» وغيرها كثير.

كتب في دائرة المعارف الإيطالية عن الرسول ﷺ ، والفتن بين الصحابة ، والأمويين.

كما اشترك في تحرير مجلات : الدراسات الشرقية والشرق الحديث ، والعلوم ، والعالم الإسلامي ، وغيرها[١].

---

(١) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٤٤٠.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ١٦٣ - ١٦٧.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (١٥) مادة غالبها تراجم جاهليين وبعض الصحابة ، وقد شكك في جملة السيرة النبوية ، وخاصة ما يدل على نبوة النبي ﷺ من الدلائل[١].

٣٢- دنلوب دوجلاس مورتن M.Dunlop : مستشرق إنجليزي ولد سنة (١٩٠٩) ودرس الاستشراق، لاسيما العربية والعبرية في بريطانيا وألمانيا ، وزار تركيا وسوريا ، ودرّس في جامعات مختلفة في أنحاء العالم ، اهتم في كتاباته بالتاريخ الإسلامي وأسبانيا[٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (١٨) مادة متنوعة، منها خمس في وصف البحار الإسلامية ، كما كتب مادة وافية عن المستشفيات في الإسلام.

٣٣- دني جان J.Deny : مستشرق فرنسي اهتم باللغة والمخطوطات التركية والأنظمة العثمانية[٣].

---

(١) انظر استقاء النبي ﷺ من الحضارات القديمة صـ ٤١٨ ، ومن اليهودية ٤٢١ ، والطعن في الأحاديث الدالة على النبوة ٦١٨ ، وجملة روايات السيرة النبوية ٦٣٨ .

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٣٩.

(٣) المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٥٨.

حرر في الدائرة في كلتا الطبعتين (١٧) مادة عن الأنظمة العثمانية واللغة التركية والفارسية وغيرها.

٣٤- ده، بور Tj.De.Boer : مستشرق فرنسي ولد سنة (١٩١٧) وانضم إلى الرهبنة عام (١٩٣٥) ونال الدكتوراه في صفات الله في بعض مذاهب النصارى، وعين عضواً في المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية بالقاهرة (١٩٤٦)، كُلف في بعثة علمية في أفغانستان.

اهتم بكتاب منازل السائرين للأنصاري شرحاً وترجمةً، كما كتب عن المخطوطات العربية في أفغانستان[١]. حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (١٢) مادة في العقائد والفلسفة، وقد وقع في بعض الأخطاء[٢].

٣٥- ديموميين G.Demombynes (١٨٦٢ - ١٩٥٦) : مستشرق فرنسي أقام في الجزائر وتتلمذ في العلوم العربية على رينيه باسيه، وفي عام (١٨٩٥) صار مديراً لمدرسة تلمسان ثم عاد إلى باريس (١٨٩٨) وشغل وظيفة أمين مكتبة مدرسة اللغات الشرقية، ثم كرسي العربية سنة

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) انظر صـ ٢٦٧.

(١٩١١) في نفس المدرسة، ودرّس العربية بمدرسة المستعمرات (١٩٠٥ - ١٩١٢)، وفي سنة (١٩٢٣) حصل على دكتوراه في الآداب، فعين مدرساً في جامعة باريس، وفي عام (١٩٢٧) عين مديراً للدراسات الخاصة بالإسلام في الدراسات العليا بالسربون.

كتب عن اللغة العربية وتاريخ الأندلس والبربر، وعن القضاء في الإسلام، ومن أشهر كتبه: «العالم الإسلامي حتى الحملات الصليبية»، و«نحو العربية الفصحى»، و«محمد»، و«الحج إلى مكة»، و«الزواج عند الجزائريين»، ومقالات مختلفة مثل: «مكة والمدينة»، و«دراسات في تاريخ التنظيم القضائي في بلدان الإسلام»[1].

يميل إلى الشك وإنكار الحقائق التاريخية حتى وصل به الأمر أن جاء في كتابه «تاريخ العالم» الذي ألّفه مع زميله «بلاتونوف»: «أنه غير ممكن الجزم بصورة حقيقية لمحمد، ولا بصورة حقيقية لأحد من كبار رجال العالم»[2].

---

(١) انظر:

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٢٩.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ١٨١ - ١٨٢.

(٢) حاضر العالم الإسلامي تعليق شكيب أرسلان ٣٨.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٣) مواد عن الحج ومكة وزعم أن النبي ﷺ كان ينقل من الكتاب المقدس[1].

٣٦- ربصون، جيمس J.Robson (المولود ١٨٩٠): مستشرق إنجليزي تخرج في قسم اللغات الشرقية من جامعة (جلاسجو) فحصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب، كما حصل عليهما مرة أخرى: والماجستير من (مانشستر) الدكتوراه من (جامعة القديس) اندرو، مع مرتبة الشرف من كليهما، عين مساعد أستاذ اللغة العبرية في جلاسجو في عام (١٩١٥ - ١٩١٦)، ثم تنقل فزار العراق والهند واليمن، وعين مشرفاً على أموال الكنيسة في شاندون، ثم عين أستاذاً للعربية في مانشستر في علم (١٩٤٩).

من آثاره: «عيون شبه الجزيرة العربية»، و«المسيح في الإسلام»، و«الأحمدية»، و«الإعجاز في القرآن»، و«محمد في الإسلام»، وغير ذلك كثير[2].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة سبع مواد متنوعة، وقد كتب عن أبي هريرة منتقصاً من أحاديثه![3].

---

(١) انظر صـ ٤٣٢.

(٢) المستشرقون لعقيقي ٢/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) انظر أبو هريرة صـ ٥٨٠.

٣٧- رسكا J.Ruska (١٨٦٧ - ١٩٤٩) : مستشرق ألماني ، درس أولاً الرياضيات والعلوم الطبيعية، ثم صار معلماً في المدارس الثانوية ، ثم تلقى اللغات الشرقية ، أخذ الأستاذية في تحقيق بحث لأرسطو في عام (١٩١١) كما بحث في الكيمياء عند العرب.

من آثاره تحقيق كتب عربية عديدة في العلوم والفلسفة ، كما كتب عن الثقافة الإسلامية[(١)].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٥٤) مادة عن الحيوان والنبات ، كما كتب عن الصحابة ذاماً طلحة بن عبيدالله ﷺ![(٢)].

٣٨- ركندورف H.Reckendrof (١٨٦٣ - ١٩٢٤) : مستشرق ألماني درس اللاهوت في برلين ، وانصرف إلى اللغات السامية والشرقية عموماً، نال الدكتوراه على نولدكه ، وعين أستاذاً للعربية في فرابورغ ، وكان من أعلام النحو فيها.

من آثاره: كتب ومقالات عديدة في النحو العربي ، كما كتب عن الشعر والشعراء[(٣)].

---

(١) انظر :

- المستشرقون لعقيقي ٢/ ٤٢١ - ٤٢٢.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ١٩٥.

(٢) انظر صـ ٧٣١.

(٣) المستشرقون لعقيقي ٢/ ٤١١.

حـرر في الطبعـة الأولى مـن الـدائرة تـسع مـواد متنوعـة غالبهـا عـن الـصحابة ، وطعـن خلالهـا في النبـوة! ، وانـتقص الأنـصار خاصـة الأوس منهم![١].

٣٩- سـافوري R.M.Safoty : مستـشرق كنـدي ولـد سـنة ١٩٢٥ بإنجلترا، وتعلم بها حتى حصل على الدكتوراه في الدراسات الشرقية في الدراسات الفارسية، سافر مع البعثة البريطانية للعراق ، وهـو أمين الطبعة الإنجليزية من دائـرة المعـارف الإسـلامية (١٩٥٦ – ١٩٦٠) ، كـما كتـب في دائـرة المعـارف الفارسـية ، اهـتم بدراسـات فـارس وتـاريخ الدولـة الصفوية[٢].

حرر في الطبعة الثانية (١٥) مادة جميعها عـن فـارس والـصفويين ، ولا يظهر في كتاباته التحامل.

٤٠- سوبر نهيم M.Sobernheim ، مستشرق ألمـاني لـه دراسـات عـن الشيعة والمماليك ، وعن الشام ، وصنّف كتاباً عن بعلبك[٣].

حـرر في الـدائرة في الطبعـة الأولى (٣٧) مـادة أغلبهـا عـن المماليـك والأيوبيين.

---

(١) انظر الطعن في النبوة صـ ٥٣٩ ، وانتقاص الأنصار ٧٠٠.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٥٣ – ١٥٤.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٠٩ – ٤١٠.

٤١ - سوردل J.Sourdel : مستشرق فرنسي ولد سنة (١٩٣٥) ، واهتم بأفغانستان وسوريا وبآثارهما[1].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (٢٦) مادة أغلبها عن العباسيين والشام وإيران.

٤٢ - شاخت ، يوسف J.Schacht (١٩٠٢ - ١٩٦٩) : مستشرق ألماني تخرج في جامعتي برسلاوا وليبزيج ، عين أستاذاً في جامعة فرابورج في عام (١٩٢٧) ، وفي الجامعة المصرية في عام (١٩٣٤) ، كما درّس في الجزائر ، تعين في وزارة الاستعلامات البريطانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وتجنس بالبريطانية، ودرّس في قسم الدراسات الإسلامية بأكسفورد (١٩٤٨) ، ثم عين أستاذاً في هولندا في جامعة ليدن (١٩٥٤ - ١٩٥٩) ، وهناك اشترك في الإشراف على دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية ، وفي عام (١٩٥٩) انتقل إلى نيويورك، حيث عين أستاذاً في جامعة كولمبيا، واستمر حتى توفي.

انتخب في مجامع عدة منها المجمع العلمي بدمشق ، كما تولى مع برونشفيج مجلة الدراسات الإسلامية.

اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي ، ومن آثاره: نشره لعدة كتب

---

(١) المستشرقون للعقيقي ١/ ٣٨٥ - ٣٨٦.

في الحيل، ككتب الخصاف والقزويني والشيباني ، وحقق كتاب التوحيد للماتريدي ، وله كتاب في نشأة الفقه في الإسلام ، وغيرها كثير ، كما أن له دراسات عديدة في المجلات العالمية أغلبها في الشريعة الإسلامية[١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (٣٢) مادة عن الشريعة الإسلامية مليئة بالتعصب والحقد ، وقد انتقدته (٣٧) مرة ، حيث زعم أن النبي ﷺ لم يكن يقصد وضع نظام بل ظل القانون العربي على ما هو عليه مع عناصر دخيلة من رومية وبابلية ويمنية! ، وادّعى أن الزكاة عرفها النبي ﷺ من يهود المدينة! ، واتهم النبي ﷺ بعدم العدل في توزيع الأموال! ، وهو من أكثر الكتاب محاولة في التشكيك بنبوته ﷺ وبالقرآن ، واختلق في سبيل ذلك الكثير من الافتراءات ، كما شكك في السنة النبوية وقلّل من أهميتها[٢].

---

(١) انظر :

- الأعلام ٨/ ٢٣٤.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٦٠ - ٤٧١.

(٢) انظر التشكيك في القرآن الكريم ٥٠٠ ، والطعن في النبي ﷺ ٦٤٧ ، واستقاء النبي من الحضارات القديمة ٤١٨ ، ومن اليهودية ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ومن النصرانية ٤٣٤ ، والطعن في السنة النبوية ٥٦٠ ، ٦٠٩ ، ٦٢٣.

٤٣- شـادة A.Chaade (١٨٨٣ - ١٩٥٢) : مستشرق ألماني درس على (فيشر) اللغات الشرقية في (ليبزيج)، وعين أستاذاً في (هامبورج) وفي الجامعة المصرية، ثم مديراً لدار الكتب بالقاهرة.

عُرف بكتاباته عن بعض المعاصرين من أدباء العرب، ومن آثاره: كتاب «الشريعة الإسلامية»، وهو ممن تولوا تحرير النسخة الألمانية من الدائرة[1].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٣٢) مادة في اللغة العربية والشعر.

٤٤- شترك، م M.Streck : مستشرق ألماني من آثاره: أرض بابل القديمة في كتب الجغرافيين العرب سنة (١٩٠١)، ومقال عن اللغة العربية، وآخر عن كربلاء سنة (١٩١٥)[2].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٧٤) مادة غالبها عن جغرافية آسيا، وقد ادّعى استقاء النبي ﷺ من روايات عربية[3].

٤٥- شترن S.M.stern : مستشرق بريطاني أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة أكسفورد له كتابات كثيرة عن الفِرَق في الإسلام خاصة الباطنية

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩، ٣/ ٣٧١.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٩١.

(٣) انظر صـ ٤٣٩.

منها، ومن كتبه: «تاريخ القرامطة» و«تاريخ المذاهب والفرق في الإسلام»[١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ستة مواد متنوعة لاسيما عن الفرق الباطنية وما يتعلق بفارس.

٤٦- شتروتمان، رودلف R.Strothmann (١٨٧٧ - ١٩٦٠): مستشرق ألماني متخصص في الفرق، من آثاره: «الزيدية»، وأربعة كتب عن الإسماعيلية، والنصيرية[٢].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (١٩) مادة عن اليمن وخراسان وصفات الله تعالى، وقد انتقدته عشر مرات حيث وصف الله تعالى في القرآن بالتشبيه، وفسر التقية على غير وجهها، وغير ذلك[٣].

٤٧- فشيا، فاكليري L.V.vaglieri: مستشرقة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها، كتبت عن ابن مسعود، والخلاف بين علي ومعاوية، وتقاليد رمضان في البلدان الإسلامية، ولها كتابها الجيد «الدفاع عن الإسلام».

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٤٣.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٣) انظر التقية صـ ٢٢٢، والصفات ٢٦٨ - ٢٧٠، وابن تيمية ٩٥٣.

وقد أكدت إعجاز القرآن في بعض كتبها، وأنه كتاب لا سبيل لمحاكاته، وأنه يستحيل أن يكون من عمل النبي ﷺ[(١)].

حررت في الطبعة الثانية من الدائرة (١٥) مادة غالبها عن الفتن والخلاف بين الصحابة، وانتقدتها أربع مرات حيث كتبت عن وقعة الحرة والجمل، وعن حفصة، وانتقصت من بعض الصحابة، كعائشة، وعبدالله بن عمر، وخالد بن الوليد ﷺ ![(٢)].

٤٨- فكا، فرجينيا V.vacca : مستشرقة إيطالية ولدت سنة (١٨٩١) وأقامت فترة بالقاهرة وتعلمت العربية وأخذت الدكتوراه سنة (١٩١٧) وعُيّنت محررة لمجلة الشرق الحديث.

من آثارها: مقالات عدة في المجلات المختلفة، ومن ذلك: «اليهود والعرب في فلسطين»، و«رأي مسلم في المسلمين السنيين»، و«آيات من القرآن»، و«الإسلام»، كما كتبت مقالات عدة في دائرة المعارف

---

(١) انظر:

- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان ٣٦، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ١٤٠١هـ جدة.

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٤٦٦.

(٢) انظر الفتن بين الصحابة صـ ٧٣١، وعائشة ٧٣٧، وعبدالله بن عمر ٧٥٢، وخالد ابن الوليد ٧٥٩.

الإيطالية عن الإسلام[١].

حررت في الطبعة الأولى من الدائرة (١٢) مادة عن السيرة والصحابة، كما كتبت تراجم بعض النساء الشهيرات في الإسلام، واتهمت النبي ﷺ بالشهوانية!، وحاشاه ﷺ من ذلك وادّعت استقاء السجل في القرآن من الكتب السابقة[٢].

٤٩ - فنسنك A.J.Wensinck (١٨٨٢ - ١٩٣٩) : هو أرند جان فنسنك مستشرق هولندي، من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجاً، تعلم اللغة العربية، وأصبح أستاذاً في جامعة ليدن من سنة (١٩٢٧) إلى وفاته، تخصص في الحديث النبوي، وألّف معجماً للحديث النبوي من أربعة عشر كتاباً من السنن والسير، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبدالباقي وسمّاه : «مفتاح كنوز السنة»، وقد أمضى مؤلفه في تأليفه وترتيبه عشر سنين، كما أمضى مترجمه أربع سنوات في ترجمته وتصحيح أخطائه.

كما وضع بمساعدة غيره «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» من تسعة مصادر وهي الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومسند

---

(١) المستشرقون للعقيقي ١/ ٤٤٤.

(٢) انظر استقاء النبي ﷺ من الحضارات القديمة صـ ٤٢٢، واتهام النبي ﷺ بالشهوانية ٦٥٣، ٦٦٠، ٦٦٣.

الدارمي، ويتألف من سبعة مجلدات ضخمة، وقد توفي قبل إتمامه.

قام برحلات إلى مصر وسوريا ولبنان وبلاد العرب سنة (١٩٣٠).

ومن آثاره الأخرى: كتاب «موقف الرسول من يهود المدينة» وهي رسالته للدكتوراه، و«عقيدة الإسلام»، و«محمد والنبوة»، و«العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي».

ومن مقالاته: «الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية»[١].

وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، وقد تولى رئاسة تحرير الطبعة الأولى منها سنة (١٩٢٥) بلغاتها الثلاث. حرر في الدائرة (٧٥) مادة متنوعة في كلتا الطبعتين، انتقدته في (١٤) موضعاً، حيث حاول التشكيك في الوحي!، وادّعى استقاء النبي ﷺ من اليهود والنصارى الشيء الكثير!، ومن ذلك قصة إبليس، وزعم أن النبي ﷺ التبس عليه بعض ما نقله فأخطأ فيه، ومن ذلك آزر حيث زعم أن النبي ﷺ ظن أنه

---

(١) انظر:

- الأعلام للزركلي ١/ ٢٨٩.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣١٩ – ٣٢٠.
- مفتاح كنوز السنة، ارند جان فنسنك، المقدمة التعريفية للكتاب بقلم مترجمه محمد فؤاد عبدالباقي.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٨٩ – ٢٩٠.

أبو إبراهيم عليه السلام بينما هو خادمه ، وزعم أن النبي ﷺ ظن أن الصور المسيحية للملائكة حور وولدان !، كما كتب في مادة السنة بتخبط[١].

٥٠- قولد ، زيهر Goldziher (١٨٥٠ – ١٩٢١) : مستشرق يهودي مجري درس اللغات السامية ، وحصل على الدكتوراه على يد (فلايشير)، وعُيّن أستاذاً محاضراً في بودابست ، من أعلام المستشرقين انتدبته الحكومة لزيارة سوريا ، فجال في الشام ومصر حيث درس اللغة العربية على مشائخ الأزهر لاسيما الشيخ محمد عبده، وتضلع فيها (١٨٧٤) ، اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين ، والفرق الإسلامية لاسيما الباطنية منها ، انتخب عضواً في مجامع عديدة ، وحصل على أستاذ كرسي سنة (١٩٠٦) ، كما كتب مقالات عديدة في الدوريات عن الإسلام ، وألف الكثير ، ومن أشهر كتبه : «العقيدة والشريعة في الإسلام»، و«تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» ، وهو يشكك في القيمة الحقيقية للحديث النبوي! ، ويعده شاهداً على التطور في الإسلام.

وقد أتى ببعض العجائب، مثل زعمه : أن علماء الكلام لم يفهموا حديث

---

(١) انظر الطعن في النبوة صـ ٤٧٥ ، وإنكار البشارات بالنبي ﷺ ٤٧٥ ، واستقاء النبي ﷺ من الحضارات القديمة ٤١٨ ، ومن اليهودية ٤٢٢ ، ومن النصرانية ٤٢٧ ، والطعن في السنة ٥٤٧ – ٥٤٨ ، وانتقاص أنس بن مالك ٧٥٨.

الافتراق فهماً صحيحاً ، وأن معناه أن في الإسلام ثلاثاً وسبعين ميزة لا فرقة!، وإنّ عدّ المعتزلة من الفرق يدل على الجهل التام بتاريخ الإسلام[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٢٠) مادة غالبها عن السنة والشريعة ، وانتقدته في ثمانية مواضع حيث شكك في أبي هريرة ، وقد استدل بكلامه عامة المستشرقين من بعده واستشهدوا به خاصة من كتب السنة النبوية ، كما اتهم النبي ﷺ بالتعصب مع أهل الكتاب[٢].

ومع هذا كله يمجده عبدالرحمن بدوي بمثل هذه العبارات : «يشاء الله أن يهب للإسلام من الأوروبيين من يؤرخون له كسياسة فيجيدون التاريخ، ومن يبحثون فيها كدين وحياة روحية فيتعمقون هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون... وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة قولد زهير... فهو إذا قام بنقد الحديث ،

---

(١) انظر :

- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لرودي بارت ٣٠.

- العقيدة والشريعة في الإسلام لقولد زيهر ، في مقدمة موضوع الفرق ١٨٧ ، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثانية ، دت.

- المستشرقون للعقيقي ٣/ ٤٠ – ٤٢ ، وقد مدحه بما ليس فيه كالبعد عن الهوى.

(٢) انظر اتهام النبي ﷺ ٦٦٦ ، وأبو هريرة ٥٨٠.

فليس ذلك كي يبين أنه موضوع أو غير موضوع ، وإنما لكي يدرك الميول المختفية والأهواء المستورة التي يعبر عنها أصحابها فيما يصنعون أو يروون من حديث... كان يعتمد على نفوذ بصيرته وعمق وجدانه... والحق يقال كان شديد الاحتياط في استخدام هذا المنهج ، فكان في كل خطوة يخطوها يتكئ على النصوص...»[١].

٥١- كارده فو Carra De Vvux (١٨٦٧ - ١٩٥٣) : مستشرق فرنسي متعصب جداً ضد الإسلام درس العربية ودرَّسها في المعهد الكاثوليكي بباريس ، وعني بالرياضيات والفلسفة والتاريخ.

من آثاره العديد من الكتب في الرياضيات ، كما كتب عن الفلسفة، فألف عن السهرودي وابن سينا وابن الفارض والغزالي[٢].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٦١) مادة وانتقدته في (٤٣) موضعاً حيث إنه من أكثر كتاب الدائرة افتراءً ، فقد طعن في الوحي والقرآن ، وادّعى استقاء الرسالة من اليهود والنصارى ، وادّعى أن لفظة «جبريل» أخذها النبي ﷺ من إنجيل لوقا وفهمها مشوهاً ، وكذلك الصور

---

(١) موسوعة المستشرقين لبدوي ١١٩ - ١٢٣.

(٢) المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩.

المسيحية للملائكة زعم أن النبي ﷺ فهمها أو معلموه المجهولون على أنها ولدان، كما حاول أن يربط بين ما جاء به النبي ﷺ وبين الحنفيين والشعراء والنصارى العرب، وكتب عن التمائم والسحر بصورة مشوهة للإسلام، وأنكر الإسراء، وزعم أن البراق أسطورة، كما شكك في جملة الأحاديث النبوية[١].

٥٢- كارديه (أو جارده) لويس L.Gardet : مستشرق فرنسي ولد سنة (١٩٠٤) ودرس الفلسفة، وتأثر بالمفكرين الكاثوليكيين، وعنى بمقارنة الثقافة والفلسفة والدين والتصوف، وأحب الثقافة العربية ومدحها، تردد على القاهرة مرات عديدة، وألقى محاضرات في الجامعات الأوروبية والعربية، واشترك في معظم المؤتمرات الاستشراقية.

من آثاره: مقالات متنوعة في المجلات المختلفة منها: «العقل والإيمان في الإسلام»، و«المدخل إلى علم أصول الدين الإسلامي»، و«نبذة عن التصوف الإسلامي»، كما كتب عن الغزالي وابن سينا[٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ثمانية مواد في الفلسفة وعلم الكلام،

---

(١) انظر استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب صـ ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٩، وجبريل ٤٣٧، والطعن في السنة ٥٦٧، والتمائم ٢٠٧.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٣/ ٢٨٠ – ٢٨١.

وأشرت له ثماني مرات ، وكتاباته في الصفات أَقْوم من غيره حيث استدرك هفوات ماكدونالد في الطبعة الأولى ، وله كتابة منصفة حول دعوى بعض المستشرقين تعارض القرآن ، وإن كان أخطأ في كتابته حول القدر ، وعرض عرضاً سامجاً لمادة «الحساب» ، كما كتب عن الحلاج مادحاً له مصوراً إياه بالمظلوم ، وعن التصوف[١].

٥٣- كاهن ، كلود C.cahen : مستشرق فرنسي ولد سنة (١٩٠٩) ، ودرس في السوربون الدراسات الشرقية ، ودرس التاريخ الإسلامي في جامعة باريس ، له آثار عديدة عن الشيعة والصليبيين وتواريخ الشام ومصر والعراق[٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٣٢ مادة عن السلاجقة والترك والأكراد ، ولم أجد فيها ما يؤخذ عليه.

٥٤- كرامرز J.H.Kramers (١٨٩١ – ١٩٥١) : مستشرق هولندي عمل ترجمان السفارة الهولندي في الآستانة (١٩١٥ – ١٩٢٢) ، عُيّن أستاذاً للتركية والفارسية في جامعة ليدن ، ثم خلف فنسنك على كرسي العربية فيها سنة (١٩٢٩).

---

(١) انظر الصفات صـ ٢٣٦ ، والقدر ٢٦٥ ، والحساب ٧٨٩ ، ٨٠٧ ، والتعارض ٥٣٩ ، والحلاج ١٠٨٧ ، والتصوف ١١٢٦.

(٢) المستشرقون للعقيقي ١/ ٣٤٢.

من آثاره : «فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين» ، وعدة مقالات في الجغرافيا والاجتماع ، وله أيضاً مقال عن التشريع في الإسلام[1].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٧٥ مادة غالبها في الجغرافيا والتاريخ ، ولا يظهر على كتاباته التحامل ، بل العكس حيث يظهر الإنصاف ، وعدم التعصب ، ومما كتبه عن الخليفة العثماني سليمان القانوني : (وهذه الخلاصة التي أوجزناها : الكلام عن حروب سليمان ، تكشف عن الهمة العجيبة التي امتاز بها هذا السلطان الذي يعد أعظم سلاطين الإمبراطورية العثمانية ، ولكنها لا تزودنا بصورة كاملة لشخصيته، ومن سوء الحظ أن المصادر لا تمدنا بمادة كافية نستطيع أن نعتمد عليها في إعادة بناء هذه الشخصية ، فالمصادر التركية قلما نصادف فيها شيئاً إلا الإغراق في مدحه والثناء عليه ، أما المصادر الأوروبية فهي وإن كانت أكثر نقداً أقل معلومات ، كما أنها تتسم في الغالب بالغرض)[2].

٥٥- كرن R.Akern (١٨٧٤ - ١٩٢١) : مستشرق ألماني تعلم في جامعات مختلفة في أوروبا ودرس علوماً متنوعة ثم سافر إلى القاهرة حيث أتقن اللغة العربية ، حصل على الدكتوراه في أعمال قصصية

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٢١.

(٢) انظر الدائرة ١٢/ ١٥٢ ، سليمان القانوني ، كرامرز.

مسرحية : بعنوان «النساء العالمات» ، ولكن أهم أعماله: نشره للقطع الباقية من كتاب اختلاف الفقهاء للطبري.

توفي وهو في السابعة والأربعين بمرض عصبي[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة عشر مواد عن جزر الملايو ، وطعن في شيوخ الإسلام بالملايو ، وفي المجاهدين ، ووصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتشدد والتزمت[٢].

٥٦- كرنكوف فريتس F.Krenkow (١٨٧٢ – ١٩٥٣) : مستشرق ألماني من شمال ألمانيا ، مات وهو صغير ، وواجه ظروفاً معيشية صعبة ، انتقل إلى برلين سنة (١٨٩٢) فدرس عدة لغات ومنها الفارسية ، ثم نزح إلى إنجلترا وتزوج من إنجليزية ، وأنشأ مصنعاً للأقمشة وتوسع في أعماله حتى بلغ عماله ألف عامل، لكنه أقفله بعد الحرب العالمية الأولى لركود الأسعار ، وفي عام (١٩٢٧) تفرغ للعلم وأتقن العربية والأردية ، واتصل بسلطان حيدر آباد عندما أنشأ دائرة المعارف العثمانية ، فنشر عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات النادرة بناء على تكليفه ، وانتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق.

---

(١) موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٣٠.

(٢) انظر شيوخ الإسلام صـ ٨٧١ ، والمجاهدين ١٠٤٦ ، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٠١٧.

ادّعى الإسلام وسمّى نفسه محمد سالم الكرنكوي.

من آثاره : العناية بكثير من التراث ، ومنها نشر قصيدة كعب بن زهير في النبي ﷺ ، وشرحها للإمام التبريزي ، وتاريخ بغداد للخطيب ، ومقامات الهمداني ، وحلية الأولياء ، والكثير من المقالات عن الشعر العربي ، والسيرة النبوية في الكتب الشعبية العربية[١].

حرر في الطبعة الأولى (٣٣) مادة غالبها تراجم لشعراء وفقهاء وزعم وجود اتفاق بين الثلاثة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يدعمهم آخرون ﷺ لتولي الخلافة !، كما زعم أن عمر حرم سعد بن عبادة من حقه في الخلافة[٢].

٥٧- كولان G.S.Colin (١٨٩٣ - ١٩٧٧) : مستشرق فرنسي درس اللغات الشرقية في باريس، وحصل في سنة (١٩١٤) على دبلوم في العربية الفصحى واللهجات العربية في المشرق ، والتركية والفارسية والحبشية. استدعاه الجنرال ليوتيه حاكم مراكش للعمل في مراكش بناء

---

(١) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٩٧ - ٩٩.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) انظر صـ ٧٢١.

على توصية من مدير مدرسة اللغات الشرقية ، ثم عمل في الاستخبارات، ثـم تـرك العمـل وانتقـل إلى القـاهرة بـصفة باحـث ، ثـم عمـل في وزارة الخارجيـة الفرنـسية في المغـرب وفرنـسا ، حتـى عـين في سـنة (١٩٤٦) قنصلاً في باريس ، ثم شغل كرسي اللغة العربية المغربية في معهد اللغـات الشرقية حتـى تقاعـد في سنة (١٩٦٣) ، ثـم بعـد تقاعـده أخـذ يـدرِّس في باريس في أماكن متفرقة.

له عدة أبحاث ومقـالات : «أصـل اسـم محمـد» ، و«ابـن رشـد» ، «طه حسين على هامش السيرة»[١].

حـرر في الـدائرة في كلتـا الطبعتـين (٢٧) مـادة غالبهـا عـن المغـرب الإسلامي ، كما كتب عن «البركة» وخلط فيها[٢].

٥٨- لــويس ، برنــارد B.Lewis (مولــود ســنة ١٩١٦) : مســتــشرق إنجليـزي، درس الدراسـات الـشرقية بلنـدن ، ثـم درّس بجامعاتهـا ، وهـو عضو في كثير من الجمعيات والجامعـات الأوروبيـة المعنيـة بالدراسـات

---

(١) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٩١.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٤٣.

(٢) انظر : صـ ٢١٠.

الشرقية ، له آثار كثيرة حيث كتب عن الإسلام وعن السياسة في البلدان الإسلامية سنة (١٩٥٦) [١].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (٣٥) مادة غالبها عن الشام ، ولم أجد له في الدائرة ما يدل على التعصب أو ضده.

٥٩- مارسيه G.Marcais (١٨٧٦ - ١٩٦٢) : مستشرق فرنسي تخصص في الحضارة الإسلامية وتعلم في مدرسة الفنون الجميلة ، عُيّن أستاذاً للآثار في كلية الآداب بالجزائر ، وله كثير من المصنفات عن العمارة والآثار الإسلامية [٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (٢٦) مادة غالبها عن المغرب الإسلامي ، ولم أجد في كتاباته أي تحامل.

٦٠- ماسنيون ، لويس L.Massignon (١٨٨٣ - ١٩٦٢) : مستشرق فرنسي سافر إلى الجزائر بعد حصوله على الثانوية سنة (١٩٠١) ، كما حصل على ليسانس الآداب ، ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب ، اشترك في مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة (١٩٠٥) ، حيث تعرف على قولد زيهر وتتلمذ عليه ، عُيّن في المعهد الفرنسي للآثار

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٤٣ - ١٤٥ ، ٣/ ٣٧٢.

(٢) المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٥٣.

الشرقية بالقاهرة، كما استمع إلى دروس الأزهر بالزي الأزهري، طاف العالم الإسلامي وتعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية، وعني بالآثار القديمة، وأدت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق إلى اكتشاف قصر الأخيضر، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي تحولت فيما بعد إلى مجلة الدراسات الإسلامية، حصل على الدكتوراه عن الحلاج في السوربون سنة (١٩٢٢)، وأخيراً عُيّن أستاذ كرسي في باريس في الاجتماع الإسلامي سنة (١٩٢٦) حتى تقاعد سنة (١٩٥٤).

عمل مستشاراً للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين، وإضعاف اللغة العربية و محاولة التفرقة بين العرب والبربر، كما أدت في النهاية إلى استشهاد أكثر من مليون مسلم في الجزائر على أيدي النصارى الفرنسيين.

تأثر بالحلاج حتى أنه كاد يردد في آخر لحظات حياته الآيتين اللتين كان يرددهما الحلاج عند وفاته، وهما قوله سبحانه: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾[2].

---

(١) الجن الآية: ٢٢.

(٢) الشورى الآية: ١٨.

ولما مات كتب عبدالرحمن بدوي : «إن خسارة الدراسات الإسلامية بوفاة المستشرق العظيم لويس ماسنيون لا تعادلها خسارة»[١].

كتب عن التصوف الإسلامي بكثرة حتى عُدّ مرجعه في الغرب ، وكان نشيطاً في البحث والكتابة حتى توفي ، آثاره تربو على (٦٥٠) أثراً بين كتب ومقالات ، ومن كتاباته : «تاريخ العقائد الفلسفية العربية» ، و«أصول العقيدة الوهابية» ، كما كتب عن الشيعة والباطنية[٢].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٣٣) مادة عن التصوف والفرق الباطنية ، وأنكر بعض الأحاديث النبوية الثابتة[٣].

٦١- ماكدونالد ، دنكان بلاك D.B.Macdonald (١٨٦٣ - ١٩٤٣) :

---

(١) موقف العرب من المستغربين ، ميشال حتى ، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة ببغداد العدد الأول ص٤٢ ، كانون الثاني ١٩٨٧م.

(٢) انظر :

- الاستشراق إدوارد سعيد ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ - ٣٢٣.

- الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٧.

- المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٦٣ - ٢٦٨.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٦٣ - ٣٧٠.

(٣) انظر الأحاديث النبوية صـ ٦١٦.

مستشرق أمريكي ، بريطاني المولد والنشأة ، تعلم في جلاسكو ثم رحل إلى برلين وأخذ على زاخاو ، ثم قصد هارفارد لتعليم اللغات السامية (١٨٩٣) وأسس فيها مدرسة كنيدي للبعثات ، كما أشرف على القسم الإسلامي سنوات طويلة ، وأنشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة العالم الإسلامي سنة (١٩١١) ، وكان صديقاً وزميلاً لنيكلسون.

وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي ، ومن أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي ، تعلم العربية والعبرية والسريانية.

إنتاجه العلمي لم يكن عميقاً ، من آثاره: كتاب «علم الكلام في الإسلام» ، و«عرض المسيحية للمسلمين» ، كما كتب عن التصوف ، والأدب ، واللهجات العربية ، وعني بكتاب ألف ليلة وليلة[1].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٤٦) مادة في العقيدة والفقه ، وكان في غاية ما يكون من التحامل ، وقد انتقدته في (٤٨) موضعاً،

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣٠.
- المستشرقون للعقيقي ٣/ ١٣٦ – ١٣٧.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٧٢.

حيث كتب عن لفظ الجلالة بتخبط عجيب، حيث اتهم صفات الله بالتضليل!، وأن القرآن فيه تجسيم !، وأن الصفات من اختراع النبي ﷺ!، وأنه استقى بعضها من اليهود كما استقى من النصرانية !، وطعن في الرسالة، وزعم أن النبي ﷺ لم يأت بمعجزات سوى القرآن !، وأنكر الأحاديث النبوية وشكك في جملتها !، كما كتب عن السحر بتخبط ، وغير ذلك كثير[1].

٦٢- مرجليوث D.S.MARGOLYOUTH (١٨٥٨ – ١٩٤٠) : هو دافيد صمويل مرجليوث مستشرق إنجليزي بروستانتي متعصب من كبار المستشرقين ، ولد في لندن ، وتعلم فيها وتخرج في أكسفورد وعين أستاذاً للعربية فيها سنة (١٨٨٩).

عمل في مجلة الجمعية الأسيوية الإنجليزية ، وترأس تحريرها ، زار الشرق الأوسط مراراً.

ألف بالعربية وكتب في اللغة والأدب ، وقد عُيّن عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع اللغوي البريطاني ، وتوفي في لندن، ولم يكن مخلصاً في كتاباته عن الإسلام للعلم، على الرغم من

(١) انظر الصفات صـ ٢٤٠، ٢٣٨ ، ٢٨٣ ، والإيمان ٥٢٥ ، والطعن في الرسالة ٢٩٢، الاستقاء ٤٢١ ، ٤٢٧ ، والأحاديث النبوية ٢٨٦ ، ٥٦٥ ، والسحر ١٩٧.

توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم ، وأُخذ عليه التحكم في الاستنباط، وعدم فهم النبوة.

من مدرسته طه حسين وأحمد أمين.

ومن كتبه : « محمد ومطلع الإسلام» ، و«التطورات المبكرة في الإسلام» ، ومن آثاره الكثير من الفهارس للمخطوطات ووصف لها ، وكتب عن الشعر الجاهلي وتاريخ الإسلام ، كما ترجم لكثير من الشعراء، واهتم بالمعري خاصة.

أثارت دراساته المتعصبة تجاه الإسلام السخط عليه من المسلمين ومن بعض المستشرقين.

وقد أتى ببعض الغرائب ، ومنها : تشكيكه في اسم الرسول ﷺ ونسبه، وزعمه أن الرسول سافر لمصر ؛ لأن كلامه عنها يدل على معرفة بها !.

قال عمر فروخ عنه : «يهودي صبأ إلى نصرانية ، ألّف كتاباً ضخماً عن سيرة النبي ﷺ ... وجميع ما كتب لا يركن إليه ؛ لأنه جانب الحق فيما كتب ، وصدر فيما كتب عن كره الإسلام ، وعن قصد الإساءة إليه وإلى المسلمين».

وفي كتابه تاريخ الإسلام ينكر عالمية الإسلام !، وأن الرسول ﷺ لم يوجه الرسل إلى الملوك !، وأن النبي ﷺ كان يمارس الشعوذة !.

قال الأمير شكيب أرسلان[١] : «هو أخبث المستشرقين وأشدهم بغضاً لمحمد ﷺ»[٢].

---

(١) شكيب بن حمود أرسلان ١٢٨٦ – ١٣٦٦هـ من سلالة ملوك الحيرة، مؤرخ وعالم بالأدب والسياسة من أكابر الكتاب يُنعب بأمير البيان، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي، نشأ بالشام وأقام بمصر وأوربا وتوفي بلبنان، له العديد من المؤلفات الدالة على غيرته الإسلامية أشهرها: تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي»، و«لماذا تأخر المسلمون»، كما أنشأ صحيفة في جنيف باللغة الفرنسية للدفاع عن القضايا الإسلامية. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٣).

(٢) انظر:

- الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، عمر فروخ، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ١٣٤.
- الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣٠.
- حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.
- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان ١٤٦ – ١٤٧، ١٥٧ نقلاً عن كتاب مرجليوث تاريخ الإسلام ١/ ١٥٧.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٧٧.
- المستشرقون والسيرة النبوية، أنور الجندي، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ٢٢٩.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٣٧٩.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعارضة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ٣٦.

وللأسف أننا نجد أنه بعد كل هذا يُوصف عند البعض بأنه خدم العروبة والإسلام[١]!

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٢٠) مادة متنوعة منها كتابات عن الطرق الصوفية.

٦٣- منتقمري وات W.Montgomery : مستشرق إنجليزي معاصر، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة العربية في جامعة أدنبرة حتى تقاعده (١٩٦٤ - ١٩٧٩)، من آثاره: كتاب «محمد في مكة»، و«محمد النبي ورجل الدولة» اتهم النبي ﷺ فيه بالغدر، والشهوانية، وأن أفكار محمد القرآنية أنتجها خياله المبدع !. وحاشاه ﷺ مما يزعمه الأفّاكون.

وله مقالات عدة منها: «الإسلام والجماعة الموحدة»، و«الجدل الديني»، و«تاريخ الجزيرة العربية»[٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة (١٤) مادة ترجم فيها لجاهليين

---

(١) انظر مقالة: المستشرقون ليسوا كلهم أعداء، فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات، عبدالوارث كبير، مجلة الوطن العربي، الكويت ١٠٢، ٢١/ ١٣٨٧هـ - أيار ١٩٦٧م، صفحة ١٤٤-١٤٥.

(٢) انظر:

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٣٢.

- رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ١١٥ - ١٢١.

وصحابة النبي ﷺ وعن بعض الفرق، وقد شكك في القرآن، كما انتقص من النبي ﷺ، وبعض أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، وشكك في صحة هجرة الصحابة مدعياً أن سببها ليس الاضطهاد، وإنما معارضة سياسة أبي بكر الصديق ﷺ وفريق معه[١].

٦٤- مورتمان، جوهان هنريخ J.H.Mordtmann (١٨٥٢ - ١٩٣٢):

ولد في الآستانة، وطلب علوم الاستشراق في ألمانيا، ثم تعين في مناصب سياسية، ارتحل إلى جنوب الجزيرة العربية وكتب فيها، كما كتب عن السنة والشيعة[٢].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٤٢) مادة غالبها عن جغرافية العراق وتركيا، وقد شكك في بعض الأحاديث النبوية الثابتة[٣].

٦٥- مينورسكي V.Minorsky (١٨٧٧ - ١٩٦٦): مستشرق روسي الأصل بريطاني الجنسية درس الفارسية والتاريخ الفارسي ودرَّسه في جامعة لندن، من أكثر الغربيين عناية وتحقيقاً لتاريخ فارس، كما كتب عن الدراسات الغربية في أوروبا خلال القرن السابع عشر، كما كتب عن

(١) انظر التشكيك في القرآن صـ ٤٦٥، وتنقصه من النبي ﷺ ٦١٨، والهجرة ٦٤٦، والتنقص من عائشة ٦٦٧.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٩٨.

(٣) انظر الأحاديث النبوية صـ ٦٢٥.

مواضيع إسلامية متنوعة[١].

حرر في الدائرة في كلا الطبعتين (٦٢) مادة غالبها عن فارس، وكتب عن تركيا وروسيا وجورجيا وأرمينية والبلقان، كما كتب عن المغول ومواد متنوعة، ولا يظهر على كتاباته التحامل.

٦٦- نالينون C.A.Nallino (١٨٧٢ -١٩٣٨): مستشرق إيطالي كان جاداً ذكياً ولعاً بالجغرافية محباً لاكتشاف المناطق المجهولة راغباً في المغامرة.

درس اللغة العربية بدون معلم، ودرس في جامعة تورينو، ومُنِح على تفوقه بعثة علمية فسافر إلى القاهرة سنة ١٨٩٣، وظل بها ستة أشهر، استفاد منها في فهم الشرق، وعندما عاد أخرج كتاباً بعنوان «اللغة العربية في لهجتها المصرية»، ولما عاد درّس اللغة العربية في المعاهد والجامعات الإيطالية. ولما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب عُيّن مديراً لـ«لجنة تنظيم المحفوظات العثمانية» بوزارة المستعمرات في روما، وعهد إليه بتدريس تاريخ الإسلام في جامعة روما. ثم سافر إلى مصر فدرّس في الجامعات المصرية أستاذاً محاضراً في الفلك، ثم في الأدب العربي، ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان متخصصاً في الاستشراق العربي دون غيره حتى أنه يقول: «أريد أن أعرف عن العرب كل شيء».

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٠٨ - ١٠٩.

رحل إلى البلدان العربية ، ففي شتاء ١٩٣٧ زار مصر من أجل حضور المجمع اللغوي ، ثم زار المملكة العربية السعودية ، وأقام زماناً في جدة، وزار الطائف، وقابل بعض الشخصيات السياسية في المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم الملك عبدالعزيز ، وكتب إثر ذلك القسم الأول من كتابه «النظام السياسي والإداري والقضائي في المملكة»، ولكن الموت عاجله قبل أن يتم القسمين الباقيين الخاصين بالحياة الدينية والثقافية.

كما كتب عن الطائف، والفلك، والأدب، والتاريخ، والتصوف، والفرق، والفلسفة، والفقه.

كان متقناً للعربية والفارسية، وانتخب في عدة مجامع علمية منها: المجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع اللغوي في القاهرة ، وتولى الإشراف على مجلة الدراسات الشرقية، فمجلة الشرق الحديث. وكتب عشرات المواد عن الإسلام في دائرة المعارف الإيطالية.

كان واسع الاطلاع له مكانة مرموقة بين المستشرقين يمتاز بحسن خطه باللغة العربية[١].

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٥/ ٢١٣ – ٢١٤.
- المستشرقون للعقيقي ١/ ٤٣٣ – ٤٣٥.
- مستشرقون لنذير حمدان ١٩٠ – ١٩٢.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٠٨ – ٤١٤.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ثلاث مواد عن النجوم، والفلك، وعن أبي الفرج الأصفهاني.

٦٧- نيكلسون R.A.Nicholson (١٨٦٨ – ١٩٤٥) : مستشرق إنجليزي، يعد أكبر الباحثين المستشرقين بعد ماسنيون في التصوف الإسلامي ، درس اللغتين العربية والفارسية ودرّسهما ، اهتم بالأدب العربي والشعر الفارسي ، أصبح زميلاً في كلية الثالوث بكمبردج ، ثم أستاذاً للغة الفارسية في لندن (١٩٠١) ، وأصبح أستاذ كرسي في اللغة العربية (١٩٢٦) ، وقد تقاعد مبكراً وتفرغ للكتابة (١٩٣٣).

من آثاره كتاب «التصوف الإسلامي» في ثمانية مجلدات ، و«الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والإسلام» في ٥٠٠٠ صفحة ، وكتب مقالات عدة في الأدب والتصوف ، منها دراسة لرسالة الغفران للمعري ، ودراسات عن ابن الفارض وابن عربي وجلال الدين الرومي ، بالإضافة إلى نشر «اللمع» للسراج ، وغير ذلك[١].

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٣/ ٣٩.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٩١ – ٩٣.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤١٥ – ٤١٦.

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ثمانية مواد غالبها عن التصوف.

٦٨- هارتمان، رتشار R.Hartmann (١٨٨١ - ١٩٦٥): مستشرق ألماني درس العربية وتعين أستاذاً للعربية في جامعة برلين، ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين، انتخب عضواً في مجامع كثيرة منها المجمع العلمي العربي بدمشق.

له آثار كثيرة منها تفسير القرآن، ودراسات عن البدو، وعن الوهابيين[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٣٧) مادة جغرافية لمواقع في آسيا.

٦٩- هوتسما M.ThHoutsma (١٨٥١ - ١٩٤٣): مستشرق هولندي تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية في جامعة أوترخت، وعلمها فيها، وفي سنة (١٨٧٥) حصل على الدكتوراه من ليدن على رسالته: «النزاع حول العقيدة في الإسلام»، ثم درّس فيها سنين طويلة حتى اعتزل التدريس سنة (١٩٠٧) إلى التأليف، وانتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وفي مجامع عدة.

وهو من أوائل من اضطلعوا بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية، واضطلع بالإشراف عليها (١٩١٣ - ١٩٢٤).

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦.

من آثاره : «العقيدة الإسلامية والأشعري» ، كما نشر العديد من الكتب العربية فقد ساهم في نشر تفسير الطبري ، ونشر مقصورة ابن دريد، والأضداد لابن الأنباري ، ووضع فهارس للكتب والمخطوطات الشرقية والعربية في عدة مكتبات ، كما كتب عن تاريخ السلاجقة[١].

حرّر في الطبعة الأولى من الدائرة ست مواد عن السلاجقة والقاديانية.

٧٠- هورتن M.Horten (١٨٧٤ - ١٩٤٥) : مستشرق ألماني درس الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام ، وله العديد من المؤلفات لاسيما عن ابن سينا والفارابي وابن رشد.

وقد أدَّى ضعف لغته العربية ، والنشرات المترجمة التي اعتمدها إلى الأخطاء في ترجمانه للكتب الفلسفية العربية[٢].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة مادتين ، ومما كتب: تمجيد لثمامة بن أشرس.

---

(١) انظر :

- الأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٢.
- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣١٥.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٢) انظر :

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٣٦.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٣٠.

٧١- هورجنيه كرستيان سنوك C.S.Hurgroje (١٨٧٥ - ١٩٣٦) :

مستشرق هولندي تعلم في ليدن على (ديه خويه) ، وفي (ستراسبورغ) على (نولدكه) ورحل إلى جاوة ، وأقام سبع عشرة سنة في خدمة الاستعمار ، سافر إلى الحجاز ، وأقام في مكة نصف عام متخفياً بين المسلمين سنة (١٨٨٥) ، فسكن سوق الليل ، وخالط أهل مكة مدعياً الإسلام متسمياً بعبدالغفار ، وكان قد كتب إلى قولد زهير من جدة يخبره عن عزمه الولوج إلى مكة وأنه أظهر الإسلام لهذا الغرض ، واضطر إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحج، لانكشاف أمره بكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسا بجدة في بعض المجالس ، ووضع في كتابه «مكة في القرن التاسع عشر» الذي صدر في مجلدين نتائج إقامته ، وقد دافع تظاهره بالإسلام بقوله : «إن المرء بعمله هذا لا يفقد شخصيته بالضرورة، وهذا كله بناء على تجربتي الخاصة».

شغل بعد ذلك مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية ، وفي جزيرة جاوة تزوج بنت أحد قضاتها ، فلما ماتت تزوج بنته الأخرى ، وكتم زواجه عن معارفه في بلده. عين أستاذاً للعربية في باتافيا، وخلف هوتسما في كرسي العربية ، وكان يجيدها إجادة تامة ، وقد عُد

عميد العربية بعد قولد زيهر ، وفي طليعة رواد دراسات الفقه الإسلامي والأصول الحديث والتفسير في أوروبا ، واتسم نقده بالحدة.

من آثاره : «الحج إلى مكة» ، وهو كتاب بالهولندية حافل بالرسم و«المهدي» باللغة الألمانية ، و«أمثال أهل مكة» ، و«مكة وجغرافيتها» وقد وصفها وصفاً دقيقاً شاملاً مع الخرائط في جزأين.

له مقالات عديدة عن الإسلام والقرآن والنبي ﷺ [1].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ثلاث مواد ترجم فيها لأشراف مكة لم أجد فيها ما يؤخذ عليه.

٧٢- هوروفتز J.Horovitz (١٨٧٤ – ١٩٣١) : مستشرق ألماني يهودي تعلم في برلين ، وأخذ الدكتوراه في تحقيق كتاب المغازي

---

(١) انظر :

- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لرودي بارت ٣٠ – ٣١.
- الأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٢.
- كرستيان سنوك هورخرونية ، شورد فان كوننكزفيلد ، مقالة في مجلة عالم الكتب ، الرياض ، المجلد السابع العدد الرابع ٧/ ١٤٠٧ ، صفحة ٤٣٥ – ٤٣٧.
- المستشرقون لعقيقي ٢/ ٣١٥ – ٣١٦.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٤٥ – ٢٤٧.

للواقدي وجزأين من طبقات ابن سعد، ثم عمل في الهند مدرساً للغة العربية في عليكره (١٩٠٧ – ١٩١٤)، وقد اهتم بالإسلام في الهند.

عاد إلى ألمانيا سنة (١٩١٤) وعين مدرساً للغات السامية في جامعة فرانكفورت حتى وفاته، وكان عضواً في مجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس منذ إنشائها (١٩٢٥)، وهو الذي أنشأ فيها قسم الدراسات الشرقية.

من آثاره: «مباحث قرآنية»، و«تاريخ الشيعة»، و«أسماء الأعلام اليهودية ومشتقاتها في القرآن»، كما اهتم بالشعر فألف عن المتنبي، وحقق القصائد الهاشميات للكميت، وباشر في فهرسة جميع الدواوين العربية حتى آخر العصر الأموي لتصنيف معجم لأشعار العرب القديمة[١].

حرر في الطبعة الأولى (١١) مادة غالبها عن الهند، وزعم أن القرآن استقى من اليهود بعض الآيات!، وطعن في الإمام الزهري[٢]!.

٧٣- هيج السير توماس T.w.haig: مستشرق بريطاني اهتم بالآثار

---

(١) انظر:

- المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٣٢ – ٤٣٣.

- موسوعة المستشرقين لبدوي ٤٣٣ – ٤٣٤.

(٢) انظر استقاء القرآن من اليهود صـ ٤٢٠ – ٤٢٢، والزهري ٥٨٩.

خاصة في شبه الجزيرة الهندية وفارس، وكتب عن توافق التقويمين الإسلامي والمسيحي[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٥٤) مادة أغلبها عن أفغانستان والهند، كما كتب عن السلاجقة والصفويين، ويظهر من كتاباته في الدائرة الإنصاف[٢].

٧٤- هيلر برنار B.Heller (١٨٥٧ - ١٩٤٣): مستشرق مجري تخرج في جامعة بودابست وعني بالعلوم الإسلامية واليهودية.

من آثاره: «ترجمة لسيرة عنترة»، ونشر أعمال قولد زيهر.

ومن مقالاته: «قصة التوراة في الإسلام»، و«أبطال اليهود في القصص الإسلامي»[٣].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ست مواد عن الأنبياء والسامري، ونسب للقرآن ما ليس فيه، وزعم استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب[٤]!.

٧٥- ووكر جون J.Walker (المولود سنة ١٩٠٠) مستشرق بريطاني

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٨٦.

(٢) انظر صـ ١٠٥٢.

(٣) المستشرقون للعقيقي ٣/ ٤٣.

(٤) انظر استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب ٤٢٩، والأنبياء ٣٢١، ٣٢٨، نسبة للقرآن ما ليس فيه ٤٦٢.

تخرج من جلاسجو ، وعمل في المتحف البريطاني ثم عين محافظاً للنقود فيه سنة (١٩٥٦).

من آثاره : «فهرس أثري للنقود العربية الإسلامية»، وله أيضاً كتاب في نقود الجزيرة العربية ، كما كتب عن بعض الأنبياء عليهم السلام[١].

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (١٤) مادة غالبها عن مصر ، زعم استقاء القرآن من العهد القديم[٢] !.

٧٦- لامنس هنري H.Lsmmens (١٨٦٢ – ١٩٣٧) : مستشرق بلجيكي المولد فرنسي الجنسية، انضم إلى الرهبنة (١٨٧٨) ، وتخرج في جامعة القديس يوسف في بيروت حيث حصّل اللغة العربية ، ثم أصبح أستاذ البيان فيها ، ثم تنقل شرقاً وغرباً (١٨٩١ – ١٨٩٧) فدرس اللاهوت في إنجلترا ، ودرّس في أنحاء متفرقة في أوروبا ، ثم استقر في بيروت في جامعة القديس يوسف وعهد إليه بالدراسات الشرقية ، وتولى إدارة تحرير جريدة البشير ، وصنف في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والعقائد والفرق مؤلفات وبحوثاً عديدة ، وقرأ الأغاني سبع عشرة مرة والقلم بيده !.

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٧٠.

(٢) انظر صـ ٣٢٠ ، ٤٢١.

كتب بالفرنسية والعربية، من كتبه: «الإسلام»، و«الطائف»، وأغلب مصنفاته في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وله كتابه «مهد الإسلام»، و«القرآن والسنة»، و«كيف أُلفت حياة محمد»، و«هل كان محمد أميناً»، و«الحكومة الثلاثية من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة». توفي في بيروت.

وكان من أبعد المستشرقين عن الموضوعية، استبعد صحة أخبار الفترة المكية بكاملها، وبلغ من حقده تحريف النصوص، فقد حرف ميلاد النبي ﷺ، واتهم النبي ﷺ بالجبن والهلع، وكثرة النوم!، واستبعد صحة عزلة النبي ﷺ في الغار؛ لأنه كان يكره العبادة والوحدة، وادعى أن سبب وفاة النبي ﷺ الإفراط في الشهوات!، وأنه أخذ يهذي في مرض وفاته!، وحاول رسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وصفه عمادالدين خليل بأنه ينساق بفجاجة وراء تعصبه النصراني (١).

---

(١) انظر:

- الأعلام للزركلي ٨/ ٩٩.
- المستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني منتقمري وات، ضمن مناهة المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ١/ ١٢٠، ١٦٧، مكتب التربية العربي لدول الخليج، دطت.
- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان ١١٠، ١٦٤ - ١٦٥.
- المستشرقون للعقيقي ٣/ ٢٩٣، ٢٩٦.
- المستشرقون والسيرة النبوية، أنور الجندي، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ٢٢٩.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة (٣٩) مادة متنوعة، كثير منها عن الشام والسيرة وتراجم الصحابة، وقد ظهر شدة حقده على النبي ﷺ في الدائرة واضحاً جلياً، فقد سعى بكل طريق لتكذيب النبي ﷺ، فاتهمه باصطناع الوحي، وبنقض العهود !، وطعن في جملة السنة النبوية لاسيما فيما يدل على نبوته ﷺ، كما أنكر كرامات للصحابة ﷺ، وركّز على الخلافات بينهم، وطعن في عائشة والحسن بن علي ﷺ[1].

وقد تعجبت أن يقول عمر فروخ: «ومن الذين خلطوا –في الاستشراق- عملاً صالحاً وآخر سيئاً هنري لامنس»[2]، أو يصفه غيره بأنه خدم العروبة والإسلام[3] !، رغم ما كتبه عن النبي ﷺ، وقد تنبه لتعصبه بدوي –رغم عادته في تمجيد المستشرقين وقلة نقدهم- فقال:

---

(١) انظر الطعن في النبوة صـ ٥٣٩، الطعن في النبي ﷺ ٦٦٦، والطعن في السيرة ٦١٤، والطعن في الصحابة ٧٠٠، وعائشة ٧٣٧، والحسن بن علي ٧٤٢.

(٢) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، عمر فروخ، مقالة في كتاب الإسلام والمستشرقون ١٣٦.

(٣) انظر مقالة: المستشرقون ليسوا كلهم أعداء، فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات، عبدالوارث كبير، مجلة الوطن العربي، الكويت، العدد ١٠٢، ١٢/ ١/ ١٣٨٧هـ، أيار ١٩٦٧م صفحة ١٤٤ – ١٤٥.

«راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين»[١].

حتى إن بعض المستشرقين استنكروا ما كتب في حق النبي ﷺ حيث يقول درمنجم[٢]: «ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامنس -الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين- من أشدهم تعصباً، وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام»[٣].

بل إننا نجد أن بعض المستشرقين الذين طعنوا في النبوة والإسلام

(١) موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) مستشرق فرنسي (١٧٩٠ – ١٨٥٧) عمل مديراً لمكتبة الجزائر الوطنية وله كتاب «حياة محمد» والنص منه ٨ – ١١، قال عقيقي عن هذا الكتاب: «وهو خير ما صنّفه مستشرق عن النبي». (المستشرقون لعقيقي ١/ ٣٤٨)، وله أيضاً «محمد والسنّة». (انظر قالوا عن الإسلام: رسائل إلى سلمان رشدي من كبار مفكري وفلاسفة العالم المسيحي، حافظ أبو الفتوح ٨٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤٠٩هـ.

(٣) المستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر، منتقمري وات، عمادالدين خليل، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ١/ ١٣١.

ينتقدون مغالاة لامنس حيث نجد مونتقمري وات في كتابه: «محمد في مكة» ينتقده بقوله: «وقد أدت دراسات هنري لامنس به إلى استبعاد أخبار الفترة المكية، غير أن كثيراً من العلماء اتفقوا على القول بأنه مبالغ في ذلك كثيراً ويمكن لملحوظات تيودور نولدكه[١] أن تصحح في أكثر من مسألة آراء لامنس الغالية»[٢].

٧٧- لاوست، H.Laous: مستشرق فرنسي ولد (١٩٠٥)، وتخرج من السوربون، وانضم إلى المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٣١ - ١٩٤٤) ثم عُيّن مديراً له، ثم أستاذاً في جامعة ليون، ثم ولي كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا، انتخب عضواً في مجامع كثيرة منها: المجمع العلمي بدمشق (١٩٥٦).

اهتم بمذهب الحنابلة، ونشر ثماني رسائل عن ابن تيمية[٣].

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة خمس مواد عن الإمام أحمد ومذهبه، ووصفه بالمغالاة والتشبيه، كما افترى على ابن تيمية ووصفه بالتشدد وادّعى أنه ينكر الإجماع[٤].

---

(١) ستأتي ترجمته في البحث الخاص به في الباب الأخير.

(٢) مقدمة «محمد في مكة»، منتقمري وات ٩ - ١٠.

(٣) المستشرقون للعقيقي ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) انظر صـ ٩٧٠.

الباب الثاني

توحيد الله في دائرة المعارف الإسلامية

عرض ومناقشة

الفصل الأول : توحيد الألوهية (توحيد الطلب)

الفصل الثاني : توحيد الربوبية والأسماء والصفات (توحيد الخبر)

الفصل الأول

تـــوحيـــد الألـــوهـــية

(تـوحيد الطلب)

المبحث الأول : توحيد الألوهية في القرآن والسنة

المبحث الثاني : طعن الدائرة الإجمالي في عقيدة توحيد الألوهية.

المبحث الثالث : تخليط الدائرة فيما ينافي توحيد الألوهية.

المبحث الرابع : مطاعن متفرقة

تمهيد :

في بداية هذا الفصل لابد في المبحث الأول من بيان توحيد الألوهية في الإسلام كما جاء في القرآن والسنة، وبيّنه علماء الأمة، وفي هذا البيان رد إجمالي على مطاعن الدائرة في هذا النوع من التوحيد.

وسيكون هذا بشكل مطرد في أغلب الفصول القادمة، وهو أيضاً بمثابة تقديم نموذج لما يجب أن يكون في الدائرة.

أما الردود التفصيلية فقد جاءت كما يلي :

المبحث الثاني : طعن الدائرة في عقيدة التوحيد، والرد على ذلك.

المبحث الثالث : تخليط الدائرة في الأمور المنافية للتوحيد كالسحر والتمائم الشركية والتوسل الممنوع.

المبحث الرابع : مطالب في بيان أخطاء الدائرة في موضوعات متنوعة في توحيد الألوهية.

المبحث الأول

توحيد الألوهية في القرآن والسنة

هو : «توحيد الله بأفعال العباد»[١] ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[٢].

فهذا النوع من التوحيد يُعنى بإفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان[٣].

والعبادة ثلاثة أنواع :

أولاً : عبادة القلب : وهي أهم أنواع العبادة كما أنها الأساس لما سواها ، قال ﷺ : (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد

---

(١) مجموعة التوحيد ، عدة رسائل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وللشيخ محمد بن عبدالوهاب ولنخبة من العلماء ، الرسالة الأولى لمحمد بن عبدالوهاب ٤.

(٢) البينة الآية: ٥.

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ بن أحمد الحكمي ١٩ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) متفق عليه[١] .

ومن عبادات القلب : الاستعانة ، والتوكل ، والخشية ، والإنابة ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء ، وطاعة القلب وانقياده لحكمه سبحانه ، وقد اهتم القرآن بها اهتماماً شديداً ، ومن ذلك :

قول الله عز وجل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم (١٥٩٩) .

(٢) الفاتحة الآية: ٤.

(٣) التوبة الآية: ١٣.

(٤) المائدة الآية: ٢٣.

(٥) آل عمران الآية: ١٧٥.

(٦) النور الآية: ٥١ .

ثانياً : عبادات اللسان ، ومنها : الذكر والدعاء والاستغاثةوغيرها.

قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[١] قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٢].

وقال سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[٣].

ثالثاً : عبادات الجوارح ، وهي طاعة الله المتعلقة بها ، ومنها الصلاة والصوم والنسك والذبح ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٤]. ومنها التحاكم إلى الله وحده دون سواه ، قال سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٥]. وعدم سنِّ التشاريع ؛ لأن حق التشريع لله وحده ، قال سبحانه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٦].

---

(١) الأحزاب الآية: ٤١.

(٢) الجن الآية: ٢٠.

(٣) الأنفال الآية: ٩.

(٤) الأنعام الآية: ١٦٢.

(٥) المائدة الآية: ٥٠.

(٦) الشورى الآية: ٢١.

وهذا النوع من التوحيد أهم أنواع التوحيد، فهو متضمن لتوحيد الربوبية[١]؛ لأن المعبود يجب أن يكون هو المالك المتصرف الخالق المدبِّر الآمر الناهي المشرِّع وحده.

وهذا التوحيد هو حق الله على العباد كما صح في حديث معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً). متفق عليه[٢].

لذا جاءت به جميع الرسل، بل هو لُبّ دعوتهم، وزُبدة رسالتهم، وهو أول ما يدْعون به أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ١٠/ ٢٨٤، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة -الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ٨٧، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله برقم (٧٣٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب من مات على التوحيد دخل الجنة برقم (٣٠).

(٣) النحل الآية: ٣٦.

وقال الله عز وجل عن أول رسله عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(١).

وقال الله عز وجل عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٢).

وقال الله عز وجل عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٣).

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٤).

وقال آمراً خاتم رسله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾(٥).

وهذا التوحيد هو ما أوحي به الله إلى كافة رسله، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٦).

---

(١) الأعراف الآية: ٥٩.

(٢) الأعراف الآية: ٦٥.

(٣) الأعراف الآية: ٧٣.

(٤) الأعراف الآية: ٨٥.

(٥) ص الآية: ٦٥.

(٦) الأنبياء الآية: ٢٥.

وهو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم؛ إذ هم في الغالب مقرُّون بتوحيد الربوبية مجملاً، منكرون لتوحيد الألوهية، يبين ذلك قوله تعالى مخاطباً لهم: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1].

وضد هذا النوع من التوحيد: الشرك، وهو قسمان:

القسم الأول: الشرك الأكبر: وهو أن تجعل لله نداً في أي نوع من أنواع العبادة، «وهو أعظم ذنب عُصِيَ الله به، وهو كفر بإجماع الأمة»[2].

وهذا النوع من الشرك يناقض التوحيد بالكلية، ولا يغفره الله إلا بالتوبة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3].

ولما سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو

---

(١) يونس الآية: ٣١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/ ٨٨، ٩١.

(٣) النساء الآيتان: ٤٨، ١١٦.

خلقك). متفق عليه[١].

القسم الثاني: الشرك الأصغر: كالحلف بغير الله. قال ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[٢]، وكالرياء، وكقول: «ما شاء الله وشئت»[٣].

وهذا الشرك وإن كان من كبائر الذنوب إلا أنه لا يخرج صاحبه من الإسلام؛ لأنه لا يناقض التوحيد بالكلية؛ لذا قال ﷺ: (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل). رواه أحمد[٤].

وفي الصفحات الآتية عرض لما تيسر من أخطاء الدائرة في هذا النوع من التوحيد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ برقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب برقم (٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب النذور والأيمان باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك برقم (١٥٣٥)، وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء برقم (٣٢٥١).

(٣) ورد عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم، وذكره محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ضمن مجموعة التوحيد ٢١٠، مجموعة رسائل طبع إدارة الإفتاء بالرياض، دطت.

(٤) مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ٤/ ٤٠٣، دار الفكر العربي، دطت، «طبعة موافقة للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٣٦٢٤. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

المبحث الثاني
الطعن في عقيدة التوحيد

جاء في الدائرة التنقص من عقيدة التوحيد في الإسلام والطعن فيها بوجوه عدة، ومما جاء فيها ما يلي:

(إن فكرة التوحيد أبعد ما تكون عن البساطة فهو إما ظاهر أو باطن، ومن معانيه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومن معانيه أنه واحد في ذاته، ومن معانيه أن الله هو الموجود الحقيقي، وكل ما سواه وجوده ظل وجود الحق، وقد يتوسع في ذلك إلى القول بالحلول: أي أن الله هو الكل) [١].

كما جاء أيضاً: (شرك: القول بشريك مع الله أو عبادة معبود مع الله، وفي السور الأولى من القرآن، أي في أثناء الفترة المكية الأولى، لا توجد فكرة الشرك أو فكرة المشركين، والظاهر أن محمداً (ﷺ) كان أول الأمر متأثراً كل التأثر بفكرة اقتراب يوم الحساب، فانشغل بمصيره الخاص عن أي شيء آخر، ولم يبدأ في الاهتمام بالكفار إلا عندما تزايدت عداوتهم له) [٢].

---

(١) الدائرة ١٠/ ١٠٦، التوحيد، ماكدونالد.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٤، شرك بيوركمان.

قلت : قبل مناقشة هذا الكلام لابد من الإشارة إلى أن الكاتب انطلق من أن القرآن من عند النبي ﷺ وهذا يخالف ما عليه المسلمون جميعاً ، كما اشتمل هذا الكلام على تخليط شديد ، والجواب عليه من وجوه :

الأول : أن التوحيد ليس مجرد فكرة ، بل هو الحقيقة العظمى التي أخبر بها الله على ألسنة رسله كافة ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2].

كما يلاحظ التناقض بين قوله : (إن فكرة التوحيد أبعد ما تكون عن البساطة) ، وبين ما جاء في الدائرة نفسها على لسان الكاتب نفسه : (تبدو عقيدة محمد بسيطة واضحة في الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ومعنى هذا عند محمد وعند أهل مكة هو : أن الله وحده هو الإله الحق دون سائر الآلهة التي كان يعبدها أهل مكة) [3].

إن التوحيد في الإسلام هو التوحيد الذي سبق بيانه كما جاء في الكتاب والسنة : عبادة الله وحده ، وهو ما جاء به جميع الأنبياء ، وما عداه

(١) النحل الآية: ٣٦.

(٢) التوبة الآية: ٣١.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٦ ، الله ، ماكدونالد.

فليس كذلك وإن سمَّاه أصحابه توحيداً ، فلا يعيب كلمة التوحيد أن جعله المعتزلة إنكار الصفات ، أو جعله غلاة المتصوفة حلولاً ، أو جعله النصارى تثليثاً ، فالتوحيد صافٍ نقي ، وهذا انحراف طارئ.

إن عرض الكاتب الموضوع بهذه الصورة يلبِّس على القارئ دين التوحيد ؛ حتى ليظن أن جميع الانحرافات قد أتى بها الإسلام ، أو أن هذا من التحول الذي طرأ على عقيدة النبي ﷺ بينما الواقع خلاف ذلك.

أما ما يتعلق بالحلول فسيأتي الحديث عنه[١].

أما قول الكاتب : (في أثناء الفترة المكية الأولى ، لا توجد فكرة الشرك أو فكرة المشركين ، والظاهر أن محمداً ﷺ كان أول الأمر متأثراً كل التأثر بفكرة اقتراب يوم الحساب ، فانشغل بمصيره الخاص عن أي شيء آخر ، ولم يبدأ في الاهتمام بالكفار إلا عندما تزايدت عداوتهم له)[٢].

فالجواب عليه من وجوه :

الأول : ادَّعى الكاتب أن النبي ﷺ كان متأثراً أول الأمر بفكرة اقتراب الساعة ، فانشغل بمصيره الخاص عن أي شيء ، ثم اهتم بالمشركين بعد شدة عداوتهم له؟

---

(١) انظر صـ ٢٥٥.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٤ ، شرك ، بيوركمان.

وفيما يظهر أن الكاتب اعتمد على كثرة الحديث عن الساعة في الآيات الأولى نزولاً في القرآن.

وهذا حق، ولكن القرآن الكريم ليس من عنده ﷺ حتى يُشغَل بشيء دون شيء، فلا يعتري القرآن نقص البشر وما يرد عليهم من ظروف؛ لأنه من لدن حكيم خبير[١].

الثاني: لم يجابه النبي ﷺ المشركين في أول الدعوة؛ لأنهم لم يجابهوه، وإنما كانت دعوة النبي ﷺ في أول الأمر سرية، واستمرت ثلاث سنوات، ثم أمره الله بالجهر بالدعوة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٢].

قال عبدالله بن مسعود[٣] ﷺ: «ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت:

---

(١) وسيأتي إثبات ذلك في صـ ٣٨٤.

(٢) الحجر الآية: ٩٤.

(٣) عبدالله بن مسعود الهذلي من علماء الصحابة وزهادهم، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها، ولازم النبي ﷺ، وروى الكثير من الأحاديث، وجاء في فضله الأحاديث والآثار عن الصحابة، رحل إلى العراق ونشر بها العلم ومات في المدينة سنة ٣٢هـ. (انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢/ ٣٧٠ – ٣٧١، وبهامشه الاستيعاب لابن عبدالبر، دار صادر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ).

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ فخرج هو وأصحابه»[١].

قال ابن إسحاق[٢] : «ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام وتُحدِّث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاء به ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين –فيما بلغني– من مبعثه ، ثم قال تعالى له : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٣]. وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٤][٥].

إذاً ليس السبب في عدم دعوة المشركين والكفار انشغال النبي ﷺ بمصيره الخاص واقتراب الساعة كما زعم الكاتب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل ابن كثير ٢/ ٥٩٩ ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المدني ، إمام المغازي ، تابعي نزل العراق ، من أعلم الناس بسيرة النبي ﷺ ، توفي سنة ١٥٠هـ. (انظر تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ٩/ ٣٨ – ٤٦ ، مطبعة حيدر آباد ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ).

(٣) الحجر الآية: ٩٤.

(٤) الشعراء الآيتان: ٢١٤ – ٢١٥.

(٥) السيرة النبوية ، عبدالملك بن هشام المعافري ١/ ٢٣٧ ، بتعليق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، «دطت».

الثالث : المتأمل لآيات القرآن الكريم لا يجد فيها ما يدعم قول الكاتب إطلاقاً ، ذلك أن الآيات التي تتحدث عن اقتراب الساعة ، والآيات التي تتحدث عن الشرك والكفار متلازمة وليس بينها فاصل زمني.

وهذا استعراض مبسط لبعض الآيات المكية التي تحدثت عن اقتراب الساعة ، وقد لازمتها الآيات التي تحدثت عن الشرك والكفر.

- ففي سورة الأنعام : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ ، والضمير يعود إلى الكفار وقد جاء قبلها مباشرة : ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾(١) ، وقد ورد ذكر الشرك في هذه السورة في تسعة عشر موضعاً ، والكفر في تسعة مواضع.

- وفي سورة النحل : ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ ، وقد سبقها بآيات : ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا﴾ ، وقد بدأت هذه السورة بقول الله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾(٢)، وقد تكرر لفظ الشرك والكفر في هذه السورة في ثمانية عشر موضعاً أو مرة.

---

(١) سورة الأنعام الآيتان: ٣٠-٣١.

(٢) سورة النحل الآيات: ٧٧، ٧٢، ٧٣، ١.

- وفي سورة الأنبياء ثلاث آيات عن اقتراب الساعة هي: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾، ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[١].

- قد تخللت هذه الآيات مقاطع في الرد على الكفرة والمشركين مثل: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾، ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[٢]، والآية الثانية سيقت للرد على المشركين.

- وفي سورة الشورى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾، وقد جاء بعدها بآيات يسيرة: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٣].

(١) سورة الأنبياء الآيات ١، ٩٧، ١٠٩.

(٢) سورة الأنبياء الآيات: ٢١ – ٢٢، ٣٦، ٩٨.

(٣) سورة الشورى الآيتان ١٧، ٢١.

- وفي سورة الأحقاف: ﴿...كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، والضمير في هذه الآية يعود للكفار، وقد قال سبحانه في الآية التي قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[(١)].

- في سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[(٢)]، وجاء بعدها مباشرة: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[(٣)]، وغالب السورة تتحدث عن تكذيب الكفار السابقين وعاقبتهم، ثم تخاطب أهل مكة: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾[(٤)].

- وفي سورة المعارج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾، والضمير يعود للكفار الذين ذُكروا قبل آيات قليلة: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الأحقاف الآيتان ٣٥-٣٦.

(٢) القمر الآية: ١.

(٣) القمر الآيتان: ٢-٣.

(٤) سورة القمر الآيات ١، ٢، ٣، ٤٣.

(٥) سورة المعارج الآيات ٦، ٧، ١، ٢.

بل إن اقتراب الساعة ورد أيضاً في الآيات المدنية – وهي متأخرة نزولاً – كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[2].

فآيات اقتراب الساعة لم تُوحَ إلى النبي ﷺ أول الأمر فحسب.

كما أن الحديث عن الكفار جاء في مرحلة مبكرة، ففي ثاني سورة نزلت من القرآن: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[3].

والآيات التي تتحدث عن المشركين وردت في وقت مبكر، وعلى سبيل المثال: قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[4].

---

(١) الأحزاب الآية: ٦٣.

(٢) محمد الآية: ١٨.

(٣) المدثر الآيات: ٨ – ١٠.

(٤) العلق الآيات: ٦ – ١٨.

وفي سورة المدثر الذي جاء في الدائرة أنها : (أقدم ما نزل في ذلك – في ذكر السحر – من القرآن) (١) عدة مقاطع فيها ذكر الكفار والمشركين كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٣).

الرابع : أن النبي ﷺ عندما صدع بالدعوة لم يتعرض له المشركون حتى نبه ﷺ على فساد عقائدهم وتعرض لآلهتهم ، فهو الذي بدأ ﷺ بمجابهة المشركين لا العكس.

قال ابن إسحاق : (فلما بادئ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه –فيما بلغني– حتى ذكر آلهتهم وعابها ؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعدواته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ،

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٣٠٩ ، سحر ، ماكدونالد.

(٢) المدثر الآيات: ٨ –١٢.

(٣) المزمل الآيات: ١٠ — ١٣.

وحدب[١] على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء)[٢].

إن اقتراب الساعة لم يشغل النبي ﷺ عن الكفار كما رأينا، وتخليط الكاتب موهم أن النبي ﷺ غير معصوم في إبلاغه للرسالة، وفي هذا نفي لنبوته وقدح فيها.

إنني لا أدري إلى أي شيء استند الكاتب في دعواه: انشغال النبي ﷺ باقتراب الساعة ومصيره الخاص، عن الكفار!؟ إن القوم يتخبطون بسبب الحسد والحقد، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[٣].

---

(١) أصل الحدب: انحناء في الظهر، وتطلق على من عطف على غيره، ورقّ له كما قال النابغة:

حدبت عليّ بطون ضبّة كلها إن ظالماً فيهم، وإن مظلوماً

(الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ٢/ ٧، تقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة ومطبعة الحاج عبدالسلام بن محمد شقرون، القاهرة، «دطت»).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٣٨.

(٣) النجم الآيات: ٢٨ – ٣٠.

المبحث الثالث
تخليط الدائرة في الأمور المنافية لتوحيد الألوهية

المطلب الأول : ما جاء عن السحر :

السحر مناف لتوحيد الألوهية ؛ وذلك لأن الساحر يستعين بالشياطين التي لا تعين أحداً على السحر حتى يجعلها أنداداً مع الله عز وجل ، لذا تواترت النصوص من الكتاب والسنة على ذم السحر، ووصفته بأبشع الأوصاف فجاءت بأن السحر : كفر ، وشرك ، وكبيرة من كبائر الذنوب ، ومحبط للأعمال ، وأنه ضار غير نافع ، وأن صاحبه لا يفلح ، وأنه ليس له في الآخرة من خلاق.

وهذه بعض النصوص في ذم السحر :

قال الله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) البقرة الآية: ١٠٢.

وقال تعالى : ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[١].

وقال سبحانه : ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتم ، وأكل الربا ، والتولِّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). متفق عليه[٣].

ورغم هذه النصوص البيِّنة التي تبين لنا موقف الإسلام من السحر إلا أن الدائرة تجاهلتها وصورت الأمر على غير وجهه.

وقد ذُكر علاقة الدين بالسحر والتمائم في مواضع عدة منها :

(السحر : إذا عرضنا لتلك المسألة المختلفة عليها من مسائل الأدب الشعبي ألا وهي العلاقة بين السحر والدين نجد أن الدين والسحر صورتان لظاهرة اجتماعية واحدة أصلهما واحد ولا ينفصمان) ووجّه الكاتب ذلك بأن الدين والسحر كلاهما له اتصال بعالم غيبي سوء الملائكة أو الشياطين[٤].

---

(١) طه الآية: ٦٩.

(٢) يونس الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾، برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الكبائر وأكبرها برقم (٨٩).

(٤) الدائرة الأولى ١١/ ٣٠٣ ، السحر ، ماكدونالد.

وجاء أيضاً في موضوع الاستسقاء : (وتختلف الطقوس والشعائر في البلدان الإسلامية ، وهي جميعاً حتى ما ورد منها في السنة متشبعة بالسحر والقول بحيوية المادة ، ويمكن جمعها في عدة معان : الاعتقاد في كرامات الأولياء ، والآلام الجسدية والمعنوية التي يفرضها المؤمنون على أنفسهم ، والصيغ والأغاني والتراتيل والشعائر المتصلة بنوع من التقديس للمطر ، وتسمى في اللغة البربرية «غنجة» ، وما يشابهها ، ثم تقديم الضحايا والقرابين ، والإتيان بأفعال رمزية يقصد بها التقرب إلى الله)(١).

كما جاء أيضاً في مادة الجن تحت عنوان : الجن في الأدب الشعبي : (من الطبيعي جداً أن يكون الانتقال إلى هذا الباب قد جاء عن طريق استخدام الجن في السحر ، فقد أقر الفقه الإسلامي دائماً مثل هذا الاستخدام ، وإن كان الاختلاف في شرعيته ، فصاحب الفهرست يتتبع الأنواع المباحة وغير المباحة إلى الأزمنة القديمة)(٢).

قلت : مناقشة هذا الكلام من عدة وجوه :

أولاً : أَبَعْدَ تلك النصوص القاطعة الثابتة يقال : إن حكم الإسلام في

---

(١) الدائرة ، ٣/ ٢٥٩ ، مادة استسقاء ، ألفرد بل.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤٠٣ ، مادة جن ، بوتاف.

السحر موافق للمقولة : إن الدين والسحر صورتان لظاهرة اجتماعية واحدة أصلهما واحد ولا ينفصمان!! ، إن الدين والسحر في الإسلام لا يلتقيان ، وهما ليسا ظاهرة اجتماعية واحدة ، وأصلهما متباين غاية التباين، ولا يسوغ لمن يؤمن بالله أن يقول : إن أصلهما واحد لكونهما من عالم غيبي ، ولو قاله دهري ملحد يرى مجرد ظاهرتين لا يفرق بينهما ، لكان الأمر أهون.

ثم هل من المنهج العلمي في هذه المسألة ترك الأصول المعتمدة وهي : الكتاب والسنة ، وكتب الفقه والاستعاضة عنها بالفهرست[١].

ثانياً : يظهر لنا من النقول السالفة من الدائرة مدى الاختلاف الواضح في حكم الإسلام في السحر بين الكتبة فتارة يُقال : (إن الدين والسحر صورتان لظاهرة اجتماعية واحدة أصلهما واحد ولا ينفصمان) [٢] ، وأن (السنة متشبعة بالسحر)[٣] ، وتارة أخرى يُقال : (والفقه الإسلامي ينهى

---

(١) كتاب الفهرست كتاب للتراجم لمحمد بن إسحاق بن النديم البغدادي ، وكان معتزلياً شيعياً يصف أهل السنة بالحشوية كما يقول ابن حجر العسقلاني ، وذكر أن كتابه حوى افتراءات واختلاقات وعجائب في الطعن والتوثيق ، توفي ابن النديم سنة ٤٣٨هـ. (انظر لسان الميزان ، أحمد بن حجر العسقلاني ٥/ ٧٢ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

(٢) الدائرة الأولى ١١/ ٣٠٣ ، مادة السحر ، ماكدونالد.

(٣) الدائرة ، ٣/ ٢٥٩ ، مادة استسقاء ، الفرد بل.

عن السحر)[١]، ومرة أخرى يذكر الخلاف بين الفقهاء في شرعية استخدام الجن في السحر[٢]، بل إن نفس الكتاب الذي جعل الفقه الإسلامي ينهى عن السحر أردفه بإباحة الإسلام للتمائم، مع أنها تحتوي على مربعات سحرية.

ثالثاً: نَقْلُ المستشرق عن ابن النديم غير سائغ، وإنما الواجب العودة إلى المصادر الأصلية في كتب العقيدة والفقه، كما أن نقله غير دقيق؛ ذلك أن ابن النديم لم يذكر أنواعاً جائزة في استخدام الجن في السحر، وإنما ذكر عنوان: «الكلام على الطريقة المحمودة في العزائم» وذكر تحتها الاستخدام المشروع للجن في غير السحر، وذكر استخدام سليمان عليه السلام للجن، ثم ذكر بعدها عنوان: «الكلام على الطريقة المذمومة»، وقال: «فأما الطريقة المذمومة، وهي طريقة السحرة»[٣]، فاستخدام السحرة للجن لم يذكر فيها ابن النديم خلافاً.

رابعاً: وُصفت صلاة الاستسقاء في النقل الأول بوصف مخالف للشريعة الإسلامية، ومخالف أيضاً لما يفعله عامة المسلمين، وربما

---

(١) الدائرة ١٥/ ٤٤٣، مادة حمائل، كارده فو.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤٠٣، مادة جن، بوتاف.

(٣) الفهرست، محمد بن إسحاق النديم ٤٢٩ – ٤٣٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دطت.

يكون الكاتب رأى صلاة الاستسقاء لفرقة منحرفة عن الإسلام ، أو رأى صلاة الاستسقاء فأخطأ تفسير ما رآه.

ولإزالة اللبس لابد من توضيح أمور متعلقة بما كتبه حول صلاة الاستسقاء.

الأمر الأول : صفة صلاة الاستسقاء في الشريعة الإسلامية هي التالي : يخرج المسلمون إلى المصلى عند تأخر نزول المطر ، فيخطب الإمام فيهم ، وتتضمن الخطبة الاعتراف بالتقصير والحث على التوبة والعمل الصالح ، كما تشمل كثرة الاستغفار ودعاء الله تعالى أن ينزل المطر مع رفع اليدين ، ثم يقلب الناس أرديتهم تفاؤلاً بتبديل حالة القحط إلى حالة الرخاء بنزول المطر ثم يصلون ركعتين يجهر الإمام فيهما بالقراءة ، ثم ينصرف الناس من الصلاة ، وهم يلهجون بذكر الله والاستغفار ، وربما طُلب من أحد الصالحين أن يلح في الدعاء.

فاشتملت تلك الصلاة على التعلق بالله وحده ، والتضرع إليه ، ومعرفة أن الأمور كلها عنده سبحانه ، فهي تحقيق للتوحيد. أما ما ذكره الكاتب من أمور منحرفة ، فهي تناقض حقيقة صلاة الاستسقاء.

الأمر الثاني : الاعتقاد بكرامات الأولياء ، هو ما يعتقده جميع المسلمين ، وقد شهد به الواقع ، وموجود في الأمم السابقة ، قال

ابـن تيميـة : «ومـن أصـول أهـل الـسنة والجماعـة : التـصديق بكرامـات الأوليـاء ، ومـا يجُـري الله عـلى أيـديهم مـن خـوارق العـادات ، في أنـواع العلوم والمكاشـفات ، وأنـواع القـدرة والتـأثيرات ، كالمـأثور عـن سـالف الأمم في الكهف وغيرها ، وعن صدر هـذه الأمـة مـن الـصحابة والتـابعين وسائر قرون الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[١].

وقال الإمام الطحاوي[٢] -رحمه الله- عن الأوليـاء : «ونـؤمن بـما جـاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم)[٣].

وفيما يخص صلاة الاستسقاء فلا تعلـق بكرامـات الأوليـاء إلا التوسـل بدعاء الموجود منهم ، كما ثبت عن عمـر بـن الخطـاب[٤] ﷺ : «اللهـم إنـا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٦. (١) ترجمته مأخوذة من كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبدالهادي ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دطت ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٣ ، ١٣٧.

(٢) أحمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي ، إمام حافظ علامة في الفقه والحديث والاعتقاد ، له المصنفات النافعة المفيدة ، منها : العقيدة الطحاوية التي اهتم بها العلماء ، توفي بمصر سنة ٣٢١هـ. (انظر تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد الذهبي ٣/ ٨٠٨ – ٨١١ ، دار الكتب العلمية ، دطت ، وهي موافقة لطبعة حيدر آباد).

(٣) العقيدة الطحاوية ، أبو جعفر بن محمد الطحاوي ٢٤ ، علق حواشيها محمد بن مانع، مكتبة الرياض الحديثة ، «دطت».

(٤) ستأتي ترجمته صـ ٧٢١.

كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا».
رواه البخاري[(١)].

فلا يُدعى غائب مهما كانت ولايته ، ولا يُتعلق بصالح مهما كان صلاحه ، وإنما يُلجأ إلى الله عز وجل.

الأمر الثالث : بالنسبة الآلام الجسدية والمعنوية : لا يصاحب صلاة الاستسقاء في الشريعة الإسلامية أي نوع من الآلام الجسدية ، ولا يجوز نسبة ذلك للسنة لعدم وجوده فيها ، ودعواه مجردة من الأدلة ، أما الآلام المعنوية فلم يفصح الكاتب عن مراده ، كما لم يأت بمثال ، بل أطلق القول على عواهنه.

وليس في السنة أيضاً ما يدل على كلامه ، أما إذا كان مراده بالآلام المعنوية التوبة والاستغفار والابتهال إلى الله فنعم ، ولكن تلك الأمور ليست آلاماً وإنما هي السعادة والفلاح ، والأَوْلى به أن يأتي بالتعبير الصحيح كما جاء في الشريعة.

كما أن تعبيره يوهم دخول معانٍ أخرى ليست في صلاة الاستسقاء كالقلق والضجر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم (١٠١٠).

الأمر الرابع : الأغاني والتراتيل والشعائر المتصلة بنوع من التقديس للمطر التي ذكرها الكاتب فليس في السنة شيء منها ، وكلامه ينبئ عن جهله بالسنة والفقه معاً ، وما لم يرد في الشرع من أمور العبادات يعتبر بدعةً منهياً عنها ، وتقديس المطر أشد بدعة وجهالة ، وفعل جهلة المسلمين لتلك البدع لا يبررها ، مع أنني لا أعلم أن أحداً من المسلمين يقدس المطر ، وربما رأى هو فرحة المسلمين بإجابة الله لدعائهم ونزول المطر ، فأخطأ التفسير !.

ويجب على هذا الكاتب وأمثاله ممن يتصدون للكتابة عن الإسلام أن يتبينوا ما ورد في الكتاب والسنة ويبيِّنوه ، ولا يكتفوا بالتمثيل بما يفعله بعض المسلمين ، إذ ليس هذا دأب الباحثين ، فضلاً عن أن ينسبوا ما يرونه للسنة من غيره بصيرة.

الأمر الخامس : فيما يتعلق بالضحايا والقرابين فينطبق عليه ما سلف من الكلام عن تقديس المطر ، وقد رد عليه الشيخ أحمد شاكر[1] رحمه الله حيث قال : «ومن الغريب جداً إشارة هذا الكاتب إلى الضحايا والقرابين

---

(١) أحمد بن محمد شاكر ١٣٠٩ – ١٣٧٧هـ يرجع نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما- مصري عالم بالحديث والتفسير تخرج في الأزهر وعين قاضياً ثم رئيساً للمحكمة الشرعية انقطع إلى التأليف بعد تقاعده ، له شرح لمسند الإمام أحمد وكتب عديدة في التفسير والفقه واللغة. (انظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٥٣).

في الاستسقاء، فهذا أمر لا نعرفه، ولا يقول به أحد من المسلمين»[١].

المطلب الثاني: ما جاء في التمائم الشركية:

التمائم: هي خرزة كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وربما علّقوها في أعناق الصبيان لتدفع عنهم العين[٢] وهي منهي عنها؛ لأنها تنافي توحيد الألوهية إذا لم تتحقق الشروط الشرعية فيها. ولذلك ورد النهي عنها كقوله ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك). رواه أحمد وأبو داود[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من تعلق شيئاً وكل إليه). رواه أحمد والترمذي والحاكم[٤].

---

(١) الدائرة ٣/ ٢٥٩، مادة استسقاء، تعليق أحمد شاكر.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ١٢/ ٧٠، دار صادر، بيروت، (د، ت).

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٣٨١، وأبو داود في كتاب الطب باب تعليق التمائم برقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه في كتب الطب باب تعليق التمائم برقم (٣٥٣٠) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٣٣١، والرقى ما يقرأ على المريض، والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب الزوجين كل منهما للآخر، «مجموعة التوحيد: كتاب التوحيد، محمد بن عبدالوهاب ١٦٨» والتولة شرك كما في الحديث، والرقى جاءت النصوص بجوازها إذا لم تحتو على شرك.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٣١٠، برقم (٣٦١٥)،والترمذي في أبواب الطب باب ما جاء في الكراهة التعليق برقم (٢٠٧٢). وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي ٤/ ٢١٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حـ ١٦٨٠.

وتعليق التمائم منهي عنه بالإجماع إذا لم تتوفر الشروط الشرعية وهي:

أولاً : أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانياً : أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثاً : أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها ؛ بل بذات الله تعالى(١).

وإجازتها بالشروط هو ظاهر ما روي عن عائشة(٢) ، وقال به بعض أهل العلم ، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وهناك قول يمنعها مطلقاً -ولو وجدت الشروط- وبه قال ابن مسعود(٣) ، وابن عباس(٤) ، وبه قال جماعة من أهل العلم ، واحتجوا بثلاثة أمور :

---

(١) انظر: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب ، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ١٠٥ ، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، دطت.

(٢) ستأتي ترجمتها صـ ٧٣٧.

(٣) انظر ترجمته صـ ١٨٨.

(٤) عبدالله بن عباس الهاشمي ابن عم النبي ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن روى علماً كثيراً عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه ، كان ذكياً حافظاً فصيحاً دعا له النبي ﷺ بالعلم ، قربه عمر وجعله مستشاراً له على حداثة سنه ، مات بالطائف سنة ٦٨هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٣٣٤).

الأول : عموم النهي ولا مخصص له.

الثاني : سد الذريعة ؛ فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث : أنه إذا عُلِّق فلابد أن يمتهنه المُعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ، ونحو ذلك»[١].

فالتمائم التي لا تستوفي الشروط تكون مناقضة لتوحيد الألوهية ؛ لأنها تَعَلُّقٌ بغير الله تعالى ، ومع ذلك فإن الدائرة لم تلتزم بالمنهج العلمي الذي يعطي القارئ حقيقة التمائم في الإسلام ، ومما جاء فيها :

(والفقه الإسلامي ينهى عن السحر ، ولكنه يبيح استعمال الأحجبة والتمائم) [٢] ، وقد وصف التمائم بقوله : (ففي هذه التمائم : أسماء مقدسة، وأسماء ملائكة ، وآيات قرآنية ، ورموز تنجيمية ، وحروف رمزية، ومربعات سحرية) [٣].

وجاء أيضاً : (ولجبريل شأن هام في إعداد التعاويذ والتمائم ، فاسمه يكتب كثيراً على هوامش المربعات السحرية مع أسماء الملائكة الكبار الآخرين : ميكائيل وعزرائيل وإسرافيل) [٤].

---

(١) انظر : فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ١٠٥.

(٢) الدائرة ١٥/ ٤٤٣ ، حمائل ، كارده فو.

(٣) الدائرة ١٥/ ٤٤٠ ، حمائل ، كارده فو.

(٤) الدائرة ١١/ ٦٢ ، جبريل ، كارده فو.

وجاء أيضاً: (جاء في حديث أن تقليد الإبل بالأوتار «تسمى أيضاً قلائد» يدفع عنها العين خصوصاً إذا تدلَّى منها ناقوس)[(١)].

قلت: كيف يسوغ للكاتب أن يختصر القول بإخلال، ويقول: إن الفقه الإسلامي يبيح التمائم: ثم يصف التمائم بما يجمع علماء المسلمين على تحريمه!

ثم ينسب للأحاديث ما ليس منها، ويخلط بين ما يفعله جهلة المسلمين وبين شريعة الإسلام في مواضع البيان.

إن هذا من إطلاق القول جزافاً في أحسن أحواله، إن لم يكن الكذب والجهالة التي لا تليق بمن يتصدر بالكتابة فضلاً عمن يدعي المنهج العلمي، إن مثل هذا الكلام ليصد الناس عن دين الإسلام الذي شدد على تحريم كافة الخزعبلات والشركيات.

إن التعاويذ التي فيها اسم جبريل ليست من الإسلام في شيء -وإن فعلها بعض الجهلة- ولم يأمر الله بها، وهذه التمائم محرمة بالإجماع، وإنما شرع الله الاستعاذة به وبأسمائه وصفاته الحسنى.

والاستعاذة عبادة لا تصرف لغير الله، وقد عاب الله على مشركي العرب لاستعاذتهم بالجن، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[(٢)].

---

(١) الدائرة ٩/ ٤٧٤، مادة التقليد، شاخت.

(٢) الجن الآية: ٦.

أما إذا اقترن الأمر بالسحر فالجرم أكبر ، والذنب أعظم ، وقد سبق الكلام عن السحر.

أما ما يتعلق بتقليد الإبل بالأوتار ، فإن الحديث الذي أشار إليه ينهى عن تقليد الإبل بالأوتار ، ونص الحديث : عن أبي بشير الأنصاري[١] ﷺ : أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : (ألاَّ يُبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت). متفق عليه[٢].

أما دفع العين فقد قال الإمام مالك[٣] : أرى ذلك من العين[٤]. فالإمام

---

(١) صحابي مختلف في اسمه اشتهر بكنيته عُمِّر طويلاً ومات بالمدينة سنة أربعين أو بعدها. (انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبدالبر النمري القرطبي ٤/ ٢٤ ، بهامش الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، دار صادر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، برقم (٣٠٠٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير برقم (٢١١٥).

(٣) ستأتي ترجمته صـ ٢٥٢.

(٤) موطأ الإمام مالك ، الإمام مالك بن أنس ، الحديث برقم ١٧٠٠ ، ص٦٧٠ ، إعداد أحمد راتب عمروش. دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

مالك رأى أنهم يصنعونه لدفع العين ؛ وقد نهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

أما كلام الكاتب فيدل كما هو واضح أن الحديث يقرر أن تقليد الأوتار يدفع العين.

كما أن الكاتب خلط بين النهي عن تقليد الإبل بالأوتار كما ورد في الحديث ، وبين التقليد المشروع للهدي في مناسك الحج ، والذي ورد في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾[1] ، حيث جاء بالنقل السابق في معرض حديثه عن تقليد الهدي وأحكامه ، ولم يبين الاختلاف بينهما.

أما الحكمة من تقليد الهدي فلتمييزها عن غيرها من الأنعام ، ليعلم أنها من الهدي فيجتنبها من يريدها بسوء ، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها[2].

المطلب الثالث : ما جاء في الدائرة عن التوسل والبركة :

تكرر في الدائرة وصف لحال بعض المسلمين الجهلة مما يتعلق بالتوسل وتعميمه ، من غير تنبيه على مخالفته لهذا النوع من التوحيد ، مما يُلَبِّس على القارئ ، ومن ذلك :

---

(١) المائدة الآية: ٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤

جاء في الدائرة : (بركة : كلمة عربية كان لما اتصل بها من معنى شأن كبير في الخرافات عند المسلمين ، وأصبحت أداة سحرية يتوسل بها إلى حسن الطالع على اختلاف أشكاله ، وإلى شفاء الأمراض وإبراء العاهات، ولا يكون التوسل بها إلى الله وحده ؛ بل يتوسل أيضاً إلى الأولياء وإلى الأشياء المفروض فيها أن تمنح البرك - حتى قال - وقد جرت الحال باستعمال عبارة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ [الملك : ١] التي قد تلتبس على الأفهام رقية تقي من عين السوء(١).

كما جاء في مادة الإجماع : (وبفضل الإجماع أصبح ما كان في أول أمره بدعة أمراً مقبولاً نسخ السنة الأولى ، فالتوسل بالأولياء مثلاً صار عملياً جزءاً من السنة) (٢).

قلت : سأبين أولاً ما يتعلق بالبركة والتوسل كما دلت عليه النصوص الشرعية ولغة العرب :

البركة في اللغة : النَّماء والزيادة (٣).

واستجلاب البركة يكون بطرائق شرعية لا علاقة للخرافة بها ،

---

(١) الدائرة ٧/ ٩٢ ، مادة بركة ، مولان.

(٢) الدائرة ٢/ ٢٤١ ، مادة إجماع ، ماكدونالد.

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ١٠/ ٣٩٥.

وملخصها أن البركة تطلب من الله وحده ؛ لأنه سبحانه هو الوحيد الذي يمنحها، وليس في الأدلة الشرعية غير هذا.

وهذه أمثلة لبعض النصوص القرآنية الوارد فيها لفظ البركة ومشتقاته.

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[3].

فليس في كتاب الله استجلاب للبركة من غيره سبحانه ، بل ذلك مناف

---

(١) فصلت الآيتان: ٩ – ١٠.

(٢) الإسراء الآية: ١.

(٣) الصافات الآيات: ١٠٩ – ١١٣.

للتوحيد ؛ لأنها سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وإنما غاية ما يفعله الخلق لبعضهم : سؤالهم الله أن يبارك لهم.

فالله هو الذي يمنح البركة سبحانه وأسماءه سبحانه مباركة ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾ [(١)]، وكذلك كتابه المجيد ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ [(٢)].

والنصوص النبوية كذلك ليس فيها طلب البركة إلا من الله تعالى ، ففي الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد في الصلاة جاء : (اللهم بارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد). متفق عليه[(٣)].

وفي حديث أسماء[(٤)] رضي الله عنها: «أنها حملت بعبدالله بن الزبير[(٥)]،

---

(١) سورة الرحمن الآية : ٧٨ .

(٢) سورة ص الآية : ٢٩

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ برقم (٦٣٥٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم (٤٠٦).

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق أسلمت قديماً بمكة وتزوجها الزبير بن العوام ساهمت في نجاح هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وروت عنه بعض الأحاديث وعاشت إلى أن ولي ابنها عبدالله الخلافة وماتت بعده سنة ٧٣هـ. (انظر الإصابة ٤/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٥) عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ولد عام الهجرة وحنكه النبي ﷺ وسماه ، حفظ عن النبي وروى عنه وعن كبار أصحابه ، كان أحد العباد الشجعان الأقوياء تولى الخلافة بعد موت يزيد ودانت له الجزيرة ومصر والعراق وأجزاء من الشام ، قتله الحجاج في مكة سنة ٧٣هـ. (انظر الإصابة لابن حجر ٢/ ٣٠٩ - ٣١١).

فلما ولدته حنَّكه رسول الله ﷺ وبرَّك عليه». متفق عليه[١].

قال ابن حجر: «وبرَّك عليه: أي قال بارك الله فيه، أو اللهم بارك فيه»[٢].

ودعاء النبي ﷺ لأنس بن مالك ﷺ فقال: (اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته). رواه البخاري[٣].

فهذا رسول الله ﷺ أكرم الخلق نسباً ونفساً: غاية ما ينفع به غيره طلب البركة من الله، فغيره من الصحابة والأولياء من باب أولى.

أما التبرك بالنبي ﷺ وآثاره فقد صح عن الصحابة ﷺ في حياته ﷺ، كيوم الحديبية إذ ورد في حديث الحديبية الطويل من كلام عروة بن مسعود[٤] -وكان مشركاً-: (فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم (٣٩٠٩)، ومسلم في كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته برقم (٢١٤٦).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٢٤٨، مناقب الأنصار ٤٥. ترقيم وإخراج محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، دطت.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، برقم (٦٣٣٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٢٤٨١).

(٤) عروة بن مسعود الثقفي صحابي من أكابر قومه اشتهر بدوره الكبير في إقرار صلح الحديبية وكان مشركاً، أسلم سنة تسع، ووفد إلى النبي ﷺ، قُتِل في عهد النبي ﷺ حيث ذهب لدعوة قومه إلى الإسلام ولكنهم قتلوه. (انظر الإصابة لابن حجر ٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨).

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئه)[١].

فهذا التبرك بحسب الحديث السابق يفهم منه أنه: «التماس من حاز أثراً من آثار النبي ﷺ حصول خير به، خصوصية له ﷺ»[٢].

أما التوسل فله طرائق مشروعة جاءت بها النصوص من الكتاب والسنة، وهي:

١- التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا، ودليل مشروعيته قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٣].

ومن الأدلة أيضاً قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته: (اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاء خيراً لي)[٤].

ومنها دعاء الصحابي: (اللهم إني أسألك يا الله الأحد الواحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي، إنك أنت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب برقم (٢٧٣١)، و(٢٧٣٢).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني ١٥٨، نسقها محمد عيد العباسي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) الأعراف الآية: ١٨٠.

(٤) رواه أحمد ٤/ ٢٦٤، والنسائي في كتاب السهو برقم (١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح١٢٣٧.

الغفور الرحيم) فسمعه النبي ﷺ فقال: (قد غفر له، قد غفر له)[١].

٢- التوسل إلى الله تعالى بإيمان الداعي وعمله الصالح، وهذا موجود في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٣].

كما ورد في السنة قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدة عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذا الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما لا أهلاً ولا مالاً[٤]، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٣٣٨، أخرجه أبوداود في كفريع أبواب الركوع والسجود، باب ما قبول بعد التشهد برقم (٩٨٥)، والنسائي في كتاب السهو باب الدعاء بعد الذكر برقم (١٣٠١). وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر كتابه التوسل ٣٣.

(٢) آل عمران الآية: ١٦.

(٣) آل عمران الآية: ٥٣.

(٤) أي لا أقدم عليها أحداً في شرب «الغبوق» وهو اللبن الذي يحلب في المساء.

ناما[١]، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج).

ثم قص النبي ﷺ ما فعل صاحباه، فقد توسل الثاني إلى الله بعفته عن الزنا بابنة عمه، مع شدة حبه لها، وتمكنه منها، خوفاً من الله، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج، كما توسل الثالث بحفاظه على حق أجيره وتنميته، حتى تحول من حفنة من الأرز إلى أموال عظيمة من الإبل والغنم والرقيق، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون. متفق عليه[٢].

قال النووي[٣] في شرح الحديث: «استدل أصحابنا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيرها بصالح

---

(١) أي أنه تمادى في طلب مرعى الغنم حتى نام والداه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره برقم (٢٢٧٢)، ومسلم في كتاب الرفاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة برقم (٢٧٤٣).

(٣) يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي الإمام الحافظ العلامة الزاهد، تعلم في دمشق وحوى علماً كثيرة وصنف التصانيف الكثيرة النافعة أبرزها شرحه لصحيح الإمام مسلم. توفي سنة ٦٧٤هـ. (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٧١ - ١٤٧٤).

عمله، ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم»[١].

٣- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح مثل أن يحتاج المسلم إلى أمر، فيطلب من أخ له تُرجى إجابة دعوته أن يدعو له، وقد دلت السنة المشرفة عليه، كما فعله الصحابة ﷺ، فقد رَوى أنس بن مالك: أنّ رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل؛ فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا). قال أنس: ولا والله ما ترى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع[٢] من بيت ولا دار.

قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت في السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل؛ فادع الله يُمْسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم

---

(١) شرح مسلم، شرف الدين النووي ١٧/ ٥٦، الذكر ١١٠، المكتبة المصرية ومطبعتها دطت.

(٢) اسم لجبل في المدينة.

على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر)، قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس. رواه البخاري[(١)].

كما ثبت هذا النوع من فعل الصحابة ﷺ[(٢)].

فهذه الطرائق أو الوسائل مشروعة ولا تنافي التوحيد، بل من تأملها علم أنها من التوحيد، وما عداها فليس بمشروع لافتقاره إلى دليل، وما يفعله بعض المسلمين ليس حجة على الإسلام كما أسلفنا، والواجب على هذا الكاتب التنبيه إلى ما دل عليه القرآن والسنة في التوسل.

والتوسل بهذا المعنى جزء من السنة، أما التوسل الذي لم يأت في الكتاب والسنة ما يدل عليه، أو جاء النهي عنه، وهو ما أشار إليه الكاتب بأنه بدعة، وقد يكون شركاً أيضاً، فهذا ليس جزءاً من السنة، بل هو باق على بدعيته، بنصوص الشرع وبإجماع السلف الصالح، وأما عمل الجهلة فليس بحجة ولو كثروا، ولم يقع إجماع عليه أصلاً.

ومن الممكن أن نقول استناداً لما مضى من الأدلة إن التوسل: «إرفاق دعاء الله تعالى بشيءٍ من الوسائل التي شرعها الله لعباده»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة برقم (١٠١٤)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء برقم (٨٩٧).

(٢) انظر البخاري في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم (١٠١٠).

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ١٥٨.

فهذا معنى التوسل الذي يخالف معنى التبرك، حيث أن التوسل مصاحب للدعاء، ولا يستعمل إلا معه بخلاف التبرك.

أما عبارة «تبارك الله» التي زعم الكاتب: «أنها تلتبس على الأفهام»، فقد وردت في القرآن تسع مرات، وراجعت تفسير تلك المواضع في تفاسير متعددة، فلم أجدها تُشْكِل على أحد من المفسرين، ولم تلتبس على فهمه.

وهذه نماذج لأقوال المفسرين:

قال ابن كثير: «تبارك: وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة الدائمة»[1].

ولها معنى آخر يأتي بحسب سياق الكلمة وهو: السلامة من العيوب والنقائص[2].

قال القرطبي[3]: «قال الزجاج[4]: تفاعل من البركة، قال: ومعنى

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٨ في تفسير سورة الفرقان ١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٦ في تفسير سورة الزخرف ٨٥.

(٣) محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي أحد العلماء العباد، اشتهر بتفسيره للقرآن «الجامع لأحكام القرآن» وهو من أهم التفاسير المعتنية بالأحكام، توفي سنة ٦٧١هـ. (انظر مقدمة الجامع لأحكام القرآن حيث توجد ترجمة ضافية له).

(٤) إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج عالم النحو واللغة، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ (انظر الأعلام للزركلي ١/ ٤٠).

البركة:الكثرة من كل ذي خير.

وقيل تبارك : تعالى ، وقيل : تعالى عطاؤه ، أي زاد وكثر ، وقيل : المعنى دام وثبت إنعامه»(١).

وقال في موضع آخر : «تبارك : تفاعل من البركة ، وهي الكثرة والاتساع ، يقال : بُورك الشيء وبُورك فيه ، وقيل : إن باسمه يتبرك ويتيمن»(٢).

وقال ابن القيم : «وحقيقة اللفظ أن البركة كثرة الخير ودوامه ، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلاً منه تبارك وتعالى»(٣).

فالكلمة واضحة لا لبس فيها ، تأتي لتنزيه الله عن النقائص والعيوب ، كما تدل على التبرك باسمه سبحانه ، وإذا بارك الله في الشيء فإن بركة الله تقيه من عين السوء ، ومن كل مكروه ، وقد دلت السنة الشريفة على ذلك فقد قال ﷺ : (إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبية ١٣/ ١ في تفسير الفرقان ١ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، مصورة عن طبعة دار الكتب.

(٢) المرجع السابق ٧/ ٢٢٣ في تفسير الأعراف ٥٤.

(٣) بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٢/ ١٨٦ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، دطت.

يعجبه فليبركه فإن العين حق). رواه أحمد(١).

وقال ﷺ لما أصيب سهل بن حنيف بعين: (علامَ يقتل أحدُكم أخاه ألا برَّكت) رواه مالك(٢).

قال الباجي: «إن العائن إذا برَّك، وهو أن يقول: «بارك الله فيه»، بطل المعنى الذي يُخاف من العين، ولم يكن له تأثير»(٣).

* * *

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٤٧ برقم (١٥٧٠٠) والحاكم ٤/ ٢١٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٦.

(٢) الموطأ للإمام مالك رقم ١٠٨٨.

(٣) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، سليمان بن خلف الباجي ٧/ ٢٥٦، دار الفكر العربي، بيروت، دطت.

المبحث الرابع

وفيه مطالب

المطلب الأول: سب آلهة المشركين:

جاء في الدائرة: (ولا يجوز للمؤمنين أن يسبوا المشركين، بل يجب عليهم أن يصبروا، إلا إذا سبّ المشركون الله «سورة الأنعام الآية ١٠٨»)[١].

قلت: والآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢].

وليس معنى الآية ما ذكره الكاتب، بل هو مختلف تماماً.

وكما أن تفسيره مخالف للغة، فلم أجد شاهداً واحداً عليه من كلام المفسرين.

وهذا عرض لأقوال أئمة التفسير:

روى الطبري[٣] عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: «إن المشركين

---

(١) الدائرة الأولى، ١٣/ ٢٠٤، مادة شرك، بيوركمان.

(٢) الأنعام الآية: ١٠٨.

(٣) محمد بن جرير الطبري أشهر مفسري الإسلام وأغورهم علماً، كان عالماً بالسنن والآثار والفقه، وآية في معرفة الأخبار والتاريخ توفي سنة ٣١٠هـ (انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ – ٧١٦).

قالوا : يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا ، أو لنهجون ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ؛ فيسبوا عدواً بغير علم»[١].

وقال قتادة[٢] : «كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ؛ فيسب الكفار الله عدواً بغير علم ، فأنزل الله : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ .....﴾»[٣].

وقال القرطبي : «نهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثانهم «المشركين» ؛ لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفراً»[٤].

فسب آلهة المشركين – وليس المشركين كما قال الكاتب- في أصله جائز ، وإنما مُنِعَ إذا ترتب عليه مفسدة راجحة مثل سب المشركين لله تعالى ، وليس الأمر كما صوره الكاتب ، بتحريم السب مطلقاً إلا إذا سب المشركون الله ، بل ولم يكن مشركو مكة يسبون الله عز وجل عن علم في كافة الأحوال.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ٧/ ٢٠٧.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري حافظ علامة حدث عن الصحابة وحفظ علماً كثيراً قال الإمام أحمد : «قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه» وكان رأساً في التفسير والحديث واختلاف العلماء والعربية وأيام العرب ، توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ. (انظر تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ – ١٢٤)

(٣) تفسر ابن كثير ٢/ ١٦٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٦١.

قال ابن الجوزي[(١)] : ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ أي فيسبوا من أمركم بعيبها فيعود ذلك إلى الله تعالى ، لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى ، لأنهم كانوا يقرون أنه خالقهم وإن أشركوا به»[(٢)] .

وقال الألوسي : «ومعنى سبهم الله عز وجل إفضاء كلامه إليه كشتمهم له ﷺ ولم يأمره ، وقد فسر ﴿بغير علم﴾ بذلك أي فيسبوا الله تعالى بغير علم أنهم يسبونه ، وإلا فالقوم كانوا يقرون بالله تعالى وعظمته ، وأن آلهتهم إنما عبدوها لتكون شفعاء لهم عنده سبحانه ، فكيف يسبوه؟»[(٣)] .

قلت : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) عبدالرحمن بن علي الجوزي البغدادي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق ، أحد أفراد العلماء في العلم والوعظ والفصاحة والبيان والتاريخ والتفسير والحديث صاحب التصانيف الكثيرة النافعة ، يحضر مجالس وعظه الجموع الكثيرة والملوك والأمراء والوزراء ، ووضع له القبول في الأرض ، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٨ – ٣٠)

(٢) زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ٣/ ١٠٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ .

(٣) روح المعاني ، محمود الألوسي البغدادي ٧/ ٢٥١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) الزخرف الآية: ٨٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ ﴾(١).

وقد ذكر الله تبرير المشركين لشركهم بقوله سبحانه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾(٢).

لقد خالف الكاتب المنهج العلمي في هذه المادة، فلم يرجع الكاتب إلى أي تفسير معتبر للقرآن على وفرتها، وإنما فسّر كلام الله تفسيراً خاطئاً من عنده، في موسوعة إسلامية مرجعية.

المطلب الثاني: التَّقِيَّة:

جاء في الدائرة في بيان معنى التقية الواردة في القرآن: (التقية لغة: الحذر والخوف أو الكتمان، واصطلاحاً: ترك فرائض الدين في حالة الإكراه أو التهديد بالإيذاء، وفي مسائل العقائد تخلَّص محمد نفسه من العذاب في سبيل الدين بالقول بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب، وإنما شُبِّهَ لمن زعموا قتله، كما تخلّص من العذاب في الحياة بالهجرة، وبإباحة إنكار العقيدة عند الضرورة «سورة النحل

---

(١) الزمر الآية: ٣٨.

(٢) الزمر الآية: ٣.

الآية ١٠٨» واتخاذ الكافرين أولياء «سورة آل عمران الآية ٢٧» وأكل ما حُرِّم «سورة الأنعام الآية ١١٩، سورة المائدة الآية ٥»، وهذه النظرة عامة في الإسلام)[١].

قلت: الكلام السابق مجانب للصواب من وجوه عديدة:

أولها: لا يطلق هذا الاصطلاح «التقية» على ترك فرائض الدين في حالة الإكراه، فهو غير معروف بهذا المعنى عند أهل السنة، ولا يوجد في الكتب المصنفة للمصطلحات العلمية عند أهل السنة، لاسيما وكلام الكاتب السابق كان يشير به إلى أهل السنة، والذي يطلق على ترك فرائض الدين حال الإكراه، وأكل ما حُرِّم عند الاضطرار: «ضرورة» وليس «تقية»، والقاعدة الفقهية المعروفة: «الضرورات تبيح المحظورات»[٢].

ثانيها: لم يتعرض النبي ﷺ للتهديد بالإيذاء أو التعذيب لأنه قال: «إنّ عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب» ولم يأت ذلك في كتب السيرة التي نقلت تفاصيل سيرته ﷺ، كما لم يرد ذلك في كتب السنة التي نقلت عامة

---

(١) الدائرة ١٠/ ٤، مادة التقية، شتروتمان.

(٢) شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، ١٣١، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، ولم يرد ذلك أيضاً في حديث صحيح أو حسن ، بل ولا ضعيف ، كما أنه لم يرد في كتب المسلمين في كافة فروع العلوم الإسلامية ، بل هي دعوى عريضة خالية من أي برهان ، وتتناقض مع أبسط القواعد العلمية الواجب على الباحثين التزامها لاسيما في الموسوعات العلمية.

ثالثاً : إن الآيات الكريمة المبينة لمصير عيسى عليه السلام وهي قول الله عز وجل في سياق ذمه لليهود : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. والتي أشار الكاتب لمعناها قد نزلت على النبي ﷺ وهو في المدينة في عزة ومنعة لا يحتاج معها للتقية التي أشار إليها الكاتب.

رابعاً : إن النبي ﷺ قد أتى بما يخالف اليهود والنصارى في مسألة عيسى عليه السلام.

فاليهود ادَّعوا كذب المسيح ، ثم اعتقدوا أنهم قتلوه ، فرد الله عليهم بالآيات السالفة.

---

(١) النساء الآيتان: ١٥٧ – ١٥٨.

والنصارى جعلوه إلهاً، وثالث ثلاثة، وابناً لله؛ فرد الله عليهم بعد عدة آيات من نفس السورة بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[1].

إذاً من يكرهه على ذلك وقد خالف الجميع!؟

خامساً: إنّ ما ادعاه الكاتب ليس من منهج الأنبياء المأمورين بإبلاغ الرسالة، والصبر في سبيلها، وهو مخالف للبيان وإيضاح الحق، ولو صح ذلك لكان تغريراً بالأمة.

وإن كان الكاتب لا يؤمن برسالته ﷺ، فإنني أقول: لو ارتضى النبي ﷺ هذا الأمر لفعله في مكة، وهو يعارض المشركين ويبين ضلالهم أتم بيان، رغم كونه ﷺ مهدداً مطارداً، حتى بلغ الأمر العزم على قتله، بل شرعوا في ذلك، وهو لا يكف عن دعوته، حتى هاجر إلى المدينة، ثم بعد أن فعل ذلك وكوّن الدولة، وانتصر على المشركين في بدر، وأصبح في قوة ونصرة يفعل ذلك!؟.

---

(١) النساء الآية: ١٧١.

سادساً : إن النبي ﷺ لو فعل ذلك إكراهاً لبيّنه فيما بعد لعامة الناس بعد زوال الإكراه ، أو على الأقل لعَلِمَه أصحابه المقربون منه ، أما أن يفعل ذلك ثم يترك الأمر في قرآن يتلى إلى يوم القيامة فهو أبعد ما يكون.

سابعاً : إن مثل هذه الدعوى من الممكن أن تقال في كثير مما أخبر به الأنبياء عليهم السلام مثل أن يقال : إن النبي أخبر بأن إبراهيم وموسى وعيسى رسل من باب التقية ، وأنه أخبر بيوم القيامة كذلك ، وأنه أمر بالحج إلى البيت الحرام كذلك ، وأن عيسى صدّق بموسى وما سواه من الأنبياء من باب التقية لليهود ، وأنه رفع من شأن بيت المقدس لنفس الأمر ، وهكذا.

المطلب الثالث : تقديس جبل أبي قبيس :

جاء في الدائرة : (أبو قبيس : تل مقدس على حد مكة).

وجاء بعدها : وتذهب الرواية الإسلامية إلى أن أبا قبيس هو أول جبل خلقه الله) [(١)].

قلت : لم يرد في السنة الصحيحة أن أبا قبيس تل مقدس ، أو أنه كان له خاصية معينة تجعله كذلك.

وقد ورد في السنة عن جبل أحد الذي بجوار المدينة : قوله ﷺ : (أحد جبل يحبنا ونحبه) متفق عليه [(٢)] ، ومع ذلك لم يقل أحد من علماء

---

(١) الدائرة ١/ ٥٧٦ ، مادة أبو قبيس ، رنتو.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب «أحد يحبنا»، برقم (٤٠٨٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه، برقم (١٣٩٢).

المسلمين إنه مقدس.

أما الذي ورد أنه مقدس : فهو الوادي طُوى الذي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1].

ومع ذلك لم يقل أحد من العلماء أنه يشرع قصد العبادة فيه ، كما يتوهم البعض من كلمة مقدس !.

أما كونه أول جبل خلقه الله ، فلم أجد هذه الرواية ، والكاتب لم يذكر مصدرها ، ولو صحت فلا يكون مقدساً لكونه أول جبل خلقه الله !.

المطلب الرابع : خرافات أخرى :

جاء في الدائرة الترويج لبعض الخرافات المنافية لهذا النوع من التوحيد ، ومن ذلك : (وقيل إن كل من يقول : «سَرْق ، حَرْق ، غَرْق» ثلاث مرات في الصباح والمساء ، يكون بمنجاة من السرقة والحريق والغرق ، كما يكون بمنجاة من الشياطين والثعابين والعقارب)[2].

وقد حشر هذه الجملة داخل قصة موسى مع الخضر من غير ذكر مناسبتها.

---

(١) طه الآية: ١١ – ١٢.

(٢) الدائرة ٤/ ٣٨٣ – ٣٨٤ ، مادة إلياس ، فنسنك.

ولا جواب لي سوى أن هذه خرافة بينة البطلان ولم تأتِ في كتاب ولا سنة ، أو في كتاب معتبر عند المسلمين ، بل ولا يعرفها أكثر المسلمين.

فهو لم يأت بما صح في مصادر الإسلام ، أو بما انتشر بين المسلمين من الأدعية الثابتة في هذا المقام ، بل عمد إلى بدعة وخرافة مخالفة للإسلام ويجهلها غالب المسلمين.

والواجب بيان ذلك ؛ لا أن يُفهم أن ذلك من اعتقادات المسلمين.

* * *

الفصل الثاني

توحيد الربوبية والأسماء والصفات والتعدد

في دائرة المعارف الإسلامية «توحيد الخبر»

المبحث الأول: نظرة عامة على ما في الدائرة حول هذه المواضيع .

المبحث الثاني: توحيد الربوبية والأسماء والصفات في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: تبرئة عقيدة التوحيد من الحلول.

المبحث الرابع: طعن الدائرة في قَدَر الله.

المبحث الخامس: ادعاء أن إثبات الصفات على ظاهرها يستلزم التمثيل.

المبحث السادس: ادعاء الغموض في صفات الله تعالى.

المبحث السابع: ادعاء التناقض في صفات الله تعالى.

المبحث الثامن: ادعاء تأليف النبي ﷺ لصفات الله تعالى.

المبحث التاسع : إنكار الأحاديث الصحيحة في الصفات.

المبحث الأول

نظرة عامة لما ورد في الدائرة

جاءت محاولات في الدائرة من قبل ماكدونالد وشترو تمان لتبرير مذهب الحلول زاعمين وجود أصوله في القرآن، وعلى لسان الصحابة.

كما جاء الطعن في قدر الله باعتباره متناقضاً مع المسؤولية الفردية من قبل (كارديه)، والخلط بين مذهب أهل السنة وغيرهم في القدر من قبل (ده بور).

وفيما يتعلق بالصفات فقد وردت صفات الله في الدائرة في مواد كثيرة، وكتب عنها مستشرقون مختلفون، ولهذا فمن الصعب إعطاء حكم واحد لجميع ما كتب، فهي ليست على منوال واحد، وكالعادة سوف أركز في الرد على الانحرافات الموجودة.

ولكن قبل ذلك أشير في عجالة لما كُتب على وجه الإجمال:

إن أكثر من كتب هم (كارديه) و(باريه) و(ماكدونالد)، وكتاباتهم ليست متفقة، فقد كتب كارديه حول لفظ الجلالة «الله»، وكانت كتاباته من أفضل الكتابات الموجودة في الدائرة، وقد كتب عن الصفات كما جاءت في القرآن، ونفى وجود أي تناقض فيها، وكتاباته لا يظهر عليها تعمد التشويه. ومن كتاباته: (دعوة القرآن إلى الله تدور كلها على محور

واحد: هو تأكيد وحدانيته وأحديته وعلوه وبقائه وكماله المطلق، وطبيعة الذات الإلهية التي لا تدرك تؤكد في يقين جازم؛ فالله القادر على كل شيء، القريب لا يمكن أن يُدرك إلا «بكلمته» وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكيته المطلقة للملك التي يكشف عنها هو ذاته)[1].

كما كان أكثر الكتّاب إنصافاً حتى في ذكر الخلاف بين المذاهب في الصفات.

ومما يؤخذ عليه: أنه كغيره من كتّاب الدائرة يُخطئ في نسبة مذهب أهل السنة، ذلك أنه يجعل مذهب السلف الصالح التفويض، وأن الأشاعرة أحدثوا عليه تعديلات انتهت بالمذهب الأشعري المعروف، ومذهب أهل السنة هو من إحداث المتأخرين من السلفيين، ولكنه لا يصفهم بالتشبيه والتجسيم كغيره.

وكتب (باريه) في مادة التأويل، وكتاباته وإن كانت أقل جودة من السابقة، إلا أنها – رغم ما فيها من الأخطاء- أفضل بكثير من الكتابات الأخرى، فكان مما قاله عن التأويل: (اصطلاحاً يطلق على تفسير مادة القرآن؛ والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءاً إضافياً هاماً للشرح اللفظي الظاهري للقرآن الذي صار يسمى بالتفسير، ولم يجد علماء السنة

(١) الدائرة ٤/ ٣٢٠، مادة (الله)،كارديه.

مسوغاً لإنكاره ما دام لا يناقض المعنى الظاهري الحرفي للقرآن والسنة. ولكن المسألة تغيرت عندما أصبح التأويل لا تراعى فيه هذه الشروط، والصوفيون، وإخوان الصفا، والشيعة، والمدارس الفكرية التي لم تمرق من الإسلام ولكنها انحرفت إلى حد ما عن طريق السنة وجدوا جميعهم في التأويل أداة صالحة لجعل آرائهم متفقة مع المعنى الحرفي للقرآن، بل ذهبوا إلى حد استنباط آرائهم من نصوصه. وإلى جانب التفسير الحرفي لنصوص القرآن نشأ تفسير رمزي النزعة وجد في ثنايا القرآن أفكاراً بعيدة عن المألوف، وقد صارت المدارس المتطرفة ترى في هذا النقل والتحوير للمعنى الظاهر السبيل الوحيد لتفهم القرآن) (١).

ففي هذا الكلام نقاط صحيحة يخلط فيها أكثر كتاب الدائرة، ومن ذلك: معنى التأويل وموقف أهل السنة منه، والحكم على الصوفيين، والشيعة، وإخوان الصفا بالانحراف عن الإسلام، والحكم على أصحاب التفسير الرمزي بالمتطرفين.

كما أنّ فيه أمور لا تُقر، ومن ذلك حكمه على إخوان الصفا بعدم المروق من الإسلام مع أن عقائدهم باطنية فلسفية مشحونة بالكفر، وهم يصرحون بباطنيتهم في رسائلهم، ومن ذلك قولهم: «الكتب الإلهية

(١) الدائرة ٩/ ١٦٢، التأويل، باريه.

تنزيلات ظاهرة، وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، ولها تأويلات باطنية خفية، وهي المعاني المفهومة المعقولة»(١)، وعند تطبيقهم لهذا المبدأ نجد العقائد المُنكِرة لما قرره القرآن من فروع الدين وأصوله، فهم لا يؤمنون بالبعث الجسماني، ولا بالجنة والنار كما في القرآن، وإنما يؤولون ذلك إلى أن الجنة انطلاق الأرواح في عالمها! والنار حبس الأرواح في العالم المادي! فينكرون الحشر والنعيم والعذاب الحسي(٢) كأكثر الفلاسفة الذين كفّرهم الغزالي في تهافت الفلاسفة.

والملائكة عند إخوان الصفا هي النفوس الخيرة بعد الموت! والشياطين هي النفوس الشريرة بعد الموت!(٣).

كما يؤمن هؤلاء بنظرية الفيض، ويصوغون في ذلك تصوراً فلسفياً كاملاً عن الكون(٤).

والنبوة عندهم مكتسبة، فالفلاسفة أنبياء، ويجعلون الأنبياء طبقات، فنجد في الطبقة الأولى موسى، وعيسى، و محمد، وزرادشت، وسقراط،

---

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، الرسالة السادسة من الإلهيات ٤/ ١٣٨، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

(٢) رسائل إخوان الصفا، الرسالة الأولى من الإلهيات ٣/ ٣٤١.

(٣) رسائل إخوان الصفا، الرسالة السادسة عشر من الطبيعيات ٣/ ٨١.

(٤) رسائل إخوان الصفا، الرسالة الأولى من الإلهيات ٣/ ٩٧ – ٩٨.

وفيثاغورس، وعلي، والحسين، طبقة واحدة[١]، بل أن من يعرف الله حق معرفته لا يحتاج إلى الرسل[٢].

كما أنهم يؤمنون بصلب المسيح[٣] مع أن القرآن الكريم كذّب ذلك صراحة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٤].

كما أن قوله: (وجد في ثنايا القرآن أفكار بعيدة عن المألوف) أيضاً غير صحيح، وما من كلام إلا ويمكن تحريفه مهما كانت درجة وضوحه، خاصة عند الباطنية وأصحاب النزعة الرمزية.

أما (ماكدونالد) فكان مجحفاً أشد الإجحاف، فقد تبنّى شُبَه المعتزلة والجهمية، وزاد عليها، فشابه المعتزلة والجهمية بأن زعم: أن ما يظهر من صفات الله في القرآن (تشبيه وتجسيم)، مما يستدعي أن يُصرف ذلك الظاهر لتنزيه الله عنه، فيؤول إلى معاني مجازية تستلزم نفي حقائق الصفات، كما طعن في الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالصفات من غير أي دراسة لأسانيدها.

---

(١) رسائل إخوان الصفا، الرسالة الرابعة من الإلهيات ٤/ ٥٧.

(٢) رسائل إخوان الصفا، الرسالة الرابعة من الإلهيات ٤/ ٥٧.

(٣) رسائل إخوان الصفا، الرسالة الثالثة ٤/ ٩٧.

(٤) الآيتان ١٥٧ – ١٥٨.

كما زاد على المعتزلة بأن تنقّص من صفات الله؛ حيث زعم أن بعضها صفة نقص مثل «المتكبر»، والبعض الآخر يطلق على الشيطان مثل «الضار»، وأن صفاته سبحانه متناقضة مستحيلة، وفي أحسن أحوالها غامضة ومضللة،!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وكالعادة زعم أن صفات الله في القرآن من تأليف النبي ﷺ، فبعضها استقاها من أهل الكتاب، والبعض الآخر من جنوب جزيرة العرب، والبعض الثالث من ابتكاراته، وأن لوازم السجع حملت النبي ﷺ على وصف الله ببعض صفاته، وأخيراً زعم أن توحيد الله في القرآن يفضي إلى عقيدة الحلول.

ثم يخطئ في نسبة مذهب أهل السنة في الصفات بنسبة المذهب الأشعري إليهم، ومما قاله: (وهناك مشكلة على جانب كبير من الأهمية في علم الكلام، وهي علاقة هذه الصفات بذاته، والحقيقة الثابتة التي انتهى إليها أهل السنة بعد الجدل الطويل هي أنها خالدة قائمة بجوهره، وهي ليست هو سبحانه، وليست هي شيئاً آخر سواه) [١].

وما ذكره ليس مذهب أهل السنة والجماعة، وإنما هو مذهب الأشاعرة،

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٣٣ – ٢٣٤، صفة، ماكدونالد.

وقد دأب الكاتب وغيره من بعض كتاب الدائرة على تحميل أهل السنة رأي الأشاعرة، ووصف أهل السنة بالسلفيين في أحسن الفروض، أو المتعصبين من أهل الحديث في أحيانٍ كثيرة كما سيأتي!.

ولم تكن هذه القضية مشكلة عند أهل السنة، ولم يُثر فيها جدل طويل أو قصير في دوائر أهل السنة، وإنما ذلك عند غير أهل السنة والجماعة، أو على الأقل كان هذا الجدل والاختلاف مخالفاً لمذهب أهل السنة؛ إذ أنهم لا يحكمون على الصفات بذلك، إذ أن صفات الله تعالى لا توصف بأنها هي أو غيره، وسيأتي بيان مذهب أهل السنة في المبحث الثاني.

كما كتب (شتروتمان) كتابات قليلة واصفاً صفات الله بالتشبيه، كما تنقّص من عقيدة القرآن في الصفات، واتهم أهل السنة بالتشبيه والتجسيد كالحنابلة، وابن تيمية، والمرابطين وأتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وسأفرد كل مجموعة من الشبهات المتقاربة في مبحث، ولكنني سوف أقدم رداً إجمالياً أبين فيه ما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة، وهذا هو مذهب سلف الأمة وأهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة.

* * *

المبحث الثاني

توحيد الربوبية والأسماء والصفات في القرآن والسنة

أولاً: توحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بالخلق والتدبير كالرزق والإحياء والإماتة، وكل ما يكون فإنه من فعله سبحانه، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢).

وهذا النوع من التوحيد مستقر في الفطر، وقد أقرّ به المشركون في الغالب كما سبق، وقد ورد هذا النوع من التوحيد في القرآن الكريم كثيراً لمحاجة المشركين بهذا الإقرار لإثبات توحيد الألوهية؛ إذ أن الخالق المدبر هو المستحق وحده للعبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣).

---

(١) الأعراف الآية: ٥٤.

(٢) فاطر الآية : ٣.

(٣) البقرة الآية: ٢١.

ومن توحيد الربوبية: الإيمان بقدر الله تعالى، وهو من الأصول العظيمة التي يجب الإيمان بها، وقد تواترت النصوص بذلك ومنها:

قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٢]، وقوله ﷺ: عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٣].

والإيمان بالقدر يشمل الإيمان بأربعة مراتب دل عليها القرآن الكريم، وهي:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط لما سيكون على وجه التفصيل، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، وقال سبحانه واصفاً نفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٥].

---

(١) القمر الآية: ٤٩.

(٢) الأحزاب الآية: ٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٨).

(٤) الأنفال الآية: ٧٥.

(٥) الجن الآية: ٢٦.

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ لما هو كائن قبل خلق السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١]، وقال ﷺ: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ». رواه مسلم[٢].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله وإرادته النافذة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته سبحانه، قال عز وجل: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[٤].

ولا يعني هذا سلب إرادة العباد، ذلك أن الله أثبت لهم إرادة ومشيئة، وهذا معلوم بالضرورة في الواقع، قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن

---

(١) الحج الآية: ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

(٣) يس الآية: ٨٢.

(٤) آل عمران الآية: ٤٧.

يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾[(٣)]، ولكنها لا تخرج عن مشيئة الله سبحانه القائل: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٤)].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء بمشيئته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[(٥)]، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[(٧)].

---

(١) آل عمران الآيات: ١٤٥.

(٢) المزمل الآية: ١٩.

(٣) المدثر الآيات: ٣٥ – ٣٧.

(٤) التكوير الآيات: ٢٨ – ٢٩.

(٥) الأنعام ١٠٢.

(٦) الرعد الآية: ١٦.

(٧) القصص الآية: ٦٨.

ويدخل في ذلك أفعال العباد، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

فهم فاعلون لها حقيقة حيث نسب القرآن فعلها لهم، ونسب الخلق لله سبحانه وتعالى.

فهذه مراتب القَدَر الأربعة والتي دلَّ عليها القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

ويعارض هذا النوع من التوحيد إنكار الرب سبحانه كما هو عند الدهريين الذي حكى الله قولهم في القرآن: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٢)، ومن شابههم من ملاحدة اليوم مثل الشيوعيين.

كما يعارضه ادعاء الربوبية كما فعل فرعون، أو ادعاء حلول الرب في غيره كما عند بعض اليهود في عُزير، وبعض النصارى في المسيح، وكما هو موجود عند بعض الطوائف المنحرفة في الإسلام.

أو نسبة بعض أفعاله إلى غيره كما في المجوسية من نسبة الشر

---

(١) الصافات الآية: ٩٦.

(٢) الجاثية الآية: ٢٤.

للظلمة، وفي القدرية من نسبة بعض أفعال العباد إليهم، فكل هذا معارض صراحة للآيات الكريمة السابقة.

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

سمّى الله نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ بالأسماء الحسنى، كما وصف نفسه سبحانه بالصفات العُلَى، ومن ذلك:

قول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

وقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٣).

---

(١) البقرة الآية: ٢٥٥.

(٢) الحديد الآية: ٣.

(٣) الحشر الآيات: ٢٢ – ٢٤.

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وقول رسول الله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدين وأغنني من الفقر». رواه مسلم[١].

وقال النبي ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة». متفق عليه[٢].

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة.

ونزَّه نفسه عن الشبيه والكفء والشريك والولد والوالد والزوجة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عن النوم وأخذ المضطجع برقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، برقم (٢٨٢٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، برقم (١٨٩٠).

(٣) الشورى الآية: ١١.

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1].

وقول عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾[3].

وقال النبي ﷺ لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: « أيها الناس اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً ». متفق عليه[4].

فأسماء الله وصفاته لا نقص فيها بوجه من الوجوه بل له سبحانه الأسماء الحسنى كما أخبر عن نفسه سبحانه.

فيؤمن أهل السنة بهذه الأسماء وما تتضمنها من صفات وغيرها مما وصف الله به نفسه، ويثبتون تلك الصفات كما وردت في الكتاب والسنة

---

(١) الإخلاص الآيات: ١ – ٤.

(٢) الجن الآية: ٣.

(٣) الإسراء الآية: ١١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم (٤٢٠٥).

ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).

من غير تحريف لمعانيها؛ إذ أن التحريف عدول عن مراد الله، أو تكييف لها؛ لأن المخلوقين لا يحيطون بالله علماً، ولا يشبهون صفات الله بخلقه؛ لأنه سبحانه لا مثيل ولا كفء له، كما أنهم لا يعطلون تلك الصفات بنفيها، إذ أن النفي جحود لتلك النصوص جميعاً.

ولقد ظن كثير من المتأخرين أن إمرار السلف لآيات الصفات كما جاءت من غير بحث لحقيقتها؛ إنما هو تفويض لمعانيها خوفاً من الوقوع في التشبيه، وهذا ليس بصحيح إذ نشأ خلط عند هؤلاء المتأخرين بين المعاني والكيفية.

فمن المحال أن يجهل سلف الأمة الذين نزل عليهم القرآن ثم الذين من بعدهم من التابعين معاني الصفات، أو يعلموه ثم يتواطئوا جميعاً على كتمانه، ثم تتفق عقول أولئك المتأخرين على معانيه التي تخالف ظاهر القرآن.

«ولو كان عند السلف أي جهل بمعاني تلك الصفات لسألوا عنها النبي ﷺ، لأن من في قلبه أدنى حياة وطلب علم، أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه، أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا معلوم بالفطرة، فلا يعتقد مسلم أن أولئك السلف

كانوا معتقدين في هذا الباب بغير الحق أو قائليه، ولا يقوله أيضاً عاقل عرف حال القوم»[١].

إن معاني تلك الصفات معلومة حسب اللغة، بخلاف كيفياتها التي لا ندركها، ومن المعلوم أن معنى «غفور رحيم» يختلف عن «شديد العقاب»، ومن حكى عن السلف المساواة بين المعنيين؛ فقد أخطأ في حقهم، وفي حق كتاب الله.

«ولئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين»[٢].

إن السلف الصالح ليثبتون تلك الصفات على معانيها الظاهرة المعلومة، والتي لا تقتضي تشبيهاً ولا تجسيماً، وهذا المذهب هو مذهب أهل السنة لم يتغير، ومن حاد عنه فقد ترك العقيدة التي دل عليها القرآن والسنة وفهمها السلف الصالح وعملوا بها.

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ٥ – ٦ بتصرف، المكتبة السلفية، القاهرة الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ، وهي ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٨.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى ١١، مجموع الفتاوى ٥/ ١٦.

وهذه مقتطفات لأقوال من السلف الصالح يترجمون هذه العقيدة بكلمات قليلة محكمة:

لما سئل ربيعة[(١)] عن الاستواء، قال - رحمه الله-: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»[(٢)].

وقال الإمام مالك[(٣)] لما سُئل عن كيفية الاستواء: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(٤)].

---

(١) ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ التميمي بالولاء مفتي المدينة وعالم زمانه من أئمة الرأي والاجتهاد، جلس إليه علماء المدينة وأشرافهم، ولازمه الإمام مالك توفي سنة ١٣٦هـ (انظر سير أعلام النبلاء، الإمام محمد بن أحمد الذهبي ٦/ ٨٩ - ٩٦، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم هبةالله بن الحسن اللالكائي ٣/ ٣٩٨، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى، وأخرجه البيهقي بسند أخر واختلاف يسير في اللفظ في الأسماء والصفات ٥١٦، دار الكتب العلمية، دطت، وصححه ابن تيمية عن ربيعة (الفتاوى ٥/ ٣٦٥).

(٣) الإمام مالك بن أنس الأصبحي ٩٣ - ١٧٩هـ أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المشهور المتبوع، والإمام في الحديث الشريف وصاحب الموطأ، ولد وعاش بالمدينة النبوية، وقصده الناس من كل مكان. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٤٣ - ١٢٠).

(٤) الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي ٥١٦، دار الكتب العلمية،=

وليس البدعة السؤال عن معانيها؛ إذ المعنى غير مجهول، وإنما عن الكيفية.

وقال نعيم بن حماد[١]: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف به نفسه تجسيم ولا تشبيه»[٢].

وأقوال السلف في هذا المعنى كثيرة جداً.

وقال أبو عمر بن عبدالبر[٣] ملخصاً لمذهب السلف: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، الإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من

=بيروت، دطت، شرح اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٣/ ٣٨٩، وقال ابن حجر: «وأخرج البيهقي بسند جيد... وذكره» انظر الفتح ١٣/ ٤٠٧ في التوحيد ٢٢.

(١) نعيم بن حمّاد من أئمة السنة وشيخ الإمام البخاري ممن امتحن بفتنة خلق القرآن وتوفي في السجن سنة ٢٢٨هـ. (انظر تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٤٥٨ – ٤٦٣).

(٢) مختصر العلي الغفار للحافظ الذهبي ١٨٤، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، والأثر صححه الذهبي والألباني في نفس المرجع.

(٣) يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي المالكي ٣٦٨ – ٤٦٣هـ الحافظ المحدث والمؤرخ الأديب، يقال له حافظ المغرب، رحل كثيراً وتولى القضاء، وله المؤلفات الكثيرة. (انظر الأعلام للزركلي ٨/ ٢٤٠).

ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج: فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة؛ ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة»[١].

وقال ابن تيمية أيضاً: «ومذهب السلف أنه يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجٍ؛ بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في البيان والتعريف، والدلالة والإرشاد»[٢].

* * *

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٨٧.

(٢) الفتاوى ٥/ ٢٦.

المبحث الثالث

وصف توحيد الله بالحلول

جاء في الدائرة محاولات لربط عقيدة الحلول بالتوحيد لتبرير مذهب الحلول باعتبار وجود أصوله في القرآن، وعلى لسان الصحابة، ومما جاء فيها: (إن فكرة التوحيد أبعد ما تكون عن البساطة فهو إما ظاهر أو باطن، من معانيه: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومن معانيه: أنه واحد في ذاته، ومن معانيه: أن الله هو الموجود الحقيقي، وكل ما سواه وجوده ظل وجود الحق، وقد يتوسع في ذلك إلى القول بالحلول: أي أن الله هو الكل، والخلاصة أن التوحيد هو القول بأن لا إله إلا الله، أو القول بالحلول)(١).

كما جاء كذلك: (وهذا التصور: هو تصور ظهور الإله في أشخاص البشر. وهذا التصور لم يكن غريباً على محمد ﷺ؛ لأن المسيح مثلاً كان في نظره «كلمة الله» [سورة آل عمران ٤٠]، لكنه لم يجعل الوساطة في النجاة في شخص يكون بين الله والإنسان .... إلى أي حد كانت آراء الشيعة من ظهور الإله في البشر، ومن شفاعة الإمام استمراراً مباشراً لتلك

(١) الدائرة ١٠/ ١٠٦، التوحيد، ماكدونالد.

التصورات المماثلة التي ناطها بحسب ما يرويه ابن إسحاق بعض شعراء الإسلام الأولين بشخص محمد ﷺ)[١].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: هذه الخلاصة التي ادعاها الكاتب في أعظم حقيقة في الوجود بقوله: (والخلاصة أن التوحيد هو القول بأن لا إله إلا الله، أو القول بالحلول) من الخطأ البين. وقد سبق بيان حقيقة التوحيد في الإسلام الذي هو توحيد الله، وهو أبعد ما يكون عن الشرك والحلول، وإن غاية ما في الأمر: انحراف فئة ضالة من المسلمين وتأثرهم ببعض الفلسفات القديمة والعقائد النصرانية المحرَّفة، فابتعدوا عن عقيدة التوحيد التي جاء بها القرآن، وجاءوا بالعقائد المنحرفة وسموها توحيداً.

الثاني: أن ما استدل به الكاتب هو في الحقيقة دليل ضده حيث أن الآية الكريمة التي وردت فيها «كلمة الله» إنما هي رد على النصارى المغالين في عيسى عليه السلام القائلين بالتثليث أو ببنوَّة عيسى، أو الزاعمين بتجسد الإله فيه، لا على حلول الإله كما زعم.

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٦٠ - ٦١، الشيعة، شتروتمان.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[١].

وتدل الآية: أن عيسى عليه السلام خُلق بالروح والكلمة التي أرسل بهما جبريل عليه السلام، فنفخ في مريم عليها السلام، والكلمة هي: «كن فيكون» التي كانت السبب في وجود عيسى عليه السلام[٢]، فكلاهما نُفخ فيه الروح وقيل له: كن، فكان؛ لذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

ليس بصحيح ما ذكره عن شعراء الإسلام الأولين، وقد ذكر ابن إسحاق مئات الأبيات، وليس فيها ما يدل على الحلول أو يكون بداية له، بل لم أجد الأبيات التي عناها، والمستشرق لم يذكر نص الأبيات حتى تناقش.

---

(١) النساء الآية: ١٧١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠.

(٣) آل عمران الآية: ٥٩.

وإذا فُهم الكلام على غير وجهه بعد بيانه، فالآفة من الفهم، لا من كلام المتكلم.

وقد فهم أقوام من كتاب الله، الفهم الذي ينافي ما جاء به القرآن صراحة؛ بل استدلوا به على ما يدعون، كما فهم عبدالله بن عمرو بن الكندي من الشيعة من قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾[1]، حيث قال: «إن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ»[2].

ومثل زعم بيان بن سمعان: أنه هو المبشر بقول الله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]، وقال: «أنا البيان وأنا الهدى والموعظة»[4].

ومثل زعم بعض النصارى بأن القرآن يدل على التثليث بقوله تعالى:

---

(١) المائدة الآية: ٩٣.

(٢) الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ١/ ١٥١ – ١٥٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) آل عمران الآية: ١٣٨.

(٤) الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ٢٣٧، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، دطت.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنه ذكر ثلاثة أسماء، فأجابه بعض الظرفاء بأنك قصّرت، وعليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع!، لوجود سبعة أسماء بمبدأ سورة المؤمن: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1][2].

ففهمُ أولئك المنحرفون ليس بحجة على كلام الله تعالى، كما لا يصح كلام الكاتب أن تلك الأقوال المنحرفة استمرار مباشر للشعر الإسلامي في الصدر الأول، وكان عليه أن يأتي بذلك الشعر ويبين وجوه المماثلة. وأما الدعوة المجردة فليست بحجة.

الرابع: شفاعة الإمام[3] التي ذكرها فلابد أولاً من بيان العقيدة الإسلامية في الشفاعة، حيث هناك شفاعتان:

شفاعة أثبتها القرآن بالشروط الشرعية: وهي أن يكون صاحبها من أهل

---

(١) غافر «المؤمن» الآيات: ١ – ٣.

(٢) إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الهندي ١/ ٩٣، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) الشفاعة من المفترض أن تعالج في توحيد الألوهية، ولكن نظراً لتواصل الكلام فيها مع الحلول صَعُبَ بترها عن سياق الكلام.

التوحيد، ولازم ذلك أن تُطلب من الله وحده؛ لأن الله تعالى ذم من طلبها من غيره. يقول سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[(١)].

كما يشترط فيها: إذن الله ورضاه للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، قال سبحانه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾[(٤)].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[(٥)].

والشفاعة الأخرى: هي الشفاعة المنفية، وهي التي نفاها القرآن،

---

(١) الزمر الآية: ٤٣ – ٤٤.

(٢) البقرةالآية: ٢٥٥.

(٣) الأنبياء الآية: ٢٨.

(٤) النجم الآية: ٢٦.

(٥) طه الآية: ١٠٩.

وذلك لعدم تحقق الشروط السالفة كأن تكون من أهل الشرك، أو عدم تحقق إذن الله للشافع، أو عدم رضاه سبحانه عن الشافع والمشفوع، وقد جاءت الآيات الكريمة بنفي هذا النوع من الشفاعة. قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[١].

ولا يوجد في الشعر الإسلامي في الصدر الأول في الشفاعة إلا ما يوافق كتاب الله، وهي شفاعة النبي ﷺ والصالحين الموافقة للشروط السابقة، أما الشفاعة المنفية الشركية فحاشا شعراء النبي ﷺ أن يقعوا فيها، ولم يذكر الكاتب الأبيات المقصودة.

فالذي في القرآن وشعر الصحابة هو ما تقدم من الشفاعة المثبتة.

أما عقيدة الشيعة في الأئمة وغلوهم فيهم، فهو انحراف يُنسب إليهم وحدهم لا إلى العقيدة الإسلامية التي مصدرها الكتاب والسنة.

وأخيراً: فإن من المفارقات العجيبة أن يعمد أهل الكتاب – مع اختلال عقائدهم وانكشاف تناقضهم وتكذيبهم برسل الله– إلى الطعن في عقيدة التوحيد الصافية بما عندهم من نقص، فصدقت عليهم المقولة: «رمتني بدائها وانسلَّت».

---

(١) الأنعام الآية: ٥١.

لقد «جاء الإسلام بعقيدة واقعية؛ لأنها تصف حقائق قائمة في الوجود، لا أوهاماً متخيلة في العقول. حقائق يقبلها العقل، وتستريح إليها النفس، وتستجيب لها الفطرة السليمة»[١]، عقيدة واضحة ميسرة موافقة للفطرة، يفهمها العامة، ولا يملَّ من التبحر فيها العلماء، لا لبس فيها ولا خفاء ولا غموض ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[٢].

«فأين هذه العقيدة الواضحة المعقولة من عقيدة النصارى في التثليث في قولهم: الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، وأن الثلاثة أرباب الكون، وأن المسيح صلب فداءً لخطيئة البشر كلهم، وأن القساوسة لهم أن يعطوا صكوك الغفران للمذنبين، وما أحلوه في الأرض يكون حلالاً، ما حرموه يكون حراماً» ؟؟[٣].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي ١٥٣، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧.

(٢) البينة الآية: ٥.

(٣) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي ٧ «بتصرف»، مكتبة الثقافة، الدوحة قطر، الطبعة الثالثة ١٣٩٨.

إن عقيدة التوحيد تنفي عن الله الشريك والولد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١).

كما أنها لا وسائط فيها، ولا قسس، ولا صكوك غفران، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٢).

وهذه العقيدة تنزه الله سبحانه عن كل نقص وعيب ﴿رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(٣)، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤).

فأين هذه العقيدة من عقيدة اليهود المحرَّفة؟!، وزعمهم أن الله لما خلق السموات والأرض استراح يوم السبت من التعب، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٥).

---

(١) الإخلاص الآيات: ١ – ٤.

(٢) البقرة الآية: ١٨٦.

(٣) مريم الآية: ٦٥.

(٤) الأعراف الآية: ١٨٠.

(٥) ق الآية: ٣٨.

وزعمهم أن الله فقير وهم أغنياء، ففضحهم الله بقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[١].

وزعمهم أن يد الله مغلولة اتهام منهم له سبحانه بالبخل، فأخبر الله سبحانه بقولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٢].

وتنقصوه سبحانه، فقال: صارع إسرائيل فكان الرب مغلوباً والبشر غالباً! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[٣].

إن أهل الكتاب – وهم على تلك العقائد- غير مؤهلين للكتابة عن عقيدة التوحيد، فضلاً عن الطعن فيها.

* * *

(١) آل عمران الآية: ١٨١.

(٢) المائدة الآية: ٦٤.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢.

المبحث الرابع

الطعن في قدر الله تعالى

المطلب الأول: ادعاء التناقض بين الشرع والقدر:

تحت عنوان: «أفعاله تعالى مشكلة العدل والجزاء» جاء في الدائرة: (أتى القرآن بالحقيقتين، وهما قدرة الله على كل شيء، ومسؤولية الإنسان، وأن الصالحات يثاب عليها، والطالحات يجازى عليها، وقد جاهد المفكرون المسلمون بلا كلل لإيجاد حل لهذا التناقض الظاهر) ثم ساق رأي المعتزلة والأشاعرة[1].

وقد سبق في المبحث الثاني بيان مذهب أهل السنة في القدر، حيث لا يوجد فيه تناقض مع التزام الإنسان بالشريعة الإسلامية، أو ما يعبر عنه بمسؤولية الإنسان.

وملخص القول: إن الإنسان مسؤول عن أفعال الاختيارية التي هي أيضاً خلق الله ووفق قدرته، فأفعال الإنسان واقعة وفق إرادتهم واختيارهم، وما لم تكن إرادة الإنسان في الفعل تامة كأن يداخلها الخطأ أو النسيان أو الإكراه، فإنه لا يؤاخذ على ما فعله في الآخرة.

---

(١) الدائرة ٤/ ٣٢٧، مادة (الله)، كارديه.

وإرادة الإنسان لا تخرج عن مشيئة الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وعدم معرفتنا لحقيقة ذلك لا يعني اختلالاً في الشرع أو القدر؛ ذلك أن كل إنسان يعلم من نفسه ضرورة القدرة على الفعل والاختيار، وهو مؤاخذ على ذلك، وتعلق ذلك بقدرة الله ومشيئته يدخل في عجز البشر عن الإحاطة بصفات الله وجهلهم بكيفيتها.

فلا تناقض ولا اختلاف، قال ابن القيم في بيان مذهب أهل السنة والجماعة في قصيدته النونية:

وهو القدير فكل شيء فهو مقـ ـدور له طوعاً بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال

هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران

إلى أن قال:

فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن[2]

---

(١) التكوير الآيتان: ٢٨ – ٢٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٣٢، دار المعرفة، بيروت ١٣٤٥هـ.

ولفظة «المفكرون» الواردة في سياق الكلام يشير بها الكاتب إلى المتكلمين، الذين وقعوا في التناقض بسبب مخالفتهم للمنهج الصحيح في التلقي.

وعلماء الإسلام متقيدون بنصوص الشرع والاجتهاد من خلال تلك النصوص، التي لا يظهر كما سلف أي تناقض بينها، وأولئك العلماء هم المرجع عند عامة المسلمين.

المطلب الثاني: الخلط بين مذهب أهل السنة والجماعة وغيرهم:

تخلط الدائرة كثيراً بين مذهب أهل السنة ومذهب الأشاعرة في مواطن متعددة، بل إن كثيراً من كتاب الدائرة يصفون مذهب الأشاعرة أو الماتريدية بأنه مذهب أهل السنة.

وهنا عند ذكر الخلاف في القدر في مادة (خلق): جاء بعد ذكر موقف الفلاسفة والمعتزلة والصوفية من هذه المسألة: (وقد تطور موقف أهل السنة من هذه الاتجاهات على الأيام، ولم يقبلوا مذهب المعتزلة في خلق الأفعال إلا بصيغة معدلة، فوصفوا أفعال الإنسان بالكسب (عند الأشاعرة) أو الاختيار (عند الماتريدية) بدلاً من الخلق، (ونما مذهب أهل السنة الذي كان يتفق مع الصوفية في بعض المسائل بفضل الصراع الذي نشب آنئذ بينه وبين المعتزلة والفلاسفة، وبلغ أقصى ما بلغهم من

نجاح بفضل مدرسة الأشعري) [(١)].

ففي هذا النص جعل الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة، وهذا ليس بصحيح، وإن كان أهل السنة يتفقون مع الأشاعرة والماتريدية في كثير من العقائد، إلا أنهم يختلفون معهم في عقائد أخرى، ومنها عقيدة القدر فهم لم يقولوا بالكسب مطلقاً الذي تميز به الأشعري، كما أنهم لا يخوضون فيما خاضت فيه الفرق الثلاث من الكلام المذموم، وإنما يعتقدون «أن القدر سر الله في خلقه» [(٢)].

ومذهب الأشعري [(٣)] وإن كان أقرب من المعتزلة القدرية وعامة الجبرية إلى مذهب أهل السنة في القدر إلا أن مذهبه مختلف عنهم، وقد

---

(١) الدائرة الأولى ٨/ ٤١٣، خلق، ده بور.

(٢) العقيدة الطحاوية للطحاوي ١١، تعليق ابن مانع.

(٣) علي بن إسماعيل الأشعري من أئمة المتكلمين، وإليه تنسب الفرقة المشهورة. كان معتزلياً فترة طويلة ثم تاب من الاعتزال وأعلن ذلك على منبر البصرة، ثم أظهر فضائح المعتزلة ورد عليهم، وتبنى مذهباً أقرب إلى أهل السنة سار عليه الأشاعرة، وإن كان في آخر عمره أعلن أنه على مذهب الإمام أحمد، وألّف كتابه الإبانة ورجع فيه عن بعض مخالفاته لمذهب السلف. توفي سنة ٣٢٤هـ. (انظر الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري ١٥، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، دطت، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٨٧) .

سبق في المبحث الثاني بيان ما دلّ عليه القرآن، وأخذ به السلف، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

أما المذهب الأشعري فقد تبنَّى الكسب، وخلاصته: إثبات خلق أفعال العباد لله تعالى، وإثبات للإنسان قدرة غير مؤثرة[(١)].

وهذا المصطلح لم يأت في كتابٍ ولا سنة، إلا أن آخره نوع من الجبر مخالف لعقيدة أهل السنة.

وأما المذهب الماتريدي[(٢)] في القدر وهو ما عبر عنه بـ«الاختيار»، فهو وجه آخر للكسب الأشعري، حيث لا يعترض الماتريدي على مذهب الكسب، بل يستخدم أحياناً نفس الاصطلاح ويصرح بأن نسبة الأفعال إلى العباد هي من قبيل المجاز[(٣)].

---

(١) انظر القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن صالح المحمود ٢٢٧. دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى سمرقند. من أئمة المتكلمين، وإليه تنسب الماتريدية، توفي سنة ٣٣٣هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٩).

(٣) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، د. علي عبدالفتاح المغربي ٣٦٦، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

أما مذهب أهل السنة فهو لا يتبدل ولا يتغير، بل هو ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ودل عليه ما صح عن الصحابة والتابعين ممن اقتفى أثرهم، وهو ما سبق بيانه في المبحث الثاني، وهو على ما هو عليه لم يتغير تأثراً بالمعتزلة ليتطور فيصل إلى «الكسب» الأشعري، أو «الاختيار» الماتريدي، بل إنهم باقون على مذهبهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* * *



المبحث الخامس

ادعاء أن إثبات الصفات لله على ظاهرها يستلزم التمثيل

جاء في الدائرة العديد من النصوص التي تنفي أن تكون هذه الصفات على ظاهرها لأن ظواهر نصوص الصفات بزعمهم تمثيل وتجسيد وتجسيم، ومن أمثلة ذلك قولهم: (تبدو أسماء الله الحسنى لأول وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقية[١]، ومع ذلك فإن محمداً عندما يتحدث عن يدي الله، أو عن قبضته، أو عن عينه، أو عن وجهه، أو عندما يصفه بالاستواء على العرش فإنه ينبغي ألا نرد ذلك إلى العقيدة القائلة بالتجسيم؛ لأن الصفات في هذا الوضع أقرب إلى مجازات الشعراء) [٢].

كما جاء أيضاً: («التشبيه»: ومنه التمثيل، ويقابله التعطيل، أي نفي جميع الصفات عن الله، والتمثيل والتعطيل اصطلاحان على مذهبين متقابلين في عقيدة المسلمين في ذات الله، وهما من الزندقة والكبائر.

---

(١) الميتافيزيقيا هي ما وراء الطبيعة، ومقصودهم أن صفات الله بزعمهم تارة تأتي بالتجسيم وأخرى عبارات مجملة غير واضحة.

(٢) الدائرة ١٤/ ٢٤٧، الأولى، صفة، ماكدونالد.

وقد أثار جدلاً عنيفاً لم تبرأ من أثره العقيدة التي جاء بها القرآن، ومنشأ هذا الجدل أن مذهب المسلمين في الذات الإلهية أساس دينهم، وسببه الظاهر أن القرآن يؤكد وحدانية الله، ولكنه يصفه - مع ذلك - في بساطة وصفاً تشبيهياً: فيجعل له وجهاً وعيناً ويداً؛ ويتحدث عن كلامه واستوائه)[١].

وجاء أيضاً: («صفة»: لم ترد هذه الكلمة في القرآن غير أن المصدر «وصف» استخدم مرة واحدة، كما استخدم المضارع ثلاث عشرة مرة بمعنى يعزو وصفاً أي ينسب. ويتضمن دائماً معنى الادعاء.

يتحقق ذلك فيما ورد مع لفظ «الله» في القرآن (سورة الأنعام الآية ١٠٠، سورة المؤمنون الآية ٩٣، سورة الصافات الآيتان ١٥٩ و١٨٠، سورة الجمعة الآية ٨٢) وكل العبارات المشابهة الواردة في القرآن، وقد استخدم هذا التضمين بالادعاء في مفردات الراغب الأصفهاني (ص٥٤٦ بتعبير مخفف صفة) للتدليل على أن كل صفات الله ليس على ظاهر مدلولها)[٢].

---

(١) الدائرة ٩/ ٣١٦، التشبيه، شتروتمان.

(٢) الدائرة ٢٤/ ٢٣٢ - ٢٣٣، الأولى، صفة، ماكدونالد.

كما جاء في ترجمة ابن حزم[١]: (أما فيما يتعلق بالعبارات التجسيدية الواردة في القرآن فقد اضطر ابن حزم إلى الخروج على طريقته الأصلية بأن وفق بين هذه التعابير والتفسير الروحي للقرآن)[٢].

وجاء في مادة «التشبيه»: (إن ابن حنبل لم يجد مناصاً من تأويل الآيات القائلة بوجود الله مع خلقه، وهذا يبين لنا صعوبة التفرقة بين أهل السنة وأخذهم بظاهر اللفظ من جهة، وبين المعتزلة وقولهم بالتأويل من جهة أخرى)[٣].

قلت: أما ما يتعلق بالآيات التي عناها الكاتب التي استدل بها على أن صفات الله ليس على ظاهرها، فهي:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤].

---

(١) علي بن أحمد بن حزم ٣٨٤ – ٤٥٦هـ، أحد كبار علماء الأندلس وإمام المذهب الظاهري، تأثر بالمعطلة في عقيدة الأسماء والصفات. (انظر البداية والنهاية ١٢/ ٩١ – ٩٢).

(٢) الدائرة ١/ ٢٥٨، ابن حزم، أرندنك.

(٣) الدائرة ٩/ ٣١٨، التشبيه، شتروتمان.

(٤) الأنعام الآية: ١٠٠.

وقوله سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(١)].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(٢)].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(٣)]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(٤)].

فليس في هذه الآيات ما يدل على أن كل صفات الله ليس على ظاهرها البتة وإنما هي جميعاً تنزه الله سبحانه عما يصفه المشركون به، والواصفون له بصفات لم يصف بها نفسه كاتخاذ الشركاء والنسب والولد، ولم تتحدث الآيات عن شيء مما وصف الله به نفسه مطلقاً، ثم فُهِم منه غير معناه من صفات النقص.

---

(١) المؤمنون الآية: ٩١.

(٢) الصافات الآيتان: ١٥٨ – ١٥٩.

(٣) الصافات الآية: ١٨٠.

(٤) الزخرف الآيتان: ٨١ – ٨٢.

ولا يعقل أن يصف الله نفسه بصفات ثم يحذر من أن نصفه بها، ويطالبنا أن نعدل عن ظواهرها إلى معاني أخرى.

إن سبب هذا الانحراف لا ريب هو ما فهمه أولئك من أن ظواهر الصفات تشبيه وتجسيم، فأرادوا تنزيه الله عن ذلك، وهو مراد حسن، ولكنهم أخطأوا في فهمهم بأن هذا هو ظاهرها، «والسلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال»[١].

والتأويل الذي نسبه للإمام أحمد ليس هو من قبيل تأويل المعتزلة، إذ أن تأويل الإمام هو من قبيل التفسير الصحيح في كلام العرب، وهو ظاهر النص.

قال الإمام أحمد: «الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني الله بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٤.

(٢) المجادلة الآية: ٧.

يعني بعلمه فيهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)، يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه» (٢).

فمعية الله تعالى لخلقه لا تعني المعية المكانية، بل هي نوعان:

النوع الأول: معية عامة بمعنى العلم كما هو ظاهر من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (٤).

النوع الثاني: معية خاصة وتأتي بمعنى النصر والتأييد كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ

---

(١) المجادلة الآية: ٧.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل ١٣٨، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣) المجادلة الآية: ٧.

(٤) النساء الآية: ١٠٨.

لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(١) ، وقوله تعالى في قصة موسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٢) ، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٣).

والمعية في اللغة تأتي تارة بمعنى العلم كما سبق، وتارة أخرى تكون في الصفة كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) ، وقوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(٥).

وتارة ثالثة بمعنى المعية المكانية كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٦) ، وسياق الكلام يوضح المعنى المراد، وكل المعاني ظاهرة من سياقها.

---

(١) التوبةالآية: ٤٠.

(٢) طه الآية: ٤٦.

(٣) النحل الآية: ١٢٨.

(٤) الحجر الآية: ٩٦.

(٥) التوبة الآية: ١١٩.

(٦) الأنعام الآية: ٦٨.

وتفسير أهل السنة والإمام أحمد لمعية الله بمعية العلم أو التأييد والنصر مُستفاد من سياق النصوص في الكتاب والسنة.

* * *

المبحث السادس

ادعاء الغموض في صفات الله تعالى

جاء في الدائرة وصف صفات الله بالغموض والجهالة والتضليل ومن ذلك: (وصفات الله على أحسن الفروض غير مطابقة ومضللة، وعلى أسوأ الفروض مستحيلة)[١].

كما جاء أيضاً: (ومن أسمائه أيضاً السلام، وهذه الصفة لم ترد إلا في الآية ٢٣ من سورة الحشر، ومعناها شديد الغموض، ونكاد نقطع بأنها لا تعني «السلم»، ويرى المفسرون أن معناها «السلامة» أي البراءة من النقائص والعيوب، وهو تفسير محتمل)[٢].

وجاء كذلك: (الصمد، ويقابلها في اليونانية «أباكس ليكومينون»، ولم يكن المفسرون المتقدمون يعرفون أصل هذه الكلمة ومعناها على وجه التحقيق، انظر الطبري ٣٠/ ١٩٦)[٣].

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٢٤، صفة، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٤٨، الله، ماكدونالد.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٨، الله، ماكدونالد.

وجاء أيضاً: (أما صفاته المعنوية فقد وردت في قلة يشوبها الغموض، فإنه يصعب علينا معرفة ما يقصده محمد من صفات «القدوس» و«السلام» و«النور»)[١].

كما جاء أيضاً: (ولسنا نعرف على وجه التحقيق المعنى الذي يريده محمد من كلمة قدوس، ولعلها من صفات التنزيه)[٢].

قلت: سبق في الجواب المجمل بيان العقيدة التي جاءت في الكتاب والسنة في صفات الله، وأمران مهمان يحسن التنبيه عليهما هنا، ومراجعتهما في ذلك المبحث؛ وهما:

الأول: أن صفات الله فيها معنى لا يعلمه إلا الله؛ ألا وهو كيفية الصفات، وهذا لا سبيل إليه، ولا يضير عدم معرفته، إذ أن البشر لا يدركون سوى المحسوسات.

الثاني: أن سبب قوله «مضللة» اعتقاده أن ظواهر النصوص تقتضي التشبيه، فهي إذاً غير مرادة، وكلامه ملزم لمن انحرف عن المنهج القويم، وظن ذلك الظن، أما من فسر كلام الله على مراد الله فلا يعني هذا شيئاً إذ أن الظواهر مقصودة، وهي لا تؤدي إلى تشبيه أو نقص كما سبق بيانه.

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٤٩، مادة الله، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٤٨، مادة (الله)، ماكدونالد.

أما الجواب عن بعض الصفات التي لم يفهمها الكاتب، وهي:

السلام ومعناها: ذو السلامة من النقائص، وقد لخّص لنا ابن العربي[١] تفسير العلماء لها بقوله: «اتفق العلماء -رحمة الله عليهم- على أن معنى قولنا في الله «السلام»: النسبة، تقديره ذو السلامة، ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال:

الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص[٢].

الثاني: معناه ذو السلام؛ أي المسلِّم على عباده في الجنة؛ كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[٣].

الثالث: أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه»[٤][٥].

---

(١) محمد بن عبدالله المعروف بابن أبي بكر بن العربي المالكي تولى القضاء بالأندلس وكان فقيهاً عالماً، وزاهداً عابداً توفي سنة ٥٤٣هـ. (انظر البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي ١٢/ ٢٢٨، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) ذكره البغوي في تفسير الحشر ٢٣، انظر تفسيره المُسمى معالم التنزيل، حسين بن مسعود الفراء البغوي ٤/ ٣٢٦، تحقيق خالد بن عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) يس الآية: ٥٨.

(٤) ذكره الطبري ٢٨/ ٣٦ في تفسير الحشر ٢٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ٤٦، في تفسير الحشر ٢٣، ولم أجد هذا النقل في أحكام القرآن لابن العربي.

وقال ابن القيم عن الله: «هو السلام الحق بكل اعتبار - والمخلوق سلام بالإضافة-: فهو سبحانه سلام في ذاته من كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة؛ بل هو السلام الحق من كل وجه، وبكل اعتبار. فعُلِمَ أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه، ونزهه به رسوله»[١].

والصمد: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدُدُه في أنواع الشرف والسؤدد، وهذا مروي عن علي[٢] وابن عباس وبعض التابعين، ومنها قول الشاعر:

علوته بحسامٍ ثم قلت له
خذها حُذيفَ فأنت السيدُ الصمدُ[٣]

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ١٣٥.

(٢) علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وأول من أسلم من الذكور وأكثر الصحابة ملازمة للنبي ﷺ، وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة من أعلام الصحابة وعلمائهم ولد قبل البعثة بعشر سنين، وقتل شهيداً بالكوفة سنة ٤٠هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٥٠٧ - ٥١٠)

(٣) ورجح الطبري هذا القول؛ لأنه أقرب الأقوال للغة، انظر تفسير لسورة الإخلاص ٢.

وفي قولٍ: «الذي يُصمد إليه في النوازل والحوائج» وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس، ولا منافاة بين القولين فهو السيد الذي كمل سؤدده، وتصمد إليه الخلائق، كما رُوي عن السلف قريب من هذا القول، فقال أبو هريرة[١]: «إنه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد». وقال السدّي[٢]: «إنه المقصود في الرغائب، والمستعان به في المصائب»[٣].

وقال مقاتل[٤]: الكامل الذي لا عيب فيه، ومنه قول الزبرقان[٥]: سيروا

جميعاً بنصف الليل واعتمدوا ... ولا رهينة إلا سيدٌ صمدُ[٦]

---

(١) عبدالرحمن بن صخر الدوسي صحابي جليل أسلم يوم خيبر سنة ٧ من الهجرة وتوفي سنة ٧٥هـ أكثر الصحابة حفظاً ورواية للأحاديث النبوية. (انظر الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٠٢ - ٢١١).

(٢) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكوفي الأسدي أحد موالي قريش، من أئمة التابعين في التفسير توفي سنة ١٢٧هـ. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٢٦٤ - ٢٦٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ٢٤٥ في تفسير الإخلاص ٢.

(٤) مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني من أئمة التفسير مع تضعيف العلماء لروايته في الحديث توفي سنة ١٥٠هـ. (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٥)

(٥) الزبرقان بن بدر التميمي الصحابي كان شاعراً فصيحاً من وجهاء قومه قدم إلى النبي ﷺ في وفود العرب وروي أن النبي ﷺ قال لما دخل عليه الزبرقان: «إن من البيان لسحراً»، ولاّه النبي ﷺ صدقات قومه فأداها في الردة إلى أبي بكر ثم إلى عمر رضي الله عن الجميع. (انظر الإصابة لابن حجر ١/ ٥٤٣)

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ٢٤٥ في تفسير الإخلاص ٢.

فهذه الأقوال في معنى الصمد تدحض دعوى الدائرة بعدم معرفة المفسرين القدامى لهذه الكلمة.

والقدوس: الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به،[١] ومن معاني القدوس:

الممدوح بالفضائل والمحاسن وهو متضمن لنفي المذام[٢].

والقدس: الطهارة، ومنه سُمي بيت المقدس[٣].

أما النور فقد ورد مضافاً في الكتاب والسنة كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٥]، وفي السنة: (أنت نور السموات والأرض)[٦]. فالله عز وجل نور في نفسه[٧] كما جاء في النصوص، كبقية صفاته لا نعلم كيفية نوره،

---

(١) الطبري ٢٨/ ٣٦ في تفسير الحشر ٢٣.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٥٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٨/ ٢٢٥، تفسير الحشر ٢٣.

(٤) النور الآية: ٣٥.

(٥) الزمر الآية: ٦٩.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا أنتبه بالليل، برقم (٦٣١٧).
ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٦٩).

(٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٣٩٢.

ولكن من لوازم نوره ما ذكره السلف، ومن ذلك:

قول ابن مسعود: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه».

وقال السدي: «فبنوره أضاءت السموات والأرض»[(١)].

ومنها «منوّر السموات والأرض بالشمس والقمر والكواكب، وهادي السموات والأرض بالرسل والدلائل»[(٢)].

فمعاني هذه الصفات واضحة لا غموض فيها، ولله الحمد.

والعجب أن الكاتب الذي يزعم غموض صفاته سبحانه هو نفسه يقول: (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة، مثل الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه القيوم، وكان شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة في استعمال الصفات)[(٣)].

* * *

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩٠، تفسير النور ٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٢٥٧، تفسير النور ٣٥.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٨، مادة (الله)، ماكدونالد.

المبحث السابع

ادعاء التناقض في صفات الله تعالى

جاء في الدائرة: (وهذه الصفات تعبِّر عن حقيقة إله محمد أحسن مما تعبِّر عنها الصفات التي ذكرها علماء الكلام في القرون الوسطى، وهي تعيننا كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد المبعثرة المتناقضة)[١].

وجاء أيضاً: (وكان من جراء الزيادة في الحديث أيضاً أن أشد التناقض في صفات الله، ولهذا نجد حديثاً يكثر وروده وهو: «إن رحمتي تغلب غضبي أو تسبقه»، ونجد من جهة أخرى ذلك الحديث المخيف: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، «انظر إحياء العلوم للغزالي ١/ ٣٠٨»)[٢].

وعند الحديث عن مباينة الله لخلقه: (ترك محمد إذن حل هذه المسألة للمسلمين من بعده، وكان عليهم أن يوفقوا بين ذات الله العظيمة ووجوده المنفصل عن الكون انفصالاً متميزاً، وبين صنعه المباشر الذي فسروه تفسيراً يقرب كثيراً من نظرية الصدور. وزاد المسألة تعقيداً بعض آيات

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٤٧، مادة (الله، ماكدونالد).

(٢) الدائرة ٤/ ٢٥٦، مادة (الله، ماكدونالد).

القرآن التي جعلتهم يعتقدون أن ما سوى الله عدم بالضرورة)[١].

قلت: صفات الله الثابتة لا تناقض فيها البتة، وإنما يعود ذلك إلى المنهج في فهم تلك الصفات، فصفات الله لا تماثل صفات البشر ولا نعلم كيفيتها كما سبق بيانه.

وقد ورد سابقاً مثالان على ما يدعيه من تناقض.

والجواب عن الأول: أن ورود صفات الرحمة لا تتناقض مع صفات الغضب، مع ثبوت الجميع لله سبحانه وتعالى على وجه يليق به سبحانه، وهذا موجود في القرآن والسنة متواتراً لا مجال لرده، قال سبحانه: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[٣].

وكما أن خلق النار لا يناقض خلق الجنة، وهما جميعاً مخلوقان، فمن

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٤، مادة (الله، ماكدونالد).

(٢) الأعراف الآية: ١٥٦.

(٣) العنكبوت الآيتان: ٢٠ – ٢١.

باب أولى أن تكون صفات الله لا يحاط بها كذلك، فغضب الله مُتوجه نحو المعاندين المجرمين، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[3].

ورحمة الله سبقت غضبه سبحانه كما في الحديث الصحيح الذي أورده الكاتب[4]، وهي قريبة من المحسنين التائبين الطائعين. قال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[6]،

---

(١) الأعراف الآية: ١٥٢.

(٢) طه الآية: ٨١.

(٣) النساء الآية: ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٢)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، برقم (٢٧٥١).

(٥) الأعراف الآية: ٥٦.

(٦) آل عمران الآية: ١٣٢.

وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

ومن استحق النار جزاء عصيانه وعناده وتكذيبه للرسل ألقاه الله في النار ولا يبالي به، ومن أراد الله له الجنة برحمته لتصديقه وإحسانه جعله الله من أهل الجنة.

فهل في هذه المعاني من تناقض؟!

أما المسألة الأخرى: فإن كتاب الله أزال أي لبْسٍ، وذلك بإثبات علو الله على عرشه ومباينته عن خلقه في آيات محكمة، وفي كل مرة يعقب ذلك الخبر بتدبير الله للكون نافياً أي واسطة أو شفاعة لإزالة أي وهم عن عمله وتدبيره المباشر مع علوه واستوائه على عرشه سبحانه، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾(٢).

وقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ

---

(١) التوبة الآية: ٧١.

(٢) يونس الآية: ٣.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، والشاهد أن المولى تعالى قد بيّن البيان الأوفى في هذه المسألة، وسبب وجود التعارض في أذهان البعض هو قياس صفات الله تعالى على صفات المخلوقين، والله عز وجل لا يماثل المخلوقين، وصفاته لا تماثل صفاتهم، فالله عز وجل على عرشه، وهو مع خلقه بعلمه وقدرته، ونحن لا نحيط صفات الله، ولا تستطيع عقولنا العلم بكيفيتها، إذ عقولنا لا ترى إلا المخلوقات التي يبطل قياسها مع الخالق.

ومثالُ تقريبي: ولله المثل الأعلى: لم يكن أحد يتصور قبل قرن من الزمان أن يجلس المرء في الجزيرة العربية ويسمع ويشاهد ويحاور اثنين في نفس الوقت أحدهما في شرق الأرض والآخر في غربها.

---

(١) الرعد الآية: ٢.

(٢) الحديد الآية: ٤.

إذ ذلك لا يتصوره إنسان القرن الماضي لعدم استعداده لذلك، وهذا موجود في هذا العصر مع أن الوسائل المتاحة مخلوقة، إذا هذا كذلك فأنَّى لعقولنا الضعيفة أن تصل إلى كنه صفات الخالق التي يعجز البشر عن إدراكها؟

إن صفات الله وإن تشابهت باللفظ مع صفات المخلوقين إلا أنه لا تماثل بينهما، والفرق بينهما كالفارق بين ذاته سبحانه، وذوات المخلوقين.

* * *

المبحث الثامن

ادعاء تأليف النبي ﷺ لصفات الله تعالى

جاء في الدائرة العديد من النصوص التي تزعم أن صفات الله عز وجل من اختراع النبي ﷺ تأثراً بالبيئة التي عاش فيها لاسيما الحضارات والأديان السابقة، وكأنما ذلك هو الحق الذي لا مرية فيه، مع أنه يناقض مناقضة صريحة البراهين العلمية الدالة على صدق رسالته، وأن تلك الصفات إنما هي وحيٌ من الله تعالى، كما أن في ذلك تجاهلاً لما عليه أهل الإسلام قاطبة.

وهذه بعض مزاعمهم في ذلك:

- (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة، مثل الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه القيوم. وكان شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة في استعمال الصفات، ولكن صفة الواجد لم يرد ذكرها في القرآن، ولو أنه كان من السهل أن ترد فيه)(١).

(١) الدائرة ٤/ ٢٤٧، مادة «الله»، ماكدونالد.

-(وينبغي لنا الآن أن نتبسط في الكلام على هذه الذات كما تصوره محمد، ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها كثيراً في القرآن [الأعراف ١٧٩، بني إسرائيل ١١٠، طه ٧، الحشر ٢٤]، وتبيّن شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها، وكانت الفطرة السليمة هي التي دفعت المسلمين بعد محمد إلى جمع هذه الصفات وتقديسها)[١].

-(ومن صفاته كذلك البر «الطور ٢٨»، ونور السموات والأرض «النور ٣٥»، ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء؛ وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة «نور العلم» التي وردت في الإنجيل، و«نور الأنوار» التي جاءت في العقيدة النيقية)[٢].

-(الرحمن الرحيم، وهاتان الصفتان أكثر الصفات شيوعاً، وتردان في بداية كل السور إلا واحدة. وكان محمد في وقت ما يستعمل صفة «الرحمن» اسم علم مرادف لكلمة «الله»، واعتبر أهل مكة ذلك من

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٤٦ – ٢٤٧، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

مبتكراته. ويظهر أن محمداً قد أخذ هذه الصيغة عن جنوبي بلاد العرب)(١).

-(ومن الواضح أن صفة الباري قد أخذها محمد من العبرية واستعملها دون أن يقصد منها معنى خاصاً)(٢).

قلت: الجواب على كلامهم من وجوه:

الأول: في حديثهم عن صفات الله في الغالب الأعم ينسبون ما في القرآن الكريم إلى النبي ﷺ، وفي هذا خطأ منهجي؛ ذلك أن كون الكاتب غير مسلم لا يبيح له تلك النسبة ، بل عليه احترام ما يدين به المسلمون في موسوعة علمية تتحدث عن الإسلام؛ بل ذلك عنوانها، حيث إن المسلمين يقطعون بنسبة ما في القرآن إلى الله عز وجل، وعليه على الأقل نسبة ذلك إلى القرآن الكريم، حتى لا يُظن أن ذلك هو اعتقاد المسلمين، والواجب ذكر ما يؤمن به جميع المسلمين قبل أن يذكر الكاتب رأيه.

الثاني: يزعم الكاتب أنه بفضل خيال النبي ﷺ المتوقد وصف الله

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥١، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

بصفات واضحة معينة مثل الأول والآخر، وفي الوقت نفسه يقول: (ومن الواضح أن صفة الباري قد أخذها محمد من العبرية واستعملت دون أن يقصد منها معنى خاصاً)، وهذا يعارض ما زعمه من خيال متوقد استطاع أن يصف الله ببعض الصفات الواضحة المعينة!.

ثم ما الدليل على ما زعمه من أن النبي ﷺ أخذ صفة الباري من العبرية؟[١].

الثالث: في قوله: (إن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات) فقد رد الكاتب على نفسه بعدها مباشرة بقوله: (وتبيّن شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها). قال محمد أحمد جادالمولى[٢]: «إن ما يأتي به المتكلم لضرورة السجع لا يكون شديد التمسك به، ولا مشغوفاً به؛ لأنه ما كان يريد أن يأتي به، وما حمله عليه إلا لوازم السجع»[٣].

---

(١) سيأتي جواب عام لمثل هذه المزاعم ص ٤٣٤.

(٢) محمد أحمد جاد المولى ١٣٠٠ - ١٣٦٣هـ باحث مصري عمل مفتشاً بوزارة المعارف، فمراقباً للمجمع اللغوي، فمفتشاً أول بالوزارة له كتب عن سيرة النبي ﷺ وفي التاريخ الإسلامي.
(انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٣)

(٣) هامش الدائرة ٤/ ٢٥٠، مادة «الله»، تعقيب جاد المولى.

الرابع: إن الفطرة السليمة التي وصف الكاتب بها المسلمين لم تكن لتجمع أو تقدس صفات مخترعة لله، إنما تعتني بالصفات الحقيقية لله تعالى، وهذا نقيض ما يهدف إليه من سبب تعلق المسلمين بتلك الصفات.

الخامس: لم يأت الكاتب بالبرهان على استدلاله بأن النبي ﷺ أخذ صفة [نور السموات والأرض] من النصرانية، وسياق الآية الكريمة لا يدل من قريب أو بعيد على عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم كما ادعى، ثم لو فُرض هذا فلا يكفي أن تكون دليلاً على أن هذه الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء؛ أما كونها تذكرنا بعبارة «نور العوالم» التي وردت في الإنجيل، و«نور الأنوار» التي جاءت في العقيدة النيقية، فقد يكون هذا صحيحاً إذ أن أصل الكتب السماوية واحد.

* * *

المبحث التاسع

إنكار الأحاديث الصحيحة في الصفات

جاء في الدائرة إنكار الأحاديث الصحيحة في صفات الله، واتهام تلك الأحاديث بالتجسيم، وهذا بعض ما جاء في ذلك:

(ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ما كان خاصاً بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحاً، وفصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، ونما الاعتقاد في الجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقداً، نجد هذا كثيراً في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد وبدء الخلق؛ ونجد فيه كذلك الكلام عن وجه الله، وعن عرشه، وعن خلق السموات والأرض، وجاء فيه أيضاً أن الله يتنزل إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟». وترد كذلك قصة آخر من يدخل الجنة من أهل النار وكيف يضحك الله منه. وفي الآخرة يمسك الله الأرض على إصبع، والسموات على إصبع، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟». ثم يضع قدمه على النار ليفسح فيها مكاناً. وورد الكلام عن عينه في القرآن تارة بالمفرد، وتارة بالجمع. وجاء في الحديث أنه ليس بأعور كالمسيح الدجال)[١].

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٦، مادة «الله»، ماكدونالد.

كما جاء أيضاً: (ومن الأحاديث الموضوعة أيضاً ما تضمن ذلك التفسير الفج لكشف الساق يوم القيامة «سورة ن، الآية ٤٢»، وهو تفسير ما كان ليخطر لمحمد على بال، ولكنه أصبح من الأمور المسلمة في تفاسير المسلمين)[١].

قلت: الجواب على هذا الكلام من عدة وجوه:

الوجه الأول: لم يدرس الكاتب تلك الأحاديث دراسة علمية، ولم يسلك سبيل أهل العلم بالحديث ببيان سبب ضعف الحديث، فضلاً عن الجزم بأنها موضوعة. وإنما انتقى أحاديث من كتاب التوحيد في الصحيح وحكم عليها جملة بالوضع وبالأساطير.!

لن أقف على سند كل حديث مبيناً صحته، وأقوال أهل العلم فيها؛ لأن الكاتب لم يكن اعتراضه على السند، وإنما على معاني تلك الأحاديث، علماً أن جميع ما ذكر هو في صحيح البخاري[٢]، ولم يكذبه أحد من أهل العلم، بل مروي بأسانيد صحيحة مقبولة، بل وأكثر ما ذكر موجود في القرآن.

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٧، مادة «الله» ، ماكدونالد.

(٢) سيأتي مبحث مستقل عن طعن الدائرة في صحيح البخاري، والجواب على ذلك في صـ ٥٩٩.

وطريقة الكاتب في الحكم على الأحاديث لا يقرها منصف حتى لو كانت تلك الأحاديث في غير الصحاح؛ فكيف له أن يحكم هذا الحكم المتجني على أحاديث في صحيح البخاري الذي تلقته الأمة بالقبول بعد معرفة برجاله وأسانيده؟!، كيف يسوغ له هذا من غير دراسة وبحث، هذا لمن كان مؤهلاً للدراسة والنقد في الأحاديث النبوية.!

إنْ المسلمين لا يحكمون على شيٍ مما جاء به أهل الكتاب بالكذب والوضع إذا لم يعارض ما ثبت في ديننا، كما لا يجزمون بصحته إلا إذا شهد عليه ديننا، وهذا منهج علمي صحيح في ترجيح ما ثبت على ما لم يُعلم صحته، هذا مع أن أهل الكتاب لا برهان لهم على صحة ما جاؤوا به، فكيف يُطعن بالأحاديث الثابتة التي اتفق على صحتها أهل النقد من المحدثينّ؟، إنها لجرأة عظيمة وحكم هوى مفضوح، أو جهل مكشوف يخرج صاحبه من عداد الباحثين المنصفين!.

الوجه الثاني: أن تلك الأحاديث لا تدل على مشابهة صفات الله لصفات المخلوقين، فكما أن تلك الأحاديث ثابتة صحيحة سنداً، فهي كذلك متنا؛ فلا تخالف معانيها العقل.

إن صفات الله لا تماثل صفات المخلوقين، وعلى هذا الوجه فأي صفة ثبتت فالعقل لا ينكرها؛ وإلا فالعقل ينكر كافة الصفات للرب التي

ذثبتت في جميع كتب السماء إذا لم نقل بمخالفة صفات المخلوقين.

ثم العجب أن يصدر هذا الكلام من نصراني يدعو إلى دينه[١]، مع ما فيه من اعتقادات منحرفة تجعل لبعض البشر صفات الخالق[٢].

الوجه الثالث: لم يكن الكاتب أميناً في نقله من الصحيح، ومن ذلك:

١ - قوله: (وترد كذلك قصة آخر من يدخل الجنة من أهل النار وكيف يضحك الله منه). فليس في الحديث كيفية ضحك الرب سبحانه وتعالى، والذي ورد: (فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة)[٣]، وقد اتفق السلف الصالح على أن صفات الله لا تفسر بتكييف كما سبق بيانه[٤].

---

(١) لماكدونالد كتاب: «عرض المسيحية للمسلمين» انظر ترجمته صـ ١٥٤.

(٢) النصارى على اختلاف فرقهم يزعمون وجود عنصر إلهي في المسيح عليه السلام. (انظر النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بين يحيى المتطبب «كان نصرانياً فأسلم» ٥٦ - ٥٧، تحقيق محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ١٢٤ - ١٢٥، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريقة الرؤية، برقم (١٨٢).

(٤) انظر صـ ٢٥٠.

٢- قوله: (ثم يضع قدمه على النار ليفسح فيها مكاناً) فليس في الحديث: (ليفسح فيها مكاناً) أو ما يدل على ذلك مطلقاً، والذي ورد: (فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط، قط، قط؛ فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض)[1]، كما أن المعنى ليس كذلك البتة، بل المراد خلافه، ذلك أن الله أقسم بامتلاء النار كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]، فمن رحمة الله أن وضع الرب سبحانه قدمه لينزوي بعضها على بعض، فلا تطلب مزيداً، لا ليفسح فيها مكاناً.

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، برقم (٧٤٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، برقم (٢٨٤٦).

(٢) السجدة الآية: ١٣.

الباب الثالث

النبوَّة في دائرة المعارف الإسلامية

عرض ومناقشة

الفصل الأول: الأنبياء قبل محمد عليهم الصلاة والسلام في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني: محمد ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الأول

الأنبياء قبل محمد عليهم الصلاة والسلام في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: نظرة عامة.

المبحث الثاني: الأنبياء في القرآن والسنّة.

المبحث الثالث: ادعاء نقل أخبار الأنبياء من الكتب السابقة.

المبحث الرابع: ترويج الأساطير المكذوبة في قَصَصِ الأنبياء.

المبحث الخامس: مطالب متفرقة.

المبحث الأول

نظرة عامة لما في الدائرة

جاء في الدائرة تراجم لكثير من أنبياء الله تعالى -عليهم السلام- وخاصة أنبياء بني إسرائيل، ويلاحظ ما يلي:

أولاً: نسبة ما جاء في القرآن الكريم بخصوص الأنبياء إلى الكتب السابقة، وأن النبي ﷺ استقى قصصهم منها، فيظن القارئ أن المسلمين يقرون ذلك.

ثانياً: أن ما جاء بالدائرة يخلط كثيراً بين ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة، وما جاء عند المفسرين من تفسيرات لا تعتمد على الكتاب والسنة، أو ما جاء به القصاص من خرافات وغرائب، فيخلط جميع ذلك على أنه من مسلَّمات المسلمين، بينما يؤمن المسلمون بما جاء في الكتاب والسنَّة، وينكرون ما خالفهما، ويتوقفون فيما كان مصدره أهل الكتاب[1].

(١) هذا إذا لم يوافق أو يخالف الكتاب والسنة، أما إذا وافق فيؤخذ به ليس لذاته، وإذا عارض فمن المعلوم أنه مردود.

وقد تضمن ما ذكروه – من جرَّاء ذلك – كثيراً من الخرافات التي لا يعرفها أكثر المسلمين، وينكرها علماؤهم.

وأحياناً قد تنسب تلك الخرافات إلى القرآن الكريم.

ثالثاً: نجد في الدائرة ما يلي:

- يحرص «فنسنك» على تحليل الأمور على وجه يجعل فيه النبي ﷺ كاذباً ماكراً كما في مادة إبراهيم، وفي كثير مما كتب.

- ونجد «جفري» في مادة آزر يزعم استقاء النبي ﷺ من العهد القديم مع التباس الأمر عليه مما يجعله ﷺ يقدم معلومات منقولة خاطئة.

- أما «ايزنبرغ» فيقدم عرضاً أقوم من «جفري» و«فنسنك» في قصة إبراهيم، لكننا نجده يقدم عرضاً مشوشاً في مادة حوَّاء، ويزعم أنها السبب في إخراج آدم من الجنة، وينسب ذلك للقرآن.

- ويزعم «كارده فو» أيضاً أن قصة داود، وقصة بلقيس مع سليمان في القرآن مأخوذتان من العهد القديم مع بعض التحريف في كلتا القصتين.

- وكذلك «ووكر» يزعم أن معرفة سليمان للغة الطير مُستقاة من العهد القديم.

- و«برنار هيلر» يزعم استقاء النبي ﷺ لقصة زكريا عليه السلام من العهد

الجديد، كما ينسب للقرآن ما ليس فيه عند ذكر طالوت.

- وأما «بول» فيشكك في قصة عاد برمتها.

كما يُكثر عامة كتاب الدائرة وفنسنك على وجه الخصوص من ذكر الخرافات المأخوذة من كتب الصوفية والقصاص في قصص الأنبياء، ونسبة الاعتقاد به إلى عامة المسلمين.

ويحسن أن أقدم بعد هذا المبحث بياناً مجملاً للأنبياء في القرآن والسنَّة، وهو بحد ذاته رد على كثير من مزاعمهم، وهو أيضاً نموذج لما ينبغي أن يكون في الدائرة.

* * *

المبحث الثاني

الأنبياء في القرآن والسنة

معنى النبوة والرسالة:

النبوة في اللغة مشتقة من النبأ وهو الخبر[(١)]، كما قال سبحانه: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(٣)].

والإرسال: التوجيه، وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة[(٤)]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[(٥)].

وهناك فرق بينهما بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي﴾[(٦)]، وقوله

(١) مختار الصحاح للرازي ٦٤٢.

(٢) النبأ ١ - ٢.

(٣) الحجر ٤٩.

(٤) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٨٤.

(٥) النمل ٣٥.

(٦) الحج ٥٢.

تعالى عن موسى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[(١)]

وبدليل اختلاف أعدادهم كما سيأتي.

ولكن ليس هناك تفريق قطعي بينهما، لذا وقع الخلاف في التفريق بينهما مع الاتفاق على أفضليّة الرسول إذ أنه نبي وزيادة، وكلاهما مُوحَى إليه، والخلاف على أقوال أشهرها:

١- النبي لم يؤمر بتبليغ الشرع المُوحَى إليه. والرسول أمر بتبليغه[(٢)].

٢- النبي على شريعة من قبله، والرسول أُوحي إليه بشريعة مستقلة[(٣)]، أو بنسخ بعض شريعة من قبله[(٤)].

٣- أن النبي من بُعث إلى قوم مؤمنين، فالأنبياء ليسوا رسلاً على الإطلاق لأنهم بعثوا إلى قوم بما يعرفون، فهم بمثابة العالم، إلا أنه ينبئهم بأمر الله ونهيه وخبره.

---

(١) مريم الآية: ٥١.

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٩٧، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني ٤٩، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣) تفسير الآلوسي ١٧/ ١٧٢ في تفسير الحج ٥٢.

(٤) الفَرْقُ بين الفِرَقِ للبغدادي ٣٤٢.

والرسول من بُعث إلى قوم مكذبين[١].

وليس هناك دليل صريح على أيٍّ منها، بل هي اجتهادات، وأقربها للصواب عندي القول الأخير لعدم الإشكال فيه، بينما القول الأول ترد عليه إشكالات:

أحدها: أن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٢]، فذكر إرسالاً يعم النوعين[٣].

والثاني: كيف يسع النبي الكتمان؟ وما فائدة الشرع الذي لا يُبلّغ؟

والثالث: أن أنبياء الله مبلِّغون لرسالته، وبنو إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء.

أما القول الثاني فيرد عليه إشكالان:

أحدهما: أن آدم نبي بالاتفاق ولم تكن قبله شريعة.

والثاني: أن هناك رسلاً على شرائع من قبلهم، كيوسف عليه السلام وكان

---

(١) النبوّات، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٢٥٦ – ٢٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

(٢) الحج الآية: ٥٢.

(٣) النبوات لابن تيمية ٢٥٥.

على ملة إبراهيم، ورسل بني إسرائيل كانوا على شريعة التوراة.

عدد الأنبياء والرسل:

أصح ما ورد في عدد الأنبياء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رسولاً[(١)].

وجاء في القرآن ما يدل على كثرتهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[(٢)].

وقد ذُكر في القرآن خمسة وعشرون نبياً، وهم: محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وآدم، وإدريس، وهود، وصالح، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، ويونس، وشعيب، وهارون، وإلياس، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، عليهم السلام.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ١٧٨، وابن حبان وصححه، ذكر ذلك الحافظ في الفتح وسكت عنه ٦/ ٣٦١، ومال ابن كثير إلى تضعيفه في التفسير ١/ ٥٨٦، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد باب السؤال للانتفاع في كتاب العلم ١/ ١٦٥، كما ضعفه أحمد البنا في الفتح الرباني ٢٢/ ٣٧٢.

(٢) النحل الآية: ٣٦.

وهم متفاوتون في الفضل: ﴿...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[(١)]، فمحمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- خير الرسل، وهم أولو العزم منهم كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[(٢)].

* من أحوال الأنبياء:

- أنهم رجال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[(٣)].

- أنهم أحرار لأن الرق وصف نقص يمنع من تبليغ الدعوة، وقد يمنع من إجابة القوم، لذا كان الأنبياء يبعثون في أحساب قومهم.

- أن الله عز وجل يصطفيهم: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾[(٤)]. ، فالنبوة لا تنال بالكسب أو التهذيب.

- أنهم معصومون عن الفواحش والكذب والخطأ في التبليغ

---

(١) الإسراء الآية: ٥٥.

(٢) الأحزاب الآية: ٧.

(٣) يوسف الآية: ١٠٩.

(٤) الحج الآية: ٧٥.

بالإجماع، وأما الذنوب «فالذي عليه الجمهور وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً»[(١)].

- وللأنبياء دلائل على نبوَّتهم، كصدقهم، وظهور أمانتهم، وحسن أخلاقهم وصبرهم في ذات الله، وموافقتهم لغيرهم من الأنبياء إذ أن دعوتهم واحدة، وتبشيرهم ببعض، وظهور المعجزات على أيديهم، وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة.

- والأنبياء على رفعة مكانتهم إذ هم صفوة خلق الله وخير عباده، لا يُصرف لهم شيء من العبادة، فلا يجوز دعاؤهم أو الاستغاثة بهم، أو جعلهم أرباباً أو أبناء الله تعالى. قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(٢)].

كما جاء النكير على من فعل ذلك كالنصارى في عيسى، واليهود في عُزير عليهم السلام: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٣٣٦، دار المعرفة، بيروت، دطت.

(٢) آل عمران الآية: ٨٠.

(٣) التوبة الآية: ٣٠.

- دعوة الرسل واحدة فجميعهم يأمرون بعبادة الله وحده: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ .... ﴾[١].

- وهم جميعاً يخبرون بعالم غيبي واحد يتضمن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، فأصولهم واحدة، ولكن قد يختلفون في تفاصيل الشرائع كما قال سبحانه: ﴿ ....لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴾[٢].

- والأنبياء لهم أعداء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ..... ﴾[٣].

كما يتعرضون للتكذيب والسخرية والإيذاء من أقوامهم ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[٤] ولكنهم في النهاية منصورون، والعاقبة لهم: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[٥].

---

(١) النحل الآية: ٣٦.

(٢) المائدة الآية: ٤٨.

(٣) الأنعام الآية: ١١٢.

(٤) الزخرف الآيتان: ٦ – ٧.

(٥) غافر الآية: ٥١.

وجوب الإيمان بجميع الأنبياء:

إن المسلمين يؤمنون بجميع ما في الكتاب والسنة مما سبق بيانه وغيره، فهم يؤمنون بجميع الأنبياء على سبيل الإجمال، كما يؤمنون بتفصيل ما ثبت لديهم من أسماء الأنبياء أو سيرهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- من غير تفريق بينهم، كما جاء في ذلك القرآن: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1].

وقال سبحانه مخاطباً اليهود: ﴿.. قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ[2] وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

كما يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل وأنزل معهم الكتب فيها الهدى والرشاد.

---

(١) البقرة الآية: ٢٨٥.

(٢) هم أخوة يوسف.

(٣) البقرة الآيتان: ١٣٦ - ١٣٧.

وهذا الإيمان فرض على كل مؤمن سواء عَلِم تفصيل ما جاءت به الرسل أم لم يعلم، بل يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله إلى رسله إجمالاً، كما قال تعالى مادحاً المؤمنين في الآيات الأولى من القرآن: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾(١).

كما يجب عليهم الإيمان بتفصيل ما علموا منها يقيناً، فمثلاً:

يجب على كل مسلم الإيمان بالتوراة، وأنها كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام كما يؤمنون بما قاله الله عنها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾(٢).

كما يؤمنون بالإنجيل كتاب الله الذي أنزله على عيسى عليه السلام، ويؤمنون بما جاء في القرآن بعد ذكره سبحانه لليهود: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

---

(١) البقرة الآيتان: ٤ – ٥.

(٢) المائدة الآية: ٤٤.

(٣) المائدة الآية: ٤٦.

إن المسلم إذا كفر بهذه الحقائق التي ذكرها القرآن، فإنه يخرج عن الأمة الواحدة التي أمرها الله بالإيمان به سبحانه، وتصديق رسوله.

إن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- يصدق اللاحق منهم بالسابق، كما يبشر السابق باللاحق، كيف لا! والمُرسِلُ واحد سبحانه وتعالى، لذا فإن النصراني إذا أراد أن يدخل في الإسلام لا يُطلب منه أن يكفر بعيسى، بل إن إيمانه بالمسيح ﷺ رسولاً ضروري لإسلامه، كما أن اليهود يُطالَبون عند إسلامهم بالإيمان بعيسى ﷺ كما يُطالبون بالإيمان بمحمد ﷺ، ولا يستقيم إيمان يهودي أو نصراني بعد بعثة النبي ﷺ إلا بالإيمان به واتباعه.

إن النبي ﷺ يأمر المؤمنين بالإيمان بموسى وعيسى، وما أُنزل إليهم من الكتب، وقد أتى القرآن يثني عليهم الثناء الجميل في مواضع عديدة، بل ويجعلهم من أُولي العزم الخمسة، وهم خيرة الرسل كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

---

(١) الأحزاب الآية: ٧.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[1].

وليس من اعتقاد المسلمين البتة: الطعن في أحد من الأنبياء، بل هو كفر مخرج من الإسلام، لذا فالمسلمون ينكرون على من كذب برسالة موسى ﷺ أو عيسى ﷺ، كما يشتد إنكارهم على من زعم أن المسيح ﷺ ولد زنى! أو كذّب بمحمد ﷺ، والطعن في أحد منهم إنما هو طعن في المُرسِل سبحانه وتعالى، بل يعتقد المسلمون أن الله عز وجل أرسل جميع الرسل لهداية البشرية وأظهر صدق رسالتهم بالحجج والبراهين، كما أظهرها بالمعجزات.

إن تكذيب المكذبين واستهزاء المستهزئين لا يقدح في نبوتهم، بل لم يبعث الله رسولاً إلا أُوذي وكُذِّب.

* * *

(١) الشورى الآية: ١٣.

المبحث الثالث

ادعاء أن أخبار الأنبياء منقولة من الكتب السابقة

جاء في الدائرة الكثير من قَصَص الأنبياء التي في القرآن، مع الادعاء أن القرآن استقى تلك القصص من الكتب السابقة لمجرد التشابه القائم بينها، بل تعدي الأمر ذلك حتى عند وجود بعض الاختلاف بدعوى أن ما جاء به النبي ﷺ مأخوذ من أهل الكتاب على غير وجهه الصحيح، ومن ذلك:

جاء في مادة آزر: (الاسم المرتضى بعامة لأبي إبراهيم استناداً إلى الآية ٧٤ من سورة الأنعام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾، حيث حُمل «آزر» على أنه علم بدلاً من «أب». والمفسرون الذين أدركوا أن اسم الأب «تارح» جعلوا «آزر» كلمة ذم، أو نعتاً من نعوت الهجاء، أو اسماً لصنم. على أن الرأي الذي عليه الكثرة أن «آزر» اسم لأبي إبراهيم، قد يكون اسماً ثانياً التارح، كما يقال ليعقوب: إسرائيل، وقد يكون لقباً.

وعلى أية حال، فإنه قد تبين أن الكلمة أعجمية، وهي معدودة من معربات القرآن. غير أن ثمة قليلاً من الشك في أنها محورة عن «اليعزر»

العبرية، اسم الخادم الأمين لإبراهيم، كما في قصة سِفْر التكوين التي انتهت إلى محمد، فالتبس الاسم عليه أنه اسم أبي إبراهيم)[١].

وجاء في ترجمة نبي الله داود -عليه السلام-: (داود: وقد ورد ذكره في التوراة. وفي القرآن عدة آيات تشير إلى قصة الملك النبي داود خليفة الله «سورة ص ٢٥»، وقد حرفت هذه القصة شأن غيرها من قصص الأنبياء بعض التحريف، ويظهر فيها أثر من مذهب الربانيين، أو قل: إنه يبدو فيها أثر السعي إلى تفسير بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح... - حتى قال- وقد أُوتي داود نعمة الصوت الطيب، فكانت الجبال والطير يسبحن معه «الأنبياء ٧٩، سبأ ١٠، ص ١٧ - ١٨»، ومن الواضح أن ذلك ليس إلا تفسيراً حرفياً لآيات التوراة التي يدعو فيها صاحب المزامير الجبال ووحش الفلاة إلى تسبيح الرب معه)[٢].

وجاء في مادة سليمان: (وكان يعرف لغة الطير والحيوان «سورة النمل ٦١ - ٩١» وتلك رواية تعتمد على سفر الملوك الأول... وقد مجدت الروايات والقصص المتأخرة كل هذه المسائل التي هي في جوهرها من أصل تلمودي. فسيطرة سليمان على الجن وتسخيرهم في إقامة منشآته

(١) الدائرة ١/ ٥٠ - ٥١، مادة آزر، جفري.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٢١ - ١٢٢، مادة داود، كارده فو.

مشتق من المدرش في تفسير سفر الجامعة)[١].

وجاء بعد ذكر قصة بلقيس مع سليمان: (ونستدل من هذا السرد المختصر الوارد في القرآن على أن القصة كانت قد تطورت تطوراً كبيراً وما ورد في الترجوم[٢] الثاني إلى استير يتفق في عناصره الأساسية والقصة القرآنية، ومن المحتمل أن يكون ذلك الترجوم هو الذي تأثر بالرواية الإسلامية، كما يظهر أن هذه القصة -التي لا شك أنها أوصلت عن طريق مصادر يهودية- كانت قد تأثرت بالإيرانية)[٣].

كما جاء في الدائرة: («زكريا»: أبو يحيى المعمدان وقد جاء في القرآن: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤].

وهو ينقل مضمون ما ورد في الآيات من ٥- ٢٥ من الإصحاح الأول من إنجيل لوقا)[٥].

قلت: سأختصر الإجابة على الدعاوى السابقة؛ لأنه سيأتي الجواب

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ١٦٧، مادة سليمان بن داود، ووكر. والمدرش التفسير اليهودي للنصوص المقدسة لديهم.

(٢) هو الاسم الذي يطلق على الترجمة الكلدانية للتوارة.

(٣) الدائرة ٨/ ٣١، بلقيس، كارده فو.

(٤) رقم الآية الصحيح هو (٨٥).

(٥) الدائرة، الأولى ١٠/ ٣٦٨، مادة زكريا، برنار هيلر.

عليها بالتفصيل في مبحث مستقل[١].

والجواب على تلك الدعاوى من وجوه:

الأول: أن النبي محمداً ﷺ جاء بالدلائل الكثيرة المثبتة لرسالته ﷺ التي تتجاوز عدداً، وثبوتاً ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام[٢]، فمن كذَّب بما جاء به النبي ﷺ فهو من باب أولى مكذِّب بغيره، ومن صدَّق بموسى وعيسى عليهما السلام فعليه من باب أولى التصديق بالنبي ﷺ.

الثاني: لا قيمة للطعن في النبي ﷺ بدعوى أخذه من الكتب السابقة؛ لأن التخريج السابق لم تصاحبه بيِّنة عليه، بل لم يقم الدليل عليه مطلقاً.

الثالث: التشابه الموجود بين ما جاء به النبي ﷺ، وبين ما عند أهل الكتاب هو أمر طبيعي، بل هو من دلائل نبوته ﷺ، وأن ما جاء به هو من عند الله، ذلك أنه أخبر بالحق الذي جاء به الأنبياء السابقون دون تعلم لذلك: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ......﴾[٣].

وقال سبحانه معقباً على قصة موسى، وممتناً على نبيه محمد ﷺ

(١) انظر صـ ٤٣٤.

(٢) انظر صـ ٣٤٣- ٤١٣.

(٣) سورة هود الآية: ٤٩.

بالوحي الذي لم يكن له بغيره أن يعلم تلك القصص: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [١].

الرابع: لا قيمة لادعائهم أن الحق هو ما كان لديهم، وأن ما جاء به النبي ﷺ، إنما كان تطوراً له، أو تحريفاً له بناء على ما جعلوه مسلماً لديهم من استقاء النبي ﷺ أخبار الأنبياء وغيرها من الكتب السابقة، فلم يصل له على وجهه الصحيح، لفساد القاعدة المبني عليها.

بل إن الحق الذي يفرض نفسه أن يتم التسليم بما في القرآن، وأن يجزم ببطلان ما خالفه في الكتب السابقة؛ ذلك لقيام الأدلة على أنه من عند الله. ولأنه نقل متواتراً محفوظاً كما سيأتي [٢].

ومما يؤكد ذلك قيام البراهين العديدة على تحريف تلك الكتب [٣].

---

(١) سورة القصص الآيات: ٤٤-٤٦.

(٢) انظر صـ ٣٨٤، ٤٠٠.

(٣) انظر صـ ٤٨٢.

وعلى فرض عدم ذلك فإن الدلائل على نبوة النبي ﷺ أكثر وأحفظ من الدلائل الموجودة عند أهل الكتاب، والكتاب الذي جاء به ﷺ هو أقرب عهداً بالسماء من غيره، ولو تكافأت الكتب من كل وجه وتعارضت لكان ذلك مدعاة لتقديم ما في القرآن على غيره.

الخامس: فيما يتعلق بأبي إبراهيم -عليه السلام- فقد رد الكاتب على نفسه بافتراض أن آزر كإسرائيل اسم آخر، أو أنه لقب له(١).

والتفسير الآخر الذي يزعم أنه اسم صنم أو صفة ذم، واردة عن السلف الأول باعتبار أن أبا إبراهيم سُمِّي باسم الصنم لخدمته له(٢)، فلم يتغير التفسير نتيجة إدراك المفسرين أن اسم الأب تارح.

والراجح -والله أعلم- أن آزر اسم لأبي إبراهيم لموافقته لظاهر القرآن، ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة... الحديث»(٣).

---

(١) تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك ١/ ٢٣٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة دت، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٩- ١٥٠، تفسير الأنعام ٧٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، برقم (٣٣٥٠).

السادس: التحريف المزعوم خروج عن الموضوعية؛ إذ هو قائم على عدة فرضيات، وهي:

- كذب النبي ﷺ بادعائه للوحي.

- استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب.

- صحة ما عندهم من تلك الأخبار وعدم دخول التحريف فيها.

وينتج منه عدم ضبط النبي ﷺ أو ممن نقل عنهم تلك الأخبار.

وهم مطالبون بإثبات تلك الادعاءات، وحسبنا في ذلك عجزهم عن واحدة منها فضلاً عن عجزهم عنها جميعاً.

وسيأتي في مباحث مستقلة بطلان جيمع ذلك[1].

* * *

(١) انظر صـ ٣٤٣، ٤٥٩، بالنسبة للأولى، صـ ٤٣٤ بالنسبة للثانية، وصـ ٤٨٢ بالنسبة للثالثة.

المبحث الرابع

ترويج الأساطير المكذوبة في قصص الأنبياء

يوجد في الدائرة العديد من الأساطير المنقولة من الكتب الواهية، أو المأخوذة من كتب التفسير والتاريخ دون النظر في سندها التاريخي، وتسرد على أنها من المسلَّمات التي يقر بها المسلمون ويؤمنون بها، على أن فيها ما يكذبه العقل، ويرده النقل، وهذه نماذج منها:

أولاً: عرض مشوَّش لقصة حواء، فلم يأت بما ورد في القرآن كاملاً رغم قلته، كما لم يرجع إلى السنّة إطلاقاً، وإنما ذكر آية قرآنية واحدة خلط فيها، وكان مرجعه العهد القديم والطبري، وكتب القصص، ومما جاء فيها: (وتكاد تتفق المصادر اليهودية والعربية اتفاقاً حرفياً في رواية زواج آدم وحواء الذي شهده الله وجبريل وغيره من الملائكة)[١].

ثانياً: ورد في مادة إدريس -عليه السلام- ما ذكر عنه في القرآن، ثم ما ذكر في الكتب السابقة، ثم الروايات الإسلامية المأخوذة عن كتب أهل الكتاب المنحولة، والقصص الأخرى التي لم تثبت عن النبي ﷺ، ومما ورد فيها: «إن إدريس طلب من الملك قبض روحه، ثم طلب إعادته، ثم طلب أن

(١) الدائرة ١٦/ ٢٠٠، مادة حوء، إيزنبرغ.

يرفعه إلى السماء ليرى الجنة، فلما بلغ الجنة أبى أن يخرج منها، وتعلق بنخلة، واعتصم بآيتين من القرآن أولاهما: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1]، وقد ذاقه هو من قبل، والثانية: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[2]، ولذلك فقد تشبث هو بالبقاء في الجنة؛ فأبقاه الله فيها، وسيعود منها إلى الأرض ثانية. وكما يعيش هو، وعيسى في السماء خالدين؛ يعيش الخضر، وإلياس خالدين في الأرض»[3].

ثالثاً: جاء عن إلياس -عليه السلام-: (وفي القرآن قصة عن إلياس آخر ولو أنه لم يصرح باسمه، لا تصل الرواية بينه وبين النبي، ولكنها تصل بينه وبين الخضر). ثم ذكر القصة اليهودية التي يمثل إلياس فيها دور الخضر، وذكر أن اعتقاد المسلمين بخلود إلياس والخضر، ذلك أنه لما بعث محمد سألا الله أن يقبضهما، فقال لهما محمد: «يا خضر عليك أن تعين أمتي في البَرِّ، وأنت يا إلياس عليك أن تعينها في البحر»، ثم قال: (والشائع هو أن الخضر سيد البحر، وإلياس سيد البر)[4].

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الحجر الآية: ٤٨.

(٣) الدائرة ٢/ ٤٨٣ بالمعنى، مادة إدريس، فنسنك.

(٤) الدائرة ٤/ ٣٨٣، مادة إلياس، فنسنك.

كما ينقل ما ذكره المفسرون، وأصحاب القصص في قصة إلياس[١].

رابعاً: جاء في قصة طالوت بعد ذكر القصص المتعلقة به التي ذكرها المفسرون: (وقد ذكرت الروايات الإسلامية تفصيلات من الخوارق...)، وأخذ يذكر الكثير من خوارق التابوت، وما يتعلق بداود، وجالوت، وجُلُّها لم تأتِ في القرآن أو السنّة، ومنها: (فلما مالت قلوب الناس إلى داود قتل زوج ابنته، ولكن زوجة داود حذرته فوضع دن خمر في فراشه، فجاء طالوت وطعن الدن...)[٢].

خامساً: جاء عند ذكر نبي الله داود -عليه السلام-: (ولداود مقام خاص عند الصوفية، وقد ذكره جلال الدين الرومي مراراً. ويبالغ كتاب: «كشف المحجوب» -وهو من أقدم كتب التصوف- مبالغة تكاد تخرج به عن الصواب في القصص الخاصة بحلاوة صوت داود، فهو يقول: إن الوحش كانت تترك مرابضها للاستماع إليه، وكذلك كان الماء يقف عن الجريان، وينزل الطير من السماء، وكان الناس يتبعونه إلى الفلوات ذاهلين عن مأكلهم، ومشربهم أياماً كما كان كثير من المستمعين إليه يموتون وهم على هذه الحالة من الوجد، وقد مات في مناسبة من هذه

---

(١) الدائرة ٤/ ٣٨١- ٣٨٣، مادة إلياس، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٣، مادة طالوت، هلر.

المناسبات ٧٠٠ عذراء، و ١٢٠٠٠ رجل)[١].

قلت: إن العجب أن يُترك في تراجم الأنبياء الكثير مما ثبت في الكتاب والسنة، ويستبدل بتلك القصص الواهية المجهولة من عامة المسلمين، فترجمة نبي الله داود -عليه السلام- لا تتجاوز ثلاث صفحات في الدائرة، ومع ذلك ساق الخرافة السابقة التي ليست من معتقدات المسلمين، ويستبعدها العقل، فضلاً عن أنها لا تقوم على سند صحيح من كتاب الله، أو سنة نبيه ﷺ، وقد ذكر القرآن الكريم داود -عليه السلام- وحسن صوته، وتسبيح الطير، والجبال معه، ولم يذكر سوى ذلك، والكتاب الذي نقل منه ليس بمعتمد عن المسلمين، بل ولا يُعرف عند خواص المسلمين فضلاً عن عامتهم.

سادساً: جاء في مادة آصف -والمقصود به الرجل الصالح الذي عنده علم من الكتاب، والذي أجاب الله دعوته في إحضار عرش بلقيس- في تعريفه: (آصف بن برخيا: اسم الوزير المزعوم للملك سليمان، وتقول القصة: إنه كان صديق سليمان، وكان لا يُرد عن أبوابه، ولما وجد آصف «جرادة» صفية سليمان تعبد صنماً، قام في الناس خطيباً، فأثنى على من

(١) الدائرة الأولى ٩/ ١٢٣، داود، كارده فو.

مضى من أنبياء الله، ولما انتهى إلى سليمان أثنى على شمائله في صغره، فغضب سليمان، وسأله معنفاً لم قصر الثناء عليه في صغره، فلامه آصف على وجود الصنم في القصر، فكسر سليمان الصنم، وعاقب جرادة وتاب إلى الله)[1].

قلت: لم يذكر في ترجمة آصف سوى هذه القصة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وإنما نقلها من الطبري في التاريخ (١/ ٥٨٨)، والتفسير (١٩/ ٩٤)، والثعلبي في قصص الأنبياء (٢٧١)، والكسائي في قصص الأنبياء أيضاً.

وترك ما في القرآن من مدح له ولسليمان -عليه السلام-.

سابعاً: جاء في مادة زكريا -عليه السلام- التشكيك بكونه قُتل شهيداً: (وقد جعلت قصص المسلمين زكريا النبي يموت ميتة الشهداء...)، ثم ساق مقتله بسبب خدعة إبليس له[2].

قلت: الجواب على كل هذا: أن الذي يُقطع بصحته من قَصَصِ الأنبياء هو ما ثبت في الكتاب والسنة، ويتوقف فيما عداهما مما هو موجود عند

---

(١) الدائرة ١/ ٨٢، مادة آصف، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٦٩، مادة زكريا، برنار هيلر.

أهل الكتاب لعدم ثبوته، ولدخول التحريف فيه، ولوجود ما يستحيل على أنبياء الله كالفواحش، كزنا لوط -عليه السلام- بابنتيه -معاذ الله من ذلك-.

ونقطع بكذب الخرافات التي لا تليق بأنبياء الله -عليهم السلام-.

وما تذكره دائرة المعارف من تلك الخرافات هي مطالبة بالدليل عليه مما يستدل به المسلمون وهو القرآن والسنة.

إن إيراد تلك الخرافات التي لا يعرفها علماء المسلمين فضلاً عن عوامهم في دائرة المعارف الإسلامية من غير أن تستند إلى مصادر الإسلام مناقض للموضوعية.

* * *

المبحث الخامس

مطالب متفرقة

المطلب الأول: التشكيك بما في القرآن:

جاء في الدائرة التشكيك بوجود قوم عاد من حيث الجملة، فضلاً عن القصة المعروفة في القرآن الكريم، حيث جاء: (أما مسألة: هل وجدت حقاً أمة تسمى عاد، وفي أي مكان عاشت، فلا تزال بلا حل، وأنساب قوم عاد التي قال بها العرب لا قيمة لها بطبيعة الحال)[١].

قد يُقال: لماذا يُشكك في الدائرة بأمة عاد، ولا يُشكك في غيرها من الأمم القديمة؟

والجواب: أن أُمة عاد لم تأت في كتبهم المحرفة، وإنما مصدرها القرآن الكريم، وما جاء في القرآن الكريم من أخبار الأمم الأخرى ينسبونه بطبيعة الحال إلى الكتب السابقة.

وسيأتي إعجاز القرآن الكريم وثبوته[٢]، وهو في حد ذاته كاف لرد هذه الشبهة.

---

(١) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٥٣، عاد، بول.

(٢) انظر صـ ٣٨٤.

وأما الاستدلال بالأنساب فلا مصلحة فيه؛ لأن المستشرق أبطل قيمتها بكلمة واحدة، وقد أثبتت الصور من الأقمار الصناعية وجود حضارة قديمة في الأحقاف قرب حضرموت، ويرجح أنه المكان الذي ذكر الله تعالى أن أمة عاد عاشت فيه.

المطلب الثاني: افتراءات على النبي ﷺ فيما يتعلق بقصص الأنبياء:

جاء في الدائرة افتراءات على النبي ﷺ فيما يتعلق بقصص الأنبياء لإبطال نبوته ﷺ، ومن ذلك: تعليق «فنسنك» على «أيزنبرغ» الذي ذكر قصة إبراهيم -عليه السلام- وأبيه ببعض التفصيل، وذكر مضمون ما ذُكر في العهد القديم والقرآن الكريم، وما ذكره المؤرخون[(١)]، حيث قال[(٢)]: (كان شبرنكر أول من لاحظ أن شخصية إبراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة، وجاء سنوك هرجوني[(٣)] بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال: إن إبراهيم في أقدم ما نزل من الوحي «الذاريات آية: ٢٤ وما بعدها، مريم آية: ٤٢ وما بعدها،

---

(١) الدائرة ١/ ١٤٤ - ١٤٦، مادة إبراهيم، ايزنبرغ.

(٢) هذا تعليقه كاملاً.

(٣) ادعى الإسلام، وسمى نفسه عبد الغفار، وسكن مكة في سوق الليل ستة شهور انظر ترجمته صـ ١٦٦.

الأنبياء آية: ٥٢ وما بعدها، العنكبوت آية: ١٥ وما بعدها» هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لإسماعيل صلة به، وإلى جانب هذا يُشار إلى أن الله لم يُرسل من قبل إلى العرب نذيراً «السجدة آية: ٢، سبأ آية: ٤٣، يس آية: ٥»، ولم يُذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت، ولا أنه أول المسلمين.

أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فإبراهيم يُدعى حَنيفاً «انظر هذه المادة» مسلماً، وهو واضع ملة إبراهيم، رفع مع إسماعيل قواعد بيتها المحرم -الكعبة- «البقرة آية: ١١٨ وما بعدها، آل عمران آية: ٦٠، ٨٤ ... إلخ»، وسر هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصراً؛ هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العربي إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام، ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضاً المشيد لبيت هذه المدينة المقدس)[1].

(١) الدائرة ١/ ١٤٦، مادة إبراهيم، فنسنك.

كما جاء عن المستشرق نفسه في مادة إسرائيل: (ويظهر أن محمداً كان أول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لإبراهيم، فعندما زفت البشرى لسارة جاء في القرآن: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾[1]، ويبادر المفسرون إلى أيضاح أن كلمة «وراء» التي وردت في الآية يجب أن تشير إلى الحفيد وفقاً للإستعمال العربي)[2].

قلت: تلهُّفُ أولئك المستشرقين على الطعن في نبوته ﷺ يعميهم عن الموضوعية التي يجب على الباحثين التحلي بها، ففي النصوص السابقة تحليلات مجانبة للصواب، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أن عدم ذكر بناء البيت في السور المكية، وذكره في السور المدينة ليس بدليل أو قرينة على ما زعم من السر الذي اكتشفه.

إن من المعلوم أن من حِكم نزول القرآن الكريم منجماً خدمة الدعوة الإسلامية، فلما كان النبي ﷺ في مكة يواجه الكفار المشركين المكذبين بالبعث الرافضين لدعوته الجاحدين لما جاء به، ولم يقتصروا على ذلك؛ بل عمدوا إلى الاستهزاء به، وصد الناس عنه، واضطهاد القلة التي آمنت به، ناسب أن يغلب على القرآن المكي إثبات التوحيد، والنبوة، والبعث،

(١) سورة هود الآية: ٧١.

(٢) الدائرة ٣/ ٢٩٢- ٢٩٣، مادة إسرائيل، فنسنك.

والعناية بتلك الموضوعات، مع ذكر الأقوام السابقين، وما حل بهم من عقاب بسبب تكذيبهم لأنبيائهم تسلية الله لنبيه ﷺ، ولتخويف الكفار المتعنتين في قبول دعوته، كما جاءت تسليته ﷺ بذكر الأنبياء وصبرهم.

فجاء ذكر إبراهيم -عليه السلام- في القرآن المكي مناسباً لذلك، حيث جاءت تسلية الله لإبراهيم -عليه السلام- بأن، وهب له إسماعيل، وإسحاق -عليهما السلام-[1]، كما وردت ملامح من دعوة إبراهيم لأبيه وقومه ومحاجته لهم[2].

وفي المدينة تغير الحال فقد قامت الدولة الإسلامية وأصبحت للدعوة قوة تحميها وتنشرها، كما كان اليهود هناك، فجاء القرآن المدني بتفاصيل الشريعة، والأمر بالجهاد، وببيان انحرافات اليهود وتعنتهم مع أنبيائهم مما لا يستنكر معه تكذيبهم بالنبي ﷺ، وجاء في هذا السياق الرد عليهم بإثبات نبوته ﷺ ومحاجة اليهود المنكرين لصلة النبي ﷺ بإبراهيم -عليه السلام-، فجاء إثبات ذلك ببناء إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- للبيت الحرام في مكة -التي هي مسقط رأس النبي ﷺ- ودعاء إبراهيم بإرسال النبي ﷺ لأهل مكة[3].

---

(١) الذاريات الآيات: ٢٤- ٣٠.

(٢) الأنعام الآيات: ٧٤- ٨٣، طه الآيات: ٤٠- ٥٠.

(٣) للزيادة انظر البقرة الآيات: ١٢٣- ١٤١.

الثاني: القاعدة التي بنى عليها المستشرق السر المدَّعَى -وهو أن سبب اختلاف السور المكية والمدنية في إبراهيم اعتماد النبي ﷺ على اليهود في مكة؛ فلما عادوه لجأ إلى وصل نفسه بإبراهيم - غير صحيحة، فقد جاءت سورة كاملة باسم إبراهيم في مكة، وجاء فيها ذكر البيت الحرام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[١].

كما سُمي إبراهيم -عليه السلام- حنيفاً في السور المكية في أربعة مواضع[٢].

كما جاءت الصلة التي نفاها المستشرق بين إبراهيم وإسماعيل في السور المكية في قول إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٣].

الثالث: أن النبي ﷺ لم يعتمد على اليهود مطلقاً في مكة، لا معنوياً،

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٣٥- ٣٧.

(٢) في الأنعام الآيتان: ٧٩، ١٦١، وفي النحل الآيتان: ١٢٠، ١٢٣.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٣٩.

ولا عسكرياً، ولا مالياً، وكان اليهود في المدينة يبشرون ببعثته ﷺ فلما خرج كفروا به، وقالوا لمشركي مكة: دينكم خير من دينه، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [1] [2].

الرابع: أن النبي ﷺ ربط نفسه بالإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء أول الأمر، وقد أمره الله بإعلان ذلك: ﴿.... قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [3].

ولم يربط نفسه بيهودية عصره مطلقاً؛ كيف هذا وهو يعلنها صريحة في مكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [4].

ولم يكن إبراهيم يهودياً ولا يصح أن يقال هذا في دائرة المعارف الإسلامية مع مخالفته لصريح القرآن: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [5].

---

(١) سورة النساء الآية: ٥١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٢٧، تفسير ابن كثير ١/ ٥١٣.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٤.

(٤) سورة البينة الآية: ٦.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٦٧.

الخامس: أن كلام الكاتب -في دعواه انشغال الرسول بمكة بعد الهجرة جعله يقول بأن إبراهيم هو المُشَيِّد للبيت- لا يستقيم، فكيف يبجل النبي ﷺ مكة بعد فراقها، ولو كان القرآن الكريم من تلقاء نفسه لناسب أن يفعل ذلك يوم كان فيها بين القبائل المعتزة بها، وهو في أمسِّ الحاجة إليهم.

السادس: فيما يتعلق بيعقوب -عليه السلام-: أورد المستشرق: «أول الأمر» لأنه رأى أن هذه الآية مكية، وهي قوله تعالى في تبشير الملائكة لسارة: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [1]، ثم رأى الآيات المدنية تصرح بأن يعقوب ابن لإسحاق، كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [2].

ومراد المستشرق من هذا التشكيك في نبوته ﷺ، وأن ما أتى به لم يكن يقيناً من عند الله بدليل تغيير عقيدته فيه.

وللإجابة على ذلك يجب التنبيه إلى حقيقتين هما:

الأولى: أن هذا الاستعمال في الآية المكية هو استعمال صحيح في

---

(١) سورة هود الآية: ٧١.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٣.

لغة العرب في حق الحفيد؛ كما أن العرب يطلقون على الجد أباً كما في الآية السالفة.

الثانية: ما ورد في الآية المكيَّة الأخرى في حديث يعقوب لابنه يوسف - عليهما السلام -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[1]، كما ورد في سورة إبراهيم المكية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[2]، ولم يذكر يعقوب.

فهذه آيات مكية محكمة تبين أن النبي ﷺ كان يعتقد من أول الأمر أن يعقوب ابن لإسحاق -عليهما السلام-.

والمنهج العلمي رد كلام المتكلم المتشابه الذي قد يفهم منه أكثر من وجه إلى المحكم، وهذا ما حادت عنه الموسوعة في هذا الموضع وفي غيره.

* * *

(١) سورة يوسف الآية: ٦.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٣٩.

المطلب الثالث: نسبة أمور للقرآن في قصص الأنبياء ليست فيه:

جاء في الدائرة العديد من المواضع التي يذكر فيها المرجع سورة، أو آية من آيات القرآن بينما لا تدل السورة، أو الآية على ما ذكر، ومن ذلك:

جاء في الدائرة: (وعلى حواء «سورة الأعراف» معظم الوزر في الخطيئة الأولى، فقد أغواها إبليس فأكلت من شجرة الشر)[(١)].

كما جاء: (والخبر الذي ذكره القرآن من أن طالوت سيُبعث من سبط لا يحق له الملك مؤداه أن شارل «طالوت» كان من سبط بنيامين)[(٢)].

قلت: ليس في القرآن أن على حواء معظم الوزر، أو أن إبليس أغواها؛ فأكلت من الشجرة وحدها، وإنما الذي في القرآن -في نفس الموضع الذي أشار إليه المستشرق- مشاركة حواء لآدم في كل ما سبق: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(٣)].

---

(١) الدائرة ١٦/ ١٩٩، مادة حواء، ايزنبرغ.

(٢) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٢، مادة طالوت، هلر.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٩- ٢٣.

أما ما يتعلق بطالوت، فليس في القرآن أن طالوت من سبط لا يحق له الملك، بل هو مستحق له بنص القرآن كما قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1].

ثم إن الذي قال: إنه لا يحق له الملك هم بنو إسرائيل، ولم يقرهم الله على ذلك، بل اختاره ملكاً يحق له الملك عليهم، بسبب ما حباه من العلم والجسم.

ونسبة ذلك للقرآن من الكذب المناقض للمنهج العلمي، ونسبة أي معلومة إلى مرجع ليست فيه خداع للقارئ، وإسقاط لموضوعية الموسوعة، ويعظم هذا إذا مس القرآن الكريم.

* * *

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٧.

الفصل الثاني

محمد ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية

عرض ومناقشة

المبحث الأول: الأدلة على صدقِ رسالته ﷺ.

المبحث الثاني: زعم الدائرة باستقاء رسالته ﷺ من الأمم السالفة.

المبحث الثالث: التشكيك في نبوته ﷺ.

المبحث الرابع: الطعن في السنَّة النبويَّة.

المبحث الخامس: الطعن في سيرته ﷺ ونفي معجزاته.

المبحث السادس: الطعن في صحابته ﷺ.

تمهيد:

هذا الباب من أهم الأبواب؛ ذلك أن رحى الدائرة قائمة على تكذيب نبوته ﷺ ساعية بكل سبيل للتشكيك فيها، وهذا أمر ليس بمستغرب على من ألَّفها؛ إذ أن الناظر لها المتعمق فيها ليشعر أن هذا الأمر من أبرز أسباب تأليفها، وقد يعجب الإنسان أحياناً من تخطي غالب أولئك المستشرقين للمناهج العلمية التي دأبوا على التشدق بها عند الحديث عن نبوة المصطفى ﷺ، بدافع الحقد الأعمى والتقليد الموروث.

وهم يسلكون مسالك شتى للوصول إلى هذه النتيجة، وأهمها خمسة:

الأول: الزعم أن النبي ﷺ استقى رسالته من الأمم الماضية؛ سواء من أهل الكتاب أو من مشركي العرب، أو من المجوس أو غيرهم.

الثاني: نفي معجزاته ﷺ وإطلاق ألفاظ التشكيك، والتناقض، والتأليف عند الحديث عن الوحي.

الثالث: الطعن في السنّة النبوية.

الرابع: الطعن في سيرته ﷺ.

الخامس: الطعن في صحابته ﷺ، والحط منهم، -رضي الله عنهم أجمعين- .

وسأرد أولاً رداً مجملاً يعم جميع مسالكهم مبيناً صحة رسالته ﷺ، ثم أتناول كل مسلك على حدة برد إجمالي لذلك المسلك، ثم برد تفصيلي لكل حالة على حدة عند الحاجة إليه، مع أن أكثر الحالات تكون الردود الإجمالية فيها كافية، والله المستعان.

* * *

المبحث الأول

الأدلة على صدقِ رسالته ﷺ

المطلب الأول: البِشَارات في الكتب السابقة.

المطلب الثاني: حُسنُ سيرته ﷺ.

المطلب الثالث: إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الرابع: المعجزات الأخرى.

تمهيد:

قامت الأدلة المتنوعة على صدق النبي ﷺ، وسأورد أربع مجموعات من الأدلة فيها خلاصة معجزاته ﷺ، وأما حصرها فيطول، وليس هذا موضعه.

وتلك الدلائل هي:

١- البِشَارات الموجودة في الكتب السابقة بنبوته ﷺ.

٢- حسن سيرته واشتهار صدقه وأمانته.

٣- القرآن الكريم المعجزة الكبرى، ويشمل معجزات متنوعة.

٤- المعجزات الأخرى.

المطلب الأول: البشارات الدالة على رسالة النبي ﷺ في الكتب المتقدمة:

دلت البشارات في الكتب السابقة على نبوته ﷺ، ودلالة ذلك من أوجه عدة:

الأول: تصريح القرآن الكريم بذلك، وستأتي الأدلة المثبتة أن القرآن من عند الله[1]، كما أن الذين عاصروا نزول القرآن من أهل الكتاب لم يجحدوا تلك الآيات أو يطعنوا فيها، مع شدة حرصهم على التشكيك في كتاب الله.

الثاني: تواتر الأخبار عمن أسلم من أهل الكتاب، ومن بقي على دينه بوجود تلك البشارات في الكتب السابقة.

الثالث: وجود بقايا من تلك البشارات في كتبهم التي بأيديهم إلى اليوم.

(١) انظر صـ ٣٨٤.

أولاً: تصريح القرآن الكريم بها:

إن النبي ﷺ قد بشّر به بعض إخوانه من الأنبياء السابقين، فقد جاء في القرآن الكريم أن إبراهيم -عليه السلام-، دعا عند بنائه البيت بمكة -وهي مسقط رأس النبي محمد ﷺ -بقوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١]، ولم يبعث إلى أهل مكة أحد قبله.

كما بشر به موسى، وعيسى -عليهما السلام- ببشارات متعددة، وجاء ذكره في التوراة والإنجيل باسمه وصفاته. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعضها كما قال تعالى مادحاً من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [٢].

وقال سبحانه وتعالى مبيناً صفة النبي ﷺ وأصحابه في التوراة والإنجيل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٩.

(٢) سورة الأعراف الآيتان: ١٥٦ - ١٥٧.

رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (١).

كما جاء في القرآن على لسان عيسى -عليه السلام-: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢).

وفي تلك الآيات وأشباهها الدليل الكافي على ثبوت ذلك في كتبهم من وجهين:

الأول: أن النبي ﷺ من أعقل الناس بشهادة خصومه، والعاقل لا يسعى لإظهار كذب نفسه، «وقد كان النبي ﷺ يدعوهم إلى اتباعه وتصديقه، فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج، ثم يحيل ذلك إلى ما عندهم، وما في أيديهم، ويقول: من علامة نبوتي وصدقي أنكم تجدونني عندكم مكتوباً، وهم لا يجدونه كما ذكر، فلا يزيدهم ذلك عنه إلا بعداً، وقد كان

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٢) سورة الصف الآية: ٦.

غنياً أن يدعوهم بما ينفرهم، ويستميلهم بما يوحشهم؟»[١].

الثاني: أن النبي ﷺ يُسمعهم تلك الآيات بها دوماً وهم غير منكرين، مع شدة تلهفهم أن يجدوا عليه زلّة واحدة.

قال القاضي عِيَاض[٢]: «وقد قرع -النبي ﷺ- أسماع اليهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته، وصفة أصحابه، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه، وليِّ ألسنتهم ببيان أمره، ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب، فما منهم إلا من نفر عن معارضته، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال، وتخريب الديار، ونبذ القتال.

وقد قال لهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ »[٣][٤].

---

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن معمر صـ ١٠٠ بتصرف، دار ثقيف، الطائف، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) عياض بن موسى اليحصبي ٤٧٦ - ٥٤٤هـ عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، ومن أعلم الناس بكلام العرب، وأنسابهم، وأيامهم تولى قضاء غرناطة، له الكثير من التصانيف النافعة في الحديث والفقه والسيرة. (انظر الأعلام للزركلي ٥/ ٩٩).

(٣) سورة آل عمران الآية: ٩٣.

(٤) الشفا بأحوال المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي ١/ ٣٠٤، دار التراث، القاهرة. دطت.

ثانياً: تواتر تصديق ذلك عن أهل الكتاب:

تواترت الأخبار عمن أسلم من أهل الكتاب، ومن بقي على دينه بوجود تلك البشارات، والأوصاف لنبينا ﷺ في كتبهم؛ لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

ومن تلك الأخبار:

- لما نزل الوحي على النبي ﷺ قال له ورقة بن نوفل[٢]: «هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى»[٣].

- ومن ذلك قصة إسلام النجاشي ملك الحبشة لما قدم عليه المهاجرون فراراً من بطش الكفار في مكة، وحين التقوا به وتحدثوا إليه، وقرأوا عليه القرآن بكى حتى اخضلت لحيته، وقال: «إن هذا والذي جاء

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٦.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ اعتزل الأوثان في الجاهلية، وقرأ كتب أهل الكتاب فتنصَّر، ثم شهد بعثة النبي ﷺ فصدقه، ثم مات قبل دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام في السنة الأولى من البعثة، ورد في فضله الكثير من الأحاديث النبوية (انظر الإصابة لابن حجر ٣/ ٦٣٣- ٦٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في بدء الوحي، برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي برقم (١٦٠).

به موسى ليخرج من مشكاة واحدة».

ولما قُرِئ عليه ما جاء في القرآن بشأن عيسى -عليه السلام-، وأنه عبد الله ورسوله، أخذ عوداً من الأرض وقال: «ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود»[١].

وهذه القصة قال عنها ابن تيمية: «ذكرها جماعة من العلماء، والحفاظ كأحمد بن حنبل في المسند، وابن سعد[٢] في الطبقات، وأبي نعيم[٣] في الحلية وغيرهم، وذكرها أهل الحديث، والتفسير، والفقه، وهي متواترة

---

(١) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٢٩٠- ٢٩١، وأحمد في المسند وقال أحمد البنا: الحديث صحيح. وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد ورجاله، رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع»، (انظر الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني ٢٠/ ٢٢٩، دار الشهاب، القاهرة، دطت، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني في دلائل النبوة ١/ ٨٠- ٨١، عالم الكتب، بيروت، طبعة قديمة دت).

(٢) محمد بن سعد الهاشمي مولاهم البصري، المؤرخ المشهور صاحب الطبقات الكبرى، كان كثير العلم والرواية. قال ابن حجر عنه: «أحد الحفاظ الكبار المتحرين»، نزل بغداد ومات بها ٢٣٠هـ. (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ١٨٢- ١٨٣).

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني الحافظ الكبير واسع العلم، كثير الاطلاع، مكثر من السماع والرواية. توفي سنة ٤٣٠هـ. (انظر البداية والنهاية ١٢/ ٤٥).

عند العلماء»[١].

وإسلام النجاشي ثابت في الصحيحين، وقد صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب لمَّا توفي[٢].

- ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن سلام[٣] حبر يهود المدينة في زمن النبي ﷺ لما سُئل: أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟

قال: «نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه»[٤].

وكانت قصة إسلامه كما أخرجها البخاري: عن أنس -رضي الله عنه- قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ١/ ٧٩، مطابع دار المجد. دطت، انظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد المعافري ١/ ٢٠٧- ٢٠٨، دار صادر، بيروت دطت.

(٢) انظر البخاري، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعاء حديث رقم (١٣٣٣).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث من ذرية يوسف -عليه السلام-، كان من علماء اليهود في المدينة، وكان من يهود بني قينقاع، عرف النبي ﷺ فأسلم، ومات بالمدينة سنة ٤٣هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٣٢٠- ٣٢١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦٣ في تفسير البقرة الآية: ١٤٦.

أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟

فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهن آنفاً جبريل».

قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه به، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها».

قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك.

فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟».

قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وخيرنا وابن خيرنا.

فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله».

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً

رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه»[١].

- ومن ذلك ما ذكره عامة أهل السير عن سلمان الفارسي[٢] وتنصره، وتنقله بين علماء أهل الكتاب يتعلم منهم، حتى أشار إليه آخرهم بالإيمان بالنبي القادم، وذكر له ما يدل عليه، فلما بعث النبي ﷺ وهاجر أسلم سلمان -رضي الله عنه-، وقد ذكر البخاري طرفاً منها[٣].

- ونصارى نجران لم يلاعنوا عندما دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة خوفاً من وقوع العقوبة عليهم[٤].

---

(١) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٢٩)، وفي كتاب مناقب الأنصار برقم (٣٩٣٨).

(٢) سلمان الفارسي أصله من رامهرمز، أو أصبهان بفارس، عاش طويلاً وبحث عن الدين الحق، قدم المدينة لما سمع أن النبي ﷺ سيهاجر إليها، ولكنه أُسر واستُرق، وروى البخاري عنه أنه تداوله بضعة عشر سيداً، أسلم لما قدم النبي ﷺ المدينة شهد الخندق وما بعدها، كما شهد فتوح العراق، وتوفي قرابة سنة ٣٢هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٦٢- ٦٣).

(٣) انظر البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي الحديث برقم (٣٩٤٦)، وقال ابن حجر: إن البخاري لم يذكر كامل القصة؛ لأنها ليست على شرطه، وإن كان إسناد بعضها صالحاً. (انظر الفتح ٧/ ٢٧٧، وقد أخرجها بتمامها البيهقي أحمد بن الحسين في دلائل النبوة ٢/ ٨٢- ٩٢، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، والحاكم وصححها ٣/ ٥٩٩-٦٠٢).

(٤) انظر البخاري كتاب المغازي، باب: قصة أهل نجران، الحديث برقم (٤٣٨٠).

- كما عرف نبوته بُحيرى[(١)]، وهرقل[(٢)]، وصفاطر[(٣)]، وحيي بن أخطب وأخوه[(٤)]، ويامين[(٥)]، وكعب بن أسد[(٦)]، ومخيريق[(٧)]، وكعب

---

(١) لقب راهب نصراني اسمه جرجيس، وكان من أكابر علماء النصرانية، وكانت صومعته في بصرى بحوران جنوب سوريا على طريق القوافل بين مكة والشام فمر به النبي ﷺ وهو صبي مع قافلة مع عمه أبي طالب فعرفه بحيرى ببعض صفاته أنه النبي المبشر به، فأوصى عمه أن يحفظه من اليهود، فرجع به عمه فوراً إلى مكة. (انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٦٥-١٦٦، وصححها الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥، وخالفه الذهبي في تعليقه).

(٢) ستأتي قصته في المطلب القادم.

(٣) كبير أساقفة الروم المعاصر لهرقل. قال لهرقل لما بلغته رسالة النبي ﷺ: والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه، ثم خلع السواد ولبس ثياباً بيضاء وقال: يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه، ثم نطق بالشهادتين فقتلوه. (انظر البداية والنهاية ٤/ ٤٦٧).

(٤) حيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب من زعماء بني النضير قدما المدينة لما هاجر النبي ﷺ إليها ليرياه؛ فلما عاد سمعت صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ عمها يقول لأبيها: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: تعرفه بصفته ونعته؟ فقال: نعم والله، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته ما بقيت. (انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٣٥).

(٥) يامين بن عمير بن كعب من يهود بني النضير فأسلم. (انظر الإصابة ٣/ ٦٤٨).

(٦) كعب بن أسد القرظي من علماء وشعراء اليهود بالمدينة قال لبني قريظة لمَّا نزل بهم النبي ﷺ في حصنهم: يا معشر يهود تابعوا هذا الرجل فوالله إنه النبي، وقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي كنتم تجدونه في كتبكم، وأنه الذي بشر به عيسى، وأنكم لتعرفون صفته. قالوا: هو به، ولكن لا نفارق حكم التوارة، فأبوا الإسلام، فقُتلوا جميعاً على ما هم عليه. (انظر الطبقات لابن سعد ١/ ١٦٤، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٢٥).

(٧) مخيريق النظري كان من علماء اليهود وأغنيائهم، أسلم وقُتل يوم أحد، وأوصى النبي=

الأحبار[١]، وغيرهم كثير مما يطول استقصاؤه.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ومتواترة في علم أهل الكتاب بمبعث النبي ﷺ، وانطباق الأوصاف عليه.

ثالثاً: وجود بعض تلك البشارات في كتبهم إلى اليوم:

هذه البشارات قد أضرت بها التحريفات التي لحقت بالتوراة والإنجيل، ومع ذلك فقد أُحصيت عشرات البشارات في العهدين القديم والجديد[٢]، وأطنب في تفصيلها الكثير من علماء الإسلام ممن تصدوا لهذا الموضوع مما لا يحصى في هذا المقام[٣]، ومن تلك البشارات:

=ﷺ بالتصدق بماله، قال عنه النبي ﷺ: «مخيريق خير يهود». (انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٥٠١، والأعلام للزركلي ٧/ ١٩٤).

(١) كعب بن ماتع الحميري تابعي، كان من علماء اليهود في اليمن أسلم في زمن الصديق، وقدم المدينة في دولة عمر، وأخبر بصفة النبي ﷺ في التوراة، توفي في الشام سنة ٣٢هـ، وعمره فوق المئة. (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٦٠، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٢٨).

(٢) ذكرها رحمت الله الهندي في كتابه إظهار الحق في الباب السادس ٤/ ١١١٦-١١٨٥، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض سنة ١٤١٠هـ.

(٣) انظر صـ١٠٧٨، ١٠٧٩.

١- جاء في العهد القديم قول موسى -عليه السلام-: (قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به)[١].

فدلت هذه الفقرة على البشارة بمحمد ﷺ، ولا ينصرف المعنى إلى غيره؛ لأن الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى جميعهم من بني إسرائيل ما خلا محمداً ﷺ، وأنبياء بني إسرائيل لا يماثلون موسى -عليه السلام- كما دل العهد القديم في نفس السفر السابق: (ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرفه الرب وجهاً لوجه)[٢].

وموسى قد جاء بشريعة مستقلة، ولم يأت بعده بمثل ما جاء به سوى محمد ﷺ، وسائر من كان بينهما من الأنبياء، إنما يرجع إلى التوراة، ولهذا قال مؤمنوا الجن عن القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[٣].

ومن قال من النصارى إن المقصود بهذه البشارة هو عيسى -عليه السلام- فليس بصحيح من وجوه عدة:

---

(١) سفر التثنية ١٨/ ١٧-١٨.

(٢) سفر التثينة ٣٤/ ١٠.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ٣٠.

أولها: ما سبق بيانه من استقلال الشريعة.

ثانيها: أن موسى مأمور بالمقاتلة، وإقامة الدولة والحكم، بينما كان عيسى مأموراً بالصبر.

ثالثها: أن عيسى في زعم النصارى إله ورب، بينما كان موسى عبداً له.

كما أن النص من بين إخوتهم، ولو كان من بين بني إسرائيل لقال منهم، والنبي ﷺ من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخ لإسحاق -عليهما السلام-، فناسبه الوصف.

٢- جاء في العهد القديم أيضاً: (جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبار فاران، ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار)[١].

فمجيئه من سيناء: إعطاؤه التوارة لموسى -عليه السلام-، وإشراقه من ساعير: إعطاؤه لعيسى -عليه السلام-، واستلاؤه من جبال فاران: إنزاله القرآن على النبي ﷺ، ذلك أن ساعير اسم لجبال فلسطين، «وفاران وإن كان اسماً للجبل الممتد بين الشام وبادية العرب، فإن الحجاز هي المخصوصة بهذا الاسم.

(١) سفر التثنية ٣٣/ ٢.

والدليل عليه ما وُجِد في التوراة في قصة إسماعيل أنه كان يتعلم الرمي في برية فاران[١]. وقد عُلِم أن منشأه لم يكن قط إلا أرض الحجاز»[٢].

أما النار فهي إشارة للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، بل ورد ذلك نصاً في السامرية: (وعن يمينه نار شريعة لهم).

قال ابن تيمية: «فعُلِم أنه ليس المراد باستعلائه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ، وهو سبحانه ذكر هذا بالترتيب الزماني، فذكر إنزال التوارة، ثم الإنجيل، ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه، قال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق؛ وفي الثالث: استعلن، فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء»[٣].

٣- جاء في العهد الجديد بعد أن ضرب لهم المسيح مثلاً بنفسه؛ ضرب لهم مثلاً آخر ينطبق على نبينا محمد ﷺ وهو: (يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع

---

(١) سفر التكوين ٢١/ ٢٠- ٢١.

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري ٢٠٥، تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/ ٣٠١ بتصرف.

البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها)[١].

فملكوت السماء هو طريق النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ، وكانت شريعته ودولته وأعداد أتباعه كحبة خردل في القلة، ولكن خلال مدة قليلة نمت فكانت أكبر البقول، فأصبحت أظهر الشرائع.

ويحتمل -والله أعلم- أن تكون هذه البشارة هي التي أخبر عنها القرآن في آية الفتح السالفة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[٢].

٤- جاء في العهد الجديد كثير من النصوص المبشرة بنبينا محمد ﷺ، والتي تذكره بصفة الحمد، كما دل على ذلك القرآن، وقد أضرت ترجمات الإنجيل بنصه؛ ذلك أن عيسى -عليه السلام- كان يتكلم باللسان العبراني، والإنجيل الموجود باليوناني، فحرفت لفظة الحمد التي تشير إلى نبينا ﷺ من «بير كلوطوس» التي تعني الحمد إلى «باراكلي طوس» بمعنى: المعزي والمعين، ثم ترجمت إلى العربية؛ فأصبحت:

---

(١) متى ١٣/ ٣١- ٣٢.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

«فارقليط»[١]، وقد ورد هذا اللفظ في ثلاثة مواضع[٢]، منها (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد)[٣].

فهذه نماذج من البشارات الموجودة إلى اليوم في كتب أهل الكتاب، وقد حاولوا إخفاءها وتأويلها، ولكن الحق واضح لمن طلبه.

ثم إنه يستحيل أن يكون أمر محمد ﷺ لم يذكر البتة في الكتب السالفة، خاصة أن أنبياء بني إسرائيل أخبروا عن كثير من الحوادث التي هي أقل من ظهور النبي ﷺ: كحادثة بختنصر، واسكندر، وخلفائه، وحوادث أرض مصر، ونينوى، وبابل[٤]، يذكر كل ذلك وغيره، ولا يذكر النبي محمد ﷺ الذي شاع دينه في الجزيرة، والشام، ومصر، والعراق، وهي الأوطان الأصلية للأنبياء، حتى بلغ شرقاً وغرباً، وغلب سائر الأديان، وظهر في أمته ألوف العلماء والعباد، ودخل كثير من أهل الكتاب في دينه، وأخبروا بصدقه!!

---

(١) إظهار الحق ٤/ ١١٨٥ وما بعدها.

(٢) وردت في يوحنا: ١٤/ ١٥- ٣٠، ١٥/ ٢٦، ١٦/ ٧- ١٥.

(٣) يوحنا: ١٤/ ١٥- ١٦.

(٤) إظهار الحق ٤/ ١٠٧٨.

المطلب الثاني: حُسن سيرته ﷺ:

إن محض النظر المقرون بالتجرد الموضوعي لمَِا ثبت من سيرة النبي ﷺ منذ ولادته، وحتى وفاته ليؤدي إلى اليقين أنه رسول من عند الله ليس به جِنَّة، ولا بساحر، ولا بجاهل، ولا مدَّعٍ كذَّاب.

وقد ساق القرآن الكريم هذا الدليل العقلي بوجوه عدة لإثبات صدق النبي ﷺ، وضلال مكذبيه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي أَفَهُم لا يعرفون محمداً، وصدقه، وأمانته، وصيانته التي نشأ بها فيهم؟ أي: أفيقدرون على إنكار ذلك، والمباهتة فيه؟، ولهذا قال جعفر بن أبي طالب[2] -رضي الله عنه- للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك إن الله بعث فينا رسولاً نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته،

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان: ٦٨- ٦٩.

(٢) جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، وأحد السابقين إلى الإسلام من أفاضل الصحابة، كان متواضعاً محباً للمساكين، وكان في مقدمة من هاجر إلى الحبشة، قاد المسلمين في معركة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، واستشهد بها. (انظر الإصابة ١/ ٢٣٧- ٢٣٨).

وهكذا قال المغيرة بن شعبة[١] لنائب كسرى حين بارزهم، وكذلك قال أبو سفيان[٢] لملك الروم »[٣][٤].

كما قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[٥].

قال الشنقيطي[٦] -رحمه الله-: «في هذه الآية الكريمة حجة واضحة

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم سنة ست من الهجرة، كان من دهاة العرب، ولاه عمر البصرة، وساهم في الفتوح، واعتزل الفتنة، ثم بايع معاوية لما استقر الأمر له، فولاه الكوفة حتى توفي سنة خمسين من الهجرة. (انظر الإصابة ٣/ ٤٥٢).

(٢) صخر بن حرب القرشي الأموي هو والد معاوية، وكان من زعماء قريش، تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة. أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، شارك في اليرموك، توفي سنة ٣٤ من الهجرة. (انظر الإصابة ٢/ ١٧٨ - ١٨٠).

(٣) ستأتي القصة كاملة بعد خمس صفحات.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٠.

(٥) سورة يونس الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٦) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، طلب العلم ببلده بشنقيط فأتقن فروع العلم المختلفة، لاسيما التفسير، والفقه، والأصول، والمنطق، وكان حافظاً ذكياً حفظ المتون، والألفيات من الشعر، وكان ينظمه أيضاً، رحل إلى الجزيرة العربية فعلَّم بالرياض، وجاور بالمدينة ودرَّس بالمسجد النبوي، والجامعة الإسلامية، وتوفي فيها سنة ١٣٩٣هـ. (انظر ترجمته لعطية سالم، وهي محلقة بآخر تفسيره أضواء البيان).

على كفار مكة؛ لأن النبي ﷺ لم يُبعث إليهم رسولاً حتى لبث فيهم عُمراً من الزمن؛ وقَدْرُ ذلك أربعون سنة؛ فعرفوا صدقه، وأمانته، وعدله، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذباً على الله تعالى، وكانوا في الجاهلية يسمونه الأمين، وقد ألقمهم الله حجراً بهذه الحجة في موضع آخر، وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ »[1] [2].

ولو كان النبي ﷺ كاذباً على الله لانطبق عليه ما ذكره الله في القرآن، وما هو معلوم بالضرورة بعدم فلاحه ونجاحه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[3]، وهذا مخالف لحاله ﷺ، فقد أفلح في الدنيا والآخرة، بل صدَّقه الله بالآيات من عنده، فآمن به الناس، وانتصر على أعدائه، وبقيت أمته إلى يوم القيامة، وصلاتهم دائمة عليه لا تنقطع، واسمه يذكر مع اسم الله على المآذن في كل مكان، فأي فلاح بعد هذا الفلاح؟!

وأي مريدٍ للحقِّ في أمر النبي ﷺ، ليتبين له صدق نبوته، بشرط أن

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٦٩.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٢/ ٤٧٩، عالم الكتب، بيروت، دطت.

(٣) سورة يونس الآية: ١٧.

يبتعد عن المؤثرات المضللة، ويجلس مع النفس، أو مع آخر مثله، للتفكر في ذلك الرجل وسيرته وأحواله، وهذا ما وعظ به الله المشركين في القرآن، لمَّا زعموا أن النبي ﷺ به جِنَّة، وليس برسول، حيث أمرهم سبحانه بالخلوة للتفكير البعيد عن المؤثرات، والدعايات الحاجبة عن الحقيقة، فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١].

يقول سيد قطب [٢] -رحمه الله-: «إنها دعوة إلى القيام لله. بعيداً عن الهوى. بعيداً عن المصلحة. بعيداً عن ملابسات الأرض. بعيداً عن

---

(١) سورة سبأ الآيتان: ٤٦ - ٤٧.

(٢) سيد قطب إبراهيم ١٣٢٤هـ - ١٣٨٧هـ من مواليد أسيوط، مفكر وداعية إسلامي مصري، كان أديباً، وشاعراً، وصحفياً، تخرج من كلية دار العلوم، وعمل في التدريس، ثم ابتعث للولايات المتحدة، ولما عاد انضم للإخوان المسلمين، وتحمس لتطبيق الإسلام؛ فطالب بإصلاح برامج التعليم لتتماشى مع الإسلام، وتولى تحرير مجلة الدعوة المصرية، حتى سجن مع الإخوان؛ فعكف على تأليف الكتب التي كان لها أقوى التأثير في العالم الإسلامي؛ فصدر قرار بإعدامه، فأعدم. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٧ - ١٤٨).

الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلوب، فتبعد به عن الله. بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة.

دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا، والدعاوى الرائجة؛ ولا مع العبارات المطاطة، التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها.

دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ، الصافي، بعيداً عن الضجيج، والخلط، واللبس؛ والرؤية المضطربة، والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة.

وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة. منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب، والغواشي، والمؤثرات. وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي ﴿ وَاحِدَةً ﴾ .. إن تحققت صح النهج، واستقام الطريق. القيام لله.. لا لغرض، ولا لهوى، ولا لمصلحة، ولا لنتيجة.. التجرد.. الخلوص .. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾.. مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا

تتلبث لتتبع الحجة في هدوء ...، وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق.

﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ .. فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة. وما يقول شيئاً يدعو إلى التظنن بعقله ورشده. إن هو إلا القول المحكم القوي المبين»[١].

وسأقف وقفة سريعة على سيرته ﷺ.

فقد وُلِد ﷺ في عام الفيل؛ ذلك العام الذي نزل فيه العذاب الشديد من السماء على أصحاب الفيل، لمَّا أرادوا هدم الكعبة، كما جاء ذلك في سورة كاملة من القرآن باسم الفيل، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[٢].

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل، وملخصها: أن أهل الحبشة النصارى، ساروا بجيش عظيم، ومعهم فيل، وذلك انتقاماً من عربي أهان

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب. ٥/ ٢٩٤١، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) سورة الفيل الآيات: ١ - ٥.

كنيستهم التي بنوها ليصرفوا الناس عن الكعبة، فقصدوا بجيشهم مكة ليهدموا الكعبة، ويعظموا كنائسهم.

فأرسل الله طيراً تلقي عليهم حجارة محرقة فأهلكتهم، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم، فعُلِم بذلك أن هذه الآية لم تكن لجيران البيت حينئذٍ، بل كانت لأجل البيت، ولأجل النبي ﷺ الذي وُلد في ذلك العام. وقد عُلِم أنه ليس أحد من أهل الملل يصلي ويحج إليه سوى أمته ﷺ، فكما أن دين النصارى خير من دين المشركين، فإن أمة محمد ﷺ -التي حفظ الله لهم بيته- خير من النصارى، وهذا يستلزم صدق نبيهم، ولو كان كاذباً لأظهر الله كذبه، فضلاً أن يحفظ له، ولأمته بيته في عام ولادته.

ومن دلائل نبوته وصدقه ﷺ أن السماء مُلئت حرساً شديداً عند بعثته، أعظم مما كانت عليه بكثير، كما لاحظ ذلك الجن، واستدلوا به على حصول أمر في غاية الأهمية، فقالوا -كما حكى عنهم القرآن-: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1].

(١) سورة الجن الآيات: ٨- ١٠.

ولم يحدث أمرٌ حينئذ أعظم من بعثته ﷺ، ومنع الجن من استراق السماء كيلا يستمعوا إلى القرآن قبل نزوله.

وهذا ثابت ملاحظ لا يسع أحداً إنكارُه، «وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا موجوداً، مع أن عامتهم كانوا مكذبين له»[١]، لكذبوه، ولاحتجوا به على بطلان القرآن، ولتشكك المؤمنون في كلام الله، ولكن هذا حق علمه الجميع، وجاء في القرآن صريحاً، ولم يسع أحداً إلا التسليم به.

ومما يدل على صدقه ﷺ ما عُلِم بالاضطرار من سيرته ﷺ أنه كان يتحرى العدل، وأنه ما جربت عليه كذبة قط، بل اشتهر بالصدق قبل أن يأتيه الوحي من السماء، ولقب بالصادق الأمين، اعترف بذلك أعداؤه.

وقد استدل هرقل ملك الروم في زمن النبي ﷺ على نبوته بما سمع من أخباره من المشركين من قريش، فقد صح عن عبد الله بن عباس: «أن أبا سفيان ابن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادًّا أبا سفيان، وكفار قريش[٢]، فأتوه وهو بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ١٢٤.

(٢) أي: حين سريان صلح الحديبية من سنة ٦- ٨هـ.

دعاهم، ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: ادنوه مني وقرِّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه.

قال: فوالله لو لا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه: أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قالك فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم. قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدُّ أحد منهم سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال: ولم تمكنني كلمة أدخِلُ فيها شيئاً غير هذه الكلمة[1].

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم،

(١) وهذا دليل على علم أبي سفيان أن النبي ﷺ لا يغدر.

ويأمرنا بالصلاة والصدق، والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك؛ قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون: فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أَيَرْتَدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكر: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدو الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيتملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو

كنت عنده لغسلت عن قدميه» متفق عليه[١].

ففي هذا الحديث الثابت الصحيح المروي في أشد كتب السنة تثبتاً، استدل هرقل على صحة رسالة النبي ﷺ بقرائن كثيرة، تُفرّق بين النبي والمدَّعي الكذاب.

والمُلاحِظ لما يخبر به ﷺ من الحوادث القديمة، وأخبار الأنبياء، والشريعة التي أقامها، والعدل الذي أمر به من غير محاباة لأحد يتبين له أنه رسول رب العالمين.

وقد اشتهرت أخلاقه وعُرف صدقه، وحسنُ سجاياه قبل النبوة وبعدها، وقد شهد بذلك القاصي والداني، وهذه نصوص دالة على حسن خلقه ﷺ.

- قال خادمه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أُفّاً قط، ولا قال لي لشيء: لمَ فعلت كذا؟ وهلاَّ فعلت كذا» متفق عليه[٢].

- وقال أيضاً: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؛ برقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، برقم (١٧٧٣).

(٢) البخاري الأدب ٣٩، مسلم الفضائل ٥١.

وأشجع الناس، وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً، فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقاهم النبي ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، على فرس لأبي طلحة، وهو يقول: (لم تراعوا لم تراعوا)». متفق عليه[(١)].

- وقال أيضاً: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً». متفق عليه[(٢)].

- وكما أن النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقاً؛ فهو من الناحية الخَلْقية كذلك؛ فقد قال البراء بن مالك[(٣)] -رضي الله عنه-: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسن خَلْقاً». متفق عليه[(٤)].

- ومن مظاهر خُلقه: الحياء والكرم، فعن أبي سعيد الخدري[(٥)] -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره

---

(١) أجرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، برقم (٢٩٠٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب، برقم (٢٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، برقم (٦٢٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً. برقم (٢٣١٠).

(٣) البراء بن مالك الأنصاري هو أخو أنس بن مالك، وكان ورعاً تقياً، حسن الصوت؛ فكان حادي النبي ﷺ في أسفاره، ومن الأبطال الشجعان، شهد مع النبي ﷺ جميع الغزوات عد بدر، وله البطولات في اليمامة، واستشهد في يوم حصن تستر في فتوح العراق سنة ١٧هـ. (انظر الإصابة ١/ ١٤٣- ١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ؛ برقم (٣٥٤٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، وأنه كان أحسن الناس، وجها برقم (٢٣٣٧).

(٥) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، لم يحضر أُحد لصغر سنه، وشهد ما بعدها من الغزوات، روى الكثير عن النبي ﷺ، وعن كبار أصحابه، وكان ورعاً فاضلاً، فقيهاً، توفي سنة ٦٤هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٣٤- ٣٥).

شيئاً عرفناه في وجهه» متفق عليه[١].

- وقال جابر بن عبد الله[٢] -رضي الله عنه-: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط؛ فقال: لا» رواه مسلم[٣].

- وقال عبد الله بن عمرو[٤] -رضي الله عنه-: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً» متفق عليه[٥].

- وقالت عائشة -رضي الله عنها-: «ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه» متفق عليه[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، برقم (٦١٠٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ؛ برقم (٢٣٢٠).

(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري السُلَمي، أسلم قبل الهجرة، وشهد بيعة العقبة، ولازم النبي ﷺ، وشهد معه جميع الغزوات سوى بدر وأُحد، لمنع أبيه له، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث عُمِّر، وتوفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. (انظر الإصابة ١/ ٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (٢٣١١).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي من علماء الصحابة، وعبادهم، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث، توفي سنة ٦٥هـ. (انظرالإصابة ٢/ ٣٥١- ٣٥٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، برقم (٦٠٣٥).ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، برقم (٢٣٢١).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا». برقم (٦١٢٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، برقم (٢٣٢٧).

- وقد عاش ﷺ زاهداً عابداً تتورم قدماه من طول القيام في صلاة الليل، ولو شاء لكان أغنى الأغنياء، وما خلفه على قِلَّتِه لم يرثه أهله، شأنه شأن بقية الأنبياء، كما ذكر ﷺ: «لا نورِّث ما تركنا فهو صدقة» متفق عليه(١).

وآمن به أتباعه مع أنه لم يكن يعدهم بشيء من الدنيا، بل كانوا زُهَّاداً في الدنيا مشمِّرين للآخرة، كأبي بكر الصديق فقد آمن بالنبي ﷺ مع كمال عقله، وخلقه، ودينه، و محبته قومه، وعلو قدره فيهم، فقد أنفق ماله كله في سبيل الله، كما تواتر عن زهد عمر، وعدله ما شهد به الجميع.

وكذلك بقية أصحابه الذين تواتر عنهم كمال الدين والعلم والعقل، وقد بذلوا أرواحهم، وما يملكون لنشر دين الله، بعد أن آمنوا برسوله ﷺ.

وكان أكثر أصحابه إيماناً به أقربهم إليه، وأكثرهم مخالطة له، وقد استدل بذلك بعض الأوربيين على صدقه ﷺ(٢)، حيث يقول (هـ. ج، ولز): «إن

---

(١) أخرجه في كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة »، برقم (٦٧٢٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ: « لا نورث ما تركنا فهو صدقة » برقم (١٧٥٨).

(٢) الاستدلال بأقوال الغربيين المنصفة لا تزيد عندنا إيماننا بديننا وبرسولنا ﷺ وإنما في معرض بيان ذلك لإخوانهم الغربيين المستشرقين ومن يقرأ كتبهم.

من أدفع الأدلة على صدق محمد: كون أهله، وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكّوا في صدقه ما آمنوا به»[1].

وقد تبينت هذه الحقيقة: حسن سيرته ﷺ، واشتهار فضله، وجليل أعماله لكل منصف، حتى من بعض علماء الغرب أنفسهم، ومن ذلك:

- ما ذكره توماس كارليل[2] في كتابه الأبطال حيث ذكر النبي ﷺ في مقدمة أولئك، وما ذاك إلا بعد دراسة تاريخية لشخصيته، ومقارنتها بغيرها من الشخصيات الكثيرة التي درسها، وكان مما قاله: «ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً لم يكن صادقاً في رسالته... أنه قضى عنفوان شبابه، وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة (مع خديجة) لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دويّ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة، وجاه، وسلطة ...، ولم يك إلا بعد أن ذهب الشباب، وأقبل المشيب، أن ثار بصدره

---

(١) إلى الدين الفطري الأبدي، مبشر الطرازي ١/ ٢٦٧، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، دطت.

(٢) توماس كارليل كاتب إنجليزي معروف ١٧٩٥ - ١٨٨١م من آثاره الأبطال ١٨٤٠. (انظر قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل ١٢٤، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ذلك البركان الذي كان هاجعاً، وثار يريد أمراً جليلاً، وشأناً عظيماً»[١].

- ويقول «درمنجم»[٢]: «إن إخلاص محمد لا يمكن أن يكون في العصر الحاضر موضع شك، فإن حياته كلها تشهد أنه كان يؤمن برسالته إيماناً عميقاً، وأنه تقبلها ببطولة كعبء يجب عليه أن يتحمل ثقل أوزاره.... ، كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته مستحيل القبول. فكيف بتصور أن ينقلب كاذباً فجأة، ذلك الذي كان نجاحه يظهر له كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه»[٣].

- ويقول غوستاف لوبون[٤]: «وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل

---

(١) الأبطال، توماس كارليل ٦٩، تعريب محمد السباعي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(٢) سبقت ترجمته صـ ١٧٣، له كتاب «حياة محمد»، وهذا النص موجود فيه، وله أيضاً «محمد والسنة». (انظر قالوا عن الإسلام: رسائل إلى سلمان رشدي لحافظ أبو الفتوح ٨٢).

(٣) إلى الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي ١/ ٢٢٣، مع التنبه إلى أن العبقرية الإنشائية يستحيل أن تكون مصدر القرآن كما سيأتي بعد أربع صفحات.

(٤) غوستاف لوبون ١٨٤١ - ١٩٣١ مستشرق، ومؤرخ فرنسي من مؤلفاته «الحضارة الإسلامية». (انظر الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة، محمد شريف الشيباني ٥٠٤، دار الحضارة العربية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ»[١].

- وقال أوركس[٢]: «لم نعلم أن محمداً تسربل بأي رذيلة مدة حياته لذلك أراه عظيماً»[٣].

- وهذا إسبان هميس المسيحي، وهو من أشد أعداء النبي ﷺ، والطاعنين في حقه، لا يملك إلا أن يقول عنه ﷺ: «إنه كان حسن الوجه وذكياً، وكانت طريقته مرضية، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن، وكان شجاعاً على الأعداء يُعظّم اسم الله تعظيماً عظيماً، وكان يشدد على المفترين، والذين يرمون البُرآء، والزانين، والقاتلين، وأهل الفضول، والطامعين، وشهود الزور تشديداً بليغاً. وكان كثير الوعظ في الصبر، والجود، والرحمة، والبر، والإحسان، وتعظيم الأبوين والكبار، وتوقيرهم، وتكريمهم، وكان عابداً مرتاضاً في الغاية»[٤].

---

(١) المستشرقون والإسلام لعرفان عبد الحميد هامش ٨ ، نقلاً عن حضارة العرب له ١١٦ .

(٢) هو جونوس أوركس أديب وصحفي انجليزي له كتاب «العظماء في التاريخ».

(٣) قالوا عن الإسلام: رسائل لسلمان رشدي لحافظ أبو الفتوح ٧١.

(٤) إظهار الحق ٤/ ١٠٧٣، نقلاً عن (سيل) في مقدمة ترجمة القرآن.

وهذا (روم لاندرو)[1] يقول: «إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أُنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد بأي ضرب من الخداع المتعمد، ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق ديني متعمد -حتى ولو كان صاحبه دجالاً عبقرياً- استطاع أن يُعمر طويلاً، والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب في كل عام أتباعاً جدداً، وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحداً على محتال كان لرسالته الفضل في خلق امبراطورية من إمبراطوريات العالم، وحضارة من أكثر الحضارات نُبلاً»[2].

بل إن بعض المستشرقين الطاعنين في نبوته ﷺ لم يجدوا بداً من تصديقه، إذ أن أمارات صدقه لا يجحدها إلا من ظهرت مكابرته.

---

(١) روم لاندرو مستشرق، وباحث ومؤرخ انجليزي اهتم بالفن العربي، من مؤلفاته «الإسلام والعرب»، و «الفن العربي». (انظر الرسول في الدراسات الاستشراقية المصنفة للشيباني ٥٠٤).

(٢) الإسلام والعرب، روم لاندرو ٣٣، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

يقول مونتقمري وات: «أدرك الغرب أن هناك أسباباً وجيهة للاقتناع بصدق محمد إذ أن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيراً عظمة عمله في منجزاته الأخيرة كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع؛ فاتهام محمد بأنه دجال يثير من المشاكل أكثر مما يحل»[(١)].

* * *

(١) محمد في مكة، مونتقمري وات ٩٤.

المطلب الثالث: إعجاز القرآن الكريم:

إن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي أوحى الله به إليه، فهو كلام الله، وهو المعجزة الخالدة التي لا تموت بموت صاحبها، فالقرآن يدلل بنفسه على أنه من عند الله، وأن البشر يعجزون أن يأتوا بمثله، وهذا أكبر برهان على صحة رسالة من أتى به، وهو محمد ﷺ.

فعندما أُرسل النبي ﷺ جابهه قومه بالتكذيب، مع علم أكثرهم بأمانته، وصدق دعواه، وقيام حجته، وظهور معجزته، وما ذلك إلا تكبراً كما قال سبحانه عن آل فرعون عندما كذبوا بموسى -عليه السلام-: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] شأن بقية الأنبياء، ولم يؤمن معه أول الأمر إلا عدد يسير.

ووجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتنوعة، وقد أُلِّفت فيه المجلدات، وأُفردت له الرسائل، وذكر العلماء الوجوه المتعددة لإعجازه التي تتبين أكثر لمن تدبره، وتعلم معانيه، وقد ذكر بعض العلماء ثمانين وجهاً لإعجازه، ليس هذا مكان بسطها، وإنما سأُشير في عجالة لبعض وجوه إعجازه:

(١) سورة النمل الآية: ١٤.

أولاً: فصاحة الألفاظ:

قد جاء القرآن، بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف، متضمناً أصح المعاني، واشتمال على البلاغة الفائقة في اختيار الألفاظ المناسبة المؤدي لأتم المعاني المرادة، فجاء في ذلك النظم البديع، والتأليف العجيب متناهياً في البلاغة إلى الحد الذي يعجز عنه البشر.

ونظمه وألفاظه مع ذلك بريئة من التعقيد، خفيفة على الألسن، خارجة عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر، ولذلك فهو قريب إلى الأفهام، تسرع ألفاظه إلى القلب، وتسبق عباراته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، يُعجز عن الإتيان بمثله.

ومن أمثلة فصاحته وبلاغته: استيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١).

قال بعض علماء البيان عن هذه الآية: «ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نُوديت الأرض، ثم أُمِرت، ثم أن كان النداء بيا دون أي، ثم إضافة الماء إلى الكاف، ثم أتبع نداء الأرض بما هو شأنها، فنداء السماء بما يخصها،

(١) سورة هود الآية: ٤٤.

ثم قيل: وغيض الماء، بصيغة فُعِل الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك، وتقريره بقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، ثم الفائدة من ذلك وهو: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ بإضمار السفينة للدلالة على عِظم الشأن، ثم مقابلة «قيل» في الخاتمة بـ«قيل» في الفاتحة[١].

ومن شواهد فصاحته: أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[٢]، فسجد، وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام[٣].

ثانياً: تمام المعاني:

من تدبر كتاب الله وجد أنه اشتمل على أتم المعاني، وأصدق العلوم، وأحسن الأحكام والآداب.

ومن تمام معانيه احتواؤه على شريعة تامة محافظة على الأخلاق والقيم، مراعية لما جُبلت عليه النفس، وها هي الشريعة موجودة اليوم

---

(١) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ١٠١، المتن والهامش، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) سورة الحجر الآية: ٩٤.

(٣) أعلام النبوة للماوردي ١٠٢.

بأصولها الثابتة في الأرض، وفروعهاالباسقة في السماء، متحدية أي شريعة أخرى في الثبات، والحفاظ على الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات.

وآيات التشريع في القرآن على أنواع:

- نوع يذكر الأحكام بالتفصيل؛ وذلك في الثوابت كأنصبة الإرث، والحدود، والقصاص.

- ونوع يذكر القواعد العامة التي تندرج تحتها حالات كثيرة، كما تضبط متغيرات تردها إلى العلل، والأسباب كالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، وتحريم الظلم، والغش، وإباحة النافع، وتحريم الضار.

كما تضمن القرآن من القصص، والمواعظ، والإنذار، والوعد، والوعيد، والتبشير، والتخويف مما لا نجد معه أي اختلاف مع كثرة قُرَّائه، وتفاوت طبقاتهم، واختلاف زمانهم ومكانهم، بل يُصدّق بعضُه بعضاً مع كثرة ما فيه من الغيوب والأوامر، ولو كان من عند البشر لوجب أن يكون فيه نقص واختلاف، ولظهر فيه ما يعتري البشر من الخطأ، والزلل، وصدق الله إذ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

فلذلك لا يشبع منه العلماء، ولا تَخْلق معانيه، ولا يُمَلُّ ن كثرة الترداد.

ثالثاً: الأخبار السالفة:

ومن إعجاز القرآن إخباره عن الأمم البائدة، والقرون السالفة، وقصص الأنبياء السابقين كقصة آدم، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى -صلوات الله عليهم أجمعين-، وغيرهم ممن لا يمكن تحصيله إلا بمعرفة القراءة والكتابة، وكثرة الاطلاع، ومجالسة العلماء، وأهل السير، والأخبار، والأخذ عنهم.

والرسول ﷺ لم يكن قارئاً، ولا كاتباً، ولم يكن أيضاً ممن عُرف بمجالسة أهل السِّير والأخبار، ولو كان كذلك ما خفي أمره على أحد، فإذا كان الأمر كذلك كان من المؤكد أن معرفة النبي محمد ﷺ بهذه الأخبار إنما كانت بواسطة الوحي الإلهي؛ بل إن فيه من الأخبار، والقَصَص ما لم يكن معلوماً عند أهل مكة قاطبة لذا قال سبحانه ممتناً على نبيه ﷺ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

(١) سورة هود الآية: ٤٩.

رابعاً: الغيوب المستقبلية:

ومن إعجاز القرآن إخباره بأمور مستقبلية. حدثت كما أخبر، وهي كثيرة جداً، منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، فقد هَزَمَ الفرسُ الرومَ، وشق على المؤمنين هزيمةُ الروم؛ لأنهم أهل كتاب، وفرح المشركون بنصر الفرس؛ لأنهم عبدة أوثان مثلهم، فبشر الله المؤمنين بانتصار الروم خلال بضع سنين، وهذا من الآيات الباهرة على صدق نبوَّة نبينا ﷺ، وصدق كتاب الله سبحانه وتعالى.

وكقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[2].

وقد تحقق ذلك بعد وفاته ﷺ.

والآيات في هذا المعنى كثيرة[3].

---

(١) سورة الروم الآية: ١ - ٥.

(٢) سورة التوبة الآية: ٣٣.

(٣) انظر البقرة الآية: ٩٤، آل عمران الآية: ١١١، الإسراء الآية: ٨٨، النور الآية: ٥٥.

خامساً: الإعجاز العلمي:

ومن إعجاز القرآن ما ورد فيه من العلوم التي لم تكن متوافرة وقت نزوله، بل بعضها لم يكتشف إلا في العصر الحديث مما ترتب عليه إيمانُ جُملةٍ من العلماء في فروع العلوم المختلفة، منهم: الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي أعلن إسلامه بعد دراسة طويلة للقرآن بالنص العربي، وألّف كتابه: «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، وقد هاله كثرة الحقائق العلمية في القرآن مما لا يقارن بالتوراة والإنجيل، ومع ذلك فإن ما فيه لا يتعارض مع شيءٍ من المكتشفات الحديثة الثابتة؛ بل ينسجم معه أيما انسجام.

كما استدل بعض النصارى بذلك الإعجاز على صحة كون القرآن كلام الله مما جعلهم يدخلون في الإسلام.

يقول بوتر[١]: «كيف استطاع محمد الرجل الأميّ الذي نشأ في بيئة جاهلية، أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها، لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل»[٢].

(١) ديبورا بوتر صحفي أمريكي، ولد سنة ١٩٥٤م بمتشيقان، ودرس الصحافة، وتخرج من جامعة متشيقان، هداه الله للإسلام سنة ١٩٨٠م..

(٢) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ٥٥.

والملاحظ أن الآيات القرآنية التي تحتوي على إعجازات علمية إنما تخدم هدفاً واضحاً، وهو هداية الإنسان إلى ربه، خالق الكون، ومنزل القرآن، وهذه نماذج قليلة من آيات القرآن الواردة في الإعجاز العلمي:

١- ورد العديد من الآيات الكريمة الحاثَّة على التدبر في الكون وما فيه من عجائب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [(١)].

وفي سياق حث الإنسان على التفكر في الكون نجد حقائق علمية في القرآن، ومن ذلك الاتساع الهائل للكون، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [(٢)].

وقد أسلم بعض الفلكيين لما سمع قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [(٣)]، وقال تصديقاً لهذه الآية:

---

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٩٠- ١٩١.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٤٧.

(٣) سورة الواقعة الآيتان: ٧٥- ٧٦.

«حقاً إننا لا نرى إلا مواقعها القديمة التي لم يصلنا ضوؤها إلا الآن لبعدها عنا، وهي تحركت عنها الآن، وأن التشكيلة المرئية إنما هي صورة لمواقعها، وهذا لم يكتشف إلا حديثاً»[١].

وهذا حق فالنجوم تبعد عن الأرض بسنوات ضوئية، ولمَّا لم يكن ذلك معلوماً حين نزول القرآن، بالإضافة إلى ما نجهله نحن اليوم قال سبحانه: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٢]، وكان المظنون أن الشمس ثابتة، ولكن عُرف أخيراً أن الشمس لها أكثر من حركة، فبالإضافة إلى دورانها حول نفسها، فإنها تجري في إتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية.

ومن ذلك إخبار الله بضيق النفس عند الصعود إلى أعلى، وهو ما عرف فيما بعد بالضغط الجوي، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ

---

(١) ذكر هذا الشيخ عبد المجيد الزنداني في محاضرة بعنوان: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم).

(٢) سورة يس الآية: ٣٨.

صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١].

٢- أخبر القرآن أن الأرض وما فيها من آيات دالة على الإيمان بالله، وباعثة على زيادة اليقين، فقال سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[٢]، فهذه الأرض فيها من الآيات العظيمة التي يراها كل إنسان كعظم الجبال، واتساع البحار، والتوازن بين أحيائها، وفيها ما ينفرد بمعرفته العلماء، وهذه المعرفة لا تفيد إن لم تكن مؤدية إلى زيادة اليقين بالله.

وفي هذا السياق يذكر الله عز وجل في كتابه بعض الآيات التي فيها حقائق لم تكن معلومة للبشر حين نزول القرآن، كقاعدة الزوجية حيث أن كل ما في الأرض تنطبق عليه تلك القاعدة، فالذَّرة مكونة من زوجين: موجب وسالب، وهي أصل الكائنات. وقد دل على ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣]، والله أعلم.

٣- عجائب البحار فقد وصف الله البحر وأخبر الله عن موجين فيه:

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٢٠.

(٣) سورة الذاريات الآية: ٤٩.

الموج الذي نراه، وموج آخر داخل البحار لم يكتشفه العلماء إلا حديثاً، فقد قال سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [(١)].

ولما سمع بحار إنجليزي بهذه الآية سأل: هل ركب محمد البحر؟ فلما قيل له: لا، لم يركب البحر. آمن على الفور، وقال: إن ما ذكره محمد ﷺ إنما هو من عند الله، وليس من تلقاء نفسه[(٢)].

ومما ذكره الله عن البحر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [(٣)]، فلا تختلط مياه البحار، ولا تطغى على مياه الأنهار مع أنها تلتقي، بل جعل الله حاجزاً طبيعياً يمنع انتقال الملح إلى مياه الأنهار، حتى في حالات المد.

ومن الإعجاز في القرآن إخبار الله عز وجل بدور الرياح في تلقيح الأشجار، كما قال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [(٤)].

---

(١) سورة النور الآية: ٤٠.

(٢) ذكر القصة عبد الحميد كشك في خطبة دلائل النبوة.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٥٣.

(٤) سورة الحجر الآية: ٢٢.

٤- حثَّ القرآن على التفكر في نفس الإنسان، فقال سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (١)، وذكر من آياته في النفس البشرية الكثير، ومن ذلك أحوال خلق الإنسان بدءاً بأصله وهو من تراب، ثم أحوال الجنين في بطن أمه، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (٢)، وقد ثبت في السنة النبوية أن الجنين يظل أربعين يوماً نطفة، ثم مضغة مثل ذلك، ثم علقة مثل ذلك، ثم يُنفخ فيه الروح، وهذا معنى الآية، ثم أنشأناه خلقاً آخر، والنطفة هي مني الرجل مع بويضة المرأة، فإذا التصقت في جدار الرحم سميت علقة، ثم تتشكل فيها أجزاء الإنسان؛ فتكون مضغة فينفخ فيها الروح، وتنبعث فيها الحياة بعد تمام أربعة شهور.

وقد جاء الطب الحديث بما يوافق تلك الحقائق التي نزلت على النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، حتى أسلم عدد من علماء الأجنة، وقال واحد

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٢١.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ١٢- ١٤.

منهم: «إنه قرر تعديل الأسماء في كتبه لتتوافق مع مصطلحات القرآن؛ لأنها أكثر دقة»[١].

وأخيراً نختم الإعجاز العلمي بآيات شاملة لبعض وجوه الإعجاز يستحيل أن تكون من النبي ﷺ، بل يستحيل أن تكون من بشر قبل ألف وأربعمائة سنة، إلا أن يكون استمدها من الله: حيث أخبر سبحانه عن بداية الأرض وأنها كانت ملتصقة مع السماء، ثم انفصلا، وأن الماء أصل كل حياة، ودور الجبال في ثبات الأرض، وحفظ توازنها، وجريان الشمس والقمر كلٌ في فلك يخصه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢].

والآيات المحتوية على إعجاز علمي كثيرة لا يتسع المجال لذكرها جميعاً.

---

(١) ذكر ذلك الشيخ عبد المجيد الزنداني في محاضرة عن علم الأجنة في القرآن.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٣٠- ٣١.

سادساً: قوة التأثير:

ومن إعجاز القرآن قدرته العجيبة في التأثير على النفوس؛ لما اشتمل على ما سبق بيانه من فصاحة وبلاغة، وحسن معانٍ، وموافقة للفطرة، ولأن أنواع الهداية صرفت فيه على منوال عجيب، حتى حكى الله عن تأثر سامعيه من علماء أهل الكتاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1].

وفي آية أخرى يصف الرب سبحانه الطائفة المتجردة للحق من النصارى بأنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأنهم لا يستكبرون فيتقبلون الحق، ويشتد تأثرهم بالقرآن لسلامة قلوبهم، وصحة فطرهم، ولما علموه من النبوات السابقة والحقائق السماوية، يقول سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء الآيتان: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) سورة المائدة الآيتان: ٨٢ - ٨٥.

والجن الذين سمعوا القرآن هالهم ما فيه من ضروب الهداية حتى قال قائلهم: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

وقصة إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مشهورة حين قدم للفتك ببعض المسلمين فما إن سمع آيات من القرآن حتى ذهب إلى النبي ﷺ ليشهر إسلامه[2].

وحتى المتكبرون من المشركين لا يملك سامعه منهم إلا أن يقول: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[3]. لذا كان يُوصي بعضهم بعضاً بعدم سماعه، وما ذلك إلا لما فيه من الهداية، التي تأخذ بجماع القلوب السليمة، فآمن الناس مع النبي ﷺ، وهو أعزل يتعرض هو وأتباعه للمطاردة، والاضطهاد لقوة حجته وبرهانه، ولإعجاز القرآن الذي جاء به، وحكى الله ذلك بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الأحقاف الآيتان: ٣٠- ٣١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٥- ٢٩٧.

(٣) سورة المدثر الآية: ٢٤.

(٤) سورة فصلت الآية: ٢٦.

سابعاً: تحدي الجن والإنس عن الإتيان بمثل القرآن:

تحدى الله العرب الذين نزل عليهم القرآن بالقرآن عدة مرات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [١].

فتركُ عقلائهم المحاولة، ومعارضة القرآن مع قيام الأسباب وانتفاء الموانع دليل على عجزهم عن الإتيان بمثله، والتسليم بإعجازه، وكيف يتصور أن يكون الفصحاء البلغاء - على كثرتهم في العرب آنذاك -، المشهورون بغاية العصبية، والحمية الجاهلية، المعروفون بحب المبارزة والتحدي، كيف يتصور أن يتركوا الأمر السهل الذي هو الإتيان بمقدار أقصر سورة، ويختارون الأشد الصعب، مثل الحرب، وبذل الأموال، والأنفس، ومفارقة الأحباب؟!، ومخالفهم المتحدي يقرعهم على رؤوس الملأ بأمثال هذه الأقوال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢].

---

(١) سورة البقرة الآيتان: ٢٣- ٢٤.

(٢) سورة يونس الآية: ٣٨.

فلما لم يفعلوا ذلك، وآثروا المقارعة على المعارضة، والمقاتلة على المقاولة؛ ثبت أن بلاغة القرآن كانت مسلَّمة عندهم، وكانوا عاجزين عن المعارضة. وكانوا مفترقين بين مصدّق مسلّم، وبين جاحد كافر، مع إقرار الجميع ببلاغته وفصاحته. وكانوا على قلب رجل واحد في العجز.

وأما من عارضه منهم فقد جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب، كقوله: «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كما تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين»[(١)].

وقد أمر الله نبيه بإعلان هذا التحدي للإنس والجن، مع إخباره بعجزهم عن ذلك مجتمعين، قال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[(٢)].

وقد اعترف كافة المصنفين بإعجاز القرآن حتى بعض من فهم لغة القرآن من المستشرقين الكافرين[(٣)].

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/ ٧٦ - ٧٧.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٨٨.

(٣) انظر صـ ٤٧٠.

المطلب الرابع: المعجزات الأخرى:

ومن دلائل نبوته ﷺ: المعجزات الكثيرة التي ظهرت على يديه، والتي ثبتت صحة أخبارها لصدق ناقليها، وكثرة من شاهدها، ورواها مما يستحيل معه كذبهم أو خطؤهم.

ومن ذلك:

أولاً: انشقاق القمر:

ذلك «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية؛ فأراهم انشقاق القمر شقتين، وقال لهم: اشهدوا» متفق عليه[1]، وسطر القرآن ذلك في سورة القمر، وجاء في مطلعها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[2].

قال ابن كثير: «وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه -عليه الصلاة والسلام-، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية، برقم (٣٦٣٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب أشقاق القمر برقم (٢٨٠٠).

(٢) سورة القمر الآية: ١ - ٣.

(٣) البداية والنهاية ٣/ ١١٨.

ولم ينكر المشركون رؤيتهم لانشقاقه؛ بل زعموا أنه من قبيل السحر متبعين في ذلك أهواءهم كما ذكر ذلك الرب سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى، فتشابهوا مع إخوانهم الكفرة الذين كذَّبوا بموسى، وعيسى ووصفوا ما جاؤوا به من الحق بالسحر والباطل.

ثانياً: الإسراء والمعراج:

في ليلة واحدة أسري بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء، ثم أعيد مرة أخرى إلى بيت المقدس، ثم إلى مكة، وذُكر ذلك في القرآن في سورتين، حيث ذُكر في سورة الإسراء، فقال سبحانه في مطلع السورة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

كما ذُكر المعراج في سورة النجم. يقول سبحانه في مطلعها: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا

---

(١) سورة الإسراء الآية: ١.

كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [١].

وجاءت هذه الآيات تصديقاً للنبي ﷺ فيما قاله، وأخبر به، ورداً على المكذبين، وقد جاءت السنّة بالبيان المفصل لهذه الآيات الكبرى المجملة في القرآن، فقد ورد الإسراء والمعراج في الصحيحين بطرق مختلفة، كما ورد في كافة كتب السنّة بطرق متواترة [٢].

قال ابن تيمية: «وأحاديث المعراج، وصعوده إلى ما فوق السموات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة، والنار، والملائكة، والأنبياء في السموات، والبيت المعمور، وسدرة المنتهى، وغير ذلك، معروف متواتر في الأحاديث» [٣].

وقد أخبر رسول الله ﷺ المشركين بالإسراء لإمكانه إقامة البرهان عليه، ولأن تكذيبهم به يدل من باب أولى تكذيبهم بالمعراج، فقد كذب

---

(١) سورة النجم الآية: ١ - ١٨.

(٢) حيث رواه سبعة وعشرون صحابياً، (انظر لقط اللآليء المتناثرة في الأحاديث المتواترة، محمد مرتضى الزبيدي ٢٢٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/ ١٦٥.

المشركون بإسراءه ﷺ، ولما كان النبي ﷺ لم يذهب قبل ذلك إلى بيت المقدس، سألوه عن صفته، ولمَّا كانت زيارته له قصيرة لا تُمكِّنه من إخبارهم بتفصيل بيت المقدس جلاَّه الله له؛ كأنه يراه فأخبرهم بصفته ونعته بالتفصيل، كما أخبرهم بعيرٍ لهم في الطريق، فظهر صدقه ﷺ.

جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»[(١)]، وفي صحيح مسلم: «وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثلها قط، فرفعه الله إليَّ أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[(٢)].

وصعود النبي ﷺ إلى السماء ثبت ما يشبهه في حق المسيح -عليه السلام-، كما ورد عند أهل الكتاب في حق أخنوخ، وإيلياء، وبرهان ذلك في حق نبينا أعظم من غيره.

ثالثاً: استجابة دعائه ﷺ:

تواتر من سيرته ﷺ هذا الأمر، وما ورد في ذلك كثير بحيث لا يمكن أن يُحصى في هذا المقام، ولكنني سأذكر نماذج عليه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء برقم (٣٨٨٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح الدجال، برقم (١٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح الدجال؛ برقم (١٧٢).

- فمن ذلك دعاؤه ﷺ بتمزيق ملك كسرى لمَّا مزق كتاب النبي ﷺ [١]، فلم يعش إلا أياماً، ثم قتله ابنه [٢]، ثم فنيت دولتهم في عهد عمر - رضي الله عنه -، كما هو معلوم من التاريخ.

- ومن ذلك استسقاؤه ﷺ، واستصحاؤه، وطاعة السحاب له، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادعُ الله لنا. فرفع يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»، قال أنس راوي الحديث: (والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا من قزعة، وإن السماء لمثل الزجاجة؛ فوالذي نفسي بيده، ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته)، واستمر ما بهم حتى الجمعة التي تليها، فدخل رجل المسجد وهو يقول: (يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادعُ الله أن يمسكها)، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر»، قال أنس: (فما

(١) أخرجه البخاري، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، برقم (٤٤٢٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٧.

يشير إلى ناحية إلا تفرجت)[١].

- ومن ذلك دعوته لأنس بن مالك بقوله ﷺ: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته»[٢]، قال أنس بن مالك: (فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المئة اليوم)[٣].

قال ابن حجر: وأخرج الترمذي بإسناد رجاله ثقات: أن له بستاناً من الفاكهة، كان يثمر مرتين في السنة، وفيه ريحان يجيء منه ريح المسك[٤].

رابعاً: تكثير الطعام والشراب:

ثبت تكثير الطعام والشراب على يديه ﷺ من ماء قليل، وطعام يسير، لا يكفي لبضعة أفراد إلى ما يشبع جيشاً تعدداده فوق ألف، عاينوا تلك المعجزة؛ بل واقعوها، كما واقع أصحاب موسى ما نزل من السماء من المن والسلوى، ونقلوها إلى من بعدهم، وتكرر ذلك أكثر من مرة، ونُقل متواتراً.

وتكثير الماء والطعام ورد مرات عدة ثابتة في الصحيحين، في وقائع مختلفة ومن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم (١٠١٤)، ومسلم في كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء، برقم (٨٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوة، باب قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، برقم (٦٣٣٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه. برقم (٢٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٢٤٨١).

(٤) فتح الباري ١١/ ١٤٥ في الدعوات ٢٦.

- «أنه عندما حانت صلاة العصر، ولم يجد الناس الماء، دعا النبي ﷺ بقدح فيه ماء يسير فتوضأ منه ما بين الستين والثمانين» متفق عليه[١].

- «أن النبي ﷺ دعا بقدح فيه ماء فجعل الماء ينبع بين أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه، وكانوا زهاء الثلاثمائة» متفق عليه[٢].

- عندما «حانت صلاة العصر في الحديبية، فلم يجدوا إلا فضلة ماء، فأدخل النبي ﷺ يده فيه، وفرج أصابعه، وقال: «حي على الوضوء، والبركة من الله»؛ فتفجر الماء من بين أصابعه، فتوضأوا، وكانوا ألفاً وأربعمائة» رواه البخاري[٣].

- «دعا الصحابي أبو طلحة النبي ﷺ إلى طعام يسير، فدعا النبي ﷺ أصحابه، ودعا بالبركة على الطعام؛ فأكلوا عشرة عشرة، وقاموا، ولم ينقص منه شيء، وكانوا قرابة ثمانين رجلاً» رواه البخاري[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الوضوء من النور، برقم (٢٠٠)، ومسلم في كتاب الفضائل باب معجزات النبي ﷺ، برقم (٢٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٧٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، برقم (٢٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، برقم (٥٦٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الخبز الملبق بالسمن، برقم (٣٣٤٢).

خامساً: إخباره بالغيب[(١)]:

تواتر صدق النبي ﷺ فيما يخبر به من الأمور المستقبلية، ومن أمثلة ذلك:

- إخباره بمقتل بعض المشركين، كأمية بن خلف، فوقع كما أخبر[(٢)].
- إخباره بأن خيبر تفتح على يد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-؛ فلم تفتح إلا على يديه[(٣)].
- إخباره بأن فاطمة ابنته أول أهله لحاقاً به، فتوفيت بعده بستة شهور[(٤)].
- إخباره بخروج العنسي، ومسيلمة بعد وفاته[(٥)]، وخروجهما متواتر.
- إخباره بأن عمار بن ياسر -رضي الله عنه- تقتله الفئة الباغية[(٦)]، ونُقل ذلك

---

(١) لا يعلم النبي ﷺ ولا غيره من المخلوقين الغيب كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: ٧٧] إلا بما يطلعه الله عليهم، كما قال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر، برقم (٤٢٠٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٢٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ برقم (٢٤٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: برقم (٣٦٢١)، ومسلم في كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ، برقم (٢٢٧٤).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، برقم (٤٤٧)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت، برقم (٢٩١٦).

متواتراً عنه ﷺ [١].

قال ابن عبد البر: (وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «عمار تقتله الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث) [٢].

وقال ابن حجر: (تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا أنه قُتل مع علي) [٣].

أي في معركة صفين بين علي، ومعاوية، وكان في معسكر علي بن أبي طالب.

- إخباره بأن الحسن بن علي يصلح الله به بين فئتين من المسلمين، فكان صلحه مع معاوية [٤].

- استيقاظه ﷺ وهو يضحك، فلما سُئل عن ذلك، قال: «ناس من أمتي عُرِضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج [٥]، هذا البحر ملوكاً على الأَسِرَّة»؛ فقالت أم حرام بن ملحان: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني

---

(١) حيث رواه أربعة وعشرون صحابياً. (انظر: لقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ٢٢٢).

(٢) الاستيعاب في معركة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ٢/ ٤٨١.

(٣) الإصابة لابن حجر ٤/ ٥١٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٢٩).

(٥) أي ظهره.

منهم، فقال: «أنت من الأولين»[١]، فوقع كما أخبر ﷺ، وركبت أم حرام البحر مع زوجها في زمن عثمان إبان إمارة معاوية[٢].

وما أخبر به ﷺ كثير كإخباره بفتح مكة، وبيت المقدس، والشام، واليمن، والعراق، وسقوط دولة الفرس بخلاف الروم ... إلى آخر ما أخبر به النبي ﷺ، ولم يقع إلا كما أخبر، ولم يخالف ما قاله قيد أنملة على كثرة ما يخبر به مما ليس هذا مكان بسطه.

سادساً: آيات متفرقة:

هناك العديد من الآيات مما يطول بسطها، ولكنني أشير إليها بعجالة، فمن ذلك:

- عندما «دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً؛ فجعل يطعنها بعود كان بيده وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٣]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٤]»[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة برقم (٢٧٨٨)، و(٢٧٨٩)، وكتاب الإمارة، باب: فضل الغزو في البحر، برقم (١٩١٢).

(٢) شرح مسلم للنووي ١٣، ٥٩.

(٣) سورة الإسراء الآية: ١٨٠.

(٤) سورة سبأ الآية: ٤٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، برقم (٤٢٨٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، برقم (١٧٨١).

فتهاوى تلك الأوثان، قال ابن حجر: (وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي، وصححه ابن حبان: (فيسقط الصنم، ولا يمسه) مع أنها كانت ثابتة بالأرض، وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص)(١).

- حنين الجذع الذي كان النبي ﷺ يخطب عليه، فعندما استبدله النبي ﷺ بالمنبر سُمع للجذع حنين، وصاح كصياح الصبي؛ فسمع النبي ﷺ عليه وضمه، فسكن(٢)، وقد نقل ذلك مستفيضاً متواتراً حيث رواه عشرة من الصحابة، وأخرجه عامة أصحاب المصنفات(٣).

قال ابن كثير عن هذا الحديث: (وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عن أئمة هذا الشأن، وفرسان هذا الميدان)(٤).

- ومن ذلك عندما صعد النبي ﷺ حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان تحرك الجبل، فقال النبي ﷺ: «اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صدِّيق، أو شهيد»(٥)، فكان كما أخبر ﷺ، حيث استشهد عمر وعثمان رضي الله عنهما.

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٧، المغازي ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم (٣٥٨٤)، ومسلم.

(٣) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ٢٨- ٢٩، ونقل تواتره في هامش الكتاب عن المناوي، وابن حجر.

(٤) البداية والنهاية ٦/ ١٢٥.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، برقم (٢٤١٧).

- تسبيح الطعام بين يديه ﷺ حتى يسمعه أصحابه[١].

- إخباره ﷺ بالكتاب الذي أرسله حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بنية رسول ﷺ لغزو مكة، وتحديده ﷺ مكان المرأة المُرسَلة بالكتاب، فلما أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير، والمقداد -رضي الله عنهم- وجدوا المرأة في ذلك المكان، ووجدوا معها الكتاب[٢].

- إخباره ﷺ باستشهاد زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة في غزوة مؤتة، وأخذ الراية خالد ابن الوليد -رضي الله عن الجميع-[٣] فور وقوع ذلك مع بعدهم عنه.

- بصقه ﷺ في عيني علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يوم خيبر، وكان به رمد، فبرأ كأن لم يكن به وجع[٤].

ثبوت تلك الآيات:

إن آيات نبوته ﷺ لم تكن سراً؛ بل كانت بمشهد الآلاف من الخلق الذين صحبوا النبي ﷺ في غزواته، وشاهدوا معجزاته، وهؤلاء مشهود لهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في إسلام برقم (٣٥٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أهل بدر برقم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة مؤتة من أرض الشام برقم (٤٢٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر، برقم (٤٢١٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم (٢٤٠٦).

بالاستقامة، ولا يعرف فيهم من تعمد الكذب بل كانوا أشد ما يكون في التوقي من الكذب في حديث الناس؛ فضلاً عن الكذب على النبي ﷺ، وقد تواتر عندهم أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١]، بل يستحيل أن يتواطئوا في نقل تلك المعجزات لو أرادوا ذلك، وقد نقل تلك المعجزات عنهم الخلق الكثير، ودونت في مصنفات السنة.

ولو صح التشكيك في ذلك لصح من باب أولى التشكيك في نبوة أنبياء بني إسرائيل، إذ لم تثبت معجزات موسى، وعيسى، وغيرهم -عليهم الصلاة والسلام- مجتمعة كما ثبتت معجزات نبينا ﷺ. كما يشهد بذلك من له أدنى إلمام في أحوال الأنبياء .

* * *

---

(١) هذا الحديث رواه تسعة وتسعون صحابياً. (انظر لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ٢٦١، وأخرجه عامة الأئمة، وأخبروا بتواتره، وقد أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي. برقم (١٠٧)، ومسلم في المقدمة، باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم (٣)، وأحمد ٢/ ٣٦٥، ٣/ ١٢، وابن ماجه في المقدمة ٣٤، وغيرهم، وقد ذكر ابن حجر بعض طرقه الكثيرة، حيث اتفق الصحيحان على إخراجه بأربعة طرق، وانفرد البخاري بأربعة أخرى، وانفرد مسلم بطريق، وصح في غير الصحيحين بستة طرق أخرى، كما ورد بأسانيد حسان بثمانية عشر طريقاً، وورد بخمسين طريقاً ضعيفاً، وعشرين بأسانيد ساقطة «فتح الباري» لابن حجر ١/ ٢٠٣ في كتاب العلم ٣٨.

المبحث الثاني

زعمُ الدائرةِ استقاءَ النبيِّ ﷺ الدينَ من الأمم السالفة

أولاً: دعاوى الدائرة:

يكاد يُجْمِع المستشرقون قديماً وحديثاً، على أن ما جاء به النبي ﷺ هو وليد بيئته، وأنه مُستقى من الجاهلية العربية، ومن الحضارات القديمة، ومن اليهودية، والنصرانية.

وقد سبقهم بهذه الدعوى يوحنا الدمشقي[1] في كتابه: «محاورة مع مسلم» حيث ادعى: «أن القرآن تلفيق للتوراة والإنجيل بمساعدة راهب أريوسي[2] كان يلتقي بمحمدٍ سرا»[3].

وكما هو واضح من ضعف دليله، وعدم توثيق كلامه، وإبهامه لاسم الراهب، فكذلك سنرى ضعف حجج كتبة الدائرة في نفس الدعوى.

---

(١) تقدمت ترجمته صـ ٢٠.

(٢) نسبة إلى أريوس وهو من النصارى الذين أنكروا التثليث، ودعوا إلى التوحيد في القرن الثالث الميلادي.

(٣) الاستشراق بين الموضوعية والانفعال لقاسم السامرائي ٥٥.

إن ما جاء به النبي ﷺ على أميته من الأخبار الصادقة المفصلة عن الأنبياء السابقين، والأمم المتقدمة، والشرائع المعجزة من الأدلة الناصعة على تلقيه كل ذلك من الوحي الإلهي، لذا حرص المستشرقون على الدعوى بأن مصدر ذلك هو الأمم السابقة، وتثبيت هذه الدعوى باستماتة بالغة؛ لأن من شأن ذلك تكذيب النبي ﷺ، وهدم دين الإسلام بالكلية، كما أن فيه بقاء ديانتهم التي نسخها الإسلام وأبان تحريفها.

ومن أجل ذلك كانت هذه الدعوى أكثر الدعاوى التي يرددها المستشرقون على الإطلاق، وأُلّفت من أجلها عشرات المؤلفات[١]، وقد تطرفت دعواهم وتباينت أقوالهم المتجردة من البراهين؛ فهذا قولد زيهر يقول: «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية، والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً»[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: أصول الإسلام في بيئته المسيحية لبل، ومصادر تاريخ القرآن لآثر جيفري، واليهودية في الإسلام لابراهام كاش، ومحمد في مكة لمونتقمري وات، وغيرها كثير.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، قولد زيهر ١١ - ٢١، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب الحديث بمصر. الطبعة الثاينة دت.

وهذا مونتقمري وات يقول في كتابه «محمد في مكة»: (ومن الفرضيات التي يقوم عليها الكتاب القول بأن عظمة الإسلام تعتمد اعتماداً كبيراً على صهر هذا العنصر «العادات العربية» مع بعض النظريات اليهودية والمسيحية»[١]، فغاية ما في الإسلام من عظمة عند هذا المستشرق هو قدرته على جمع تلك المعارف من أهل الكتاب وخلطها بالعادات العربية.

ونجد هذا الامتداد في الدائرة؛ إذ يعجب قارئ الدائرة من جرأة كُتَّابها، وكثرة ادعاءاتهم باستقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم، ومن لا يعرف الإسلام يظن هذا الدين خليطاً من مذاهب، وأديان شتى كالمجوسية، وأديان فارس، ومعتقدات أهل جنوب جزيرة العرب، بالإضافة إلى اليهودية والنصرانية، وما يدين به مشركو العرب.

وفي هذه الدائرة نجد كثرة تلك الدعاوى حتى زعم كارده فو: (أن النبي ﷺ لم يأت بجديد سوى ما لم يفهمه مما نقله من الأديان السابقة)[٢].

---

(١) محمد في مكة ٥١.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٠٣، دنيا، كارده فو.

ولكثرة ذلك سأذكر في هذا المبحث المواضع على سبيل السرد، وسأذكر جميع حججهم في ذلك، وسأحيل إلى الردود التفصيلية في حال وجودها إلى مواضعها من هذا البحث تجنباً للتكرار، أما الردود الإجمالية فقد أفردت لها مبحثاً خاصاً بعد هذا المبحث.

وقد صنفت ذلك إلى أربعة أصناف:

الأول: ما زُعِم أنه أُخِذ من الأديان السماوية السابقة لأهل الكتاب، أو من الأديان والحضارات القديمة كالبابليين، والرومان، وبلاد اليمن، والسامرية، والبهلوية.

ثانياً: ما زُعِم أنه أخذ من اليهود.

ثالثاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من النصرانية.

رابعاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من العرب قبل الإسلام.

أولاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من الحضارات القديمة:

جاء في الدائرة العديد من الادعاءات في نسبة ما جاء به النبي ﷺ إلى الأديان، والحضارات القديمة، وهذه بعض النقول بالنص أو المعنى:

- (ولم يكن قصد محمد خلق نظام يضبط به أتباعه، أو وضع أصول هذا النظام على الأقل، بل ظل القانون العرفي العربي القديم -الذي

تضمن كثيراً من العناصر الدخيلة من رومية إقليمية، وبابلية، ويمنية- يسير في الإسلام سيره الطبيعي، ودخلت عليه بعض التغييرات لتلائم بينه وبين الظروف الإقليمية للبدو، وأهل مكة وهي مدينة تجارية، وأهل المدينة وهي مركز زراعي، وكان همُّ محمد في التشريع قاصراً على تصحيح بعض المسائل مدفوعاً إلى ذلك باعتبارات دينية؛ وذلك لأن الأحكام التي تمس الحياة الاجتماعية تقوم أيضاً على أساس ديني.

وفي مثل هذه المسائل كانت الحوادث الخارجية هي الدافع إلى معالجة أكثرها)[١].

- ومفهوم الصبر في القرآن بكل ما يتضمنه من معاني هو في جوهره يرجع إلى التفكير اليوناني المتأخر، ويشمل فكرة السكون عند الرواقيين، وهو صبر النصارى[٢].

- والأسبوع مأخوذ من البابليين أو اليهود[٣].

- ولفظة سجل في القرآن هي مشتقة من (سجلوم) نقلاً عن اليونانية[٤].

---

(١) الدائرة ٣/ ٤٩٢، أصول، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/ ١٣٩، الصبر، فنسنك.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٨٧، زمان، هارتنز.

(٤) الدائرة الأولى ١١/ ٢٩٧، سجل، فكا.

- ولفظة سجِّيل في القرآن مشتقة من الكلمتين الفارسيتين «سنكت وكل» أي: الحجر والطين[١].

- والسيرة أطلقت على الروايات الخاصة بالنبي ﷺ أسوة بسير الملوك البهلوية، وخُلِّد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية لقوادهم، فلا يختلف اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية، فليست هذه المغازي إلا تطوراً لأيام العرب[٢].

- وقطع اليد في السرقة قد يكون من أصل فارسي[٣].

- وأن السامرية أثرت في الإسلام ابتداء بشهادة التوحيد، والبسملة التي أخذها عن اليهود والنصارى عامة، ومن السامرية على وجه الخصوص، ويجوز أن فكرة استقبال القبلة أخذها محمد منهم، كما يلاحظ التشابه بين الفاتحة، وما عند السامرة من طقوس، وهو لم يأت بمحض الصدفة، بل إن الفاتحة عند المسلمين معتمدة على ما عند السامرة، وكذلك التشابه في أعداد الملائكة، وفواتح السور التي تحل لنا الكلمات الغامضة في القرآن، وكذلك فكرة المهدي، ومقارنة أصول

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٣٠٢، سجيل، فكا.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٠ - ٤٤٤، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٣) الدائرة الأولى ١١/ ٤١، سارق، هيفننك.

العقيدة السامرية بأصول العقيدة الإسلامية سيبين أن السامرة قد أثروا أثراً عميقاً في تكييف الدين الذي جاء به محمد فأثروا فيه[١].

ثانياً: ما زُعِم أنه مأخوذ من اليهودية:

جاء في الدائرة الكثير من الدعاوى التي تنسب ما جاء به النبي ﷺ في القرآن والسنة لليهودية، وهذه بعض النقول بالنص أو المعنى:

- لفظة الزبور في القرآن منقولة من المزمور، بل إن آية الأنبياء التي فيها الزبور تكاد تكون منقولة من المزمور ٣٧ بالنص، ويحتمل أن يكون ذلك تم عن طريق الشعراء الجاهلين، كقول أمرئ القيس: كخط زبور في مصاحف رهبان[٢].

- ومن اليهودية استقى النبي لفظة إبليس[٣].

- وصفة الباري أخذها محمد من العبرية دون أن يقصد منها معنى خاصاً[٤].

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٩٠-، السامرة، كاستر، يلاحظ سبعة أمور ادعى تأثر الإسلام بها منهم.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٣٥، زبور، هورووفتز، ولم أجدها في المزمور ٣٧.

(٣) الدائرة الأولى ١٤/ ٤٧، شيطان، ترتون.

(٤) الدائرة ٤/ ٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

- ومعرفة سليمان للغة الطير والحيوان في سورة النمل تعتمد على سفر الملوك الأول[(١)].

- ومن الجائز أن يكون البر بأهل الحاجة أخذ من اليهود؛ لأن العرب لم يكونوا يأبهون كثيراً لأحاسيس المشاركة للغير في آلامهم[(٢)].

- والسيرة النبوية تأثرت بالسنن اليهودية والمسيحية، وذلك بنسج القصص على منوال القصص الواردة في العهدين القديم والحديث[(٣)].

- والصلاة أخذها محمد من اليهود والنصارى وجيرانه، ولم يكن بين يديه أول الأمر المادة الوافية لهذه الشعيرة، ولقد كانت تعوزه النصوص التي يتلوها اليهود والمسيحيون في صلاتهم، وأن الصلاة أول الأمر كانت مرتين في اليوم، ثم أضيفت الصلاة الوسطى في المدينة محاكاة لليهود، ثم أصبحت خمساً بأثر فارسي في قول (قولد تسهير)، ويذهب (كايتي) إلى أنه لم تتحدد بخمس إلا في عهد عمر بن عبدالعزيز، ويرى (متقوح) وجود التأثير اليهودي في ركعتي النافلة، وختاماً فإن الصلاة احتفظت بالعادات القديمة، والعادات الشائعة، وبعض سنن الجاهلية[(٤)].

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ١٦٧، سليمان، ووكر.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/ ١٦٩، صدقة، فاير.

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٧، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٤) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٧٧- ٢٩٥، الصلاة فنسنك.

- والنظام المحدد للصلاة يوم الجمعة، والعيدين إنما نشأ بعد وفاة النبي، وهذا النظام يعتمد على ثلاث عناصر: الخطبة الجاهلية، والسنة، والمثل المستقاة من اليهود والنصارى[١].

- وصلاة الجمعة أقامها النبي على طريقة اليهود[٢].

- والمثل المذكور في آخر سورة الفتح: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ... ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾[٣]، منقول من المزامير[٤].

- والعبارة التي وردت في سورة المائدة: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ﴾ الآية[٥]. مشتقة من مشنة سنهدرين[٦].

- وصفة الرسول في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا ﴾[٧]. منقولة من سفر أشعيا[٨].

---

(١) الدائرة الأولى ٨/ ٣٧٥، الخطبة، فنسنك.

(٢) الدائرة ١٢/ ٢٨٦، الجمعة، جونيبول.

(٣) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٤) الدائرة ١٠/ ١٤٠، التوراة، هوروفتر، ولم أجدها في المزامير.

(٥) سورة المائدة الآية: ٣٢.

(٦) الدائرة ١٠/ ١٤٠، التوراة، هوروفتر. والمشنة هو جزء من التلمود وهو ما كتبه الكهنة، وسنهدرين هو المجلس العلمي الأعلى لدى اليهود واستمر من بعد السبي حتى ٧٠ ق.م عند خراب بيت المقدس وكان عدد أعضاءه ٧١ عضواً من كبار الكهنة.

(٧) سورة الأحزاب الآية: ٤٥.

(٨) الدائرة ١٠/ ١٤١، التوراة، هوروفتر، وانظر اشعيا ٤٢/ ١-١٤ بالمعنى المباشرة =

- (ويمكننا أن نقول على وجه التحقيق إن يوم السبت عند اليهود كان من الناحية الأخرى المثال الذي احتذاه المسلمون في إقامة يوم الجمعة، وفي الحديث ما يدل على ذلك دلالة قاطعة، وقد استعار المسلمون في إقامتهم يوم الجمعة في صورته المتأخرة كثيراً من سنن السبت عند اليهود)(١).

- والخطبة الأولى يوم الجمعة منقولة عن قداس اليهود، وأما الخطبة الثانية فتطابق العظة والصلاة الجامعة عند النصارى(٢).

- وقصة إلياس التي في القرآن-ويقصد بها قصة الخضر- أصلها القصة اليهودية(٣).

- وآزر الخادم الأمين لإبراهيم كما في سفر التكوين انتهت إلى محمد فالتبست عليه على أنه أبو إبراهيم(٤).

- وزوجة فرعون المؤمنة في القرآن هي أخت فرعون في التوراة، ولكن حصل بعض الالتباس(٥).

=بالنبي ﷺ وأيضاً ٣٥/ ١-١٠.

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٢٢٤، سبت، بالاش.

(٢) الدائرة الأولى ٨/ ٣٧٥، الخطبة، فنسنك نقلاً عن بكر.

(٣) الدائرة ٤/ ٣٨٣، إلياس، فنسنك.

(٤) الدائرة ١/ ٥١، آزر، جفري.

(٥) الدائرة ١/ ٦٣، آسية، فنسنك.

- وتحريم الصور في الإسلام متأثر باليهود[١].

- وقصة داود مأخوذة من التوراة مع بعض التحريف[٢].

- وقصة بلقيس مع سليمان أصلها يهودي ولكنها حرفت نتيجة تأثرها بالمصادر الإيرانية[٣].

- و«بعل» سمعها محمد من التوراة[٤].

- والنهي عن الزنا، وفضل العفة التي في القرآن من تأثر اليهودية، أو النصرانية[٥].

- والرجم يرجع لا شك إلى الشريعة اليهودية[٦].

- والشفاعة أخذها من اليهود والنصارى[٧].

- وكذلك العدد سبعة ودوره في العبادات، كالطواف والسعي، وعدد

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٣٧٧، صورة، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٢١- ١٢٤، داود كارده فو.

(٣) الدائرة ٨/ ٣١، بلقيس، كادره فو.

(٤) الدائرة ٧/ ٣٤٨، بعل، ماكدونالد.

(٥) الدائرة الأولى ١٠/ ٤١١- ٤١٢، زنا، شاخت.

(٦) الدائرة الأولى ١٠/ ٤١١، زنا، شاخت.

(٧) الدائرة الأولى ١٣/ ٣٢٣، الشفاعة، فنسنك.

آيات الفاتحة، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وغسل الأواني القذرة سبع غسلات، والسجود على سبعة أعضاء، وخلق الكون فالسموات سبع والأرضون سبع، ولجهنم سبعة أبواب.

فسِرُّ الرقم سبعة يرجع بعضه إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل، وبعضه إلى عقائد متأصلة عند الجاهليين كالطواف والسعي، وقد جرى المسلمون على سنة المسيحين فجعلوا الخطايا الموبقات سبعاً[(١)].

- وشعيرة السلام في الصلاة جاءت متأثرة بالأقوال المسيحية واليهودية[(٢)].

- والزكاة مأخوذة من اليهودية، وعرف النبي الصدقة معرفة أدق من يهود المدينة[(٣)].

- واستعارة الإقامة من البركات التي تتعلى في صلاة اليهود، أو على منوال القداس عند النصارى[(٤)].

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٢٤٣- ٢٤٤، سبع، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤، السلام، أرندنك.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٦- ٣٥٧، زكاة، شاخت.

(٤) الدائرة ٤/ ٩٤، إقامة، جوينبول.

- كما جاء ما نصه: (إن معظم آيات القرآن التي تذكرنا في معناها أو في نطقها بالتوراة مأخوذة من المزامير)[١].

ومن ذلك ما تحاول الدائرة جاهدة في ربط أصول الكلمات القرآنية بالعبرية الواردة في التوراة، مثل:

«صدقة» ليست سوى الكتابة العربية للكملة العبرية «صداقا» التي تدل على السيرة الصالحة[٢].

«أمة» الدالة على جماعة ليست مشتقة من الكلمة العربية «أُمّ»، بل هي كلمة دخيلة مأخوذة من العبرية «أُمّا» أو من الآرامية «أُميثا»، لذلك فلا صلة مباشرة بينها وبين كلمة أمة التي تدل على معان أخرى مثل [حين من الزمن، هود ٨]، أو [الجيل، الزخرف ٢٢]، ومهما يكن من شيء فإن محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها، وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً[٣].

«الزكاة» أخذها النبي عن استعمال اليهود «زاكوت»، والمعاني الأخرى التي تفهم من الزكاة كالطهارة، تلك المعاني ليست عربية أصيلة،

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٣٥، زبور، هوروفتز.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/ ١٦٤، صدقة، فاير.

(٣) الدائرة ٤/ ٤١١ - ٤١٢، أمة، باريه.

وإنما مأخوذة من اليهودية[١].

- وأخيراً جاء في الدائرة ما نصه: (إلى جانب مثل هذه الإشارات البينة إلى التوراة: قصص وأحكام استقاها منها ورددها في مواضع كثيرة دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه، وقد ساق أغلب هذا القصص في صيغته الهجائية وحوَّر بعضه بحيث يلائم أغراض محمد الخاصة.

ولم يعرف محمد من أسفار العهد القديم -إلى جانب التوراة- سوى الزبور، أي: المزامير. ولعله كان يقصد بالتوراة ما يقصده اليهود أنفسهم أحياناً، وهو أنها تشمل جميع أسفارهم)[٢].

ثالثاً: ما زعم أنه مأخوذ من النصرانية:

جاء العديد من الافتراءات التي تنسب ما جاء به النبي ﷺ للنصرانية، وهذه بعض النماذج:

- صفة السلام قد تكون بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى[٣].

- والصوم في الإسلام تقليد للصوم الأربعيني عند النصارى عند

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٦، زكاة، شاخت.

(٢) الدائرة ١٠/ ١٤٠- ١٤١، التوراة، هوروفتر.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٨، مادة «الله»، ماكدونالد.

«شبرنكر»، و «ليبسك» يرى أنه أشبه بالصيام عند المانوية، ولكن «فنسنك» نبه إلى اتصال ذلك بالعرب قبل الإسلام اعتماداً على الصبغة المقدسة التي كانت لشهر رمضان خاصة[١].

- والنبي عرف جبريل من خبر البشارة الواردة في الإنجيل، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يعرف الإنجيل بغير واسطة، ولعله سمع ذلك الخبر من أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من أحد الحنفية، وقد وصلهم هذا الخبر مشوهاً[٢].

- وفكرة الشيطان مستعارة[٣].

- وقصة إبليس في القرآن تستند إلى الروايات النصرانية[٤].

- وما يتعلق بالشهيد في سبيل الله، إنما هو تأثر بالروايات النصرانية[٥].

- ومقابلة النبي ﷺ للأنبياء في الإسراء ربما نسجت على منوال ظهور عيسى على جبل تابور[٦].

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٣٩٩، الصوم، بيرك.

(٢) الدائرة ١١/ ٦١- ٦٢، جبرائيل، كارده فو.

(٣) الدائرة الأولى ١٤/ ٤٩، شيطان، ترتون.

(٤) الدائرة ١/ ١٨٥، إبليس، فنسنك.

(٥) الدائرة الأولى ١٣/ ٤٢٨، الشهيد، بيور كمان.

(٦) الدائرة ٣/ ٢٨٨، إسراء، شريك.

- والتهجد في الإسلام له صلة بالزهاد النصارى[١].

- ويذهب «سيل» إلى أن النبي استقى فكرة حور الجنة من المجوس، ولما كان المصدر المجوسي أحدث من القرآن فإن «فنسنك» يرجح أن الحور والولدان في القرآن مأخوذة من الصور المسيحية للملائكة، ولم يفهمها النبي فنقلها على أنها حور[٢].

- وكذلك الولدان والحور أخطأ محمد أو معلموه المجهولون عندما رأوا صورة ملائكة فظنوها ولدانا وحوراً[٣].

- وزكريا منقول من إنجيل لوقا[٤].

- والرواية التي عند الغار وفيها: «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» إنما أضيفت فيما بعد من إنجيل لوقا[٥].

- وقصة جريج يمكن القول دون خشية الزلل أن هذه القصة عرفها المسلمون من النصارى، ثم دخلت آخر الأمر في الحديث[٦].

---

(١) الدائرة ١٠/ ١٠١، التهجد، فنسنك.

(٢) الدائرة ١٦/ ١٤١، الحور، فنسنك.

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٤١٧، الجنة، كارده فو.

(٤) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٦٨، زكريا، برنار هيلر.

(٥) الدائرة ١١/ ٦١، جبرائيل، كادره فو.

(٦) الدائرة ١١/ ٢٤٠، جريج، هوروفتز، ولم أجدها في الأناجيل.

- وفكرة الأجر مستمدة من الأصول المسيحية[١].

- والنقول من الكتاب المقدس كثيرة، ومنها حوض النبي، وأن من شرب منه لا يظمأ أبداً[٢].

- وقصة خلق المسيح لطير من الطين مأخوذة من الإنجيل[٣].

- وعبارة روح القدس لم يفهمها محمد عندما استقاها من الإنجيل، فخلط بينها وبين جبريل[٤].

- والصورة الوصفية في آية النور[٥] مأخوذة من صورة المذبح المضاءة عند النصارى[٦].

- وكان النبي -وهو من طائفة التجار- يؤثر التجارة وهو أمر طبيعي في جمهورة تجارية كالمدينة مع تحذيره من شرورها، إلا أنه تغيرت نظرته إليها بفضل آراء الزهاد النصارى، ومع أنه لم يحرمها، فقد رأى فيها

---

(١) الدائرة ٢/ ٢٣٦، الأجر، شاخت.

(٢) الدائرة ١٦/ ١٨٠، الحوض، فنسنك.

(٣) الدائرة ٤/ ٥٧٨، إنجيل، كاره فو، ولم أجدها في الأناجيل.

(٤) الدائرة ٤/ ٥٧٩، إنجيل، كاره فو.

(٥) سورة النور الآية: ٣٥- ٣٧.

(٦) الدائرة ٤/ ٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

ما قد يعوق المؤمنين عن عبادة الله ويصرفهم عن الصلاة.

ويظهر هذا بأجلى بيان في وصف الصوامع الذي ورد في سورة النور المدنية الذي ورد فيها ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [(١)] [(٢)].

رابعاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من الجاهلية العربية:

حتى الجاهلية العربية قيل في الدائرة أن النبي ﷺ أخذ منها الدين، وهذه بعض النماذج:

- وساق القرآن من أخبار العرب ما حلَّ بعاد وثمود، كما ساق من أخبار العهدين القديم والحديث ما حاق بغير العرب [(٣)].

- والسكينة التي جاءت في سورة البقرة لم يتبين النبي ﷺ معناها، ولعل ذلك راجع إلى تصورات استقاها من العقائد الوثنية في الجن [(٤)].

- والوقوف في عرفات أثر لفكرة جاهلية [(٥)].

---

(١) سورة النور الآية: ٣٧.

(٢) الدائرة ٩/ ٢١٦، التجارة، هفننك.

(٣) الدائرة ١٠/ ٣٤٥، ثمود، براو.

(٤) الدائرة الأولى ١٢/ ١٩، السكينة، جويل.

(٥) الدائرة ١٣/ ٣١٥، الحج، فنسنك.

- ورمي الجمرات شعيرة أخذها الإسلام من الوثنية؛ فلم ينص عليها صراحة في القرآن[١].

- والأضحية عادة جاهلية أقرها الإسلام[٢].

- وأخذ محمد صفة الرحمن الرحيم من جنوب بلاد العرب[٣].

- وربط خطبة الجمعة بقاضي الجاهلية[٤].

- وكثير من أحكام البيع في القرآن والشريعة إنما ترجع إلى الجاهلية ذلك أن القانون التجاري بمكة الذي بلغ مستوى من التقدم، ومن أمثلة ذلك خيار المجلس، بل وتشير جميع الظواهر إلى أن ركني العقد «الإيجاب والقبول» إنما تعود إلى هذا التكوين الجاهلي[٥].

- والتيسير الحاصل في رمي الجمار في الحج يعود إلى التأثر بالعادات القديمة أكثر مما كان بدوافع التسهيل[٦].

---

(١) الدائرة ١٢/ ٢٧١، الجمرة، بول.

(٢) الدائرة ٣/ ٥٠٦، أضحى، أيوار.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٥١، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٤) الدائرة الأولى ٨/ ٣٧١- ٣٧٥، الخطبة، فنسنك.

(٥) الدائرة ٩/ ٣٧، بيع، شاخت.

(٦) الدائرة الأولى ١٠/ ٦٢، الرجم، ديمومبين.

- والتشريعات الخاصة بجعل الرضاع من الموانع في الزواج متمشية مع الرأي الجاهلي القديم مع مخالفتها لصريح القرآن[١].

- وقصة ثمود ساقها القرآن من أخبار العرب[٢].

- وشعيرة الطواف ترجع إلى إبراهيم ويفعلها المسلمون على عادة الوثنيين[٣].

- والقيام بالتضحية في منى عادة جاهلية أقرها الإسلام (الحج ٣٤- ٣٧)[٤].

قلت: بل وصل الأمر ببعضهم في النهاية إلى أن زعم بأن النبي ﷺ لم يأت بجديد، والاستدلال بالقرآن على ذلك، فقد جاء في الدائرة: (وجاء في القرآن أيضاً: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[٥]. ونحن نستدل من هذه الآيات أن محمداً لم يدَّع أنه أتى بجديد، وهو يلقي بمواعظ من هذا

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ١٣٠، الرضاع، شاخت.

(٢) الدائرة ١٠/ ٣٤٥، ثمود، براو.

(٣) الدائرة الأولى ١٥/ ٣١٧، طواف، بول.

(٤) الدائرة ٣/ ٥٠٦، أضحى، شاخت.

(٥) سورة الأعلى الآية: ١٦- ١٩.

القبيل على أن الشيء الذي ينسب هنا لليهودية يجب أن يُنْسب إلى المسيحية)[١].

ثانياً: الرد الإجمالي على دعواهم استقاء النبي ﷺ من الأمم السالفة:

إن جُلّ حُجج أولئك المستشرقين في إثبات استقاء النبي ﷺ الدين من الأمم السابقة تدور حول التشابه بين ما جاء به النبي ﷺ، وما عند الأمم الأخرى كما لُوحظ في المبحث الأول.

وهناك أيضاً أمر آخر وهو محاولة اختلاق وسائل اعتمدها النبي ﷺ - حسب زعمهم- في الأخذ من غيره، وهذا يكفي عندهم للجزم باستقاء النبي ﷺ من غيره.

وقد سبقت الأدلة على نبوة محمد ﷺ [٢]، وهي في حد ذاتها كافية لإثبات نبوته ﷺ وقطع كل التخرُّصات، ومع ذلك سأتناول الرد على دعاواهم على النحو التالي:

أولاً: بيان افتقاد الموضوعية في تلك الدعاوى.

ثانياً: الرد على مزاعمهم باستقاء النبي ﷺ ممن أخذ من أهل الكتاب

(١) الدائرة الأولى ٩/ ٣٠١، دنيا، كارده فو.

(٢) انظر صـ ٣٤٣، ٤١٣.

وغيرهم كالحنفيين، وبعض الصحابة.

ثالثاً: بيان أن التشابه بين الديانات هو أمر طبيعي.

رابعاً: بيان استحالة أن يكون النبي ﷺ قد استقى ما زعموا من أهل الكتاب، وغيرهم.

كما ستكون الردود التفصيلية على كثير من تلك الادعاءات في موضعها.

أولاً: بيان افتقاد الموضوعية في تلك المزاعم:

في بداية الرد على دعاوى الدائرة أنبه إلى أمر مهم، وهو افتقادهم الحد الأدنى من الموضوعية الضرورية للبحث العلمي المقبول، ويتجلى ذلك في أربعة أمور:

الأول: الكذب والتلفيق: إذ كثير من الأمثلة المذكورة لم أجدها في الكتب السابقة كما هو موضح بالهامش في مواضعها[1].

الثاني: إتيانهم بالأمور المستغربة المخالفة للقطعي من الأدلة، على أنها مُسلَّمات؛ يلاحظ ذلك جلياً في ثلاثة أمثلة:

١ - ورود بعض العبارات المجزُوم بها مثل: محمد سمعها من التوراة،

---

(١) انظر صـ ٤٢٢، ٤٣٠.

أو رأى محمد، أو معلموه المجهولون الصورَ المسيحية فلم يفهموها.

٢- قول «شاخت»: إن النبي لم يكن يقصد خلق نظام يضبط به أتباعه، أو وضع أصوله على الأقل.

٣- ما نقله «فنسنك»: أنه لم تتحدد الصلوات بخمس إلا في عهد عمر ابن عبدالعزيز، وأن صفة صلاة الجمعة والعيدين، إنما وضعت بعد وفاة النبي ﷺ.

ونلاحظ في الدعوى الأولى الجُرأة في الجزم بسماع النبي ﷺ عبارات محددة من كتب سابقة، وأنه لم يفهم بعضها!

أهكذا يكون البحث العلمي! إنه تلبيس على الناس بالقطع بمثل هذه النتائج مجردة من أي برهان تاريخي دال عليها كما لو كانت مسلمة؛ بل ويترك ما ثبت قطعاً من دلائل صدقه، ومعجزاته ﷺ.

كما يُلاحظ في الدعوى الثانية الافتراء البيِّن بالجزم بأن النبي ﷺ لم يكن يقصد وضع نظام لضبط أتباعه!.

إن أي متدبر للقرآن والسنة يعلم ضرورةً أن فيها نظاماً شاملاً للحياة، فيجد تلك الشريعة كاملة متضمنة لجميع جوانب الحياة حتى في أدق الأمور، فجاء الإسلام تاماً شاملاً كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ (٢).

قال الشافعي -رحمه الله-: (فليست تنزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)(٣).

إن النبي ﷺ أوحي إليه بشريعة كاملة محتوية على نظام محكم في كافة فروع الأنظمة كالأسرة، والمعاملات، والعبادات، والقضاء، وسياسة الرعية، يعرف ذلك كل من له أدنى علم بالإسلام، وإذا كان النبي ﷺ بعد ذلك لا يقصد وضع نظام أو أصوله على الأقل؛ فليس هناك أحد على وجه الأرض يقصد وضع نظام.

إن الشريعة الإسلامية فيها من التفصيل والشمول ما أُعْجب به من غير المسلمين، حتى قال أحد النصارى(٤): (إن محمداً أعظم عظماء العالم

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١١٤.

(٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ٢٠، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية. بيروت، دطت.

(٤) هو فارس الخوري بك ولد في لبنان سنة ١٨٧٧م ارثوذكسياً، ثم اعتنق المذهب البروتستانتي، وتخرج من كلية الحقوق. انتخب عام ١٩١٢م نائباً عن دمشق، ثم=

ولم يجئ الدهر بمثله، والدين الذي جاء به أولى الأديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية)[١].

بل لم يملك حتى بعض المستشرقين إلا التصريح بتلك الحقيقة، حيث يقول جب: (ليس الإسلام ديناً بالمعنى المجرد الخاص، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال، ويقوم على أساس ديني، ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية ....، والحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات، إنه أعظم من ذلك كثيراً، فهو مدنية كاملة)[٢].

وإنه من العجب أن تتحول المناقب إلى مثالب بهذه الطريقة!.

والعجب العجاب في الدعوى الثالثة التي تبين منهجية القوم وعلومهم وتحاملهم.

=أصبح وزيراً للمعارف، ورئيساً للوزارة كما انتخب ثلاث مرات رئيساً للمجلس النيابي السوري، ومثَّل سوريا في هيئة الأمم، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. (انظر: من هم في العالم العربي؟ الجزء الأول سوريا ٢٢٨- ٢٣٠. إصدار مكتب الدراسات السورية العربية. دمشق، ١٩٥٧م).

(١) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بو طامي ١٨٢، مكتبة الثقافة، الدوحة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

(٢) شبهات التغريب لأنور الجندي ٣٠٢- ٣٠٣.

إن الصلوات الخمس فرضها الله على نبيه ﷺ في السماء، وجاء الأمر بها في الكتاب والسنة، ونُقلت متواترة عن النبي ﷺ يصليها الناس في كافة الأمصار الإسلامية أفراداً وجماعات، ولا يُتصور أن يجرؤ أحد أن يغيرها فضلاً أن تقبل الأمة بذلك.

كما أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة مع أصحابه كل أسبوع، والعيدين مرتين في السنة بالجمع الغفير، وقد نقل صحابته -ﷺ- صفة ذلك بالتفصيل.

إن ما يريده كُتَّاب الدائرة تكذيب النبي ﷺ، والادعاء أن ما جاء به لم يكن وحياً من الله تعالى.

الثالث: الجزم بالاستقاء في جميع الأحوال، وكان الأصل في دعواهم أنه ﷺ أخذ ذلك من أهل الكتاب، ولماً كان ذلك متعذراً نظراً لعدم وجود كل ما جاء به النبي ﷺ عندهم، فإنهم أخذوا يبحثون عن أقرب ما يكون من الديانات إلى ما جاء به النبي ﷺ ونسبته إليه من غير دليل ولا برهان.

لذا نجد نسبة الكثير إلى الديانات والحضارات القديمة، وإلى عرب الجاهلية، وعند تعذر هذا أو ذاك فإنه من العجب أيضاً أن نجد الجزم باستقاء النبي ﷺ حتى في حالة الجهل بالمصدر، ومن ذلك:

- «ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من المصدر الذي استقى منه

محمد ﷺ اسم صالح وقصة الناقة»[١].

- «أما من أين أتى النبي بلفظة «سورة» فأمر لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع أصلها، ويذهب نولدكه أنها الكلمة العبرية شوار التي تعني الترتيب أو السلسلة»[٢].

- «ومن الممكن أن يكون محمد قد تأثر في تعيينه لموضع الجبل الذي رسا عليه فلك نوح ببعض روايات قديمة كانت شائعة في بلاد العرب»[٣].

- «ولفظة حنيف ينبغي أن نسلم أن محمداً كان في استعماله لها متبعاً استعمالاً مقرراً»[٤].

إننا كما نلاحظ فقد وضعت النتائج سلفاً، وهذا في حد ذاته مُسقِط لموضوعية البحث والنتائج معاً.

الرابع: تناقض أولئك المستشرقين في الدائرة نفسها في هذا الموضوع، بل يلاحظ تردد الكاتب نفسه في إرجاع ما يزعم أنه

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ١٠٧، صالح، بول.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٣٥٨، سورة، بول.

(٣) الدائرة ١٣/ ٣٥، الجودي، شترك.

(٤) الدائرة ١٦/ ١٢٠، حنيف، بول.

مستقى إلى أكثر من مصدر، وذلك لافتقاد الموضوعية، وما ذلك إلا محاولة للتعلق بأي شَبَهٍ لما في الإسلام مع الديانات السابقة للتعلق به، ومن ذلك:

١- يزعم «ترتون» أن لفظة إبليس مستقاة من اليهودية، بينما نجد أن «فنسنك» يرجعها إلى النصارى.

٢- يزعم «جونيبول» أن الخطبة الأولى مأخوذة من اليهود، والخطبة الثانية من النصارى، بينما نجد فنسنك يأتي بتأثيرات قاضي الجاهلية على خطبة الجمعة من حيث الاعتماد على السيف أو العصا.

٣- يزعم «سيل» أن النبي ﷺ استقى فكرة حور الجنة من المجوس، بينما يزعم «فنسنك» أنها مستقاة من الصور المسيحية مع عدم فهم النبي ﷺ لها.

٤- يزعم «شبرنكر» أن الصوم مأخوذ من النصارى، بينما يزعم «ليبسك» أنه مأخوذ من المانوية.

وهذا التردد والتناقض كثير، نجده فيما يتعلق في البسملة والصلاة، والعفة، والشفاعة، والزكاة، والإقامة.

ثانياً: الرد على زعمهم استقاء النبي ﷺ ممن أخذ من أهل الكتاب كالحنفيين وبعض الصحابة:

يدعي كُتَّاب الدائرة ويرددون أن النبي ﷺ كان على علم بالأناجيل -المنحولة[(١)]، وليست المعتمدة في حد زعمهم- بواسطة الحنفيين كأمية بن أبي الصلت[(٢)]، وزيد بن عمرو بن نفيل[(٣)]، وقس

---

(١) يقصد بالمنحولة -كما بينها «كارد فو» في موضع آخر بنفس المادة إنجيل الصبوة، وإنجيل القديس يعقوب، ورؤيا القديس بولس، وعظة القديس بطرس، وغيرها.

(٢) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، من أهل الطائف شاعر جاهلي، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، لبس المسوح تعبداً، وحرم الخمر على نفسه، رحل إلى البحرين وأقام فيها ثماني سنوات ظهر خلالها الإسلام، فلما عاد إلى الطائف سأل عن خبر محمد بن عبدالله ﷺ فأخبروه، فقدم مكة، وسمع منه آيات من القرآن، فسألته قريش عنه، فقال: أشهد أنه على الحق: قالوا: فهل تتبعه، قال: حتى أنظر في أمره، فخرج إلى الشام، ثم عاد بعد بدر إلى المدينة يريد الإسلام، فلما علم بمقتل أهل بدر وفيهم بعض أقاربه امتنع، وأقام بالطائف إلى أن مات سنة خمس من الهجرة. (انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٣).

(٣) زيد بن عمر بن نفيل القرشي العدوي أحد حكماء الجاهلية، وهو أبو سعيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، لم يدرك الإسلام، كان يكره عبادة الأوثان، رحل إلى الشام باحثاً عن الأديان فلم تجذبه اليهودية ولا النصرانية؛ فعاد إلى مكة يعبد الله على ما يعلمه من دين إبراهيم -عليه السلام-، فحارب عبادة الأوثان حتى أُخرج من مكة، كما عاد وأد البنات والزنى، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، وسُئل عنه النبي ﷺ فقال: «يبعث يوم القيامة أمة واحدة». رواه أحمد ١/ ١٨٩. (انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٦- ١٣٥، الأعلام للزركلي ٣/ ٦٠).

ابن ساعدة[1]، وغيرهم من الشعراء الذين يترددون على الحيرة، فيسمعون بعض العلوم من أهل الكتاب، وينقلونها بدورهم إلى المجتمع العربي بالشعر أو النثر، ومصادر النبي ﷺ في معرفة تلك الأخبار -كما يدعون- هي نفس مصادر أمية بن أبي الصلت وغيره -إن لم يكن نقل عنهم مباشرة-.

ومن أبرز تلك العلوم المنقولة: أخبار البشارة بالنبي، وفي هذا 'إيحاء بأن النبي ادعى دعواه بعد معرفته بتلك الأخبار.

كما يدَّعون أن النبي ﷺ قد تأثر تأثراً واضحاً ببعض الصحابة الذين أسلموا، وكان لهم سابق معرفة بأديان أهل الكتاب كتميم الداري الذي كان نصرانياً قبل إسلامه، أو زيد بن حارثة -رضي الله عنهما-!.

وهذه كتاباتهم في الدائرة:

- (وكان الشعر أيضاً وسيلة من الوسائل التي انتقلت بها آراء النصارى إلى المسلمين. فعند ظهور الإسلام كان الشعراء يترددون على الحِيرة، وكانت تربطهم بنصارى العرب خير الصلات، فنقلوا إلى بلاد العرب ما سمعوه من القصص في حانات الحيرة. نذكر من هؤلاء زيد بن عمرو

---

(١) قس بن ساعدة الأيادي: أحد حكماء العرب في الجاهلية، ومن كبار خطبائهم، كان أسقف نجران، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنوات. (انظر: الأعلام للزركلي ٥/ ١٩٦).

نفيل، وأمية بن أبي الصلت الذي كان واسع العلم بالقصص اليهودي أيضاً)[١].

- كما جاء: (وكان محمد أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منه بالأناجيل الصحيحة. ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة، وإنما نقلت إليه على يد يهود أتقنوا النصرانية، ويستدل على هذا بنوع القصص الذي ورد في القرآن، وقد تكيف بقصص أولئك الذين سماهم محمد «الحنفيين»، وقيل إنهم كانوا على دين إبراهيم.

وهذا الموضوع ليس إلا مسألة فرعية من المسألة العامة بأصل الإسلام ومصادره)[٢].

- كما جاء: (والأخبار الإنجيلية التي يظهر أنها كانت أكثر شيوعاً في البيئة التي شب فيها النبي، هي الروايات الخاصة بالبشارة)[٣].

- وجاء أيضاً: (واستشهد الشعراء الأقدمون بثمود وعاد على زوال المتاع الدنيوي، من هؤلاء الشعراء الأعشى، وأمية بن أبي الصلت اللذان استشهدا بكثير من أساطير ثمود، وساق القرآن من أخبار العرب ما حلَّ

(١) الدائرة ٤/ ٥٧٧، إنجيل، كادره فو.

(٢) الدائرة ٤/ ٥٧٧، إنجيل، كارده فو.

(٣) الدائرة ٤/ ٥٧٨، إنجيل، كارده فو.

بعاد وثمود، كما ساق من أخبار العهدين القديم والحديث ما حاق بغير العرب)[١].

- وجاء أيضاً: (والآراء الدينية ومعالجة هذه الموضوعات في كلام أمية مطابقة لما جاء في القرآن إلى حد كبير، ويكاد الاتفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال)، ثم يذكر ما أثير من اقتباس أمية من القرآن، ويذكر أنه احتمال ممكن، ولكنه لم يرجحه بسبب الشك في نسبة هذه القصائد إلى أمية.

ثم يخلص إلى أن محمداً وأمية وغيرها من رجال الدين كزيد بن عمرو، وورقة اقتبسوا جميعاً من مصادر واحدة[٢].

- كما جاء أيضاً: (وكان تميم -الداري- نصرانياً كغالب عرب الشام، فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى، ومنها استعمال السراج في المسجد، ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الديني، وقصص قيام الساعة، وظهور الدجال، والجسَّاسة من هذا الفن من فنون الآداب، وقد أخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها في الناس....، وليس من شك أن أسطورة تميم نشأت في عهد سحيق،

---

(١) الدائرة ١٠/ ٣٤٥، ثمود، براو.

(٢) الدائرة ٤/ ٤٦٣- ٤٦٤، أمية بن أبي الصلت، براو.

وقد يُتساءل أيضاً: هل تتصل هذه الروايات المتعلقة بتميم الداري حقيقة بشخصية تاريخية أم أنها شخصية أسطورية محضة)[١].

- وجاء فيها: (وكان زيد يصغر محمداً بنحو عشر سنوات، وهو من السابقين إلى الإسلام، إن لم يكن أولهم جميعاً، وزيد ينحدر من قبيلة كانت تضرب قرب دومة الجندل. وكان عدد المعتنقين للنصرانية هناك كثيراً، كما كان أثر اليهود واضحاً، وربما كان أثر زيد في تطور تفكير النبي كبيراً)[٢].

وأقول: جميع ما ذكره أولئك الكُتَّاب ليس فيه برهان واحد يصح أن تُبنى عليه تلك الدعوى الخطيرة التي ادعوها.

فمعرفة بعض الناس في البيئة التي نشأ بها النبي ﷺ لبعض ما في الأناجيل ليست دليلاً على أن النبي ﷺ استقى معلوماته من ذلك، وبالتالي كذبه فيما ادعاه من الوحي والرسالة.

ولو صح ذلك لأمكن تكذيب عامة أنبياء بني إسرائيل -عليهم السلام-؛ لأن معرفتهم بالتوراة لا تقارن بمعرفة النبي ﷺ بالكتب السابقة.

---

(١) الدائرة ١٠/ ٥٩- ٦٢، تميم الداري، ليفي دلافيدا.

(٢) الدائرة الأولى ١١/ ١٠، زيد بن حارثة، فكا.

وكتاباتهم دعاوى مجردة مركب بعضها على بعض لهدم حقيقة ثابتة بالبينات والبراهين.

والرد من وجوه:

الأول: فيما يتعلق بدعوى الكاتب أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يسمع القصص في حانات الحِيرة ليس لها ما يؤيدها من المصادر التاريخية، وزيد بن عمرو بن نفيل مات قبل البعثة بخمس سنين، ولم يكن يهودياً لا نصرانياً، وإنما كان حنيفاً على دين إبراهيم[١].

وأما ورقة بن نوفل فإن أصح ما ثبت عنه ليدل على: نبوة محمد ﷺ، وصحة الوحي الذي نزل عليه، ولا يدل على ما زعمه الكاتب إطلاقاً.

فقد ثبت في الصحيحين «أن النبي ﷺ بعد نزول الوحي عليه انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب الإنجيل بالعبراني، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: يا بن عم! اسمع من ابن أخيك، فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ليتني فيها جذعاً، ليتني حياً إذ يخرجك قومك.

---

(١) الإصابة لابن حجر ١/ ٥٦٩.

فقال رسول الله ﷺ: (أوَ مخرجيَّ هم؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[١].

فهذا ورقة بن نوفل يستدل على صحة نبوته ﷺ بملابسات نزول الوحي عليه، ولو كان علَّمه، أو علِم أنه تعلم من غيره لما خفي عليه إطلاقاً.

الثاني: ما قاله أحمد شاكر تعليقاً على هذا الكلام: (ومن المضحك؛ بل مما يؤسف له: أن كاتب المقال لم يصن قلمه في مثل هذا البحث -الذي يزعمه بحثاً علمياً- عن ذكر الحانات. وكان الأجدر به أن يفقه أن ما يتحدث به السكارى في الحانات، وخاصة الشعراء منهم، لا يصلح أن يكون أساساً لدين عظيم يهدي إلى الله، ويعلِّم الناس الشرائع والمكارم، ويدعو إلى إعلاء كلمة الله، وإلى نشر الفضيلة وحرب الرذيلة، وإلى النهي عن الخمر، والميسر وغيرهما من المنكرات، ويصفها بأنها رجس من عمل الشيطان)[٢].

الثالث: فيما يتعلق بزعم الدائرة أن بعض الصحابة الذين أسلموا كانوا من المصادر التي اعتمد عليها النبي ﷺ في القرآن، فالجواب عليه: أن

---

(١) متفق عليه تقدم تخريجه صـ ٣٥٣ .

(٢) الدائرة ٤/ ٥٩٥، إنجيل، تعليق أحمد شاكر.

الصحابة -رضي الله عنهم- أعظم الناس إيماناً بالنبي ﷺ وتصديقاً لما جاء به، وكانوا متفانين في طاعته و محبته، ولاسيما زيد -رضي الله عنه-، وكان من أعرف الناس بالنبي ﷺ، ولا زال في تفانيه في نشر دين الله، حتى توفاه الله شهيداً على مشارف الشام، فحال القوم لا يوافق ما ادعاه الكاتب.

ومعرفة بعض أصحاب النبي ﷺ بأخبار أهل الكتاب شيء طبيعي، فأصحابه في عددهم أكثر من مائة ألف، فليس بمستغرب أن يكون من بينهم من عرف بعض العلم من أهل الكتاب؛ بل إن إيمانهم وتصديقهم للنبي ﷺ على معرفتهم تلك لدليل صدقه، إذ كانوا يميزون بما عندهم من العلم بين الصادق والكذاب.

وقد كان في أصحاب الأنبياء من يعلم بعض العلوم من الأنبياء السابقين، ولم يضر ذلك أنبياءهم، وكان في أصحاب عيسى من يعلم من أخبار موسى ومن بعده من الأنبياء كثرة بما لا يقارن بعدد أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ، ولا يطعن ذلك في أحد منهم.

الرابع: ما هي علاقة السراج بالعبادة؟ التي يزعم أن النبي ﷺ أخذها من تميم الداري، الذي أخذها بدوره من نصارى الشام!

إن تعليق السراج في المسجد لم يكن في زمن النبي ﷺ، ولم يكن له صلة بالعبادة، وإنما اتخذ -بعد انتشاره- بعد وفاة النبي ﷺ لينير الطريق

وليعين على قراءة المصاحف.

ثالثاً: بيان أن التشابه بين ما جاء في الرسالات السماوية هو أمر طبيعي:

إن أكثر ما يستدل به أولئك المستشرقون في دعواهم باستقاء النبي ﷺ الأخبار من الملل الأخرى هو ذلك التشابه بين ما جاء به النبي ﷺ والأنبياء الآخرون من العقائد والأخبار، وأصول الشرائع متخذين التوراة وحدها المقياس الحقيقي، والمصدر لكل شيء من شرائع وأخبار، فيزعمون أن النبي ﷺ أخذ منهم، ويُلزموننا بذلك، وهذا غير صحيح؛ إذ لا يدل ضرورة على ما زعموا، ولا معنى لالتزامه من وجهين:

الأول: إن الله عز وجل هو الذي أرسل جميع الأنبياء، وأنزل معهم الكتب التي من الضرورة أن تتفق في تلك الأصول، وبالذات فيما يتعلق بالإخبار عن عالم غيبي واحد يتحدث عنه جميع الأنبياء، فلا يمكن أن يختلفوا في صفات الله، أو في الملائكة، أو في أخبار الرسل السابقين، أو فميا يتعلق باليوم الآخر. كما يتفقون في أصول الشرائع والعبادات فجميعهم يأمرون بالصلاة، والصيام، والصدقة، كما يحثون على العدل وسائر مكارم الأخلاق، وينهون عن الظلم، وسيء الأخلاق، فطريقتهم واحدة وأحوالهم واحدة؛ وإن اختلفت تفاصيل شرائعهم.

وقد جاء هذا المعنى واضحاً في القرآن الكريم في آيات عديدة، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣].

وقوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[٤].

كما جاء في السنة قول النبي ﷺ: «أنا أولْى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاَّت[٥]: أمهاتهم شتى،

---

(١) سورة النساء الآية: ١٦٣.

(٢) سورة فصلت الآية: ٤٣.

(٣) سورة الشورة الآية: ٣.

(٤) سورة الشورى الآية: ١٣.

(٥) العلات: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علـى منها، والعلل: الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الإخوة لأب. (انظر: شرح الحديث في فتح الباري ٦/ ٤٨٩).

ودينهم واحد». متفق عليه[١].

ثم أين أولئك المستشرقون من أهل الكتاب من التشابه بين ما جاء به موسى وعيسى مع ما جاء به من سبقهما من الأنبياء؛ بل أن أولئك المستشرقون النصارى الذين سلُّوا أقلامهم باتهام النبي ﷺ لمجرد ذلك التشابه، أين هم من التشابه بين رسالتي موسى وعيسى؟

وقد تنبه بعض المستشرقين لذلك فرد على من نسبوا الإسلام للأديان السابقة بهذه الحجة، حيث يقول: «هاملتون جب»: (يغدو التساؤل عن مصدر الدين الذي جاء به محمد، وذلك شيء شغل بال الباحثين من نصارى ويهود في الغرب، أمراً غير وارد بالمرة، لقد وضح المتضلعون من علماء اليهود: أن كثيراً من الأقوال المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل أو معظمها موجود في المؤلفات اليهودية، منسوبة فيها إلى واحد أو آخر من الأحبار العظام، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة وهي افتراق البناء الفكري المسيحي -حتى في مرحلته الأولى- افتراقاً كاملاً عن بناء الفكر اليهودي، ومثل ذلك يقال في حال الإسلام: إذ مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته، فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾، برقم (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل: باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم (٢٣٦٥).

أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينياً جديداً متميزاً)[١].

إن الجميع أنبياء الله ورسل الله عليهم صلوات ربي وسلامه، وذلك التشابه لا يطعن في رسالة أحد منهم؛ إذ جاؤا بالبينات من ربهم، فوجب الإيمان بهم وتصديقهم، وذلك التشابه إنما يدل على وحدة المصدر وصدق الجميع.

الثاني: إن القرآن الكريم أعلن بكل وضوح تحريف الكتب السابقة، فكيف يعقل أن يأخذ القرآن من الكتب التي جاء ليعلن تحريفها، أو عن الأقوام الذين حرفوها، ومن المعلوم أن النبي ﷺ جاء بدين يخالف ما عند أهل الكتاب، بل وجاء بما لا يعرفه مشركو العرب، قال ابن تيمية: (إنه حين بعث النبي ﷺ كان الناس: إما مشرك، وإما كتابي، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه) [٢].

وسبب اختلاف ما جاء به النبي ﷺ عن ما عند أهل الكتاب يعود إلى أمرين:

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام. هاملتون جب ٢٥٤- ٢٥٥، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م. مع التحفظ على قوله: (إذ مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته).

(٢) الجواب الصحيح. لابن تيمية ٤/ ٢٤- ٢٥.

أحدهما: تحريف أهل الكتاب لدينهم، ودخول الشرك فيه، فجاء النبي ﷺ ليصحح تلك الانحرافات، فيجادلهم بالتوحيد، وما حرَّفوه وأخفوه من كتبهم، ومن ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقول بعض اليهود: إن عزيراً ابن الله، وقول طوائف من النصارى: إن المسيح هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وكزعم اليهود والنصارى: أن المسيح -عليه السلام- صلب وقتل، وادعائهم بأنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه، فنجد في القرآن الكريم الرد على تلك الانحرافات في آيات عديدة، منها على سبيل المثال:

قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٤.

(٢) سورة المائدة الآية: ١٥.

وقوله تعالى منكراً على اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[2].

إن من الأمور التي اختلف فيها أهل الكتاب: حقيقة عيسى -عليه السلام- وأمِّهِ، فالنصارى يغالون فيه، ويجعلونه ابناً لله أو ثالث ثلاثة، وأنه قُتل وصُلِبَ، ثم رُفِع، بينما يجعل اليهود مريم زانية، والمسيح كذاباً، وأنهم قتلوه وصلبوه.

بينما نجد أن الإسلام لم يتبَّن أياً من الموقفين المتطرفين؛ وذلك لأن الوحي الذي نزل على النبي ﷺ من الله تعالى جاء بالحقيقة التي فقدها

(١) سورة النساء الآية: ١٥٥ - ١٥٨.

(٢) سورة المائدة الآية: ١٨.

الطرفان؛ ألا وهي: أن المسيح رسول الله وأمه صدِّيقة، فكما أنه رسول صادق ليس بكذاب؛ فهو أيضاً بشر ليس ابناً لله، أو ثالث ثلاثة، وأنه لم يُقتل ولم يُصلب بل رفعه الله قبل أن يُصلب من شُبِّه بالمسيح لأعدائه وهم اليهود قتلة الأنبياء.

وهذا الخلاف بين ما جاء به النبي ﷺ وما عند أهل الكتاب دليل على صدق نبوته ﷺ، ونتيجة لانحراف أهل الكتاب عن منهج أنبيائهم، وهذا أمر واضح، حتى قال أحد المستشرقين، وهو هنري كاستري[(١)]: (أما فكرة التوحيد، فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها، لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته)[(٢)].

---

(١) الكونت هنري دي كاستري ١٨٥٠ - ١٩٢٧/ مفكر فرنسي تعلم اللغة العربية، والتحق بالجيش الفرنسي، وتدرج في أعلى المراتب، حكم الجزائر أيام الاستعمار، ثم تفرغ للأدب والتأليف، له كتاب الإسلام سوانح وخواطر، وله أقوال عديدة في مدح القرآن والإسلام والنبي ﷺ. (انظر: قالوا عن الإسلام لسيد حافظ أبو الفتوح ١١٧، وبحث المستشرقون بين الإنصاف والعصبية لمحمد علوي مالكي ١٦٧، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقين، عالم المعرفة. جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ٣٥، قال ذلك في كتابه الإسلام سوانح وخواطر.

والسبب الآخر في وجود الاختلاف: هو اختلاف تفاصيل الشرائع، فالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج يقع في تفاصيلها اختلافات ملحوظة بين ما عند المسلمين، وأهل الكتاب، كما هو موجود ذلك الاختلاف بين ما عند اليهود والنصارى؛ لأن الله شرع لكل أمة من الشرائع ما يناسبها، وشرع لهذه الأمة أتم الشرائع؛ لأنه دين لا يختص بقوم دون قوم، بل هو الدين الوحيد المقبول عند الله من بعثته ﷺ إلى قيام الساعة.

يقول أبو الحسن العامري[1] مبيناً تلك الاختلافات، ومظهراً ميزة الإسلام ضارباً مثالاً بالصوم: (وكل من تأمل سنن هذه الأديان في إقامة هذه الشريعة، واعتبر وصفها بحسب الكمية والكيفية علم أنه لا سنة فيها أحسن في مقتضى العقل من سنة أهل الإسلام، أما من جهة الكمية: فلأنه لم يَطُلْ فيُمَلَ كصوم الرهابين من النصارى، والصديقين من الثنوي، وعبدة الأصنام، ولم يقتصر فيه فيقل كصوم المجوس؛ إذ ليس هو بصيام على الحقيقة.

أما من جهة الكيفية: فإنه لم يجعله كصوم النصارى، والثنوية الذين

---

(١) أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ولد وتوفي بنيسابور سنة ٣٨١هـ، كان تلميذاً للبلخي. (انظر مقدمة كتابه: الإعلام بمناقب الإسلام بقلم المحقق: أحمد عبدالحميد غراب).

يعتقدون معه تحريم اللحمان، ويسلطون على أنفسهم النحول، أو كصوم اليهود المتفرق في أيام السنة على صورة لا يوجد لها نظام مستقر، ولا تعرف أوقاتها إلا خصائص علمائها، بل علق أمرها برؤية الهلال الظاهر للأعين، وجعل شعارها تطهير النفوس عن جميع ما يدنسها من الآثام، وكفها عن اللذات الثلاث التي هي المأكل والمشرب والمنكح، مع الاعتقاد بأنه وإن وجب الإمساك عنها؛ فإنه ليس بمحرم عليه إذ هو مأمور به عند المرض والسفر، ورخص له في الإفطار)[١].

والعجيب من كتبة الدائرة أنه إذا وقع ثمة تشابه حكموا على الفور باستقاء النبي ﷺ من ذلك المصدر، وإذا كان ثمة خلاف ولم يجدوا ما يشبه ما جاء به النبي ﷺ في الأمم السابقة، فيرجعونه إلى أحد أمرين:

أولها: زعمهم عدم فهم النبي ﷺ لما رآه وسمعه مما عند الأمم السابقة.

وثانيها: زعمهم أنه من ابتكارات محمد ﷺ، وقد يكون ذلك لعلة أو مصلحة خاصة أوجبت ذلك كما سيأتي.

فدل هذا على ضلوع الهوى ومجافاة الحق في آرائهم واستدلالاتهم، إذ أن تلك الدعوى يجوز أن تقال لكل أحد.

---

(١) الإعلام بمناقب الإسلام للعامري ١٤٢.

رابعاً: استحالة استقاء النبي ﷺ دينه من أهل الكتاب:

بالإضافة إلى الإجابة عمّا احتج به المبطلون من حجج فإني سأبين بمشيئة الله تعالى استحالة أن يكون ما جاء به النبي ﷺ مأخوذاً من أهل الكتاب، وذلك من وجوه:

الأول: ما تقدم من أدلة على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ [(١)]، وتنوع دلائل ذلك من بشارات في الكتب السابقة، وإرهاصات نبوته قبل مبعثه، وإعجاز القرآن الكريم، والمعجزات الكثيرة الدالة على صحة رسالته، وما يعلم بالضرورة من سيرته لا سيما ما يدل على صدقه، وأمانته، وحسن أخلاقه.

إن أي منصف موضوعي لا يملك إلا أن يستبعد تلك الآراء الخالية من الأدلة لاسيما إذا ناقضت تلك الدلائل المتواترة.

إن هذه الدعوى تتضمن كذب النبي ﷺ في رسالته، وهذا ما تحاشى أن يصرح به كثير منهم، وذلك لما هو مسلم بمئات الأدلة على صدق النبي ﷺ؛ حتى إن بعض المستشرقين الطاعنين في نبوته ﷺ وهو «منتقمري وات» أقر بذلك بقوله: «ولا يكفي أن نكتفي بأمانته وعزيمته

---

(١) انظر صـ ٣٤٣، ٤١٣.

إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه، وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده؛ فيجب علينا في كل حالة لا يقوم الدليل القاطع على ضدها أن نتمسك بصلابة صدقه... ولا يجب مناقشة نظريات المؤلفين الغربيين الذي افترضوا كذب محمد كنظريات، وإن كان يمكن النظر في الحجج التي يذكرونها»(١).

وأولئك القوم محجوجون بأدلة صدقه ﷺ، وليس هناك كذب أعظم عند الله من افتراء الكذب عليه، وهذا معلوم بالضرورة للنبي ﷺ، حيث جاء ذلك في آيات عديدة في القرآن الكريم(٢) منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(٣)، فهذا أعظم الكذب أن يدعي أن ما جاء به من عند الله بينما هي -على حد زعمهم- ملفقة من مصادر شتى تكتم عليها النبي ﷺ عن وعي وتعمد.

الثاني: أن النبي ﷺ كان أمياً، وهذا معلوم من سيرته، وهذا أبلغ في

---

(١) محمد في مكة منتقمري وات ٩٤.

(٢) انظر سورة الأنعام الآية: ٢١، ٩٣، وسورة الأعراف الآية: ٣٧، وسورة يونس الآية: ١٧، وسورة هود الآية: ١٨، وسورة الكهف الآية: ١٥، وسورة العنكبوت الآية: ٦٨، وسورة الزمر الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢١.

استبعاد أن يكون استقى من أهل الكتاب وغيرهم، فلو كان ﷺ قارئاً وكاتباً لربما قيل: إنه قرأ سراً بعض كتبهم، وكتب بعض ذلك، وتلك الدعوى على ضعفها لا وجود لها مع أميته ﷺ، لذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [١].

قال النحاس: إن هذه الآية: (دليل نبوته ﷺ لقريش؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن بمكة أهل كتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم) [٢].

وقد اعترف الكافرون بأمِّيَّته ﷺ فلم يجدوا مناصاً إلا أن يقولو: إنه يُملى عليه، ويكتبها له غيره دون أن يقدموا أي دليل أو برهان، وقد حكى الله قولهم بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٣].

وقد يُنظر في هذه الدعوى إذا كانت في حق من جُهِلت سيرته، أما من عُلمت تفاصيل سيرته قبل البعثة وبعدها، وعُلم ما يناقض تلك الدعوى من صدقه وأمانته وحاله، فإنه لا وجود لها إلا من قبيل المكابرة والإبطال.

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٥١.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٥.

والعجب أن بعض كُتَّاب الدائرة حاولوا إنكار أمِّيَّته ﷺ في محاولة مكشوفة لتجاوز هذا الدليل، حيث حاول أحدهم تحريف كلمة «أمي» الذي قال عنه إنه لقب محمد في القرآن إلى الوثني، وأنه هو ولفظ «أميين» صفة أطلقها أهل الكتاب على العرب الوثنيين، وطبيعي أن نجده يضعّف قول من قال: إن المقصود بلفظة أمي أي: لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه بحسب زعمه: (هناك عوامل لغوية تجعل من الصعب أن نقول إن كلمة أمي معناها «الذي لا يكتب ولا يقرأ» فلا الكلمة العربية «أمة»، ولا العبرية «أمّا»، ولا الآرامية «أميثا» تدل على الأمة في حالة الجهالة)[١].

وكأن اللغة العربية مركبة من غيرها، وليست فيها كلمة من ذاتها؛ فالكلمة عربية، وعجلة الكاتب في البحث في اللغات الأخرى مرفوض، وعمله ينبئ وكأن القرآن ملفق منها.

والكلمة ليست مشتقة من أمة، وإنما سُمي الأُمِي أُمِّيًّا؛ لأنه بقي على ما ولدته أُمه لم يتعلم[٢].

وكما أن اللغة لا تشهد للمدعي؛ فإن النصوص الصريحة من الكتاب والسنة تناقض ما ذهب إليه من «أمي» بمعنى: «وثني»، وكان من المفروض

---

(١) الدائرة ٤/ ٤٢٦ - ٤٢٧، أمي، باريه.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٣٤.

أن يرجع إليها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا. يعني: مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين»[١].

ومن المعلوم أن الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[٢] لا يستقيم أن تُفَسَّر بالوثني إطلاقاً، حيث لا يمكن أن يكون معناها: هو الذي بعث في الوثنيين رسولاً منهم، فالوثنية ليست صفة مدح بحال، لاسيما وقد جاء بدين التوحيد، بخلاف أميته ﷺ الدَّالة على صدقه.

وإذا حاول المستشرق أن يُلبس على معنى أُمي في هذه الآية فماذا يصنع بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٣].

ولو كان ﷺ يقرأ أو يكتب لكان ذلك معلوماً لمعاصريه ولطعنوا في تلك الآيات ولاتهموا النبي ﷺ بأنه يكتبه، ولما احتاجوا أن يقولوا تُملى عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول الله النبي ﷺ «لا نكتب ولا نحسب»، برقم (١٩١٣)، ومسلم في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠).

(٢) سورة الجمعة الآية: ٢.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٨.

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[(١)]:

(فكيف أَتَقَوَّله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً، تعرفون حقيقة حالي، بأني أُمِّيٌّ لا أقرأ، ولا أكتب، ولا أدرس، ولا أتعلم من أحد؟!

فأتيتكم بكتاب عظيم، أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن -مع هذا- أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟

فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب لجزمتم جزماً لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذا أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾[(٢)] [(٣)].

---

(١) سورة يونس الآية: ١٦- ١٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ٣/ ٣٣٥- ٣٣٦، تحقيق محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ.

الثالث: إن سيرة النبي ﷺ معلومة معروفة، والنبي ﷺ لم يطلع على الإنجيل، ولم يقرأه أحد عليه، وإنَّ أقدم ترجمة عربية للإنجيل باعتراف الدائرة كانت بين سنتي (٦٣١- ٦٤٠م)[(١)]، والنبي ﷺ ولد عام (٥٧١م)، وبعث عام (٦١٠م)، وتوفي عام (٦٣٢م).

كما أنه ﷺ لم يتلق عن أهل الكتاب ما زعموه مطلقاً، ولم يكن ﷺ يجالس أهل الكتاب قبل البعثة، ولقاءاته بهم بعد بعثته ﷺ كانت على قلتها عامة بغرض دعوتهم، لا التلقي منهم، كما حدث مع نصارى نجران، ويهود المدينة.

إن كل دارس منصف للسيرة النبوية ليستخف بتلك الافتراءات الحاقدة حتى من قِبَل غير المسلمين من فلاسفة الغرب، فهذا الفيلسوف كارليل يقول: (لقد أصبح من العار على كل فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يدعيه المدعون من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خدَّاع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من هذا الأقوال السخيفة المخجلة....

إن محمدا ﷺ لم يتلق دروساً عن أستاذ قط، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب .....)[(٢)].

---

(١) الدائرة ٤/ ٥٧٦، إنجيل، كارده فو.

(٢) الأبطال لكارليل ٥٤.

وهذا هنري دي كاستري يقول: (ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه)[١].

الرابع: لو افترضنا جدلاً احتمال جلوس النبي ﷺ مع أهل الكتاب سراً، فإنه من المستحيل أن يكون هذا الدين العظيم بما فيه من عقائد، وشرائع، وأخبار، وآداب هو حصيلة تلك الاجتماعات مطلقاً.

قال الرازي[٢]: (إن أمر التعليم لا يتأتى في جلسة واحدة، ولا يتم في الخفية، بل التعليم إنما يتم إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمنة متطاولة، ومدداً متباعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمداً -عليه السلام- يتعلم العلوم من فلان وفلان)[٣]، لاسيما وقد اشتهرت سيرته ﷺ، ولم يعرف عنه ذلك.

---

(١) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ١٠٨.

(٢) محمد بن عمر الرازي ٥٤٤ - ٦٠٦، الفخر الرازي قرشي النسب من طبرستان، من أئمة المعتزلة والمتكلمين، واللغونيين صاحب الكشاف في تفسير القرآن، وله كثير من الكتب الفلسفية، وبها من انحرافات الفلاسفة، ولكنه كما قال الذهبي: (وفي على طرقة حميدة). (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٥٠٠ - ٥٠١).

(٣) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الشافعي المشهور بالفخر الرازي ٢٠/ ١١٩، تفسير النحل ١٠٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثالثة دت.

وقد جمع القرآن من العلوم ما لم يكن عند معاصري النبي ﷺ، بل ويستحيل أن يتلقى النبي ﷺ عنهم ما زعموه من العقائد، والشرائع، والأحكام على كثرتها وتفاصيلها بلقاءات محدودة أو سرية، بل يحتاج إلى وقت كثير وطول جلوس، وهذا لا يخفى على أحد لو تم.

ومن الممكن ادعاؤه في سائر الرسل، إذ الدعوى بغير برهان لا تُعجز أحداً.

قال ابن تيمية في الرد على هذه الفرية بعد ذكر العلوم العظيمة، والقصص الكثيرة التي أخبر بها النبي ﷺ: (وغير ذلك من قصص الأنبياء، والصالحين، والكفار، مفصلة مبينة بأحسن بيان، وأتم معرفة، مع علم قومه الذي يعلمون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة، أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر، لا يهودي، ولا نصراني، ولا بغيرهم، كان هذا من عظيم الآيات، والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به، وأنبأه به الله). ثم ذكر بعض الأدلة على استحالة ذلك، نقلتها بمعناها في الفقرتين الآتيتين[1].

الخامس: ما ذكره ابن تيمية بقوله: (وقد عُلِم بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم، لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قُدِّر أنهم كانوا

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/ ٢٤-٢٥.

يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه، وكذبوه، فلو كان فيهم من علّمه، أو يعلم أنه تعلم من غيره، لأظهر ذلك، ولو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها ﷺ من أهل الكتاب مع عداوتهم له، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك؛ لنُقِل ذلك وعُرِف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها)[١].

كما لو أن هذا الدين العظيم لو أخذه من غيره لكشفه ذلك الغير رغبة في نسبة هذا الفضل لنفسه.

السادس: إن مثل هذا لو كان، فلا بد أن يعرفه، ولو خواص الناس، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك يشيع، ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كُتم من أمر الدولة الباطنية، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقهم في الباطن، كما عُرف في نظائر ذلك.

فكيف، وكان أخص أصحابه، وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة وموالاة؟

بخلاف حال من يبطن خلاف ما يُظهر، فإن خواص أصحابه لا يُعظمونه في الباطن[٢].

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٢٤- ٢٥.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٢٤- ٢٥.

وهذه حقيقة استدل بها بعض الغربيين على صدقه ﷺ، حيث يقول هـ. ج، ولز: (إن من أدفع الأدلة إلى صدق محمد، كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكوا في صدقه لما آمنوا به)[١].

السابع: إن فرية تعلم واستقاء النبي ﷺ القرآن من أحد قد بين الله تعالى الرد الشافي عليها في كتابه حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]، فمصدر إعجاز القرآن بالدرجة الأولى ليس ما فيه من الأخبار؛ فحسب بل ويضاف إلى ذلك فصاحته، وحسن بيانه، وتأثيره، وهذا لا يحصل بالتعلم ممن ادعوا من العجم من أهل الكتاب وغيرهم.

وقد أقر بذلك حتى من تدبر القرآن من غير المسلمين، حيث يقول بلاشير[٣]: (إن القرآن ليس بمعجزة بمحتواه، وتعاليمه فقط؛ إنه أيضاً

---

(١) إلى الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي ١/ ٢٦٧.

(٢) سورة النحل الآية: ١٠٣.

(٣) مستشرق له ترجمة لمعاني القرآن.

ويمكنه أن يكون قبل أي شيءٍ آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية)[١].

وقال الكونت هنري دي كاستري: (إن العقل ليحتار كيف يتأتى أن تصدر الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز بنو الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى)[٢].

ومن أحدث ما ورد عن الغربيين بهذا الصدد ما ذكره المستشرق الأمريكي داستن كاو[٣]؛ حيث قال: (أسلوب القرآن أسلوب بليغ معجز في لغته، لا يستطيع أن يقلده أي إنسان، وإن من ينكر عظمته فهو جاحد أو متعصب. عندما أستمع إليه وهو يُقرأ أكون معجباً، ومبهوراً بقوة تعبيره وأسلوبه، وتشبيهاته. إنه يأخذني إلى عالم روحاني نقي)[٤].

الثامن: إن القرآن الكريم لو كان كما زعموا وليد عصره، وبيئته لما ظل

---

(١) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ٥٢ - ٥٣.

(٢) بحث بعنوان: المستشرقون والسنة، أنور الجندي ٢٢٠، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون عالم المعرفة، جدة الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) أستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة وس كانسن.

(٤) مقابلة معه في مجلة اليمامة الأسبوعية الصادرة من الرياض العدد ١٣٠٧ في ٢٢/ ١٢/ ١٤١٤هـ - ١/ ٧/ ١٩٩٤م صفحة ٦٣.

إلى اليوم صامداً في وجه المشككين، والساعين لأي فرصة لتكذيبه، بل إنه على العكس يثبت كل يوم من خلال إعجازاته المتنوعة في تشريعاته التي لا يحدها زمان، ولا مكان، وبإعجازه العلمي، بل إن الملايين من البشر اعتنقوه على اختلاف بيئاتهم وأجناسهم، منهم كثير من كبار العلماء، والأذكياء في سائر بقاع الأرض.

* * *

المبحث الثالث

التشكيك في نبوته ﷺ

- إنكار دلائل نبوته ﷺ.
- الطعن في القرآن الكريم.
- ادعاء كذب النبي ﷺ.

تمهيد:

إن من أهم أهداف الدائرة: التشكيك في نبوَّة محمد ﷺ أو نفيها بالكلية، ويدخل في ذلك ما سبق الحديث عنه من زعمهم استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم، كما يدخل فيه ما سيأتي في الفصول القادمة من طعنهم في سنته، وسيرته، وصحابته ﷺ، وقد أفردت لكل ما سبق فصلاً خاصاً لكثرة ما ورد.

أما في هذا الفصل فسأذكر محاولاتهم الأخرى لتحقيق هذا الهدف، ومن أهمها:

١- إنكار دلائل نبوته ﷺ من معجزات وبشارات.

٢- طعنهم في القرآن الكريم.

٣- ادعاء كذب النبي ﷺ وتأليفه لما جاء به.

المطلب الأول: إنكار دلائل نبوته ﷺ:

وفي ذلك مسائل:

المسألة الأولى: نفي البشارات في الكتب السابقة:

جاء في الدائرة محاولة مستميتة لنفي أي بشارة بالنبي ﷺ في الكتب السابقة، وذلك للنيل من نبوته ﷺ كما هو ظاهر؛ ومن ذلك:

جاء في الدائرة: (وقد أقنعت الآية ١٥٦ من سورة الأعراف المؤمنين بأن التوراة قد بشرت بقدوم محمد. وترد المحاولات التي بذلت لإثبات ذلك إلى صدر الإسلام، ولكن لم يحدث إلا في منتصف القرن الثالث أن سيقت فقرات بعينها من التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم مترجمة ترجمة حرفية، وفسرت بأنها بشائر بقدوم محمد)[١].

كما جاء في مادة أحمد: (وفي الحق إن المسلمين لم يطلقوا على محمد اللقب المبشر به قبل منتصف القرن الثاني «انظر ابن هشام صـ ١٥٠ في روايته عن ابن إسحاق».... والإشارات العارضة إلى النبي بأحمد في شعر القرن الأول للهجري تؤول على أنها من ضرورات الشعر)[٢].

---

(١) الدائرة ١٠/ ١٤٤، التوراة، هوروفتر.

(٢) الدائرة ٢/ ٢٥٨، أحمد، شاخت.

وبعد سرد لقصة بحيرا الراهب عندما رأى علامات النبوة على النبي ﷺ وأقر بها، جاء في الدائرة: (وليس لدينا ما نقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير، لأن المعلومات تنقصنا في هذا الموضوع.

وهذه القصص قسم خاص من مجموعة الأساطير التي أحاطت بسيرة النبي محمد ﷺ، ولها نظائر كثيرة من نفس النوع، وكلها ترمي إلى أن أهل الكتاب عرفُوا من كتبهم من قبل ببعثه النبي)[(١)].

بل تعدى الأمر إلى أن يُقال في مادة التحريف: (والذي حدا بالمسلمين إلى الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها محمد اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من كتب وبخاصة التوراة مستعملا التعبير «حرفوا».

وكان هذا الاتهام في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطير حين احتك في المدينة باليهود. فقد سعى منذ بدء رسالته إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب اليهود والنصارى، لاقتناعه بأن ما جاء في العهدين القديم والجديد يتفق وما دعا إليه مما أنزل عليه.

(١) الدائرة ٦/ ٣٤٠، بحيرا، فنسنك.

ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على إدراك خاطئ أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود، فكان في نظرهم مبطلاً. ولو أن ما استعرضه من الآراء كان متناقضاً لما أنزل في الكتب المقدسة القديمة لانتفت دعواه فيما يؤكد من أنه صاحب رسالة إلهية.

ولمَّا كان اعتقاده أنه رسول مُوحى إليه قويا لا يتزعزع، لم يبق له غير مخرج واحد، ذلك أن اليهود عمدوا آثمين إلى تحريف الكتاب، وأنه هو الذي أتى بالنص الصحيح؛ وهي دعوى جريئة يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماماً من أتباعه المؤمنين بصدق كلماته...، وكان طبيعياً أن يرمي النبي النصارى بالتحريف أيضاً، فقد قرر أنهم هم الآخرون حرفوا آيات كتابهم الشاهد على صدق رسالته)[١].

وفي ترجمة دحية الكلبي الذي أوفده النبي ﷺ إلى هرقل ورد في الدائرة: (روت السيرة أن النبي أوفده إلى هرقل ليدعوه إلى الإسلام. وليس من سبب يدعونا إلى تصديق هذه الرواية؛ لأنها وشيت بتفصيلات قصصية) بل تعدى الأمر إلى أن قال: (وظل دحية شخصية قصصية، بل أسطورية على الرغم من جميع الجهود التي بذلها المحدِّثون)[٢].

---

(١) الدائرة ٩/ ٢٣٥- ٢٣٧، التحريف، بول.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٧١، دحية، لامنس.

قلت: الجواب على تلك المفتريات من وجوه:

الأول: تقدم في الفصل الأول من هذا الباب إثبات البشارات السابقة بنبينا ﷺ التي ثبتت بالأدلة القطعية بما يغني عن الإعادة.

ونفي المستشرق لتلك الحقائق لم يُبن على أدلة مطلقاً؛ وإنما جرأة شديدة على نسف حقائق ثابتة بكلام مجرد.

الثاني: ما هو الذي لم يحدث إلا في القرن الثالث؟ هل هو آيات البشارة في القرآن؟ أم الروايات التي تؤيد تلك الآيات؟

إن كان الأول -وهو بعيد- فهو محجوج بثبوت القرآن وتواتر حروفه وألفاظه، وأن أي عاقل يعلم مكانة القرآن عند المسلمين، وكثرة حفظهم وتلاوتهم له، يدرك استحالة إضافة أي جملة إلى القرآن بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه لو كانت هناك محاولات فستكون مفضوحة، ولن يتقبلها أحد.

إن تمالؤ المسلمين على الإضافة في القرآن الكريم وسكوتهم على ذلك يحيله عقل من كانت له أدنى معرفة بالإسلام، وتاريخ المسلمين، وكافة المستشرقين يعترفون بآيات البشارة في القرآن، وإن كانوا يقولون: إنها من صنع محمد.

وإن كان الثاني فإن وجود تلك البشارات في القرآن لدليل واضح على

صحة ما جاء به ﷺ، ولا يُفتقر معها لتلك الروايات المثبتة للبشارة الموضوعة في القرن الثالث! حسب زعمه، إذ أنها في القرآن واضحة صريحة، وإن لم يكن القرآن الكريم دليلاً كافياً على صحة ما يعتقده المسلمون فليس هناك دليل آخر من الممكن أن يُعتمد عليه.

الثالث: أن الكاتب يستدل على أن المسلمين لم يصفوا النبي بالمبشر به إلا بعد منتصف القرن الثاني، ويعزو ذلك إلى ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق، وفي هذا إيهام أن النقل في السيرة يؤيد ما يقول، فليس في ابن هشام، أو عند ابن إسحاق أن النبي ﷺ لم يوصف بذلك إلا في هذا الوقت البتة، ومراده -والله أعلم- أن أقدم مرجع ذُكر فيه النبي ﷺ بهذه الصفة هو ابن إسحاق بعد منتصف القرن الثاني، وفرق بين الإثنين.

وإنني أتساءل: أي دليل يريده الكاتب على صحة ذلك الوصف عند المسلمين قبل منتصف القرن الأول؟

فإذا كان القرآن نفسه ليس بدليل!، وجميع تفاسير الصحابة والتابعين لآيات البشارة أيضاً غير معترف بها! إذ أن تلك التفاسير بحسب دعواه موضوعة لإثبات ذلك.

وهو أيضاً لا يصدق بكل رواية فيها البشارة حتى لو كانت ثابتة في

الصحيحين كقصة دحية مع هرقل[١]!؛ لأنها موضوعة، وأي قصيدة فيها ذكره ﷺ بأحمد على كثرتها هي من ضرورات الشعر!.

إن على المستشرق حسب منهجه أن ينكر ما قاله ابن إسحاق ويؤخر ذلك التاريخ قرنين آخرين؛ إذ أن ذلك مقدور له على منهجه هذا.

الرابع: فيما يتعلق بقصة بحيرا فقد اختلف العلماء في صحتها[٢]، أما إرسال دحية إلى هرقل فهي قصة ثابتة في الصحيحين، وقد تقدم ذكرها[٣]، والقصص الثابتة الدالة على تصديق أهل الكتاب بما جاء به النبي ﷺ كثيرة جداً، وقد تقدم الكلام عنها[٤].

الخامس: أن القرآن الكريم يخبره مرة بعد مرة بأن البشارة بالنبي محمد ﷺ مذكورة في كتبهم، وأنهم يعلمون ذلك، بل ويستشهد بهم على وجود ذكر للقرآن في كتبهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى

---

(١) انظر البخاري كتاب بدء الوحي، الحديث رقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل برقم (١٧٧٣).

(٢) صححه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥، وخالفه الذهبي في تعليقه.

(٣) انظر تقدم تخريجه قبل الحديث السابق .

(٤) انظر صـ ٣٥٢، ٣٥٩.

زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [(١)].

قال ابن كثير: (أوَ ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها)[(٢)].

وهذا الذي في القرآن يدل العاقل على أنه موجود في كتبهم حال مبعث النبي ﷺ، ذلك أنه لا ريب عند كل من عرف حال النبي ﷺ من مؤمن وكافر، عرف أنه كان من أعقل أهل الأرض، حتى المكذبين له فإنهم لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة، والمعرفة، والحذق، ما أوجب أن يقيم هذا الأمر العظيم، الذي لم يحصل لأحد مثله، لا قبله ولا بعده، فعُلِم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبره به، وهو من أحرص الناس على تصديقه، وأخبرهم بالطرق التي يُصَّدق بها، وأبعدهم عن أن يفعل ما يُعلم أنه يُكذَّب به.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، بل علِم انتفاء ذلك، لامتنع أن يُخبر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به، ويُظهِر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه

---

(١) سورة الشعراء الآية: ١٩٢ - ١٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٧.

وأعدائه؛ فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلاً؛ لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم، وعند من يخبرونه، وهو ضد مقصوده، وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود على حقه فيأتي إلى من لا يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهد، ولا حضر قضيته، ويقول هذا يشهد لي، وهذا يشهد لي[١]، فضلاً أن يكون كاذباً في قضيته.

ثم لو كان كاذباً في دعواه لعمد أهل الكتاب إلى تكذيبها، والنيل من النبي ﷺ، وهذا لم يحدث، بل تواتر إسلامهم وتصديقهم بتلك البشارت كما تقدم.

بل لا تزال بقايا لتلك البشارات موجودة إلى اليوم في كتبهم كما سبق في دلائل النبوة، إلا أن تكون البشارات هي أيضاً من وضع المسلمين على حدِّ زعم الكاتب .!

السادس: تقرير المستشرق أن أتباع النبي ﷺ يجهلون تلك الكتب أيام بعثته يناقض ما جاء في الدائرة من استقاء النبي ﷺ من بعض أصحابه الذين لهم اطلاع على الكتب السابقة كزيد بن حارثة، وتميم الداري، وإذا سلمنا بدعواه فما بال الكثير من أهل الكتاب يُسلمون منذ أيام الفتوحات إلى اليوم، وهم يُناقشون في تحريف كتبهم!.

---

(١) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/ ٢٩٢ بتصرف يسير.

بل إن هذه الحقيقة التي أخبر بها النبي ﷺ، وهي تحريف كتبهم هي أحد أسباب إيمانهم.

السابع: اتهم الكاتب النبي ﷺ بأنه ادعى تحريف كتبهم ليخرج من مأزق، وهذه الدعوى على افتقارها للأدلة، فإنه يكفي في بيان افتراء الكاتب وصدق سيد الخلق ﷺ إثبات تحريف تلك الكتب:

الأدلة على تحريف التوراة والإنجيل:

أولاً: إن هذه الكتب الموجودة كتبت بعد الأنبياء بفترة من الزمن تسرب إليها ذلك التحريف، قال الدكتور: «سكندر هيدس»: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً:

الأول: أن التوراة ليست من تصنيف موسى «أي أنها كتبت بعده».

الثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني: لم تكتب في عهد موسى الذي كان فيه بنو إسرائيل آنذاك في الصحارى.

الثالث: لا يثبت تأليفها إلا بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى[1].

---

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/ ١١٦، ربما قصد بالأدلة الخفية: أي غير الشائعة عندهم، أي ما يكتمونه، كما أننا نؤمن أن التوراة من عند الله تعالى، وليس من تصنيف بشر، وأن المحرفة طالها التحريف بعد موسى -عليه السلام-.

أما الأناجيل فلم تكتب إلا بعد وفاة المسيح -عليه السلام- بفترة بإقرار النصارى، وما تعددها إلا دليل ذلك.

ثانياً: إن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند موثوق لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد، وقد ساق رحمت الله الهندي[١] حال كتبهم واحداً واحداً ليثبت هذا الأمر[٢]، وفي مناظرته المشهورة مع أحد القسيسين اعتذر القسيس عن عدم وجود أسانيد موثوقة لقوله: (إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة)[٣].

واتصال السند شرط عند المسلمين ليس في قبول الأحاديث النبوية فحسب، بل حتى أقوال الصحابة التي تخضع أسانيدها للدراسة والتمحيص.

---

(١) محمد رحمت الله بن خليل الهندي ١٢٣٣- ١٣٠٨هـ ولد ونشأ بالهند، واشترك في الثورة ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة طرد فانتقل واستقر بمكة، ودرس بالمسجد الحرام إلى أن توفي. اشتهر بردوده على النصارى، ومناظرته المشهورة مع القس فندر. (انظر: مقدة إظهار الحق للمحقق ١٥- ١٧).

(٢) إظهار الحق ١/ ١١٢- ١٦٧.

(٣) إظهار الحق ١/ ١١١.

ثالثاً: إن أصول بعض الأناجيل المعتبرة مثل إنجيل متَّى كانت باللسان العبراني، ولا يوجد منها الآن سوى ترجمة لها، وهذه الترجمة تُفقِد الكتب كثيراً من قيمتها، وذلك لعدم معرفة سند الترجمة، بل لا يعلم اسم المترجم فضلاً عن معرفة أحواله إلى هذا الحين كما اعترف به «جيرم»(١) وهو من أفاضل قدمائهم لديهم(٢).

رابعاً: وقوع التصريح من علماء أهل الكتاب بالشك في بعض نصوص كتبهم، وقد صرح «جيرم» في كتبه: أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس، بعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات من الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل لوقا، وبعض القدماء كانوا يشكون في الإصحاحين الأولين من هذا الإنجيل(٣).

وقال «هورن»(٤): الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف

---

(١) هيرونيموس، ويعرف باسم القديس جيرم ٣٤٨- ٤٢٠، وتلقى العلم المسيحي على كبار العلماء في روما حتى غدا من كبار لاهوتي الكنيسة، ومن أبرز أعماله مراجعة وترجمة الإنجيل إلى اللاتينية. (أنظر: إظهار الحق ١/ ١٠٦ هامش المحقق).

(٢) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/ ١٥١.

(٣) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/ ١٥٣.

(٤) محقق ومفسر للكتب المقدسة عندهم.

الإنجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة، ولا توصلنا إلى أمر معين، ومشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبِل الذين جاءوا من بعدهم كتاباتهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر تنقيحها بعد انقضاء المدة[(١)].

خامساً: الأغلاط الموجودة في العهدين القديم والجديد، وقد أُحصي منها سبعة وثلاثون غلطاً في العهد القديم، وثلاثة وسبعون غلطاً في العهد الجديد[(٢)].

ومن أمثلة الأغلاط في العهد القديم، ما ورد: (إن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة)[(٣)].

وقد أقر مفسروهم ومؤرخوهم أنه غلط.

ومن أغلاط العهد الجديد ما ورد: (ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الله في السماء)[(٤)].

---

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/ ١٥٧، نقلاً عن تفسير هورن المطبوع سنة ١٨٢٢ الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع.

(٢) إظهار الحق ٢/ ٢٥٧– ٣٥٢.

(٣) سفر الخروج ١٢/ ٤٠.

(٤) سفر الخروج١٢/ ٤٠.

وهذا أيضاً عندهم غلط؛ لأن أخنوخ وإيلياء[(١)] رُفِعا إلى السماء وصعدا إليها كما هو موجود في العهد القديم[(٢)].

والله يتنزه عن النقص والغلط، بل حتى أنبياؤه لا يُقرون على مثل هذا.

سادساً: التناقضات الموجودة في هذه الكتب والتي يستحيل التوفيق بينها، وقد أُحصي خمسة وأربعون تناقضاً في العهد القديم، وتسعة وسبعون تناقضاً في العهد الجديد[(٣)].

ومن أمثلة التناقضات في العهد القديم ما جاء في سفر الملوك: (كان يواخين يوم مَلَك ابن ثماني عشرة سنة)[(٤)]، بينما في السفر الثاني: (ابن ثماني سنين كان يواخين حين ملك)[(٥)].

---

(١) يوحنا ٣/ ١٣.

(٢) أخنوخ السابع بعد آدم بن يارد، وأبو متو شالح ينسب إليه علم الفلك، ويُذكر أنه صعد إلى السماء قرابة مائتي سنة، أما إيلياء فهو نبي من العبرانيين اعترفت به الكنائس الشرقية والغربية، ويعرف عند الشرقيين باسم «إلياس». (أنظر: دائرة المعارف، بطرس البستاني ٢/ ٦٣٩، ٤/ ٧٩٤، دار المعرفة بيروت ١٩٩١م).

(٣) إظهار الحق ١/ ١٦٨- ٢٥٥.

(٤) سفر الملوك ٢٤/ ٨.

(٥) السفر الثاني ٣٦/ ٩.

ومن تناقضات العهد الجديد، التناقض السافر في نسب المسيح، فالناظر في شجرة الأنساب في أول إنجيل «متَّى» يتبين له أن عيسى من أولاد سليمان بن داود، ولكن إذ نُظِر إلى النسب نفسه في الفصل الثالث من «لوقا» ظهر أنه من أولاد ناثان بن داود.

والاختلاف والتناقض لا يكون في كلام الله مطلقاً، وصدق الله في وصف القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [(١)].

وقد أخبر الله في القرآن بوقوع التحريف في الكتب السابقة في آيات عديدة، منها قول الحق سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [(٢)].

وقوله سبحانه مخاطباً المؤمنين مبيناً حال المعرضين من أهل الكتاب: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [(٣)].

وقوله عز وجل ذاماً المحرفين من أهل الكتاب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٢) سورة النساء الآية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ٧٥.

ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[١].

وهذا في حد ذاته كافٍ لإثبات التحريف، إذ ثبت إعجاز القرآن، وأنه من عند الله.

المسألة الثانية: إنكار إرهاصات نبوته ﷺ:

يحرص كُتَّاب الدائرة على إنكار إرهاصات النبوة، وهي: الدلائل على نبوته والمتقدمة على بعثته.

ومن ذلك ما جاء في الدائرة: (ويجب ألا نحفل بالقصة الواردة في كتاب الطبري «١/ ١٠٧٩» عن فاطمة بنت مر كاهنة تبالة[٢] التي شاهدت نوراً سماوياً يتلألأ على وجه عبدالله بن عبدالمطلب والد النبي)[٣].

وفي مادة آمنة أم النبي ﷺ جاء في الدائرة: (وهذا لا يعني التسليم بالقصص المتصل بحملها، كزعمها حين قالت: إنها رأت نوراً خرج منها أضاء قصور بصرى بالشام)[٤].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٧٩.

(٢) تبالة أرض لخشعم إلى الشرق من مكة جهة نجد.

(٣) الدائرة ١٦/ ٥٠٢، خشعم، دلافيدا.

(٤) الدائرة ١/ ١٠٨، آمنة، موتنقمري وات.

كما جاء في مادة حليمة مرضعة النبي ﷺ: (وعلى ذلك فإن القصة كلها -قصة النبي ﷺ في بني سعد وشق الصدر- إنما هي من قبيل قصة الطفولة الواردة في الإنجيل، كان الباعث عليها كما يدل على ذلك سياق القصة: أن كل نبي حق يجب أن يكون قد رعى الغنم مرة... أما قصة تطهير الصدر التي قالت روايات أخرى إنها وقعت في زمن آخر غير هذا الزمن؛ فالظاهر أنها لا تعدو أن تكن تجسيماً للآية الأولى من سورة ألم نشرح)[١].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: أن تلك الروايات كغيرها يجب التحقق من صحتها بالنظر في أسانيدها ومتونها، وليس مقصود علماء المسلمين تصحيحها لكونها دالَّة على صدق النبي ﷺ، إذ ذلك مخالف للمنهج العلمي، والتحقيق الموضوعي، بل يتحققون بتجرد من صحتها أو ضعفها.

وهذا المستشرق لم يدرس تلك الروايات دراسة موضوعية؛ وإنما سعى إلى التكذيب بالجميع، من غير تفريق بين ما ثبت منها وما لم يثبت، وما ذاك إلا لأن فيها دلالات صدق النبي ﷺ.

---

(١) الدائرة ١٥/ ٣٨٧- ٣٨٨، حليمة، بول.

الثاني: علَّل المستشرق كذب بعض تلك الروايات حسب زعمه بما يلي:

قصة النبي ﷺ في طفولته من قبيل قصة الطفولة الواردة في الإنجيل، أي أن تلك القصة موضوعة تقليداً لقصة عيسى في الإنجيل، ويقول: إن الباعث لوضع تلك القصة واضح من سياقها، وهو: أن كل نبي يجب أن يكون رعى الغنم.

وأن حادثة شق الصدر تجسيد لسورة (ألم نشرح لك صدرك).

وهذه دعوى مفتقرة إلى برهان: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١].

إن رعي الأنبياء ومنهم النبي محمد ﷺ للغنم ثابت في الصحيحين لا إشكال فيه[٢].

وحادثة شق الصدر ثابتة في صحيح مسلم: (عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب. فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان

(١) سورة البقرة الآية: ١١١.

(٢) انظر في البخاري باب: رعي الغنم على قراريط: برقم (٢٢٦٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباش، برقم (٢٠٥٠).

منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثُمَّ لأَمَهُ[١]، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه «يعني ظئره» فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)[٢]، كما ثبتت حادثة شق الصدر عند بعثته ﷺ[٣]، ومرة ثالثة بعد البعثة قبيل الإسراء[٤].

وحكمة ذلك كما ذكره ابن حجر: (أن الشق الأول: لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، والثاني: زيادة في إكرامه ليتلقى ما يُوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، والثالث: ليتأهب للمناجاة حال الإسراء،.... وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له)[٥].

الثالث: كذَّب الكاتب بالرواية التي فيها: أن آمنة رأت نوراً حين وضعته أضاء قصور بصرى من أرض الشام.

---

(١) أي جمعه بعضه إلى بعض.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء بالرسول برقم (١٦٢).

(٣) دلائل النبوة، لأبي نعيم ١/ ٦٩، قال ابن حجر: وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل. الفتح ٧/ ٢٠٤، مناقب الأنصار ٤٢.

(٤) انظر في البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج برقم (٣٨٨٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول، برقم (١٦٤).

(٥) الفتح ٧/ ٢٠٥.

وهذه الرواية ثابتة بأسانيد صحيحة وحسان[١].

المسألة الثالثة: إنكار معجزاته ﷺ:

نجد الحرص من كُتَّاب الدائرة على إنكار معجزات النبي ﷺ، ومن ذلك ما جاء في الدائرة في مادة السحر: (ولم يُظهِر النبي -عليه السلام- آية أخرى -أي غير القرآن- تدل على أنه ساحر، وهو لم يكن ممن يصنعون العجائب كموسى، وسليمان، وعيسى....، وجاء في الآية ٣ من سورة الأنبياء أنه لم يأت آية من هذا القبيل)[٢].

كما جاء فيها أن البراق الذي حمل النبي ﷺ إلى بيت المقدس حيوان خرافي، والقصة أسطورة منتشرة[٣].

---

(١) حيث رواها ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ١٤٦، والإمام أحمد ٤/ ١٨٤- ١٨٥، والحاكم وصححها ووافقه الذهبي في المستدرك ٢/ ٦٠٠، ٦١٦، كما حسنها ابن كثير في السيرة النبوية له ١/ ٢٢٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي ٨/ ٢٢٢، تحرير العراقي، وابن حجر، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ١٠٣ح ٣٧٣، وأكر ضيام العمري في السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٠١، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) الدائرة الأولى ١١/ ٣١٠، سحر، ماكدونالد.

(٣) الدائرة ٦/ ٥٣٨، براق، كارده فو.

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: إذا كان انتفاء المعجزة طعناً في نبوته ﷺ، فإنني أتساءل عن معجزة يوحنا[١] الذي يقرون بنبوته: (يوحنا كان يعد عند جميعهم نبياً)[٢]، حيث جاء التصريح بأنه ليس له معجزة في كتبهم: (فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يعمل آية)[٣].

الثاني: إن ثبوت معجزة القرآن كافٍ لإثبات نبوته ﷺ، فإن تلك المعجزة تتوافر فيها البراهين القاطعة بصحة ما جاء به ﷺ، ولاشتمالها على معجزات أخرى متنوعة. وإني أُلزم الكاتب بإقراره بتلك المعجزة، ومن ثم الإيمان بنبوته ﷺ.

الثالث: ما دام الكاتب يريد المقارنة بين معجزات النبي ﷺ، ومعجزات غيره من الأنبياء، فإننا نقبل ذلك، ونطالبه بإثبات صحة ما يعتقده من معجزات أولاً، ونثبت له صحة معجزات نبينا ﷺ، ونطالبه حينئذ بالتفريق بين ما أثبت وما أنكر مع البون الشاسع في براهين ثبوت كل منهما.

---

(١) يطلقون اسم يوحنا على يحيى عليه السلام.

(٢) متى ٢١/ ٢٦.

(٣) يوحنا ١٠/ ٤١.

لقد سبق إثبات معجزات النبي ﷺ في أول فصل من هذا الباب بما يغني عن الإعادة، وبينت ثبوت معجزات متواترة للنبي ﷺ غير القرآن كحادث الإسراء، وإخباره ﷺ بالمغيبات، وحنين الجذع لفراق النبي ﷺ، كما صحت المئات من معجزاته ﷺ، وثبتت أكثر من ثبوت آيات موسى، وعيسى التي لم تُذكر في القرآن.

إن أثبت مرجع بأيدينا اليوم يصح الاعتماد عليه لإثبات معجزات موسى، وعيسى هو القرآن الكريم، فقد ثبت إعجازه، ونُقل متواتراً محفوظاً في السطور، وفي الصدور.

وأما ما بأيديهم من الكتب فإن الاعتماد عليها وحدها لإثبات ذلك فيه نظر لعدة مآخذ في ثبوتها، كما سبق في المبحث السابق.

الرابع: الاستدلال بنفي الآيات بما جاء في سورة الأنبياء الآية الخامسة وليست الثالثة، وهي قول الله عز وجل يحكي قول المشركين عن نبيه ﷺ: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [1] على نفي المعجزات بالكلية؛ فإنه يدل على تعجل في الحكم، وعدم تدبر لسياق الآية، والآيات المشابهة لها.

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٥.

ولا بد من بيان أن ليس من الضرورة أن يستجيب الرسل لمقترحات القوم لاسيما إذا ظهر أنها من قبيل العناد واللجاج، وقد بيَّن الله أن أولئك المقترحين للآيات لن يؤمنوا عند مشاهدتها: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [(١)].

وقد سأل بنو إسرائيل موسى بعض المعجزات فلم يجبهم - وليس في ذلك مطعن في نبوته -عليه السلام- كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [(٢)].

وبحسب ما في العهد الجديد أن عيسى -عليه السلام- سُئل عن المعجزات فلم يجب سائليه: (فخرج الفرِّيسيُّون وجعلوا يباحثونه سائلين إياه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد في نفسه، وقال: ما بال هذا الجيل يطلب آية! الحق أقول لكم إنه لن يعطى هذا الجيل آية) [(٣)].

والمقصود من هذه الآية وأمثالها من الآيات الكريمة كما هو ظاهر لمن تدبر سياقها، وكما ذكره عامة المفسرين هي الآيات المقترحة من جنس

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ٥٥.

(٣) مرقس ٨/ ١١- ١٢.

ناقة صالح التي يعقبها عذاب الاستئصال عند جحودها.

وقد ذكر الله السبب في عدم إرسال ذلك الجنس من الآيات بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [١].

وقد جاء بعد آية الأنبياء مباشرة ما يدل على أنه ليس في مصلحتهم أن تأتي آية من هذا القبيل حيث إنها لم تنفع الأولين حيث كذبوا بها فأعقبها العذاب: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

الخامس: فيما يتعلق بالبُراق الذي حمل النبي ﷺ ليلة الإسراء فهو أيضاً ثابت في الصحيحين [٣]. ولونه أبيض، وهو فوق الحمار، ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، وليس حيواناً أسطورياً، بل هو حقيقة ثابتة.

وإسراء النبي ﷺ ومعراجه مذكور في القرآن، متواتر في السنة [٤]، وليس أسطورة.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٦.

(٣) انظر في صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، برقم (٣٨٨٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول: برقم (١٦٢).

(٤) انظر صـ ٤٠٢.

إن معجـزات الأنبيـاء المماثلـة لتلـك المعجـزة كناقـة صـالح، وكـبش إسـماعيل يجـب الإيـمان بهـا، ولا يـضير كونهـا مخالفـة للحيوانـات المعهودة، إذ بهذا المنهج يمكن إبطال معجزات نبوَّة كافة الأنبياء.

المطلب الثاني: الطعن في القرآن الكريم:

يحـرص المستشرقون بكـل طريـق عـلى الطعـن في القـرآن الكـريم؛ لأن الطعن فيه كافٍ لنفي نبوة النبي ﷺ، وهدم دين الإسلام بالكليـة، فهـو الـوحي المنزل، وهو المعجزة الباقية، وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي.

لذا حـرص أولئك منـذ القـدم عـلى الطعـن فيـه وتـشويهه، ولعـل أقـدم ترجمـة استـشراقية للقـرآن في العـصور الوسـطى هـي ترجمتـه إلى اللغـة اللاتينية، وهي الترجمة التي قام بهـا رجـل إنجليـزي اسـمه «روبـرت أوف كيتون»، وعاونه فيها ألماني اسمه «هرفان أول دالماتيـا»، وتمـت الترجمـة في يولية (١١٤٣م).

وكانـت هـذه الترجمـة برعايـة وتـشجيع رجـل مـن كبـار رجـال الـدين المـسيحي في القـرون الوسـطى وهـو «بطـرس المحـترم»[١]، وقـد أجـزل بطرس العطاء للمترجمين تقديراً لجهودهم في إنجاز الترجمة.

---

(١) بطـرس المحـترم راهـب لاهـوتي فرنـسي، تـدرج في الرهبنـة حتـى أصبح رئيـساً لـدير كلوني في فرنسا، وهو أشهر دير في أوربا، وله فروع كثيرة في أنحاء أوربا. توفي سنة ١١٥٦م. (انظر: رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٤).

وقد قرر المستشرق المنصر صمويل زويمر أن هذه الترجمة تمت بدافع تنصيري، وتحت تأثير الروح التنصيرية لدى بطرس المحترم.

وكانت هذه الترجمة رديئة إلى أبعد حد، حتى وصفها جورج سيل[(١)] بأنها لا تستحق أن تسمى «ترجمة» لما فيها من الأخطاء التي لا تحصى[(٢)].

ثم تتابع طعنهم في القرآن الكريم في الكتب، والمجلات الاستشراقية، وقد ردد المستشرقون في الدائرة غالب تلك المطاعن، وسأتناول ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الطعن في الوحي:

جاء في الدائرة محاولات لتفسير الوحي بالسحر، أو بحالة نفسية

---

(١) جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مستشرق إنجليزي درس القانون وعمل في المحاماة، اشتد اهتمامه بالإسلام فدرس اللغة العربية، وترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وهي من أشهر ترجمات القرآن الاستشراقية إلى اليوم، وقد أعيد نشرها ثلاثين مرة، وكانت بغرض تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد المسلمين، كما صرح بذلك مؤلفها في مقدمة الترجمة. (انظر: المستشرقون لعقيقي ٢/ ٤٧، ورؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٣٥).

(٢) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٣٢، نقلاً عن منتقمري وات في كتابه تأثير الإسلام في أوربا ٧٣، ٨٣، ومن مقال لزويمر في مجلة العالم الإسلامي العدد الخامس (١٩١٣م) بعنوان ترجمة القرآن ٢٩٥، وكلاهما باللغة الإنجليزية.

تنتاب النبي ﷺ، أو دخول ما ليس منه فيه من غير شعور النبي ﷺ بذلك، أو نسيان النبي ﷺ لبعض منه.

ومن ذلك ما جاء في مادة السحر في الدائرة: (ونخرج من هذا بأن السحر لا بد وأنه كان مرتبطاً بالأسلوب الذي نزل به الوحي. ويؤكد المكِّيُّون بحسب الآية الخامسة من سورة الأنبياء أن الوحي هو أضغاث أحلام، زد على ذلك أن ثمة آية في القرآن تدل على أن الوحي كان في بعض الأحيان يأتي فيما نسميه نحن الآن «الكلام التلقائي». وقد نهي النبي عن تحريك لسانه بالوحي ليعجل به. أي أنه أُمر بأن يستمع له وينصت، فإذا انطلق قرأه النبي عليه السلام.

وفي الآية ١٠١ من سور المائدة حذر الحاضرون، والمستمعون للنبي حين ينزل عليه الوحي أن يسألوه فجأة عن أشياء، ذلك أنه في حالة هذا الكلام التلقائي سيجيبهم بلا ريب، ويقول لهم الصدق الذي يسوؤهم.

ويمكن للقارئ أن يرجع إلى جملة أحاديث بهذا المعنى في تفسير الطبري ٧/ ٤٨- ٥٢، كما يستطيع أن يجد قولاً صريحاً في ذلك في البيضاوي ١/ ٢٧٥....

وقد سلَّم الإسلام تسليماً كاملاً بهذه الظاهرة -الكلام التلقائي- ووصفها.

ويتضح لنا من ذلك أن فهم هذه الآيات القرآنية يقتضينا أن نجمع بين المعنى الظاهر لنص القرآن وما نعرفه من علم النفس الذي يبحث في الخوارق)[١].

كما جاء أيضاً: (إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب، وليس هناك شك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطأ، على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه [الحج: ٥١][٢]، كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه وصل إلينا من غير تحريف على الرغم من نسيان الرسول لعدة من آيات الكتاب [البقرة: ١٠٠، الأعلى: ٦])[٣].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: متى كان كلام الكفار المكذبين بالرسالة حجة عليها؟!

إن الدعاية التي يصنعها أعداء الرسل لتشويه رسالتهم هي محض كذب وافتراء لا يجوز الاعتماد عليها في حقائق علمية، بل إن الدعايات المغرضة لعامة الدعوات هي كذلك.

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٣١٠- ١١٣، السحر، ماكدونالد.

(٢) سورة الحج الآية: ٥٣، وليس ٥١ كما أشار.

(٣) الدائرة ٣/ ٤٨٣ - ٤٨٧، أصول، شاخت.

الثاني: أن قائل هذا الكلام لا يستقيم كلامه وهو يؤمن برسالة أو رسول؛ إذ كافة الأنبياء قيل لهم مثل هذا؛ فموسى، وعيسى كلاهما اتهما بالسحر، وهو لا شك اتهام باطل.

الثالث: إذا أراد المؤلف أن يربط بين الوحي والسحر، أو بينه وبين أضغاث الأحلام لمجرد اتهام المشركين للنبي ﷺ بذلك؛ فعليه أيضاً أن يربط بين جميع ما قالوه من متناقضات، ومن ذلك:

قالوا إنه ساحر: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [(١)].

وقالوا إنه شاعر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [(٢)].

وقالوا إنه مجنون: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [(٣)].

وقالوا إنه كاهن: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(٤)].

وقالوا إنه أضغاث أحلام: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة ص الآية: ٤.

(٢) سورة الطور الآية: ٣٠.

(٣) سورة الحجر الآية: ٦.

(٤) سورة الحاقة الآية: ٤٢.

(٥) سورة الأنبياء الآية: ٥.

وصدق الله فيهم حيث قال: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ (١).

وقد كان المشركون مقرين في نفوسهم وفيما بينهم بصدق النبي ﷺ، وأنه ليس بساحر أو كذاب...، ولكن يرمونه بالألفاظ الشنيعة ظلماً وتكبراً مثل ما كان فرعون وملأه يعلمون صدق موسى -عليه السلام- ويظهرون تكذيبه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (٢).

ومما يدل على إقرار المشركين بصدق النبي ﷺ فيما يخبر به: أن أُمية ابن خلف لمَّا أُخبر بأن النبي ﷺ يذكر أن المسلمين سيقتلونه، قال: (فوالله ما يكذب محمد إذا حدَّث)، فأراد ألا يخرج في بدر، حتى حرضه أبو جهل فخرج فقُتِل هناك(٣).

الرابع: لم يثبت أن المشركين في مكة شاهدوا نزول الوحي على النبي ﷺ حتى يعتمد الكاتب كلامهم في الوحي؛ وإنما كان كلامهم حول القرآن الكريم الذي يسمعونه من النبي ﷺ، ويرون تأثيره على الناس.

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٨- ١٠.

(٢) سورة النمل الآية: ١٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٣٢).

الخامس: تحدَّث الكاتب عن كيفية الوحي ولم يعرج على ما ثبت في طرائق الوحي، وكيفية إتيانه للنبي ﷺ، وقد أخبر بها النبي ﷺ وشاهدها أصحابه، وبوّبت في المصنفات العلمية، وهي مفيدة للعلم؛ بخلاف افتراءات المشركين المملوءة بالحقد، والهوى، والجهل.

ومما ثبت في طرائق إتيان الوحي للنبي ﷺ، وكيفيته ما يلي:

- ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»(١).

- قولة عائشة -رضي الله عنها-: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصَّد عرقاً)(٢).

- قول عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: (كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢١٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي برقم (٣٢١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (٢)، ومسلم في كتاب الفضائل باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، برقم (٢٣٣٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مسلم في نفس الكتاب والباب السابقين، برقم (٢٣٣٤).

السادس: لا صلة للكلام التلقائي الذي يتكلمه المتكلم من غير شعور، بالوحي الإلهي، وليس هناك آية في القرآن تدل على مراده كما يزعم، بل هو محض كذب وافتراء على القرآن لفّقه ذلك المستشرق.

والآية التي يحتج بها على زعمه هي قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[(١)].

وقد كان النبي ﷺ يستعجل بالقرآن خوفاً من تفلته، وحرصاً منه على حفظه، فنهاه الله عن ذلك متكفلاً سبحانه وتعالى بحفظه بدليل الآيات التي تليها: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[(٢)].

ومراد المستشرق أن النبي ﷺ يتكلم بما يظن هو أنه وحي، ولكنه كلام تلقائي ناتج عن حالة نفسية.

وإن أي عاقل منصف يعلم أن هذا الكتاب المعجز والدين العظيم بتشريعاته العادلة، والذي أخرج أُمَّةً فتحت الدنيا يستحيل أن يكون نتيجة هذيان متكلم بما لا يشعر، ولكن الحقد والحسد يصنعان الغرائب.

---

(١) سورة القيامة الآية: ١٦.

(٢) سورة القيامة الآية: ١٦ – ١٩.

السابع: الآية التي احتج بها في سورة المائدة، وهي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] لا يجوز أن ينسب لها الكلام التلقائي الذي افتراه المستشرق على النبي ﷺ، مما يوهم القارئ للدائرة أنها دالة عليه، وإنما أُنزلت للنهي عن كثرة المسائل فيما لا فائدة فيه، إذ قد يأتي الجواب بما يكره السائل حيث جاء في الصحيحين في سبب نزول الآية: (أن رجلاً سأل النبي ﷺ مَنْ أبي؟ فقال: «أبوك فلان»، فنزلت هذه الآية)[2].

وقال الحسن في هذه الآية: (سألوا النبي ﷺ عن أمور الجاهلية التي عفا الله عنها، ولا وجه للسؤال عما عفا الله عنه)[3].

وعن ابن عباس: (أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ عن البَحِيرَة، والسائبة، والوصيلة، والحام) [4].

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، برقم (٤٦٢٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا الضرورة إليه، برقم (٢٣٥٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٣١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٣١.

فالآية لا علاقة لها بالكلام التلقائي، والمقصود بقوله تعالى: ﴿حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: وقت البعثة عموما إذ هي زمان نزول القرآن.

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرم، فحُرِّم من أجل مسألته»[1].

وهذا عقوبة لكثرة الأسئلة المتكلفة، كسؤال أصحاب البقرة من بني إسرائيل عندما أكثروا منها، فشدد عليهم في الوصف حتى لم يجدوا إلا بقرة واحدة تناسب ذلك الوصف بعد مشقة شديدة، فاشتروها بأغلى الأثمان، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة قبل مساءلتهم لكفتهم، والله أعلم.

الثامن: في كلام الكاتب تلبيس إن لم يكن كذباً، حيث إنه يذكر المرجع كتب التفسير فيظن القارئ أن تلك المعلومات منها، بينما الأمر ليس كذلك، إذ أن ما ذكره استنتاج منه بعد اطلاعه على تلك الكتب، وفرق شاسع بين الإثنين.

فلا يدل ما في تفسير الطبري على مراده، وقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية: (هذه الآية أُنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام امتحاناً له أحياناً، واستهزاءً أحياناً، يقول بعضهم: من أبي؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال برقم (٧٢٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، برقم (٢٣٥٨).

ويقول بعضهم: إذا ضلت ناقته أين ناقتي؟ ثم ساق بعض الروايات شبيهة بما ذكرت سابقاً في سبب نزولها، ومنها: (أنهم سألوا النبي ﷺ حتى أكثروا عليه، فقام خطيباً، فقال: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا حدثتكم، فقام رجل فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة. واشتد غضبه وقال: سلوني. فلما رأى الناس ذلك كثُرَ بكاؤهم، فجثا عمر على ركبتيه، وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً)[١].

وليس في البيضاوي أيضاً ما يدل على كلامه، ونص كلام البيضاوي عن الآية: «والمعنى: لا تسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء إن تظهر لم تغمكم، وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، وهما كمقدمتين تُنتِجان ما يمنع السؤال، وهو أنه مما يغمهم، والعاقل لا يفعل ما يغمه»، ثم ذكر أسباب النزول من مساءلة بعض الصحابة لرسول الله ﷺ[٢].

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٥٢، المائدة ١٠١.

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد بن عمر البيضاوي ضمن كتاب مجموعة من التفاسير البيضاوي، والنسفي والخازن، وابن عباس ٢/ ٣٥٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة على الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة ١٣١٧هـ.

فليس في هذا مبرر لقوله في إلصاق الكلام التلقائي بالوحي الإلهي: (كما يستطيع أن يجد قولاً صريحاً في ذلك في البيضاوي).

كما أن قول المستشرق: (وقد سلَّم الإسلام تسليماً كاملاً بهذه الظاهرة -الكلام التلقائي- ووصفها) مجانب للموضوعية.

التاسع: سعي الشيطان لتخليط القرآن محاولة فاشلة من الشيطان، وقد دلت الآية التي أشار إليها لهذا المعنى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [(١)].

والآية ليست فقط في القرآن بل عامة لجميع المرسلين، ولكن الله ينسخ ما يلقي الشيطان فلا يكون له أثر، لأنه سبحانه عصم الأنبياء في بلاغ رسالته.

العاشر : الآيات التي ذكرها لا تدل على نسيان الرسول ﷺ لآيات من القرآن، فآية الأعلى وهي قوله سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [(٢)]. هي دليل على عدم النسيان لا النسيان، حيث إنها مبشرة لنبيه ﷺ حيث جاءت خبراً لا نهياً، قال القرطبي: (هذه بشرى من الله تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أمي لا يقرأ ولا

---

(١) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأعلى الآية: ٦.

يكتب، فيحفظه ولا ينساه)[١].

وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾[٢] لها تأويلان.

الأول: أن الله لم يشأ أن ينسى نبيه شيئاً.

الثاني: ما يحصل من نسخ التلاوة[٣].

وعلى فرض أن الآية تفيد النهي؛ فإنها أيضاً لا تدل على ما أراد، حيث أن النهي يفيد الاستمرار والحرص مثل قوله تعالى لموسى، وهارون: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾[٤].

فالآية دالة على حفظ كتاب الله في كل الأحوال.

وآية البقرة المُشار إليها، وهي قوله سبحانه: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] لا تدل على المقصود من قريب أو بعيد، ولعله أراد قوله سبحانه: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[٦]، وسيأتي الكلام عن هذا النوع من النسخ في المسألة القادمة.

---

(١) الجامع للقرطبي ٢٠/ ١٨

(٢) سورة الأعلى الآية: ٧.

(٣) الجامع للقرطبي ٢٠/ ١٨-١٩.

(٤) سورة طه الآية: ٤٢.

(٥) سورة البقرة الآية: ١٠٠.

(٦) سورة البقرة الآية: ١٠٦.

المسألة الثانية: التشكيك في ثبوت القرآن:

جاء في الدائرة محاولات عدة للتشكيك في القرآن، أو في سور منه؛ وذلك لإنكار حجيته ومن ذلك:

جاء في مادة أبي بكر: (أما التأكيد بأنه هو الذي بدأ في جمع القرآن فلقد أصبح الآن مجانباً للصواب، إذ أن الرأي الغالب يرد ذلك إلى عمر)[١].

كما جاء أيضاً: (ويقال إنه كانت في القرآن في أول الأمر آية كالآية التي يعترف بها عمر بن الخطاب، وتسمى آية الرجم: [إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله]، ومن المستبعد أن تكون هذه الآية صحيحة، ومن البين أن الأحاديث المتعلقة بها، وذكر اسم عمر بصددها، كل ذلك لا يخلو من غرض، ومهما يكن من شيء، فإن الروايات التي تقول: إن النبي -عليه السلام- طبق حكم الرجم لهي أيضاً روايات غير جديرة بالثقة)[٢].

كما جاء: (والقرآن المعتمد يحتوي على ١١٤ سورة؛ والسورة

(١) الدائرة ١/ ٤٣٢، أبو بكر، مونتقمري وات.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٤١٢، زنا، شاخت.

الأولى، والسورتان الأخيرتان ليستا إلا استعاذة ترتبط ببقية السور استهلالاً وخاتمة ارتباطاً واهناً، وهذا يتفق وما يقال: إنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن مسعود، وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر، مثال ذلك أن أُبياً قد زاد سورتين على السور المجمع عليها، وكذلك لم يحدد ترتيب السور ترتيباً دقيقاً)[١].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: ثبوت القرآن لا ريب فيه، فقد كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ فيأمر بكتابته على الفور، ويتلوه على أصحابه فيتبادرون إلى حفظه وتلاوته، وقد تواتر عنهم كثرة قراءتهم للقرآن؛ لأن تلاوته عبادة مأمور بها في الكتاب والسنة، وكان النبي ﷺ يقرأ عليهم آيات من القرآن كل يوم ثلاث مرات على الأقل في الصلوات الجهرية، ومع أن القرآن كان مكتوباً في عهد النبي ﷺ إلا أنه لم يجمع في مصحف واحد، وذلك لتتابع نزوله، ولاحتمال نسخ تلاوة آيات منه «فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة[٢].

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٣٥٨، سورة، بول.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٩/ ١٢.

فبعد وفاة النبي ﷺ ومقتل كثير من حفاظ القرآن في اليمامة خشي الصحابة على القرآن فأشار عمر على أبي بكر بجمعه، فكلف أبو بكر زيد ابن ثابت(١) بجمعه، فتتبع الصحف التي كُتبت في عهد النبي ﷺ، وكان يتوثق في ذلك، وكان العشرات من الصحابة يحفظونه عن ظهر قلب، ولكنه توثقاً منه كان يطلب إضافة إلى المحفوظ في الصدور شيئاً مما كتب في السطور في زمن النبي ﷺ، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر، ثم عمر، ثم حفصة -رضي الله عن الجميع-(٢).

فلما جاءت خلافة عثمان -رضي الله عنه- وتوسعت الفتوح، ودخل الناس في الإسلام بدأوا يختلفون في القراءة، فأفزع ذلك حذيفة -رضي الله عنه-، وكان أرمينية وأذربيجان -فأشار على عثمان بجمع الناس على مصحف واحد؛

---

(١) زيد بن ثابت الضحاك الأنصاري الخزرجي حضر الخندق وما بعدها من الغزوات استأمنه الرسول ﷺ فأمره بتعلم السريانية لغة اليهود فتعلمها في سبعة عشر يوماً، كتب الوحي للنبي ﷺ، وكان من علماء الصحابة فضلائهم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: (أفرضكم زيد)، قال ابن عباس: «كان زيد من الراسخين في العلم»، توفي سنة ٤٥هـ، وقال أبو هريرة حين مات: (مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً). (انظر: الإصابة لابن حجر ١/ ٥٦١- ٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، برقم (٤٩٨٦)، وانظر الإصابة لابن حجر ١/ ٥٦١.

لأن بعض الصحابة قد دونوا مصاحف لهم، مضافة فيها بعض التفسيرات أو أسباب النزول، فجاء عثمان -رضي الله عنه- بالمصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- من حفصة فأمر زيد بن ثابت، وثلاثة من الصحابة بجمعه، ثم نسخة عدة نسخ، ووزعه على الأمصار، وأحرق ما سواه من الصحف[1].

وكان الخلاف في القراءات بين أهل الأمصار وهي كلها حق، ولكن اختلافهم في كتابة المصحف جعل كل طائفة تتفاخر بما معها، فوحدهم عثمان على مصحف واحد فقُرئ به القراءات الثابتة عن النبي ﷺ، لذا لم تكن جميع القراءات متوافقة مع خط المصحف، وذلك امتثالاً لأمر عثمان.

الثاني: أبو بكر هو الذي جمع القرآن بمشورة عمر كما تبين من العرض السابق، وقول المستشرق: إن الرأي الغالب يرد ذلك إلى عمر هو المجانب للصواب.

وكان من المفترض أن يُفصِّل في جمع القرآن ويذكر الأسباب، لا أن تُلقى التهم والشكوك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن برقم (٤٩٨٧).

الثالث: المصحف الذي جمعه أبو بكر، وجمع عثمان الناس عليه هو الذي معنا اليوم، وليس كتاب في الدنيا كلها محفوظ ككتاب الله، فهو مسطر في السطور، ومحفوظ بالتواتر في الصدور طوال أربعة عشر قرناً، لم يختلف المسلمون فيه، وليس مصحف آخر غيره، وليس عند أُبي أو أحد من الصحابة زيادة آيات فضلاً عن سور منه، ولم يصح شيء من ذلك.

فليس هناك مصحف معتمد، وآخر غير معتمد؛ بل هو مصحف واحد يؤمن به الجميع.

إلا أن الصحابة كانوا يكتبون تفسيرات لبعض الآيات أو أسباب النزول، وربما تركوا بعض السور لم يكتبوها، وكتابتهم لبعض السور دون البعض لا تنفي ما تُرك، وابن مسعود -رضي الله عنه- صحابي تلقى عنه الآلاف من التابعين، ولم يرد عنه إنكار تلك السورتين، ولا غيرهما، وإنما أنكر إحراق عثمان لمصحفه، وذلك أن عثمان جمع الناس على هذا المصحف، وأحرق ما عداه خشية اختلاف الناس، ومصحف ابن مسعود قد لا يكون كاملاً، كما أن فيه شروحا من عنده، فاحترازاً من عثمان -رضي الله عنه- لكتاب الله أن يدخله ما ليس منه من تفسيرات أو ينقص منه جمع الناس على المصحف.

فالقرآن متواتر بجميع سوره وحروفه، قال النووي: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة، وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة، والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه)[(١)].

وقال ابن حزم فيما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين: (هذا كذب على ابن مسعود موضوع) [(٢)].

وقد هال المحققين والمؤرخين شدة حفظ القرآن حتى أنَّ بعض كُتّاب الدائرة على الرغم من طعنهم في كون القرآن من عند الله إلا أنهم لا يستطيعون إنكار قطعية ثبوته؛ حيث جاء عن الكاتب نفسه: (إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطأ)[(٣)].

الرابع: سورة الفاتحة ليست مجرد استعاذة؛ بل هي تسمية بالله، وثناء عليه، وحمد له، وتمجيد له، وإقرار بالعبودية والتوحيد، وإثبات اليوم

---

(١) المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي ٣/ ٣٩٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دطت.

(٢) المجموع للنووي ٣/ ٣٩٦، نقلاً من أول كتابه المجاز.

(٣) الدائرة ٣/ ٤٨٣ - ٤٨٧، أصول، شاخت.

الآخر، وطلب الاستعانة، وسؤال الله الهداية، وتجنب سبيل المغضوب عليهم والضالين، يعلم هذا كل من له أدنى تأمل للسورة، إضافة إلى المعاني الكثيرة التي تظهر للمتدبر في آياتها.

قال ابن القيم في بيان سعة معانيها: (اعلم أن هذه السورة اشتملت على المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود -تبارك وتعالى- بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي «الله»، والرب، والرحمن» وبنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة فـ«إياك نعبد» مبني على الإلهية، و «إياك نستعين» على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته ....

وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت «مالك يوم الدين».

وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة...، من قوله اهدنا الصراط المستقيم ...، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل)[1].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ٧-٩، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

الخامس: الفاتحة لها ارتباط بسورة البقرة تليها حيث إن الفاتحة ختمت بدعاء الله الهداية للصراط المستقيم، والبقرة بدئت بذكر أوصاف المتقين السالكين للصراط المستقيم. ثم فصلت ذكر المغضوب عليهم أولهم اليهود الذين عرفوا الحق واعرضوا ثم جاءت آل عمران بتفصيل في سبيل الضالين عن الحق وأولهم النصارى المكذبين بمحمد ﷺ.

أما المعوذتان فترتبطان بما قبلهما، ذلك أنهما أتتا بعد سورة الإخلاص التي فيها إثبات توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به فهي توحيد وثناء، والمعوذتان هما استعاذة ودعاء من الله عز وجل.

والتوحيد والثناء يسبق الدعاء كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، وموجودة بكتب أهل الكتاب التي بأيديهم اليوم.

ففي سورة الفاتحة ثناء وتوحيد، ثم دعاء، وكذا في المؤمنون[١]، وغافر[٢].

وفي كتبهم في العهد القديم يقول داود: (اللهم باسمك خلصني، وبجبروتك احكم لي، الله استمع صلاتي ...)[٣].

وفي العهد الجديد يعلِّم المسيح تلاميذه الدعاء: (وأنتم فصلوا هكذا:

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٩٢- ٩٤.

(٢) سورة غافر الآية: ٧- ٩.

(٣) سفر المزامير، المزمور الرابع والخمسون ١ - ٣.

أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن أساء إلينا)[١].

السادس: ترتيب الآيات داخل السورة من فعل النبي ﷺ بوحي من الله تعالى.

قال القاضي عياض: (ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ)[٢].

وأما ترتيب السور فهو اجتهادي عند جمهور العلماء[٣].

قال ابن حجر: (والخلاف في تأليف السور وقع في مصاحف الصحابة كمصحف ابن مسعود الذي يغاير تأليفه المصحف العثماني، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره)[٤].

ولو فُرض عدم ارتباط الفاتحة والمعوذتين ببقية السور فلا يُطعن في

---

(١) متى الإصحاح ٦/ ٩- ١٣.

(٢) فتح الباري ٩/ ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

(٣) فتح الباري ٩/ ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

(٤) فتح الباري ٩/ ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

شيء منها؛ لأن كل سورة وحدة مستقلة مرتبة باجتهاد الصحابة على القول الراجح، فلا يتطلب الارتباط الوثيق مع غيرها.

السابع: آية الرجم من الآيات المنسوخة تلاوة باقية الحكم حيث إن النسخ في القرآن على ثلاثة أنواع:

الأول: نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ومثال ذلك الآية التي اعترض عليها المستشرقون.

الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾[١]، وقد نُسخت بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرًا﴾[٢].

الثالث: ما نسخ تلاوة وحكماً فلا يتعبد بقراءته ولا العمل به كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي ٢/ ٣٥- ٣٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية دت.

وما نفاه الكاتب ثابت في الصحيحين حيث قال عمر على المنبر بمسمع من الصحابة: (إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها)[١]، وفي رواية أخرى صحيحة قول عمر: (والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها: الشيخ والشيخة...)[٢].

فلو لم يكن ما قاله عمر صحيحاً لأنكره الصحابة.

وعمر كسائر الصحابة يدرك نسخ هذه الآية، ولو كانت محكمة لأضافها.

وفيما يتعلق بنفي ثبوت الرجم عن النبي ﷺ، فهو غير صحيح إذ ثبت بل تواتر ذلك عن النبي ﷺ [٣].

وتردّد اتهام الكتّاب في الدائرة لأعلام الإسلام ومؤرخيه ورواة السنة بالغرض مُنبئ عن منهج القوم في إلقاء التهم المجملة لاسيما المتعلقة بالنوايا دون أي برهان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت برقم (٦٨٣٠)، ومسلم في كتاب الحدود، باب رقم الثيب في الزني برقم (١٦٩١).

(٢) رواه مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر الموطأ رجم: ١٥٠١ ص ٥٩٢.

(٣) انظر صـ ٦٢٣ - ٦٢٥.

المسألة الثالثة: ادعاء تناقض القرآن الكريم والنبي ﷺ:

جاء في الدائرة العديد من المواضع التي فيها وصف القرآن أو النبي ﷺ بالتناقض، وقد قسمتها إلى المقاطع الآتية:

المقطع الأول: دعوى هَمِّ المفسرين إزالة تناقضات القرآن:

جاء في الدائرة: (وكان همُّ المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق فيما بينهما وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات)(١).

والجواب على ما ذكره:

أولاً: أن المشركين الحريصين على أدنى خطأ أو زلة من النبي ﷺ اعترفوا بإعجاز القرآن الكريم وإحكام معانيه، ولو كان ثمة تناقض لاحتجوا به على بطلان رسالته ﷺ.

وقد أمر المولى سبحانه الجميع بتدبره ليصلوا إلى معرفة شدة إحكامه، معلناً أنه لا إختلاف فيه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(٢).

---

(١) الدائرة ٣/ ٤٩٠، أصول، شاخت.

(٢) سورة النساء الآية: ٨٢.

ثانياً: لم يكن ذلك همَّ المفسرين؛ وإنما كان همُّهم القيام بما يجب على العلماء من بيان لمعاني كلام الله بالاستعانة بمواضع أخرى من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ، ومن كلام الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن استنباط العلماء المتدبرين لكلام الله، المخصوصين بنصيب وافر من الفهم وسعة العلم[١].

ويدخل في ذلك الأصل إزالة ما يُتوهم أنه تعارض في كتاب الله لمن لم يتدبر معانيه، ويرد متشابهه إلى محكمه.

المقطع الثاني: دعوى التناقض في مسألة: هل أُرسل رسول إلى العرب قبل النبي ﷺ؟:

جاء في الدائرة: (ومما يستلفت النظر بالإضافة إلى ذلك أن قصتي صالح، وهود تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث إنه قال: إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب) [القصص: ٤٦، السجدة: ٣، سبأ: ٤٣، يس: ٥][٢][٣].

---

(١) انظر مقدمات كتب التفسير وعلى سبيل المثال ابن كثير والقرطبي، وغيرهما.

(٢) رقم آية سبأ: ٤٤، وليس ٤٣، ورقم آية يس: ٦، وليس ٥.

(٣) الدائرة الأولى ١٤/ ١٠٧، صالح، بول.

قلت: **الجواب على ذلك**: أن قصة صالح، وهود وردتا في العهد المكي متزامنتين مع الآيات التي أشار إليها الكاتب، وليس بينها تناقض؛ ذلك أن الآيات التي أشار إليها ليس فيها: أنه لم يبعث نبي قبل محمد ﷺ إلى العرب، وإنما إلى الأجيال السابقة لكفار مكة، فلا يحتج حينئذ بمعارضة ذلك برسالة صالح، وهود، اللتين كانتا بعيدتي العهد عن تلك الأجيال.

وهذه الآيات التي استدل بها، ليس فيها ذكر العرب:

يقول سبحانه ممتناً على نبيه ﷺ بعد قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [1].

ويقول سبحانه في تأكيد نبوة نبيه ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [2].

ويقول عز وجل في رده على كفار مكة: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [3].

---

(١) سورة القصص الآية: ٤٦.

(٢) سورة السجدة الآية: ٣.

(٣) سورة سبأ الآية: ٤٤.

ويقول سبحانه مبيناً حِكْمَة بعثة نبيه ﷺ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (١).

ثم إن رسالة صالح وهود لم يبق لها أثر في مكة وما حولها؛ بل إنها انقرضت بهلاك تلك الأمم، وموت النبيين -عليهما السلام-.

ثم إن صالحاً وهوداً -عليهما السلام- كل منهما أُرسل إلى قومه خاصة، ولم يرسل إلى كفار مكة، أو حتى إلى العرب كافة، وآيات القرآن صريحة في ذلك، حيث يقول تعالى عن هود مبيناً اختصاص قوم عاد برسالته: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (٢).

ويقول سبحانه وتعالى عن صالح مبيناً اختصاص قوم ثمود برسالته: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (٣).

كما أن النفي في الآيات لا يفيد عدم وجود النذير إلى ما لا نهاية، وإنما في القرون القليلة المتقدمة على بعثته ﷺ، وهذا مشابه لقوله تعالى عن قوم صالح: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ

---

(١) سورة يس الآية: ٦.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٦٥، وسورة هود الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٧٣، وسورة هود الآية: ٦١.

يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾[1]، أي في القرون السابقة واللاحقة له، لا نفي جميع الرسل كما هو معلوم.

ومن المعلوم أن بين بعثة النبي ﷺ وبعثة هود، وصالح القرون الكثيرة، التي انقطعت فيها رسالتهما.

وبذلك يتبين أن التناقض إنما هو في ذهن الكاتب الذي يحتاج إلى تجردٍ، وإلى نبذ الهوى؛ ليتدبر كتاب الله بموضوعية دون أحكامٍ مسبقة.

المقطع الثالث: دعوى التناقض في الإيمان:

جاء في الدائرة: (ويفرق القرآن أحياناً بين الإيمان والإسلام، ولا يفرق بينهما أحياناً أخرى، وعباراته في صلتهما بالعمل الصالح مبهمة، واختلف علماء الكلام بعد ذلك فيهما، ومما يظهر أثره في الحديث.

ولهذا نجد أن اصطلاح الفقهاء على معنى الإيمان يُناقض معنى المتكلمين. وفي الحديث أن النبي قال: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان». ولكن ما معنى الإيمان هنا؟

يقول البعض: إنه عقد بالقلب، وأضاف آخرون إلى هذا (الشهادة باللسان)، وزاد غيرهم شيئاً آخر هو «العمل بالأركان». قال بالرأي الأول

(١) سورة الأحقاف الآية: ٢١.

الأشاعرة، والماتريدية، وقال الأحناف بالرأي الثاني، أما الثالث فهو قول الخوارج)[١].

هذا مع قوله: (وانتهى أهل السنة إلى رأي في الإيمان يقولون كعادتهم إنه كان رأي السلف، وهو أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل الصالح)[٢].

قلت: ليس في القرآن بحمد الله تناقض في هذه المسألة، ولا في غيرها، وأما في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ فهي مبينة لما في القرآن، وليست أثراً للاختلاف كما زعم الكتاب.

فلفظتا «الإيمان»، و «الإسلام» بينهما من الاشتراك في المعاني مما يجعل قليل التدبر في كتاب الله يظن أنهما بنفس المعنى، وبينهما من الاختلاف مما يظن معه أنهما لا اشتراك بينهما.

وسأورد الآيات القرآنية التي اجتمع فيها لفظتا الإيمان والإسلام لتتضح تلك المسألة من كتاب الله مباشرة.

أولاً: الآيات التي تفرق بين معنى الإيمان والإسلام:

---

(١) الدائرة ٥/ ٤١٣، إيمان، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٥/ ٤١٣ - ٤١٤، إيمان، ماكدونالد.

- يقول سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (١).

فدلت هاتان الآيتان على التفريق بين المؤمن والمسلم، وأن المؤمن أعلى رتبة من المسلم؛ لأنهم ادعوا الإيمان ونفاه الله عنهم، وأثبت لهم الإسلام.

ويلاحظ أن الإيمان والإسلام يشتركان في ظهور انقياد المتصف بهما لله تعالى.

ويزيد الإيمان معنى رسوخ ذلك في القلب ليكون انقياداً في الظاهر والباطن.

والمسلم الذي لم يصل إلى رتبة المؤمن لا يعني أنه منافق؛ بل تقبل طاعته كما في الآية الكريمة.

كما يستفاد أن من تحلى بصفة الإيمان فهو مسلم بالضرورة؛ فكل مؤمن مسلم، وليس بالضرورة العكس.

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٤ - ١٥.

- ويقول سبحانه عن قرية لوط -عليه السلام-: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

أنجى الله من القرية المؤمنين، وهم لوط وأهل بيته باستثناء زوجته كما قال سبحانه في آية أخرى عن لوط: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[2]، وعبر عن البيت بالإسلام، ولم يعبر بالإيمان كما في الآية الأولى احترازاً لزوجة لوط -التي كانت مقيمة في بيت لوط-؛ لأنها ليست مؤمنة، وإنما كافرة، ولكن ظاهرها الإسلام.

- ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ....أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

وهذه الآية الكريمة وعد من الله بالمغفرة للمتصفين ببعض الصفات ومنها الإسلام والإيمان، وليس في الآية الكريمة ما يشكل حيث يكون حظ المؤمن أكثر باعتباره مؤمناً ومسلماً في آن واحد.

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٣٥- ٣٦.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٨٣.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٥.

ثانياً: الآيات التي يتقارب فيها معنى الإيمان والإسلام:

- يقول سبحانه: ﴿.... قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

- ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٢).

- ويقول سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (٣).

- ويقول سبحانه عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٤).

فهذه الآيات فيها استخدام لفظ الإيمان والإسلام بمعنى صحيح، ذلك أن الأسماء المتقاربة في المعاني، والمتضمنة لبعضها قد تختلف دلالتها بالإطلاق، والتقييد، والتجريد، والاقتران، فإذا أفرد أحدها فربما عم الآخر، وإذا اقترن معه كان لكل منهما معنى يخصه، وهذا كلفظ الفقير

---

(١) سورة المائدة الآية: ١١١.

(٢) سورة النمل الآية: ٨١.

(٣) سورة يونس الآية: ٨٤.

(٤) سورة يونس الآية: ٩٠.

والمسكين، والفحشاء والمنكر، وهذا يقال في الإيمان والإسلام أيضاً، كما يقال في الإيمان والعمل الصالح.

فالإسلام عند الإطلاق يُراد منه الدين الذي ارتضاه الله لعباده: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[(١)].

ومعنى الإسلام إذا اقترن بالإيمان: الخضوع في الظاهر، كما أن الإيمان يفسر بالإيمان الباطن إذا اقترن بالإسلام، وهو عند الإطلاق متضمن للإسلام الظاهر.

لذا لما سُئل النبي ﷺ عن الإسلام قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». رواه مسلم[(٢)]، ولما سُئل عن الإيمان في نفس الحديث قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٣)].

فعبر عن الإسلام بالأمور الظاهرة وعن الإيمان بالباطنة.

والإيمان عند الإطلاق يشمل العمل؛ لأنه مستلزم له كما قال تعالى في

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨).

(٣) تقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

بيان معنى المؤمن للأعراب المدعين للإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[١].

بل يشمل جميع شعائر الدين كما قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». متفق عليه[٢]، وكما في حديث وفد عبد قيس لما سألوا النبي ﷺ عن الإيمان فسره لهم ﷺ بما هم بحاجة إليه من شعائر الدين حيث ذكر لهم الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وأداء خمس المغنم[٣].

بل إن النبي ﷺ سمَّى الإيمان عملاً، فعندما سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ... »[٤].

والإيمان متفاوت عند الناس، وهو يزيد، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٥]، ويضعف لقوله ﷺ لمن لم يستطع إنكار المنكر

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان، برقم (٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وقد عبد القيس، برقم (٤٣٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، برقم (١٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من قال: إن الإيمان هو العمل برقم (٢٦). ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله أفضل الأعمال برقم (٨٣).

(٥) سورة التوبة الآية: ١٢٤.

بلسانه ويده، واكتفى بإنكار القلب: «وذلك أضعف الإيمان»(١)، فالإيمان متفاوت، وربما كان كمثقال ذرة كما في الحديث الذي ذكره الكاتب، وهو في الصحيحين(٢).

وقد يراد بالإيمان عند الاقتران بالعمل ما في القلب خاصة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٣).

وقد يُراد بالاقتران التأكيد على أهمية العمل، من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤)، وكقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (٥)، والاستعانة والتوكل جزء من العبادة؛ لأن العبادة يدخل فيها كل ما أمر الله به: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٦).

وهذا كله أمر معروف عند العرب في استخداماتهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣).

(٣) سورة الكهف الآية: ١٠٧.

(٤) سورة الفاتحة الآية: ٤.

(٥) سورة هود الآية: ١٢٣.

(٦) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

فليس هناك من اختلاف أو إبهام في نفس كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله ﷺ؛ بل إن ذلك يأتي في أرقى درجات البيان، وهو تناقض عند غير المتدبرين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [١].

أما اختلاف الفرق بعد ذلك فما يعنينا هو تقرير ما جاء به القرآن والسنة من شمول معنى الإيمان للقول والإعتقاد، والعمل وهو مذهب السلف الصالح حقيقة لا دعوى، وسياق أقوال السلف في ذلك يطول، ولكن منها:

قول سفيان الثوري[٢]: (الإيمان قول، وعمل، ونية يزيد وينقص)[٣].

وقال الإمام أحمد: سمعت يحيى بن سعيد[٤] يقول: (ما أدركنا من

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٢) الإمام سفيان الثوري ٩٧- ١٦١، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٠: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه.

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٥١، وهي جزء من كلام طويل لسفيان، قال الذهبي تعلقياً عليه في ترجمة سفيان: هذا ثابت عن سفيان. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٠٧).

(٤) الإمام يحيى بن سعيد القطان قال ابن حجر في التقريب ٢/ ٣٤٨: (ثقة متقن حافظ إمام قدوة). توفي سنة ١٩٨هـ.

أصحابنا ولا بلغني إلا على الاستثناء[١]، والإيمان قول وعمل)[٢].

وقال الإمام أحمد أيضاً: سمعت وكيعاً[٣] يقول: (الإيمان يزيد وينقص)[٤].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[٥] في كتابه الإيمان: (الأمر الذي دلت عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية، والقول، والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض)[٦].

---

(١) أي في الإيمان.

(٢) السنة لأحمد ٨٢.

(٣) وكيع بن الجراح الكوفي إمام عابد حافظ زاهد فقيه، تلقى العلم عنه أئمة السلف منهم الإمام الشافعي. توفي ١٩٧هـ. (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١١/ ١٢٣- ١٣١).

(٤) السنة لأحمد ٨٢.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ١٥٧- ٢٢٤هـ، من العلماء المجتهدين من أئمة أهل السنة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٤٩٠- ٥٠٩).

(٦) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام ١٩، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

أما مذهب الخوارج فهو التكفير بارتكاب الكبائر وهو مخالف للكتاب والسنة، وسلف الأمة.

المقطع الرابع: دعوى التناقض فيما يتعلق بالوفاء بحلوف الجاهلية:

جاء في الدائرة: (وقد نُهي عن الحلف في الإسلام؛ لأن هذا الدين يجعل المسلمين كلهم إخوة. ومن ثم نُسِبَ إلى النبي أنه قال: «لا حلف في الإسلام»، ومع ذلك يقال إنه حبذ الوفاء بالالتزامات التي قضت بها الأحلاف التي عقدت في الجاهلية)[١].

قلت: جاء الإسلام بالوفاء بالعهود، ومن جملتها تلك الأحلاف في الجاهلية بشرط ألا يكون فيها ظلم، فلم يكن الإسلام عذراً لناكث؛ بل مدعاة لزيادة الحرص على الوفاء بتلك الالتزامات.

وأما قول النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام»[٢]، فتبينه تتمته، وهو قوله ﷺ في نفس الحديث: «وإيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[٣].

---

(١) الدائرة ١٥/ ٣٣٣- ٣٣٤، الحلف، أرندنك.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة، باب قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، برقم (٢٢٩٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحالة باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه برقم (٢٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في تقس الكتاب والباب السابقين برقم (٢٥٣٠).

فهذا الحديث ليس نسخاً لأحلاف الجاهلية جملة وتفصيلاً؛ وإنما لما يعارض منها ما جاء في الإسلام كالتوارث بالحلف، والتعصب به من غير حق.

والإسلام يأمر بنصرة المظلوم، ودفع الظالم، وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، والتعاون على البر.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (أما المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ: «وأيما حلف كان في الجاهلة لم يزده الإسلام إلا شدة» وأما قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام»؛ فالمراد به حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع)[(١)].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فالظاهر -والله أعلم- أن المراد بالحديث: أن الله تعالى قد ألف بين المسلمين بالإسلام، وجعلهم به إخوة متناصرين متعاضدين، يداً واحدة، بمنزلة الجسد الواحد، فقد أغناهم بالإسلام عن الحلف، بل الذي توجبه أخوة الإسلام لبعضهم على بعض أعظم مما يقتضيه الحلف، فالحلف إن اقتضى شيئاً يخالف

---

(١) شرح مسلم ١٦/ ٨٢.

الإسلام فهو باطل، وإن اقتضى ما يقتضيه الإسلام فلا تأثير له، فلا فائدة فيه.

وإذا كان وقع في الجاهلية، ثم جاء الإسلام بمقتضاه لم يزده إلا شدة وتأكيداً)[١].

المقطع الخامس: دعاوى متفرقة:

جاء في الدائرة ادعاء التعارض في مواضع أخرى سبق بيانها حيث تقدم دعوى التناقض في القدر[٢]، وفي صفات الله تعالى[٣].

كما سيأتي الدعوى بالتناقض في القرآن في خلود الروح[٤]، وخلود العذاب يوم القيامة[٥].

وقد أُلحقت كل دعوى بالبيان المناسب لها في موضعها.

---

(١) تهذيب الإمام ابن القيم على مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٤/ ١٨٩-١٩٠، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد الفقي، المكتبة الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) انظر صـ ٢٦٥.

(٣) انظر صـ ٢٨٦.

(٤) انظر صـ ٤٠٥.

(٥) انظر صـ ٨٢٧.

وسبب ظهور ذلك التعارض عند البعض عدم تدبر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعدم إعطائهما حقهما من النظر.

حتى كتب مستشرق في الدائرة ينتقد زملاء له يزعمون بوجود تناقض في القرآن في مسائل معينة: (وما أكثر ما قيل وقرر للبادرة الأولى أن القرآن يحتوي على مجموعة من الآيات «المتناقضة»، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض على الإطلاق، وإنما الموجود هو توكيدات متقابلة متكاملة، الغرض منها هداية القلوب إلى الموقف المطلوب الذي يتخذه الإنسان من الله)[1].

وإذا اجتمع مع الجهل والاستعجال في الحكم، وعدم التدبر، إذا اجتمع معه الضغينة على هذا الدين وعلى نبيه ﷺ؛ فإن النتائج ستخرج بوضوح عن الموضوعية العلمية التي يجب على الباحث المنصف أن يتحلى بها.

* * *

(١) الدائرة ٤/ ٣١٨، مادة (الله)، كارديه.

المطلب الثالث: ادعاء كذب النبي ﷺ وتأليفه لما أوحي إليه:

اتهمت الدائرة النبي ﷺ بالكذب بطرق مباشرة، وأخرى غير مباشرة، في محاولة لنفي الوحي جملة وتفصيلاً، ومن تلك المواضيع:

جاء في الدائرة: (ولجبريل شأن هام في القرآن، وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه)[١].

كما جاء: (فكانت تغييره -النبي ﷺ- للقبلة واصطناعه لأسطورة إبراهيم، وتصويره بأنه باني الكعبة، وفرضه الحج وإيجابه في ذلك الوقت على كافة المسلمين، يخدم هذا الغرض دون سواه -وهو سيطرته على الأمور وتركيز اهتمام قومه بمكة)[٢].

وجاء في ترجمة خديجة -رضي الله عنها-: (ولا مشاحة في أن ابن عمها ورقة بن نوفل كانت له يد في استمالتها إلى الأغراض التي يهدف إليها النبي)[٣].

---

(١) الدائرة ١/ ٦٠، جبرائيل كارده فو.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣٨٦، الحديبية، لامنس.

(٣) الدائرة الأولى ٨/ ٢٣٦، خديجة، بول.

وجاء أيضاً: (السرقة وجزاؤها قطع اليد بنص القرآن، وكان هذا الجزاء من ابتكار الرسول)[١].

كما جاء: (ويظهر أن محمداً استغل التشابه الموجود بين لفظ أنصار، ونصارى فجعل عيسى يطلق على الحواريين «أنصار الله» [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤])[٢].

وفي الحديث عن ذات الله وصفاته سبحانه: (وينبغي لنا الآن أن نتبسط في الكلام على هذه الذات كما تصورها محمد، ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن)[٣].

وجاء أيضاً: (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة)[٤].

كما جاء أيضاً: (وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيراً في القرآن، إما لأن محمداً نفسه قد بدهته هذه الفكرة، وإما لأنه رأى أنه من المفيد أن

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٤١، سارق، هيفننك.

(٢) الدائرة ٥/ ٧٣، الأنصار، ركندروف.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٦- ٢٤٧، الله، ماكدونالد.

(٤) الدائرة ٤/ ٢٤٧، الله، ماكدونالد.

يلح في ذكرها لتفعل فعلها في مشاعر السامعين)[١].

قلت: الجواب من وجوه:

أولاً: تقدمت دلائل نبوة النبي ﷺ، وهي في حد ذاتها كافية للرد على تلك المطاعن كلها؛ إذ تضمنت البرهان على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً ﷺ نبيه ورسوله، بلغ ما أُوحي إليه بغاية ما يكون من الأمانة والصدق، واستحالة الكذب عليه ﷺ.

ثانياً: إن في هذا الكلام جرأةً في الحكم من غير دليل أو برهان، فنجد قولهم: أن النبي اصطنع قصة جبريل وأسطورة إبراهيم، وأنه ابتكر قطع اليد عقوبة للسارق، وأن لوازم السجع حملته على وصف الله بصفات في القرآن.

إن من المعلوم أن النبي ﷺ لم يعرف عنه الكذب مطلقاً لا قبل النبوة ولا بعدها، وإن تكذيبه ﷺ يحتاج إلى دليل، لا سيما أن ذلك التكذيب يؤدي إلى أمر جلل وخطير يرتبط بعقائد بلايين البشر.

إن النبي ﷺ بلَّغ الوحي من السماء ولم يصطنع أساطيراً، ولم يبتكر أحكاماً وينسبها إلى الله مطلقاً.

---

(١) الدائرة ١٣/ ٤، جهنم، كارده فو.

ثالثاً: يلاحظ الحقد المُعمي عن الحق في ثنايا تلك الجمل التي تبحث عن أغراض ودوافع خفية في نفس محمد ﷺ، وهي أطهر النفوس جميعاً، فبشهادة الجميع أنه ﷺ ثبت إخلاصه، وصدقه، ونزاهته، وحياؤه، وبعده عن الرذائل.

فلا يتورع أولئك القوم عن مثل تلك الكلمات: إن ورقة كانت له يد في استمالة خديجة إلى الأغراض التي يهدف إليها محمد، وأن محمداً استغل التشابه بين لفظ أنصار ونصارى، وأن فرضه الحج إلى مكة إنما هو لسيطرته على الأمور.

وهل ورقة أيضاً كان شريكاً للنبي ﷺ في كل هذا؟ مع كبر سنة وحسن تدينه!

إن اعتراف ذلك المستشرق بقصة ورقة مع خديجة -وهي قصة ثابتة في الصحيحين[1]- وتحميلها ما لا تحتمل، تجعلنا نقف عند تلك الحادثة التي تفيد أن النبي ﷺ رأى جبريل حقيقة ولم يصطنع قصته بدليل شدة خوفه، وشهادة ورقة: أنه الناموس الذي نزل على موسى، كما أن تلك القصة من دلائل نبوته ﷺ بشهادة العدول من أهل الكتاب.

إن تلك القصة تدل بوضوح على تلك الأمور الظاهرة؛ فهلا اعترف ذلك المستشرق بها!؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي، برقم (١٦٠).

رابعاً: فيما يتعلق بادعاء الكاتب أن النبي ﷺ استغل التشابه بين لفظ «أنصار»، و «نصارى»؛ فإنني كُفيت برد العلامة أحمد شاكر عليهم بقوله: (هذه دعوى غريبة لا توافق أي دليل، ولا نجد لكاتبها وجهاً يستند إليه ولا على سبيل الشبه، فإنه يرمي بذلك الأمة العربية في أوج فصاحتها وبلاغتها بأنها لا تفرق بين كلمتين تشابهتا في بعض الحروف، وهما كلمتان مختلفتا المعنى: إحدهما عربية خالصة، مرجعها إلى مادة «نصر» التي اشتقت منها مشتقاتها، والأخرى نسبة شاذة على غير قياس إلى كلمة أعجميَّة الأصل، هي علم جامد لا يشتق منه شيء، وهي كلمة «ناصرة» اسم قرية قيل إن المسيح عيسى -عليه السلام- ولد فيها أو نشأ بها[(١)].

ثم ماذا يرى الكاتب من البأس في وصف الحواريين -رضي الله عنهم- بأنهم «أنصار الله»؟! هل يرى في هذا الوصف مذمة تعيبهم أو منقصة تلحقهم أراد أن يبرئهم منها؟!)[(٢)].

خامساً: أما ما يتعلق بالصفات، وذكر جهنم فقد بينت كلاً في موضعه[(٣)].

* * *

---

(١) وتسمى أيضاً نصران، انظر الجامع للقرطبي ١/ ٤٣٤ في تفسير آية ٦٣ من سورة البقرة.

(٢) الدائرة ٥/ ٧٦.

(٣) انظر صـ ٢٩٤ بالنسبة للصفات، وصـ ٨١٠ بالنسبة لذكر جهنم.

المبحث الرابع

الطعن في السنة النبوية

- نظرة عامة لما ورد في الدائرة.
- السنة النبوية وجهود العلماء فيها.
- محاولة التقليل من أهمية السنة النبوية.
- ادعاء أن السنة النبوية من وضع المسلمين.
- الطعن في الرواة.
- طعون متفرقة في الأحاديث النبوية.

المطلب الأول: نظرة عامة لما في الدائرة:

كَتَبَ عن السنة النبوية في الدائرة مستشرقون كُثر كتابات متعددة، ويمكن أن نخرج بموقف الدائرة من السنة النبوية على النحو الآتي:

- أكثر الكتابات في الدائرة تستند إلى السنة النبوية في بيان اعتقادات المسلمين، وأحكام الإسلام بصورة عامة، كما تستند إليها في محاولة الطعن في الإسلام أحياناً، ولكن هذا لا يدل على اعتراف كُتَّابها بالوحي الإلهي مطلقاً، كما أنه في بعض الأحيان لا يستدل منها اعترافهم بصدور ذلك من النبي ﷺ، ولكنه يدل على ما يعتقده المسلمون.

- أكثر من كتب مواد السنة النبوية هم: قولد زيهر، ولامنس، وشاخت، وفنسنك، وماكدونالد، وكارده فو، وهوروفنز، وربصون، وجوينبول، ويلاحظ تأثير قولد زيهر، ومن بعده لامنس على كثير من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة السنة النبوية، والذي عمدوا إلى محاولة الحط منها والتشكيك فيها.

- هناك كتابات كثيرة تحاول أن تحط من شأن السنة النبوية بصور مختلفة:

فتارة تُصور السنة النبوية على أنها من وضع المُحَدِّثين، وأصحاب

الفرق، وأنها نتاج الجدل الدائرة بين أصحاب المذاهب المختلفة، بل ربما توضع بعض الأحاديث لتقرير مسألة شرعية أو بيانها، أو حتى لمجرد اللهو والتسلية.

كما تصور السنة النبوية بالتناقض، وذلك لمحاولة رد الاحتجاج بها أحياناً، والتكذيب بنبوته ﷺ أحياناً أخرى.

وتارة يُقال: «إن الرواة استباحوا الوضع» بهذا التعميم.

وتارة يطعن فيها من خلال الطعن في كتبها ومصادرها لاسيما صحيح البخاري.

وتارة أخرى يطعن في بعض الأحاديث لمجرد أنها غير موجودة في الصحيحين «البخاري ومسلم».

وتارة يلمز بعض الرواة كأبي هريرة والزهري، بهدف التقليل من شأن رواياتهما، بل والطعن فيهما.

وتارة يكذِّب علانية بنفس الحديث ويصرح بأنه موضوع، من غير أي دراسة لأسانيده، بل بمجرد عدم استساغتهم لمعناه.

وعند استعراضنا لمادة «السنة» في الدائرة، تلك المادة التي جاءت في خمس صفحات نجد أن عناصرها ما يلي:

- معنى السنة اللغوي.

- السنَّة عند المحدثين ورمز له بالتفسير الشائع كما سيأتي.

- السنَّة باعتبارها لأهل السنة والجماعة خاصة، ومن ثم جاء التقسيم بين سنة وشيعة.

-السنة باعتبارها سنة النبي ﷺ وطريقته، يقابلها البدعة.

- علاقة السنة بالقرآن.

-السنة عند الفقهاء والأصوليين[١].

وهناك بعض الملحوظات على تلك المادة.

١-لم تتناول هذه المادة جهود المحدثين البتة في حفظ السنة النبوية.

٢-جاء في بيان السنة عند المحدثين: (وتشمل سنة النبي محمد وفقاً للتفسير الشائع فعله وقوله وتقريره؛ والأخذ بالسنة يمكن أن يُقال له بوجه من الوجوه: التقليد المحمدي)[٢].

ومن المعلوم أن هذا الاصطلاح «التقليد المحمدي» غير موجود عند المحدثين من المسلمون، ولا شك أن هذا محاولة من كتاب الدائرة لربط

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨١ – ٢٨٥، السنة، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨١، السنة، فنسنك.

الدين بمحمد ﷺ وحده دون الوحي الإلهي.

٣-كما جاء في التعليق على معنى «السنة»: (والكلمة في حد ذاتها لا لون لها، ذلك أن المرء يتحدث عن السنة الحسنة، والسنة السيئة) ثم استدل لكلامه بحديث: (ومتبع في الإسلام سنة الجاهلية)، وبحديث: (لتتبعن سنن من كان قبلكم...)، وبحديث: (من سن في الإسلام ..) [(١)].

قلت: كلمة السنة واضحة[(٢)]، وهي تنصرف إلى السنة الحميدة ما لم تقيد، فليس في الموضوع التباس، فقد وردت السنة بمعاني عدة في لغة العرب واستخدمها القرآن ببعض تلك المعاني، ويُعرف المعنى من نفس السياق بقرائن كثيرة، كما ينصرف المعنى إلى المعنى الاصطلاحي المشهور عند الإطلاق، وهذا موجود في جل المصطلحات في كل اللغات.

٤-جاء في هذا المادة: (وجعل السنة في مكانة القرآن قد أدى إلى القول بأن السنة أيضاً مُوحى بها [كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن] «الدارمي المقدمة باب ٤٨»[(٣)].

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨١ - ٢٨٢، السنة، فنسنك.

(٢) انظر تعريف السنة صـ ٥٥١.

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤، السنة، فنسنك.

قلت: القرآن والسنة كلاهما وحي من الله، وقد جاء ذلك في القرآن عند الحديث عن النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[1]، والمسلمون متفقون على حجية السنة النبوية، وهي وحي كما دل عليه القرآن وإن كانت ألفاظها من النبي ﷺ نفسه.

كما أن الحديث المذكور ليس نتيجة لهذا الرأي كما هو مفهوم من كلام الكاتب، ولكنه نص نبوي يوافق الحقيقة القرآنية التي في الآيات السالفة التي لا سبيل للكاتب للطعن فيها.

وفي مادة (الحديث) عرض غير واف اشتمل على: «تلقي الصحابة للحديث»، و«وضع الحديث بعد تغير الأحوال وكثرة الفتوح لتناسب ذلك الحال»، «نقد المسلمين للأحاديث»، «أقسام الحديث من حيث قبوله، ومن حيث طريقة وصوله» «المصنفات في الحديث»، وفي المادة خلط كبير في التعريفات[2].

وفي مادة خبر الواحد نجد عرضاً أقوم من غيره في الدائرة، فالكاتب ينقل مضمون كلام المحدثين في ذلك[3].

---

(١) النجم الآيات: ٢ – ٥.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣٨٩ – ٤٠١، الحديث، جوينبول.

(٣) الدائرة ١٦/ ٤٧٢ – ٤٧٣، خبر الواحد، جوينبول.

ولكن يجب التنبيه على أن خبر الواحد وإن كان يفيد الظن، فليس معنى ذلك أنه مردود، وإنما هو عند ثبوته برواية العدل الضابط، فإنه يفيد الظن الراجح الذي يجب الأخذ به، وهذا معلوم في كافة الأخبار عند كافة الأمم.

وعند الحديث عن الصفات الإلهية نجد كلاماً واسعاً عن الأحاديث النبوية، يشتمل على التشكيك في الكثير من الأحاديث، ومحاولة جعلها متناقضة[١].

وفي نهاية المطاف يلخص لنا «ماكدونالد» ما يهدف إليه هو وأمثاله من كُتَّاب الدائرة فيما يتعلق بالسنة النبوية، حيث يقول: «ونستخلص مما تقدم أنه لا شك في أن الأحاديث في ذاتها لا تعتبر أساساً يمكننا أن نبني عليه الحقائق التاريخية»[٢].

وفي المطالب القادمة سأتناول الردود التفصيلية على طعنهم في السنة النبوية، ولكنني قبل ذلك أبين معنى السنة النبوية، وجهود العلماء في حفظها وبيانها، وهو عبارة عن نموذج لما يجب أن يكون في الدائرة لمادة السنة النبوية، كما أنه رد مجمل على عامة شبه المستشرقين.

---

(١) سبق بيانها في الحديث عن الصفات صـ ٢٨٦ - ٢٩٧.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٥٧، الله، ماكدونالد.

المطلب الثاني: السنة النبوية وجهود العلماء فيها:

السنة في لغة العرب: الطريقة [١]، أو السيرة سواء كانت حسنة أو قبيحة [٢].

واستُخدمت في القرآن بهذا المعنى فقال سبحانه: قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾ [٣]، أي طريقة الله في إهلاك المكذبين.

كما جاءت في الحديث الشريف بمعنى طريقة النبي ﷺ، ومن ذلك قوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) [٤].

كما تُطلق السنة بمعنى نقيض البدعة لذا جاء في آخر الحديث السابق بعد أمره ﷺ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين قوله: (وإياكم و محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) [٥].

---

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ٣١٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢٢٥.

(٣) الأحزاب الآية: ٦٢.

(٤) أخرجه البخاري في أول كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في أبواب العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب إتباع السنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٣٨٥١.

(٥) أخرجه مسلم في الجمعة برقم (١٤٣٥) بدون كل بدعة ضلالة، وأخرجه بتمامه =

وهذا المعنى هو المتبادر من إطلاق لفظ السنة، لذا يفسر قول الصحابي: «من السنة كذا» ببيان الشرعية عند أكثر العلماء(١).

كما يُطلق لفظ السنة على عمل الصحابة وُجد ذلك في الكتاب والسنة أو لم يوجد(٢).

والسنة في اصطلاح العلوم المختلفة قريبة من المعاني السالفة، فعند الأصوليين: «كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل تقرير»(٣).

وزاد المحدثون: «أو صفة خلقية أو خُلقية، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»(٤).

وتطلق عند الفقهاء مرادفة للمستحب أي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

=النسائي في صلاة العيدين (٥٧٨) وابن ماجه في العيدين برقم (٤٥) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٧٣٥).

(١) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي ٢/ ٩٨، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي ٤/ ٤، تحقيق محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، دطت.

(٣) نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر، عبدالقادر أحمد بن بدران الدمشقي ١/ ٢٣٦، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي ٤٧، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ولفظ «أهل السنة» يطلق على من وافق الكتاب والسنة في الاعتقاد واتبع السلف في ذلك. قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...﴾[(١)] : «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، فأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدعة والضلالة»[(٢)] وقد جرى العلماء على هذا الاصطلاح[(٣)].

كما يطلق على علماء الحديث خاصة[(٤)].

«والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها، وذلك كوجوب التوحيد وتحريم الشرك والخمر والربا والزنا.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن، وتفسيراً له كتفسير السنة لأحكام الصلاة والزكاة والحج.

---

(١) آل عمران الآية: ١٠٦.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٧٢.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٦، طبعة الأزهر ١٣٦٨هـ، وانظر منهاج السنة لابن تيمية ٢/ ١٠٦.

(٤) قال ابن سيرين: «وينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم» مقدمة صحيح مسلم الباب الخامس.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه كإيجاب الشفعة ومشروعية خيار الشرط في البيع، وميراث الجدة، أو محرمة لما سكت عن تحريمه كأحاديث تحريم الرضاعة لما يحرم من النسب، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها»[١].

والقرآن ينسخ السنة، والخلاف بين أهل العلم في وقوع نسخ القرآن بالسنة مع اتفاقهم على وقوع التخصيص والتقييد بها، وكلاهما مصدر من مصادر التشريع ليس فيه تناقض أو تعارض، وفي حال التفضيل فإن القرآن ألفاظه من الله، وهو معجز بألفاظه ومعانيه، كما أنه كله منقول بالتواتر بخلاف السنة التي هي من كلام النبي ﷺ، وفيها المتواتر والآحاد.

وقد حُفظت سنة النبي ﷺ، واعتني بها، فقد روى صحابة النبي ﷺ عشرات الآلاف من الأحاديث عن النبي ﷺ، ورواها عنهم من بعدهم، كل ذلك كان بجهود مضنية، ورحلات شاقة في طلب الحديث، حتى وصلت السنة بالسند إلى العلماء في القرن الثالث وما بعده كالإمام

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٢/ ٢٨٨ – ٢٨٩ بتصرف وزيادة الأمثلة في النوع الأول والثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، فدوَّنوا تلك الأحاديث بأسانيدها[١] إلى النبي ﷺ.

كما قاموا بدراسة متون تلك الأحاديث، فبينوا كلام النبي ﷺ من كلام غيره، وعُنُوا بذلك عناية كبيرة، فإن كان المتن من كلام النبي ﷺ سُمي مرفوعاً، وإن كان من كلام الصحابة سُمي موقوفاً، وإن كان من كلام التابعين سُمي مقطوعاً، وإن كان يحتوى النص نفسه على زيادة من الرواة فإن الزيادة تُسمّي إدراجاً.

كما جمعوا بين متون الروايات المختلفة ودققوا النظر فيها، فقارنوا بينها، كما كانوا يرجحون بينها عند الاختلاف، فإذا اختلفت متون الأحاديث نظر إلى رواته، من حيث العدد والحفظ والعدالة، فيرجح على هذا الأساس، فإن كان المرجوح له إسناد صحيح فإنه يصبح شاذاً ضعيفاً رغم صحة إسناده، وإن كان المرجوح ليس له إسناد صحيح، فإنه يسمي منكراً، وهو من أضعف الأحاديث رتبة، ولا يحتج به البتة.

وقد عُنِيَ العلماء ببيان سنة النبي ﷺ وشرحها في المساجد والمعاهد والمدارس، وألَّفوا في ذلك المجلدات الضخمة فشُرحت عامة كتب

---

(١) والإسناد هو: سلسلة رواة الحديث عن النبي ﷺ إلى أصحاب الكتب المشهورة.

السنة، وبينوا في ذلك معاني الأحاديث النبوية وما يتعلق بها من آثار، واستطراد في المعاني، وأسباب الورود.

كما دُرست أسانيد الأحاديث دراسة دقيقة لمعرفة المقبول منها والمردود، ولأجل هذا أسس علم كامل هو «علم مصطلح الحديث» ووُضعت قواعده الشديدة، وسُجلت تلك القواعد في السطور؛ كما حفظت في الصدور فألفت المئات من المؤلفات في هذا العلم.

وقد بلغ من عناية السلف بالإسناد لما فيه من توثيق أحاديث نبيهم أنهم جعلوه من الدين ذاته لما فيه من حفظ الدين، قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١].

وقال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٢].

وهذا الاهتمام بالأسانيد هو من خصائص هذا الأمة، فلم تكن الأمم السابقة عندها هذا التوثيق في الكتب السماوية فضلاً عن أقوال الرسل، قال أبو حاتم الرازي[٣]: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أئمة

---

(١) رواه مسلم في مقدمة الصحيح الباب الخامس ص١٤.

(٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح الباب الخامس ص١٥.

(٣) محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات الحاذقين بعلل الحديث والجرح والتعديل، توفي سنة ٢٧٧هـ (البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٥٩).

يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»، فقال له رجل: يا أبا حازم: ربما رووا حديثاً لا أصل له، فقال: «علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم»[(١)].

وقال ابن حزم عن نقول الثقات لدين الله: «وهذا نقل خص الله عز وجل به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور»، كما ذكر أن أسانيد اليهود غير موصولة بموسى، وأما النصارى، فليس عندهم شيء من ذلك إلا تحريم الطلاق ومخرجه من كذاب صح كذبه[(٢)].

ويقرر ابن تيمية أيضاً: أن اليهود والنصارى لا إسناد لهم فيما يرونه، وإنما الإسناد من خصائص هذه الأمة[(٣)].

كما قرر ذلك ابن كثير أيضاً[(٤)].

---

(١) منحة القريب المجيب لابن معمر ١٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم ٢/ ٢٢١ – ٢٢٢، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٧/ ٣٧، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٤) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الحافظ إسماعيل بن كثير ١٣٤، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

واقتضت العناية بالإسناد تسجيل سير الرواة وحفظها، فقام علم آخر، هو «الجرح والتعديل» وأُلفت فيه المجلدات الضخمة، وحُفظت فيه أسماء الرواة وبلدانهم وتواريخهم، وأقوال معاصريهم فيهم ممن يعتد بقوله في هذا الأمر، كما حرص على معرفة مدى عدالته وصدقة، كما عنوا بمعرفة درجة حفظه.

ومن لم يُعرف له سيرة، حتى لو لم يُطعن فيه، فإنهم يتركون روايته بسبب جهالته، ويطلق على ذلك الحديث «مجهول» حتى لو عُلم كافة رواته واشتهروا بالصدق وقوة الحفظ.

«إن أئمة هذا الفن –الحديث- احتاطوا أشد الاحتياط في النقل، فكانوا يحكمون بضعف الحديث لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية، أما إذا اشتبهوا في صدقه، وعلموا أنه كذب في شيء من كلامه فقد رفضوا روايته وسموا حديثه «موضوعاً» أو «مكذوباً» وإن لم يعرف عنه الكذب في رواته الحديث، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب.

وهكذا توثقوا من حفظ كل راو، وقارنوا رواياته بعضها ببعض، وبروايات غيره، فإن وجدوا منه خطأً كثيراً، وحفظاً غير جيد ضعفوا روايته؛ وإن كان لا مطعن عليه في شخصه، ولا في صدقه، خشية أن تكون روايته مما خانه فيها الحفظ.

وقد حرروا القواعد التي وضعوها لقبول الحديث، وحققوها بأقصى ما في الوسع الإنساني، احتياطاً لدينهم، ونفياً للخطأ في سنة نبيهم، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها دقة..»[١].

ومن تلك القواعد على سبيل المثال، ما يختص منها بتلقي الأحاديث النبوية، حيث قسموا أنواع التلقي إلى أقسام مثل:

- «السماع» أي سماع الأحاديث، واهتموا بمعرفة كل شيء عن ذلك حتى «صيغ التحديث» وهي الصيغ الموجودة بين أسامي الرواة كقولهم: عن فلان، وتسمي العنعنة، وكـ«وحدثنا»، و«أخبرنا»، و«أنبأنا» سواء بصيغ الجمع أو الإفراد.
- «الكتابة» أي كتابة السنة، والتحديث من المكتوب.
- «القراءة على الشيخ» من كتب الشيخ نفسه.
- «الإجازة» أي إجازة الشيخ لتلميذه برواية كتبه.

فوضعوا لكل حالة ما يناسبها من الشروط والقواعد والآداب أحياناً[٢].

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٧٥ – ٢٧٦، في معرض رد أحمد شاكر عليهم.

(٢) انظر عامة كتب المصطلح، وممن توسع في بيانه القاضي عياض اليحصبي، في كتابه الإلماع في أصول الرواية وتقييد السماع ٤٥ – ١٠٥، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

«أفبعد هذا العمل الضخم، والإنتاج الهائل العظيم يأتي أولئك المستشرقون ليسحروا أعين الناس، ويستهوا عقولهم، ويضعوا الغشاء على أبصارهم؛ فيزعموا أنه ليس في الإمكان التحقق من صحة أي حديث عن النبي ﷺ، ثم يثبتوا الأحاديث وينفوها بما تشتهي أنفسهم، وترضي عقائدهم، ثم يلقوا على السنة كلها ظلالاً من الشك والريبة، بالهوى والبهتان، وبغير برهان ولا دليل»[(١)] ؟!.

المطلب الثالث: محاولة التقليل من أهمية السنة النبوية:

جاء في الدائرة عند الحديث عن آيات الأحكام في القرآن: (كما أن بعض الأحكام التي وضعها محمد لم ترد في القرآن، وهي عادة قليلة الأهمية، ولم تطبق تطبيقاً عاماً بالرغم من صدورها عن النبي ﷺ.

ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي ﷺ في الإسلام موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب. ولكن في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين، فكان بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ، ونقدت هذه الأفعال أكثر من مرة. وكان الكتاب نفسه يلومه أحياناً على بعض أفعاله)[(٢)].

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٧٥ – ٢٧٦، في معرض رد أحمد شاكر عليهم.

(٢) الدائرة ٣/ ٤٩٢، أصول، شاخت.

وبعد سطور قليلة نجد أن الكاتب نفسه يقول: (وإذا كان الجانب الأكبر من الفقه ينهض على سنة محمد «صحيحها وزائفها» فقد اعتبر المسلمون السنة منزهة عن الخطأ، ومن الصعب أن تجد هذا الرأي في القرآن «آل عمران ٣٩، النساء٧٢، الأحزاب١٢، النجم٣»[١]).

كما جاء أيضاً أن اتباع المسلمين لسنة النبي ﷺ مرده اتباع عادة الآباء في الجاهلية[٢].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

الأول: لا يمكن القول بأن السنة قليلة الأهمية أو أنها لا تطبق تطبيقاً عاماً، إذ لو بحثنا في القرآن الكريم عن طريقة تأدية الصلاة، أو كيفية أداء الحج، أو عن تفاصيل أنصبة الزكاة، ... وغيرها كثير، لما وجدنا لها تفصيلاً إلا بالرجوع إلى السنة النبوية.

ولا يمكن القول بأن الأحكام السابقة قليلة الأهمية؛ إذ أنها من أركان الإسلام الخمسة، وتطبق على نحو عام.

الثاني: كلام الكاتب متناقض فهل السنة عند المسلمين معصومة أم لا؟

---

(١) الدائرة ٣/ ٤٩٥، أصول، شاخت.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣٨٩، الحديث، جونبيول.

فتارة يقول: إن أفعال النبي ﷺ بشرية لا تعتبر معصومة من الخطأ حتى ما مس منها الدين، وتارة أخرى يقول: إن السنة منزهة من الخطأ!!.

إن النبي ﷺ معصوم عن الخطأ فيما يبلغه عن الله كما جاء في القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1]، وباتفاق المسلمين أيضاً.

أما الأفعال الاجتهادية للنبي ﷺ فهو لا يقر فيها على خطأ إن أخطأ، فما جاء عنه وسكت عنه الكتاب فهو معصوم أيضاً، ولوم الكتاب له من أدلة صدقه ﷺ.

الثالث: ادعى الكتاب أن القرآن لم يشهد بأن السنة منزهة عن الخطأ، بل وأشار لتدعيم رأيه إلى أرقام بعض الآيات، وهي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾[3].

---

(١) النجم الآيتان: ٤ — ٥.

(٢) آل عمران الآية: ٢٩.

(٣) النساء الآية: ٦٢.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[(١)].

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[(٣)].

والآيات السالفة -كما هو معلوم- لا تدل على مراده، بل على العكس حيث تدل آية الأحزاب على وجوب الاقتداء به ﷺ وفي هذا إيحاء بعصمته، وآية النجم صريحة بذلك.

والآيات الأخرى لا تدل من قريب أو بعيد على هذا الموضوع!!.

فهو إما يكون خطأ مطبعياً، أو أنه إشارة من الكاتب للآيات التي تأمر بطاعة الرسول، وآية النحل سبقتها آيات الرسالة.

ولو أنه أشار إلى آيات المعاتبة في الأنفال والأحزاب وعبس لكان أقرب لرأيه، مع أن تلك الآيات لا تعارض أيضاً ما أسلفت ذكره من عصمته ﷺ في الوحي، وعدم إقراره على خطأ فيما دون ذلك.

(١) النحل الآية: ٤٦.

(٢) الأحزاب الآية: ٢١.

(٣) النجم الآية: ٣

الرابع: اتباع المسلمين لسنة النبي ﷺ والحرص عليها ليس مرده عادة اتباع الآباء في الجاهلية، بل هو مخالفة لتلك العادات، ومرد ذلك الاستجابة لأمر الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

المطلب الرابع: ادعاء أن السنة النبوية من وضع المسلمين:

تكرر في الدائرة بصيغة الجزم والتقرير أن السنة النبوية قد وضع كثيراً من أحاديثها -إن لم يكن عامتها- المحدثون والمتكلمون بل والفقهاء لتقرير آرائهم ومذاهبهم، وتلك الأحاديث من وجهة نظرهم لا نستطيع تمييزها، مما يُسقط الثقة في مجمل السنة النبوية.

وفيما يلي بعض النقول في هذا المعنى:

جاء في الدائرة: (من الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه «النبي ﷺ» كما أننا لا نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التي صدرت عنه حقاً، وقد بين لنا (قولد زيهر): أن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية، لكن هذا السجل مضطرب، كثير الأغلاط التاريخية، وفيه

(١) الأحزاب الآية: ٢١.

معلومات مضللة لم تُؤخذ من مصادرها الأولى، حتى إنها أصبحت لا تصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها، ولهذا ينبغي أن نوجز الكلام في الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن أراء محمد، أو آراء المسلمين في صدر الإسلام، ولا نقتصر الأمر على هذا، فإن الأحاديث التي نجد فيها مشابهة لما ورد في القرآن مشكوك فيها كذلك) [١].

كما جاء في الدائرة: (إن محمداً لم يكن سبب التناقض الذي نجده في الحديث، بل كان منشؤه اختلاف الفرق في الرأي، فأخذ كل منها يضع من الأحاديث ما يؤيد به رأيه، وينسبها إلى النبي، نجد إلى جانب هذا أحاديث تنص صراحة على أن محمداً كان لا يرضى عن الجدل في الدين، بينما نجد أحاديث أخرى تصوره لنا مقبلا على الجدل إقبالاً شديداً، كلا هذين النوعين مشكوك فيه على حد سواء، وربما كان الأول من هذه الأحاديث قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون تحكيم العقل في هذه الأمور، ويقنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل.

ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ما كان خاصاً بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحاً، فصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، ونما الاعتقاد في

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٥، مادة (الله)، ماكدونالد.

الجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقداً، نجد هذا كثيراً في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد وبدء الخلق)[١].

كما جاء: (استباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي لكي تتفق وآراء العصر التالي، وكثرت الأحاديث الموضوعة، وتداولها الناس منسوبة للنبي ..... والعلم مدين ديناً كبيراً لما كتبه (قولد زيهر) في هذا الموضوع)[٢].

كما جاء أيضاً في الدائرة في مادة التفسير عن كتب التفسير:

(وتساءل النقاد المحدثون «قولد زيهر ولامنس وغيرهما» عن قيمة الأحاديث في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً. والظاهر أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية. ويذهب النقاد المحدثون إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس)[٣].

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٥ – ٢٥٦، مادة (الله)، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣٩٠ – ٣٩١، الحديث، جوينبول.

(٣) الدائرة ٩/ ٤١٠، التفسير، كارده فو.

كما جاء: (أما الأحاديث التي تناولت السحر، فإن من المستحيل أن نميز منها ما قاله النبي، وما وضع في المناظرات والتي وقعت بين الفرق بعد ذلك)[١].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

أولاً: سبق الكلام على ما قام به أئمة الحديث من جهود جبارة للتثبت فيما ينقل عن النبي ﷺ، وما وضعوه من قواعد لتمييز الأحاديث المقبولة من الأحاديث المردودة، وفي هذا رد على زعمه بعدم قدرتنا على ذلك، وربما يكون المستشرق غير قادر على ذلك لضعف بضاعته في هذا العلم، والواجب عليه حينئذ ألَّا يلبس رداء غيره ويتبجح بكلام من سماهم نقاداً، وإنما يستدل بكلام أهل العلم في هذا الشأن.

ثانياً: لم يكتف (قولد زيهر) بجعل الأحاديث النبوية سجلاً تاريخياً للخلاف بين المسلمين بل شكك في صحة هذا السجل، وكأنه يقول لا قيمة تذكر لتلك الأحاديث، حتى تلك الأحاديث التي يشهد القرآن لصحة معناها.

كل ذلك يُساق بدون أدلة تذكر، فلم يأت بالدليل والبرهان على ما

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٢١٢، سحر، ماكدونالد.

قرره من أن تلك الأحاديث موضوعة من قبل المتكلمين، مع أن هذه دعوى عظيمة، حيث أن وضع الأحاديث معصية كبيرة في الإسلام، وهو مطالب بالحجة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(١)].

وقد تجاهل كاتب المقالة الجهود المضنية، والقواعد العظيمة التي وضعها أئمة هذا الشأن لتمحيص السنة النبوية من غيرها.

وقد لاحظ بعض الغربيين ضلوع إخوتهم في الهوى فيما يتعلق بالسنة النبوية؛ فقال أحدهم[(٢)]: «إن رفض الأحاديث الصحيحة جملة واحدة، أو أقساماً منها ليست حتى اليوم إلا قضية ذوق؛ قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء»[(٣)].

ثالثاً: حذر العلماء والرواة من التساهل في رواية الحديث النبوي سواء في تحمله أو أدائه، وشددوا على التوثق منه، وأسقطوا عدالة من عُرف عنه الكذب في حديث الناس، وتركوا حديثه، فضلاً عن أن يظهر منه الكذب في حديث النبي ﷺ.

---

(١) البقرة الآية: ١١١.

(٢) هو ليبولد فايس في كتابه دفاع عن الإسلام ٢٤.

(٣) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ١٢٢.

ووضع الحديث لم يكن ظاهرة عامة بل هو شذوذ مفضوح، فلا يسوغ للكاتب أن يقول: (استباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي)، وليس ذلك من المنهج العلمي في شيء.

رابعاً: لم يسق الكاتب تلك الأحاديث التي رأى أنها متناقضة، ولم يكلف نفسه ذكر مصادرها، وإنما اكتفى بذكر مثال واحد فقط، وهو تعارض الأحاديث الناهية عن الجدل في الدين، مع مجادلة النبي ﷺ.

وإذ كان التعارض هو السبب في الحكم على كلا النوعين من النصوص النبوية بالوضع فقد جاء في القرآن فيما يخص الجدل نصوص كالتي في السنة، فهل هي موضوعة أيضاً ؟!.

والجواب: انه ليس هناك تعارض، لمن تدبر النصوص، أما قراءة العجلان لاسيما إذا اقترن بحقد وضغينة فلن تؤدي إلا لنتائج مدمرة !.

وهذا استعراض للنصوص القرآنية في ذلك:

قال تعالى منكراً على المشركين جدالهم النبي ﷺ وهم يعلمون ببطلان حجتهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾[1]، ذلك أنه لما أخبر النبي أن الآلهة من دون الله في النار

---

(١) الزخرف الآية: ٥٨.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[(١)]، احتجوا بعيسى وعزير، وقد عُبدا من دون الله، فقالوا رضينا أن تكون آلهتنا معهم، فرد الله عليهم بهذه الآية[(٢)].

ذلك أن مساواة الرسل الهداة إلى التوحيد بالحجارة التي لا تعقل غير صحيح، فبطل القياس، كما أن أولئك الرسل لم يرضوا بذلك.

وقال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[(٣)].

كما جاء ذم الجدل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[(٤)].

وقال تعالى ذاماً الكفار: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[(٥)].

---

(١) الأنبياء الآية: ٩٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٤.

(٣) الأنفال الآية: ٦.

(٤) الحج الآية: ٨، لقمان الآية: ٢٠.

(٥) غافر الآية: ٥.

كما جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾(١).

وهذا النوع من الجدل المذموم في القرآن هو الذي كان ينهى عنه رسول الله ﷺ ويذمه، ومن أقوال النبي ﷺ ما جاء عنه ﷺ محذراً من الجدل بعد بيان الحق: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل)(٢).

كما تلا النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣)، وقال: (إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله، فاحذروهم)(٤).

وعند تدبر النصوص القرآنية والنبوية نجد أن الجدل المذموم وهو: الجدال فيما لا فائدة فيه، أو كان بغير علم، أو أن بعد تبين الحق، أو

---

(١) البقرة الآية: ١٩٧.

(٢) الترمذي تفسير سورة ٤٢ برقم ٣٣٠٦ وصححه، وابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٤٥.

(٣) آل عمران الآية: ٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: منه آيات محكمات، برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن، برقم (٢٦٦٥).

الجدال بالباطل، وليس بالحجج الصحيحة، أو كان مشغلا عن العبادة مثيراً للفرقة فيما لا طائل وراءه.

أما الجدال بالحسنى المبين للحقائق، الهادي الناس إلى سبيل الله، والمقيم الحجة على الناس، فهذا مشروع مأمور به، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

ولا يُعقل أن يكون النبي ﷺ ينهى عن مثل ذلك، بل هو ما كان يفعله النبي ﷺ ، قال ابن القيم: «إن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمر الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم إلى المباهلة، وبهذا قام الدين»[2].

---

(١) النحل الآية: ١٢٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية ٣/ ٦٤٢، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة- بيروت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

خامساً: لم يسلك المستشرق سبيل أهل العلم في مناقشة تلك الأحاديث من ناحية ثبوتها، وأسباب وضعها، أو على الأقل الترجيح بينها، وهذا هو المتبع عند العقلاء إذا لم يكن ثمة جمع بين معانيها. والعجيب أنه حكم بالوضع على كلا النوعين من الأحاديث، مع أن رد بعض العلوم الظنية لتعارضها مع غيرها يقتضي عقلاً إثبات الغير.

سادساً: يلاحظ أنه لم يأبه بصحيح البخاري وأحاديثه، بل كان جريئاً في أحكامه، متعجلاً فيها من غير أدنى تمحيص، فيحكم على جملة من أحاديث البخاري بالوضع؛ بل بالأساطير، وقد غفل عن شدة تثبت البخاري وتحريه ، ولو كان نقده علمياً لرُد عليه، ولكنه لم يذكر حججاً تُناقش، وإنما يجازف بتلك الأحكام في دائرة معارف «إسلامية» مع أن المسلمين تلقوا صحيح البخاري بالقبول، ويعلمون أنه أكثر الكتب تحرياً وتثبتاً. واختار أحاديثه من مئات الآلاف من الروايات.

وأقل ما يمكن قوله هنا هو اعتراف الدائرة نفسها في ترجمة البخاري بهذه الميزة حيث يقول بروكلمان في نفس الدائرة عن الإمام البخاري: (وأظهر في اختياره للأحاديث براعة فائقة، ومحصها تمحيصاً دقيقاً، كما أنه كان عظيم الأمانة في إيراد المتن، بذل جهداً لا يبارى لكي يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه، ولم يتردد في تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص، وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر

محل عناية كبيرة)[١].

سابعاً: لم يكن الخلاف في السحر ضمن الخلافات بين الفرق حتى تُوضع الأحاديث فيه كما ادعى، ولم تعرف مناظرات بين الفرق في السحر.

ثامناً: ادعى الكاتب أنه: (لا أمل في العثور في كتب التفسير على أخبار صحيحة في أسباب نزول القرآن)، مع قوله عن الطبري في نفس المادة: (ويشمل تفسيره المطول كثيراً من الأحاديث المسندة الصحيحة)[٢].

ودعوة النقاد التي أقرها الكاتب دعوة عريضة تحتاج إلى بيان، كما أن إثبات صحة أي حديث في ذلك يبطل تلك الحجة.

والأحاديث الصحيحة في كتب تفسير القرآن كثيرة جداً، منها على سبيل المثال سبب نزول أول آيات نزلت من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣]. فقد ذكر سبب نزولها عامة المفسرين[٤].

---

(١) الدائرة ٦/ ٣٦٤، البخاري، بروكلمان.

(٢) الدائرة ٩/ ٤١٠، التفسير، كارده فو.

(٣) العلق الآية: ١ ــ ٥.

(٤) انظر تفاسيرهم لسورة العلق ١، تفسير الطبري ٣٠/ ١٦١، وتفسير البغدادي لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ٦/ ٥٣٧ ضمن كتاب=

وسبب نزول الآيات باختصار كما هو ثابت أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو ويتعبد في غار حراء، حتى جاءه جبريل بهذه الآيات، فعاد خائفاً إلى خديجة -رضي الله عنها-.

وهذه القصة التي ذكرها عامة المفسرين، وأخرجها البخاري ومسلم والإمام أحمد، ثابتة بالسند المتصل برواية العدول، وحسبنا اتفاق البخاري ومسلم عليها مع شدة تحريهم وتوثقهم.

وهذا الحديث رواه البخاري عن أربعة من مشايخه، ومسلم عن شيخ آخر، والإمام أحمد عن شيخين آخرين، فهذه سبعة طرق ومدارها على ابن شهاب الزهري(١)، ويحيى بن كثير(٢) وكلاهما متفق على قبول

=مجموعة من التفاسير البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة العامرة ١٣٢٠هـ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٠، وفتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ٥/ ٥٦٧، دار الفكر، دطت.

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري من صغار التابعين ومن الأئمة الحفاظ أجمع العلماء على إتقانه وحفظه توفي بالمدينة ١٢٣هـ. (انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥ - ٤٥٠، فتح الباري ١/ ٢٣).

(٢) يحيى بن كثير بن درهم العنبري مولاهم البصري خراساني الأصل من المحدثين الثقات توفي سنة ٢٠٦هـ. (انظر تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٦).

روايتهم عند أئمة الجرح والتعديل[١]، ويحيى بن كثير أخذها عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-[٢]، وابن شهاب أخذها بطريقين: الأول هو نفس طريق يحيى بن كثير السالف أي عن أبي سلمة عن جابر -رضي الله عنه-[٣]، والآخر عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها-[٤]، وأبو سلمة[٥] وعروة[٦] متفق على قبول روايتهما أيضاً[٧]، فهذا حديث عزيز مروي بطريقين ثابتين يكفي أحدهما لقبول الحديث.

فهذا الحديث الثابت المروي في سبب نزول الآيات موجود في كتب التفسير التي نفى الكاتب وجود أحاديث صحيحة فيها تبين سبب نزول الآيات !.

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥ – ٤٥٠، ١١/ ٢٦٦، فتح الباري ١/ ٢٣.

(٢) انظر البخاري كتاب التفسير، حديث رقم (٤٩٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء، برقم ٦٢١٤.

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم (١٦٠).

(٥) أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف تابعي مدني اتفق العلماء على حفظه وإتقانه وفقهه توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ. (انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥ – ١١٧).

(٦) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ٢٠ – ٩٢هـ أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وجده لأمه أبو بكر الصديق، من كبار التابعين وأبرز علماء المدينة ومن الزهاد العباد، أجمع أهل العلم على إمامته وحفظه. (انظر تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ – ١٨٥).

(٧) انظر تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ – ١٨٥، ١٢/ ١١٥ – ١١٧.

وأما ما يتعلق بالصفات فقد سبق مناقشته في موضعه[١].

وأخيراً: فإننا نلحظ أن أولئك المشككين هم أهل كتاب، وإنني أقبل بالمقارنة العلمية بين ثبوت الروايات النبوية، وبين ما عندهم من روايات، بل بذات الكتب المقدسة عندهم.

إن روايات السنة بجملتها ثابتة أكثر من ثبوت نفس الكتب المقدسة عندهم؛ ذلك لأن روايات السنة مكتوب بعضها في عهد النبي ﷺ ونُقل غالبها مشافهة بأسانيد معروفة الرجال إلى عصر التدوين في القرنين الثاني والثالث.

«إن جمهور أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعتبرون سلفاً وخلفاً للروايات اللسانية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتباراً أزيد من المكتوب، وفرقة الكاثوليك تعتبرها مساوية له، وتعتقد أن كليهما واجبا التسليم وأصلان للإيمان .... ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة»[٢] [٣].

---

(١) انظر صـ ٢٩٧ – ٣٠٠.

(٢) ورد ذلك في مواضع كثيرة انظر مرقس ٤/ ٣٤، يوحنا ٢/ ٢٣، ٢١/ ٢٥، وغيرها كثير وفيها توصية المسيح لهم بقبول المشافهة كقبول المكتوب.

(٣) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٣/ ٨٩١.

وعند النظر في روايات أهل الكتاب نجد أن تلك الروايات المعتمدة عندهم ليست بشيء عند مقارنتها بروايات السنة النبوية، بل إن ذات الكتب المقدسة عندهم يُطعن في ثبوتها، لتناقضها، ولوجود عدة حلقات مجهولة فيها، حيث لا يوجد سند ثابت لها، وفقدان أصلها، حيث لا يوجد إلا ترجمتها، وعدم معرفتنا للمترجم، ولا بحاله[1]، وعليه «إذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف الناس بالحجارة»!!.

المطلب الخامس: الطعن في رواة السنة وكتبها:

جاء في الدائرة الطعن في الحديث الشريف من خلال الطعن في بعض الرواة، أو مروياتهم، أو النيل من كتب السنة.

وسأتناول في هذا المطلب ثلاث مسائل:

الأولى: طعن الدائرة في أبي هريرة -ﷺ- وهو أكثر الصحابة رواية للأحاديث.

الثانية: انتقاص الدائرة للإمام الزهري، وهو من أكثر التابعين رواية للأحاديث.

الثالثة: انتقاص الدائرة للإمام البخاري وصحيحه.

---

(١) انظر جميع ذلك صـ ٤٨٢ وما بعدها من هذا البحث.

المسألة الأولى: طعن الدائرة في أبي هريرة ﷺ:

لم يسلم أبو هريرة -ﷺ- من طعون الدائرة، بل كان التركيز عليه أكثر، نظراً لكثرة رواياته عن النبي ﷺ، فقد جاء في مادة «أبو هريرة»: (وتقدر عدد الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، لا ريب أن عدداً كبيراً منها نحل له ... وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ ... فقالوا: إن النبي لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما، وبذلك ضمن أبو هريرة ذاكرة تحفظ كل ما سمع ... تظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أقل الأشياء شأناً بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح، الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص، ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر [البخاري فضائل الأصحاب ١١]، وقد اضطر أحياناً إلى أن يدفع عن نفسه تقول الناس.

كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه شبرنكر: بأنه «المتطرف في الاختلاق ورعاً»، ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما نحلت في عصر متأخر)(١).

---

(١) الدائرة ٢/ ٢٥ – ٢٦، أبو هريرة، فولد زيهر.

كما كتب «ربصون» عن أبي هريرة في الطبعة الثانية، وشكك في جملة أحاديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وإن كانت كتابته أقل تحاملاً من «قولد زيهر» حيث ذكر ملازمته للنبي ﷺ وتفرغه لذلك بخلاف «قولد زيهر»، وذكر دعاء النبي ﷺ له من غير تكذيب للقصة، وهذا استعراض لبعض ما جاء في ترجمته: (والأحاديث المنسوبة إليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة، ولكنّ يصعب علينا أن نقر ما نعته به «شبرنكر» بقوله: إنه المنافق الورع من الطراز الأول؛ لأن الأحاديث التي رفعت إليه ليست كلها بالضرورة من روايته .... والمظنون أن أبا هريرة روى أخباراً كثيرة عن النبي ﷺ، على أن الصحيح منها قد يكون عدداً صغيراً من ذلك الحشد الهائل من الأحاديث التي رفعت إليه)[1].

قلت: تضمنت تلك النصوص دعاوى عدة، تصب كلها في بوتقة واحدة هي الوقوف موقف الشك من أحاديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وأوجزها بما يلي:

-الجزم بأن أغلب أحاديثه منحولة عنه في وقت متأخر، أي الطعن فيمن روى عنه.

- تشكك بعض الرواة منه، ودفاعه عن نفسه.

(١) الدائرة ٢/ ٢٧، أبو هريرة، ربصون.

- الدعوى باختلاق الناس للحديث الذي دعا فيه النبي ﷺ لأبي هريرة بالحفظ.

- الطعن في أبي هريرة نفسه والزعم باختلاقه الحديث ورعاً.

ومناقشة تلك الدعاوى من وجوه عدة:

أولاً: أبو هريرة -رضي الله عنه- صحابي جليل أسلم سنة ست من الهجرة، اشتهر بكنيته أبي هريرة نسبة لهرة كان يحملها، واختُلف في اسمه، فقيل عمير بن عامر، وقيل عبد الرحمن بن صخر وهو المشهور، وقيل غيره، وهبه الله ببركة دعاء نبيه ﷺ، وبحرصه موهبة الحفظ، فكان أكثر الصحابة حفظاً ورواية للأحاديث النبوية، توفي بالمدينة سنة ٥٧هـ[١].

ولم يُتهم أبو هريرة بالوضع، وإنما كان يلومه البعض على الإكثار من الرواية، ولعل التخوف عائد إلى الخشية من النسيان، وليس ذلك في مكانه حيث قوة حفظه وانتفاع الناس بأحاديثه ينفي ذلك.

وقد ذكر ابن تيمية «أن الصحابة كلهم كانوا يأخذون بحديث أبي هريرة كعمر وابن عمر وابن عباس وعائشة»، و«أن أحداً من الصحابة لم يطعن في شيء رواه أبو هريرة»[٢].

---

(١) انظر الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٣٥.

كما ذكر ابن حجر الأقوال العديدة المحفوظة المبينة لاعتراف الصحابة بفضل أبي هريرة وحفظه وملازمته للنبي ﷺ[١].

ولم يمتنع أحد من التابعين من رواية أحاديث أبي هريرة، أو يتحرج أحد من أهل العلم من بعدهم في نقلها والاستشهاد بها مطلقاً على سعة علمهم وشدة تحريهم، وليس هناك من أئمة الحديث بالتثبت يردون أحاديث أبي هريرة كما ردوا أحاديث مئات الرواة.

بل اجماعهم قائم على قبول روايته بل وأحاديثه مخرَّجة في كافة كتب أهل السنة قاطبة. فهل فاتهم جميعاً ما أدركه هذا المستشرق أم كان احرص منهم على حديث النبي ﷺ ؟!

ثانياً: نرى هنا تناقض الكاتب وتشهِّيه فيما يأخذ ويرد من الأحاديث، وصاحب هذه الدعوى مطالب بالتفريق بين ما أقره من الأحاديث النبوية وبين ما أنكره.

إن إسناد حديث أبي هريرة الذي زعم الكاتب فيه بشك بعض من أخذ عنه، هو على نفس درجة الأحاديث التي ينكرها الكاتب «فولد زيهر» بل إنه حديث واحد يجعل بعضه موضوعاً، ويحتج بالبعض الآخر.

فالبخاري روى كلام أبي هريرة الذي فيه: «إن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني .. »[٢]، روى

---

(١) فتح الباري ١/ ٢١٤، العلم ٤٢، ٧/ ٧٥ – ٧٦، فضائل الصحابة ١٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم (٣٧٠٨).

حديث دعاء النبي ﷺ لأبي هريرة بعد أن شكى للنبي ﷺ نسيانه لبعض الأحاديث، فأمره النبي ﷺ ببسط ردائه ثم غرف منه، ثم قال له: ضمه، فقال أبو هريرة: فما نسيت شيئاً بعد ذلك[1].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: (من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني) فبسط أبو هريرة ثوبه[2]، وفي رواية (إلا وعى ما أقول)[3]. وعند الرجوع لهذين الحديثين فإننا نجد أنهما حديث واحد رواهما البخاري ومسلم والإمام أحمد وغيرهما بأسانيد في غاية ما تكون من الصحة.

ذلك أن الحديث المتضمن لدعاء النبي ﷺ لأبي هريرة ودفاعه عن نفسه مروي بالأسانيد الآتية:[4]

١- علي عن سفيان عن الزهري عن الأعرج[5].

٢- أبو اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبو سلمة[6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، برقم (١١٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، برقم (٢٤٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ﴾ برقم (٢٠٤٧).

(٤) مع ملاحظة حذفي لصيغ التحديث اختصاراً، ولاتصال الأسانيد.

(٥) انظر صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجة على من قال إن أحكام النبي كانت ظاهرة، حديث رقم (٧٣٥٤).

(٦) انظر في صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم (٢٠٤٧).

٣- موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن الأعرج[١]، وفيه زيادة وهي: تعليل أبي هريرة روايته للحديث بكونه يخشى كتمان العلم.

٤- قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن سفيان ابن عيينة عن الزهري عن الأعرج[٢].

٥- عبد الله الدارمي عن أبو اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد ابن المسيب وأبو سلمة[٣].

٦- عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن الأعرج[٤].

٧- سفيان عن الزهري عن الأعرج[٥].

ونلاحظ أن مدار تلك الأسانيد هو الإمام الزهري.

وجاء تشكك بعض الرواة على حد زعم الكاتب، ودفاع أبي هريرة عن نفسه مجرداً عن حديث دعاء النبي ﷺ لأبي هريرة بالإسنادين الثامن والتاسع:

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس حديث، رقم (٢٣٥٠).

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة، حديث رقم (٢٤٩٢).

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة حديث رقم (٢٤٩٢).

(٤) أحمد ٢/ ٢٧٤.

(٥) أحمد ٢/ ٢٤٠.

٨- أحمد بن أبي بكر عن محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري[١].

٩- عبد العزيز بن عبد الله عن مالك عن الزهري عن الأعرج[٢]، وفيه نفس الزيادة المذكورة في الإسناد الثالث.

ويلاحظ أن الإسناد التاسع من رواية الزهري عن الأعرج مما يرجح أنه نفس الحديث السابق، ولكن اختصر بعض الرواة الدعاء فيه بدليل أن هناك رواية أخرى غير تلك الرواية جمعت بينهما كما سيأتي.

أما الإسناد الثامن فقد جاء نفسه في موضع آخر في حديث لم يُذكر فيه سوى الدعاء[٣] مما يرجح أنه قد جمع الأمرين ولكن الراوي ساق كل واحدة على حدة:

وهناك إسناد عاشر هو:

١٠- إبراهيم بن المنذر عن ابن أبي الفديك عن ابن أبي ذئب عن المقبري[٤].

---

(١) انظر صحيح البحاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، حديث رقم (٣٧٠٨).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم (١١٩).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم (١١٨).

(٤) انظر صحيح البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (٣٦٤٨).

وهو متابعة للثامن وفيه الدعاء وحده.

فهو حديث واحد اختصر بعض الرواة بعضه، وقد بين ابن حجر أنه حديث واحد، وأن أتم الروايات هي الرواية المروية بالإسناد الثالث لأنها جمعت بين الإنكار على أبي هريرة بكثرة الحديث، ودعاء النبي ﷺ له، وتعليل أبي هريرة بكثرة الحديث[١]، ونصها: قال أبو هريرة: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق. وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون. وقال النبي ﷺ: (لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً)، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوب غيرها، حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا. والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٢٢ الاعتصام ٢٢.

وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] [2].

وعلى فرض أنه حديث آخر – مع أنه ليس كذلك- فإن من لديه أقل إلمام بمصطلح الحديث وقواعد التثبت يعلم أن الروايتين على درجة واحدة، حيث رُويت كل منها بنفس الأسانيد تقريباً.

فالمعاني التي أنكرها المستشرق مروية بنفس طرق الحديث التي اعتمده، والمعاني التي أثبتها مروية بنفس الطرق التي نفاها.

فليس الأمر إذاً نتيجة دراسة للسند والمتن، وإنما هو غاية في التشهي والهوى، والذي ظهر بأجلى صورة.

إن أولئك القوم في تشهيهم واتباعهم الهوى ليصدق عليهم قوله تعالى في أعداء النبوة الأول: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ

(١) البقرة الآيتان: ١٥٩ – ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس برقم (٢٣٥٠).

(٣) البقرة الآية: ٨٧.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ......﴾[(٢)].

ثالثاً: الزعم بأن أبا هريرة اختلق الحديث ورعاً- وهذا ما زعمه شبرنكر ولقي تأييد قولد زيهر له- مفتقد لأي حجة صحيحة، وقد روى أبو هريرة حديث: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[(٣)].

وهذا الحديث متواتر، وهو من أثبت الأحاديث النبوية[(٤)].

فكيف يكون التقي الورع يسمع هذا الوعيد الشديد ويرويه لغيره ثم

---

(١) القصص الآية: ٥٠.

(٢) الجاثية الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كتاب على النبي، برقم (١١٠)، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم (٣).

(٤) هذا الحديث رواه تسعة وتسعون أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، برقم (١١٠)، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم (٣).

انظر لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ٢٦١، وأخرجه عامة الأئمة وأخبروا بتواتره، وقد أخرجه البخاري العلم ٣٨، ومسلم مقدمة ٣، وأحمد ٢/ ٣٦٥، ٣/ ١٢، وابن ماجه مقدمة ٣٤، وغيرهم، وقد ذكر ابن حجر بعض طرقه الكثيرة حيث اتفق الصحيحان على إخراجه بأربعة طرق، وانفرد البخاري بأربعة أخرى، وانفرد مسلم بطريق، وصح في غير الصحيحين بستة طرق أخرى، كما ورد بأسانيد حسان بثمانية عشر طريقاً، وورد بخمسين طريقاً ضعيفاً، وعشرين بأسانيد ساقطة «فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٠٣ كتاب العلم ٣٨».

يكذب على النبي ﷺ ؟!.

إن الذين يضعون الأحاديث على النبي ﷺ ديانة معروفون، وهم جهلة بسنته ﷺ.

وقد تخلَّى بعض المستشرقين المتأخرين عن هذا الاتجاه -لتهالك الحجة- وردوا تلك المقالة واستبعدوها، ومن ذلك كاتب المادة الثانية عن أبي هريرة وهو المستشرق ربصون، الذي استبعد تلك الدعوى [(١)] .

رابعاً: أما زعمهم بأن أغلب أحاديثه منحولة عنه فهو يفتقر إلى برهان، ورواة أحاديث أبي هريرة هم أنفسهم رواة بقية الأحاديث.

المسألة الثانية: انتقاص الدائرة للإمام الزهري -رحمه الله-:-

الزهري هو محمد ين شهاب الزهري من صغار التابعين، ومن أكثرهم حفظاً للسنة النبوية، سكن المدينة ومات بها سنة ١٢٣هـ[(٢)].

وقد جاء في الدائرة في ترجمة الزهري: (وأدى الزهري فروض الولاء لمروان المتوفى عام ٦٥هـ [ابن حجر التهذيب ٩/ ٤٤٥] ....، ثم شخص إلى بلاط عبد الملك وربما كان ذلك قبل سنة ٧٣ لأن اليعقوبي[٢/ ٣١٣] يقول إن عبد الملك أجاب أهل الورع الذين احتجوا

---

(١) انظر الدائر: ٢/ ٢٧ أبو هريرة، ربصون .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩/ ٤٤٥ - ٤٥١.

على منعه الحج إلى مكة: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم عن رسول الله ﷺ: لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. والحق أن هذا الحديث المنسوب إلى النبي والذي جاء في أن الحج يكون إلى المسجد الحرام ومسجد النبي في المدينة ومسجد بيت المقدس قد ورد في كتب الحديث الصحاح .... ويصح لنا أن نفترض أن الزهري شَخَص إلى دمشق تحدوه آمال من هذا القبيل ليروى لعبد الملك ذاك الحديث المؤيد لدعوته باسم شيخه)(١).

كما جاء أيضاً الاعتراف بجهده وعلمه: (وقد جمع الزهري حشداً عظيماً من الأحاديث بفضل ما أبداه من همة لا تكل .... ولم يكتف الزهري ببذل الجهد في توطيد دعائم السنة النبوية فحسب بل وطَّد أيضاً سنة صحابة النبي .... وأضاف الزهري علمه إلى علم شيوخه، ومن ثم عدَّته الأجيال المتأخرة أعلم أهل الحديث. ومن ذلك قول مكحول: «أي رجل هو لولا أنه أفسدته نفسه بصحبه الملوك» ولم تقتصر مواهب الزهري على رواية الحديث، فقد كان إلى ذلك عارفاً بالتاريخ، وبصيراً بالشعر)(٢).

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٤٥ – ٤٥٦، الزهري، هوروفتز.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٤٥ – ٤٥٦، الزهري، هوروفتز.

قلت: شيخه هو: سعيد بن المسيب، والدعوة هي منع عبد الملك الناس الحج إلى مكة، والحديث المؤيد هو حديث لا تشد الرحال... الحديث.

وقد تنقص المستشرق من الزهري بأن أظهره بمظهر المتزلف إلى الملوك، وإن كان لم يصرح بأنه وضع الأحاديث إرضاء لهم، كما صنع «قولد زيهر»، وتأثر بها للأسف بعض المسلمين حيث ينقل د. مصطفى السباعي عن مدرسه د. علي حسن عبد القادر قوله: «إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج إليها بعقيدة دينية» فوجد الزهري: وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث منها حديث: لا تشد الرحال ......، ومنها حديث الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة ...، وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث بزعمه: أنه كان صديقاً لعبد الملك، وكان يتردد عليه، والأحاديث التي وردت في بيت المقدس مروية عن طريق الزهري فقط»[1].

قلت: الجواب على تلك الفرية من وجوه عدة:

أولاً: قول الكاتب: (وأدى فروض الولاء لمروان) ونسبتها إلى

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ١٩١.

التهذيب، هو من قبيل التحريف الذي لا يتورع كثير من كُتَاب الدائرة منه، فلا يوجد في التهذيب إلا قدومه على مروان، والعبارة هي: «وفدت إلى مروان وأنا محتلم» وقد عقب ابن حجر بزيادة في رواية أخرى: أنه ذهب بصحبة ابن عمر وسالم مولاه[١]، وهل كان ابن عمر وسالم يؤديان الولاء أيضاً؟.

إن كان المقصود بالولاء ما يجب تجاه الإمام من الطاعة في المعروف والنصيحة فجميعهم يؤدون ذلك؛ إذ أنه من الواجبات، وإن كان المقصود المداهنة والطاعة المطلقة من غير اعتبار للشريعة كما يرمي إليه المستشرق فهذا لم يفعله أحد منهم.

وهذا التلبيس والتحريف من عاداتهم، فهذا شيخهم «قولد زيهر» يحتج بقول الزهري: «إن الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث». بينما النص هو: «إن الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث»[٢].

وهذا تحريف لكلام الزهري الذي كان يكره كتابة الأحاديث النبوية لسعة حفظه، وكان يقول: «كنا نكره الكتاب، حتى أكرهنا عليه الأمراء، فرأيت ألا أمنعه مسلماً»[٣].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ٤٥١.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٢٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٣٤.

ثم إن دخول العالم على الأمير لا يقدح فيه إذا كان يؤدي ما عليه من النصيحة، والمنتفع بذلك المسلمون، وكان دخول الزهري من هذا النوع، ولم يكن الزهري ليتنازل عن هذا الأمر فضلاً عن أن يكذب على رسول الله ﷺ، وقوته في الحق عند الخلفاء يبينها معارضته للوليد بن عبدالملك عندما قال: إن الذي تولى كبره في الإفك هو: علي، وكان الزهري حاضراً لم يسكت بل قال: «أصلح الله الأمير ليس كذا، بل هو عبد الله بن أبي»[(١)] فضلاً عن أن يعينه على ما يريد؛ في وقت كان الذود عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تهمة، فكيف إذا جمعت مع ذلك تخطئة الخليفة في مجلسه في تلك المسالة الحساسة، والعجيب أن الكاتب بعد أن ساق هذا الحدث معترفاً به في هذه المادة، جعل السبب في معارضة الزهري للخليفة، هو دَيْنٌ على الزهري لعلوي! سبحانك هذا بهتان عظيم!

ثانياً: لا يعقل أن يوجه عبد الملك الناس للحج من مكة إلى بيت المقدس، فمن المعلوم بالضرورة -حيث تواتر الكتاب والسنة واتفق أهل العلم عليه- أن الحج الركن الخامس في الإسلام لا يؤدى إلا في مكة،

---

(١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للذهبي ٥/ ١٤٥، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٦٧هـ.

ومن مناسك الحج شعائر الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى ورمي الجمار بها، فهل دعا عبد الملك أيضاً إلى بدائل عنها؟!.

إن تلك الدعوة كفر صريح لم يكن ليفعله عبد الملك، وقد كان فقيهاً عالماً، ولو فعله لشنع خصومه عليه به!.

ثم إن أي عاقل يعلم استحالة قبول المسلمين لتلك الدعوة، وإن من شأنها إسقاط صاحبها!.

وربما أن عبد الملك لما كان محارباً لابن الزبير، وكان الناس يذهبون إلى مكة فيجتمعون مع ابن الزبير أراد صرفهم عنه بإشاعة الأحاديث في فضائل بيت المقدس[١].

ثالثاً: ذكر المستشرق أن الأجيال المتأخرة عدَّته أعلم أهل الحديث وساق قول مكحول كمثال، ومن المعلوم أن مكحول[٢] من المتقدمين وليس من المتأخرين حيث كان معاصراً للزهري، بل توفي قبله، والمشهور عن مكحول قوله: «ما أعلم أحداً بسنة ماضية من الزهري»،

---

(١) انظر قريباً من ذلك في مجموع الفتاوى ١٥/ ١٥٤.

(٢) مكحول الدمشقي أو الشامي أصله من كابل فقيه من رواة الأحاديث الثقات توفي سنة ١١٨هـ أو قبلها. (انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٣ - ٤٥٤، تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٣).

ولم أجد المقولة الأخرى التي نقلها المستشرق[١]، وقد ساق تلك المقولة بصفة المدح وهي تحمل الذم، وهناك عشرات المقولات الأكثر مناسبة، التي كان من الواجب الاستشهاد بها.

والحق أن الزهري اعترف بفضله وعلمه الأجيال المتقدمة والمتأخرة ومن ذلك:

- قول سفيان الثوري: «كان الزهري أعلم أهل المدينة»[٢].

- وقول الإمام مالك -وكان من تلاميذه-: «بقي ابن شهاب، وما له في الناس نظير»[٣].

- وقول الإمام أحمد: «الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً»[٤].

- وقول أبي حاتم: «أثبت أصحاب أنس: الزهري»[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٩.

(٢) الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ٤/ ٧٤، المطبعة العثمانية بحيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٤.

- وقول النسائي[١]: «أحسن أسانيد تُروي عن رسول الله ﷺ أربعة: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده، والزهري عن عبيد الله عن ابن عباس، .....»[٢].

وقول الذهبي: «الإمام العَلَم حافظ زمانه»[٣].

وقد لخص ابن حجر ذلك بقوله: «الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه»[٤].

وقال أيضاً: «اتفقوا على إتقانه وإمامته»[٥].

إن الطعن في مثل هذا الرجل المجمع على إمامته يتعدى الطعن في شخصه إلى الطعن في مؤرخي الأمة ونقادها.

رابعاً: يستحيل على الإمام الزهري مراعاة الحكام في هذا الجانب، وقد اشتهر بالورع والتقوى، وتحري الصدق في رواية الأحاديث النبوية.

---

(١) أحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن ومن أئمة وحفاظ الحديث كان ورعاً تقياً توفي سنة ٣٠٣هـ. (البداية والنهاية ١١/ ١٢٣)

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩/ ٤٤٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦.

(٤) تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني ٢/ ٢٠٧، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٥) فتح الباري ١/ ٢٣.

نعم هو حدَّث عبد الملك بحديث النبي ﷺ كما سمعه، وأن عبد الملك قضى ديناً على الزهري[1]، وهذا من تشجيع الخلفاء للعلماء، ولا يدل بالضرورة على زعم الكاتب، إذ إن العطاء حق للمسلمين، وحق العلماء المتفرغين للعلم أكبر.

ولو كان العطاء أو قضاء الدين لمجاملة الخليفة والكذب على رسول الله ﷺ، لقدح فيه علماء الجرح والتعديل الذين لا يجاملون في هذا الأمر، حيث كانوا في غاية الاحتياط لحديث رسول الله ﷺ، ولكننا نجد اتفاق علماء السنة على إمامة الزهري، ومدح علمه وحديثه، كما سبق.

خامساً: فهم المستشرق لحديث (لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) بأنه يجيز الحج إلى هذه المساجد الثلاثة غير صحيح، وإنما غاية ما يدل عليه الحديث هو: فضل تلك المساجد الثلاثة بأن شُرِع السفر إليها بقصد التعبد فيها.

ولو فرضنا جدلاً أن عبد الملك أراد ذلك، وقَبِل الزهري بأن يضع الحديث، فإن المفروض منه عقلاً أن يضع حديثاً صريحاً يؤكد دعوة عبد الملك في مشروعية الحج لبيت المقدس، إذ كان في مقدوره ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٢٩.

سادساً: لو وضع الزهري الحديث لأنكر عليه شيخه سعيد بن المسيب الذي كان حياً حينذاك، ولم يكن ليقبل أن يكذب الزهري عليه.

سابعاً: لو كان هذا الحديث موضوعاً لبينه العلماء والنقاد المسلمون، ولما خفي عليهم تلك المدة حتى يبينه أولئك المستشرقون، فقد سبق لعلماء المسلمين بيان وضع وضعف أحاديث كثيرة من جملتها أحاديث في فضل الشام وفلسطين(١).

ثامناً: هذا الحديث يرويه غير الزهري باعتراف المستشرق حيث يقول عن حديث لا تشد الرحال: (ولكنه ورد في أحاديث أخرى بإسناد آخر لم يذكر فيه اسم الزهري [مثل الترمذي، مواقيت باب ١٢، ابن ماجة، الإقامة، باب ١٩٦، أحمد بن حنبل ٣/ ٧،٣٤،٥٤،٥١،٦٤، و في مواضع أخرى])(٢).

وهذا الحديث ورد في الصحيحين عن طريق الزهري عن سعيد عن أبي هريرة(٣).

---

(١) انظر على سبيل المثال مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ١٥٢، و١٧/ ٤٦٤، و٢٧/ ١٦، ٤٨، ومختصر المقاصد الحسنة، محمد الزرقاني ح١٠٣٠، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) الدائرة الأولى ١٠٤٥٦، الزهري، هوروفتز.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم (١١٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، برقم (١٣٩٧).

كما رواه البخاري من غير طريق الزهري، عن أبي سعدي الخدري من طريق شعبة[(١)].

ورواه مسلم بطريق ثالث مستقل ولا صلة للزهري به، عن أبي هريرة بلفظ: (إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء)[(٢)].

المسألة الثالثة: انتقاص الإمام البخاري وصحيحه:

البخاري هو محمد بن إسماعيل البخاري ١٩٤-٢٥٦هـ اتفق العلماء على سعة علمه بالسنة وإتقانه لها، حفظ مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، وألّف كتابه الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول وشهد له الجميع بشدة تحريه فيه[(٣)].

وقد أخذت ترجمة الإمام البخاري في الدائرة صفحتين فقط، على الرغم من جلالته، وعظيم مكانته، في حين أنها أفردت الصفحات الكثيرة لمن هم أقل منه مكانة وتأثيراً بمراحل[(٤)].

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس حديث رقم (١١٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد برقم (١٣٩٧).

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ٤٩ – ٥٥.

(٤) انظر مثلاً ترجمة أبي نواس الماجن ٢/ ١٣ – ١٩، وترجمة جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي ١٢/ ١٨٩ – ٢٠٣.

ومع حسن سيرته، وسعة علمه، ودقة ضبطه، وتأليفه لأصح كتاب بعد كتاب الله، فإنه لم يسلم -رحمه الله- من لمز كُتَّاب الدائرة في تلك الصفحتين، والتي حاولوا فيها الظهور بمظهر المنصف، فقد جاء فيها في مادة البخاري: (وتعتمد شهرته على جامعه في الحديث؛ وعنوانه: الجامع الصحيح، وقد رتبه على أبواب الفقه واصطنع لذلك طريقة كاملة، وإن لم يوفق إلى إيجاد مواد الحديث اللازمة لجميع الفصول، واظهر في اختياره للأحاديث براعة فائقة، ومحصها تمحيصاً دقيقاً، كما أنه كان عظيم الأمانة في إيراد المتن، وبذل جهداً لا يبارى لكي يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه، ولم يتردد في تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص، وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة، بيد أن البخاري لم يستطع التخلص من الاختلافات التي ذكرها الشرّاح)[١].

كما جاء فيها أيضاً عن صحيحه: (ومن الخصائص المميزة لصحيح البخاري: عناوين الأبواب، أو ما يسمى ترجماتها التي تتسم في كثير من الأحيان بالهوى، كما تكون في بعض الأحيان مضللة، مثال ذلك: عندما يُقدم لحديث يتكلم عن المساجد التي تشد إليها الرحال وهي: المسجد

(١) الدائرة ٦/ ٣٦٤ – ٣٦٥، البخاري بروكلمان.

الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، بعنوان: في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)[1].

كما جاء أيضاً في موضع آخر: (ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ما كان خاصاً بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحاً، وفصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، ونما الاعتقاد في الجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقداً، نجد هذا كثيراً في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد وبدء الخلق؛ ونجد فيه كذلك الكلام عن وجه الله، وعن عرشه، وعن خلق السموات والأرض، وجاء فيه أيضاً أن الله يتنزل إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟» وترد كذلك قصة آخر من يدخل الجنة من أهل النار وكيف يضحك الله منه. وفي الآخرة يمسك الله الأرض على إصبع، والسموات على إصبع، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» ثم يضع قدمه على النار ليفسح فيها مكاناً. وورد الكلام عن عينه في القرآن تارة بالمفرد، وتارة بالجمع. وجاء في الحديث أنه ليس بأعور كالمسيح الدجال)[2].

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ١٥٩، صحيح، الفرد كييوم.

(٢) الدائرة ٤/ ٢٥٦، مادة (الله)، ماكدونالد.

قلت: بيان افتراءات هذا الكلام من وجوه:

الأول: فيما يتعلق بعدم توفيق البخاري -كما يزعم الكاتب- في إيجاد مواد الحديث اللازمة لجميع الفصول؛ فإن كلامه هذا يدل على جهله بالصحيح، وتسرعه في الحكم، ذلك أن البخاري - رحمه الله- له شروط فيما يُورد من أحاديث، ومنهجٌ في التأليف، وعدم إيراد بعض الأحاديث في بعض الأبواب يتمشى مع منهجه، حيث أنه يتجنب تكرار الحديث الذي ورد في باب سابق، أو لعدم وجود حديث على شرطه، مع وجود حديث صحيح دون شرطه، وإيراد الترجمة مجردة من أي حديث خير من عدمها؛ ذلك أنها مشعرة لذوي الألباب بمقصوده، وهذا من رجحان عقله -رحمه الله- وإن عُرِف منهجه زال عنه ما أشكل عليه فيه من إشكالات.

نقل ابن حجر عن الشيخ محيي الدين قوله: «ليس مقصود البخاري الاختصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها؛ ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر فيه على قوله: [فيه عن فلان عن النبي ﷺ] أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يورده معلقاً، وإنما يفعل هذا؛ لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها، وأشار إلى الحديث؛ لكونه معلوماً،

وقد يكون مما تقدم، وربما تقدم قريباً، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله، وبعضها لا شيء فيه البتة، وقد ادَّعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً؛ وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه»[١].

الثاني: أما ما يتعلق باختلافات الشرَّاح، فإن عدم جزم البخاري في تراجمه بالحكم دليل على ورعه ودقته، وليُشعر القارئ بالخلاف بين العلماء في المسألة، وأن الدليل يحتمل كلا القولين، بخلاف المسائل الراجحة عنده لقوة دليله فإنه يجزم بها.

الثالث: أما قول الكاتب: إن التراجم تتسم في كثير من الأحيان بالهوى؛ فإن هذا من الأحكام الظالمة التي يطلقها كُتَّاب هذه الموسوعة على أنها مسلمات، مع أنها طعن فيمن شهدت لهم الأمة بالعلم والفضل، وهم يطلقون هذه الأحكام مجردة من الأدلة والأمثلة في الغالب.

وهنا لم يذكر الكاتب ما يدل على الهوى الذي في تراجم الصحيح رغم كثرتها حسب زعمه. وحسبي في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

---

(١) فتح الباري المقدمة ١٤/٨، وهي في المجلد الأول في بعض الطبعات الأخرى.

(٢) البقرة الآية: ١١١.

بل إن تراجم الصحيح هي من دلائل فقه الإمام البخاري وحسن استنباطه، فسبحان الله كيف تحولت الميزة إلى عيب في أنظار هؤلاء القوم الذين ملأ الحقد قلوبهم على حفظة سنة رسول الله ﷺ، فلا يضر الإمام بعد ذلك انتقاد قاصري الأفهام، كما لا يعيب أن يكون الحلو مراً إذا ورد على معيب الذوق.

وقد أحسن من قال:

ومن يكون ذا فم مرٍّ مريض يذق مراً به الماء الزُّلالا

قال ابن حجر في مقدمته لشرح الصحيح في بيان فقه الإمام وعلو منزلته: «وكذلك الجهة العظمى الموجبة لتقديمه، وهي ما ضمنه أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار، وإنما بلغت هذه الرتبة، وفازت بهذه الحظوة؛ لسبب عظيم أوجب عظمها، وهو ما رواه أحمد بن عدي عن عبد القادر بن همام قال: شهدت عدة مشايخ يقولون: حوَّل البخاري تراجم جامعه -يعني بيضها- بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

ولنشرع الآن في الكلام عليها، ونبين ما خفي على بعض من لم يمعن النظر، فاعترض شاب غر على شيخ مجرب أو مكتهل، وأوردها إيراد سعد، وسعد مشتمل «[ما هكذا تورد يا سعد الإبل]»[1].

(١) فتح الباري، المقدمة ١٤/ ١٣.

وقال العلامة عبد السلام المباركفوري[1]: «لقد راعى الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه مقاصد عالية، وأهدافاً سامية نبيلة، ففي بعض الأحيان يشير إلى النكات الفقهية الدقيقة، وأحياناً أخرى يبين الأصول الحديثية، وعللها الغامضة التي تحتاج إلى نظر ثاقب، وفهم صائب، وفطنة خارقة، وذكاء موهوب، مع سعة الأفق، وكثرة الاطلاع. أما الطبائع المعكوسة الزائفة، والعقول الضيقة، والأنظار المحدودة، أو أولئك الذين يتقيدون بالأصول الموروثة، أو تفريعات أهل الرأي، فقد حُرِموا من الوصول إلى دقائق تراجم الإمام البخاري، ولذلك تراهم تارة يطعنون في تراجم صحيح البخاري، وتارة أخرى يعترضون بعدم الموافقة بين التراجم والأحاديث المذكورة فيها:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

مع أن حكم الفقهاء والمحدثين في شأن تراجمه أصبح مضرب المثل؛ وهو قولهم: [فقه البخاري في تراجمه]»[2].

---

(١) عبدالسلام المباركفوري ١٢٨٩ - ١٣٤٢هـ: عالم هندي سلفي ولد بمدينة مباركفور بالهند. تعلم الحديث الشريف واعتنى به. له كتاب سيرة الإمام البخاري.
(انظر مقدمة الكتاب ١٧ - ٢١، الدار السلفية، بومباي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

(٢) سيرة الإمام البخاري، عبدالسلام المباركفوري ١٣٣.

الثالث: أما قوله: إن التراجم تكون بعض الأحيان مضللة، فهذا يصدق على سطحي النظر، غير ممعن التدبر.

قال ابن خلدون[١] عن كتب السنة: «فأما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه، واستغلقوا منحاه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم، ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه، لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب،وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها»[٢].

وأما المثال الذي ذكره، فإنه رغم تحرز كُتَّاب الدائرة من ذكر الأمثلة، فإن المثال الذي اختاره الكاتب بنفسه، لا يدل على مراده، وإني أتعجَّب من اختياره له، فإن المناسبة بين الترجمة والحديث ظاهرة، فالترجمة:

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي ٧٣٢ – ٨٠٨هـ، فيلسوف مؤرخ، وعالم اجتماع وفقه تولى القضاء المالكية بمصر. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٠)

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٤٣، عبدالرحمن بن خلدون المغربي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الخامسة دت.

باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، والحديث الذي عناه الكاتب هو حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى)[١]، قال ابن رشيد: «لم يقل في الترجمة وبيت المقدس، وإن كان مجموعاً إليهما في الحديث لكونه أفرده بعد ذلك بترجمة».

قال: «وترجم بفضل الصلاة وليس في الحديث ذكر الصلاة؛ ليبين أن المراد بالرحلة إلى المساجد قصد الصلاة فيها؛ لأن لفظ المساجد مشعر بالصلاة»[٢].

وأما النقل الأخير من الحكم على أحاديث في الصحيح بالوضع فقد تقدم الكلام عليه[٣].

المطلب السادس: طعون متفرقة في الأحاديث النبوية:

من يتأمل الدائرة يجد الاحتجاج بالأحاديث النبوية واعتمادها في مرات كثيرة دون نظر لصحتها، وقد يكون هذا مقبولاً إذا نُسب الحديث

---

(١) البخاري، المساجد ١.

(٢) فتح الباري ٣/ ٦٣.

(٣) انظر صـ ٤٩٦.

إلى مصادره، ولكن الأمر غير المقبول هو الحكم على الأحاديث النبوية «وبعضها في الصحيحين» بالوضع، أو التشكيك فيها من غير أدنى دراسة لإسنادها، وإنما بالتشهي والهوى.

وهذه أمثلة لهذا النوع من المطاعن:

أولاً: جاء في مادة «الأجر»: (والاجتهاد في أداء فرض ديني أو إصدار حكم مطابق للشريعة الدينية يوجب على الأخص ثواباً واحداً، حتى وإن كان الحكم الذي انتهى إليه خطأ، أما إذا كان صحيحاً فثمة وعد بثوابين أو عشرة، ويظهر أن أقدم رواية في هذا الصدد نشأت حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة)[١].

قلت: هذه الرواية ثابتة ولا مجال للطعن فيها، وهي في البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد ثابتة، ونصها: عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر)[٢].

ما السبب في محاولة «شاخت» الطعن في هذه الرواية؟!

---

(١) الدائرة ٢/ ٢٣٦، الأجر، شاخت.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم (٧٣٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم (١٧١٦).

إن الجواب على ذلك ما يظهر من مزية للإسلام بالحث على الاجتهاد، ونيل صاحبه أجره عليه بغض النظر عن صوابه وخطئه بشرط توفر آلته لدى المجتهد، فإذا أصاب مع اجتهاده نال أجراً آخر؛ ليكون حافزاً على بذل مزيد من الجهد لإدراك الصواب.

وتردد الأجر بين ثوابين وعشرة ليس في الروايات، ولكنه عجزٌ منه في فهم السنة النبوية؛ ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها، وهذه قاعدة عامة لا تختص بالاجتهاد، وعلى هذا فالمجتهد المخطئ له أجر واحد يضاعف إلى عشرة أمثاله، والمجتهد المصيب له أجران يضاعف أيضاً عشرة أمثاله.

ثانياً: جاء في مادة «أم الولد»: (وهناك حديث من الأحاديث التي تذم التسري ظل إلى من زمن البخاري [إيمان ٣٧،عتق ٨، مسلم إيمان ١، ٥،٧]. وهذا الحديث لا شك في أن خصوم العباسيين هم الذين وضعوه ثم حُرِّف عن معناه، وكان فيه آخر صدى لاتجاه الجاهلية القديم)[١].

قلتُ: الحديث الذي جزم الكاتب أنه من وضع خصوم العباسيين رواه

---

(١) الدائرة ٤/ ٤٢٤، أم الولد، شاخت.

البخاري ومسلم، وهو حديث طويل يتضمن سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعن أشراط الساعة، وفيه من أشراط الساعة: (وأن تلد الأمة ربتها)[1].

والجملة الأخيرة تحتمل معنيين:

الأول: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها؛ كان الولد منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها وهو قول الجمهور.

والثاني: أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد، فيكثر ترددها في أيدي المشترين، حتى يشتريها ابنها ولا يدري[2].

إن خصوم العباسيين إن أرادوا وضع حديث في ذم العباسيين فليسوا بحاجة إلى وضع هذا الحديث الطويل لأجل تلك الفقرة التي تحتمل معاني عدة، منها معنى فيه مدح العباسين وليس ذمهم، وهو ما تبادر إلى ذهن أكثر العلماء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، برقم (٤٧٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٥٨ الإيمان ١، فتح الباري لابن حجر ١/ ١٢٢ إيمان ٣٧.

أما عند النظر في سنده، الذي لم يعره الكاتب أي اهتمام، فإن الحديث مما اتفق البخاري ومسلم على تصحيحه، وأخرجاه في صحيحيهما بطرق متعددة سيستحيل معها أن يكون موضوعاً، بل هو مسلسل برواية العدول بالأسانيد الكثيرة، وهذه بعض منها:

- البخاري عن مسدد عن إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة.

- البخاري عن إسحاق عن جرير عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة(١).

- مسلم عن عبد الله بن معاذ العنبري عن أبيه عن كهمس عن بريدة عن يحيى بن معمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه -رضي الله عنه-، وقد ساقه عبد الله بن عمر للرد على القدرية.

- مسلم عن أبي خيثمة عن وكيع عن كهمس...

- مسلم عن محمد بن عبيد الغبري وأبي كامل الجحدري وأحمد ابن عبدة عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة ...

- مسلم عن محمد بن حاتم عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث عن عبد الله بن بريدة ...

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان حديث رقم (٥٠)، ومسلم كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ حديث رقم (٤٧٢٢).

- مسلم عن أبي بكر بن شيبة وزهير بن حرب عن ابن عليه إسماعيل ابن إبراهيم عن أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو عن أبي هريرة[١].

هذه الأسانيد موجودة في الصحيحين، وإلا فالحديث «مروي بأسانيد متعددة عن أنس وإسناده حسن عند البزار، وعن جرير البجلي عند أبي عوانة، ورواية أخرى لابن عمر عند الطبراني، وعن ابن عباس وأبي عامر الأشعري عند أحمد بإسناد حسن»[٢].

إن هذا الحديث رواه ستة من الصحابة عن النبي ﷺ بأسانيد منفصلة، حتى وصلت إلى الأئمة أصحاب كتب الحديث فدونوها بأسانيدها.

وإنني أتساءل: أين وكيف تم الوضع؟ هل اتفق الصحابة الأطهار على ذلك؟! وهذا لا يستطيع الكاتب ادعاءه؛ لأنهم قبل الدولة العباسية، إذاً هل اتفقت طبقات السند الواحد على وضعه مع كثرة عددهم، وتباعد أماكنهم وتباينهم، واشتهارهم بالصدق والتحري؟ أم وضعه أصحاب الكتب المشهود لهم بالتقوى والصدق؛ مع أنهم لم يجتمعوا مطلقاً؟ ثم كيف انطلى عليهم جميعاً ذلك الوضع؛ وأدركه الكاتب؟!؛ وأين أعداء العباسيين الذين وضعوا الحديث من أولئك؟!

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان الأحاديث رقم (٨) و(٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/ ١١٦ إيمان ٣٧ بتصرف.

إن العجيب في الأمر أن الكاتب لهذه المادة يحكم على هذا الحديث الثابت بالأسانيد الصحيحة وبالطرق المتعددة بالوضع، وفي الوقت ذاته في نفس هذه المادة يجعل الأثر الذي رواه أبو داود عن جابر في نهي عمر عن بيع أمهات الأولاد[1] صحيحاً، مع أن ما أنكره أثبت وأصح!.

ومما يزيد العجب قوله في سبب صحة الأثر: «وثبتت صحته في رواية أخرى [كنز العمال ٤/ ٥١٢٦]»[2].

ومن المعلوم أن كنز العمال ليس كتاباً في رواية الأحاديث، وإنما هو يجمع الأحاديث التي رواها أصحاب الكتب، وتلك الرواية التي أشار إليها في كنز العمال هي نفس رواية أبي داود بذات الإسناد[3]، ولو أنه استدل بالرواية الثابتة التي في موطأ مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر لكان مصيباً[4].

إن ذلك التخبط لا حدود له، وينمُّ عن حقد وجهل ذريع بقواعد

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب العتق، باب في عتق أمهات الأولاد، برقم (٣٩٥٤). والحديث مختلف في صحته، فقد ضعفه ابن القيم في مختصر سنن أبي داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٣٤٥.

(٢) الدائرة ٤/ ٤١٨، أم الولد، شاخت.

(٣) انظر كنز العمال ٤/ ٥١٢٦.

(٤) انظر الموطأ كتاب البيوع، باب بيع أمهات الأولاد، حديث رقم (٧٩٨).

التثبت في الأسانيد، وبعدم تطبيق أبسط الأسس العلمية في البحث على حد سواء.

إن هذا لا شك مُسقط لموضوعية الكاتب، وهو مسقط أيضاً للثقة في نقله وأحكامه.

ثالثاً: جاء في مادة ((بئر معونة)) بعد ذكر القصة المشهورة: (وقد اخترع المحدثون هذه القصة لتغطية حملة خانها التوفيق، ولإثبات كثرة عدد القراء، وشدة قدمهم، وإسباغ القداسة عليهم)[1].

قلت: أين الدليل على أنها حملة خانها التوفيق؟ ومن أين أتى بهذه المعلومة؟ وقد تقدم حرص المحدثين واستيثاقهم، فضلاً أن يخترعوا قصصاً، إن مخترعي القصص وضَّاعون يعرف حقيقتهم أئمة الحديث.

ثم أين القصة الحقيقيَّة التي علمها الكاتب دون سواه؟!

إن إنكار المستشرقين لهذه القصة يهدف إلى محاولة إنكار أن يكون حُفَّاظ القرآن بهذه الكثرة في تلك المرحلة المبكرة، ومن ثم سهولة التشكيك فيه. إن كثرة القراء مصدر إزعاج لأولئك الحاسدين، كما أن تضحيتهم في سبيل نشر دعوتهم أيضاً مصدر قلق لهم.

(١) الدائرة ٨/ ٥٦٤، بئر معونة، لامنس.

إن قصة بئر معونة مروية بأسانيد صحيحة وبطرق مختلفة وعن صحابة متعددين، فقد رواها البخاري وحده بخمسة أسانيد مختلفة، عن أنس بن مالك بأكثر من ثلاثة طرق مختلفة، وعن عائشة[١]، كما أنها موجودة في كتب السنة الأخرى وكتب السير والتاريخ، فالقصة واضحة لا غموض فيها.

إن المنهج العلمي يتطلب منه أن يبرهن على وضع المحدثين لهذه القصة، ومطلوب منه أيضاً إثبات القصة التي ادعاها.

رابعاً: جاء في مادة «التصوف» قول ماسنيون – وهو مرجعهم في التصوف:- (إذاً لا يخفى على أحد اليوم أن الحديث المشهور «لا رهبانية في الإسلام» حديث موضوع، وليس من شك أنه وُضِع في القرن الثالث الهجري على أكثر تقدير تجبيذاً وتدعيماً لتفسير جديد للآية السابعة والعشرين من سورة الحديد التي ورد فيها ذكر الرهبانية، وهو تفسير يحرمها ويعيذ الإسلام منها، وكان مفسرو القرون الثلاثة الأولى للهجرة أمثال مجاهد وأبي أمامة الباهلي، والمتصوفة القدامى الذين عُرِفوا بالحرص قد اجمعوا على تفسير هذه الآية تفسيراً يجيز الرهبانية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الجيع، ورعل، وذكوان، بئر معونة، برقم (٤٠٨٨).

ويمتدحها قبل أن يشيع التفسير المعارض الذي غَلَّبه الزمخشري على جميع التفاسير)[١].

قلت: الجواب من وجوه:

أولها: من أين أتى بهذا الكيد الجازم بوضع الحديث؟ علماً أنني لم أجد نص الحديث الذي ذكره إلا في مراسيل أبي داود[٢]، ولكن وجدت لفظاً مقارباً له، في مصنف عبد الرزاق بلفظ: «لا ترهب في الإسلام»[٣].

ثانيها: إن الكاتب يتهم بعض المفسرين المسلمين بوضع الحديث تدعيماً لآرائهم، بينما الناظر لكتابة الكاتب، وتخطيه للأسس العلمية في سبيل إثبات ما يريده، إن الناظر لذلك ليدرك أن الكاتب يتهم غيره بما وقع فيه، وصدق القائل: «رمتني بدائها وانسلت».

ثالثها: معنى الحديث المذكور جاء ثابتاً أكثر من تلك الآراء التي يدعيها الكاتب، ومن ذلك:

قول النبي ﷺ: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام)[٤].

---

(١) الدائرة ٩/ ٣٢٩، التصوف، ماسنيون.

(٢) مراسيل أبي داود برقم ٢٨٧ .

(٣) المصنف، عبدالرزاق الصنعاني ٨/ ٤٤٨ ح ١٥٨٦٠، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٨٢.

وقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون لما بلغه أنه يقوم الليل ويصوم النهار: (يا عثمان: إن الرهبانية لم تكتب علينا)[١].

وقول النبي ﷺ: (إني لم أؤمر بالرهبنة)[٢].

وقول النبي ﷺ: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى)[٣].

رابعها: التفسير بتحريم الرهبنة لم يكن مصدره الزمخشري كما جزم الكاتب؛ بل هو موجود في كتب التفسير المتقدمة على الزمخشري. ومن ذلك ما رواه ابن جرير عن قتادة: «﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها القوم من أنفسهم، ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها»،

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٢٢٦، وابن حبان أبي حاتم محمد بن حبان البستي في صحيحه ١/ ١٧٠ ح٩، ترتيب علاء الدين الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
وصححه المحقق، وقال الألباني وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، برقم (٢١٦٩)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٧٨، دار المعرفة، بيروت، دطت، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

وفي رواية أخرى عنه: «لم تكتب عليهم، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله» وروى بسنده عن ابن زيد: «ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعاً فما رعوها حق رعايتها، كانوا غير الذين ابتدعوها، ولكنهم كانوا المريدي الاقتداء بهم» كما نقل عن ابن عباس أثراً طويلاً يفيد نفس المعنى[١].

فما هو السر في حرص المستشرق على إظهار أن الإسلام يجيز الرهبنة؟ إن سبب ذلك هو شعور أولئك النصارى بفضل الإسلام وتميزه عن النصرانية بتحريم الرهبنة، والأمر بعمارة الأرض، والجمع بين الدين والدنيا في آن واحد.

خامساً: جاء في الدائرة عن تميم الداري[٢] -ﷺ-: (ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الدينية، وقصص قيام الساعة وظهور الدجال، والجساسة من هذا الفن من فنون الآداب، وقد أخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها بين الناس.

ويقال: إن تميماً شاهد بعينه هذين المخلوقين العجيبين، وتحدث

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/ ١٣٨، في تفسير سورة الحديد الآية: ٢٧.

(٢) تميم بن أوس الداري صحابي جليل كان نصرانياً فقدم المدينة وأسلم سنة تسع، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان وسكن فلسطين واشتهر بالعبادة وطول الصلاة والتهجد. مات بفلسطين. (انظر الإصابة ١/ ١٨٤)

إليهما في جزيرة في آخر العالم ألقت به إليها عاصفة هبت عليه في رحلة له ببحار الشام، وقد حبس بهذه الجزيرة الدجال والجساسة انتظاراً لليوم الذي سوف يؤذن لهما فيه بالخروج إلى الأرض، وليس من شك أن أسطورة تميم هذه نشأت في عهد سحيق؛ لأننا نجدها بجميع تفصيلاتها في أقدم كتب السنة)[١].

قلت: حديث تميم حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة بأسانيد متعددة عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ، وهو حديث طويل تضمن الحديث عن الدجال والجساسة وهما عن أشراط الساعة[٢].

والنبي ﷺ أخبر أصحابه بالدجال، وأما الجساسة فهي الدابة المذكورة في القرآن[٣]، وقد فرح النبي ﷺ لموافقة ما رآه تميم لما أخبر به أصحابه عن الدجال، ولما في القرآن من خبر الدابة.

وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ، والذي يحرص بطبيعة الحال أولئك المستشرقون على إنكاره.

---

(١) الدائرة ١٠/ ٥٩، تميم الداري، ليفي دلافيدا.

(٢) أحمد ٦/ ٣٧٣، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة برقم (٢٩٤٢)، صحيح سنن أبي داود ٤٣٢٥، الترمذي الفتن ٢٢٥٣، صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٢٤٩.

(٣) شرح مسلم للنووي ١٨/ ٧٨.

سادساً: جاء في مادة «السفينة»: (وليس بغريب أن توضع الأحاديث على لسان النبي فيما بعد، بعد أن تبينت في النهاية قيمة الملاحة في السلم والحرب، وكلها تبيح بشكل قاطع التجارة بحراً، وتشيد بفضل الاستشهاد في البحر) ثم استشهد على صحة كلامه بحروب المسلمين في صدر الإسلام حين كانت الحرب برية، وعلى تردد عمر في الغزو في البحر، ومعاقبته لبعض قواده لما غزوا بحراً بغير إذنه[١].

قلت: ورد حديث في فضل الغزو في البحر وهو ثابت غير موضوع بل هو في الصحيحين، ونصه: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يضحك، فلما سُئل عن ذلك، قال: (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج[٢] هذا البحر ملوكاً على الأسرة) فقالت أم حرام بن ملحان: يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت من الأولين)[٣]، فوقع كما أخبر ﷺ وركبت أم حرام البحر مع زوجها في زمن عثمان إبان إمارة معاوية[٤].

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٤٦١، السفينة، كندرمان.

(٢) أي ظهره.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة، برقم (٢٧٨٨)، و(٢٧٨٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب في فضل الغزو في البحر، برقم (١٩١٢).

(٤) شرح مسلم للنووي ١٣/ ٥٩ الإمارة ١٦٠.

وقد جاء الحديث تحت عنوان: «باب فضل الجهاد في البحر» في سنن النسائي بإسناد صحيح[١]، وتحت عنوان: «فضل غزو البحر» في سنن ابن ماجة بإسناد صحيح[٢].

ولعل السر في محاولة المستشرق إنكار هذا الحديث هو ما تضمنه من دلائل لنبوته ﷺ.

أما فعل عمر -رضي الله عنه- فهو اجتهاد منه خوفاً على المسلمين من الغرق حينما كان عدوهم متفوقاً عليهم بحراً، ولم تكن الضرورة تستدعي ذلك في وقته الذي توسعت فيه الدولة الإسلامية كثيراً من غير احتياج إلى البحر.

والمستشرق احتج بما روي عن عمر -رضي الله عنه- مع أن الحديث في فضل الغزو في البحر أصح مما استشهد به، وهو مطالب بالتفريق بين ما يحكم عليه بالوضع، وبين ما يحتج به.

سابعاً: جاء في مادة «شهيد»: (والشهداء تغفر لهم كل ذنوبهم، فلا يحتاجون لشفاعة النبي عليه السلام، بل هم في الأحاديث المتأخرة يظهرون شفعاء لغيرهم من الناس)[٣].

---

(١) صحيح سنن النسائي للألباني برقم ٢٩٧٣.

(٢) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي برقم ٢٨٠٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) الدائرة الأولى ١٣/ ٤٢٨، شهيد، بيوركمان.

قلت: يكفي في الرد عليه بأن شفاعة الشهيد لغيره وردت في أحاديث صحيحة في سنن أبي داود وابن ماجة[١].

ثامناً: جاء في مادة أم الولد: (وقد تكون الرواية التي ذهبت إلى أن النبي اعترف بابن مارية بعد تردد طويل، معقولة من ناحية موضوعها، وإن كانت غير معقول من ناحية الصيغة التي وردت فيها)[٢].

هذه الرواية التي يشير إليها الكاتب هي: أن قبطياً كان يأتي مارية القبطية بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب فوجده مجبوباً، وولدت مارية إبراهيم فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن النبي ﷺ إلى ذلك[٣].

فالكاتب يريد من الرواية تردد النبي ﷺ، وعدم اطمئنانه أولاً، ولا يريد مجيء جبريل إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا يريد أن يُسلِّم بما يدل على نبوته ﷺ.

وقد اعتدنا على ما يمارسه كُتَّاب الدائرة في انتقائهم لما يريدون من الأحاديث والحكم عليها بالصحة، وردهم لما لا يشتهون وحكمهم

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الجهاد، باب الشهيد يشفَّع، برقم (٢٥٢٢)، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم (٢٧٩٩)، وصحح الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجه، برقم (٢٢٥٧).

(٢) الدائرة ٤/ ٤١٨، أم الولد، شاخت.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٥٤ – ١٥٥.

عليه بالوضع، حتى لو كان أثبت مما احتجوا به، ولكن أن يصل الأمر إلى ذات الحديث الواحد، تناقض صارخ، فإما أن يدع الرواية ولا يستشهد بها، وإما أن يسلم بجميع ما فيها، إنه التشهي والهوى، وهذه طريقة قديمة لأهل الكتاب ذكرها الله في القرآن حيث قال: سبحانه لهم: ﴿.... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[١].

قال ابن القيم معلقاً على هذه الآية: «فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء: التشهي، فيقول أحدهم لصاحبه: لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان موافقاً لما تهواه وتشتهيه قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك، وهذا الاحتجاج مفحم للخصم لا جواب عليه البتة»[٢].

تاسعاً: جاء في الدائرة: (ويقال إنه كانت في القرآن في أول الأمر آية كالآية التي يعترف بها عمر بن الخطاب، وتسمى آية الرجم: [إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله]، ومن المستبعد أن تكون

---

(١) البقرة الآية: ٨٧.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ١٤٤.

هذه الآية صحيحة، ومن البين أن الأحاديث المتعلقة بها، وذكر اسم عمر بصددها، كل ذلك لا يخلو من غرض، ومهما يكن من شيء، فإن الروايات التي تقول: إن النبي ﷺ طبق حكم الرجم لهي أيضاً روايات غير جديرة بالثقة)[١].

قلت: الآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وقد تقدم الكلام عن النسخ[٢]، وقد عمل بهذه الآية النبي ﷺ ورجم ماعزاً وغيره، ونُقل ذلك متواتراً، وقد روى رجم ماعز من الصحابة خمسة عشر نفساً[٣].

قال الرافعي[٤]: «والرجم مما اشتهر عن النبي ﷺ في قصة ماعز والغامدية واليهوديين، وعلى ذلك جرى الخلفاء بعده فبلغ حد التواتر». وقد وافقه ابن حجر[٥].

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٤١٢، زنا، شاخت.

(٢) انظر صـ ٤٠٥.

(٣) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة لابن الزبيدي ١٥٦.

(٤) هو عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني الشافعي ٥٥٧ - ٦٢٣هـ من أئمة الشافعية، ومن علماء الحديث والتفسير، وله المؤلفات الكثيرة المتنوعة. (انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١١٩).

(٥) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤/ ٥٨، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت، نقلاً عن فتح العزيز للرافعي.

وقال الكمال ابن الهمام[١]: «ثبوت الرجم عن رسول الله ﷺ متواتر المعنى»[٢].

وأما الغرض الذي يكثر تردده في الدائرة فلا يجوز رمي الناس به إلا بدليل، وكل إناء بما فيه ينضح.

عاشراً: جاء في الدائرة في مادة «أبو أيوب» الأنصاري: (ويُروى عن أبي أيوب مائة وخمسون حديثاً، ولكن عدداً قليلاً منها [ثلاثة عشر حديثاً في الجملة] هو الذي يسلم البخاري ومسلم بصحته)[٣].

قلتُ: من المعلوم لكل من له أدنى علم بالحديث النبوي أن البخاري لم يستوعب في كتابه كافة الأحاديث الصحيحة، بل ترك أحاديث كثيرة صحيحة أقر بصحتها لم يخرجها في كتابه؛ لأنه كما هو ظاهر من عنوان كتابه «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»[٤] إنما أراد الاختصار.

---

(١) هو محمد بن عبدالواحد السيواسي، من أئمة الحنفية، وكان عالماً بالتفسير والفرائض وعلوماً شتى وكان مقرباً من الملوك وأرباب الدولة، توفي بالقاهرة سنة ٨٦١هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٥٥)

(٢) شرح فتح القدير، محمد بن عبدالواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي ٥/ ٢٢٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

(٣) الدائرة ١/ ٤٢٣، أبو أيوب، مور تمان.

(٤) انظر توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر، طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي ٨٨،=

بل وصرح البخاري نفسه بذلك حيث قال: «لم أُخرِّج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر»[١].

فلم يكن غرضه جمع الصحيح كله، وإنما تأليف كتاب مختصر، كما هو معلوم من سبب تأليفه عندما اقترح إسحاق بن راهويه عليه ذلك[٢].

ونفس الأمر بالنسبة للإمام مسلم. قال الإمام النووي عن البخاري ومسلم: «ولم يستوعبا الصحيح ولا التزماه»[٣].

وقال ابن كثير: «إن البخاري ومسلم لم يلتزما بإخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما صححا أحاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده»[٤].

=المكتبة العلمية، المدينة النبوية، دطت. نقلاً عن السيوطي في التوشيح.

وانظر أيضاً: الحديث النبوي، د. محمد الصباغ ٣٦٤، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

بينما لا يذكر ابن حجر لفظ مختصر انظر المقدمة ١٤/٨.

(١) مقدمة فتح الباري ٧.

(٢) مقدمة فتح الباري ٧.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي ١/ ٩٨، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٤) الباعث الحثيث لابن كثير ١٨ - ١٩.

وأما ما يتعلق بمرويات أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- فإن البخاري أخرج له ثلاثة عشر حديثاً، أخرجها جميعاً مسلم، وزاد عليها خمسة، فيكون ما في صحيح مسلم ثمانية عشر حديثاً، فالعبارة تحتاج إلى تعديلين:

الأول: يستبدل الصحة بالإخراج في الصحيح.

الثاني: يشار إلى اتفاق البخاري ومسلم على إخراجها، لتكون العبارة: «وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج ثلاثة عشر حديثاً لأبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-.

وأخيراً فهذا غيض من فيض، والأحاديث الصحيحة التي ينفيها كُتَّاب الدائرة كثيرة تُكلم عنها في مواطن أخرى[1].

* * *

(١) انظر ذلك في الصفحات ٢٢٩، ٤٦٤، ٦٣٨، ٧٤٤، ٨١٧.

المبحث الخامس

طعن الدائرة في السيرة النبوية

-الطعن الإجمالي في السيرة.

- اتهام النبي ﷺ بالجور في توزيع الأموال.

- اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والهوى.

- اتهام النبي ﷺ بالتحايل ونقض العهود.

- اتهامات متفرقة.

تمهيد:

جاء في الدائرة الطعن الإجمالي والتفصيلي في السيرة النبوية تارة بالتشكيك في رواياتها، وتارة بتشويهها لغرض لا يخفى، وهو الطعن في نبوته ﷺ.

وهذا المسلك قد سلكه كافة المكذبين بالرسل عليهم السلام -كما جاء في القرآن الكريم- ابتداء من نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، وهذه نماذج من ذلك:

نبي الله نوح -عليه السلام- يقول له المكذبون من قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ونبي الله هود -عليه السلام- يقول له المكذبون من قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[2].

وفرعون مصر يقول لموسى -عليه السلام- ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾[3].

والمكذبون بعيسى -عليه السلام- يزعمون أن ما جاء به هو من قبيل السحر،

---

(١) الأعراف الآية: ٦٠.

(٢) الأعراف الآية: ٦٦.

(٣) الإسراء الآية: ١٠١.

فقال سبحانه تعالى لعيسى ﷺ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

وقد فعل المكذبون من قريش مع النبي ﷺ مثل ذلك، فسلّى الله نبيه بقوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[٢].

فالمكذبون بالرسل لا يتورعون عند فقدان الحجج عن تشويه سمعة الرسل الصادقين والتكذيب بفضائلهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٣].

وتشويه كُتّاب الدائرة لسيرة نبينا ﷺ ليس بمستغرب، إذ فعلوا ذلك مع أنبياء الله تعالى، بل حتى مع أنبيائهم، كما هو مسطر في كتبهم المحرفة، ومن ذلك:

- اتهام نبي الله نوح ﷺ بشرب الخمر[٤]!.
- اتهام نبي الله لوط ﷺ بالسكر، ومضاجعة ابنتيه، وفعل الفاحشة بهما[٥].

---

(١) المائدة الآية: ١١٠.

(٢) الطور الآية: ٢٩ – ٣٠.

(٣) الذاريات الآية: ٥٢.

(٤) سفر التكوين ٩/ ٢٠ – ٢٧.

(٥) سفر التكوين ١٩/ ٣٠ – ٣٨.

- اتهام نبي الله داود ﷺ بنكران الجميل، ذلك بعد أن أكرمه ملك فلسطين «أخيش» وأعطاه أرضاً ليسكن فيها وجنوده، فيجازيه داود بالإغارة على القرى وقتل جميع سكانها، ثم كذب على الملك بعد ذلك وزعم أنه أغار على ملك يهوذا، بل وكرر الخديعة مرات عديدة[١].

- اتهام داود -ﷺ- أيضاً بقتل أحد قواده من أجل التزوج بزوجته، التي أعجبته عندما رآها في السطح عارية تستحم، فأمر أن يجعل زوجها في مقدمة المقاتلين في الحرب ليُقتل، وقد سُرَّ داود بمقتله، ومن ثم تزوجها[٢].

- اتهام نبي الله سليمان -ﷺ- بالبطش بأخيه «أدونيا» واغتياله خشية أن يطلب الملك لنفسه[٣]!.

إنهم - وهم بهذه الصفة - غير مؤهلين للكتابة عن أنبياء الله - عليهم السلام-.

---

(١) سفر صمويل الأول ٢٧.

(٢) سفر التكوين الثاني ١١/ ٢٦.

(٣) سفر الملوك الأول ٢/ ٢٣ - ٢٥.

وطعن مستشرقي الدائرة في سيرة النبي ﷺ ليست الأولى ولا الأخيرة بل هي حلقة من سلسلة مستمرة يؤججها تعصبهم وحقدهم على دين الإسلام.

وقد سلكوا مسلك المكذبين الأوائل من بين قومهم في قذف النبي ﷺ بكل قبيح، ومن ذلك:

قول المسيو كيمون[١]: «إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور، ويجمع بين القبائح، وما قبر محمد في مكة! إلا عمود كهربائي بيت الجنون...»[٢].

وقول جوليان[٣]: «إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن

---

(١) في كتابه «ميثولوجيا الإسلام». وانظر إلى قوله: (وما قبر محمد في مكة إلى عمود كهربائي يبث الجنون) لتدرك أي جهل يغلف هؤلاء الأدعياء بأنهم مختصون بالدراسات حول الإسلام!.

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعمادالدين خليل في مجلة البعث الإسلامي الصادرة بالهند عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص١١٣.

(٣) مؤرخ فرنسي قال ذلك في كتابه «تاريخ فرنسا».

يُخضعوا العالم وأن يُبدِّلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى»[١].

ويصف المونيسنيور كولي[٢] بأن النبي ﷺ: «تساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب» ويقول واصفاً نهاية الحروب الصليبية: «وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من القوانين الساذجة»[٣].

كما جاء في موسوعة «لاروس»[٤]: «بقي محمد مع ذلك ساحراً ممعناً في فساد الخلق، لص نياق، كردينال[٥] لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية، فاخترع ديناً جديداً لينتقم من زملائه، واستولت القصص الخيالية والخليعة على سيرته»[٦].

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعمادالدين خليل في مجلة البعث الإسلامي عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص١١٣.

(٢) في كتابه «البحث عن الدين الحق».

(٣) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعمادالدين خليل في مجلة البعث الإسلامي عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص١١٣.

(٤) خلال عرضها لآراء كتاب المسيحية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من النبي ﷺ.

(٥) رتبة كنيسة دون البابوية.

(٦) حياة محمد لهيكل ٢٩.

يقول برنار لويس: «وقد أوجد الغرب كذلك أساطيره عن محمد وشخصيته من الأخطاء غير المعقولة التهجمات الجدلية البذيئة والطعن الساخر في القرون الوسطى..... بتصوير النبي كشيطان أو إله دجال وانتهت إلى وضعه رئيس الهراطقة الذي وضعه دانتي»[(١)].

فالمستشرقون الحاقدون في الدائرة هم امتداد طبيعي لأولئك القوم؛ وهم جميعاً خَلَفٌ للمشركين الأوائل الذين نعتوا النبي ﷺ بكل قبيح فقال الله عنهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾[(٢)].

فالتناقض دأب الجميع، وهذه نماذج من مفتريات المعاصرين المتناقضة:

في تعليلهم لظاهرة الوحي الرسالة يقول «هنري باسية»: «والرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه في وضعية بائسة، وهذه كانت حالة محمد في فترة ما»[(٣)].

---

(١) العرب في التاريخ، برنارد لويس ٦٢.

(٢) الذاريات الآيات: ٨ — ١٠.

(٣) الإسلام هنري ماسية ٢٤ — ٢٥.

بينما يجعل «نولد كه» سبب الوحي النازل على النبي ﷺ والدعوة التي قام بها بسبب ما كان ينتابه من الصرع!، ويرد «غويه» بأن هذا ليس بصحيح؛ لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة، و محمد كان يتذكر كل ما يسمعه[(١)].

ونجد «روم لاندرو» يجعل لقاء النبي ﷺ بجبريل من قبيل الرؤيا، وينفي الصرع «لأن المصروع لا يملك وعيه بحيث يمكنه أن يتحدث بمثل تلك المقاطع المعقدة»[(٢)].

بينما يزعم «شبرنجر» أنها ليست صرعاً ولكنها نوبات هيسترية، ويرد «هورجونيه» أنها ليست كذلك![(٣)].

بينما نجد سيديو[(٤)] يزعم أنه نوع من الخيال![(٥)].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.

(٢) الإسلام والعرب، روم لاندرو ٣٢ – ٣٣.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.

(٤) جان جاك سيديو ١٧٧٧ – ١٨٣٢م مستشرق فرنسي تخصص في علم الفلك عند العرب وكتب عن تاريخ العرب مبيناً فضلهم على الحضارة الغربية (المستشرقون للعقيقي ١/ ١٦٩).

(٥) تاريخ العرب العام، ل.أ.سيديو ٨٦، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

بينما نجد «مارجليوث» يزعم أن النبي ﷺ يمارس الشعوذة، وأن له مجالس سرية أشبه بالمحافل الماسونية![١].

ونموذج آخر: نجد أن «بينه سانغله» يقول إن النبي ﷺ كان سيء الغذاء صابراً على الجوع متقشفاً وأنه مات من الضعف![٢].

بينما يزعم «هيار» أنه مات بذات الجنب![٣].

بينما نجد أن «لامنس» ينسب للنبي ﷺ الإكثار من الطعام والشراب، والشرة والاسترسال في اللذات البدنية، وأنه مات بالبطنة![٤].

وصدق الله العظيم إذ يقول عن أهل الكتاب: ﴿.... قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ...﴾[٥].

يقول «دينيه» بعد أن ساق التناقضات والافتراءات على النبي ﷺ: «وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء الممحصين بزعمهم يطول بنا الأمر، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة ولا

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.

(٤) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

(٥) آل عمران الآية: ١١٨.

يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السيرة النبوية التي كتبها العرب»[(١)].

وقد نبه بعض المستشرقين إلى تعدي إخوانه حدود الموضوعية؛ إن لم يكونوا نسفوها بالكلية عند حديثهم عن سيرة النبي ﷺ، ومن ذلك ما قاله درمنجهم: «من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين – من أمثال موير، ومرجليوث، ونولدكه، وشبرنجر، ودوزي، وكايتاني، وقولد زيهر ... – في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ... ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامنس الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصباً وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً من القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما، بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر»[(٢)].

ويقول مونتقمري وات: «ليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُط من قدرها في الغرب كمحمد، فقد أظهر الكُتَّاب الغربيون ميلهم لتصديق

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

(٢) المستشرقون والسيرة والنبوية، عمادالدين خليل، مقالة ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٢٥٧ – ٢٥٨ بتصرف.

أسوأ الأمور عن محمد، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع قبلوه»[١].

المطلب الأول: الطعن الإجمالي في سيرته ﷺ:

جاء في الدائرة التكذيب بجملة السيرة النبوية، وذلك لنفي فضائله ﷺ وجحد معجزاته، فقد جاء في مادة السيرة عن السيرة: (هي الترجمة للروايات الخاصة بحياته أسوة بسير الملوك البهلوية... كما انصُرِف إلى تخليد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية، تلك المغازي التي اشترك فيها المسلمون تحت راية قائدهم الذي كان جل أتباعه ينظرون إليه نظرتهم إلى أمير استطاع بفضل حكمته وشجاعته المؤيدتين بروح من الله، أن يحرز من آيات النصر أروعها وأعظمها أثراً في النفوس، وإن كان لا يختلف في خلقه اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية) حتى قال: (فليست هذه المغازي إلا استمراراً لأيام العرب)[٢].

وجاء أيضاً: (إن السيرة يرجع أصلها إلى التحول الذي طرأ على شخصية محمد في ضمير المسلمين الديني، وإلى الأثر الحاسم الذي أحدثته عناصر مختلفة بعينها في هذا التحول، وإلى شيء آخر فوق هذا

---

(١) محمد في مكة لمونتقمري وات ٩٤.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٣٩ – ٤٤٤، السيرة، ليفي دلافيدا.

كله، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية، ورغبتهم في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة منشئ هذين الدينين قد شجعاهم على وضع تلك القصص التي حاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده، بل قبل مولده إلى وفاته وبدلتها تبديلاً، ذلك أن النبي الذي أعلن بصريح العبارة في خلال حياته الفانية أنه إنما يعد نفسه بشراً كسائر البشر، قد أصبح في النهاية يمثل الصورة الظاهرة لكمال الخلق الإلهي، وغدت حياته أشبه بنسخة من حياة موسى وعيسى، أُسبغ على أدق تفاصيلها طابع الوحي والخوارق، فكيف نفسر التوسع الذي نمت خطوطه العريضة فيما يظهر بعد النبي بقرن واحد فحسب)[1].

كما جاء في الدائرة أيضاً: (وقد حلل «لامنس» في سلسلة من المقالات الأطوار التي مرت بها السيرة في تأليفها بلغ به المدى، ذلك أن هذا العالم الجزويتي[2] تصدى لإثبات أن البناء الكامل للرواية الإسلامية عن حياة النبي في مرحلتها السابقة على الهجرة على الأقل لا سند له بحال. فكل حادث ترويه السيرة، وكل تفصيل تاريخه مزعوم ليس إلا

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٦ - ٤٤٧، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٢) أي اليسوعي.

نتيجة لتفسير ذاتي لآية من القرآن استنبط منه أصحاب مدرسة المدينة – حيث كانت الغيرة الدينية في المحافظة على ذكر النبي قائمة تضطرم بها نفوس أهل المدينة – الذين مال بهم التقى عن السبيل الذي كان ينبغي أن تسير فيه حياة النبي، مستعينين في ذلك بشتى التوفيقات الفقهية وبالأصول الدخيلة، فلا تجد للحوادث التي رووها سنداً من الرواية التاريخية.

وهكذا تصبح السيرة في حادثها مجرد «مدرش قرآني»[١] كبير وضع لتمجيد النبي، ودعم هذا المذهب أو ذاك من المذاهب الدينية أو السياسية)[٢].

وجاء فيها كذلك: (أدى توقير المسلمين المطرد لشخصية النبي إلى نمو أسطورة حول شخصيته تتسم بطابع سير القديسين عند المسيحيين)[٣].

وجاء في الدائرة بعد سرد لسيرة وجبروت الملك الجاهلي جذيمة بن الأبرش الوضاح: (ولم يأذن جذيمة بتزويج أخته من عدي اللخمي إلا

(١) معناها كما ذكره آنفاً: أي محاولة لتفسير القرآن باختلاق القصص.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٨، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٩، السيرة، ليفي دلافيدا.

وهو سكران. وهذا حادث مستملح وجد مكاناً حتى في سيرة محمد)[١].

قلت: هذا الكلام مخالف للمنهج العلمي، كما أنه مشحون بالأباطيل، والرد عليه من وجوه عدة:

أولها: وهو رد عام لجملة كلام المستشرقين في هذا الباب- إن الإيمان بالغيب والتصديق بالوحي ضروري لفهم السيرة النبوية، أو على الأقل احترام نبوته ﷺ، كيف لا !، والنبوة هي التي أعطت السيرة أهميتها، وإن غياب هذا العامل في أي بحث أو دراسة سيؤدي إلى نتائج خاطئة، «إن وقائع السيرة هي بمثابة التشكيل التاريخي والواقعي لعقيدة الإسلام: قرآناً وسنة ورصيداً تشريعياً، وبما أنها البيئة الزمنية والمكانية لفاعلية محمد ﷺ النبي المبعوث من الله سبحانه للعالم جميعاً، فإنه يصعب من الوجهة الإسلامية اعتبارها مسألة تاريخية صرفة تخضع لأساليب النقد والتحليل التي تعامل بها مراحل التاريخ المختلفة»[٢] دون اعتبار لظاهرة الوحي.

فإذا اجتمع مع العامل الأول الحقد والضغينة، واتخاذ مواقف مسبقة،

---

(١) الدائرة ١١/ ١٤٦، جذيمة، قاوار.

(٢) بحث: المستشرقون والسيرة والنبوية عمادالدين خليل ١/ ١٢٠، ضمن مناهج المستشرقين.

فإن النتائج ستكون مُدمِرة، والدراسة مشوهة ممجوجة كما هو واضح في الكتابات التي تعالج في هذا المبحث.

إن الدراسة العلمية الموضوعية الجادة لسيرة النبي ﷺ لابد أن تسفر عن احترامه ﷺ، وتقدير جهوده، والاعتراف بدوره في خدمة الإنسانية، وإذا اقترنت بتوفيق الله ثم حسن التوجه، فإنها ستؤدي إلى إسلام صاحبها لا شك.

ثانيها: إن هذا الكلام فيه من الجرأة والافتراء ما يعجب له أي منصف، فقد أطلق الكاتب عنان قلمه بنقض بدهيات المسلمين بغير دليل أو برهان؛ ولو صح هذا أو ساغ لقال من شاء ما شاء، وفي الكلام السابق جملة من الادعاءات التي يحتاج كل منها إلى الأدلة والبيانات، وهي:

أولا: التشكيك في السيرة بجملتها، وأن المرحلة المكية على الأقل لا سند لها بحال.

ثانياً: أن السيرة أطلقت على النبي ﷺ أسوة بسير الملوك البهلوية.

ثالثاً: أن المغازي إنما خلدت تقليداً للعرب في الجاهلية، ليس لأنه نبي يُقتدى به.

رابعاً: التأثير المسيحي واليهودي حيث أن المسلمين خلدوا سيرة نبيهم رغبة في مشابهته بموسى وعيسى -عليهما السلام-.

خامساً: أن هذا الأمر شجعهم على وضع القصص التي بدَّلت حقيقة السيرة، وأضفت طابع الوحي عليها، وأن توقير المسلمين للنبي ﷺ هو الذي أدى إلى نمو أسطورة حول شخصيته، وأن الغيرة الدينية والتقى اللذين كان يتحلى بهما أصحاب مدرسة المدينة كان لهما دور في ذلك مستعينين في ذلك بشتى التوفيقات الفقهية وبالأصول الدخيلة، فلا تجد للحوادث التي رووها سنداً من الرواية التاريخية.

سادساً: أن كل حادث ترويه السيرة بل كل تفصيل تاريخي ليس إلا نتيجة لتفسير آية من القرآن.

سابعاً: صلة جذيمة وسكره بسيرة النبي ﷺ.

إن هذه كلها دعاوى، وكل دعوى بغير برهان فلا قيمة لها.

ثالثها: إن كاتب المقال نصراني، ولو آمن بعيسى عليه السلام حق الإيمان ما تجرأ على قول ما قال في محمد ﷺ، ذلك أن سيرة عيسى عليه السلام ليصدق عليها ما قاله في سيرة محمد ﷺ، بل أبلغ من ذلك، والمسلمون يؤمنون بعيسى عليه السلام، وأنه نبي معصوم بل هو من أولى العزم من الرسل الذين قال الله عنه في القرآن: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1]، فلو استقام منهجه

(١) الأحزاب الآية: ٧.

لصح أن يقول اليهود وغيرهم ممن لا يؤمن بنبوة عيسى: إن سيرة عيسى لم تكن كما نقل، وما نقل عنه من معجزات إنما هي من اختراع أتباعه الذين حاولوا إضفاء مسحة من التمجيد على سيرته، بل كلها من وضع النصارى الذين غالوا في حبه، وساعد على ذلك رغبتهم في وضع نبيهم في كفة الأنبياء السابقين كإبراهيم وإسحاق وسليمان وموسى!.

إن إطلاق الكلام على عواهنه لا يعجز عنه أحد، ومن المعلوم أن سيرة محمد ﷺ أثبت نُقلاً وأظهر إعجازاً من سيرة عيسى -عليه السلام-، يعلم ذلك كل دارس منصف.

إن سيرة النبي ﷺ نقلت باستفاضة واشتهار، مدعمة بأسانيد متواترة ومشهورة، نقلت تفاصيل حياته ﷺ، وقد دوَّن تلك الحقيقة المؤرخون الغربيون أنفسهم حيث يقول «جون ديون» في كتابه الذي تحدث فيه عن الفاتحين والمشرعين: «لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين، والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله أكثر تفصيلاً، وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله»[1].

ويقول رينان: «إن الإسلام خلافاً لغيره من الأديان التي كانت نشأتها

---

(١) المستشرقون والقرآن الكريم، محمد صدرالحسن الندوي، مقالة ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٤١٦.

محاطة بالغموض ولد في وضح نور التاريخ، فجذوره ليست خفية في باطن الأرض، وحياة مؤسسة معروفة عندنا معرفة حياة المصلحين في القرن السادس عشر»[١].

رابعها: تردد الكاتب في الأسباب التي دفعت بالمسلمين لتخليد السيرة حيث يزعم تارة أن المسلمين وضعوا في ذلك الروايات المكذوبة أسوة بسير الملوك البهلوية! وأخرى يزعم أنهم فعلوا ذلك على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية! وثالثة يزعم أنهم صنعوا ذلك محاكاة لليهود والنصارى! ورابعة يزعم عوامل مختلفة أدت إلى نشوء السيرة! وفي هذا تناقض، وقد ذكر كل ذلك ولم يشر -حتى ولو احتمالاً- إلى السبب الحقيقي لذلك، وهو: أن المسلمين نقلوا سيرة النبي ﷺ بعناية وتثبت؛ لأنه رسول من عند الله تجب طاعته ويجب الاقتداء به.

خامسها: إن جوهر دعواه هو: وضع المسلمين للسيرة بدافع محبة النبي ﷺ وتمجيده. وأقول: إن أي مطلع على سيرة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ليدرك يقيناً أنهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك، بل تواتر ما يدل على صدقهم وزهدهم وتشديدهم في نقل سنة النبي فضلاً عن الكذب عليه، وقد روى أصحاب المصنفات كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن

(١) العرب في التاريخ، برنارد لويس ٤٦.

الأربعة وغيرهم السيرة كما نقلوا أحاديث العقائد الأحكام سواء بسواء، كما أن الناظر للقواعد والضوابط التي يتبعها المحدثون في قبول الروايات ليعلم أن كلام الكاتب ضرب من الخيال، فقد محص العلماء كل ما نقل عن النبي ﷺ، وبينوا ما صح من ذلك، وما هو دونه كالحسن، وما هو ضعيف يعتضد بغيره، وما هو باطل وموضوع[١].

سادسها: ما ذكره الكاتب بشأن جذيمة[٢]، وتزويجه أخته وهو سكران، فهو كلام مبتور يدل على منهج القوم، وقد علق عليه أحمد شاكر بقوله: «لا ندري إلى من يرمي كاتب هذه المادة، ولم نجد إشارة في سيرة رسول الله ﷺ إلى شيء مما يتصل بأخبار جذيمة، والمصادر بين أيدينا متوفرة، ولسنا نرى موضعاً للمناسبة بين السيرة وبين هذه الأخبار»[٣].

إن أولئك القوم الذين اتهموا نبي الله نوحاً ولوطاً عليهما السلام بالسكر[٤] لا يستغرب منهم الزج بسيرة نبينا ﷺ في تلك القصة.

---

(١) سبق الكلام عن اهتمام العلماء بالحديث وتمحيصهم له انظر صـ ٥٥٧ – ٥٦٤.

(٢) هو جذيمة بن مالك القضاعي يقل له الأبرش والوضاح لبرص فيه، هو ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق حكم في القرن الرابع قبل الهجرة كان من أعز ملوك تلك الدولة، قضى على ملك عمرو بن الضرب أبي الزباء وقتله، وعرضت عليه الزباء الزواج وقتلته غيلة ثأراً لأبيها. (انظر الأعلام للزركلي ٢/ ١١٤)

(٣) الدائرة ١١/ ١٤٦، جذيمة، تعليق أحمد شاكر.

(٤) سفر التكوين ٩/ ٢٠ – ٢٧، ١٩/ ٣٠ – ٣٨.

المطلب الثاني: اتهام النبي ﷺ في توزيع الأموال:

ساق «شاخت» بعض الحوادث التاريخية بطريقة يُفهم منها أن النبي ﷺ لم يتصرف التصرف المناسب في صرف الأموال فقد قال في الدائرة: (وقد أثار تصرف النبي في الصدقات نقداً من جانب المؤمنين، فقد اعترض البعض اعتراضاً شديداً لما أراد النبي بعد فتح مكة أن يتألف قلوب بعض سادات قريش بأن أعطاهم من أموال الزكاة حتى يرضوا بالنظام الجديد)[1].

كما قال: (وأخيراً فإن النبي عليه السلام لم يستعمل ما يتحصل عليه من جملة الصدقات لمساعدة المحتاجين فحسب؛ بل هو استعمله خصوصاً عند الضرورة في الإنفاق على مشروعاته الحربية، وفي أغراض سياسية أخرى) [2].

قلت: بيان هذا الكلام والرد عليه من وجوه عدة:

أولها: ما أشار إليه الكاتب كان بعد غزوة حنين التي تلت فتح مكة، وليس الموضوع متعلقاً بالزكاة، وإنما بالغنائم التي غنمت بعد هذه الغزوة فقد ثبت

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، زكاة، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، زكاة، شاخت.

في الصحيحين: أن رسول ﷺ أصاب غنائم كثيرة فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن نُدعى، ويعطى الغنائم غيرنا، فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال: يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: (لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار) متفق عليه[1].

ثانيها: أن هذا الاعتراض ليس من أفعال المؤمنين، وإنما هو مخالفة رجع عنها الأنصار بعد كلام رسول الله ﷺ كما في الحديث السابق، كما أن المعترضين كانوا من صغار الأنصار. يدل عليه قول الأنصار لما قال لهم رسول الله ﷺ: (ما حديث بلغني عنكم، فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله ﷺ فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريش ويتركنا ..الحديث) متفق عليه[2].

وبعض المعترضين لم يكونوا من أصحاب الإيمان كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب الطائف في شوال سنة ثمانية برقم (٤٣٣٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم برقم (١٠٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣١)، ومسلم كما سبق بيانه في الحديث السابق.

حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمِيَّة) رواه مسلم[1].

فهذا الرجل لم يقل عنه النبي ﷺ: إنه لا يستحق القتل؛ بل ترك قتله لمصلحة أعظم، وهي: تأليف الناس؛ لذا جاء البخاري بحديثه في كتاب «استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم» تحت باب « من ترك قتال الخوارج للتآلف ولئلا ينفر الناس عنه» وساق حديث أبي سعيد المقارب للحديث السابق[2]، فهذا وأمثاله قد أظهروا من العبادة مما يجعل في قتلهم فتنة وتنفيراً للناس عن الإسلام، وإلا فاعتراضه على النبي ﷺ، واتهامه بعدم العدل يناقض رسالته ﷺ، وهذا معلوم في كافة الشرائع السماوية، لذا قال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق.

ووصْفُ «شاخت» للمعترضين على النبي ﷺ بـ«المؤمنين» ليس من

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٣).

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المرتدين حديث رقم (٦٩٣٣).

عادته في وصف الصحابة، ولكنه فعل ذلك لما فيه من تجريح للنبي ﷺ.

ثالثها: أن النبي ﷺ لم يكن يعطي على إيمان الرجل وبلائه، كما أن الحكمة من هذا العطاء ليس لمجرد الرضا بالنظام الجديد؛ وإنما ليهديهم الله للإسلام ظاهراً وباطناً، لذا قال النبي ﷺ للأنصار: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم) رواه البخاري[1]، وفي رواية لمسلم: (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم)[2].

فليس العطاء للإيمان، وإنما لتلك المصلحة العظيمة، قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إلي، فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت: يا رسول الله ﷺ مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال: (أو مسلماً)، فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه فقلت: يا رسول الله ﷺ ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال (أو مسلماً)، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال (أو مسلماً) قال: (إني لأعطي الرجل، وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم (٤٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، برقم (١٠٥٩).

يُكبَّ في النار على وجهه)[1].

كما أن هذا العطاء ليس من نصيب المحاربين الذين أخذوا نصيبهم، بل هو مما خص الله به رسوله ﷺ، قال ابن القيم: «وهذا العطاء الذي أعطاه النبي ﷺ لقريش، والمؤلفة قلوبهم، هل هو أصل الغنيمة أو من الخمس، أو من خمس الخمس؟ فقال الشافعي ومالك هو من خمس الخمس، وهو سهمه ﷺ الذي جعله الله له من الخمس، وهو غير الصفي وغير ما يصبه المغنم؛ لأن النبي ﷺ لم يستأذن الغانمين في تلك العطية، ولو كان العطاء من أصل الغنيمة، لاستأذنهم؛ لأنهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها، وليس من أصل الخمس؛ لأنه مقسوم على خمسة، فهو إذا من خمس الخمس. وقد نص الإمام أحمد على أن النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة، وهذا العطاء هو من النفل، نفل النبي ﷺ به رؤوس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومه على الإسلام، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس، والربع بعده، لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله، واستجلاب عدوه إليه، وهكذا وقع، كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم: لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الخلق إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، برقم (١٤٧٨)، ومسلم في كتاب الزكاةب، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، برقم (١٥٠).

فما ظنك بعطاء قوّى الإسلام وأهله، وأذل الكفر وحزبه، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا، غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم؛ فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم، فلله ما أعظم موقع هذا العطاء، وما أجداه وأنفعه للإسلام وأهله!.

ومعلوم أن الأنفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الأمر، فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة، لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل، ولمَّا عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي وأضرابه عن هذه المصلحة والحكمة، قال له قائلهم: اعدل فإنك لم تعدل. وقال مشبهه: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، ولعمر الله إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله، ومعرفته بربه، وطاعته له، وتمام عدله، وإعطائه لله، ومنعه الله، ولله سبحانه أن يقسم الغنائم كما يحب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة، وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم، وله أن يسلط عليها ناراً من السماء تأكلها، وهو في ذلك أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين، وما فعل ما فعله من ذلك عبثاً، ولا قدره سدى: بل هو عين المصلحة والعدل والرحمة، مصدره كمال علمه وعزته، وحكمته، ورحمته، ولقد أتم نعمته على قوم ردهم إلى منازلهم

برسوله ﷺ يقودونه إلى ديارهم، وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير، كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته، ويعطى اللبيب العاقل ما يناسبه، وهذا فضله، وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه، فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون، ورسول الله ﷺ منفذ لأمره»[١].

رابعها: هذا الاعتراض وأمثاله بلاء يصيب الأنبياء ولا يضيرهم، كما روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد به وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه، ثم قال: رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) رواه البخاري[٢].

المطلب الثالث: اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والهوى:

جاء في الدائرة محاولات عدة للحطِّ من شأن النبي ﷺ، وإضعاف الثقة بنبوته، وصد الناس عن دين الله، ومن ذلك سرد الأحداث والمعلومات بحيث يفهم منها أن النبي ﷺ أسير هواه، ومتبع لشهوته لا غير، حاشاه ﷺ من ذلك، وقد جعلت لكل فرية مسألة تخصها.

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ٤٨٤ – ٤٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣٥).

المسألة الأولى: جاء في الدائرة: (وفي العام الرابع من الهجرة رأى النبي زينب وكان قد استدعى زيداً إلى بيته، فأعجب بها وأحبها، وطلقها زيد ليتزوجها النبي، وقد نزل الوحي بما بدد شكوك النبي...... وقد هولت الدعاية المسيحية في حادث شغف الرسول بزوجة متبناه، وحاول المحدثون من كتّاب السير والمسلمين، والمفسرون إظهار هذا الحادث في ثوب لائق)[١].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

أولها: إن استدعاء النبي ﷺ لزيد[٢] في السنة الرابعة من الهجرة ورؤيته زينب[٣] وإعجابه به وحبه لها لم يثبت بحديث صحيح يُعول

---

(١) الدائرة، الأولى ١١/ ٢٨ - ٢٩، زينب بنت جحش، فكا.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي سُرق في الجاهلية وهو صغير وبيع في سوق عكاظ فاشترته خديجة فلما تزوجها النبي ﷺ وهبته له، فلما عرف أبوه مكانه أتى مكة وسأل النبي ﷺ أن يفديه فقال ﷺ: إن اختاركم فهو لكم بغير فداء فاختار النبي ﷺ فتبناه فلما جاء الإسلام كان زيد من السابقين إلى الإسلام، زوّجه النبي زينب بنت عمته، وقد شارك في غزوات النبي ﷺ حتى قتل شهيداً على رأس جيش في مؤتة سنة ست من الهجرة. (انظر الإصابة ١/ ٥٦٣ - ٥٦٤)

(٣) زينب بنت جحش الأسدية بنت أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ بأمر من الله تعالى بعد طلاق زيد لها كانت ورعة تقية صوامة قوامة توفيت سنة ٢٠هـ. (الإصابة ٤/ ٣١٣ - ٣١٤)

عليه، وقد ساقت المستشرقة ذلك بصيغة الجزم، وكأنه حديث صحيح، وهذا غير مقبول البتة.

إن غاية ما في الأمر وجود بعض الآثار الضعيفة عن السلف التي ذكرت أن النبي ﷺ أحب زينب واستحسنها، وأنه أخفى محبة تطليق زيد لها[١].

وقد قال ابن كثير عن تلك الآثار: «ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف -﵃- أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها»[٢].

ولم يطلقها زيد ليتزوجها النبي ﷺ، ولم يأت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف، ولم يقل به أحد من المسلمين، وإنما كرهها فطلقها.

وهذا مدعاة للتساؤل: من الذي يختلق القصص؟ أهم المسلمون الذين يروون الأحاديث بأسانيدها؟ أم تلك المستشرقة وأمثالها؟

ثانيها: ما ذكره محمد حسين هيكل بقوله: «ويكفي لهدم كل القصة التي قرأت عنها من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هذه هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله -﵇- وأنها رُبيت بعينه وعنايته،

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢٢/ ١٠ - ١١، تفسير الأحزاب ٣٧.

(٢) ابن كثير ٣/ ٤٩١، تفسير الأحزاب ٣٧.

وأنها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى، وأنه كان يعرفها: أهي ذات مفاتن أم لا؟ قبل أن تتزوج زيداً، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه»(١).

ثالثها: أن زينب لم تكن لترضى بزيد لولا تدخل النبي ﷺ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه-، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية -رضي الله عنها-، فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله ﷺ أؤمر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٢). قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: نعم، قالت إذا لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي»(٣).

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٢٨، زينب بنت جحش، تعليق محمد حسين هيكل.

(٢) الأحزاب الآية: ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٩.

رابعها: ما قصَّه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[1]، فزَيْد لم يكن يريدها، وكان رسول الله ﷺ يأمره بإمساكها، ويقول له: (اتق الله وأمسك عليك زوجك)، كما جاء في القرآن وأجمع عليه المفسرون، قال ابن حجر: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً، ولفظه: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ، بعدُ أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليها ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً»[2].

---

(١) الأحزاب الآية: ٣٧.

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٢٣، وقال ابن حجر عن هذه الرواية مقارنة بالروايات الأخرى: «أنها أوضح سياقاً وأصح إسناداً» ٨/ ٥٢٤.

فالذي أخفاه ﷺ: أنه لو طلقها زيد لتزوجها، وأنه يخشى أن يبدي ذلك للناس[١].

وقال القرطبي في تأييد ذلك: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه. فأما ما روي أن النبي ﷺ يهوي زينب امرأة زيد -وربما أطلق عليه بعض المُجّان لفظ عشقٌ- فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته»[٢].

وقال الشنقيطي في تفسير: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾: «هنا أبهم هذا الذي أخفاه ﷺ في نفسه وأبداه الله، ولكنه أشار إلى أن المراد به زواجه ﷺ زينب بنت جحش -رضي الله عنها- حيث أوحى الله إليه ذلك،

---

(١) انظر ابن كثير ٣/ ٤٩١، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٤، وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٦/ ٥٨٠ - ٥٨٢، وتيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لعبدالرحمن ابن ناصر السعدي ٦/ ٢٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٩١.

وهي في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثه؛ لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله بقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل عليها القرآن، وهو اللائق بجنابه ﷺ»[١].

أما غير ذلك مما روي في شأن هذه القصة من إعجاب النبي ﷺ بزينب فهو مردود لعدم ثبوته، ولمخالفته حقائق التاريخ من معرفة النبي بزينب قبل ذلك كما تقدم، والآيات القرآنية لم تذكر ذلك، ولو صح ذلك فإن الخواطر لا يؤاخذ عليها الإنسان إذا أخفاها، ولو كان ذنباً من النبي ﷺ بأية حال لأُمر بالتوبة والاستغفار.

خامسها: إن نزول الوحي في هذه القضية لم يكن ليبدد شكوك النبي ﷺ فحسب، وإنما كان حرجاً عليه، وهذا من دلائل نبوته ﷺ إذ لو كان القرآن من عند نفسه لما أحرجه.

قال عمر وابن مسعود -رضي الله عنهما-: «ما أنزل الله على رسوله أشد من هذه الآية»[٢].

كما روى مسلم عن عائشة- رضي الله عنها-: «لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل عليه؛ لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ ﴾ »[٣].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٦/ ٥٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، برقم (١٧٧).

وروى البخاري عن أنس -رضي الله عنه- قال: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية»[١].

سادسها: بيان الحكمة من زواج النبي ﷺ بزينب -رضي الله عنها- وهي إبطال عادة التبني التي استحكمت في الجاهلية، وكانوا يجعلون للمُتبنَّى نفس حقوق الأبناء، ومن ذلك تحريم الزواج بمطلقة المتبنَّى، فجاء الإسلام لإلغاء تلك العادة وما يترتب عليها، ولما كانت هذه العادة متعمقة في النفوس، لم يكتف سبحانه بالآية الناهية عن ذلك وهي قوله تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ...﴾[٢]؛ بل احتاجوا إلى إلغاء النبي ﷺ عملياً لهذه العادة.

لذا قال تعالى بعد هذه الآيات: ﴿..فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ...﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٠).

(٢) الأحزاب الآيتان: ٤ - ٥.

(٣) الأحزاب الآيتان: ٣٧ - ٣٨.

المسألة الثانية: جاء في الدائرة في مادة «صفية»: (ولكن محمداً عندما رآها بهره حسنها فألقى عباءته عليها إشارة إلى أنه اختارها لنفسه، فافتداها من دحية بسبعة رؤوس من الماشية، ورغبها في اعتناق الإسلام، أما زوجها فقد حكم عليه النبي بالإعدام، فقُتِل شر قتلة؛ لأنه رفض تسليم كنز بني النضير، ولعل رغبة النبي في الزواج بصفية كان لها أثر في هذا الحكم؛ ذلك لأن مراسيم الزواج تمت في روح من العجلة لا تليق بهذه المناسبة)(١).

قلت: ليس في فعل رسول الله ﷺ ما يشين، وقد أساءت الكاتبة الظنَّ بنبي الله ﷺ، وساقت القصة على غير وجهها مخالفة في ذلك الأمانة العلمية في سرد الحوادث؛ ذلك أن خيبر فُتحت بالسلاح من غير صلح بعد أن ساهم يهودها متحالفين مع من انضم إليهم من يهود بني النضير في تأليب الأحزاب على رسول الله ﷺ(٢)، فلما فتحت جاز كما هو معروف للفاتحين، الاستيلاء على ما فيها من المغانم، واسترقاق الذراري والنساء، والتخيير في الرجال المقاتلين بين القتل والأسر والفداء والمنِّ، وهذا ما كان يُفعل آنذاك في سائر الحروب، فأقره الإسلام معاملة بالمثل، مع سعيه إلى تحرير الأرقاء بوسائل عديدة وأساليب شتى.

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٤٩، صفية، فكا.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ١٠٧.

ولما كانت خيبر كذلك استُرِقت صفية[١] كسائر السبي، وقد روى ابن سعد وغيره من أصحاب السير: «أن النبي ﷺ عرض عليها أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله. فقالت: أختار الله ورسوله. فأسلمت فأعتقها وتزوجها ﷺ، وجعل عتقها مهرها، ورأى بوجهها أثر خضرة قريباً من عينها، فقال: ما هذا؟ قالت: يا رسول الله رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة، فضرب وجهي»[٢].

أما ما يتعلق بقتل زوجها فلا علاقة له بزعم الكاتبة، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني ما نصه: «واسم زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وكان سبب قتله ما أخرجه البيهقي بإسناد رجاله ثقات من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ ترك من ترك من أهل خيبر على أن لا يكتموه شيئاً من أموالهم؛ فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، قال: فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحييِّ ابن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر، فسألهم عنه، فقالوا: أذهبته

---

(١) صفية بنت حيي بن أخطب النضري من ذرية لاوي بن يعقوب قُتِل زوجها كنانة يوم خيبر واسترقت هي فاعتقها النبي ﷺ وتزوجها كانت عاقلة حليمة فاضلة توفيت سنة ٥٢هـ.

(انظر الإصابة ٤/ ٣٤٧-٣٤٨)

(٢) ابن سعد ٨/ ١٢١.

النفقات، فقال: العهد قريب، والمال أكثر من ذلك، قال: فوُجِد بعد ذلك في خربة، فقتل النبي ﷺ ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية»[١].

المسألة الثالثة: جاء في الدائرة في مادة «سودة بنت زمعة» (وبرم النبي بها حين أسنت وأهملها، وراح يقضي وقتاً طويلاً مع عائشة الصبية)[٢].

قلت: في مقدمة الرد على هذا الكلام أسوق هذه النصوص الموضحة للقصة الحقيقة وبالتالي مفنداً مزاعم الكاتبة:

قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾[٣]، قال: «لما كبرت سودة بنت زمعة[٤] عزم رسول الله ﷺ على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة». ثم ساق قول ابن عباس: «خشيت

(١) فتح الباري ٧/ ٤٧٩ المغازي ٣٨.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٣٥٣، سودة بنت زمعة، فكا.

(٣) النساء الآية: ١٢٨.

(٤) سودة بنت زمعة القرشية العامرية توفي زوجها السكران بن عمرو فتزوجها النبي ﷺ وهي ثاني أزواجه بعد خديجة، وهبت ليلتها لعائشة بعد تقدم عمرها مخافة أن يطلقها النبي ﷺ توفيت سنة ٥٤هـ. (انظر الإصابة ٤/ ٣٣٧ – ٣٣٨).

سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ؛ فقالت يا رسول الله: لا تطلقني واجعل يومي لعائشة، ففعل، ونزلت هذه الآية»[١].

كما ذكر ابن كثير هذه الرواية عن القاسم بن أبي برة قال: «بعث النبي ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها؛ جلست له على طريق عائشة، فلما رأته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه؛ لما راجعتني، فإني قد كبرت، ولا حاجة لي في الرجال، ولكن أريد أن أُبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها، فقالت: فإني قد جعلت يومي وليلتي لحِبة رسول الله ﷺ». قال ابن كثير: «هذا غريب مرسل»[٢].

كما روى البخاري عن عائشة: «أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة»[٣].

مما سبق يتبين عدة أمور:

أولاً: لم تذكر الكاتبة هذا التفصيل الضروري، ولكنها اختصرت الكلام اختصاراً مخلاً، مما أدى إلى تحريفه.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، برقم (٥٢١٢).

ثانياً: يُفهم من كلام الكاتبة أن رسول الله ﷺ ظلم سودة، ولم يعدل بينها وبين عائشة -رضي الله عن الجميع- وهذا ليس بصحيح، بل هو صلح بين النبي ﷺ وسودة، بدلاً من الطلاق؛ ذلك لأن الإسلام لا يحرم الطلاق -كما هو الحال في النصرانية-[١]، فلما خشيت سودة تطليق النبي ﷺ لها كما بينته الروايات السالفة، وهبت يومها لعائشة ليستبقيها النبي ﷺ زوجة له، لتبقى زوجة له في الآخرة، وهذا من كمال عقلها. وهو من الصلح الذي ذكره الله في الآية الكريمة.

والصلح خير من الطلاق لذا قال سبحانه: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[٢].

قال ابن كثير في هذا المعنى: «والظاهر من الآية: أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك؛ خير من المفارقة بالكلية»[٣].

فليس في الروايات: أن النبي ﷺ برم بها، أو أساء إليها، أو لم يعدل

---

(١) الطلاق مشروع في الإسلام لما فيه من المصالح لكلا الزوجين، ودفع الأذى عنهما، فلا يجبر أحد منهما على البقاء من لا يريده، والطلاق وإن كان فيه مفسدة لما فيه من تفريق الأسر، ولكن الله شرعه لأن التفريق قد يكون أخف الضررين، وهذا من كمال دين الإسلام.

(٢) النساء الآية: ١٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٣ تفسير النساء ١٢٨.

معها، بل هي التي وهبت يومها لعائشة برضاها.

ثالثاً: يُلاحظ سوء الأدب في العبارات التي اختارتها الكاتبة في وصف سيد الخلق رسول الله ﷺ، وهذا ليس بغريب عليهم فكل إناء بما فيه ينضح.

المطلب الرابع: اتهام النبي ﷺ بالتحايل ونقض العهود:

جاء في الدائرة في معرض بيان فائدة صلح الحديبية للنبي ﷺ:

(ومن ثم أتيح لأبي القاسم أن يستغل ذلك إلى أقصى حد، وأن يفيد من حرية التنقل التي أباحها له هذا العهد إفادة كاملة، ولم تعد المدينة تخشى شيئاً من مكة، وما كانت لتعوز النبي الوسيلة إلى التحايل على القيود الثقيلة التي رضي بها، ونقض العهد الذي أبرمه)[١].

وجاء فيها أيضاً في الحديث عن الأشهر الحرم: (وأحرز النبي أول انتصار له في غزواته بخروجه على عهد الله)[٢].

كما جاء فيها: (ويعد التقصير في حماية أهل الكتاب إثماً كبيراً في الإسلام، وبالطبع لا يمكن أن يتخذ ما فعله النبي ببني النضير وبني قريظة

---

(١) الدائرة ١٣/ ٣٨٧، الحديبية، لامنس.

(٢) الدائرة ١١/ ١٦، الجاهلية، لامنس.

مثلاً يُقاس عليه، على أنه رغم التعصب التي كان يعبر عنها بعبارات شديدة)[1].

قلت: كلام الكاتب غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه:

أولاً: -وهو جواب مجمل- لو صح أن النبي ﷺ ينقض العهود لاتهمته قريش وأعداؤه المعاصرون له بذلك، ولم يستطع أحد أن يتهم النبي ﷺ بذلك مع حرصهم على تشويه سيرته ﷺ، لما عُرف عنه ﷺ من وفائه بالعهود والمحافظة عليها، وأي مُتهِم له في هذا الجانب سيعرض نفسه للسخرية والتكذيب؛ لذا لم يجد الكاتب أي نص -مع شدة حرصه- يؤيد به كلامه من معاصري النبي ﷺ، بل إن الذي وجد واشتهر عن النبي ﷺ خلاف ذلك.

فقد تواتر صدق النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها حتى لُقِّب بالصادق الأمين، وفي الحوار الذي دار بين هرقل ملك الروم -عندما أرسل النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام- وبين أبي سفيان سيد قريش -وكان يومها مشركاً- بحضور عدد من العرب أقر بصدق النبي، وأنه يأمرهم بالصدق، ولم يتهمه بالغدر عندما سأله هرقل عن ذلك، وقد استدل هرقل من ذلك

---

(١) الدائرة ٥/ ١٦٠، أهل الكتاب، قولد زيهر.

على صدق نبوته ﷺ فقال له: «وسألتك: هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر» إلى آخر ما استدل له به هرقل على نبوته ﷺ[(١)].

ولو كان ثمة غدر من النبي ﷺ لفرح به أبو سفيان ومن معه، وذكروا ذلك لهرقل في وقت شدة العداوة بينه وبين النبي ﷺ.

ثانياً: لم يكن النبي ﷺ ينقض العهود، أو يخرج على عهد الله، بل ثبت خلاف ذلك، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

١ - الأوامر العديدة في كتاب الله بمراعاة هذا الجانب، كقول الله تعالى: ﴿...وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[(٢)]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ...﴾[(٣)]، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[(٤)].

ولا يصح لرسوله ﷺ مخالفة أمره تعالى، وأقول تنزلاً لأمثال هؤلاء المستشرقين: أنه لا يمكن لعاقل يقول إنه رسول الله ﷺ ويريد تصديق

---

(١) أخرجه البخاري بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، برقم (١٧٧٣).

(٢) الإسراء الآية: ٣٤.

(٣) النحل الآية: ٩١.

(٤) المؤمنون الآية: ٨.

الناس له وهو يخالف في الوقت ذاته أوامر الله التي يدعو إلى احترامها.

٢- ما ثبت عنه ﷺ من التحذير من نقض العهود، ومن ذلك: قوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر) [١]، وقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا أؤتُمِن خان) متفق عليه[٢]، وقوله ﷺ: (لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غدر أعظم غدراً من أمير عامة) [٣].

٣- ما صح عنه ﷺ عملياً من المحافظة على العهود، ومن ذلك ما قاله حذيفة رضي الله عنه: «ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: (انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم)» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبر والفاجر، برقم (٣١٨٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، برقم (١٧٣٨)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد برقم (١٧٨٧).

بل حرص النبي ﷺ على المحافظة على نفس صلح الحديبية من بدايته، فمن ذلك ما روى البخاري: «لما كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سُهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه.

وأبي سهيل أن يُقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك. فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا[١] فتكلموا فيه، فلما أبى سهيل أن يُقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك؛ فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً»[٢].

كما أن هناك روايةٌ أخرى مفصلة لهذه الرواية، وفيها: «فقال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجلٌ – وإن كان على دينك- إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك؛ إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ. فقال النبي ﷺ: إنا لم

---

(١) أي شق عليهم. «انظر فتح الباري ٧/ ٤٥٤ المغازي ٣٥».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام برقم (٢٧١١)، و (٢٧١٢).

نقض الكتاب بعد.

قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل»[(١)].

وفي سيرة ابن هشام: «فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، فجعل ينتره بتلبيبه، ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأُرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله؛ وإنا لا نغدر بهم»[(٢)].

ثالثاً: ما ذكره الكاتب من استغلال النبي ﷺ لصلح الحديبية وإفادته من ذلك في حرية التنقل، وتحايله بعد ذلك لنقض الصلح، ومن ثم نقضه، فالجواب عليه من وجوه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، برقم (٢٧٣١)، و(٢٧٣٢).

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٤.

الوجه الأول: أن الكاتب أطلق الكلام والأحكام مجردة من أي أدلة، فهي دعاوى لا قيمة لها ومفتقرة إلى ما يسندها، ولاسيما أن ما ذكره مخالف لما اتفق عليه المؤرخون، وتواتر من سيرته ﷺ.

الوجه الثاني: إنه لما أبرم النبي ﷺ مع قريش صلح الحديبية، كان من بنود الصلح: «أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل» فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده —وكان بينهما ثأر في الجاهلية- فلما كانت الهدنة استغلها بنو الديل من بني بكر، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بعض بني ديل، وهو يومئذ قائدهم وبيتوا خزاعة على ماء يقال له الوتير، فأصابوا منهم رجلاً، واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، كما قاتل معهم من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال لا إله له اليوم، فلجأوا إلى دار بديل بن ورقاء[1].

قال ابن اسحاق: «فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢ – ٢٥.

والميثاق بما استحلوا من خزاعة –وكانوا في عقده وعهده– خرج عمرو بن سالم الخزاعي فأتي رسول الله ﷺ وأنشد من الشعر يستنجده عند باب مسجده، وكان مما قاله:

يـــا رب إني ناشد محمداً ... حلـــف أبينا وأبيه الأتلدا
فانـصر هـداك الله نـصراً أيـداً ... وادع عبـــاد الله يـأتوا مـددا
إن قريـشاً أخلفـوك الموعـدا ... ونقضـــوا ميثاقك المؤكدا
هـم بيتونــا بـالوتير هجـدا ... وقتلونـــا ركعـاً وسـجدا

فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم»[(١)].

فقريش وحلفاءها هم الذين نقضوا عهد النبي ﷺ، لا العكس، وكان من الواجب على الكاتب أن لا يغفل هذا الحديث الكبير الذي كان سبباً لفتح مكة، بدلاً من إلقاء تلك الأحكام التي ينال فيها من سيد الخلق من غير تبصر، إنه الحسد والحقد الصاد عن الحق، وصدق الله إذ يقول: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[(٢)].

الوجه الثالث: لو كان فيما فعله النبي ﷺ أدنى خطأ، فضلاً عن نقض

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٦ – ٢٧.

(٢) الحج الآية: ٤٦.

الصلح لاعترضت عليه قريش، وانتشر في جزيرة العرب، ولا تُخذ من ذلك ذريعة لتكذيب النبي ﷺ، والصد عن دينه، فلما لم يكن ذلك، ثبت شدة محافظة النبي ﷺ على العهد.

بل إن الذي حدث هو العكس، فلقد شعرت قريش بخطورة ما صنعت فأوفدت أبا سفيان ليعتذر، فأتى المدينة، فكلم رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاستشفع بأبي بكر فلم يشفع له، ثم استشفع بعمر فلم يشفع له، ثم استشفع بعلي فلم يشفع له[١].

بل لما فتح النبي ﷺ مكة، عقب نقضهم للصلح، لم يكن من أمرهم عندما قال لهم النبي ﷺ: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[٢]، فما هذا بكلام ناقض للعهد ، وما هذا بجواب من نُقض عهده، بل العكس هو الصواب.

رابعاً: أما ما ذكره من خروجه ﷺ على عهد الله، وتحقيقه أول انتصار له بسبب ذلك، فالكاتب أراد بذلك سرية عبد الله بن جحش، وفيها حدث أول قتال بين المسلمين والمشركين والجواب عليه يتضح بسرد هذه الواقعة ليتبين أن النبي ﷺ لم يخرج على عهد الله.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٧ – ٢٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٤٠.

«ففي شهر رجب بعث النبي ﷺ عبد الله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، لما سار يومين فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة[1] بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم).

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم أخبر أصحابه، فمضوا معه لم يتخلف منهم أحد.

فلما نزلوا بنخلة مرت عير لقريش فيها أربعة رجال تحمل زبيباً وأدماً، وكانوا في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم وهابوا الإقدام، ثم شجعوا أنفسهم وقتلوا أحد المشركين وأسروا أسيرين، وفر الرابع، فقدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقَّف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم أخوتهم المسلمون

(١) هي نخلة اليمانية، وهو الوادي المسمى باسم اليمانية المعروف بين مكة والطائف.

فيما صنعوا. وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال!، فقال من يرد عليهم من المسلمين بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1]، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، مع إخراجكم منه، وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، ثم إن فتنتهم للمسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه وهو قتالكم حتى ردتكم عن دينكم غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا، وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين»[2].

من هذا العرض يتبين عدة أمور:

---

(١) البقرة الآية: ٢١٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٧٨ - ١٨٠.

١ - أن النبي ﷺ لم يقاتل في الشهر الحرام، أو ينقض عهد الله كما زعم الكاتب، بل ولم يأمر بذلك. وإنما وقع القتال بغير أمره ﷺ.

٢ - إن القتال في الشهر الحرام لأمر كبير، كما ذكره الله تعالى في الآية السابقة، والسرية لا يُنكر وقوع ذلك منها، ولكن هناك أمر جدير بالانتباه ذكره الله في الآية رداً على كفار قريش الذي عابوا المسلمين، بقوله سبحانه بعد أن قرر حرمة الشهر الحرام: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1].

«إن المسلمين لم يبدأوا بالقتال، ولم يبدأوا العدوان، إنما المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون، ، ولقد كفروا بالمسجد الحرام. وانتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه، وفتنوهم عن دينه طوال ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله آمناً، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته.

وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام... وفتنة

(١) البقرة الآية: ٢١٧.

الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات؛ الذين يتخذون منها ستاراً حين يريدون! وينتهكون قداستها حين يريدون وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنىَّ وجدوهم؛ لأنهم عادون باغون أشرار لا يرقبون حرمة، ولا يتحرجون أمام قداسة، وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة!.

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه، لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي... وهم المعتدون ابتداء. وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء»[1].

خامساً: فيما يتعلق بمعاملة النبي ﷺ لليهود فقد كان إخراج النبي ﷺ لبني النضير وقتل بني قريظة وفق الحكمة والعدل، فقد نقضت كلتا القبيلتين العهد، بعد أن كانوا يتمتعون بالأمن في المدينة إلى جوار المسلمين، أما بنو النضير فقصة محاولة قتلهم للنبي ﷺ والشروع في

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٢٦ تفسر سورة البقرة الآية: ٢١٧.

ذلك مشهورة وذكرها جل أهل السير عندما أتاهم مستعيناً بهم على دية دفع رجلين قتلهما أحد المسلمين خطأً.

أما بني قريظة فقد خانوا رسول الله ﷺ ونقضوا العهد عندما حاصر المشركون المدينة في عزوة الأحزاب، فقد ظاهروا المشركين، وأعانوهم ناقضين بذلك الصلح كما قال تعالى عنهم في سورة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[1].

وقد جاء في الدائرة الاعتراف بذلك في موضع آخر من مستشرق متعصب: (... إن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصراً؛ ...)[2].

إن ما فعله النبي ﷺ باليهود أتى متناسقاً مع ما جاء في الشرع بحماية أهل الكتاب وإعطائهم حقوقهم غير منقوصة إذا أدوا ما عليهم.

---

(١) الأحزاب الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

(٢) الدائرة ١/ ١٤٦، إبراهيم، فنسنك، مع التحفظ على باقي كلامه الذي سبق الرد عليه في صـ ٣٣٥.

«إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد في هذا المبدأ ويصونه. ولكنه لا يسمح بأن تُتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون الصالحين، ويفتنون المؤمنين، ويرتكبون كل منكر وهم في منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التي يجب أن تصان!

وهو يمضي في هذا المبدأ على اطراد.... إنه يحرم الغيبة... ولكن لا غيبة لفاسق... فالفاسق الذي يشتهر بفسقه لا حرمة له يعف عنها الذين يكتوون بفسقه. وهو يحرم الجهر بالسوء من القول. ولكنه يستثنى ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.. فله أن يجهر في حق ظالمه بالسوء من القول؛ لأنه حق، ولأن السكوت عن الجهر به يطمع الظالم في الاحتماء بالمبدأ الكريم الذي لا يستحقه!

ومع هذا يبقى الإسلام في مستواه الرفيع لا يتدنى إلى مستوى الأشرار البغاة. ولا إلى أسلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة.. إنه فقط يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيديهم، وإلى قتالهم وقتلهم، وإلى تطهير جو الحياة منهم... هكذا جهرة في وضح النهار»[(١)]، فلا يأمر الإسلام بأن تتلف مال من أتلف مالك، أو تخون من خانك، أو تلعن من

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٢٧ تفسير البقرة ٢١٧.

لعنك، أو تقذف من قذفك، أو تزني بأهل من زنا بأهلك، وإنما شرع العقوبة المناسبة لمن فعل ذلك.

وقول الكاتب: «إن محمداً كان قد اعتمد على اليهود بمكة» يدل على جهله؛ حيث لم يكن في مكة يهود في زمن النبي ﷺ ولا بعده.

المطلب الخامس: اتهامات متفرقة:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: جاء في الدائرة: «ولما زاد سلطان محمد زادت حياة زوجاته يسراً، وارتفعت مكانتهن في المجتمع، ولقبن بأمهات المؤمنين «الأحزاب الآية ٥» وحرم عليهن الزواج بعد النبي «الأحزاب الآية ٥٢» وهكذا ترك النبي عائشة أرملة لا عقب لها وقد بلغت من العمر ثمانية عشر عاماً»[١].

قلت: جواب هذا الكلام من وجوه عدة:

الوجه الأول: لم يكن النبي ﷺ كالملوك في عيشته، بل كان ﷺ نبياً رسولاً، زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، فلم يكن مراده ﷺ الدنيا، مع قدرته عليها، وهذه بعض النصوص الدالة على ذلك:

---

(١) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٣٣، عائشة بنت أبي بكر، منتقمري وات.

عن أنس - ﷺ - قال: «لم يأكل النبي ﷺ على خوان[١] حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات»[٢].

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[٣].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لقد رأيت رسول الله يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً[٤] يملأ به بطنه»[٥].

وعن أنس -ﷺ وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين- قال: «ما علمت النبي ﷺ أكل على سكرجة[٦] قط، ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان قط»[٧].

والنصوص في ذلك كثيرة معلومة:

---

(١) هو ما يؤكل عليه الطعام مرتفعاً عن الأرض، وقد تركه النبي ﷺ مع إباحته زهداً وتواضعاً.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون برقم (٥٤١٥)، وفي كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، برقم (٦٤٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٤).

(٤) الدقل هو التمر الرديء.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٨).

(٦) قصاع صغار.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة، برقم (٥٣٨٦).

ولو فرض أنه ﷺ عاش كعيشة الملوك فإن هذا لا يقدح في نبوته، فقد كان داود وسليمان -عليهما الصلاة والسلام- كذلك وهما نبيان اصطفاهما الله واختارهما.

الوجه الثاني: أن زوجات النبي ﷺ كن يعشن مع النبي ﷺ، عيشة الكفاف، ولم يكن كزوجات الملوك، اللاتي يزددن من نعيم الدنيا كلما زاد سلطان أزواجهن، وهذه نصوص صحيحة دالة على مشاركة أهل بيت النبي ﷺ له في الزهد:

قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: «والذي نفس أبي هريرة بيده! ما شبع رسول الله ﷺ وأهله، ثلاثة أيامٍ تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا»[1].

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «ما شبع آل محمد ﷺ يومين من خبز بر، إلا وأحدهما تمر»[2].

وعن عروة[3] عن عائشة -رضي الله عنها-: «أنها كانت تقول لي: والله يا بن أختي إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهله في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧١).

(٣) تقدمت ترجمته صـ ٥٧٦.

شهرين، وما أوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم، قالت: الأسودان: التمر والماء؛ إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[1]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها، فيسقيناه»[2].

بل إن الله خيَّرهن بين العيش مع رسول الله ﷺ والصبر على الشدة التي هو فيها، أو أن يطلقهن ﷺ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

وسبب ذلك أن بعض أزواج النبي ﷺ سألنه النفقة، فدخل عليه أبو بكر وعمر، وقال كلّ منهما لابنته: «تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! قلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً»، ثم

---

(١) جمع منيحة والأصل فيها أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر، ثم جعلت كل عطية منيحة. «لسان العرب ٢/ ٦٠٧»

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، برقم (٦٤٥٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٢).

(٣) الأحزاب الآيتان: ٢٨ – ٢٩.

نزلت عليه فخير النبي ﷺ نساءه»[1].

قالت عائشة – رضي الله عنها-: «خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله»[2].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «وجملة ذلك أن الله سبحانه خيَّر النبي ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً، وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا، وبين أن يكون نبياً مسكيناً، فشاور جبريل، فأشار عليه بالمسكنة فاختارها؛ فلما اختارها وهي أعلى المنزلتين، أمره الله عز وجل أن يخير زوجاته؛ فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشدة تنزيهاً له»[3].

فأين هذا الكاتب من تلك النصوص الصحيحة الصريحة، الدالة على زهد النبي ﷺ وزوجاته – رضي الله عنهن- مختارات لذلك رغبة فيما عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخير امرآته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، برقم (١٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من خير نساءه، برقم (٥٢٦٢)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخير امرآته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، برقم (١٤٧٧). واللفظ للبخاري.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٦٢.

أما تلقيبهن بأمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ...﴾[1]، فقد قال ابن كثير: «أي في الحرمة والاحترام، والتوقير، والإكرام والإعظام»[2].

وقال القرطبي: «شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين؛ أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن -رضي الله عنهن- بخلاف الأمهات»[3].

وهذا الاحترام لأمهات المؤمنين لا ينقص من قدرهن، كما أن تعظيم النصارى لمريم واحترامهم لها لا يقدح في فضلها ومكانتها.

الوجه الثالث: من حقوق النبي ﷺ على أمته ألا يتزوج أحد منهم بنسائه من بعده، وقد ورد ذلك صريحاً في القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[4]، وذلك كما قال ابن كثير: «لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين»[5].

---

(١) الأحزاب الآية: ٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٢٣.

(٤) الأحزاب الآية: ٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٦.

وأما فيما يتعلق بعائشة – رضي الله عنها – ، فلا ضير عليها إن ترملت وهي في هذا السن وبقيت بلا عقب، لأن كونها أم المؤمنين وزوجة للنبي ﷺ في الآخرة خير لها من كل ذلك، بل إن عشرتها للنبي ﷺ ساعة خير لها من الدنيا وما فيها.

ولا عجب أن يكون هذا الرأي للكاتب فهو ينظر للأمور بنظرة مادية مجردة، وليس الأمر شفقة على عائشة، وإنما يطغى عليه الحقد على سيد الخلق والرغبة في تشويه سيرته ﷺ.

المسألة الثانية: جاء في الدائرة دفاعاً عن أبي لهب عندما ذمه القرآن: (على أنه لا شك في أن يكون قد سبق ذلك مواقف عدائية أساء فيها أبو لهب إلى النبي مما جعل محمد يسخط على عمه مثل هذا السخط الذي لا شفقة فيه، مع أن أبا لهب كثيراً ما وقف في صف أخيه أبي طالب عندما عادى أبو طالب أهل مكة في ظرف سابق، وبذلك يكون قد وقف في صف النبي بطريق غير مباشر)[١].

قلت: هذا الكلام غير صحيح من عدة وجوه:

أولها: أن الله عز وجل هو الذي ذم أبا لهب لا رسوله ﷺ، يقول

(١) الدائرة ١/ ٥٩٠، أبو لهب، بارت.

تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[1]، وإذا كان الكاتب لا يؤمن بالقرآن؛ فإن من سلامة المنهج أن يفرق بين الأحاديث النبوية التي ينسبها المسلمون إلى النبي ﷺ، وبين ما تواتر في القرآن منسوباً إلى الله عز وجل.

ثانيها: فلننظر إلى تعبير الكاتب في وصفه لما جرى بين النبي ﷺ وأبي لهب، فمن جانب أبي لهب قال: «مواقف عدائية» فقط، ومن جانب النبي ﷺ قال: «مما جعل محمد يسخط على عمه مثل هذا السخط الذي لا شفقة فيه» ثم عطفها بقوله: «مع أن أبا لهب كثيراً ما وقف في صف أخيه أبي طالب عندما عادى أبو طالب أهل مكة في ظرف سابق، وبذلك يكون قد وقف في صف النبي بطريق غير مباشر»، والقارئ لمثل هذا الكلام من غير أي خلفية أخرى سيحكم بظلم النبي ﷺ لأبي لهب وقسوته عليه. والحقيقة هي خلاف ما عرضه الكاتب، فأبو لهب كان قاسياً على النبي ﷺ، ولم يكن النبي ﷺ يعامله بالمثل، وهذه بعض المواقف المبيّنة لذلك:

---

(١) المسد الآيات: ١ – ٥.

عن عبد الله بن عباس قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(١)]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل، أأنتم مصدقي؟) قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[(٢)] [(٣)].

كما كان كثير التهكم بالنبي ﷺ، فكان يقول: «يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت»[(٤)].

وعندما كان النبي ﷺ يعرض الإسلام على القبائل في المواسم، كان أبو لهب يتبعه ويقول: «يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من البدعة

---

(١) الشعراء الآية: ٢١٤.

(٢) المسد الآيات: ١ — ٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، برقم (٤٩٧١).

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣.

والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه»[١].

ثالثها: لم يكن من شيمة أبي لهب الوقوف إلى جانب النبي ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر، كما أن معاونته للنبي ﷺ من غير قصد له لا تحسب له مع ظهور عداوته، وما حصل هو نقيض كلام الكاتب، وذلك «لما حوصر النبي ﷺ وأبو طالب وبنو المطلب في الشعب، وقاطعتهم قريش ثلاث سنوات. لا ينكحون إليهم، ولا ينكحونهم، ولا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، فلا يصل إليهم شيء إلا سراً، فانحاز إليهم بنو هاشم، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش، فظاهرهم»[٢]، فلو كان واقفاً مع النبي ﷺ لوقف معه هنا، ولما شذ وحده عن بني هاشم.

إن الكاتب لم يأت بموقف واحد وقف فيه أبو لهب موقفاً أفاد منه رسول الله ﷺ فأين هذه المواقف التي عبر عنها بكلمة (كثير)؟

المسألة الثالثة: جاء في مادة «طلاق» في الدائرة: (وأخيراً يجب أن نذكر أنه بحسب ما ورد في الحديث أن الرسول الله ﷺ أوقع الطلاق من فوره على نساء استعذن بالله أمامه)[٣].

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣ باختصار.

(٣) الدائرة الأولى ١٥/ ٢٤٣، طلاق، شاخت.

قلت: خالف المستشرق في هذا النص القصير المنهج العلمي من عدة وجوه:

الأول: كان الكلام في مادة الطلاق عن أحكام الطلاق في الإسلام، ولم يكن لنقل هذه العبارة آية فائدة في شرح تلك الأحكام، فضلاً أن يجب ذكره كما زعم.

الثاني: إن الكاتب «شاخت» كما هو معروف من أشد المستشرقين تكذيباً بالأحاديث النبوية[١]، فكيف يستدل بالحديث هنا وهو يكذبه؟

الثالث: لم يشر الكاتب إلى سبب الاستعاذة، وإنما أطلق الكلام مصوراً كراهية النساء للنبي ﷺ، وليس هذا من المنهج العلمي في شيء، فالإشارة المبهمة إما أن تحذف أو توضح.

وإذا عدنا للسنّة النبوية التي نُلزم الكاتب بها لعلمنا القصة كاملة، إذ ليس من حقه التشهي في النقل منها: فقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن ابن أبزى قال: «الجوينية[٢] استعاذت من رسول الله ﷺ، وقيل لها هو أحظى لك عنده، ولم تستعذ منه أمرأة غيرها، وإنما خدعت لما رُئي من

(١) انظر الدائرة الأولى ٨/ ٣٦٣، ١/ ٤٥٧، ٢/ ٢٣٦، ٣/ ٣٩٣.

(٢) هي أسماء بنت الجون الكندية كانت أجمل أهل زمانها خطبها النبي ﷺ عندما قدم أبوها في وفد كنده. (الإصابة ٤/ ٢٣٤)

جمالها وهيئتها، ولقد ذُكر لرسول الله من حملها على ما قالت[١]، قال رسول الله ﷺ: (إنهن صواحب يوسف، وكيدهن عظيم)»[٢].

وفي البخاري: «أن ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: (لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك)»[٣]، وفيه أيضاً: أنها (لما قالت هذا وانصرف عنها النبي ﷺ، قالوا أتدرين من هذا، قالت: لا، قالوا هذا رسول الله ﷺ جاء ليخطبك، قالت: كنت أشقى من ذلك»[٤].

فدلت الروايات على أمور لم يذكرها الكاتب وهي: أنها لم تكن تعرف النبي ﷺ، وأنها لما عرفته ندمت على ذلك، كما دلت على أنها قد غُرر بها.

الرابع: كلام الكاتب يفيد أن نساء عديدات استعذن بالله من النبي ﷺ إن الذي استعاذ من النبي ﷺ امرأة واحدة فقط لا أكثر، بينما هذا واضح

---

(١) وهن بعض نساء النبي غيرة منها، حيث قالوا لها: «إن ذلك مدعاة لمحبته ﷺ»، وهذا أمر طبيعي بين النساء.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٨/ ١٤٤، دار صادر، بيروت، دطت.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من طلق، وهل يواجه الرجل امرآته بالطلاق؟ برقم (٥٢٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته، برقم (٥٦٣٧).

مما سبق، وخاصة من رواية ابن سعد السالفة والتي فيها: (ولم تستعذ منه امرأة غيرها)[١] قال ابن حجر معلقاً على هذه الرواية: (وهو الذي يغلب عليه الظن؛ لأن ذلك إنما وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة، فيبعد أن تخدع أخرى بعدها بمثل ما خدعت به بعد شيوع الخبر بذلك)[٢].

الخامس: إن هذه الحادثة تتناقض مع ما يزعمه أولئك المستشرقون من غلو النبي ﷺ في حب النساء والشغف بهن، حيث إنه هنا طلق من أراد الدخول بها دون أن يمسها لكونها استعاذت بالله منه، مع شدة جمالها.

إن هذا النقل في الدائرة لَيُظهِر ما يهدف إليه هذا المستشرق وأمثاله؛ إذ ليس همهم النظر في الأدلة ودراسة السيرة، ولكنها إرادة القدح في النبي ﷺ، وتشويه سيرته.

* * *

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٨/ ١٤٤.

(٢) فتح الباري ٩/ ٣٥٧، الطلاق ٣.

المبحث السادس

طعن الدائرة في الصحابة ﷺ

- نظرة عامة لما في الدائرة.
- الصحابة في القرآن والسنة.
- طعن الدائرة في عموم الصحابة.
- طعنها في العشرة المبشرين بالجنة.
- انتقاص أهل بيت النبي ﷺ.
- ادعاء التهويل والمبالغة في سير الصحابة.
- طعون متفرقة.

المطلب الأول: نظرة عامة لما في الدائرة:

دأبت الدائرة في غالب كتابتها فيما يخص صحابة النبي ﷺ على التنقيص من أمرهم، والحط من قدرهم، وذلك بوسائل عديدة منها: التجاهل المتعمد لفضائلهم، وتكذيب الأحاديث الصحيحة في مناقبهم، بل وتجاهل ما ورد في القرآن(١) من ذلك، وأما كراماتهم فهي عندهم كذب واختلاق.

ويقابل ذلك تضخيم أخطائهم، وسرد الروايات الواهية فيها، وترديد أقوال الزنادقة والشيعة الحاقدين، والتعميم المضلل عند حصول الخطأ و التقصير، ثم افتراض سوء النية في أفعالهم، وأخيراً ادعاء الكيد والمؤامرات بين الصحابة والتي لا توجد إلا في أذهانهم.

والذي يقتصر على ما ورد في الدائرة وحدها فيما يتعلق بصحابة النبي ﷺ فإنه يخرج بانطباع سيئ للغاية، أو على الأقل بعيداً جداً عن الواقع.

إن ذلك كله محاولة للنيل من الإسلام بجملته؛ ذلك أن نيل المستشرقين من صحابة رسول الله ﷺ إنما هو نتيجة لكرههم لرسول الله

---

(١) قد يذكر بعض المستشرقين بعض تلك الفضائل أما من باب العدل وهو في حكم النادر، أو لشهرتها وعدم سعة تجاهلها، أو لإظهار الموضوعية.

ﷺ، ولدين الله الذي حمله أصحاب نبيه ﷺ من بعده.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: (ليبلغ الحاضر الغائب: الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه، ومن يأخذه الله فيوشك الله أن لا يفلته)[1].

المطلب الثاني: الصحابة -رضي الله عنهم- في القرآن والسنة:

في بداية هذا المبحث لابد من بيان من هو الصحابي؟

والصحابي في أصح الأقوال -وهو قول الإمام البخاري رحمه الله:- «من صحب النبي أو رآه من المسلمين»[2].

قال ابن حجر: والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين[3].

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٨٧، ٥/ ٤٥، الترمذي مناقب ١١٠ ح٣٩٥٤، وحسنه، وليس فيه ليبلغ الحاضر الغائب.

(٢) انظر : صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٤.

وقال أيضاً: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»[١].

والمعتقد الحق في صحابة رسول الله ﷺ: أنهم جميعاً عدول بتعديل الله لهم في القرآن[٢]، وبشهادة رسول الله ﷺ[٣] الذي لا ينطق عن الهوى.

وما صدر من بعضهم من سيئات وأخطأ فهو لا يذكر بجانب ما قدموه من حسنات، وهذا هو العدل في تقويم الفضلاء من الرجال وغالب ما صدر منهم في هذا الجانب إنما كان باجتهاد وتأويل.

إن لصحابة رسول الله ﷺ مكانة عظيمة عند المسلمين لما قدموه من نصرة نبيه ﷺ وإعزاز دين الله.

وهذه بعض الآيات الكريمة المعدلة لصحابة رسول الله ﷺ والمُزَكّية لهم:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤].

---

(١) الإصابة ١/ ٧.

(٢) وقد تقدمت الأدلة والبراهين على أنه من عند الله صـ ٢٧٣.

(٣) وقد تقدمت الأدلة والبراهين على كونه رسول الله صـ ٣٤٣.

(٤) الفتح الآية: ١٨.

وقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[(١)].

وقال سبحانه عن المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[(٢)].

وأما ما ورد في السنة النبوية في فضلهم:

قال رسول الله ﷺ: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن) متفق عليه[(٣)].

وقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفس بيده لو أن أحدكم أنفق

---

(١) الفتح الآية: ٢٩.

(٢) الحشر الآية: ٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، برقم (٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٥٣٣).

مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه[(١)].

قال الخطيب[(٢)]: «والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له. فهم على هذه الصفة إلى أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برَّأهم الله من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة؛ وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين؛ والقطع على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي برقم (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة برقم (٢٥٤٠).

(٢) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٣٩٢-٤٦٣هـ أحد الحفاظ المؤرخين النقاد، عالماً باللغة والأدب، له التصانيف الكثيرة المفيدة أشهرها التاريخ المشهور «تاريخ بغداد»، كان ورعاً تقياً وزع كل ماله في وجوه الخير وأوقف جميع كتبه -رحمه الله تعالى-. (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠-٢٩٤)

(٣) الكفاية في علم الرؤية، أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) ٤٨ - ٤٩، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دطت.

المطلب الثالث: طعن الدائرة في عموم الصحابة والأنصار ﷺ:

جاء في الدائرة بعض النصوص الطاعنة في عامة الصحابة أو مجموعات منهم، ومن ذلك:

جاء في مادة «دحية الكلبي» ما يلي: (وكان إذا قدم بتجارته إلى المدينة هرع أهلوها جميعاً للقائه، وتركوا النبي قائماً وحده، ولعل بعض آيات القرآن تشير إلى ذلك «سورة الجمعة ٩-١١»)[١].

كما جاء في الدائرة: (أما قبيلة الأوس فقد وقفت من النبي موقفاً محايداً إن لم تكن قد ناصبته العداء أحياناً. ومن الأنصار جماعة فرقوا بين ما يقدمونه إلى محمد من العون بصفته نبياً، وما يقدمونه بصفته من رجال السياسة) [٢].

كما جاء أيضاً: (وسيطرت روح التضحية على الأنصار فكانوا يغيثون الفقير بالرغم مما في ذلك من إثقال لكاهلهم، وفيما عدا ذلك نجد أن الأنصار قد قصروا مساعدتهم أول الأمر على الذود عن الدين، ولم يساهموا في الحروب التي شنت في سبيل الدعوة إلا كارهين، ولم

(١) الدائرة الأولى ٩/ ١٧٠، مادة دحية الكلبي، لامنس.

(٢) الدائرة ٥/ ٧٤، مادة أنصار، ركندورف.

يشترك واحد منهم قط في الحروب الأولى التي وجهت إلى مكة، وكانت قلة حماسهم في المبادرة إلى الجهاد كثيراً ما تقلق بال النبي حتى آثر الاعتماد على عون الله ما دام عون الإنسان ليس بقريب)[١].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه عدة:

أولها: فيما يتعلق بالحادثة المذكورة فإنها حدثت يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب وهي لم تتكرر كما أشار إليه المستشرق، كما أن الصحابة لم يتركوا النبي ﷺ وحده، وإنما ظل معه في المسجد بضعة عشر رجلاً، وكانت الخطبة آنذاك بعد الصلاة، ولم تنزل الآيات المشددة في الاهتمام بالخطبة إلا بعد هذه الحادثة، وهي آخر سورة الجمعة وهي قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٢].

---

(١) الدائرة ٥/ ٧٤، أنصار، ركندروف.

(٢) الجمعة ٩ – ١١.

وجاء في صحيح مسلم في سبب نزول الآية: عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: «أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها، حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة»[(١)].

ثانيها: إن ضلوع الهوى في هذا الكاتب ظاهر واضح، فهو يريد التنقص من صحابة رسول الله ﷺ بذكر تلك الحادثة التي حرفها، ولكن إذا تعلق الأمر بظهور معجزات للنبوة وما لا يريد فإن الأمر مختلف حيث نجده ينكر قصة إرسال دحية إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام[(٢)] لما فيها من تصديق هرقل بنبوة النبي ﷺ من دلائل كثيرة تفرق بين النبي والكذاب[(٣)].

بل إن الأمر تعدى إلى إنكار وجود دحية الكلبي -رضي الله عنه- نفسه حيث يقول نفس الكاتب: (وظل دحية شخصية أسطورية، على الرغم من الجهود التي بذلها المحدِثون)[(٤)].

ثالثها: فيما يتعلق بتنقيص الأوس وزعم المستشرق أنها «وقفت من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾، برقم (٨٦٣).

(٢) انظر القصة صـ ٣٤٢.

(٣) الدائرة الأولى ٩/ ١٧١، مادة دحية الكلبي، لامنس.

(٤) الدائرة الأولى ٩/ ١٧١، مادة دحية الكلبي، لامنس.

النبي ﷺ موقفاً محايداً إن لم تكن قد ناصيته العداء أحياناً» مجانب للحقيقة التاريخية الدالة على نقيض ذلك؛ إذ أن الأوس شطر الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ فهم لم يقفوا من النبي ﷺ موقفاً محايداً؟ فضلاً أن يناصبوه العداء!

إن الأوس والخزرج بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية على أن يحموه كما سيأتي، وكان منهم أسيد بن حضير نقيباً من الأوس(١)، كما شارك منهم واحد وستون رجلاً في بدر(٢)، أي خُمس الجيش.

ولعل الذي جعل الكاتب يحكم على الأوس هذا الحكم الجائر هو: مقارنته بين أعداد المقاتلين من الأوس والخزرج، وفاته أن قبيلة الخزرج أكثر عدداً من قبيلة الأوس لذا يسمون جميعاً بالخزرج تغليباً.

رابعها: أن التفريق بين الدين والسياسة ليس من الإسلام، والكاتب يكتب ذلك عن الإسلام بخلفية كنسية تعاني من الجفوة بين الدين، إن الدولة في الإسلام دولة سياسية تبرم المعاهدات، وتعلن الحروب، وتقيم العدل؛ كل ذلك على منهج ديني يرضي الله عز وجل.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤١.

إن الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ كانوا يقدمون إليه العون بصفته نبياً رسولاً، يقود المسلمين إلى ما فيه رضى الله عز وجل ونصرة الإسلام يتقربون إلى الله بذلك، كما كانوا يقدمون الزكاة إليه بصفته قائداً للأمة ليضعها في مواضعها، فليس هناك تفريق بين الدين والسياسة.

وهؤلاء الأنصار، وكذلك المهاجرون، وغيرهم ممن أسلم بعد ذلك يقدمون المال الواجب والمستحب للنبي ﷺ بهذه الصفة، كما استمروا بدفعها إلى الخلفاء من بعده أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وهكذا.

لذا لمّا منع بعض العرب دفع الزكاة للصديق - رضي الله عنه - حاربهم هو من معه من الصحابة حتى دفعوها.

إن الزكاة هي حق الله في المال يؤدى إلى إمام المسلمين، أو يؤديه صاحبه بمعرفته إن لم يطلبه الإمام، وهذا أو ذاك يصب في مصارف حددها الله عز وجل في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

---

(١) التوبة الآية: ٦٠.

أما إن كان مراد الكاتب أن بعض الأنصار كان يدفع المال لرسول الله ﷺ خوفاً من سلطانه، لا رغبة فيما عند الله عز وجل، فإنني أقول له: أين البرهان والدليل على ذلك؟

إن صح أن يقال هذا الكلام في بعض من تأخر إسلامهم؛ فإنه لا يصح إطلاقاً أن يقال في الأنصار.

إن سلطان النبي ﷺ كقائد الدولة لم يكن موجوداً إلا بعد وقوف الأنصار معه، وسعيهم إليه في مكة مسلمين راغبين، كما استقبلوه في المدينة مؤمنين محبين، ثم قدموا له العون بالنفس والمال، يدرك ذلك كل منصف.

وما سوى ذلك من الكراهية للإنفاق فلا يقع من الأنصار، وإنما من المنافقين الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[١] .

خامسها: إن الأنصار حاربوا وساهموا في نشر الدعوة مختارين راغبين

(١) التوبة الآيتان: ٥٣ – ٥٤.

لا كارهين، ونصروا رسول الله ﷺ بأموالهم وأنفسهم لذا سموا الأنصار، وقد بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية في مكة قبل الهجرة، وقد قال لهم العباس: يا معشر الخزرج – وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها-: إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا، وممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبي إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم؛ فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له. قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك ما نمنع به أزرنا[1] فبايعنا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القوم، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله: إن

---

(١) العرب تكني عن المرأة بالإزار، وتكني أيضاً بالإزار عن النفس.

بيننا وبين الرجال حبالاً - يعني اليهود- وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: (بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)[١].

فإن قيل: لِمَ لمْ يشرك النبي ﷺ الأنصار في السرايا الأولى التي شنت على المشركين بعد الهجرة؟ وهذا ما أشار إليه الكاتب.

فالجواب: أن هذه السرايا محصورة في سبعة أشهر تقريباً من شهر صفر في السنة الثانية م الهجرة وحتى رمضان من نفس السنة، وهي أربع سرايا صغيرة لم يتجاوز إعداد من شارك فيها مجتمعة مئة وعشرين رجلاً، ولم يحدث فيها قتال باستثناء واحدة منهن، ولم يطلب النبي ﷺ من الأنصار المشاركة فيها، كما لم يظهر منهم -ﷺ- ممانعة للخروج، وعدم إشراك النبي ﷺ لهم في هذه السرايا يعود إلى أن النبي ﷺ عندما بايعه الأنصار ليلة العقبة إنما بايعوه على حمايته لا على الخروج للقتال ابتداءً، ولا شك أن هذه السرايا ليست داخلة في حمايته ﷺ. وقد أشار ابن هشام إلى ذلك[٢]،كما أن حماس المهاجرين للخروج لأخذهم بثأرهم ممن

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٣ - ٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٨.

أخرجهم من دورهم له اعتباره أيضاً -والعلم عند الله تعالى- .

ولم يظهر من الأنصار أي تقصير، بل ظهر ما يدل على حماسهم، ومن ذلك: أنه لما شاورهم النبي ﷺ في غزوة بدر وهي أول قتال يشاركون فيه وكان عددهم أكثر من ثلثي الجيش قال قائلهم: «إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضها[1] البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا»[2].

وفي رواية ابن هشام: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسربنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله، ونشطه ذلك؛ ثم قال: (سيروا وأبشرو، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)»[3].

---

(١) أي الخيل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، برقم (١٧٧٩).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٨.

وعندما هجا أبو سفيان النبي ﷺ أجاب حسان بن ثابت -رضي الله عنه- بشعر ومنه:

وقال الله: قد يسرت جنداً   هم الأنصار عرضتها اللقاء[١]

وكل هذا وغيره مما يدل على اشتهار حماس الأنصار ودفاعهم عن دين الله تعالى.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، إذا بالمهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة».

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبداً[٢]

أبعد هذا يقال إن الأنصار لم يساهموا في الحروب إلا كارهين، أو أن قلة حماسهم في المبادرة تقلق بال النبي ﷺ !؟.

سادسها: أن الأنصار لهم مكانة عظيمة لما قاموا به من دور في نشر الإسلام؛ لذا فإن حبهم عقيدة من عقائد الإسلام، فالمسلمون يحبونهم،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، برقم (٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، برقم (٤٠٩٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، برقم (١٨٠٥).

كما يحبون أصحاب الأنبياء الذين ساهموا في نشر دين الله، فلا يجحدون فضلهم ولا ينتقصون أحداً منهم.

لذا جاء فضلهم في القرآن الكريم وخُلِّد ذكرهم في آيات عديدة منها:

قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وقول الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

(١) التوبة الآية: ١٠٠.

(٢) التوبة الآية: ١١٧.

(٣) الأنفال الآية: ٧٤.

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

كما أخبر النبي ﷺ بمكانة الأنصار في أحاديث صحيحة، منها:

ما ذكره النبي ﷺ في خطبته: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي[٢]، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم[٣] فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)[٤] وفي رواية: (إنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليه اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)[٥].

كما قال الله ﷺ: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) متفقه عليه[٦].

---

(١) الحشر الآية: ٩.

(٢) أي بطانتي وخاصتي. انظر فتح الباري ٧/ ١٣١.

(٣) قال ابن حجر: يشير إلى ما وقع ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك. (فتح الباري ٧/ ١٣١)

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» برقم (٣٧٩٩)، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار برقم (٢٥١٠).

(٥) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل ٢/ ٧٩١، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. رواه البخاري بمعناه من غير (عيبتي التي أويت إليها) البخاري فضائل الأنصار ١١.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان، برقم=

فهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة مؤكدة للآيات الدالة على مكانة الأنصار في الإسلام، بالإضافة إلى دخولهم فيما تقدم في المبحث الأول من فضل الصحابة من حيث العموم.

المطلب الرابع: انتقاص العشرة المبشرين بالجنة[1] - رضي الله عنهم -:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما جاء في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - : (وتقول بعض الأخبار إنه أول مسلم ذكر بعد محمد، غير أن هذا مرده في يسر إلى أثر مكانته فيما بعد. إذ أن هذه الدعوى نفسها قيلت عن علي وزيد بن حارثة، وشبيه بهذا ما ذُكر: أن أبا بكر كان إليه إسلام عثمان ابن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، وهذا مشكوك فيه لأن هؤلاء الخمسة هم وعلي كانت إليهم الشورى: أي

=(٣٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلامته، برقم (١٢٩).

(١) العشرة المبشرون بالجنة هم خيرة أصحاب رسول الله ﷺ بشرهم النبي ﷺ بالجنة في الأحاديث الثابتة الصحيحة . انظر: البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً، برقم (٣٦٧٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان برقم (٢٤٠٣).

مجلس اختيار خلف لعمر)[١].

كما جاء أيضاً: (ولقد بقي بمكة حين هاجرت كثرة من المسلمين إلى الحبشة، وكانت هذه مسألة غامضة، فلقد كان يظن أن المهاجرين كانوا يعارضون سياسة فريق من المؤمنين كان يتزعمهم أبو بكر، وعلي أية حالة فالخبر المأثور هو أن المهاجرين رحلوا فراراً من الاضطهاد)[٢].

قلت: الجواب على هذا الكلام من وجوه:

أولاً: فيما يتعلق بأول الناس إسلاماً، فهناك خلاف بين أهل العلم، وليس مرده إلى ما ذكره الكاتب، وإنما في الاجتهاد في الجمع بين الروايات الواردة، والمتأمل لتلك الروايات يتبين له: أن أول الناس إسلاماً خديجة -رضي الله عنها- ، فهي أول من رأى النبي ﷺ بعد أن أوحي إليه، فصدقته، فكانت أول من آمن بالله ورسوله، ثم أسلم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ثم أسلم زيد بن حارثة -رضي الله عنه- مولى رسول الله ﷺ ، ثم أسلم أبوبكر الصديق -رضي الله عنه-، وأظهر إسلامه[٣].

فمن قال: إن أبا بكر أول الناس إسلاماً، فإنه صحيح بالنسبة إلى الرجال الأحرار، أو لأنه أول من أظهر إسلامه، وإلا فالجميع

---

(١) الدائرة ١/ ٤٢٩ - ٤٣٠، مادة أبو بكر، منتقمري وات.

(٢) الدائرة ١/ ٤٣٠، مادة أبو بكر، منتقمري وات.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٤ - ٢٣١.

متفقون على أن خديجة[١] أول الناس إسلاماً على الإطلاق[٢]، قال ابن حجر عن خديجة: «زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقاً»[٣].

أما من قال: إن علياً أول الناس إسلاماً فقد صدق، بالنسبة للصبيان.

وقد ورد عن علي بن أبي طالب - ﷺ - في فضل أبي بكر قوله: «وسبقني إلى إفشاء الإسلام -حتى قال- وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر الإسلام وأنا أخفيه، وتستحقرني قريش وتستوفيه»[٤].

---

(١) خديجة بنت خويلد الأسدية أول زوجات النبي ﷺ وأم جميع أولاده غير إبراهيم، وأول من آمن به كانت تكبر النبي ﷺ بخمسة عشر عاماً، عرفت صدق النبي وأمانته قبل البعثة وكانت لها تجارة فاختارته ليسافر إلى الشام، وزادها رغبة في النبي ﷺ ما حكاه لها غلامها ميسرة وكان مرافقاً للنبي ﷺ إلى الشام من أمانته وحسن أخلاقه وظهور علامات النبوة عليه ﷺ، وبعد البعثة كانت خير معين له، ثبت فضلها في أحاديث كثيرة توفيت سنة ست من البعثة وحزن النبي ﷺ على فراقها كثيراً. (الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٨١)

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد المحب الظهيري ١/ ٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٣) الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٨١.

(٤) المرجع السابق ١/ ٨٩.

ولما سُئل محمد بن كعب[١] عن أول الناس إسلاماً: علي، أو أبو بكر؟ فقال: «سبحان الله، علي أولهما إسلاماً، وإنما شُبه على الناس؛ لأن علياً أعطي السلامة من أبي طالب، وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه»[٢].

قال ابن كثير: «وأول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم - يعني خديجة وعلياً وزيداً ﷺ - إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبباً متآلفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله»[٣].

ومما استُدل به على ذلك قول النبي ﷺ في صحيح البخاري: (إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله)[٤].

(١) محمد بن كعب القرظي كان أبوه من سبي بني قريظة تابعي سكن الكوفة ثم المدينة كان ثقة عالماً بالقرآن كثير الحديث فقيهاً ورعاً سقط عليه جدار المسجد فمات سنة ١١٨هـ. (انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠ - ٤٢٢)

(٢) الإصابة ١/ ٩٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي برقم (٣٦٦١).

فأبو بكر هو أول من آمن من الرجال الأحرار، وثالث المسلمين الذكور، ورابع المسلمين على الإطلاق.

ثانياً: إن تأثير أبي بكر في إسلام أولئك الصحابة الكرام هو المشهور في السيرة[١] لا يعرف غيره.

ثالثاً: أين المنهج العلمي في ادعاء: أن مكانة أبي بكر هي السبب في اختلاق: أنه أول الناس إسلاماً، وأنه السبب في إسلام الصحابة الخمسة المذكورين سالفاً -ﷺ-.

أين الدليل والبرهان على ذلك؟ إن كان الأمر كذلك فلِمَ لمْ يُقل ذلك عن عمر، أو على الأقل يُقدّم إسلامه قليلاً.

إن أي أحد قادر على الافتراء، ولكن لا قيمة له إذا تجرَّدَ عن الأدلة فضلاً أن يكون مضاداً لها.

رابعاً: فيما يتعلق بما ذكره الكاتب من: أن المهاجرين إلى الحبشة كانوا يعارضون سياسة فريق من المؤمنين كان يتزعمهم أبو بكر، وربما يكون ذلك سبب هجرتهم، فهو ضرب من الخيال، وتخبط بغير هدى، ولم يرد في ذلك دليل صحيح أو حتى ضعيف يستدل به.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٢.

فمن المعروف أن سبب هجرتهم هو الفرار من الاضطهاد في مكة لحماية الدين والنفس، وهو ليس مجرد خبر مأثور كما ذكره الكاتب، وإنما روايات متواترة مقطوع بصحتها، وهذا هو الذي ذكره كل أهل السير، ولم يذكروا غيره على الإطلاق، فقد تعرض الصحابة للاضطهاد من المشركين، ومن ذلك قول خباب بن الأرت -رضي الله عنه-:

أتيت رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة. فقلت: يا رسول الله ﷺ ألا تدعو لنا؟، فقعد -وهو محمرٌ وجهه- فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق اثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، ولَيتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله)[1].

وقال ابن عمر: «كان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة»[2].

وقالت عائشة - رضي الله عنها- وقد سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ مخافة

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين مكة، برقم (٣٨٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: وقاتلوكم حتى لا تكون فتنة برقم (٤٥١٤).

أن يُفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد به حيث شاء»[١].

وقالت أم المؤمنين أم سلمة -وكانت ممن هاجر إلى الحبشة رضي الله عنها-: «لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم - وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيءٌ مما يكره مما ينال أصحابه- فقال لهم رسول الله ﷺ: (إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه)[٢].

فهذه أسانيد صحيحة في وقوع الاضطهاد، وأنه سبب لهجرتهم، فالمسألة واضحة لا غموض فيها، فالأنبياء وأصحابهم كانوا يضطهدون كما حصل ذلك لبني إسرائيل وأصحاب عيسى، وأصحاب الأخدود، فيهاجر من استطاع منهم فراراً بدينه من الفتنة والاضطهاد، كما هاجر إبراهيم -عليه السلام- وكما فعل أصحاب الكهف، وغيرهم، وذلك لا خلاف فيه عند سائر أهل الملل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، برقم (٣٩٠٠).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٠، السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري ١/ ١٧٠، وقال المحقق: حسن الإسناد.

إن رأي المستشرق السابق وإن كان مخالفاً للتاريخ، ومجرداً من الأدلة، فهو أيضاً مستبعدٌ جداً، فالدعوة كانت في بدايتها، والمسلمون يتلقون صنوف الاضطهاد من المشركين -كما تواترت الأدلة في ذلك- فالحال لا يحتمل أي خلاف.

ويزيد في نقض فرية المستشرق ما عُرف عن شخصية أبي بكر الصديق، فقد كان حسن المعشر محبوباً من سائر الصحابة، رحيماً ودوداً كما قال النبي ﷺ عنه: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)[١].

قال ابن إسحاق عن أبي بكر: «وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه، محباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق معروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته»[٢].

وقد تقدم قول ابن كثير عنه -رضي الله عنه-: وكان محبباً متآلفاً يبذل المال في

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٢٨٠، والترمذي ١١٠ ح٣٨٧٩، وقال حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١٢٥، والحاكم ٣/ ٤٢٢ وقال هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٢٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٢.

طاعة الله ورسوله[١].

وليس أدل على فرية المستشرق من أن أبا بكر الصديق نفسه - رضي الله عنه - قد خرج مهاجراً إلى الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد[٢] لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك. فرجع أبو بكر[٣].

فدلت هذه الرواية الصحيحة على بطلان كلام الكاتب من وجهين:

الأول: أن هجرة أبا بكر تنقض مزاعم الكاتب في سبب هجرة المسلمين من أساسها.

الثاني: أن الأخلاق العالية لأبي بكر والتي اعترف بها المشركون كفيلة بنفي مقالته.

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٦.

(٢) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمين. (فتح الباري ٧/ ٢٣٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي وعقده، برقم (٢٢٩٧).

إنه لا يخفى مراد الكاتب من دعواه: وهو الطعن في الإسلام بإنكار أن يكون أصحابه الأولون بهذه الصلابة في التمسك به، وإثارة المطاعن في الرعيل الأول كأبي بكر الصديق، والمهاجرين إلى الحبشة.

والمسألة الثانية: ما جاء في عمر(١) -ﷺ-:

جاء في الدائرة: (ولم يحل دون اختيار سعد بن عبادة رئيساً لهذه الدولة إلا تدخل عمر تدخلاً جاء في حينه، ونستدل على شعور سعد ابن عبادة بحرمانه هذا المنصب دون حق من ذلك الموقف العدائي الذي اتخذه بعد إقصائه من المدينة إلى حوران حيث توفي عام ١٥هـ)(٢).

كما جاء في الدائرة عن حفصة(٣) -رضي الله عنها-: (وقد وضعت كل مالها من سلطان في خدمة حكومة الثلاثة، وهو الحزب الذي كان يسعى

---

(١) عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كانت إليه سفارة قريش في الجاهلية. كان شجاعاً مهاباً، أسلم سنة ست من النبوة فأعز الله به الدين وهو أفضل أصحاب النبي ﷺ بعد أبي بكر، وورد في فضله الأحاديث الثابتة الكثيرة، تولى الخلافة فكان ثاني الخلفاء الراشدين ففتح الله به البلاد ونصر به الدين، وعدل بين الرعية حتى لقب بالفاروق، استشهد بالمدينة سنة ١٣هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٥١٨ - ٥١٩)

(٢) الدائرة الأولى ٨/ ٣١٣، مادة الخزرج كرنكوف.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ تزوجها بعد وفاة زوجها كانت عابدة مكثرة من الصيام توفيت سنة ٤٥هـ. (انظر الإصابة ٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

إلى استخلاف أبي بكر وعمر بعد محمد)[١].

قلت: تدخل عمر لم يكن بغير حق، بل هو محق في ذلك؛ لأنه أراد أن يتولى الخلافة من كان أهلاً لها، فالخلافة ليست للأنصار حيث لابد أن تكون في قريش كما سيأتي.

فأبو بكر الصديق -ﷺ- هو أولى الناس بخلافة النبي ﷺ، حيث أمَّره النبي ﷺ على الحج، وقدّمه للصلاة حين مرضه، وأجمع الصحابة على فضله وكمال عقله وسابقته للإسلام.

وسعد بن عبادة[٢] -ﷺ- صحابي جليل شهد بدراً، ولكن أبا بكر أولى بالخلافة منه، لتقديم النبي ﷺ له؛ ولأن النبي ﷺ جعل الخلافة في قريش كما ثبت عنه ﷺ بقوله: (لا يزال هذا الأمر في قريش) متفق عليه[٣].

قال النووي عن هذا الحديث وغيره: «هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى

---

(١) الدائرة ١٥/ ١٦٣، مادة حفصة، فتشيا فاليري.

(٢) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي سيد الخزرج كان أحد النقباء في بيعة العقبة الثانية كان جواداً محسناً لكثير من العلوم يلقب بالكامل وكانت راية الأنصار معه في الغزوات. مات بحوران سنة خمس عشرة. (انظر الإصابة ٢/ ٢٩ - ٣٠)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، برقم (٧١٤٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، برقم (١٨٢٠).

هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم»[١].

وقد أخطأ سعد -رضي الله عنه- حين ترك مبايعة أبي بكر، إلا أن له من الحسنات أضعاف ذلك الخطأ.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وتخلف سعد قد عُرف سببه، فإنه كان يطلب أن يصير أميراً، ويجعل من المهاجرين أميراً، ومن الأنصار أميراً. وما طلبه سعد لم يكن سائغاً بنص رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين»[٢].

وأما ذهابه إلى حوران فلم يكن إقصاءً من أحد، وإنما كان بمحض اختياره -رضي الله عنه-[٣].

أما ما يتعلق بحكومة الثلاثة أي: أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وتآمرهم وتخطيطهم لأن يتولوا الخلافة بهذا الترتيب، وتكوين حزبٍ كاملٍ لهذا الأمر شاركت فيه عائشة وحفصة وغيرهما، فإن هذا كله ليس له حقيقة إلا في عقول أولئك المستشرقين، وما حدث في السقيفة إنما هو فلتة كما قال عمر، ولم يكن تواطؤاً وتخطيطاً.

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢٠٠.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٨/ ٣٣١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٦١٦ - ٦١٧.

والمطالع لسيرهم في سياسة رعيتهم ونزاهتهم وعدلهم يجد أنها تكذِّب ما ذهب إليه المستشرقون.

إن الناظر للتاريخ لا يجد تلك الفرصة للتآمر بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة لاحتكار الأمر دون الآخرين. وما حدث من استنكار عمر لوفاة النبي ﷺ، وغياب أبي بكر حين الوفاة، ليدلان على كذب تلك المزاعم، وحسبنا في ذلك أنه لم يقم على ذلك دليل أصلاً.

وهذه القضية يدندن حولها أولئك المستشرقون ومن تابعهم كفيليب حتى من غير ذكر لما يدل عليها[1].

أما حفصة أم المؤمنين فيكفيها شرفاً قول جبريل للنبي ﷺ: «إنها صوّامة، قوّامة، وهي زوجتك في الجنة»[2].

وكانت كثيرة الصوم حتى وفاتها -رضي الله عنها-[3].

فلم يكن عمر ليتآمر مع ابنته لهذا الأمر، وما كانت - رضي الله عنها- كذلك.

---

(١) موضوعية فيليب حتى، شوقي أبو خليل ٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٢٢٨ وصححه المحقق.

(٣) أخرجه ابن سعد ٨/ ٥٨، والحاكم ٤/ ١٥، وذكر ابن حجر أنه مرسل، الإصابة ٤/ ٢٧٣.

المسألة الثالثة: ما جاء في عثمان[١] - ﷺ -.

جاء في الدائرة عن سعيد بن العاص[٢] والي الكوفة من قبل عثمان: (كان يحتكر الأملاك لعثمان مؤثراً بها قريشاً)[٣].

قلت: هذه التهمة للخليفة الراشد هي ترداد لكلام الرافضة كقول ابن المطهر في اتهام عثمان: إنه استعمل سعيد بن العاص، وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها.

وقد كُفيت برد شيخ الإسلام ابن تيمية عليه بقوله: «مجرد أخراج أهل الكوفة لا يدل على ذنب يوجب ذلك، فإن القوم كانوا يقومون على كل

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة كان حيياً من أثرياء مكة فسخر ماله في سبيل الله. هاجر الهجرتين وغزا مع النبي ﷺ اختير للخلافة بعد مقتل عمر، دبت الفتن في آخر أيامه فقتِل في بيته شهيداً كما أخبر النبي ﷺ وكان ذلك سنة ٣٥هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد القرشي الأموي توفي النبي ﷺ وعمره تسع سنين وقُتل أبوه مشركاً في بدر، كان من فصحاء قريش ندبه عثمان مع من ندب لكتابة القرآن وولي الكوفة وفتح طبرستان، وولي المدينة لمعاوية مات بقصره في العقيق سنة ٥٣هـ. (الإصابة ٢/ ٤٧ - ٤٨)

(٣) الدائرة ٣/ ٤١١، الأشتر، أيوار.

والٍ. وقد قاموا على سعد بن أبي وقاص، وهو الذي فتح البلاد، وكسر جنود كسرى، وهو أحد أهل الشورى، ولم يتول عليهم نائب مثله. وقد شكوا غيره مثل عمار بن ياسر، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم. ودعا عليهم عمر بن الخطاب -ﷺ- فقال: اللهم إنهم قد لبسوا عليَّ فلبِّس عليهم.

وإذا قُدر أنه[١] أذنب ذنباً، فبمجرد ذلك لا يوجب أن يكون عثمان راضياً بذنبه ..... وإنما يكون الإمام مذنباً إذا ترك ما يجب عليه من إقامة حد، أو استيفاء حق، أو اعتداء ونحو ذلك»[٢].

أما ما يختص بالأموال، فإعطاء عثمان -ﷺ- كخليفة للمسلمين له ما يبرره من وجوه عدة:

١- لم يكن عثمان يستأثر لنفسه شيئاً من هذا المال دون الرعية، وإنما كان يوزعه على أقاربه وغيرهم[٣].

٢- وهو قول الإمام مالك، وأكثر السلف، وبه عمل الخلفاء الراشدون الأربعة-[٤] إن حق النبي ﷺ في هذا المال حق الإمام من بعده استناداً

(١) أي سعيد بن العاص.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/ ٢٤٣.

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ٦/ ٢٤٩.

(٤) انظر الكافي لأبي عمر بن يوسف بن عبدالله القرطبي ١/ ٤٧٨، مكتبة الرياض=

إلى قول النبي ﷺ: (إن الله عز وجل إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده)[١].

كما قال بعض الفقهاء: إن ذوي القربى في حياة النبي ﷺ ذووا قرباه، وبعد موته هم ذووا قربى الإمام؛ لأن أقارب الإمام يستأمنهم وينصرونه ويذبون عنه مالا يفعل غيرهم، وفي هذا نفع عام للمسلمين[٢].

٣- أنه كان يعمل في المال والله تعالى قال: ﴿.. وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[٣]، والعامل على الصدقة الغني له أن يأخذ بعمالته باتفاق المسلمين[٤].

=الحديثة، دطت، وقال القرطبي: وبه قال الخلفاء الأربعة، وبه عملوا. انظر الجامع لأحكام القرآن تفسير الأنفال ٤١. ورجحه ابن تيمية انظر مجموعة الفتاوى ١١/ ١٨١. وقال ابن كثير: وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله: وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الأقوال. انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٢ في تفسيره للآية ٤١ من سورة الأنفال.

(١) أحمد ١/ ٤، وصححه أحمد البنا الساعاتي ١/ ١٦٠، كما رواه أبو داود ٣/ ١٩٨ بمعناه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٥٧٥.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/ ٢٥١، وعزى هذا القول لأبي ثور في مجموع الفتاوى ١٩/ ٣١.

(٣) التوبة ٦٠.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ٦/ ٢٥١.

ثم إن الناظر لسيرة عثمان -رضي الله عنه- يتعجب من تلك الاتهامات إذ أنها على هشاشتها تناقض ما عرف عنه من الجود والفضل والحياء، فقد ثبت عنه تجهيزه لجيش العسرة في غزوة تبوك، وحفر بئر رومة وتسبيلها للمسلمين، وقد قال النبي ﷺ: (من جهز جيش العسرة فله الجنة)، فجهزه عثمان، وقال: (من حفر بئر رومة فله الجنة) فحفرها عثمان[1].

وفي رواية أخرى صحيحة قال النبي ﷺ: (ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا)[2].

وفي حديث صحيح قال النبي ﷺ عنه: (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة)[3]، يعني عثمان.

وفي هذا أبلغ الرد على تلك التهم لثالث الخلفاء الراشدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي كتاب الوصايا، باب: إذا وقف أرضا واشترط لنفسه برقم (٢٧٧٨).

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٥١٦، وصححه المحقق.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم (٢٤٠١).

المسألة الرابعة: ما جاء في أبي عبيدة[(١)] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (ولا شك أن أبا عبيدة كان رجلاً أثَّرت شخصيته في معاصريه، على أن الروايات المتأخرة تظهره في صورة الرجل الذي لا لون له)[(٢)].

كما جاء عنه: (ويقال: إنه كان يمتاز بالشجاعة وإنكار الذات)[(٣)].

قلت: كلمة [يقال] تدل على التضعيف، وما ذكره من شجاعة وإنكار الذات لأبي عبيدة - رضي الله عنه - ثابتان له، بل كيف يشكك في هذا ؟!! وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: (إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[(٤)].

كما جاء في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ قال لأهل نجران: (لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين) فاستشرف لها الناس، فبعث أبا

---

(١) عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي الفهري من السابقين إلى الإسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة كما صح عن النبي ﷺ شهد بدراً وما بعدها من الغزوات وله دور بارز في فتوح الشام في عهد الصديق والفاروق توفي بطاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ. (الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) الدائرة ١/ ٥٣٩، مادة أبو عبيدة، جب.

(٣) الدائرة ١/ ٥٣٩، مادة أبو عبيدة، جب.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه برقم (٣٧٤٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه برقم (٢٤١٩).

عبيدة بن الجراح»[١].

ثم أين هذه الروايات التي تظهر أنه لا لون له؟ إن تلك الروايات إن وجدت فهي باطلة قطعاً في حق أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

المسألة الخامسة: ما جاء في طلحة بن عبيد الله[٢] والزبير بن العوام[٣] - رضي الله عنهما -:

جاء في الدائرة في مادة طلحة ما يلي: (فلما توفي النبي بدا أن علاقته بالخليفتين الراشدَيْن الأولَيْن كانت أميل إلى الفتور، ويقال: إنه تردد مدة طويلة قبل أن يبايع أبا بكر وعمر من بعده. وقد حرص عمر بدوره على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق برقم (٧٢٥٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، برقم (٢٤٢٠).

(٢) طلحة بن عبيدالله بن عثمان القرشي التيمي من السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة غزا مع النبي ﷺ وله الموقف المعروف في نصرة النبي والذود عنه في أحد حتى قال النبي ﷺ «أوجب طلحة» أي الجنة، كان ثرياً سخياً، أحد الستة الذين اختارهم عمر للشورى في الخلافة بعده. قتل مغدوراً يوم الجمل سنة ٣٦هـ. (الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي حواري الرسول ﷺ وابن عمته وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة غزا مع النبي ﷺ بدراً وما بعدها، وكان أحد الستة أصحاب الشورى بعد وفاة عمر قُتِل مغدوراً يوم الجمل سنة ٣٦هـ. (الإصابة لابن حجر ١/ ٥٤٥ - ٥٤٦).

ألا يولى منصباً رفيعاً ذلك الصحابي القوي، فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماحهْ ... إن طلحة كان من المرشحين للخلافة، وقد أحس بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان. واندمج طلحة في صفوف المعارضة، فاستغل السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى... وقتل الخليفة في بيته على يد الغوغاء، وظن طلحة أن حلمه أو شك أن يتحقق، بل لقد بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى، وإذا بعلي يبايع بالخلافة دونه .... ولم تشق أسرة طلحة بهلاك شيخها؛ ذلك أن ورثته آلت إليهم ثروته وظلوا محتفظين بجاههم)[(١)].

كما جاء فيها عن فتنة الجمل: (أن طلحة والزبير اللذين ائتمرا بأمرها - يعني عائشة رضي الله عنها- كانا يتشاجران فيما بينهما متعللين بأسباب واهية ... فظهرا في ذلك بمظهر الرجال الذي تحركهم الأطماع ويفتقدون في الوقت نفسه العزيمة والثبات المؤديين إلى النجاح)[(٢)].

وجاء أيضاً: (ويقال إن الزبير ظل وفياً للنبي في الشدائد، وأنه اشترك في هجرتي المسلمين إلى الحبشة)[(٣)].

---

(١) الدائرة الأولى ١٥/ ٢٥٤ – ٢٥٥،مادة طلحة بن عبيدالله، رسكا.

(٢) الدائرة ١٢/ ٣١٨، مادة الجمل، فتشيا فالييري.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٤٠، مادة الزبير بن العوام، فنسنك.

قلت: لم تتجاوز ترجمة طلحة ثلاث صفحات والزبير صفحتين في دائرة المعارف، ومع ذلك تضمنت جملة من الأباطيل السالفة، وتركيزاً على الفتنة[١] مع الإخلال بفضائلهما.

والرد على المزاعم السالفة من وجوه:

أولاً: علاقة طلحة بأبي بكر وعمر لم تشبها شائبة، وعدم توليته لأي منصب لا يعود إلى ما ذكره المستشرق، بل إن كثيراً من كبار الصحابة لم يولوا أعمالاً في عهد أبي بكر وعمر، وليس عدم التولي دليل العداء كما يتوهم المستشرق.

ثانياً: لم يعلن طلحة ولا الزبير -رضي الله عنهما- رغبتهما في الخلافة، أو دل دليل على حرصهما عليها، أو ثبت أنهما سعيا إليها قط، بل ثبت في الصحيح أنهما تنازلا عنها بمحض اختيارهما بعد مقتل عمر -ﷺ- حيث قال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي[٢].

ثالثاً: ما يتخرصه الكاتب من تلقاء نفسه كقوله عن طلحة:

(فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماحه)، (وقد أحس بمرارة الخيبة عندما دُفعت إلى عثمان.

(١) مع أن الفتنة تتكرر كثيراً في مواد كثيرة مثل: «الأشتر، الجمل، طلحة، عائشة».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قصة البيعة برقم (٣٧٠٠).

فاستغل السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى)، (وقُتل الخليفة في يبته على يد الغوغاء، وظن طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق، بل لقد بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى، وإذا بعلي يبايع بالخلافة دونه).

وقوله عنهما: (فظهرا في ذلك بمظهر الرجال الذين تحركهم الأطماع، ويفتقدون في الوقت نفسه العزيمة والثبات المؤدين إلى النجاح).

جميع هذه التخرصات لم يقم عليها دليل أو برهان، بل استغل الكاتب مطالبة طلحة والزبير علياً بالسعي إلى الثأر من قتلة عثمان، وسعيهما بعد ذلك مع عائشة وبعض الصحابة لذلك، مما نتج عنه القتال مع علي -رضي الله عنه- وهو قتال باجتهاد إن أخطأوا فيه فهم معذورون، ولم يؤثمهم أحد من أهل العلم، أو يطعن فيهم لأجل هذا القتال، بل قال من قاتلهم وهو علي -رضي الله عنه-: «إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1]»[2].

---

(١) الحجر الآية: ٤٧.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٧٤٧، وصححه المحقق، كما أخرجه ابن جرير في تفسر للآية ٤٧ من سورة الحجر.

رابعاً: الناظر لأحوال طلحة والزبير وسيرتهما العطرة يتبين له بطلان ما جاء به المستشرق.

أما عن طلحة فكان من السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة لم يتأخر عن النبي ﷺ في معاركه، وقد أبلى طلحة يوم أحد بلاء حسناً، ووقى النبي ﷺ بيده حتى شلت[(١)]، وقال النبي ﷺ عنه يوم أحد: (أوجب طلحة)[(٢)] أي وجبت له الجنة.

وكان كريماً سخياً يُطعم الصحابة حتى سماه النبي ﷺ: (طلحة الفياض)[(٣)].

وقال جابر -رضي الله عنه-: «صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه»[(٤)].

ولم يكن يدع المال في يده على كثرته، لذا قال عنه معاوية يوم مات:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب ذكر طلحة بن عبيد الله برقم (٣٧٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب: مناقب طلحة بن عبيد الله برقم (٣٧٣٨)، وحسنه.

(٣) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٣٤٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢١.

«عاش حميداً سخياً شريفاً، وقتل فقيراً رحمه الله»[1]، فأين المال الوفير الذي ورّثه كما أشار إليه المستشرق، وركّب منه قصة ؟!

أما الزبير فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سل سيفه في سبيل الله[2]، هاجر إلى الحبشة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ[3]، وكان أحد الفارسيْن يوم بدر، وقال النبي ﷺ يوم الخندق: (من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟)، فانطلق الزبير، فلما رجع قال النبي ﷺ: (فداك أبي وأمي)[4]، وقال عنه ﷺ: (لكل نبي حواريّ، وحواريّ الزبير)[5].

فهل بعد ذلك يشكك في وفاء الزبير للنبي ﷺ في الشدائد ؟!

خامساً: أما قوله: (ولم تشق أسرة طلحة بهلاك شيخها؛ ذلك أن ورثته آلت إليهم ثروته وظلوا محتفظين بجاهم)، فهو منبئ عن أسلوب القوم وتخرصهم، ولم أجد في الروايات ما يصدق كلام الكاتب إطلاقاً، بل

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٤١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: مناقب الزبير بن العوام برقم (٣٧٢٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، برقم (٧٢٦١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٥).

الطبيعي أن تحزن أسرته على مقتله، لاسيما وهو بهذه الصفات الفاضلة، والمناقب العالية، ولكن الماديين يفسرون الأمور حسب نظرتهم المادية، فالمال في نظرهم فوق المشاعر والأحاسيس !!.

إن الاعتماد على كلمة «يقال» دون ذكر القائل ليس من منهج الباحثين، لاسيما إذا تعلَّق الأمر بتشويه سِيرَ أناس عُلمت فضائلهم، واشتهر خيرهم.

* * *

المطلب الخامس: انتقاص أهل بيت النبي ﷺ:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما جاء في عائشة بنت الصديق[١] -رضي الله عنهما-:

جاء في الدائرة عنها العبارات الآتية: (وكانت عائشة فيما يظهر فائقة الجمال طفلة وشابة)[٢].

وجاء في سرد حادث الإفك: (وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمي، فعاد بها في حراسته إلى المدينة، وكان ذلك منها زلة كبيرة)[٣].

كما جاء عنها: (وقد وصفت في الأزمنة المتأخرة بأنها كانت مثالاً للتقوى؛ ولكن ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول)[٤].

كما جاء أيضاً في الحديث عن حفصة -رضي الله عنها-: (وهي في

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق أحب أزواج النبي ﷺ إليه بعد خديجة وهي البكر الوحيدة من زوجاته كانت عالمة فاضلة روت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث توفيت بالمدينة سنة ٥٨هـ. (انظر الإصابة ٤/ ٣٦٠ – ٣٦١)

(٢) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٣٢، مادة عائشة، متنقمري وات.

(٣) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٣٢، مادة عائشة، متنقمري وات.

(٤) الدائرة الأولى ١٥/ ٤٣٤، مادة عائشة، متنقمري وات.

ذلك على طرفي نقيض من عائشة التي كان لها شأن خطير في كثير من النواحي)[١].

كما جاء أيضاً: (ويقال إن حفصة اقترحت على النبي بناء على نصيحة عائشة، أو نصيحة أبي بكر عن طريق عائشة: أن يُكلف عمر بهذا الأمر –الخلافة– نظراً لضعف صحته الشديدة، وأن صوته قد تخنقه العبرات، ويبدو غريباً أن تصدر هذه النصيحة من عائشة)[٢].

قلت: الجواب على هذا الكلام من وجوه عدة:

الأول: تضمن هذا الكلام جملة من الادعاءات والاتهامات في أم المؤمنين عائشة بنت الصديق: كدعوى أن ما فعلته عائشة – رضي الله عنها– كان زلة كبيرة منها، وكالتشكيك في وصفها بالتقوى، وادعاء أن لها دوراً خطيراً في كثير من النواحي، واستغراب مع تضعيف اقتراح عائشة لحفصة بالمشورة على رسول الله ﷺ بتكليف عمر بالخلافة.

إن هذه كلها دعاوى مجردة من أي برهان، بل بينها وبينه خرط القتاد، وأي دعوة بهذه المثابة فهي ساقطة.

---

(١) الدائرة ١٥/ ١٦٣، مادة حفصة، لامنس.

(٢) الدائرة ١٥/ ١٦٦، مادة حفصة، فتشيا فاليري.

الثاني: إن وصف عائشة بفائقة الجمال، وصفوان بشاب جميل لا يخلو من الغرض كما هو ظاهر، إذ ليس من عادة الدائرة في السير والتراجم التعريج على هذه الناحية، فضلاً أن ذلك لم يشتهر عنهما.

كما أن ما فعلته عائشة ليس بزلة منها إذا أنها لم تُلَمْ على مجرد العودة معه بعد أن تركها القوم، إذ أن في جلوسها خطورة أعظم، وقد برأها الله تعالى من إرجاف المنافقين، ولم يأت لوم عليها في ذلك منه سبحانه أو من نبيه ﷺ أو من أبيها -رضي الله عنه-، ودعوى الكاتب مفتقرة إلى البرهان إذ الأصل البراءة وليس التهمة.

الثالث: وصف عائشة رضي الله عنها بالتقوى أمر ثابت، في المصادر المعتبرة، ولم يكن أمراً حادثاً فيما بعد، كما يحاول المستشرق أن يفهمنا ذلك على طريقته البعيدة عن المنهج العلمي الصحيح.

إن فضل أم المؤمنين ثابت لا شك فيه، وهذا بعض ما ورد في فضلها رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ: (كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم (٣٧٦٩). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، برقم (٢٤٣١).

ومن فضائلها قولها رضي الله عنها: «فُضِّلْتُ على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة، وقال تزوجها فإنها امرأتك، فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد نسائه غيري، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها، ودفن في بيتي»[(١)].

وهذه أمور ثابتة فضَّل الله بها عائشة رضي الله عنها.

ومن فضائلها رضي الله عنها ما رواه البخاري: أن النبي ﷺ قال لها: (إن جبريل يقرأ عليك السلام. فقالت وعليه السلام)[(٢)].

كما أنها أحب نساء النبي ﷺ إليه، ذلك أنه لما سئل رسول الله ﷺ: (من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قال: إنما أقول من الرجال، قال: أبوها)[(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٣ – ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال، برقم (٦٢٤٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب: في فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٤٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب من فضل عائشة رضي الله عنها برقم (٣٨٨٦)، وصححه، وفضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٨٧٢، وصححه المحقق.

لذا لما فرض عمر ﷺ لأمهات المؤمنين عشرة آلاف؛ زاد عائشة ألفين، وقال: «إنها حبيبة رسول الله ﷺ»[(١)].

أما عن ورعها ومسابقتها إلى الخير؛ فقد قال عروة: «رأيتها تتصدق بسبعين ألف»[(٢)].

ومما يدل على ورعها وفضلها: أن ابن عباس استأذن على عائشة قبل موتها وهي تعاني من المرض. فقالت: أخشى أن يُثني عليَّ. فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين. فقالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ فقالت: بخير إن اتقيت الله. قال: فأنت بخير إن شاء الله: زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسياً منسياً[(٣)].

أما عن علمها، فقد كان كبار أصحاب النبي ﷺ يسألونها عن الفرائض[(٤)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٧٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ولو لا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، برقم (٤٧٥٣).

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٦.

وقال أبو موسى الأشعري[١] -رضي الله عنه-: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[٢].

وقد روت آلاف الأحاديث عن رسول الله ﷺ محفوظة بأسانيدها.

أبعدَ هذا يقال: إنها وصفت في الأزمنة المتأخرة - فحسب - أنها كانت مثالاً للتقوى، وأنه ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول؟!!

المسألة الثانية: انتقاص الحسن بن علي[٣] -رضي الله عنهما-:

جاء في الدائرة في ترجمة الحسين بن علي - رضي الله عنهما- النصوص الآتية:

---

(١) عبدالله بن قيس الأشعري من السابقين إلى الإسلام كان فقيهاً قارئاً عالماً ولاه النبي ﷺ على بعض اليمن، وولاه عمر البصرة ففتح الأهواز وأصبهان، ثم ولاه عثمان على الكوفة وكان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين توفي سنة ٤٢هـ أو بعدها. (انظر الإصابة لابن حجر ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠)

(٢) الترمذي، في المناقب ١١٠ ح ٣٩٧٠، وصححه.

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ولد سنة ثلاث من الهجرة وحفظ عن النبي ﷺ بعض الأحاديث وكان النبي ﷺ يحبه حباً شديداً هو وأخيه الحسين، تولى الخلافة بعد مقتل أبيه - رضي الله عنهما- وبايع معاوية سنة ٤٠هـ رغبة في الإصلاح وتوفي بالمدينة سنة ٥٠هـ. (الإصابة لابن حجر ١/ ٣٢٨ - ٣٣١).

(إن الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي: الميل إلى الشهوات، والافتقار إلى النشاط والذكاء... وبويع الحسن بالخلافة في العراق بعد مقتل علي، فحاول أنصاره أن يقنعوه، بالعودة إلى قتال أهل الشام، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم خطط الحسن القعيد الهمة، فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية ... وهناك عاد إلى حياة اللهو واستسلم للذات .... إن الحسن المستهتر كان قد أصبح مسلماً منذ أمد طويل .... وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة، ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجل بمنيته)(١).

قلت: ما ذكره المستشرق في ابن بنت نبينا ﷺ اتهام بغير دليل، بل إن الأدلة تكذّب اتهاماته، فهو محبوب المعصوم ﷺ، فقد رفعه ﷺ على عاتقه، وقال: (اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه)(٢).

بل وتواتر عنه ﷺ أنه هو وأخاه الحسين سيدا شباب الجنة(٣).

---

(١) الدائرة ١٤/ ٣٥٤ – ٣٥٦، الحسن بن علي، لامنس.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب الحسن والحسين، برقم (٣٧٤٩)، وفي كتاب اللباس، باب استحاب للصبيان، برقم (٥٨٨٤)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، برقم (٢٤٢٢).

(٣) حيث رواه خمسة عشر صحابياً. انظر لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ١٤٩، وممن أخرجه الترمذي، المناقب ١٠٦ ح٣٨٥٦، وصححه، وابن ماجه، المقدمة ١١، وأحمد ٣/ ٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٩٦، وفي السلسلة ٧٩٧.

وقد بنى المستشرق كلامه على ما وقع من الصلح الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية، وتعهد معاوية بموجبه للحسن ومن معه بالعفو والأموال، وقد أراد الحسن بهذا الصلح حقن دماء المسلمين، فعصم الله بهذا الصلح الدماء والأموال، وقد أخبر نبينا ﷺ عن هذا النبأ قبل وقوعه بثلاثين عاماً حين قال عن الحسن في الحديث الصحيح: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) [(١)]، فهذا الحديث من علامات نبوته ﷺ، وفيه مدح للحسن يكذّب ما ذكره الكاتب، إذ أن صفات السيادة تتناقص مع تلك الصفات السوقية التي وصم بها الحسن، كما أن هذا الصلح من مناقبه -رضي الله عنه-.

وأخيراً أخبرنا المستشرق عن سبب وفاته، وكأنه طبيب لازمه وفحصه وعرف داءه! إنه الحقد المعمي عن الحق.

المطلب السادس: ادعاء التهويل والمبالغة في سير الصحابة:

جاء في الدائرة إنكار كرامات الصحابة -رضي الله عنهم- وادعاء أنها هُوِّلت وبُولغ فيها، وهذا التكذيب ما هو إلا سلسلة من سلاسل التكذيب بنبوة النبي ﷺ، ولأن التسليم بتلك الكرامات يلزمهم بما بعده من التسليم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي « ابني هذا سيدة » برقم (٢٧٠٤).

بصدق إيمانهم وحسن سرائرهم وصدق النبي الذي آمنوا به.

ففي سيرة حمزة ﷺ في الدائرة: (عم النبي، وتزيد الروايات أنه أخوه من الرضاعة سعياً منها لتمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام في عهده الأول، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك إلا القليل. ويزعم الجهال من مادحيه أيضاً أنه اشترك في حرب الفجار؛ ولكن هذا القول يناقض ما رواه صاحب الأغاني)[١].

كما قال فنسنك بعد أن ذكر يوم الرجيع: (إن هذه الروايات فيها مسحة من التمجيد فقد دعا عاصم ربه عند مقتله أن يخبر نبيه في مكة[٢] نبأ هذا الحديث؛ فاستجاب الله، وأحاطت الدبر بجسده، ومنعته من عدوه، ثم جاء الوادي فذهب به)[٣].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه عدة:

أولاً: التمجيد المزعوم ما هو إلا دعوى مجردة من أي برهان، والطريق الصحيح في رد الروايات دراسة الأسانيد والحكم من خلالها على تلك الروايات، وليس التشهي والهوى.

(١) الدائرة ١٦/ ٣، مادة حمزة بن عبدالمطلب، لامنس.

(٢) كان ﷺ في المدينة وليس في مكة.

(٣) الدائرة ١٦/ ٤٨١، مادة خبيب بن عدي، فنسنك.

ثانياً: إن علماء الحديث بينوا الروايات الضعيفة والموضوعة ونبهوا عليها، ومنها التي سيقت في فضائل الصحابة، بل وفي فضائل النبي ﷺ نفسه، فليس غرضهم تمجيد مكذوب، وإنما نقل الروايات والحكم عليها بموضوعية بعيداً عن التحيز.

ومن تلك الروايات:

ما رُوي في فضائل النبي ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وهذا الحديث ضعفه العلماء رغم صحة معناه[1].

وما روي في فضائل عمه العباس[2]: (العباس وصيي ووارثي) ذكر

(١) قال ابن تيمية: «المعني صحيح لكن لا يعرف له إسناد ثابت» (انظر: مجموعة الرسائل الكبرى، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٢/ ٣٥٣، أول رسالة القُصاص، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، دطت)، وذكر ذلك أيضاً العلجوني ١/ ٧٢، تعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، كما ذكره الألباني وضعفه ونقل ذلك عن السخاوي والسيوطي (سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني انظر الحديث رقم ٧٢، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ)

(٢) العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، وحضر العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم وحضر بدراً مكرهاً مع المشركين، وكان يكتب إلى النبي ﷺ بأخبار المشركين أسلم قبل فتح مكة وكان جواداً كريماً سيداً في الجاهلية والإسلام وكان الصحابة يعترفون بفضله ويأخذون برأيه وكان عمر يستسقي به توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ. (انظر الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٧٠ - ٢٧١) .

العلماء أنه موضوع[1].

كما ضعَّف العلماء حديثاً في فضائل الصحابة كلهم: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2].

فلم يصحح أهل العلم ذلك لتمجيد النبي ﷺ وأهل بيته وصحابته، بل كانت همتهم التثبت مما يُروى لنقل الروايات كما هي، فردوا الحديث الأول لأنه ليس له سند ثابت، والثاني لأن به وضَّاعاً، والثالث لأن به مجهولاً.

ثالثاً: إن سيرة حمزة -رضي الله عنه- لا يحتاج معها إلى اختلاق، فأخوته للنبي ﷺ من الرضاعة ثابتة في البخاري ومسلم[3]. قال ابن حجر في سيرته: «أخو النبي ﷺ من الرضاعة كما في الصحيحين، أرضعتهما ثويبة مولاة

---

(١) ذكر ابن الجوزي أنه موضوع لأن بإسناده جعفر بن عبدالواحد وكان يضع الحديث، وفي طريق آخر محمد بن الضوء وهو يروي المناكير (انظر: الموضوعات، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ٢/ ٣١، تحقيق عبدالرحمن بن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)

(٢) قال ابن عبدالبر عن إسناد: «هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول». (انظر: جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبدالبر ٢/ ١١١، دار الفكر بيروت، دطت)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب وأمهاتكم اللاتي أرضعكم، برقم (٥١٠٠)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة برقم (١٤٤٦).

أبي لهب»[١].

وقد أسلم حمزة -رضي الله عنه- في السنة الثانية من البعثة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وقد شهد بدراً، وأبلى في ذلك، وقتل شيبة بن ربيعة، وعقد له رسول الله ﷺ لواء، وأرسله في سرية، فكان أول لواء عقد في الإسلام[٢]، وقصة استشهاده في أحد معروفة.

فهذه سيرته -رضي الله عنه- سيرة عطرة لا مجال للتشكيك فيها فقد نصر الإسلام بإسلامه، ومات شهيداً، بل هو سيد الشهداء كما سماه النبي ﷺ بذلك[٣].

رابعاً: أين المنهج في تفضيل كتاب مجون غير متخصص -وهو الأغاني- على كتب السنة الصحيحة؟! إن المقارنة غير سائغة فضلاً عن التفضيل!

خامساً: فيما يتعلق بيوم الرجيع ودعوة عاصم[٤]، واستجابة الله له،

---

(١) الإصابة ١/ ٣٥٣.

(٢) الإصابة ١/ ٣٥٤.

(٣) الإصابة ١/ ٣٥٤.

(٤) عاصم بن ثابت الأنصاري من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن حضر العقبة وكان متحمساً لنصرة دين الله قُتِل يوم الرجيع وكان قد عاهدالله ألا يمسه مشرك فأكرمه الله بتغييب جثته عنهم -رضي الله عنه-. (انظر الإصابة ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٥)

ومنع الدبر عنه، فإن تضعيف الكاتب لهذه القصة لم يستند إلى برهان، أو بحث يعتمد عليه، فتلك القصة ثابتة في الصحيح[1]، كما رواها عامة أصحاب السير.

سادساً: إن من العجب أن يكتب ذلك الكلام نصارى[2] يؤمنون بفضائل عديدة لأقوام ويمجدونهم أعظم من هذا التمجيد مثل الحواريين ويمنحون البعض لفظ الرسل وعلى رأسهم بطرس، بل يجعلون الكنيسة والباباوات معصومين، ثم يعمدون إلى ما ثبت في فضائل أصحاب النبي ﷺ الذي لا يقول المسلمون بعصمتهم فينكرونها مع الفارق الكبير بين ثبوت كل منها !.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: هل يستأسر الرجل ؟ برقم (٣٠٤٥).

(٢) بل إن أحدهما الأب لامنس اليسوعي.

المطلب السابع: مطاعن متفرقة: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الانتقاص من أسامة بن زيد[١] -رضي الله عنهما-:

جاء في الدائرة: (وتوكيد الروايات لحب النبي له يرجع من ناحية إلى الرغبة في التقليل من شأن بيت علي، ومن ناحية أخرى إلى إظهار أن النبي كان ديمقراطياً بعيداً عن التعصب)[٢].

قلت: محبة النبي ﷺ لأسامة بن زيد، وبُعده ﷺ عن التعصب ثابتان لا يحتاجان إلى اختلاق روايات، والمنهج السليم في ذلك هو الرجوع إلى الروايات التاريخية، والنظر فيها لاستنباط المعاني، والترجيح إذا وقع تعارض، فيقدم أثبت الروايات على ما هو دونها، وينظر في المسائل بتجرد وإنصاف، لا إلى وضع الأحكام المسبقة دون ذلك كله.

وهذه المسألة ثابتة في روايات مشهورة صحيحة من غير معارض لها.

وبُعده ﷺ عن التعصب شهد به القاصي والداني، وليس هذا موضع إثباته.

وحسبي في ذلك بيان الأحاديث الصحيحة الثابتة في فضل زيد و محبة النبي ﷺ له، إذ بذلك كفاية لهدم تلك المزاعم.

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة حب النبي ﷺ وابن حبه، ولد في الإسلام وأمّرهم النبي ﷺ على جيش عظيم إلى الشام وتوفي النبي ﷺ قبل أن ينفذه فأنفذه أبو بكر الصديق، وكان عمر يجله ويكرمه اعتزل أسامة الفتن ومات سنة ٥٤هـ بالمدينة. (الإصابة ١/ ٣١).

(٢) الدائرة ٣/ ٢٣٠، مادة أسامة بن زيد، فكا.

فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –: «أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ» متفق عليه[١].

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه –: قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل. وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ من بعده) متفق عليه[٢].

كما كان النبي ﷺ يأخذه والحسن، فيقول: (اللهم أحبهما فإني أحبهما) رواه البخاري[٣].

قال ابن حجر: «كانوا يسمون أسامة حِبّ رسول الله ﷺ: أي محبوبه، لما يعرفون من منزلته عنده»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: ذكر أسامة بن زيد برقم (٣٧٣٢)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره برقم (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب زيد بن حارثة، برقم (٣٧٣٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما برقم (٢٤٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي برقم (٣٧٣٥).

(٤) فتح الباري ٧/ ٨٨.

لم يكن حب النبي ﷺ لأسامة -رضي الله عنه- مُخْتَلَقاً، أو مُبَالغاً فيه، أو مصطنعاً، فضلاً عن أن يكون ذلك للتقليل من شأن بيت علي كما زعم الكاتب.

وهو مطالب بإثبات دعواه، وأنّى له ذلك ؟!

وأما الديمقراطية بمفهومها السياسي فليست هي ما يتحدث عنه، وإنما هو ضمنها معنى العدالة والمساواة، وليس هذا الأمر مسلما به.

المسألة الثانية: الطعن في عبد الله بن عمر[1] -رضي الله عنهما-:

جاء في الدائرة: (وقد حرَّضت حفصة أخاها عبد الله، وكان رجلاً ضئيل الشأن على المطالبة بالخلافة عندما جرى التحكيم في اذرح)[2].

قلت: لم يكن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ضئيل الشأن كما زعم الكاتب، بل كان له شأن كبير في العلم والعمل والتأثير على الناس بقوله وعمله وزهده، وقد مدحه النبي ﷺ بقوله: (أرى عبد الله رجلا صالحاً)[3].

ولعل حكم الكاتب عليه من خلال زهده رضي الله عنه في الإمارة، وبُعده عنها،

---

(١) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد بعد البعثة بثلاث سنوات وهاجر مع أبيه لم يحضر بدراً لصغر سنه وحضر ما بعدها روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث وأخذ العلم عن كبار الصحابة حتى غدا من كبار علماء الصحابة وفضلائهم كان عابداً زاهداً معتزلاً للفتن نفع الله بعلمه توفي سنة ٧٣هـ. (انظر الإصابة ٢/ ٣٤٧ - ٣٥٠).

(٢) الدائرة ١٥/ ١٦٣، مادة حفصة، فتشيا فاليري.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برقم (٢٤٧٨).

وهذا ليس عيباً، بل ميزة دلت على رجحان عقله ودينه، وقد شهد بذلك له الصحابة والتابعون -ﷺ- ومن ذلك:

قول جابر بن عبد الله -ﷺ-: «ما أدركت أحداً إلا قد مالت به الدنيا إلا عبد الله بن عمر»(١).

وقول عبد الله بن مسعود -ﷺ-: «إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله عمر»(٢).

قال ابن حجر في سيرة ابن عمر: «وفي معجم البغوي بسند حسن عن سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر»(٣).

ولو كان عبد الله ضئيل الشأن لما جعله عمر يشهد أهل الشورى بعد وفاته كما ثبت ذلك في الصحيح(٤).

بل أُشير على عمر عندما حضرته الوفاة أن يستخلفه، فامتنع عن ذلك لقرابته منه، ولوجود من هو أولى منه(٥).

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ٨٩٤، وصححه ابن حجر في الإصابة ٢/ ٣٤٧.

(٢) فضائل الصحابة ٢/ ٨٩٤ – ٨٩٥، وصححه المحقق.

(٣) الإصابة لابن حجر ٢/ ٣٤٨.

(٤) انظر البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: قصة البيعة الحديث برقم (٣٧٠٠).

(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٨، وسكت عنها الحافظ في الفتح ٧/ ٦٧.

بل ثبت أن الناس أتوه بعد مقتل عثمان فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا اخرج يبايعك الناس، وكلهم بك راض، فقال: «لا والله لا يهراق في سببي محجمة من دم»(١).

فلم يسلم أحد من الصحابة من هذا المستشرق وأشباهه؛ ذلك أن الصحابة الذين قاتلوا في الفتنة مجتهدون كطلحة والزبير وغيرهم وصموهم بأنهم ذوو أطماع، ومن اعتزل منهم وصفوه بضآلة شأنه، وضعف شخصيته، فلا نعرف على أي اعتبار يطعن هو وأمثاله في صحابة النبي ﷺ ؟!

كما لا ندرك القدرة العجيبة التي يعرفون بها النوايا، وما وراء الحجب؟! إلا أن يكون وراء ذلك العداوة المستقرة في نفوسهم للإسلام وأهله، والتي من أجلها يتركون الإنصاف والعدالة، فيظهرون بهذا المظهر، وصدق الشاعر حيث يقول:

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

المسالة الثالثة: الطعن في أنس بن مالك(٢) - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (قدمته أمه لخدمة النبي بعد الهجرة، ويذكر عن نفسه

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ٨٩٥، وصححه المحقق.

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الحديث عنه لم يقاتل في بدر لصغر سنه وحضر ما بعدها، دعا له النبي بكثرة المال والولد شهد الفتوح وأقام بالبصرة وتحققت دعوة النبي ﷺ له بكثرة المال والولد، توفي بالبصرة سنة ٩٠هـ. (انظر الإصابة ١/ ٧٢ - ٧٣)

أنه كان في العاشرة من عمره وقتذاك. وقد حضر غزوة بدر، ولكنه لم يشترك فيها، ولذلك فهو لا يعد من المجاهدين، وظل يخدم النبي إلى أن قبض، واشترك بعد ذلك في الفتوح كما كان له ضلع في الفتن .... وهو لا يعد أعظم المحدثين، ويقال إن أبا حنيفة رفض اتخاذه حجة في الحديث، والأحاديث التي رواها عن المعراج وغيره لم تبرأ من القصص الخيالي، وتوجد مجموعة كبيرة من أحاديثه في مسند أحمد ابن حنبل)[١].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

الأول: إن أنس بن مالك حضر بدراً، ولكنه لم يشترك فيها لصغر سنه فقد كان عمره آنذاك لا يتجاوز اثني عشر عاماً. وهذا مفهوم حتى من كلام الكاتب عندما قال: (قدمته أمه لخدمة النبي بعد الهجرة، ويذكر عن نفسه أنه كان في العاشرة من عمره وقتذاك) ومن المتفق عليه أن غزوة بدر كانت في السنة الثانية للهجرة.

روى محمد بن سعد: حدثنا الأنصاري، عن أبيه، عن مولى لأنس؛ أنه قال لأنس: أشهدتَ بدراً؟ فقال: لا أم لك، وأين أغيب عن بدر. ثم قال الأنصاري: خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، وهو غلام يخدمه[٢].

---

(١) الدائرة ٥/ ٧٠، مادة أنس بن مالك، فنسنك.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٧/ ٢١.

قال الذهبي: «لم يعده أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبياً ما قاتل، بل بقي في رحال الجيش. فهذا وجه الجمع»[١].

قال ابن حجر: «لم يذكر في البدريين؛ لأنه لم يكن في سن من يقاتل. شهد الفتوح»[٢].

الثاني: إن أنس بن مالك -رضي الله عنه- كان من المجاهدين فقد غزا غير مرة مع النبي ﷺ، وشهد الحديبية، وبايع تحت الشجرة[٣]، كما شارك في حنين وخيبر[٤] ومؤتة[٥]، وشارك في فتوح العراق، وساهم في فتح حصن تستر[٦].

أبعد هذا كله لا يعد من المجاهدين؟ وصدق الشاعر حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

الرابع: قوله: (له ضلع في الفتن)؛ فالجواب عليه أن الصحابة - رضي الله عنهم -

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٨.

(٢) الإصابة ١/ ٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧.

(٤) تاريخ ابن عساكر المُسمى: التاريخ الكبير، علي بن الحسين بن عساكر ٣/ ١٤٥، تصحيح عبدالقادر أفندي، مطبعة روضة الشام ١٣٣١هـ.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح٢٢٥٢.

(٦) رواه البخاري معلقا في أبواب صلاة الخوف، باب الصلاة عند منهضة الحصون.

قد اجتهدوا في زمن الفتنة فمنهم من رأى أن الحق مع هذا الجانب، ومنهم من رأى أنه في الجانب الآخر، ومنهم لم يتبين له الأمر ورأى الاعتزال أفضل كعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد وغيرهما، فعمل كل منهم بحسب اجتهاده، ولا لوم على مجتهد إن أخطأ، لاسيما وأن الصحابة الكرام قد تقدم منهم السابقة في الإسلام والحرص على الخير، والصدق في الأقوال والأفعال.

الخامس: ما يتعلق برواية أنس بن مالك- ﷺ- للحديث فقد كفاني العلامة أحمد شاكر مؤنة الرد بقوله: «لم أجد ما يؤيد النقل الذي نقله المستشرق فنسنك عن أبي حنيفة، والمعروف عند علماء المصطلح، بل عند عامة العلماء، من أتباع أبي حنيفة وغيره من الأئمة: أن الصحابة كلهم عدول، وقد خالف بعض العلماء في الأخذ برواية الصحابة خلافاً لا يقام له وزن، ولكن أنس بن مالك ليس ممن اختلف في الأخذ بروايته، أما زعم الكاتب أن روايته لحديث المعراج فيها قصص خيالي: فإنه زعم باطل لا دليل عليه؛ لأن الروايات الواردة فيه بأسانيدها [٥/ ١٠٧-١٤٣]. غاية الأمر أن الحديث دل على معجزات للنبي ﷺ لا يريد الكاتب أن يصدق بصحتها، فهذا مرجعه لعقيدته، لا نتحكم فيها، ولكن لا علاقة له بالقواعد الصحيحة الدقيقة التي يُرجع إليها في صحة الأحاديث وضعفها»[١].

---

(١) الدائرة ٥/ ٧١، مادة أنس بن مالك، تعليق أحمد شاكر.

السادس: هناك مناقب لأنس -رضي الله عنه- لم يذكرها الكاتب، منها ما رواه أنس حيث قال: جاءت بي أم سليم إلى رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله! هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: (اللهم أكثر ماله وولده). فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم[١]. وفي رواية: فالله أكْثَرَ مالي حتى إن كرماً لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلب مئة وستة[٢].

وقول أنس -رضي الله عنه-: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين في السفر والحضر، فوالله ما قال لشيء صنعته: (لِمَ صنعت هذا)، ولا لشيء لم أصنعه: (لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا)»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس من مالك رضي الله عنه، برقم (٢٤٨١).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩، تاريخ ابن عساكر ٣/ ١٤٣ - ١٤٤، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩. قال محقق سير أعلام النبلاء: وسنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، برقم (٦٠٣٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، برقم (٢٣٠٩).

المسألة الرابعة: الطعن في خالد بن الوليد[(١)] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (وعلى الرغم من أن خالداً كان قد أرسل لغرض سلمي - إلى جذيمة في وقت النبي - فإنه انتهز الفرصة للانتقام لنفسه، ونفذ ذلك بطريقة أثارت السخط عليه في مكة)[(٢)].

قلت: الجواب على ذلك كما يلي:

أصل القصة كما وردت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرنا له، فرفع النبي يده فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) مرتين[(٣)].

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أحد القادة المقاتلين الشجعان في الجاهلية والإسلام حضرا أحداً مع المشركين وأنقذهم من هزيمة محققة أسلم بعد عمرة الحديبية وشارك في فتح مكة وأرسله النبي ﷺ لهدم أصنام الجاهلية، وكر سالماً بجيش المسلمين في مؤتة. وصفه رسول الله ﷺ بسيف الله المسلول، أبلى بلاءً عظيماً في حروب الردة، وفي فارس، وفي اليرموك، عزله عمر عن القيادة مخافة أن يفتن الناس به لدوره الكبير في تحقيق النصر في المعارك. توفي بحمص سنة ٢١هـ. (انظر الإصابة ٣١٣ - ٣١٥).

(٢) الدائرة ١١/ ١٤٨، مادة جذيمة بن عمار، فتشيا فاليري.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد برقم (٤٣٣٩).

فلا شك أن خالداً أخطأ، والدليل على خطئه تبري النبي ﷺ من فعله امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

وما وقع فيه خالد لم يكن كما صوره الكاتب، بأن خالداً قصد قتلهم وهم مسلمون لثأر في الجاهلية، بل ظن أنه يسوغ قتلهم لاعتقاده بأنهم أصروا على الكفر.

قال ابن تيمية: «إن خالداً لم يتعمد خيانة النبي ﷺ، ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده، ولكنه أخطأ»[٢].

وقال ابن حجر: «وحاصله أن خالد بن الوليد غزا بأمر النبي ﷺ قوماً، فقالوا: صبأنا، وأرادوا: أسلمنا، فلم يقبل خالد ذلك منهم، وقتلهم بناء على ظاهر اللفظ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ذلك فأنكره، فدل على أنه يكتفى من كل قوم بما يعرف من لغتهم. وقد عذر النبي ﷺ خالد بن الوليد في اجتهاده، ولذلك لم يقد منه»[٣].

وخالد بن الوليد له من الفضل والحسنات، وما أنعم الله به عليه من حسن التصرف في مؤتة، وحرب المرتدين، وأثره العظيم بكثرة الفتوح بعد ذلك في العراق والشام ما لا يقاس بهذا الخطأ.

---

(١) الشعراء ٢١٦.

(٢) منهاج السنة ٢١٦.

(٣) فتح الباري ٦/ ٢٧٤، الجزية ١١.

وقد دلت السنة الشريفة على فضائل خالد، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (خالد سيف من سيوف الله عز وجل، نعم فتى العشيرة)[1].

وقوله ﷺ: (لا تؤذوا خالداً، فإنه سيف من الله صبَّه الله على الكفار)[2].

* * *

(١) رواه أحمد ٤/ ٩٠، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٢٦.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٥٧، وصححه المحقق، كما أخرجه الحاكم، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٣/ ٢٩٨.

الباب الرابع

مطاعن الدائرة الأخرى في العقيدة الإسلامية

الفصل الأول: الملائكة الكرام في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني: اليوم الآخر في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثالث: طعن الدائرة في الشريعة الإسلامية.

الفصل الرابع: طعن الدائرة في أئمة أهل السنة.

الفصل الخامس: تمجيد الدائرة لأئمة الضلال والبدع.

الفصل الأول

الملائكة الكرام في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: الملائكة في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: الملائكة في دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول

الملائكة في القرآن والسنة

أهمية الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، لذا جاء في الكتاب والسنة النصوص الكثيرة في أهمية الإيمان بالملائكة، وكفر جاحدهم، كما نجد في النصوص قرن الإيمان بهم بالإيمان بالله عز وجل.

ومن تلك النصوص:

قول الله عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[٣].

(١) البقرة الآية: ٢٨٥.

(٢) النساء الآية: ١٣٦.

(٣) البقرة الآية: ١٧٧.

كما جاء في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ لما سُئل عن الإيمان قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر»[١].

والإيمان بالملائكة يتضمن إيماناً إجمالياً بوجودهم وخضوعهم لله، وإيماناً تفصيلياً بحسب ما يعلمه المؤمن من الكتاب والسنة فيما يتعلق بهم.

أسماء الملائكة وعددهم:

ورد ذكر أسماء بعض الملائكة في القرآن والسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وجبريل مكلف بالوحي: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣].

وميكال مكلف بالأرزاق كما جاء في بعض الأحاديث.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان، برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨).

(٢) البقرة الآية: ٩٨.

(٣) البقرة الآية: ٩٧.

كما جاء ذكر خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[(١)].

وهاروت وماروت، وهما ملكان ابتلاهما الله عز وجل، فأنزلهما الأرض: ﴿... وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[(٢)].

وجاء ذكر إسرافيل في السنة الصحيحة – وهو نافخ الصور كما جاء في بعض الأحاديث – في دعاء النبي ﷺ: (اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل...)[(٣)].

وهم من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله، فقد جاء في الحديث في البيت المعمور في السماء أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى[(٤)].

كما جاء : (أطَّت السماء ويحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده ، ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده)[(٥)].

---

(١) الزخرف الآية: ٧٧.

(٢) البقرة الآية: ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول، برقم (١٦٢).

(٥) ابن مردويه وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٣١، وأخرجه الطحاوي بمعناه في مشكل الآثار ٢/ ٤٣، دار صادر، بيروت، موافق لطبعة حيدر آباد ١٣٣٣هـ، وصححه الألباني في السلسلة ٨٥٢.

خلق الملائكة وصفاتهم:

خلق الله الملائكة من نور كما جاء في الحديث: (خُلقت الملائكة من نور)(١).

وأن بعضهم عظيم الخلق كما ورد أن أحد حملة العرش بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام(٢).

وأن لهم أجنحة: ﴿... جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ....﴾(٣).

ومنهم الغلاظ الشداد: ﴿... عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ...﴾(٤)،

وهم مع ذلك خاضعون لله منفذون لأمره؛ إذ هُم مجبولون على طاعة الله: ﴿...لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦).

(٢) أبو داود في السنة ١٩ ح ٤٧٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٦٦، وأخرجه الطبراني بمعنى مقارب في المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني ٢/ ٤٣٥ح ١٧٣٠، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) فاطر الآية: ١ .

(٤) التحريم الآية: ٦.

(٥) التحريم الآية: ٦.

أعمال الملائكة:

هذه بعض أعمال الملائكة التي ينفذونها بأمر الله:

- نزولهم بالوحي على رسل الله -عليهم السلام-: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾[1]، وقد اختص بذلك جبريل -عليه السلام-، وهو من أشرف الملائكة قال سبحانه عن القرآن: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2].

- إرسالهم إلى الأنبياء لمواساتهم ولتعذيب المكذبين بهم، كما جاءوا إلى إبراهيم ليعذبوا قوم لوط: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾[3].

- قبض الأرواح، وقد وكل به ملك الموت -جاء في بعض الآثار أنه عزرائيل-: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ... ﴾[4].

---

(١) النحل الآية: ٢.

(٢) الشعراء الآيات: ١٩٣- ١٩٥.

(٣) الذاريات الآيات: ٣١- ٣٤.

(٤) السجدة الآية: ١١.

- المقاتلة مع المؤمنين كما في بدر: ﴿... أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾[١].

- حمل عرش الرحمن: ﴿... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٢].

- كتابة أعمال العباد: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٣].

- ومنهم خزنة الجنة والنار: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[٤]، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[٥].

- تثبيت المؤمنين والدعاء لهم، وتبشيرهم بالجنة عند قبض الروح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٦]، ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ...﴾[٧].

---

(١) آل عمران الآية: ١٢٤.

(٢) الحاقة الآية: ١٧.

(٣) الانفطار الآيتان: ١١- ١٢.

(٤) الرعد الآيتان: ٢٣- ٢٤.

(٥) المدثر الآيات: ٢٩- ٣١.

(٦) فصلت الآية: ٣٠.

(٧) آل عمران الآية: ٤٥.

تصحيح القرآن لاعتقاد المشركين في الملائكة:

إن الملائكة على عبادتهم لله وخضوعهم له وقربهم منه، وتنفيذهم لأمره سبحانه، فإنهم لا يعدون أن يكونوا عباداً لله فلا يُدعون، ولا يُصرف لهم شيء من العبادة؛ إذ أن العبادة حق الله وحده، وقد جاء القرآن بتصحيح ما فسد من اعتقاد في الملائكة، ومن ذلك صرف شيء من العبودية لهم: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

ومن ذلك وصفهم بأنهم إناث: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[٢].

كما حكى القرآن في آيات عديدة[٣] تكبر المكذِّبين واحتجاجهم بأنه لابد من نزول الملائكة لإقامة الحجة عليهم؛ لأن الرسل بشر مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٤].

---

(١) آل عمران الآية: ٨٠.

(٢) الزخرف الآية: ١٩.

(٣) من ذلك الأنعام ٨، هود ١٢، الحجر ٧، الإسراء ٩٢، الفرقان ٧، ٢١، المؤمنون ٢٤، فصلت ١٤، الزخرف ٥٣.

(٤) الإسراء الآية: ٩٤.

فرد الله عليهم مبيناً أن الرسول يجب أن يكون من جنس المرسَلِ لهم: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[1].

وهناك كثير من الأمور التفصيلية الأخرى بشأن الملائكة في الكتاب والسنة .

* * *

(١) الإسراء الآية: ٩٥.

المبحث الثاني

الملائكة في دائرة المعارف الإسلامية

المطلب الأول: التشويش في العرض وذكر الخرافات:

جاء في الدائرة في المواد المتعلقة بالملائكة عرض مشوش يشتت القارئ، ويعجُّ بالخرافات التي لا صلة لها بالإسلام، مع تركه أكثر ما في الكتاب والسنة من حقائق متعلقة بالملائكة.

ومما جاء في ذلك:

في مادة «إسرافيل» عرض مشوش حيث تبدأ المادة بمحاولة رد الاسم إلى الاسم العبراني «سرافين»، ثم وصف عجيب لهذا الملك لا يتفق مع القرآن والسنة، ومن ذلك قوله: (وله أربعة أجنحة أحدها في المغرب، والثاني في المشرق، وواحد يغطي جسده، وواحد يتقي به جلال الله، وجسمه مغطى بالشعر والأفواه والألسنة، ثم ينتقل إلى أفعاله ووظائفه فيقول: (وهو يعتبر الملك الذي يقرأ قضاء الله من اللوح المحفوظ، ويبلغه الملك الموكل به من رؤساء الملائكة، وهو ينظر إلى جهنم ثلاث مرات في النهار ومثلها في الليل، ويزعج من الأسى، ويبكي بكاءً مراً حتى لتغمر دموعه الأرض، وقد صحب النبي ﷺ ثلاثة أعوام وبلغه

الرسالة، ثم قام جبريل مقامه بهذا الأمر، وأخذ ينزل إليه بالقرآن)، ثم ذكر خرافة لقياه بالإسكندر، ونفخه بالصور، ثم ختم المقال بقوله: (ويُروى في مصر الحديثة أن موسيقاه ستطرب سكان الجنة)، ولم يرجع فيما ذكره إلى القرآن الكريم أو شيء من كتب السنة أو التفسير، وإنما رجع في ذلك كله إلى سبعة مراجع هي: تاريخ الطبري، والدرة الفاخرة للغزالي، وعجائب الموت للكسائي، وأربعة مراجع أجنبية للمستشرقين[١].

وفي مادة «جبريل» يتكرر نفس الأمر إذ يستقي من كتب العجائب كثيراً من القصص التي لم تثبت، فجبريل واسى آدم عند خروجه من الجنة، وعلمه الزراعة، وهو الذي علم نوحاً بناء الفلك، وهو الذي أعان موسى على السحرة ... إلى آخر ذلك، بل وصل الأمر إلى أن ينسب للقرآن ما ليس فيه كقوله عن جبريل: (إنه حفظ إبراهيم من النار [الأنبياء: ٦٩])[٢].

كما جاء في الدائرة: (أما محمد فإن رأيه واضح في هذه الأمور: فإنه إلى جانب قوله بوجود الله يقول بوجود الملائكة، ووجود الجن مع الشيطان، وأن الشياطين كانت على صلة بالجن، والملائكة)[٣].

---

(١) الدائرة ٣/ ٢٩٥، إسرافيل، فنسنك.

(٢) الدائرة ١١/ ٦٢، جبرائيل، كارده فو.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٥، مادة «الله»، ماكدونالد.

قلت: الملائكة وأحوالهم عالم غيبي لا نعرف عنهم إلا ما جاء في الوحي، وأكثر ما ذكره هؤلاء من أخبار لا صلة للكتاب والسنة بها، وكان من المفترض على دائرة المعارف الإسلامية أن تكون مصادرها في مثل هذه الأمور الغيبية كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما أن تذكر تلك القصص على أنها اعتقاد المسلمين في الملائكة؛ فهذا غير مقبول إطلاقاً، حتى لو ذكرت في بعض الكتب التاريخية التي تذكر كل غث وسمين.

أما الصلة التي أثبتها في اعتقاد النبي ﷺ بين الشيطان والملائكة، فالكلام ليس صحيحاً بهذه الصورة، فالملائكة مطيعة لله عز وجل، بينما الشيطان ضال مضل، عليه غضب الله ولعنته.

وربما أراد أن الصلة هي كون إبليس مع الملائكة قبل معصيته، فهذا صحيح ولكن التعبير الذي ذكره لا يؤدي هذا المعنى، إذ أن التعبير موهم أن الصلة باقية، كما أن إبليس قبل معصيته لم يكن شيطاناً، بل كان مطيعاً لله، فلما عصى أُبعد وأُنزل الأرض.

وكما أنه نسب لاعتقاد النبي ﷺ ما ليس منه؛ فإنه أيضاً ينسب للقرآن ما ليس فيه، فالآية التي أشار إليها في سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1]، ليس فيها ما يدل على أن جبريل حفظ إبراهيم

(١) الأنبياء الآية: ٦٩.

من النار، حتى إنني لم أجد ذلك فيما بحثت فيه من كتب السنة أو التفاسير المعتمدة، بل غاية ما وجدت عن بعض السلف: (أن جبريل عرض لإبراهيم، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى)[١].

وعند القرطبي: (أن جبريل قال حينئذ: فاسأل ربك. فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾)[٢] [٣].

وهذا الحوار بين جبريل، وإبراهيم ليس مختصاً بجبريل فقد روي مثله مع الملائكة الآخرين كخُزَّان الماء، وملك الريح[٤].

كما جاء في الدائرة ذكر ما يفعله بعض المسلمين الجهلة من الخرافات، والشرك دون بيان مخالفة ذلك للإسلام؛ بل يُوهم القارئ أن جميع المسلمين يفعلونه، وأنه جزء من عقيدتهم حيث جاء فيها: (ولجبريل شأن هام في إعداد التعاويذ والتمائم، فاسمه يكتب كثيراً على هوامش المربعات السحرية مع أسماء الملائكة الكبار الآخرين: ميكائيل،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٤، تفسير الأنبياء: ٦٩.

(٢) الأنبياء الآية: ٦٩.

(٣) الجامع للقرطبي ١١/ ٣٠٣- ٣٠٤، تفسير الأنبياء: ٦٩.

(٤) الجامع للقرطبي ١١/ ٣٠٣.

وعزرائيل، وإسرافيل)[١].

وقد سبق الرد على هذا[٢]، وملخصه أن تلك الخرافات وإن فعلها من ينتسبون إلى الإسلام؛ إلا أنها ليست من الإسلام في شيء، ولم يأت ما يشهد لها في الكتاب والسنة؛ بل هي مناقضة لهما.

ومن المفارقات أن الدائرة تختصر الكلام في مواضع كثيرة، فلم يأت فيها الكثير من الحقائق الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بالملائكة كبعض صفاتهم، وأعمالهم، وخضوعهم لله، مع إتيانها بخرافات كثيرة تغطي في مساحتها في الدائرة على ما ثبت من حقائق.

إن المنهج السليم في عرض المادة: أن يُذكر ما في الكتاب والسنة من حقائق عن الملائكة؛ لأنهما المصدران الوحيدان لعقائد المسلمين، ويترك ما سوى ذلك من القصص والخرافات التي ليس لها مستند؛ أما أن يُفعل العكس فتذكر تلك الخرافات التي لم يسمع بها أكثر المسلمين، وليست في الكتاب والسنة، وتترك الأخبار الصحيحة عن الملائكة، فإن ذلك ليس من المنهج العلمي في شيء.

---

(١) الدائرة ٦٢/١١، جبريل، كارده فو.

(٢) انظر صـ ٢٠٧- ٢١٠.

المطلب الثاني: ادعاء بأن ما يتعلق بالملائكة في العقيدة الإسلامية مُستقى من أهل الكتاب وغيرهم:

ورد في الدائرة محاولة رد ما جاء في الكتاب والسنة عن الملائكة إلى الأمم السابقة، وذلك للطعن في نبوته ﷺ، ومن ذلك:

- الاستدلال بالتشابه في أعداد الملائكة على استقاء النبي ﷺ من السامرة: (ويصح لنا أن نذكر أيضاً ذلك التناظر العجيب ألا وهو: أن محمداً والسامرة إنما يقولون في الواقع بملائكة أربعة تتكون منهم طبقة الأرواح العلوية والفريقان يختلفان بعض الاختلاف في أسماء هؤلاء الملائكة «يتفقان في جبريل» ولكنهما يلتقيان في أن عددهم أربعة)[١].

- وفي مادة جبريل: (ولجبريل شأن هام في القرآن. وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء، وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه)[٢].

وقد توصل الكاتب إلى أن النبي ﷺ لم يسم جبريل باسمه إلا في آيات متأخرة، بينما كان يصفه قبل ذلك بصفات مثل: الروح القدس،

---

(١) الدائرة الأولى ١١/ ٩٣، السامرة، كاستر.

(٢) الدائرة ١١/ ٦٠، جبرائيل، كارده فو.

والرسول الكريم، ويزعم أن النبي ﷺ لم يكن صادقاً في لقياه لجبريل، وأن النبي ﷺ عرف جبريل من الإنجيل (ومن أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من أحد الحنفية، وقد وصلهم هذا الخبر مشوها)[١].

قلت: سبق الرد الإجمالي في مبحث خاص، ومما يفيد إعادته: أن مجرد التشابه لا يدل على الاستقاء مطلقاً حيث إن تلك الحقائق عن الملائكة واحدة، وأن الرسل لا بد أن يتفقوا فيها[٢].

ثم إن النبي ﷺ لم يجعل الملائكة أربعة حيث جاء ذكر خمسة منهم بأسمائهم في القرآن، وهم: جبريل، وميكائيل، ومالك، وهاروت، وماروت، كما جاء ملك الموت، والكرام الكاتبين، والحفظة، وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار بصفاتهم، وجاء في السنة أيضاً ذكر جبريل، وميكائيل ذكر إسرافيل[٣]، وملك الجبال[٤]. وغيرهم.

وإذا كان هذا التشابه دالاً على الاستقاء فالكاتب مُلزم بأن يُقر بأن

---

(١) الدائرة ١١/ ٦١- ٦٢، جبرائيل، كارده فو.

(٢) انظر صـ ٤٥٠- ٤٥٨.

(٣) انظر صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٧٠).

(٤) انظر صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، برقم (٣٢٣١).

المسيح -عليه السلام- استقى اسم جبريل من السامرة حيث ورد جبريل باسمه في الإنجيل[١]، وهذه الدعوى بالنسبة لعيسى أقرب إلى الصحة من باب أولى لقرب الزمان والمكان.

ولكننا كمسلمين نقر برسالة عيسى وصدقه كما نقول ذلك في محمد ﷺ.

وزعمه باصطناع النبي ﷺ قصة جبريل، دعوى مجردة سبق الرد عليها[٢].

وقوله: إن النبي ﷺ لم يسم جبريل باسمه إلا في آيات متأخرة، يريد به أن النبي ﷺ لم يعرف اسمه إلا متأخراً من أولئك الذين استقى منهم كما زعم، بينما لم يرد اسم جبريل أصلاً إلا في موضعين في القرآن[٣]، وجاء ذكْره في أحاديث صحيحة قبل الهجرة حيث ورد في حديث الإسراء المشهور في الصحيحين[٤].

أما التكذيب بقصة الغار فهو تكذيب لما ثبت بالأسانيد الصحيحة،

---

(١) لوقا ١/ ١٩.

(٢) انظر صـ ٥٤٦.

(٣) البقرة الآيتان: ٩٧- ٩٨، التحريم الآية: ٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، برقم (٧٥١٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء برقم (١٦٢).

والقصة ثابتة في الصحيحين[١].

وأما ما زعمه معرفة النبي ﷺ لجبريل من بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان، فهو اتهام بغير دليل، وقد تقدم الجواب عنه[٢].

المطلب الثاني: التشكيك في شرك الجاهلين بالملائكة:

جاء في الدائرة في ذكر عقيدة الجاهلين في الملائكة: (ولسنا نعلم على اليقين هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة، أو أنهم جعلوهم شركاء لله، وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد. [الأنعام: ١٠٠، الطور: ٢٨][٣].

قلت: الآية التي أشار إليها في سورة الأنعام هي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤]، تشير إلى أنهم عبدوا الجن، وليس الملائكة.

أما آية الطور فلا تتعلق بهذا الموضع ألبتة، وهي قوله سبحانه في ذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٣، برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١٦٠).

(٢) انظر صـ ٤٥٨ - ٤٧١.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٥، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٤) الأنعام الآية: ١٠٠.

أهل الجنة: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[1]، والآية المذكورة في الطور التي ربما عناها هي قوله سبحانه مخاطباً المشركين: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾[2]، وليس فيها ما يدل على مراده صراحة، ولو أنه ذكر الآية الأخرى في سورة الزخرف، وهي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[3]، لكان الأنسب.

وما ذكر في القرآن هو واقع الجاهليين، وليس تفسيراً من النبي ﷺ. وما يذكره القرآن عن الجاهلية حجة يجب الأخذ به على المسلم والكافر؛ إذ لو ذُكِرَ شيء مخالف للواقع لاحتج به المشركون على بطلان القرآن، ولاشتهر واستفاض؛ والنبي ﷺ من أعقل الناس، ولو كان الأمر من عند نفسه لما جاء بما يخالف الواقع المعلوم؛ إذ هو في غنى عن ذلك، ولظهر كذبه عند موافقه ومخالفه.

* * *

(١) الطور الآية: ٢٨.

(٢) الطور الآية: ٣٩.

(٣) الزخرف الآيتان: ١٩ – ٢٠.

الفصل الثاني

اليوم الآخر في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: نظرة عامة لما في الدائرة.

المبحث الثاني: اليوم الآخر في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: الزعم بنقل النبي ﷺ لحقائق اليوم الآخر من الكتب السابقة.

المبحث الرابع: الزعم بتأليف النبي ﷺ لحقائق اليوم الآخر.

المبحث الخامس: التكذيب بحقائق اليوم الآخر.

المبحث السادس: ترويج الخيالات المخالفة لعقيدة اليوم الآخر.

المبحث السابع: مطاعن متفرقة.

المبحث الأول

نظرة عامة لما في الدائرة

عند استقراء الدائرة لمعرفة ما يتعلق باليوم الآخر ومقدماته، فإننا سنجد ذلك في عدة مواد، وهي: (بعث، جهنم، جزاء، الجنة، حساب، الحوض، الدجال)، وجميع تلك الكتابات مشوشة وغير منصفة، وهذا عرض ملخص لها:

- في مادة «البعث»: بدأ المستشرق بذكر آراء المعتزلة، ثم الفلاسفة، ثم مخالفة أهل السنة لهم، ثم ذكر بعد ذلك الآيات القرآنية المتعلقة بالبعث، ثم أتى بعد ذلك باختلاط الأفكار كما سماها في النهاية[١].

- في مادة «جهنم»: بدأ المستشرق بذكر أصل الكلمة وزعم أنها مشتقة من اللفظ العبري، وأن النبي ﷺ أخذ ذلك من اليهود حيث لم تكن لديه صورة محددة عن جهنم، ثم قام بسرد الأساطير، والخرافات التي يعتقدها بعض الناس في صفة جهنم، ويدعي أن صفتها في القرآن على هيئة حيوان، ثم يذكر بعض ما ورد في صفاتها، ويعلل قلة ذلك بأن النبي ﷺ لم تكن لديه إلا فكرة أولية عنها، ثم يلمز بأن تصويره لها مادي

---

(١) الدائرة ٧/ ٣٤٣- ٣٤٥، البعث، مادة تريتون.

مسرف، وهذا ما لم يرض به بعض المفكرين المسلمين كالغزالي، ثم يسوق بعض الشبهات في تردد القرآن في مسألة الخلود في جهنم، ويعلل ذلك بأن النبي ﷺ لم يكن من المفكرين الفلاسفة؛ لذا لم يستطع شرح المسألة بوضوح، ثم في النهاية يسوق رأي المعتزلة، وردود الأشعري عليهم؛ وكل هذه الأباطيل جمعها في أقل من ثلاث صفحات(١).

إن مصنفات أهل السنة في ذكر جهنم وصفتها وعذاب أهلها، وأوصافهم من الكتاب والسنة واضحة جليلة، وكان بإمكان كاتب المادة الأخذ منها دون حاجة لسرد تلك الأساطير والخرافات.

- في مادة «**الجزاء**»: عَرْضٌ لم يأتِ الكاتب فيه على ما في القرآن والسنة بتاتاً، وإنما ذكر مذاهب المنحرفين من المعتزلة والخوارج وغيرهم، فنجده يشرح الصلاح والأصلح، واختلافهم فيها، ويأتي بأقوال ابن كرَّام، والجاحظ، وبشر بن المعتمر، والنَّظام، والكعبي، ولا نجد أي إشارة لمذهب أهل السنة أو ذكراً لكلام أحد علمائهم مطلقاً(٢).

والصحيح أن يأتي بما دل عليه القرآن والسنة أولاً، ثم يأتي برأي السلف، وخلافات المتكلمين إن كان لا بد منها.

(١) الدائرة ١٣/ ٤ - ٧، مادة جهنم، كارده فو.

(٢) الدائرة ١١/ ٣٠٥ - ٣٠٦، مادة الجزاء، تريتون.

- جاء في مادة «**الجنة**»: وصف لبعض ما فيها للدلالة على أنها مادية حسية، ثم الادعاء أن النبي ﷺ استقى من أهل الكتاب مع الخطأ في النقل، ثم عرج على سورة الرحمن التي قال: إنها صيغت على شكل أنشودة، وحاول التشكيك بنبوة النبي ﷺ ببعض آياتها التي لا علاقة للجنة بها، ثم يسرد الأساطير في وصف الجنة، ثم يعرض الخلاف في رؤية الرب سبحانه وتعالى[(١)].

- تضمنت مادة «**الحساب**»: سرداً سامجاً لألفاظ الحساب التي وردت في القرآن دون ذكر لما تحمله تلك الألفاظ من معان، وأشار إلى مشابهة ذلك لما في الإيرانية، واليهودية، والنصرانية، ثم ذكر الخلافات الكلامية بين السلف، والأشاعرة، والمعتزلة في هذه المادة، وتفصيل أوسع لمذهب المعتزلة[(٢)].

- جاء في مادة «**الحوض**»: سرد لصفات حوض النبي ﷺ كما وردت في السنة، مع إثارة التشابه بين ما في السنة والكتاب المقدس عند النصارى مما يجعله يجزم بالنقل منه، كما يثير بعض الشكوك، كدعواه أن الكوثر لم يصبح نهراً من أنهار الجنة إلا في عهد متأخر، وكثرة الخلاف

---

(١) الدائرة ١٢/ ٤١٦، مادة الجنة، كادره فو.

(٢) الدائرة ١٤/ ٢٦١- ٢٦٤، مادة حساب، كارديه.

في صفات الحوض مما جعلها تظهر كفكرة حوضين[١].

- في مادة «الدجال»: يكفتي بتعريفه بأنه المسيح الدجال عند المسلمين، وأن الكلمة لم ترد في القرآن، ويشكك باستعارتها من الآرامية، ثم يعرض التشابه بين ما ورد في السنة، وما ورد في النصرانية من صفاته[٢].

وما جاء في الدائرة عن اليوم الآخر ينقسم إلى ستة أقسام:

الأول: ما جاء موافقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية.

الثاني: ما جاء كذلك، ولكن مع الزعم أنه أُخذ من أهل الكتاب.

الثالث: التكذيب ببعض ما صح في الكتاب والسنة.

الرابع: إضافة أساطير وخيالات مكذوبة.

الخامس: الطعن في عقيدة اليوم الآخر.

السادس: ذكر الخلافات الكلامية.

أما ما جاء موافقاً للقرآن والسنة في الدائرة فلا يستفاد منه لسوء عرضه، والتخليط والطعن فيه، وسأتناول تلك الافتراءات بالتفصيل، ولكن أرى

---

(١) الدائرة ١٦/ ١٧٩ - ١٨٠، مادة الحوض، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٤٦ - ١٤٨، مادة الدجال، فنسنك.

قبل ذلك أنه من الواجب ذكر ملخص لما دل عليه الكتاب والسنة عن اليوم الآخر، وهو حل عملي لما يجب أن يكون في الدائرة، بدلاً مما هو فيها.

* * *

المبحث الثاني

اليوم الآخر في القرآن والسنة

الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بالساعة وأشراطها، وما بعد الموت مما جاء في الكتاب والسنة، وهو أحد أركان الإيمان الستة التي سبقت الأدلة العامة على أهميتها[١].

وقد جاء التأكيد عليه في القرآن والسنة لأهميته، ولما في الإيمان به من الباعث على الإيمان والأعمال الصالحة، ولوجود من ينكره قديماً وحديثاً، فجاء تأكيده في النصوص الشرعية وإقامة الأدلة العقلية عليه.

وقد تكرر ذكر يوم القيامة كثيراً جداً في القرآن؛ وذلك لأهميته الشديدة، قد جاء بأسمائه المختلفة المتضمنة لصفاته المتعددة كاليوم الآخر، ويوم الحساب، ويوم البعث، ويوم الدين، ويوم التغابن، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم الخروج، ويوم التلاق، ويوم الآزفة، والساعة، والقارعة، والطامة الكبرى، والصاخة، والواقعة، مئات المرات في عشرات السور.

---

(١) انظر صـ ٧٦٧.

الإيمان بأشراط الساعة:

أخفى الله تعالى علم الساعة عمن سواه، واختص بعلمها وحده، قال سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[2].

وأما أشراط الساعة وهي علاماتها ومقدماتها فقد جاءت في القرآن والسنة، وهي كثيرة، وسأقتصر على ذكر بعضها، ومن ذلك: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ودابة الأرض، وهذه الثلاث من الآيات الكبرى التي لا ينفع العمل بعد ظهورها، لقوله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[3].

وهذا الحديث مبيّن لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[4].

---

(١) الأعراف الآية: ١٨٧.

(٢) لقمان الآية: ٣٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم (١٥٨).

(٤) الأنعام الآية: ١٥٨.

ومنها: نزول المسيح عيسى ابن مريم، كما قال ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويغيض المال حتى لا يقبله أحد)[١].

وقال سبحانه وتعالى في المسيح -عليه السلام-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا..﴾[٢].

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: (هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة)[٣].

قال ابن كثير: «تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى -عليه السلام- قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً قسطاً»[٤].

ومنها ظهور المهدي في آخر الزمان، وهو من بيت النبي ﷺ فيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً[٥]، وقد استفاضت الأحاديث في ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم، برقم (٣٤٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، برقم (١٥٥).

(٢) الزخرف الآية: ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٢، تفسير الزخرف: ٦١.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٢، تفسير الزخرف: ٦١.

(٥) رواه أحمد ٣/ ١٧، ٣٦، وأبوداود في أول كتاب المهدي، برقم (٤٢٨٣)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب خروج المهدي، برقم (٤٠٨٢). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٠٨ برقم ٣٦٠٢- ٣٦٠٤.

إلى حد التواتر(١).

ومن أشراط الساعة الأخرى ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن تُرحّل الناس، وفي العاشرة ذكر نزول عيسى ابن مريم ﷺ)(٢).

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه، وهو برزخ وفاصل بين الدنيا والآخرة، يقول سبحانه: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٣).

---

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ١١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٨٢م.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، برقم (٢٩٠١).

(٣) الأنعام الآية: ٩٣.

وقال سبحانه عن آل فرعون: ﴿... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[(١)].

فأثبت عذاباً بعد قيام الساعة وعذاباً آخر بين الموت وقيام الساعة.

وقال سبحانه عن المنافقين: ﴿... سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)].

قال ابن عباس وغيره من السلف عن قوله سبحانه: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: إن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر[(٣)].

وقد بلغت نصوص السنة في إثبات عذاب القبر حد التواتر[(٤)].

ومنها ما ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من عذاب القبر ويأمر أصحابه بالتعوذ منه.

---

(١) غافر الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٢) التوبة الآية: ١٠١.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٥، الجامع ٨/ ٢٤١، المطبعة السلفية ومكتبتها، دطت.

(٤) معارج القبول في شرح سلم الوصول، حافظ الحكمي ٢/ ١٤٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، دطت. وساق روايات أكثر من ثلاثين صحابياً، منها عشرون رواية في الصحيحين أو في أحدهما ٢/ ١٤٢- ١٧٠.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت، أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، ولا تليت. ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين)[١].

الإيمان بيوم القيامة وما فيه من أهوال:

تبدأ أهوال يوم القيامة بالنفخ في الصور حيث ينفخ فيه الملك المُوكل به على الوجه الذي ذكره سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٢].

ويبعث العباد من قبورهم كما جاء ذلك في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[٣]، وقال سبحانه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال برقم (١٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، برقم (٢٨٧٠).

(٢) الزمر الآية: ٦٨.

(٣) طه الآية: ١٠٢.

﴿... وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[(١)].

الأدلة العقلية في القرآن الكريم على البعث:

أقام الله عز وجل لمنكري البعث الأدلة العقلية عليه من وجوه متعددة، ومن ذلك:

١- الاستدلال بالخلق على الإعادة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ...﴾[(٣)].

٢- الاستدلال بأن القادر على إيجاد الشيء من نقيضه قادر من باب أولى على إيجاده من أصله وذلك في سياق تقرير البعث في تكملة الآيات السابقة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[(٤)].

---

(١) الكهف الآية: ٤٧.

(٢) يس الآيات: ٧٧- ٧٩.

(٣) الحج الآية: ٥.

(٤) يس الآية: ٨٠.

٣- الاستدلال بخلق الكبير على خلق الصغير: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١).

٤- بيان أن الله سبحانه لا يعجزه شيء وأن أمره نافذ بكلمة كن: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

٥- الاستدلال بإحياء الأرض الميتة على إحياء الموتى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

٦- الاستدلال بصحة القرآن، والسنة، والرسالة، وقيام الأدلة على كونهما حق من عند الله صحة البعث: ﴿... فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾(٤).

٧- ليس هناك ما يصعب أو يشق على الله تعالى إذ لا يقاس بالعباد، بل

---

(١) يس الآية: ٨١.

(٢) يس الآية: ٨٢.

(٣) فصلت الآية: ٣٩.

(٤) سورة ق الآيات: ٢- ٥.

الكل يسيرٌ عليه سبحانه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾(١).

٨- الاستدلال بالإحياء بعد المنام على البعث بعد الممات كما قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

* مشاهد يوم القيامة:

يشاهد الناس أهوال يوم القيامة العظيمة التي منها الزلزلة: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ... ﴾(٤).

---

(١) لقمان الآية: ٢٨.

(٢) الزمر الآية: ٤٢.

(٣) الأنعام الآية: ٦٠.

(٤) الحج الآيتان: ١ - ٢.

وما ذكره الله في قوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[١]، إلى آخر ما جاء في الكتاب عن أهوال ذلك اليوم، وما يصيب الناس فيه من رعب وخوف[٢].

ثم تقام الموازين ويُقضى بين العباد يقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ...﴾[٣].

ويقول سبحانه عن ذلك اليوم العظيم، وسرعة حساب الله للبشر: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٤].

---

(١) التكوير الآيات: ١ – ١٤، كلها عن أهوال يوم القيامة.

(٢) الانفطار الآيات: ١ – ٤، الزلزلة الآيات: ١ – ٥، القارعة الآيات: ١ – ٥.

(٣) الأنبياء الآية: ٤٧.

(٤) إبراهيم الآيات: ٤٧ – ٥١.

ومن نُوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب كما ثبت ذلك في السنة [١]. إلا أن يتغمد الله من يشاء برحمته.

وأخيراً يمر الناس جميعهم على الصراط وهو جسر منصوب فوق جهنم كما قال النبي ﷺ: (ويضرب الصراط بين ظهري جنهم)[٢]، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٣].

الإيمان بالجنة والنار:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة دار المتقين، وما فيها من نعيم، والنار دار الكافرين وما فيها من عذاب، والنصوص في الكتاب والسنة في ذلك أكثر من أن تحصر. منها قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (٧٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم (٦٥٣٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، برقم (٢٨٧٦).

(٣) مريم الآية: ٧١.

(٤) البقرة: ٨١- ٨٢.

ويدخل النار بعض عصاة الموحدين ما شاء الله، ثم يدخلون الجنة، ولا يخلد في النار إلا أهل الشرك، كما دلت على ذلك السنة، ومنها قول النبي ﷺ: (حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله)[١].

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم (٨٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢).

المبحث الثالث

الزعم بأن حقائق اليوم الآخر منقولة من الكتب السابقة

المطلب الأول: ما جاء في الدجال:

جاء في مادة «الدجال»: (إن شخصية المسيح الكذاب في المؤلفات النصرانية الأولى تُرد إلى عناصر شتى أهمها -وهو قول يتفق وتصور المسلمين-:

أ- أنه الشيطان بوصفه عدو الله في علم الساعة.

ب- أنه الملك الذي سيظهر في آخر الزمان فيوحد الأمم على بني إسرائيل.

ج- أنه الطاغية الذي سيخرج من قبيلة دان فيجد ملكاً له في بيت المقدس، ويقضي عليه المسيح هو وجنوده)[1].

حيث يستدل على القول الأول بالحديث في صحيح مسلم عند انتصار المسلمين على الروم في آخر الزمان، وفيه قول النبي ﷺ: (فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن

(١) الدائرة ٩/ ١٤٦، مادة الدجال، فنسنك.

المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل)[١].

ويستدل على القول الثاني بالأحاديث الواردة عن خروج الدجال.

وعلى القول الثالث بالأحاديث في ضلال الدجال وطغيانه[٢].

ولا شك أن ما ذكره عن الدجال في القولين الأولين لا يتفق مع معتقدات المسلمين، وقد سبق بيان العقيدة الصحيحة في الدجال، والقول الأخير قريب منها.

فليس هو شيطان، وما استدل به من الحديث الشريف على ذلك لا يدل على مراده كما هو واضح من النص أنهما شخصان مختلفان، كما أن الدجال لن يوحد النصارى أو المسلمين، بل هو على النقيض من ذلك؛ حيث سيسبب الفرقة، نظراً لإيمان بعض الناس به، وكفر بعضهم الآخر.

وليس المقياس ما ذكر عند أهل الكتاب، فإذا كان الدجال هو ما عرف عند أهل الكتاب فلم لا يكون التحريف في كتبهم أصلاً، لا في السنة الصحيحة كما اعترف، خاصة أن كتبهم أبعد عهداً، وغير مُسندة، بخلاف ما في الصحاح.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية؛ برقم (٢٨٩٧).

(٢) الدائرة ٩/ ١٤٦ – ١٤٨، مادة الدجال، فنسنك.

ثم إنه ليس بالضرورة أن يكون هو ما عند أهل الكتاب إذ أن الأوصاف مختلفة.

كما أن الكاتب ادعى أن كونه الشيطان يتفق مع ما عند المسلمين، وهذا غير صحيح؛ ذلك أن الدجال شخصية مختلفة عن الشيطان، والدجال يأتي في آخر الزمان مدعياً الألوهية، ومعه بعض المعجزات، ولكن النبي ﷺ أخبر أن المؤمنين يعرفونه بكتابة «كافر» على جبهته، وهو أعور، وتعالى الله أن يكون كذلك، وأن الله عز وجل لن يُرى قبل الموت.

إن المنهج الصحيح في تقرير تلك المعتقدات أن يُؤتى بما دل عليه القرآن والسنة، من عقائد اليوم الآخر.

المطلب الثاني: ما جاء في الحساب يوم القيامة:

جاء في الدائرة في مادة «حساب»: بعد ذكر الآيات المتعلقة به: (ويمكن مقارنة هذه الأحكام الواردة في القرآن الكريم بكثير مما ورد في النواميس القديمة: الإيرانية، واليهودية، والمسيحية. ذلك أن الحساب ووزن الأعمال كانا معروفين من المزدكية. وتوجد مرادفات تقاربها في اليهودية بعد التوراة، وفي عهد المسيحية الأولى. ثم حدث من بعدُ أن بعض كتب التفسير القرآن الكريم، وبخاصة بعض المصنفات التهذيب العامة، قد اعتمدت في هذا الموضوع على الإسرائيليات أو المسيحيات

التي اعترُفَ بصراحة أن لها هذه الصفة.

ومهما يكن من أمر فإن كل بيئة دينية قد طورت هذه القاعدة الخاصة بالآراء في الآخرة وطبقتها تطبيقاً علمياً بما يناسب روح هذه البيئة)[١].

قلت: سبق بيان ما جاء في الكتاب والسنة فيما يتعلق بحساب الله للبشر، ولا شك أن جميع الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- قد جاؤوا بذلك، فطبيعي أن يكون هناك تشابه، وليس من المنهج العلمي أن يكون ذلك مستنداً على الاستقاء، كما سبق بيانه[٢]، ولو صح ذلك لانسحب على ما عند اليهود والنصارى في نفس الباب، إذ أن تلك الحقائق متشابهة عندهم مع كثيرٍ مما سبقهم، ولم يقدح ذلك في نبوة أنبيائهم -صلوات الله وسلامه عليهم-.

المطلب الثالث: ما جاء في الجنة:

جاء في مادة «**الجنة**»: (الجنة: هي الاسم الذي يطلقه القرآن والحديث غالباً على الفردوس الذي هو مقام المقربين، وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن بالاسم الفارسي «فردوس»، ومرة أخرى جمعت بين

(١) الدائرة ١٤/ ٢٦١، مادة حساب، كارديه.

(٢) انظر صـ ٤٥٠ - ٤٥٨.

لفظتي «جنات الفردوس»، ومرات عدة باسم «جنات عدن» [انظر تسميتها في التوراة باسم «جن عيدن» التكوين ٢/ ١٥][1].

وبعد أن سرد الكاتب أوصاف الجنة كما جاءت في القرآن الكريم قال: (ومن البين أن هذه الأوصاف جميعاً صور مرسومة لا شك أنه أوحى بها فن التصوير، ولا بد أن يكون محمد أو معلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير أو بعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس، وأولوا صور الملائكة كما لو كانت صور الولدان، والحور)[2].

كما جاء في نفس المادة: (ولا يظهر الله في وصف القرآن للجنة، ولكنه مع ذلك حاضر يوم الحساب الذي يصفه القرآن وصفاً مماثلاً لوصف الأخبار، وصناعة الصور المسيحية. ويدل أيضاً بألفاظ الجنة، والفردوس، وعدن على جنة الأرض)[3].

كما جاء في مادة: «الحوض» بعد ذكر ما يتعلق به: (أما النقول عن الكتاب المقدس فكثيرة من ذلك الحديث المشهور وهو أن من شرب من

---

(١) الدائرة ١٢/ ٤١٥ - ٤١٦، مادة الجنة، كارده فو.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤١٧، مادة الجنة، كارده فو.

(٣) الدائرة ١٢/ ٤١٩، مادة الجنة، كارده فو.

منه «الحوض» لا يظمأ أبداً «يوحنا ٤/ ١٤»)[١].

قلت: الزعم بالاستقاء من الأمم السابقة لمجرد التشابه سبق بيانه في المطلب السابق.

والزعم بأن ذلك نُقل إلى القرآن بواسطة تلقي النبي ﷺ من معلمين مجهولين أو تم ذلك عن طريق الصور المسيحية فرية لا دليل عليها، وتخبط بغير هدى، ويكذبها عدم ثبوت تعلم النبي ﷺ من غيره، أو دخوله للكنائس مع حفظ سيرته ﷺ ونقل تفاصيلها، وقد تقدم بيانه[٢].

* * *

(١) الدائرة ١٦/ ١٨٠، مادة الحوض، فنسنك.

(٢) انظر صـ ٤٦٥.

المبحث الرابع

الزعم بأن حقائق اليوم الآخر من تأليف النبي ﷺ

جاء في الدائرة هذا المعنى في مواضع مختلفة منها: (وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيراً في القرآن، إما لأن محمداً نفسه قد بدهته هذه الفكرة، وإما لأنه رأى أنه من المفيد أن يلح في ذكرها لتفعل فعلها في مشاعر السامعين. على أنه لم تكن لديه -فيما يظهر- صورة محددة تمام التحديد عنها، فالواقع أنه في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يحمل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[1].

ويلوِّح أن النبي محمد ﷺ في هذه الآية، أن جهنم تتأهب لالتهام المغضوب عليهم، ويستدل على ذلك: ويفسر لنا هذا كيف أن النبي ﷺ قال في آية أخرى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾[2] حتى قال: (على أن تصور جهنم على

(١) الفجر الآيتان: ٢٢- ٢٣.

(٢) الملك الآيتان: ٦- ٧.

هيئة حيوان ليس هو الغالب في القرآن)[١].

وقال أيضاً: (ولم يكن لدى النبي محمد ﷺ إلا فكرة أولية عن بناء جهنم، فهو يتحدث عن أبوابها ويحدد عددها بسبعة (سورة لقمان الآية: ٧١، سورة الحجر الآيتان: ٤٣، ٤٤ ....) ثم أخذ يسرد الخرافات عن جهنم من الكتاب التركي[٢] [٣].

ونجد في مادة «البعث»: (والروح ليست خالدة طبعاً، وبقاؤها رهن بمشيئة الله، لذا فثمة آيات متأخرة «البقرة: ١٤٩، آل عمران: ١٦٣» تتضمن بقاء الروح)[٤].

وفي مادة «الجنة»: (وفي سورة الرحمن الآية: ٥٥[٥]، وهي السورة التي صيغت في قالب أنشودة لها لازمة، يتحدث محمد عن الجنتين

---

(١) الدائرة ١٣/ ٤ - ٥، جهنم، كادره فو.

(٢) ليس في سورة لقمان ما ذكره، وهي كلها ٣٤ آية، وربما عندما رجع الكاتب إلى فهرس ألفاظ القرآن وجد لفظ سبعة في الآية ٢٧ من لقمان: ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ فظنها في جهنم.

(٣) الدائرة ١٣/ ٥ - ٦، جهنم، كارده فو.

(٤) الدائرة ٧/ ٣٤٤، البعث، تريتون.

(٥) آيات وصف الجنة في سورة الرحمن ٤٦ - ٤٧، والآية التي أشار إلى رقمها هي: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

اللتين أُعدّتا لمن خاف مقام ربه، وما لهما من أفنان، وما فيهما من عينان تجريان، ومن كل فاكهة زوجان. وهو يذكر في السورة نفسها (الآيات: ١٦ - ١٩)[١] المشرقين، والمغربين، والبحرين. وليس تفسير هذه الإثنينية يسيراً إلا إذا كانت من أجل البحرين. وقد يقال: إن النبي قد التزم في هذا المقام صيغة المثنى لأنها أوقع في السمع)[٢].

قلت: الجواب على ما ذكره من وجوه:

الأول: ما الدليل على أن النبي ﷺ بدهته فكرة جهنم؟

إن ترددها في القرآن ليس دليلاً على ذلك، وليس في تكرار جهنم ما يعيب.

إن النبي ﷺ كغيره من الأنبياء الذين ينذرون أقوامهم ويخوفونهم بما هم مقبلون عليه ليأخذوا للأمر عدته، وليس في ذلك ما يطعن فيه، ولا يسوغ أن يُقال: إنه بدهته فكرة جهنم لهذا الأمر.

بل يدل الأمر على نصح النبي ﷺ لأمته وخوفه عليهم، وقيامه بما أوجب الله عليه من النذارة.

---

(١) الآيات ١٧ - ١٩.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤١٧، مادة الجنة، كارده فو.

الثاني: من أين للمستشرق الدليل على أن النبي ﷺ لم تكن لديه صورة محددة عن جهنم، أو أن لديه فكرة أولية فقط؟

إننا لا شك لا نحيط بما في جهنم من عذاب، ولكن وصف جهنم جاء بصورة مفصلة في القرآن في مواضع كثيرة، ليس هذا موضع بسطها(١).

وأخبر النبي ﷺ أنها عُرضت عليه(٢)، وجاء في السنة الصحيحة الأحاديث الكثيرة فيها التي لا يقارن معها ما جاء عند أهل الكتاب مجتمعين(٣).

الثالث: ما ذكره في وصف جهنم مما توهم من تعارض هو في القرآن الكريم، فالصحيح نسبته إليه لا إلى النبي ﷺ.

والأوصاف التي ذكرها ليس فيها من تعارض، فجهنم يُؤتى بها، ويُسمع لها شهيق وهي تفور من شدة حرارتها، ولكن لم يشبه النبي ﷺ جهنم بالحيوان، فضلاً أن يكون هو الغالب في القرآن، ولا قيمة لقوله:

---

(١) انظر الآيات: الأعراف: ٤١، التوبة: ٤٩، إبراهيم: ١٦، الإسراء: ٩٧، مريم: ٦٨، الأنبياء: ٩٨، وغيرها كثير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كفران العشير، برقم (٥١٩٧)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، برقم (٩٠٧).

(٣) الأحاديث في السنة لا تحصى عن جهنم، بل أفرد في وصفها الأبواب الكثيرة كما في الترمذي الذي أفرد لها أثني عشر باباً.

«إن النبي يمثل جهنم على صورة حيوان، فهي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه، وكشف عن أنيابه»؛ لأن ذلك محض كذب يعرفه من كان له أدنى علم بالإسلام.

الرابع: فيما يتعلق بالخرافات، فإن كتاب الدائرة دأبوا على ذلك في شتى المواضيع مستندين فيها إلى كتب ليست حجة في الإسلام كالكتاب التركي السالف، والمتعين في تقرير مواضيع الاعتقاد الاستدلال بالكتاب والسنة، وعدم تشويش القارئ بخرافات لا وزن لها، ولا يعتقدها عامة المسلمين.

الخامس: فيما يتعلق بالروح فليس في الآيتين المُشار إليهما ما يتعلق بالروح؛ فضلاً عن أن يدل على مراده وما يتعلق بخلود الروح، فالعلم عند الله تعالى القائل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

والذي ثبت في القرآن: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ... ﴾[3].

(١) الإسراء الآية: ٨٥.

(٢) الرحمن الآيتان: ٢٦- ٢٧.

(٣) القصص الآية: ٨٨.

والموت إنما يكون بمفارقة الأرواح للأبدان لا فنائها، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]، وبالأحاديث الدالة على استمرار نعيم الأرواح وعذابها[٢].

السادس: ما يتعلق بسورة الرحمن فإن التثنية في السورة الكريمة بدأت قبل ذلك البحرين بعد آيات.

وقوله سبحانه: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣]، التي ترددت أكثر من ثلاثين مرة في هذه السورة إنما كانت كذلك لتقرير ذلك المعنى، وهو وجوب الاعتراف، والتصديق، والشكر لنعم الله تعالى، والمقصود بالتثنية الإنس والجن كما يظهر من سياق الآيات، وهذا أرجح ما ذكره المفسرون[٤]، ولقول النبي ﷺ لمَّا قُرئت عنده سورة الرحمن: (ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم؟).

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (ما أتيت على قول الله تعالى:

---

(١) آل عمران الآية: ١٦٩.

(٢) الروح، محمد بن أبي بكر بن القيم ٤٥ - ٤٦، دار المدني، جدة، دطت.

(٣) الرحمن الآية: ١٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٧/ ٧٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٨، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٥٨، تفسير الرازي ٢٩/ ٩٥، جميعهم في تفسير الرحمن ١٣.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذب)[١].

وما أجمل ما قاله أحمد شاكر في تعليقه حيث قال: (أظن أن الكاتب وأمثاله من المستشرقين آخر من يصلحون علمياً للبحث في لغة القرآن وبلاغته، ومعرفتهم بالعربية محدودة. وأساطين البلغاء والفصحاء من العرب العرباء عجزوا عن معارضته وأحجموا عن نقده، بل لم ينقل عن واحد منهم أنه عاب حرفاً فيه من ناحية البلاغة والسمو في العبارة، على كثرة الدواعي والدوافع. فأين هؤلاء من أولئك)[٢].

* * *

(١) رواه ابن جرير الطبري ٢٧/ ٧٢، والبزار. (انظر مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة، ومسند أحمد لابن حجر العسقلاني ٢/ ١١٠ح ١٥١٤، وضعفه ابن حجر، تحقيق صبري عبدالخالق، وصححه الحاكم ٣/ ٤٧٣، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه محمد نسيب الرفاعي في تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ح ٣٠٠، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤١٧، الجنة، تعليق أحمد شاكر.

المبحث الخامس

التكذيب بحقائق اليوم الآخر

جاء في الدائرة: (الدجال: شخصية أسطورية وردت في علم الساعة عند المسلمين، وهو ضرب من المسيح الكذاب، وتقول القصص العربية... «سرد الحقائق مع الخرافات»... وسيكون ظهوره في خراسان أو في الكوفة، أو في حي اليهود باصبهان)، ويذكر مرجعه في المعلومة الأخيرة «ابن الوردي، البيروني الآثار الباقية»[١].

في هذه الأسطر القلائل مخالفات منهجية مُسقطة لموضوعية كاتبها، ولنفس الدائرة حيث يلاحظ ما يلي:

أولاً: حكم على أن الدجال شخصية أسطورية من غير أن يكلف نفسه بدعم هذا الحكم بأي مستند، بل ألقى به هكذا في دائرة المعارف الإسلامية، وهو بهذا لا يأبه بعقيدة المسلمين فيه، لا سيما وأحاديث الدجال مستفيضة عن النبي ﷺ في الصحاح والسنن[٢]، ولكن من قرأ

---

(١) الدائرة الأولى ٩/ ١٤٥، الدجال، كارده فو.

(٢) على سبيل المثال: انظر في البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال حديث رقم (٧١٢٥)، و(٧١٢٦) و(٧١٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح،=

الدائرة يظن أن الدجال ورد في آثار ضعيفة أو موضوعة، وأنه مجرد أسطورة لا حقيقة له.

ثانياً: ضرب الكاتب صفحاً عما ثبت في السنة من الأحاديث الصحيحة في المسيح الدجال، وأخذ بسرد القصص التي لم تثبت في السنة، وكان مرجعه ابن الوردي، والبيروني، بينما الحجة في مثل هذا القرآن والسنة النبوية فقط.

* * *

=والمسيح الدجال، برقم (١٦٩)، و(١٧٠) و(١٧١)، وأبي داود، أول كتاب الفتن والملاهم، باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٤٤)، والترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال، برقم (٢٢٤٠).

كما أفرد له ابن الأثير في جامع الأصول خمس عشرة صفحة كلها أحاديث من الكتب الستة فقط. (انظر: جامع الأصول من أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ١١/ ٥٠- ٦٥، تحقيق عبدالمجيد سليم، و محمد حامد الفقي. الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

المبحث السادس

ترويج الخيالات المخالفة لعقيدة اليوم الآخر

جاء في الدائرة عن «المسيح الدجال»: (وتقول القصص العربية إنه يسكن جزيرة من جزائر إمبراطورية المهارج أو الزايج «جاوة».

ويزعم البحريون من أهل سيراف، وعمان أنهم يسمعون وهم يمرون بهذه الجزيرة أصواتاً مطربة صادرة من العيدان، والسرنايات، والطبول، وسائر أنواع الآلات المطربة مصحوبة بالرقص والتصفيق. وهذه القصة واسعة الانتشار، نجدها في ابن خرادذبة، والبيروني، والقزويني، والدمشقي، والجرجاني، وابن إياس، وفي كتاب المسعودي: مروج الذهب، وفي كتاب التنبيه والإشراف، وفي كتاب عجائب الهند وغير ذلك من الكتب، وهي تظهر أيضاً في قصة السندباد البحري)[1].

وفي مادة «البعث» يبدأ الكاتب بذكر آراء المعتزلة، ثم الفلاسفة، ثم مخالفة أهل السنة لهم، ويستدل بعد ذلك بالآيات القرآنية على البعث، وفي النهاية يأتي باختلاط الأفكار كما سماها، ومنها قوله: (وقد اختلطت الأفكار بعد، فبعض الناس يصبحون رماداً في قبورهم، وتطوف أرواحهم

(١) الدائرة الأولى ٩/ ١٤٥، مادة الدجال، كارده فو.

في الملكوت تحت سماء الدنيا ... ولقد بقي محمد على الأرض ثلاثين عاماً إلى مقتل الحسين، ثم صعد إلى السماء نافراً)[١].

وعند الحديث عن الجنة؛ جاء في الدائرة: (وقد تمثلت الجنة في عصر متأخر في صورة هرم، أو مخروط له طبقات ثمان، وهو يزيد طبقة على ما في جهنم من طبقات، ذلك أنه كان يعتقد أن المقربين سيكونون أكثر عدداً من المغضوب عليهم، وكلما تصاعدت هذه الطبقات، زادت المادة التي بُنيت منها نفاسة، ولكل طبقة باب، وفي القمة سدرة المنتهى التي ورد ذكرها في سورة النجم الآية: ١٦ من القرآن، والتي تظلل أغصانها الهرم كله، وتحُفظ في الجنة الكتب التي تُسجل فيها أعمال الناس، كما يحُفظ فيها أصل القرآن الذي يُسميه محمد «الكتاب المبين» [سورة يونس الآية: ٦٢][٢]، و «اللوح المحفوظ» [سورة البروج الآية: ٢٢]، أو «أم الكتاب» [سورة الرعد الآية: ٣٩]، وإلى جانبه القلم الذي يُكتب على اللوح.

وللكعبة في الجنة أصل أيضاً يعرف باسم «البيت العتيق»، وفيها أشياء تستخدم عند الحساب كالميزان لوزن أعمال الناس، وكراسي للأنبياء

---

(١) الدائرة ٧/ ٣٤٤- ٣٤٥، مادة البعث، تريتون.

(٢) الآية رقمها: ٦١، وليس ٦٢.

ورايات، وترفع راية محمد -أو قل أصلها السماوي- على جبل يقال: جبل الظفر، ويقوم على جانب الهرم الفردوسي.

هذه الجنة -بما فيها كله- فوق الأفلاك السماوية حيث تدور الكواكب، وهي تستقر على أنواع من البحار لها أسماء مجردة كبحر البقاء «المنقسم»، وبحر الخلود، وبحر الرب، ويمتد فوق الهرم عالم الملكوت، وعالم الجبروت، وعرش الله، ودار المقربين)[١].

قلت: هذه أساطير وخيالات، وأكثر مصادر الكاتب ليست بحجة يعتمد عليها، ويُستنكر على الكاتب عدم الرجوع إلى الكتب المعتمدة عند المسلمين في هذا الموضوع؛ ألا وهي القرآن الكريم، وكتب السنة المعروفة التي فيها أقوال النبي ﷺ.

كما أن الثابت عن النبي ﷺ أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، بل هم أضعافهم مرات عديدة[٢].

قال أحمد شاكر تعليقاً على الكلام الأخير: (هذا كله كلام خيالي وتخليط، يعرف ذلك كل مسلم يقرؤه، ليس فيه شيء علمي يناقش.

---

(١) الدائرة ١٢/ ٤١٧ - ٤١٨، مادة الجنة، كارده فو.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: قوله عز وجل ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، برقم (٦٥٣٠).

وما كانت أوهام المتأخرين الخيـاليين بحجـة عـلى الإسـلام، ولا عـلى القرآن)[1].

وهو في مادة البعث إن كان قد عزل الاعتقادات الفاسدة عن ما جاء في القرآن إلا أنه لا لـزوم لهـا البتـة، ذلـك أن المـادة كلهـا في صـفحتين فقـط، وهو لم يأت إلا بمعاني الآيات بصورة أقرب إلى الإخلال.

وكذا الأحاديث مع ترك الكثير، فإن كان المسوغ لذلك الاختصار فمـن باب أولى ترك هذه الخرافات التي لا يعتقـد بهـا إلا نـدرة مـن المـسلمين، والاستعاضة عنها بالأحاديث النبوية الثابتة عن سيد المرسلين ﷺ.

* * *

---

(١) الدائرة ١٢/ ٤١٨، مادة الجنة، تعليق أحمد شاكر.

المبحث السابع

مطاعن متفرقـة

المطلب الأول: زعمهم أنه لا يوجد سوى النعيم والعذاب الحسي في الآخرة:

جاء في الدائرة: (وقد عُرف أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية)[١].

كما جاء: (ولقد سلَّم التوحيد الإسلامي السني – الذي يمثله الغزالي، والأشعري بنوع خاص- بأن للحواس لذات في الجنة، مع ملاحظة أن هذه اللذات لا يبدأ حصولها إلا بعد البعث)[٢].

وعند الحديث عن جهنم: (ولم يرض هذا التصوير المادي المسرف لبناء الجحيم، وألوان العذاب فيه جميع المفكرين المسلمين، بل إن الغزالي – وهو التقي المؤمن- قد أباح لنفسه أن يؤول ذلك بعض التأويل، فالصراط في نظره إنما يدل على معنى مجازي، فهو ليس إلا الطريق القويم الذي يسدد به الله خطى المؤمنين، وهو يرمز إلى الطريق السوي، وهو وسط بين الأخلاق المتضادة، فهو الحد الفاصل بين الغلو

---

(١) الدائرة ١٢/ ٤١٦، مادة الجنة، كارده فو.

(٢) الدائرة ١٢/ ٤١٨، مادة الجنة، كارده فو.

والقصور، وفيه يكون الكمال.

ويقول ابن سينا: (إن عذاب جهنم ينصب في الغالب على الأرواح المذنبة التي تحتفظ بشهواتها بعد الممات، ومن ثم فهي تتعذب أشد العذاب؛ لأنه ليس لها أجساد ترضى بها هذه الشهوات)[١].

قلت: سأبين الباطل في هذا الكلام بمشيئة الله من وجوه عدة:

الأول: أن النعيم والعذاب الحسي الذي أخبر به القرآن لا مطعن فيه، فقد جاءت كافة الشرائع السماوية بمثل ما جاء في القرآن، كيف لا؟ والحديث عن شيء واحد.

وتأويلات الغزالي أو غيره ليست بحجة، إذ الحجة في الإسلام ما نطق به الكتاب والسنة، وإجماع أهل العلم، فكيف بالتأويلات المخالفة لمنطوق الكتاب والسنة، وإجماع أهل العلم.

الثاني: أن الزعم بأن ما في الآخرة مادي حسي لا غير، هو كذب على كتاب الله؛ بل إضافة على المادي الحسي يوجد المعنوي الروحي، حيث إن النعيم والعذاب المادي الحسي هو أيضاً روحي؛ لأنه يقارف الأرواح فينعمها أو يؤلمها.

---

(١) الدائرة ١٣/ ٦، مادة جهنم، كارده فو.

كما يوجد النعيم والعذاب الروحي، فمن ذلك:

أولاً: تقريع الكافرين عند مفارقة الروح كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

ثانياً: الفزع عند خروج الناس من قبورهم فإنه تألم روحي معنوي قبل أن يكون جسدياً حسياً. قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[2]، وقد جاء في الدائرة نفسها في موضع آخر التصريح بذلك، حيث جاء: (وأقسى من العذاب الجسماني الفزع من الديان، فسينشغل كل أمرئ بنفسه، ولا يُعنى بغيره)[3].

ثالثاً: نظر المؤمنين إلى وجه الله الكريم في الجنة كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4].

---

(١) الأنفال الآيتان: ٥٠- ٥١.

(٢) النمل الآية: ٨٧.

(٣) الدائرة ٧/ ٣٤٤، مادة بعث، تريتون.

(٤) القيامة الآيتان: ٢٢- ٢٣.

وقال النبي ﷺ: (إنكم سترون ربكم عياناً)[١].

وفي حديث آخر: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا -ويشير إلى القمر ليلة البدر- لا تضامون في رؤيته)[٢].

وفي حديث آخر عن نعيم أهل الجنة: (فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)[٣].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة وصحيحة، ولم يخالف في هذه المسألة إلا أهل البدع.

قال ابن كثير بعد سرده للأحاديث الصحيحة فيها: (وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام)[٤].

رابعاً: تسليم الملائكة على أهل الجنة وتبشيرهم. كما في قوله تعالى في حق أهل الجنة: ﴿... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في نفس الكتاب والباب السابقين: برقم (٧٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، برقم (١٨١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٥٠، في تفسير القيامة ٢٢.

(٥) الرعد الآيتان: ٢٣- ٢٤.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

خامساً: تقريع أهل النار في النار يصاحب العذاب الحسي. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[3].

ولا شك أن معاتبتهم ووقوع الغم منهم هي جزء من العذاب المعنوي.

سادساً: يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح بعدما يدخل أهل الجنة

(١) الحديد الآية: ١٢.

(٢) الدخان الآيات: ٤٣- ٥٠.

(٣) الحج الآيات: ١٩- ٢٢.

الجنة، وأهل النارِ النارَ، فيُذبح أمامهم، ويقال لهم: (يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)[1].

ولا شك أن هذا الفرح، والحزن من العذاب الروحي، وليس من العذاب الحسي.

أما ما ذكره من تأويل ابن سينا وغيره، فهو من قبيل تحريف الكلم عن موضعه، فهو تحريف لكلام الله تعالى، وليس تخبطهم بحجة في الإسلام، والواجب أن يفسر كلام الله تعالى بكلام نبيه ﷺ، وبالآثار الصحيحة الواردة عن سلف الأمة.

كما تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل أن النعيم ليس بمقتصر بعد البعث كما ذكر؛ إنما هناك ما يحدث في القبر من نعيم وعذاب، وذلك قبل البعث.

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم (٦٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبّارون، برقم (٢٨٥٠).

المطلب الثاني: ادعاء التناقض في حقائق اليوم الآخر:

جاء في الدائرة: (والظاهر أن القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي ﷺ لم يكن من الفلاسفة المفكرين، فلم يستطع أن يعرض بوضوح لمشكلة كمشكلة الخلود يدخل فيها مثل هذا التصور المجرد.

جاء في القرآن: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾[1]، وجاء في سورة أخرى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[2] [3].

قلت: كتاب الله لا تناقض فيه ولا اختلاف، فأخباره كلها حق، وبعضه يشهد بصدق بعضه الآخر، فآياته فُصِّلَت من لدن حكيم خبير، ولكنه يحتاج إلى تدبر وفهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[4].

---

(١) المؤمنون الآية: ١٠٣.

(٢) هود الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) الدائرة ١٣ / ٦، مادة جهنم، كارده فو.

(٤) النساء الآية: ٨٢.

أما الجواب على ما توهم الكاتب أنه تردد أو اختلاف بسبب قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في بعض الآيات والتأبيد الأبدي في بعضه الآخر، فقد أجاب عنه المفسرون من أوجه أظهرها: أنه كما هو معلوم أن أهل النار صنفان، مخلدون دائمون، وهم الكفار، وغير مخلدين، وهم العصاة من المسلمين، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا ما شاء عدم خلوده فيها، وهم الصنف الثاني، «وغاية ما في هذا القول إطلاق «ما» وإرادة «من»، ونظيره في القرآن: ﴿.... فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ...﴾[1] [2].

ذلك أن الاستثناء ورد في آيتين هما: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) النساء الآية: ٣.

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي ١٢٣، ملحق بالجزء التاسع من أضواء البيان.

(٣) الأنعام الآية: ١٢٨.

وقولـه تعـالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[(١)].

فالعذاب في الآيتين ليس خاصاً بالكفار، بل هو عام للعصاة.

والاستثناء لعصاة المؤمنين فلا تعارض بينهما وبين الآيات الخاصة بالكفار التي فيها الخلود المؤبد كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[(٢)].

وكقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[(٣)].

وعلى ذلك فالآيات التي ذكر فيها الخلود المؤبد هي خاصة بالكفار، وتعرف معاني الآيات بسياق كل آية، وهذه طريقة الراسخين في العلم.

واختار هذا القول ابن جرير ونقله عن قتادة وبعض السلف[(٤)].

---

(١) هود الآيتان: ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) النساء الآيتان: ١٦٨ – ١٦٩.

(٣) الأحزاب الآيتان: ٦٤ – ٦٥.

(٤) الطبري ١٢/ ٧١ في تفسير هود: ١٠٧.

الفصل الثالث

طعن الدائرة في الشريعة الإسلامية [1]

(١) هذا الفصل أضيف للرسالة وأصله بحث منشور في مجلة كلية التربية بجامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ.

المبحث الأول

نظرة عامة لما في الدائرة

جاء في الدائرة في مادة الشريعة وفي غيرها عروض منفّرة من الشريعة الإسلامية تهدف إلى الإقناع بأن الشريعة مستقاة من النظم القديمة كالنظام الروماني والجاهلي، وأنها متغيرة، صعبة التطبيق، متناقضة، غير قائمة على التعليل والعقل.

كما جاء لمزٌ لها فيما يتعلق بالمرأة، وانتقاص للسنة القَمَرية المعمول بها في الشريعة الإسلامية.

والمواد التي تتعلق بالفقه في الدائرة في كثير منها تقدم عروضاً مشوَّشة يركز كُتّابها على ربط تلك الأحكام بالحضارات السابقة، وتعطي تلك العروض انطباعاً سيئاً عن الفقه الإسلامي، وقد تولى كِبْرَ ذلك من المستشرقين شاخت وفنسنك.

وتعقُّب جميع ذلك يطول، وسأكتفي بمادة الزكاة مثالاً على ذلك[1]، حيث نجد فيها ما يلي:

---

(١) لاسيما أن هناك رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي لدراسة هذا الموضوع في دائرة المعارف الإسلامية.

١- معنى الزكاة الشرعي واللغوي وكلاهما مستقى من اليهودية[١].

٢- كلمة صدقة عرف النبي معناها بدقة من يهود المدينة[٢].

٣- إنّ دخول الناس في الإسلام فيما بعد ليس مرده بواعث دينية، وإنما كان طمعاً في الزكاة[٣].

٤-إنَّ النبي لم يصرف الزكاة على الفقراء والمساكين فحسب، بل أنفقها أيضاً على مشروعاته الحربية[٤].

٥- إنَّ تصرفه في المال كان يثير انتقاداً من قبل المؤمنين (إشارة لما في حنين)[٥].

٦- إنَّ الزكاة تحل بحسب الحديث للأغنياء واللصوص والبغايا[٦].

٧- إنَّ كثيراً من الأمور الجوهرية في الزكاة لم تُبين في القرآن والسنة[٧].

٨- إنَّ طبيعة الزكاة كانت غامضة في أيام النبي، ولم تكن ضريبة

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٦، مادة زكاة، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، مادة زكاة، شاخت.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، مادة زكاة، شاخت.

(٤) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، مادة زكاة، شاخت.

(٥) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٧، مادة زكاة، شاخت.

(٦) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٨، مادة زكاة، شاخت.

(٧) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٨، مادة زكاة، شاخت.

يقتضيها الدين ، وإنما معاهدات مع قبائل العرب؛ لذا رفضت تلك القبائل دفعها بعد موت من عاهدوه على أدائها ، وصلابة أبي بكر هي التي جعلت من الزكاة في صورتها الضريبية نظاماً دائماً[١] .

٩- إنَّ بعض أحكام الزكاة معقدة وهي من وضع أبي بكر الصديق[٢] .

١٠- إنَّ الفرق بين الفقراء والمساكين فرق تعسفي من كل وجه ، وقد اعتاد علماء الفقه أن يُفسروا التعريف بحيث يكونون هم أنفسهم في معظم الأحيان من إحدى الطائفتين[٣] .

١١- إنَّ الابتزاز كثيراً ما يقترن بجمع الزكاة ، وإنّ الزكاة لم تكن تنفق في غالبية الأحوال في وجوهها الشرعية[٤] .

١٢- إن عمال الزكاة أو القضاة يحتفظون في العادة بالشطر الأكبر من مال الزكاة[٥] .

جميع تلك الملاحظات تقع في مادة واحدة وفيها من التخليط

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٨ ، زكاة ، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٩ ، زكاة ، شاخت.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٦٠ ، زكاة ، شاخت.

(٤) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٨ ، زكاة ، شاخت.

(٥) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٥٨ ، زكاة ، شاخت.

والكذب ما يدركه من كان له أدنى علم بالإسلام[١].

وفي المواد المشابهة في الدائرة مثل «الحج»[٢]، وغيرها نفس التخليط.

ومن المعلوم أن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وجاء التأكيد على أدائها والترهيب من منعها في القرآن والسنة، وقد قُرنت بالصلاة في مواضع كثيرة وترددت في القرآن أكثر من ثلاثين مرة، وحدد القرآن الكريم مصارفها كما حددت السنة النبوية الأموال الواجبة فيها الزكاة، وما يجب إخراجه من كل مال، كل ذلك مُبيَّن أتم البيان.

وأبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لم يضع أحكاماً في الزكاة، والكاتب يشير إلى كتاب أبي بكر إلى أهل البحرين في الزكاة، ونصه كما ثبت في صحيح البخاري: عن أنس بن مالك: أن أبا بكر -رضي الله عنه- كتب له هذا الكتاب لمّا وجهه إلى البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها

(١) أُجيب على الفقرة الأولى والثانية، في صـ٤٣٠ وما بعدها، أُجيب على الفقرة الرابعة والخامسة في صـ٦٥١ وما بعدها.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣٥٠، فنسنك.

رسوله...» وذكر فيها زكاة بهيمة الأنعام[١].

وليس في تلك الأحكام أي تعقيد، والكاتب يحرِّف الكَلِمَ عن مواضعه في نسبته إلى أبي بكر دون النبي ﷺ، إذ كما هو واضح من الحديث أن أبا بكر يكتب الفريضة التي فرضها رسول الله ﷺ، فهو لم ينشئ أحكاماً من تلقاء نفسه.

والمستشرق إذا أراد الاستدلال بهذا الحديث فهو مُلزَم بكل ما فيه، ولكنه على طريقة اليهود في التشهي والهوى كما قال الله عنهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٢].

وهو على طريقتهم في التحريف كما قال سبحانه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وقد طبق المسلمون شريعة الإسلام في عهد النبوة وما بعده، واجتهد العلماء فيما لم ينص عليه، وألحقوا كل نوع بما يماثله من المنصوص عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض برقم (١٤٥٣).

(٢) البقرة الآية: ٨٧.

(٣) البقرة الآية: ٧٥.

واستمر العمل على هذا النظام الاجتماعي المثالي إلى اليوم.

فهذه الشريعة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ولله الحمد والمنة.

أما تطبيقها : فإن كل ما يعمله البشر قد يعتريه الخطأ والزلل ، وهو في الإسلام قليل بالنسبة لغيره ، والخطأ شذوذ لا يضر القاعدة العامة ، وليس من أمة يسري فيها ذلك التكافل كما يسري في هذه الأمة.

ومبالغة الكاتب في دعواه في إقبال الناس على الإسلام لهذا السبب هو في إطار محاولة أولئك القوم لتحريف التاريخ والتهرّب من مزايا الإسلام وحماس أتباعه له وانتشاره.

ويتردد هذا في الدائرة كثيراً عند تفسير الفتوح الإسلامية ودخول الناس في الإسلام بهذه الصورة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، إذ نجدهم عند الحديث عن البلدان المفتوحة يرجعون هذا الأمر إلى غير الأسباب الحقيقية لفتح البلاد ودخول أهلها في الإسلام ، فمرة تُنسَب إلى تفرق الأعداء كما في هزائم الصليبيين[(١)] ، ومرة أخرى إلى اضطهاد الكنيسة كما في البوسنة[(٢)] ، ومرة ثالثة إلى الرغبة في التخلص من

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٦٦ ، مادة صلاح الدين ، سوبرنهايم.

(٢) الدائرة ٨/ ٣٨٥ ، مادة البوسنة والهرسك ، جوربف.

العبودية كما في فتح الأندلس[(١)]، ومرة رابعة لرغبة النصارى ألا يكونوا من الذميين؛ لكي يتمتعوا بموقع أفضل في الإسلام كما في إسلام نصارى الأندلس[(٢)]، ومرة خامسة لدواعي تمييزية حيث دخلت قبائل الحبشة الوثنية في الإسلام لتتميز عن القبائل المسيحية[(٣)].

ولا تُنكر وجود عوامل ثانوية للفتوحات الإسلامية ولإسلام القوم، ولكن يجب أن نقف أمام العامل الرئيسي في ذلك، فليس من المعقول أن تكون الفتوحات الضخمة وانتشار الإسلام في بلاد لم تصلها جيوش مرهونة بعوامل من هذا القبيل.

إن التاريخ ليشهد بكل صراحة ووضوح على أن القوم أسلموا لمّا شاهدوا سلامة عقائد الإسلام وتقبُّلُ الفطر السليمة له، وظهور عدل شريعته وخُلُقِ أتباعه.

أما صرف المال على المؤلفة قلوبهم فهو عامل ثانوي لترغيب الناس في هذا الدين وليعلم الجميع أن المسلمين لا يبتغون دنيا، بل يبذلونها من أجل دينهم.

---

(١) الدائرة ٥/ ٣٣، مادة الأندلس، لاثام.

(٢) الدائرة ٥/ ٢٨، مادة الأندلس، لاثام.

(٣) الدائرة ١٣/ ٢٩٢ – ٢٩٣، الحبشة، ترمنكهام.

وما ذكره المستشرق عن القضاة وعمال الزكاة بهذا التعميم ، وجواز صرفها للُّصوص والبغايا في السنة ، أما الحديث الذي ورد في أن رجلاً خرج بصدقته ذات ليلة فوضعها في يد زانية، ثم في ليلة أخرى فوضعها في يد سارقة، ثم في ليلة أخرى فوضعها في يد غني فليس في الحديث جواز صرفها لهم وإنما يدل على العذر بجهل الحال والرد على من أساء إلى المنفقين كما أن الزعم بتغيير الفقهاء للمعاني لكي يكونوا من أهل الزكاة يثير الاشمئزاز ، وليس عليه أي دليل.

إن كمال الشريعة الإسلامية ودوامها ، تثير في نفوس أولئك المستشرقين الحسد فينفثون تلك السموم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1]، وإن المرء الذي لا يدرك خلفية ذلك ليعجب من هؤلاء الذين يدَّعون المنهجية والموضوعية ، وقد يطبقونها فعلاً في سائر أبحاثهم ، ولكن ما إن يكون الموضوع ذا صلة بالإسلام حتى تعمى بصائرهم وتضطرب آراؤهم !!.

* * *

(١) الصف الآية: ٨.

المبحث الثاني

اضطراب الدائرة في تعريف الشريعة

جاء في تعريف الشريعة أنها : (القانون المُعترف به في الإسلام ، وهو جملة أحكام الله)(١).

واستبعد الكاتب عن الشريعة ما يتناول الآداب ، وسماه الأخلاق(٢).

وجعل الشريعة هي المحكمة الظاهرة ولا علاقة لها بالضمير(٣).

كما قال أيضاً : (أحكام الشريعة يمكن أن تنقسم من حيث مادتها إلى طائفتين كبيرتين :

١-أحكام تتعلق بالعبادات والشعائر.

٢-أحكام ذات صبغة قضائية وسياسية)(٤).

قلت : الشرعة والشريعة من كلام العرب هي مشرعة الماء الكثير الذي لا ينقطع وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ، وشَرَعْتُ في الأمر أي دخلتُ فيه ، والشِّرْعَةُ: الدين والطريق(٥).

---

(١) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٢ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٣ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٣) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٣ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٤) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٦ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٧٥ - ١٧٦ ، التعريفات للجرجاني ٦٦.

وأحكام الشريعة الإسلامية هي المنهج والطريق التي ارتضاها الله لعباده، فنزلت أحكام الشريعة في القرآن الكريم وفي سنَّة نبيِّه ﷺ، قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١].

فالشريعة تشمل ما يجب الإيمان به من عقائد، كما تشمل أحكام الشريعة العملية في جميع جوانب الحياة من عبادات ومعاملات وجنايات... لذا نجد الإمام الآجُرِّي [٢] يؤلف كتابه الشريعة ويتناول فيه العقائد.

كما تطلق الشريعة على أحكام الفقه خاصة، فتشمل كل أحكام المكلَّفين؛ وهذا هو المعنى المشهور والمتبادر إليه عند الإطلاق.

ويلاحظ في تعريفات الكاتب التناقض: فالشريعة مرة هي القانون

(١) الجاثية الآية: ١٨.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي نشأ ببغداد ثم انتقل إلى مكة فسكنها وتوفي بها سنة ٣٦٠هـ، وكان إماماً عاملاً صاحب سُنَّة واتباع له تصانيف كثيرة منها: الأربعون، والشريعة، وأخلاق العلماء. انظر مقدمة كتاب الشريعة للآجرّي ن – س لمقدم الكتاب ومحققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

المُعترف به في الإسلام، وهو جملة أحكام الله، ثم نجده يستبعد الأخلاق وماله علاقة بالضمير من أحكام الشريعة مع أنهما من أحكام الله، ثم يعود مرة أخرى ويجعل العبادات والشعائر من الشريعة!.

وهو في اضطراب بين كون الشريعة كل أحكام الله، وبين كونها ما يتعلق بالقضاء والسياسة، أي ما يقابل القوانين الوضعية مع الفارق الكبير.

ولو أنه ذكر أن الشريعة تشمل كل دين الله، وقد تطلق ويُراد بها ما يُحتكم إليه في القضاء، لكان صحيحاً.

إن إخراج الآداب وماله علاقة بالضمير يهدف إلى طمس بعض مزايا الشريعة على القانون الوضعي، من حيث الشمول أولاً حيث إن الشريعة تشمل حتى ماله علاقة بالضمير كالعبادات، ومن حيث الدوافع ثانياً ذلك أن مراعاة المكلفين لأحكامها ليس لخوف العقوبة الدنيوية فحسب، وإنما مع ذلك ابتغاء رضوان الله وجنته، وخوفاً من غضبه سبحانه وعقابه.

* * *

المبحث الثالث

إرجاع الدائرة الشريعة الإسلامية إلى مصادر جاهلية

حاولت الدائرة ربط الشريعة الإسلامية بعدة مصادر جاهلية كالآراء العربية القديمة، والقانون الروماني والهندي، كما حرصت على تأكيد أن الشريعة تكونت على مدى قرون في بيئات مختلفة.

ومما جاء في الدائرة:

(أما ما يتعلق بالمصادر المادية للتشريع الإسلامي فإن عناصر كثيرة مختلفة في أصلها من آراء عربية قديمة وبدوية: قانون التعامل بمدينة مكة التي كانت مدينة تجارية؛ وقانون الملكية بواحة المدينة؛ والقانون العرفي الذي كان في البلاد المفتوحة، وهو قانون روماني إقليمي إلى حد ما؛ وقانون هندي؛ قد احتفظ به الإسلام وأخذ به من غير تحرج، لكنها بعد ذلك أُخضعت لتقييم الدين الذي شمل كل شيء)[1].

وجاء أيضاً: (الشريعة الإسلامية التي تكونت من الوجهة التاريخية بتظافر عوامل دقيقة لا يمكن تقديرها التقدير الدقيق)[2].

وجاء في مادة الحكم: (وفي الشريعة الإسلامية التي تطورت في

(١) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٦، مادة الشريعة، شاخت.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٥، مادة الشريعة، شاخت.

بيئات وأحوال اجتماعية وسياسية....)[١].

قلت : تضمن هذا الكلام الادعاء بأن أصول الشريعة الإسلامية بدوية ورومانية وهندية ، كما جاء فيها الحديث عن تطور الشريعة في بيئات وأحوال مختلفة. والجواب عن ذلك :

أما ما يتعلق بالآراء العربية البدوية : فالجواب عليه من وجوه :

الأول : ما تقدم من البراهين على صحة نبوته ﷺ ، وأن ما جاء به مصدره الوحي الإلهي[٢] ، وهو أصل التشريع الإسلامي.

الثاني : ما سبق من تفنيد دعاوى المستشرقين في اتهامهم النبي ﷺ باستقاء دينه من الأمم السابقة في فصل خاص[٣].

الثالث : لم يكن هناك تنظيم قضائي بيّن ملزم بين عرب الجاهلية ، بل إن ما يحتكمون إليه على عدم إلزامه إنما هو آراء متفرقة غير شاملة ، وقد تكون مختلفة بين كل قبيلة وأخرى ، باعتراف بعض المستشرقين الدارسين لحالة العرب قبل الإسلام ، حيث يقول مونتقمري وات : «ولا تُرى عند العرب ، سواء قبل الإسلام أم بعده[٤] الفكرة المجردة عن

---

(١) الدائرة ١٥/ ٢٢٨ ، مادة الحكم ، طيان.

(٢) انظر صـ ٣٤٣ وما بعدها.

(٣) انظر صـ ٤٣٤ وما بعدها.

(٤) يقصد كما يدل عليه سياق الكلام فكرة القانون المجردة عن الدين.

القانون ، حتى أن التأثيرات اليونانية لم تستطع إنَّ تدخل هذه الفكرة في الفقه الإسلامي»[١].

الرابع : إن الإسلام جاء بما يناقض عقائد وآراء المشركين وعاداتهم كالشرك بالله ، والتطير ، والاستقسام بالأزلام ، وإباحة الربا ، والافتخار بالأحساب.. وكثير غيرها مما أبطلته الشريعة الإسلامية.

الخامس : لو كان هذا صحيحاً لما خفي على أعداء الدعوة آنذاك ، ولبينوا أن شريعة الإسلام مُستقاة من آرائهم.

أما الاستقاء من القانون الروماني : فالجواب عليه من وجوه عدة :

الأول والثاني : ما سبق في الوجهين الأولين في الدعوى السابقة.

الثالث : أن الوسائل التي تُذكر في ذلك قسمان :

أولاً : الوسائل المباشرة ، وهي :

١ - مدارس القانون الروماني.

٢ -التشريعات البيزنطية التي كانت تحكم البلاد التابعة للرومان في الشرق وبخاصة الشام ومصر.

ثانياً : الوسائل غير المباشرة :

١ - الأعراف الجاهلية.

---

(١) محمد في مكة ، مونتقمري وات ٤٩.

٢- الفِرق النصرانية.

٣- الثقافة الإغريقية.

قلت فيما يتعلق بمدارس الفقه الروماني فإنها أربعة مشهورة هي : مدرسة روما ، والقسطنطينية ، وبيروت ، والإسكندرية.

فأما مدرسة بيروت : فقد دمرت وذهبت معالمها في الزلزال الذي أتى على المدينة كلها سنة (٥٥١م) وتوقف عملها من ذلك الوقت ، أي قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة ، فلم يتأثر بها الفاتحون فضلاً أن يتأثر بها المجتهدون المسلمون كالأوزاعي الذي كان أقرب إلى أهل الحديث.

وأما مدرسة الإسكندرية : فقد ألغاها الإمبراطور الروماني جوستنيان بمقتضى الدستور الصادر سنة (٥٣٣م) ، ولم يكتف بإلغائها؛ بل أحرقها بما فيها من برديات قانونية رومانية ، ولم يدخل المسلمون الإسكندرية إلا في سنة (٢١هـ - ٦٤١م) ، أي بعد إحراقها بأكثر من مئة سنة.

وأما القسطنطينية : فلم يدخلها المسلمون إلا سنة (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م)، فكيف تتأثر مدارس الفقه الإسلامي الأولى بها؟

وأما روما : فلم يدخلها المسلمون فاتحين حتى اليوم ، وإن فتحها لواقعٌ بمشيئة الله كما أخبر بذلك النبي ﷺ [1]. وليس هناك احتكاك بين فقهاء

---

(١) ونص الحديث : «وسُئل النبي ﷺ أي المدينتين تُفتح أولاً ، أقسطنطينية أو رومية؟=

الإسلام وبين تلك المدارس، بل مصادرهم معلومة في كتب الفقه والأصول من كتاب الله والسنة نبيه والإجماع والقياس وأقوال الصحابة وغيرها.

فهذه المدارس القانونية لم يكن لها أي تأثير على التشريع الإسلامي.

وفيما يتعلق بالتشريعات البيزنطية : فلم تؤثر هي أيضاً في الشريعة الإسلامية وذلك لعدة أسباب أوجزها بما يأتي :

١- غلق المدارس القانونية وتدميرها قبل الفتح الإسلامي.

٢- إحلال العادات والتقاليد المحلية محل ما كان مفروضاً من قوانين.

٣- عدم رواج اللغة اللاتينية في تلك الولايات، وهي لغة ذلك القانون.

٤- رفض الرهبان والقسس للقانون الروماني؛ لأنه في نظرهم قانون الكفار.

أما الأعراف الجاهلية : فلم تتأثر بقوانين الرومان، بحكم عزلة العرب وأميِّتهم وحياتهم القبلية، كما أن روابطهم بالرومان ضعيفة باستثناء بعض القبائل في شمال الجزيرة العربية التي كانت تدين للرومان، ومع ذلك لم يكونوا يحكمون بقوانينهم.

=فقال رسول الله ﷺ : (مدينة هرقل تُفتح أولاً) يعني قسطنطينية» رواه أحمد ٢/ ١٧٦، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٤/ ٥٠٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٣-٤، برقم ٤.

وإذا كانت الآراء الجاهلية وهي الأقرب لم تؤثر في التشريع الإسلامي فكيف تؤثر عليها تلك القوانين عن طريق الجاهليين؟

أما الفرق النصرانية: فلم يكن لها قانون مكتوب حتى القرن العاشر الميلادي سوى كُتَيِّبين عن موانع الزواج ونظام الإرث في الكنيسة النسطورية في العراق، كتب الأول باللغة السريانية والثاني بالفهلوية، والقوانين التي فيهما مختلفة أشد الاختلاف مع التشريع الإسلامي، كما أنهما لم يتأثرا بدورهما بالقانون الروماني، والعراق لم يكن منطقة نفوذ للرومان، ولم تكن تلك الكتب معروفة لعرب الجاهلية، فضلاً عن جهلهم الشديد باللغة المكتوبة بها، وما عدا ذلك فهي مسبوقة بالتشريع الإسلامي.

وأما الثقافة الإغريقية: فإن تأثيرها على المسلمين كان أضعف ما يكون في القانون، ولم تنشط حركة الترجمة إلا في العصر العباسي، بعد وجود المذاهب الإسلامية في الفقه، وأهملت فيها ترجمة كتب القانون، وهذا ابن النديم يذكر في الفهرست أسماء المترجمين والمؤلفات المترجمة، وليس فيها كتاب واحد في القانون.

إن أول ترجمة للكتب القانونية الأجنبية للغة العربية كانت على أيدي النصارى السريان في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، ولم يكن لها أي تأثير على الفقه الإسلامي.

الرابع : الشريعة الإسلامية اختلفت مع القانون الروماني من حيث الأساس ، ومن حيث الموضوع ، كما اختلفت معه في كثير من الأحكام الرئيسية ، وبيان ذلك :

- التشريع الإسلامي تناول العبادات الخاصة والعلاقات الدولية ، بينما أهمل القانون الروماني ذلك.

- التشريع الإسلامي يحرم التبني والربا والزنا والقذف وشرب الخمر، وبينما لا يحرم القانون الروماني هذه الأمور ، كما أن المهر يدفعه ذوو المرأة عند الرومان ، وهي عديمة الأهلية عندهم وتحت الوصاية التامة في كل تصرفاتها بينما هي في الإسلام تامة الأهلية.

والاختلافات لا يمكن أن يحاط بها في مثل هذا المقام.

وقد تبين هذا لكل مصنف ، وقد أقر مؤتمر القانون الدولي الذي عقد في لاهاي سنة (١٩٣٨م) أن الشريعة الإسلامية نظام مستقل غير مأخوذ من التشريع الروماني[١].

---

(١) انظر : شبهات حول التشريع الإسلامي ، د. محمد نبيل غنايم ٣٠٧-٣٠٨ ، بحث ضمن مجلة أضواء الشريعة التابعة لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ ، العدد الرابع عشر ، والاستشراق والفقه الإسلامي ، محمد الدسوقي ٧١٩ - ٧٢١ ، بحث ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر ، العدد الخامس ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، وقد استقيت منهما الوجه الثالث والرابع.

وإذا كان هذا في القانون الروماني، فكيف بالقانون الهندي الذي هو أبعد صلة بالمسلمين والعرب الجاهليين من القانون الروماني، ولم تكن له مدارس في البلاد العربية، بل ولا يعرف أنه ترجم آنذاك.

إن أخذ المسلمين المنتصرين للقوانين من الرومان والهند مخالف لسنة التاريخ، الذي يتأثر فيه المنهزم بالمنتصر، ويفرض الفاتح على البلدان المفتوحة نظمه وشرائعه.

أما ما يتعلق بتطور الشريعة وتكونها في بيئات مختلفة فبيانه:

أن أصول الشريعة الإسلامية ثابتة لم تتغير، وأما فروع الشريعة ففيها الأصول الثوابت، وفيها المتغيرات، وهذا بسبب مرونة الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان وعدم جمودها؛ ذلك أنها نصت على أحكام ثابتة كالأخلاق والعبادات والحدود والأطعمة، كما أنها مرنة في كثير من الأحكام وترجعها إلى الأعراف، «والعرف مفسر لبعض نصوص الشرع مثل تحديد معنى «التفرق» في قوله ﷺ: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)[1]، ومعنى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: إذا بيّن البيعان ولم يكتما، برقم (٢٠٧٩)، ومسلم في كتاب البيوع، باب: الصدق في البيع والبيان، برقم (١٥٣٢).

«الإحياء» في قوله ﷺ : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له)[١] ، ومعنى «الحِرْز» في السرقة ، «والقبض» في البيع والهبة ، وغير ذلك؛ لأن الشارع ذكر حكماً ، ولم يبينه فدل على أنه تركه لعرف الناس»[٢].

كما أن الشريعة جعلت للمصلحة دوراً فيما سكت عنه الشرع مع وجود الثوابت الحاكمة ، ومثال ذلك النظام السياسي فأوجبت العدل ومبدأ الشورى ، وأوجبت تولي المؤمنين والبراءة من الكافرين ، ولكنها لم تحدد نمطاً جامداً لأساليب الحكم والشورى.

ومع كثرة النصوص الشرعية ، فإنه لابد مع ذلك من الاجتهاد لمعرفة أحكام الله؛ لأن نصوص التشريع محصورة محدودة على كثرتها ، والحوادث لا حد لها ، وحتى يكون الاجتهاد شرعياً ، فلابد للمجتهد من معرفة بنصوص الشرع ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص من

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الخراج والإمارة، والفيء، باب: في إحياء الموات برقم (٣٠٧٣)، والترمذي في أبواب الأحكام، باب: ما ذكر في إحياء أرض الموات، برقم (١٣٧٨). وأخرجه البخاري بلفظ: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق) ، في كتاب الحرث والمزرعة، باب من أحياء أرضاً مواتاً.

(٢) وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، يوسف القرضاوي ، بحث ضمن كتاب : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تُثار حول تطبيقها ٨٧ بتصرف ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

تلك النصوص، وأقوال السلف وإجماعاتهم، وأصول القياس ومعرفة الأشباه والنظائر، كما لابد من معرفة اللغة العربية وأساليبها[١]، وذلك كله حتى يكون اجتهاده في إطار الشريعة الإسلامية الواسعة الرحبة.

فالتطور من هذا القبيل صفة مدح وكمال، وهو الموجود في الشريعة الإسلامية.

* * *

(١) انظر الرسالة للشافعي فقرة ١٤٦٥ – ١٤٨١ بتصرف.

المبحث الرابع

الدعوى بتناقض الشريعة وعدم عقلانيتها

جاءت هذه الفرية في الدائرة : (وشرع الله لا يمكن إدراك أسراره بالعقل فهو تعبدي ، أي أن الإنسان يجب عليه أن يقبله مع تناقضه ، وأحكامه التي لا يدركها العقل من غير نقد ، وأنه بعد ذلك حكمة لا يمكن درك كنهها ، ولا يجوز للإنسان أن يبحث في الشرع عن علل بحسب مفهومنا ، ولا عن مبادئ؛ ذلك أن منشأ الشريعة هو إرادة الله التي لا تقيدها مبادئ)[(١)].

قلت : نعم نصوص الكتاب والسنة يجب التسليم بها واعتقاد مراعاتها لمصالح العباد في الدارين ، سواء علمنا حكمة ذلك أم قصرت عنه عقولنا.

ولكنّ ذلك لا يعارض النظر فيما وراء النصوص من مقاصد للشرع يجب أن تعتبر ، والنظر في علل الأحكام لقياس نظائرها عليها مما لم يرد فيه نص.

والشريعة اعتبرت المصالح الدنيوية في الأحكام ، وهذا معلوم لكل من له أدنى نظر ومعرفة بالشريعة الإسلامية ، وعلى سبيل المثال في

(١) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٥ ، مادة الشريعة ، شاخت.

أبواب المعاملات: أوجب الشارع العلم بالثمن والمثمَّن، وحرَّم الغرر والغش، وأباح أنواع الخيار لما فيه من مصالح للطرفين، ونهى عن النجش والاحتكار والربا، ورخص في السَّلَم.. إلى غير ذلك مما يُعلم حكمته ويطول استقصاؤه.

وقل مثل ذلك في أحكام النكاح والفرائض.

ومن قال في ذلك وأمثاله: إن الحكمة تعبدية محضة كعدد الركعات في الفرائض، فقوله ظاهر البطلان.

والأدلة من الكتاب والسنة في مراعاة الشريعة للمصالح كثيرة، ومنها:

قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ومن رحمته شمول شريعته لما فيه مصالح العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[2]، فتجنب كل ما فيه فساد، وتحمل الفساد الأقل في سبيل تجنب الفساد الأكثر، كل ذلك راعته الشريعة الإسلامية.

---

(١) الأنبياء الآية: ١٠٧.

(٢) البقرة الآيتان: ٢٠٤ – ٢٠٥.

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[(١)]، والأمر بالعدل والإحسان ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وهي في ذاتها مصالح عظيمة جداً للعباد يراعيها كل مجتهد ، بل إن كل نظام يسعى إلى تحقيقها ، ويسن القوانين من أجلها.

وشريعة الله هي التي تحقق ذلك لقصور علم البشر عن مصالح العباد ، وعجزهم عن الإحاطة بوسائل تحقيقها ، ولمداخلة الهوى نفوس واضعيها.

والنصوص في مراعاة الشريعة للمصالح كثيرة[(٢)].

أما التناقض المزعوم ، فإن الشريعة الإسلامية بريئة منه ، فأحكام الله لا تتناقض مطلقاً.

فأحكام الله هي ما جاءت في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ وما أجمع عليه المسلمون ، وعند اختلاف الفقهاء فإن أقوالهم ليست بملزمة للمجتهدين ، وإنما المُلزم ما يظهر أنه الحق في ذلك ، كما يُلزم العوام بتقليد مجتهديهم مع بذلهم الوُسع في تحري الحق ، إذ إن حكم الله واحد

---

(١) النحل الآية: ٩٠.

(٢) انظر البقرة الآية: ١٨٥ ، المائدة الآية: ٦ ، الأنفال الآية: ٢٤.

لا يتعدد فأحد الأقوال هو الصواب ، والأقوال الأخرى معذور أصحابها إذا كانوا من أهل الاجتهاد.

ولا يلزم المسلم في الشريعة بأقوال متناقضة البتة.

وهذا المستشرق لم يأت بمثال على ما ادعاه من تناقض حتى يتسنى مناقشته ، وقد سبق في أبواب سابقة الإجابة على مثل هذا [١].

وإنني أعجب أن يصدر هذا من أهل الكتاب الذي يوجد في كتبهم بسبب التحريف من التناقضات الشيء الكثير كما تقدم [٢].

* * *

(١) انظر صـ ٥٢١ وما بعدها.

(٢) انظر صـ ٤٨٦.

المبحث الخامس

الزعم بأن الشريعة الإسلامية شريعة نظرية

جاء في الدائرة محاولات بعض المستشرقين ، وبالأخص شاخت الطعن في الشريعة الإسلامية باعتبارها شريعة ذات صبغة نظرية ، وليست عملية ، لذا فهي لم تطبق عملياً ، حتى في صدر الإسلام ، وأن هذا الأمر مُقر به في الإسلام باعتراف الفقهاء أنفسهم ، ومن ذلك :

- جاء في مادة الشريعة : (ففي ميدان القانون التجاري استمر العمل على ما كان عليه من غير مراعاة للشريعة ، والشريعة هنا لم تطبق أبداً تطبيقاً حقيقياً)[١].

- وعند الحديث عن الخلافة : (وفي الحق أن نظام الحكم العربي ، حتى أيام أبي بكر وعمر ، كان بعيداً عن الانطباق على المثل الأعلى للحكم الديني الذي وضعته المذاهب الفقهية فيما بعد. وقد أبان هذه الحقيقة لامانس وكايتاني بما كتبا من بحوث.

غير أن هذين الصحابيين الجليلين كانت لهما مكانة عظيمة. فحال ذلك ، في أول عهد الخلافة دون نشوء نظرية دستورية تعارض النظام القائم)[٢].

---

(١) الدائرة الأولى ، ١٣/ ٢٥٢ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٢) الدائرة ٤/ ٤٦٧ ، مادة أمية ، ليفي دالفيدا.

- وفي مادة الشريعة أيضاً : (على أن الفقهاء أنفسهم كانوا دائماً بحكم الواقع العملي شاعرين باستحالة تطبيق أحكام الشريعة في الأحوال السائدة ، ومهادنتهم للسلطة الدنيوية تستند إلى هذا الإدراك)[١].

وعند الحديث عن الجهاد عند المسلمين في جنوب شرق آسيا : (وقد دلت التجارب على أنه من المستحيل على المسلمين أن يقوموا بما يفرضه الجهاد عليهم)[٢].

وفي مادة الحيل : (والحيل هي نتيجة طبيعية لتلك الفرقة بين النظر والعمل اللذين اقترنا بالشريعة الإسلامية منذ بداياتها الأولى)[٣].

- وعند الحديث عن الحج : (ينص الشرع على أن الحاج يُثاب إذا أحرم منذ بدء رحلته إلى مكة ، ولمّا كان هذا الأمر شاقًّا فقد جرت العادة ألا يحرم الحاج إلا عند اقترابه من الحرم ... وقد بيّن الشرع بعض المواقيت التي يستطيع فيها الحاج أن يحرم وهي : ذو الحليفة...)[٤].

- كما جاء أيضاً : (وقد ذهب سنوك هوروكني إلى قيود الإحرام قد غدت قاسية في نظر النبي ، لذا نجده أثناء مكثه في مكة قبل الحج يتحلل

---

(١) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٥٣ ، مادة الشريعة ، شاخت.

(٢) الدائرة ٧/ ١١٢ ، برنك سبيل مادة «الجهاد في لغة مسلمي شرق آسيا» ، كرن.

(٣) الدائرة ١٦/ ٢٤٩ ، مادة الحيل ، شاخت.

(٤) الدائرة ٢/ ٢٤٩ ، مادة الإحرام ، فنسنك.

من هذه القيود ، فلما نظر إليه صحابته نظرة عتاب واستفهام نزلت الآية : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]. وعلى ذلك فإن ما تراءى للنبي ومعاصريه أنه إهمال يستوجب التكفير قد غدا في نظر الأجيال اللاحقة أمراً مباحاً)[(١)].

قلت : مناقشة تلك النصوص من عدة وجوه :

الأول : بيان أن الشريعة الإسلامية كانت تطبق عملياً في حياة المسلمين ، وأن ما يحدث من تجاوزات هو شذوذ ، وليس قاعدة ، فمنذ عهد النبي ﷺ ، والدول الإسلامية المتعاقبة تطبق أحكام الشريعة ، ففُتحت البلاد وحُميت الثغور بالجهاد في سبيل الله ، وأُقيم العدل بين الناس ، وكان الخلفاء يعيِّنون القضاة الشرعيين في كافة نواحي البلاد الإسلامية ، وكان أولئك القضاة من علماء الشريعة الحاكمين بها.

كما أن المسلمين ، كأفراد ، يطبقون الأحكام الشرعية فيما يخصهم من عبادات ومعاملات وأحكام النكاح والإرث من حيث الإجمال ، حتى

---

(١) الدائرة ٢/ ٢٥١ ، مادة الإحرام ، فنسنك.

وإن كانوا في غير دولة إسلامية بقدر المُستطاع.

الثاني : إن ما سبق كان هو الواقع في دول الإسلام ، وعلى الأخص في زمن الصديق والفاروق ، وإن قلنا بحدوث تجاوزات في بعض الدول وهي شاذة بالنسبة لما يطبق من الشريعة ، فإن تلك التجاوزات تكاد تُعدم في عهدهما الزاهر ، فضلاً أن يقال : إن حكمهما بعيد الانطباق عن المثل الأعلى للحكم الديني الذي وضعته المذاهب الفقهية.

وقلة المعارضة في عهدهما تعود في الأصل إلى تطبيقهما لشريعة الإسلام ، وإقامة العدل بها ، وأخذهما بمبدأ الشورى.

الثالث : أما القانون التجاري فإن أحكام الشريعة فيه معمولة ومطبقة على نحو عام يطبقها عامة المسلمين ويحكم بها قضاتهم ، وليس في أحكام الشريعة ما يمنع من تطبيقه البتة ، ومخالفة شواذ الناس لأحكام الله في التجارة أمر طبيعي لا يستغرب ، إذ العيب في المخالِف ، وليس من التشريع.

وعلى الكاتب – حتى يكون واقعياً– أن يثبت نظرته تلك المخالفة للتاريخ ، أو يُثبت أن شيئاً من أحكام الشريعة لا يمكن تطبيقه.

الرابع : ما يخص الجهاد في جنوب شرق آسيا وفي غيره ، فإن الجهاد في سبيل الله من شريعة الإسلام ، والمسلمون إذا عجزوا عن الجهاد كما

هو الحال عند ضعفهم وتفرقهم وتسلط أعدائهم ، فإن ترك القتال هو ما تفرضه الشريعة ، مع بذل الوسع في إزالة العجز ، وقد مارس المسلمون الجهاد في العصر الحديث في مواطن شتى كما هو الحال في حرب الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وفي أفغانستان ، وفي البوسنة ، وغيرها.

الخامس : القول بمهادنة الفقهاء للسلطة الدنيوية على أساس أن السلطة الدنيوية لم تكن تطبق الشريعة ، وهذا غير صحيح ، فالسلطة الدنيوية كانت مطبقة لشريعة الإسلام من حيث الإجمال فمن الطبيعي أن تكون المهادنة.

كما أن الفقهاء – والتاريخ خير شاهد- كانوا يقومون في الغالب بما أوجبه الله عليهم من إنكار المنكر والاحتساب على الحكام عند حدوث تجاوزات.

وإذا ترك بعض الفقهاء الإنكار بسبب العجز فهم معذورون؛ وإن تركه البعض مع القدرة لنوع من التأويل السائغ فهم مجتهدون مأجورون؛ وإن تركه آخرون من غير عذر ولا تأويل فهو ذنب من الذنوب التي لا يسلم منها البشر ، ولكن هذا الأخير ليس مرده إلى ما ذكره الكاتب من علمهم باستحالة تطبيق شريعة الإسلام.

السادس : فيما يتعلق بالحيل فإنه مثال ذكره الكاتب يجب الوقوف عنده.

فحقيقة الحيل: «تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي، وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر»[(١)].

والتحايل على الشريعة ليس عيباً فيها، وإنما في المتحايل، فمهما كانت الأحكام واقعية، والنصوص واضحة، فإنها لن تُعجز المتحايلين، في أي قانون كان.

وإنني أعجب من المستشرق اليهودي الذي يتكلم في الحيل ويستدل بها على عجز الشريعة، مع أن اليهود هم أول من سنَّ الحيل واشتهروا بها، فقد حُرم عليهم الصيد يوم السبت وابتلاهم الله بكثرة الحيتان فيه، فلم تعوزهم الحيلة بأن وضعوا شباكهم يوم الجمعة وأخذوها يوم الأحد فقال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[(٢)].

والحيل بهذا المعنى محرمة؛ لأن للوسائل حكم المقاصد[(٣)].

وقد جاءت بذلك الأدلة الشرعية كقول الله تعالى:

---

(١) الموافقات للشاطبي ٤/ ٢٠١.

(٢) البقرة الآية: ٦٥. وقد جاء تفصيل ذلك في آيات آخرى. انظر الأعراف الآية: ١٦٣.

(٣) انظر لبيان هذه المسألة إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣/ ١٤٧ وما بعدها، والموافقات للشاطبي ٤/ ١٩٤ – ٢٠٢.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾(١)، فحرّم سب آلهة المشركين لا لذاتها، ولكن لأنها مفضية إلى سب الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ...﴾(٢) «فمنعهن من الضرب بالأرجل وإن كان جائزاً في نفسه لئلا يكون سبباً إلى سمع الرجال صوت الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن»(٣).

وقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)(٤)، قال الشاطبي(٥): «إنما الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات، من العبادات والعادات، والأدلة على هذا المعنى لا تنحصر»(٦).

إن القول بإباحة بعض الحيل هو قول مردود، وذلك لمخالفته للأدلة السابقة، بل جاءت أدلة خاصة تدل على تحريم الحيل، وعقد البخاري

---

(١) الأنعام الآية: ١٠٨.

(٢) النور الآية: ٣١.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ٣/ ١٤٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنية » برقم (١٩٠٧).

(٥) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المشهور بالشاطبي أصولي حافظ من أئمة المالكية توفي سنة ٧٩٠هـ. (انظر الأعلام للزركلي ١/ ٧٥)

(٦) الموافقات ٢/ ٣٢٣.

كتاباً كاملاً في صحيحه للدلالة على تحريم الحيل وساق الكثير من الأحاديث الثابتة[١] ومنها على سبيل المثال: قوله ﷺ في أموال الزكاة: (لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة)[٢].

وقوله ﷺ: (لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ)[٣].

قال ابن حجر: «فلو تحيل صاحب البئر فادعى أن لا فضل في ماء البئر عن حاجته ليتوفر له الكلأ الذي بقربه لأن صاحب الماشية حينئذ يحتاج أن يحولها إلى ماء آخر لأنها لا تستطيع الرعي على الظمأ لدخل في النهي»[٤].

ومن ذلك تحريم هدايا العمال، وقوله ﷺ للعامل الذي أُهدي إليه: (فهلاَّ جلست في بيت أبيك وأمك فتأتيك هديتك!)[٥].

ومن ذلك نهي النبي ﷺ عن النَجَش[٦]، وهو زيادة من لا يريد الشراء

---

(١) انظر الصحيح كتاب (٩/ ٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا يجمع بين متفرق، برقم (١٤٥٠)، ومسلم في كتاب الحيل، باب في الزكاة، برقم (٦٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب ما يكره من الاحتيال في البيوع برقم (٦٩٦٢).

(٤) فتح الباري ١٢/ ٣٣٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، احتيال العامل ليُهدي له، برقم (٦٩٧٩).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب ما يكره من التناجش، برقم (٦٩٦٣).

في السلعة، وذلك يحصل لنفع البائع في الغالب.

فهذه الصور التي نهى عنها النبي ﷺ وأمثالها كثير، لا يتبدى في النهي عنها – لسلامة ظاهرها – إلا سد الباب على المتحايلين.

قال ابن القيم: «ومما يدل على التحريم أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على تحريم هذه الحيل وإبطالها، وإجماعهم حجة قاطعة، بل هي من أقوى الحجج وآكدها... إن عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال: لا أُوتى بمحلِلٍ ولا محلَلٍ له إلا رجمتهما، وأقره سائر الصحابة على ذلك، وأفتى عثمان وعلي وابن عباس وابن عمر أن المرأة لا تحل بنكاح التحليل، وقد تقدم عن غير واحد من أعيانهم كأبيّ وابن مسعود وعبدالله بن سلام وابن عمر وابن عباس أنهم نهوا المُقرِض عن قبول هدية المُقترِض، وجعلوا قبولها رباً. وقد تقدم عن عائشة وابن عباس وأنس تحريم مسألة العينة، والتغليظ فيها، وأفتى عمر وعثمان وعلي وأبيّ بن كعب وغيرهم من الصحابة: أن المبتوتة في مرض الموت ترث، ووافقهم سائر المهاجرين والأنصار... وهذه وقائع متعددة لأشخاص متعددة في أزمان متعددة، والعادة توجب اشتهارها وظهورها بينهم، لاسيما وهؤلاء أعيان المفتين من الصحابة الذين كانت تضبط أقوالهم، وتنتهي إليهم فتاويهم، والناس عُنق واحد إليهم متلقون

لفتاويهم ، ومع هذا فلم يحفظ عن أحد منهم إلا الإنكار لإباحة الحيل مع تباعد الأوقات وزوال أسباب السكوت»[(١)].

السابع : فيما يتعلق بالإحرام فإن كلام المستشرق ينم عن جهل شديد بالشريعة الإسلامية في كلا النقلين.

فالحاج لا يجب عليه الإحرام من بلده ، بل المشروع له أن يحرم من المواقيت التي وقتها النبي ﷺ ، وأحرم منها هو وأصحابه -رضي الله عنهم- حيث لم يكونوا يحرمون عند بداية رحلتهم إذا كانوا خارج تلك المواقيت.

وإحرامهم عند اقترابهم من مكة غير دقيق ، والأصح إحرامهم من المواقيت الشرعية ، وسبب ذلك ليس مشقة الإحرام من البلد ، وإنما التزام أحكام الشرع.

وأما التحلل بعد عمرة المتمتع فليس فيه إهمال أو تقصير ، بل معنى الآية الكريمة إيجاب الهَدْيِ على من تمتع بالجمع بين العمرة والحج ، وذلك بتمتعه بإسقاط أحد السفرين في أصح أقوال العلماء. وليس التحلل هو سبب الهدي بدليل أن القارن يهدي كذلك وهو لا يتحلل إلا بعد الفراغ من الحج.

---

(١) إعلام الموقعين ٣/ ١٨٥.

واستغراب الصحابة إنما كان لمخالفة النبي ﷺ ما كان يُصنع في الجاهلية من عدم التحلل إلا بعد الحج ، وإلا فإن النبي ﷺ أحرم في يوم السادس والعشرين من ذي القعدة في ذي الحليفة ، واستمر على إحرامه عشرة أيام ، وأحل في السادس من ذي الحجة ثم أحرم يوم الثامن منه ، فلو كانت هذه القيود قاسية إلى هذا الحد لما استمر عليها تلك المدة جامعاً بينها وبين السفر ثم يتخلى عنها بعد انقطاع السفر ، وقرب الحج.

فتحلل النبي ﷺ إنما هو طاعة لله تعالى لإزالة أمر الجاهلية ، وليس كما يزعم الكاتب أن « قيود إلا دام قد غدت قاسية في نظر النبي » .

وزهد النبي ﷺ والدنيا بين يديه خير دليل لذوي البصائر على فساد هذا الكلام ، وسوء أدب الكاتب مع النبي ﷺ أمر معهود لا يستغرب.

* * *

المبحث السادس

وفيه مطالب

المطلب الأول : الزعم بانتشار الإسلام بالإكراه :

جاء في الدائرة الزعم بأن المسلمين يسعون لإكراه الناس للدخول في الإسلام ، مما يفهم منها القارئ أن الشريعة الإسلامية تقر مثل تلك التصرفات إن كانت وقعت فعلاً ، ومما جاء في الدائرة : (ويمتدح شيوخ المسلمين بصفة عامة إكراه أي شخص على اعتناق الإسلام في أية ناحية من نواحي جزائر الهند الشرقية ، ويعدون هذا أداء لواجب من أهم الواجبات الجهاد)[١].

وجاء كذلك : (أن كلمة رباط تستعمل أيضاً في مراكش للدلالة على المنشآت التي يوجه فيها النشاط العسكري بصفة خاصة إلى نشر الإسلام بحد السيف بين المارقين)[٢].

قلت : لا يكره الإسلام أي أحد على الدخول فيه ، بل إن هذا لا يتصور حقيقة ، لأن الإسلام في القلب ، وإنما المشروع للمسلمين بيان الإسلام للناس ، وفي هذا أعظم مدعاة لإسلامهم لما تضمنه من محاسن ،

(١) الدائرة ٧/ ١١٣ ، مادة رنك سبيل «أي الجهاد باللغة الأندونيسية» ، كرن.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٣٢ ، مادة الزاوية ، ليفي بروفنسال.

وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...﴾ (١)، فليس في الجهاد ولا في الشريعة أي إكراه ، «وإنما الجهاد منفذ للشريعة موصل لها إلى أسماع المكلفين حتى يصغوا إليها ، فيعلموا أنها الحق؛ فيعملوا بها ظاهراً وباطناً» (٢) ، والمسلم «لا يقاتل من أجل فرض عقيدته على الناس وهم كارهون ، إنما يقاتل لإزالة القوى الجاهلية التي تمنع وصول الحق للناس دون حواجز نفسية أو حسية أو مادية ممثلة في نظم جاهلية لها في الناس ثقل؛ فإذا أُزيلت الحواجز فلا إكراه في الدين» (٣).

والقتال في الإسلام ليس لعصبية ولا لحب مغنم ولا لغرض ملك ، وإنما هو لإعلاء كلمة الله ، وإقامة حكمه ، «فلم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناق عقيدته ، ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد أعداؤه أن يتهموه! إنما جاهد ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً ، ويعيشون في إطاره خاضعين له؛ وإن لم يعتنقوا عقيدته» (٤).

---

(١) البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب لابن معمر ٢٨٥.

(٣) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ٥٩٩ ، دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٩٥.

وفيما يتعلق بالمشائخ المذكورين الذين حاول الكاتب التشنيع عليهم فسيأتي الجواب عن ذلك[١].

المطلب الثاني : الدعوى بعدم تقيد المسلم بأحكام الشريعة خارج بلاد الإسلام :

جاء في الدائرة : (الشريعة لا تقيد غير المسلم شيئاً من التقييد إلا في بلاد الإسلام ، بل هي لا تلزم المسلم نفسه خارج بلاد الإسلام)[٢].

قلت : المسلم يجب عليه الالتزام بأحكام الشريعة أينما حل بقدر استطاعته ، فهو متعبد بهذه الشريعة ، والله مطلع عليه.

فهو لا يلتزم بها خوفاً من السلطان فحسب ، بل فوق ذلك لامتثال أمر الله رغبة فيما عنده وخوفاً من عقابه ، ولعلمه أن فيها الخير في العاجل والآجل.

وكون الشريعة لا تطبق في بلاد الكفر ، فإن هذا مرده لعدم التزام الكفار بها — وهو أمر طبيعي لمن أشرك بالله- ، وعجز المسلمين عن بسط سلطتهم على تلك الأرض.

ولكن يجب على المسلمين ، وإن كانوا أقلية ، أن يقيموا شريعة الله

---

(١) انظر صـ ١٠٤٦.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢٤٦ ، مادة الشريعة ، شاخت.

بحسب طاقتهم واستطاعتهم، وحسبهم في ذلك أن يبنوا مجتمعاً إسلامياً صغيراً يكون نواة لدعوة إسلامية تُقام فيهم الفرائض، ويؤمر بينهم بالمعروف ويُنهى عن المنكر على حسب القدرة، ويشعر المسلمون فيه بالتواد والتراحم فيما بينهم، ويقيموا ما استطاعوا من شرائع الإسلام المقدور عليها كالصلاة والزكاة والتقيد بأحكام الإسلام في الزواج والطلاق والإرث...، ويسقط عنهم ما عجزوا عنه كإقامة الدولة والجهاد وإقامة الحدود ومعاقبة المجرمين.....

ويحرم على المسلم الإقامة في بلد يعجز فيها عن إظهار شعائر دينه إن كان مستطيعاً للهجرة إلى بلد الإسلام، أو إلى بلد يستطيع فيه إظهار شعائر الدين.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1].

(١) النساء الآيات: ٩٧ – ٩٩.

وأما العاجز فإنه معذور إذا قام بما يجب عليه من أداء ما استطاع من الشعائر ولو خفية كما كان المسلمون يفعلون قبل الهجرة.

فالشريعة تقيد المسلم في كل مكان بحسب الوُسع. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...﴾[١].

أما ما قرره الكاتب فهو خلاف ما قررته الشريعة، وخلاف الواقع.

وإثارة المستشرق هذه الشبهة وأمثالها محاولة منه في إزالة تميز أحكام الشريعة عن النظم الأخرى التي لا تلزم أصحابها إذا خرجوا عن حدود أرضها.

المطلب الثالث: اتهام الشريعة فيما يتعلق بالمرأة:

جاء في الدائرة: (والواقع أن صلة الرجل بالمرأة كانت قبل الإسلام طيبة جداً في بعض نواحيها. ومهما يكن من شيء فقد كان في الإمكان تحسين هذه الصلات، فلما نفذت شريعة الإسلام لم يعد التغير ممكناً)[٢].

قلت: من المناسب أن أعقد مقارنة بين وضع المرأة قبل الإسلام، ووضعها بعد الإسلام ليتبين لنا منهجية أولئك القوم.

---

(١) التغابن الآية: ١٦.

(٢) الدائرة ١١/ ١٦، مادة الجاهلية، فاير.

المرأة في الجاهلية :

المرأة في الجاهلية كانت دون المستوى الذي يجب أن تكون فيه من جوانب شتى :

- كان الجاهليون يتشاءمون من الأنثى ويكرهون إنجاب البنات كما حكى الله ذلك عنهم : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾[1] .

ولست في حاجة إلى تكرار القول : إن القرآن حجة في نقل ما كان عليه الجاهليون حتى لمن أنكر كونه من عند الله؛ ذلك أن القرآن يسمعه المؤمن والكافر ، وجميعهم كان معاصراً للجاهلية ، فليس من المعقول أن يذكر القرآن ما يعلم الجميع كذبه ، ولو كان كذلك لتشكك المؤمنون فيه ، ولأشاع ذلك الكفار واستغلوه لصد الناس عن دين الله.

- كان كثير من الجاهليين يقتلون الذكور والإناث خوف الفقر ، ويئدون بناتهم خوف العار. قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ... ﴾[2] . قال ابن كثير : «زينوا لهم قتل أولادهم

---

(١) النحل الآيتان: ٥٨ – ٥٩.

(٢) الأنعام الآية: ١٣٧.

خشية الإملاق ، ووأد البنات خشية العار»[(١)].

- كانت المرأة في الجاهلية تعاني من إيلاء الرجل : أي امتناعه عن مباشرتها لإيذائها ، قال ابن عباس : «كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك؛ يقصدون بذلك إيذاء المرأة»[(٢)].

- الطلاق في الجاهلية كان سهلاً ، وكان بيد الرجل يوقعه متى شاء من غير سبب موجب لذلك ، وإذا كانت المرأة ذات مال أو شرف أو جمال تشترط أحياناً يكون لها حق الطلاق متى شاءت هي على أن ذلك لم يكن ليحميها من تطليق زوجها متى شاء هو[(٣)].

ولم يكن للطلاق عدد ، وكان ذلك مما يضر بالمرأة قال القرطبي: «ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد ، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة ، وكان هذا في أول الإسلام برهة ، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق ، فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ١٠٣ تفسير البقرة ٢٢٦.

(٣) الإسلام وبناء المجتمع د. أحمد محمد العسال ٢٧٨ ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٢٦ في تفسير البقرة ٢٢٩.

- كانت المرأة تعاني الذل حتى بعد وفاة زوجها من أقاربها. قال ابن عباس : «إن الرجل كان إذا مات ، كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاءوا زوجوها ، وإن شاءوا لم يزوجوها»(١).

- وقال أيضاً : «كان يُلقى حميم الميت على الجارية ثوباً ، فإذا كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها»(٢).

- كانت عدة المرأة في الجاهلية بعد طلاقها سنة كاملة تكون خلالها في أبأس حال. قالت زينب بنت أم سلمة زوج رسول الله ﷺ -رضي الله عنهما- : «كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفشاً(٣) ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة -حمار أو شاة أو طائر- فتفتض به(٤) ، فقلما تفتض بشيء إلا مات ، ثم تخرج فتُعطى بعرة فترمي بها(٥) ، ثم تُراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره»(٦).

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٣٩ في تفسير النساء ١٩.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٣٩ في تفسير النساء ١٩.

(٣) الحفش : البيت الصغير الذليل الشعث البناء. (انظر فتح الباري ٩/ ٤٨٩)

(٤) قال الإمام مالك : تمسح به جلدها. ساق البخاري تفسيره بعد الأثر.

(٥) أي فيكون ذلك إحلالاً لها. (انظر الفتح ٩/ ٤٩٠)

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب تحد المتوفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، برقم (٥٣٣٧)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، برقم (١٤٨٩).

- كان العرب في الجاهلية لا يورثون النساء والصغير، وإن كان ذكراً. قال سعيد بن جبير وقتادة: «كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً»[١]، ويقولون: «لا يعطى إلا من قاتل على ظهر الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة»[٢].

هذه بعض مظاهر ظلم المرأة في الجاهلية.

المرأة في الإسلام:

أعطى الإسلام المرأة حقوقها ومكانتها العالية، فأبطل ظلم الجاهليين لها، ورد اعتبارها، ومن صور إنصاف الإسلام للمرأة ما يلي:

- إبطاله ما كان عليه الجاهليون من التشاؤم منها حيث أنكر الله عليهم كراهة إنجابها بقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٣].

- أبطل الإسلام وأد البنات وشنَّع على فاعليه، وأخبر الله أنه من تزيين الشيطان: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٥٤ في تفسير النساء ٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٤٦ في تفسير النساء ٧.

(٣) النحل الآيتان: ٥٨ – ٥٩.

قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ... ﴾[١].

قال ابن كثير : «زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ، ووأد البنات خشية العار»[٢].

كما جاء الوأد موضوعاً من موضوعات الحساب يوم القيامة : ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[٣].

- أوجب الإسلام أخذ رأي المرأة عند الزواج والعمل به لقوله ﷺ : (لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر ، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن)[٤].

كما ثبت «أن خنساء بنت خدام الأنصارية زوجها أبوها وهي كارهة ، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها»[٥].

- جاء الإسلام بتحديد أعلى مدة للإيلاء : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٦].

---

(١) الأنعام الآية: ١٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٧٩.

(٣) التكوير الآيتان: ٨ – ٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما، برقم (٥١٣٦)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، برقم (١٤١٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب في النكاح، برقم (٦٩٦٩).

(٦) البقرة الآيتان: ٢٢٦ – ٢٢٧.

فحرَّمت تعليق المرأة وأمر بمراجعتها أو تطليقها.

- أبطل الإسلام مضارة الرجل لامرأته بالطلاق فحد له عدداً.

قال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... ﴾[1]: «قال رجل لامرأته على عهد رسول الله ﷺ: لا أويك ولا أدعك تحلين؛ قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مُضي عدتك راجعتك.

فشكت المرأة ذلك إلى عائشة؛ فذكرت ذلك النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية بياناً لعدد الطلاق الذي للمرء أن يرتجع دون تجديد مهر وولي، ونسخ ما كانوا عليه»[2].

- حدد الإسلام حداد المرأة على زوجها الميت أربعة أشهر وعشراً:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ..﴾[3]

بعد أن كان في الجاهلية سنة كاملة، كما أبطل عادات الجاهليين من دخول الحفش والافتضاض ورمي البعرة، وإنما أمرها بملازمة بيتها وحرم عليها الزينة والنكاح وصريح الخطبة في تلك المدة حفظاً لكرامة زوجها.

---

(١) البقرة الآية: ٢٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٢٦.

(٣) البقرة الآية: ٢٢٤.

- حرَّم الإسلام على ولي المرأة العضل[1] الموجود في الجاهلية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ...﴾[2].

- ورّث الإسلام المرأة بعد أن كانت محرومة منه في الجاهلية: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[3].

- أكد الإسلام أهلية المرأة في التصرفات المالية والتجارية واحترام ملكيتها: ﴿... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ...﴾[4].

- أمر الإسلام بالإحسان إلى الأم، بل لما سُئل النبي ﷺ: (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال الرجل ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، في الرابعة قال ﷺ: أبوك)[5].

---

(١) أي مضارتها وعدم تطليقها لتتنازل عن بعض مالها.

(٢) النساء الآية: ١٩.

(٣) النساء الآية: ٧.

(٤) النساء الآية: ٣٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، برقم (٥٩٧١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين، وأنهما أحق به برقم (٢٥٤٨).

وأمر الله سبحانه بحسن معاشرة الزوجة : ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١].

وقال ﷺ : (خياركم خياركم لنسائكم)[٢].

كما جاء في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع : (ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان عندكم[٣] ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلاً : ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً؛ فحقكم عليهن أن لا يُوطئن فُرشكم من تكرهون ، ولا يأذّن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وإن حقهن عليكم :

---

(١) النساء الآية: ١٩.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٤٧٢ ، والترمذي في أبواب الرضاع باب ما جاء في المرأة على زوجها، برقم (١١٦٢)، وقال حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ١/ ٣ ، وصححه الألباني في السلسلة ١/ ٦٧ ح٢٨٤.

(٣) أي أسيرات ، قال النووي : شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير. (انظر : رياض الصالحين ، يحيى بن شرف النووي ١٤٨ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن)[١].

قال بعض المستشرقين[٢] : «من أراد أن يتحقق من عناية محمد بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة التي أوصى فيها النساء»[٣].

وقد تمثل بذلك النبي ﷺ نفسه ، فعندما سُئلت عائشة زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها- : ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت : «يكون في مهنة أهله ، فإذا سمع الأذان خرج»[٤].

ويلاحظ ذكر النساء بكثرة في القرآن والسنة في بيان أحكامهن والإحسان إليهن وعدم ظلمهن وقد جاءت سورة كاملة في القرآن باسم «النساء».

أبعد هذا يُقال في الدائرة : (إن صلة الرجل بالمرأة كانت قبل الإسلام

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (١١٦٣) ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، برقم (١٨٥١). وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٧/ ٩٦ ح٢٠٣٠ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) وهو اندريه سرفيه في كتابه الإسلام ونفسية المسلمين.

(٣) المرأة المسلمة أمام التحديات ، أحمد عبدالعزيز الحصين ٢٣ ، دار البخاري ، بريدة، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله برقم (٥٣٦٣).

طيبة جداً في بعض نواحيها. ومهما يكن من شيء فقد كان في الإمكان تحسين هذه الصلات ، فلما نفذت شريعة الإسلام لم يعد التغير ممكناً)!.

إن ذلك لا شك من المفارقات العجيبة!!.

إن المقارنة السابقة رغم بساطتها وعدم التوسع بها لتبين كيف كانت مكانة المرأة في الجاهلية ، وكيف ارتقى الإسلام بها.

«وما كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة من البيئة الجاهلية أبداً؛ لولا أن تتنزل بها شريعة الله ونهجه في كرامة البشرية كلها ، وفي تكريم الإنسان الذكر والأنثى...

وحين تحقق ميلاد الإنسان الجديد باستمداد القيم التي يتعامل بها من السماء لا من الأرض ، تحققت للمرأة الكرامة ، فلم يعد لضعفها وتكاليف حياتها المادية على أهلها وزن في تقويمها وتقديرها...

وحين تُعد الدلائل على أن هذا الدين من عند الله ، وأن الذي جاء به رسول أُوحي إليه... تُعد هذه النقلة في مكانة المرأة إحدى هذه الدلائل التي لا تخُطئ. حيث لم تكن توجد في البيئة أمارة واحدة يُنتظر أن تنتهي بالمرأة إلى هذه الكرامة؛ ولا دافع واحد من دوافع البيئة وأحوالها الاقتصادية بصفة خاصة لولا أن نزل النهج الإلهي ليصنع هذا ابتداء بدافع غير دوافع الأرض كلها ، وغير دوافع البيئة الجاهلية بصفة خاصة. فأنشأ

وضع المرأة الجديد إنشاءً يتعلق بقيمة سماوية محضة وبميزان سماوي محض كذلك»[١].

وقد لاحظ ذلك بعض الغربيين فهذا دي كاستري في كتابه الإسلام يقول: «مما لا شك فيه أننا إذا نظرنا إلى الزمان والمكان اللذين وجد فيهما محمد لم نجد إصلاحاً أشرف ولا أجرأ من الإصلاح الذي قام به محمد بحق النساء، فالمرأة في الشرق مدينة كثيراً لمحمد»[٢].

ويقول أميل درمنغهم: «لقد أثرت مواعظ محمد هذه في العرب تأثيراً بليغاً، وأحدثت انقلاباً كبيراً في المجتمع العربي وفي البيئة الصحية، وارتفع شأن المرأة عما كانت عليه وأبطل البغاء والمخادنة»[٣].

ويقول سيديو: «فبعد أن حسن محمد حال المرأة في هذه الدنيا بتعاليمه التي سندرسها بعد قليل أعلن خلودها وأنها مجزية»[٤].

وإن من المفارقات العجيبة أن تقلب الحقائق وأن تتحول تلك المزايا إلى رزايا.!!

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/ ٣٨٤٠، في تفسير التكوير الآية: ٨.

(٢) انظر حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستودار، تعليق شكيب أرسلان ١٠٣.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ستودار، تعليق أرسلان ٩٩.

(٤) تاريخ العرب العام، ل. أ. سيديو ٩٥.

المطلب الرابع : انتقاص السنة القمرية :

عند تعرض دائرة المعارف للتأريخ في الإسلام وتحدثت عن السنة القمرية ومساواتها لـ٣٥٤ يوماً وثماني ساعات تقريباً جاء : (واسم السنة القمرية هو في الحقيقة لا معنى له)(١).

قلت : الشريعة الإسلامية هي شريعة الكمال من كل وجه : ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ ...﴾ (٢).

ومن كمالها اعتبارها الشمس في حساب الأيام وتعلق أوقات الصلوات بجريانها ، واعتبارها السنة القمرية دون الشمسية ، وترتب بعض الشرائع على ذلك كالصيام والحج والعدة والإيلاء وصوم الكفارة والنذر ، وما شُرط فيه الزمان في البيع والدين والسلم والخيار وغيرها.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (٣).

«بل إن الحساب بالسنة القمرية هو ما جاءت به كافة الشرائع السماوية، ولكنها بُدلت كما بُدل غيرها باستثناء الإسلام ، وإنما دخل عليهم ذلك

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٧٨ ، مادة زمان ، هارتنز.

(٢) المائدة الآية: ٣.

(٣) يونس الآية: ٥.

من جهة المتفلسفة الصابئة الذين أدخلوا في ملتهم، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»[١].

«ذلك أن حسابات الأمم في الشمس والقمر تنقسم إلى أربعة أقسام :

إما أن يكونا عدديين، أو طبيعيين، أو الشهر طبيعياً والسنة عددية، أو بالعكس.

فالذين يعدونهما : مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوماً، والسنة اثني عشر شهراً.

والذين يجعلونهما طبيعيين : مثل من يجعل الشهر قمرياً، والسنة شمسية. ويلحق في آخر الشهور الأيام المتفاوتة بين السنتين، فإن السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وبعض يوم : خمس أو سدس، وأما الشمسية فثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، فالتفاوت بينهما أحد عشر يوماً إلا قليلاً، ومراعاة هذين عادة كثيرة من الأمم من أهل الكتابين بسبب تحريفهم.

وقد كانت العرب في الجاهلية قد غيرت ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته فكانوا يزيدون شهراً في بعض السنوات فأنكر الله عليهم تلك الزيادة في الشهور بقوله : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ... ﴾[٢].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥/ ١٤٠ بتصرف.

(٢) التوبة الآية: ٣٦.

وأما من يجعل السنة طبيعية والشهر عددياً. فهذا حساب الروم والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئة والمشركين ، وكما هو الحال الآن في غالب الدول.

وأما القسم الرابع فبأن يكون الشهر طبيعياً ، والسنة عددية ، فهو سنة المسلمين ومن وافقهم.

فالذي جاءت به شريعتنا أكمل الأمور؛ لأنه وقّت الشهر بأمر طبيعي ظاهر عام يُدرك بالأبصار ، فلا يضل أحد عن دينه ، ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه ، ولا يكون طريقاً للتلبيس في دين الله كما يفعل بعض علماء الملل بمللهم.

وأما الحول فلم يكن له حد ظاهر في السماء ، فكان لابد فيه من الحساب والعدد ، فكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من أن يحسب بسير الشمس ، وتكون السنة مطابقة للشهور؛ ولأن السنين إذا اجتمعت فلابد من عددها في عادة جميع الأمم؛ إذ ليس للسنين إذا تعددت حد سماوي يُعرف به عددها ، فكان عدد الشهور موافقاً لعدد البروج ، وجُعلت السنة اثني عشر شهراً بعدد البروج التي تكمل بدور الشمس فيها سنة شمسية ، فإذا دار القمر فيها كمل دورته السنوية.

وبهذا كله يتبين معنى قوله تعالى : ﴿... وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ...﴾ [١] فإن عدد شهور السنة ، وعدد السنة بعد السنة

---

(١) يونس الآية: ٥.

إنما أصله بتقدير القمر منازل. وكذلك معرفة الحساب؛ فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون بالهلال ، كما قال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ...﴾ [(١)].

فظهر بذلك أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة ، وأنه ليس شيء يقوم مقام الهلال البتة لظهوره ، وظهور العدد المبني عليه ، وتيسر ذلك وعمومه ، وغير ذلك من المصالح الخالية من المفاسد»[(٢)].

فكيف يكون بعد ذلك مسمى السنة القمرية لا معنى له؟

* * *

(١) البقرة الآية: ١٨٩.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥/ ١٣٧ – ١٤٠ بتصرف.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

طعن الدائرة في أئمة أهل السنة

المبحث الأول : الطعن في عموم أهل الحديث

المبحث الثاني : الطعن في علماء المسلمين

المبحث الثالث : الطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية

المبحث الرابع : الطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

المحبث الخامس : مطاعن متفرقة

المبحث الأول

الطعن في عموم أهل الحديث

يكثر في دائرة المعارف الإسلامية التنقص من علماء الإسلام والقائمين بنصره في مواضع كثيرة، وبطرق عديدة ما بين تخصيص وتعميم، وليس هذا بمستغرب، إذ هذا من أهدافها، وسأتناول في هذا المبحث طعن الدائرة في جملة أهل الحديث، حيث جاءت فيها الطعون الآتية:

في معرض بيان اتجاهات المسلمين في الاستدلال بالأسماء والصفات: (وفي هذا التطور تظهر ثلاث اتجاهات، وتبقى دائماً: فهناك النقل: أي قبول العقائد؛ لأنها أُتبعت ثم لقنت من قبل، وأصحاب النقل يُسمّون [أهل الحديث] فهم يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب، والسنة، والإجماع، وعندهم أن العقل لا يجوز أن يرجع إليه: لا في نقد، ولا في تأويل، بل أوجبوا الإيمان بما بلغهم كما هو)(١).

كما جاء أيضاً: (ولم يقبل أهل السنة طريقة المتكلمين قبولاً تاماً إلا في أوائل القرن الرابع الهجري، وخصوصاً على يد الأشعري، وبعد

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٩، الله، ماكدونالد.

ذلك وُضع علم الكلام الذي يوفق بين الدين والعقل، ولم ينكره إلا المتطرفون من أهل الحديث، ومذهب الأشعري في صورته النهائية لم يحد قيد شعرة عن مذهب أهل السنة)[١].

قلت: في الكلام جملة من الأباطيل قد لُبّست بالحق كعادة أهل الكتاب الذين قال الله فيهم قبل ثلاثة عشر قرناً: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [٢]، وككثير من كتّاب هذه الموسوعة فإنهم يخلطون الحق بالباطل، وهو أخطر من الإتيان بالباطل المحض؛ لأن التغرير يكون أعظم.

وبيان التلبيس في هذا الكلام من وجوه عديدة:

أولاً: في قوله: (فهناك النقل: أي قبول العقائد لأنها أُتبعت ثم لقنت من قبل) إساءة بالغة لأهل الحديث؛ ذلك أنهم آمنوا بعصمة النص القرآني الذي قال الله فيه: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [٣] ويرون أن النصوص القرآنية واضحة ظاهرة لا يحتاج معها سوى تفسير معانيها من غير تحريف لها، كما يتبعون سنة النبي ﷺ

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٦١، الله، ماكدونالد.

(٢) آل عمران الآية: ٧١.

(٣) فصلت الآية: ٤٢.

وحديثه، ويميزون بين صحيحه وضعيفه، ويؤمنون أن النبي ﷺ أعلم الناس بالله ومراده، وأنه أكمل الخلق بياناً، وأفصحهم لساناً، وأصدقهم حديثاً، وأن ظاهر كلام الله، وكلام رسوله ﷺ هو ما فهمه السلف الصالح، وليس فيه ما لا يليق بالله تعالى، كما ليس فيه مخالفة لذوي العقول السليمة، فيعتنون بدراسة هذه النصوص القرآنية والنبوية، مستخدمين في ذلك عقل المؤمن المصدِّق المتبع لهذه النصوص، والمستنبط منها الفوائد والحكم.

ولما كان اهتمامهم وعنايتهم بالنقل كبيرة؛ عُرِفوا به، كما عُرِفوا بأهل الحديث وأهل السنة؛ ذلك لاهتمامهم بهما.

فهم لا يتقبلون العقائد لمجرد أنا أُتبعت ولُقنت من قبل.

ثانياً: احتوى قوله: (وأصحاب النقل يُسمّون [أهل الحديث] فهم يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، وعندهم أن العقل لا يجوز أن يرجع إليه: لا في نقد، ولا في تأويل) على حق وباطل. ذلك أن أهل الحديث وأهل السنة عموماً يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، ولكنهم لا يعطلون عقولهم، والكاتب لم يستدل على ذلك بنقول عن أهل السنة بل غاية ما عمله أن أتى بمقولة خصوم أهل السنة فيهم، وهذا مخالف للمنهج العلمي.

وأهل الحديث هم أكثر الطوائف إعمالاً للعقل ، بل إن أكثر الأئمة الفقهاء منهم كمالك والشافعي وإسحاق بن راهويه وأحمد وقد استفاضت اجتهاداتهم الدالة على سعة عقولهم ودقة استنباطاتهم وتمييزهم بين صحيح الحديث وسقيمه ، وهل كل هذا إلا بالعقل.

وإن كان مقصوده باستخدام العقل تحريف النصوص كما تفعل المعتزلة ، أو نقد كلام الشارع ، أو تقديم ما ادعوا أنه معقولات على الكتاب والسنة - وهذا هو المقصود كما يبدو - فهذا غير مسلَّم به على الإطلاق ، فليس هذا عقل؛ بل هي شبهات تعلقت بعقول القوم فعدوها عقلاً ؛ لذا هم يتنازعون في كثير من المسائل المعدودة من جملة العقل عندهم ؛ بل هم تفرقوا شيعاً وفرقاً يبدع بعضهم بعضاً مع أنهم جميعاً استخدموا العقل المزعوم.

قال ابن تيمية : «القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قول لاينضبط؛ وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات كل منهم يقول : إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعي الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه.

وهذا معلوم من حيث الجملة؛ فالمعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة يقولون : إن أصلهم المتضمن نفي الصفات والتكذيب بالقدر - الذي

يسمونه التوحيد- معلوم بالأدلة العقلية القطعية ، ومخالفوهم من أهل الإثبات يقولون : إن نقيض ذلك معلوم بالأدلة القطعية العقلية... فالمعتزلة -أي فيما بينهم- أكثر اختلافاً من متكلمة الإثبات ، وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره ....وأما الشيعة فأعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة لكونهم أبعد عن السنة منهم... وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع ، بل هم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى ، والفلسفة التي ذهب إليها الفارابي وابن سينا إنما هي فلسفة المشائيين أتباع أرسطو صاحب التعاليم ، وبينه وبين سلفه من النزاع والاختلاف ما يطول وصفه ، ثم بين اتباعه من الخلاف ما يطول وصفه. وأما سائر طوائف الفلاسفة ، فلو حُكِي اختلافهم في علم الهيئة وحده لكان أعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف أهل الملة ، والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم ، فإذا كان هذا اختلافهم فيه؛ فيكف باختلافهم في الطبيعيات أو المنطق؟ فكيف بالإلهيات»[1].

ونقد أهل السنة لطريقة المتكلمين لا يعني قدحهم في الأدلة العقلية ، وإنما ينازعونهم في كونها كذلك.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٥٦ - ١٥٨ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ثالثاً: زعم الكاتب أن أهل السنة قبلوا أخيراً بطريقة المتكلمين على يد الأشعري وأن مذهب الأشعري في صورته النهائية لم يحد قيد شعرة عن مذهب أهل السنة، وهذا غير صحيح، بل طريقتهم باقية لم تتغير.

كما يجب التفريق بين ما كان عليه الأشعري - رحمه الله- وما استقر عليه منهج الأشاعرة؛ حيث أن الأشعري تراجع عن كثير من مخالفاته لأهل السنة في آخر حياته كما في كتاب (الإبانة في أصول الديانة) الذي أعلن أنه متبع للكتاب والسنة ولما عليه سلف الأمة وخاصة الإمام أحمد ابن حنبل، وأثبت ما كان ينفيه من صفات الله تعالى كالاستواء والوجه واليدين، وغير ذلك[١]، ولكن منهج الأشاعرة في تقرير الاعتقاد فيه بعض المخالفة لمنهج أهل السنة، مما نتج من جراء ذلك قولهم بالكسب في القدر، وتأثرهم بالمرجئة، وتأويلهم لبعض صفات الله تعالى كالرحمة والغضب والمجيء، وغير ذلك.

رابعاً: زعم الكاتب أن علم الكلام يوفق بين الدين والعقل، وهذا غير صحيح، إذ أن المتكلمين أنفسهم لم يجعلوه كذلك، بل جعلوه لإثبات العقائد الدينية بالعقل، وللردود على أهل البدع بحسب مفهومهم.

---

(١) انظر: الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ١٥، وما بعدها، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، دطت.

وهـذه طائفـة مـن أقـوال المتكلمـين ، وغـيرهم مـن أهـل العلـم في المقصود بعلم الكلام :

- عرّف الغزالي[(١)] علم الكلام بأنه : «علم يُدرك به التوحيد»[(٢)] ، والغاية منه : «حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة»[(٣)].

- وقال الكمال بن الهمام : «الكلام هو معرفة النفس ما عليها من العقائد المنسوبة إلى دين الإسلام عن الأدلة علماً»[(٤)].

- ويقول الإيجي[(٥)] : «والكلام يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية»[(٦)].

---

(١) محمد بن محمد الغزالي ٤٥٠ - ٥٠٥هـ متكلم فيلسوف فقيه تحول إلى التصوف من الأذكياء المعدودين ، وممن جمع علوماً شتى ، له المصنفات العديدة. (انظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ١٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

(٣) المنقذ من الضلال للغزالي ٢٧ ، تقديم وتعليق علي بو ملحم ، دار الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٤) المسامرة شرح المسايرة ، الكمال بن الهمام ١٠ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٧هـ.

(٥) عبدالرحمن بن أحمد الإيجي من أهل إيج بفارس ، من علماء الأصول والعربية والكلام توفي سنة ٧٥٦هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٤)

(٦) المواقف في علم الكلام ، عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ٧ ، عالم الكتب ، بيروت ، دطت.

- ويعرفه التفتازاني[١] بأنه: «معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام»[٢].

- وقال ابن خلدون عنه: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف»[٣].

- ويعرفه الجرجاني[٤] بأنه: «علم يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وأصول الممكنات من المبدأ إلى المعاد على قانون الإسلام»، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة[٥].

- ويجعله التهانوي[٦]: «علم أصول الدين»[٧].

---

(١) مسعود بن عمر التفتازاني ٧٢١ – ٧٩٣، أشعري متكلم من أئمة العربية من تفتازان من خراسان. (انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٢١٩)

(٢) شرح العقائد النسفية، مسعود بن عمر التفتازاني ٥، تحقيق كلود سلامة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دطت.

(٣) المقدمة لابن خلدون ٤٥٨.

(٤) السيد الشريف علي بن محمد الحسيني الجرجاني الحنفي ٧٤٠ – ٨١٦هـ متكلم فيلسوف من كبار علماء اللغة. (انظر مقدمة الكتاب، والأعلام ٥/ ٧)

(٥) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ٢٣٦، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٦) محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي باحث هندي له كتابه المشهور «كشاف اصطلاحات الفنون» فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨هـ. «انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٥».

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي ٥/ ١٢٢٧، دار خياط، بيروت، دطت.

فعلم الكلام وإن كان قد أدى بأصحابه إلى بدع وجهالات ، ولكنه لم يكن المقصود منه التوفيق بين العقل والدين كما يتضح من تعريف أساطينهم له.

خامساً : يدل قول المستشرق عن علم الكلام : [إنه لم يرفضه إلا المتطرفون من أهل الحديث] على جهلٍ ذريع؛ ذلك أن أئمة الإسلام في كافة الأمصار أعرضوا عن علم الكلام ، وحرَّموه وذمُّوا من اشتغل به.

وهذه طائفة من أقوال السلف الدالة على ذلك :

قال إبراهيم النخعي(١) في قوله تعالى : ﴿...فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ...﴾(٢) : «الخصومات والجدل في الدين»(٣).

وقال عمر بن عبدالعزيز(٤) : «من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل»(٥).

---

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي المذحجي ٤٦ – ٩٦هـ فقيه العراق ، ومن أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وعلماً بالحديث. (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ١٧٧).

(٢) المائدة الآية: ١٤.

(٣) رواه ابن عبدالبر بسنده في جامع بيان العلم ٢/ ١١٤.

(٤) عمر بن عبدالعزيز بن مروان ٦٣ – ١٠١هـ الخليفة الراشد الزاهد ولد ونشأ بالمدينة وتولى إمارتها للوليد بن عبدالملك ، ثم استوزره سليمان بالشام ثم ولي الخلافة بعده، ومدة خلافته سنتان أصلح فيها البلاد وأعاد الحقوق ، وكان حريصاً على اتباع السنة النبوية. (انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠ – ٤٠٨)

(٥) رواه ابن عبدالبر بسنده في جامع بيان فضل العلم ٢/ ١١٣.

وقال أيضاً ناصحاً : «قف حيث وقف القوم ، فإنهم عن علم وقفوا وببصر ناقد قد كَفُّوا ، وإنهم على كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل لو كان فيها أحرى فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصر وما فوقهم مجسر ، لقد قصر عنهم قوم فجفوا ، وطمع آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدىً مستقيم»[١].

وقال الإمام مالك : «الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يحرمونه وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي»[٢].

---

(١) تحريم النظر في علم الكلام لابن قدامة ٤٦ ، وانظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، عبدالله بن محمد بن بطة العكبري ١/ ٣٢٢ بألفاظ مقاربة ، تحقيق رضا نعسان ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٢) رواه ابن عبدالبر بسنده في جامع بيان ٢/ ١١٦.

وقال أبو يوسف[١] لبشر المريسي: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم»[٢].

وقال: «من طلب الدين بالكلام تزندق»[٣].

وقال الشافعي[٤]: «لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام»[٥].

وقال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»[٦]، وأقوال الإمام الشافعي في ذم الكلام كثيرة[٧].

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي ١١٣ - ١٨٢هـ أعلم تلامذة أبي حنيفة وأنبلهم، كان فقيهاً علاّمة تولّى منصب قاضي القضاة. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٤٧٠ - ٤٧٣)

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٧٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٤٧٢، شرح الطحاوية لابن أبي العز ٧٢.

(٤) الإمام محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي ١٥٠ - ٢٠٤هـ أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المشهور المتبوع، ولد بغزة ونشأ بمكة، ورحل في طلب العلم إلى أماكن شتى، تتلمذ على الإمام مالك، كان آية في الفقه وعلومه، عالماً بالحديث والأخبار، بحر في اللغة والأدب. (انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١ - ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٥ - ٩٩)

(٥) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/ ١١٦.

(٦) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٧٢.

(٧) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ١٦ - ٣٢.

وقال الإمام أحمد[١] : «لا يفلح صاحب كلام ، ولا يُرى أحد نظر في الكلام إلا في قلبه دغل»[٢].

وقال الإمام البخاري : «المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق ، وما سواه مخلوق ، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم بينه ورسول الله ﷺ»[٣].

وأقوال السلف كثيرة جداً فيه حتى سموه الكلام المذموم ، فهي ليست مقولة متطرفين من أهل الحديث ، وإنما هو الذي عليه السلف الصالح جميعاً وهو معلوم لكل من له معرفة بأهل الإسلام.

قال ابن عبدالبر بعد أن ساق الآثار الكثيرة عن السلف في ذم علم

---

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ١٦٤ - ٢٤١هـ ، ناصر السنة ، ورابع الأئمة الأربعة ، صاحب المذهب المشهور ، نشأ وطلب العلم ببغداد ، ثم ارتحل في طلب الحديث ، وتتلمذ على الشافعي ، كان آية في العلم بالسنة. (انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧ - ٣٥٨).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/ ١١٦ ، وانظر تحريم النظر في كتب الكلام ، لموفق الدين بن قدامة الحنبلي ٤١ ، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ، عالم الكتب ، دطت.

(٣) خلق أفعال العبادة والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، محمد بن إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٨م.

الكلام: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع أهل الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يُعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء»[١].

وقد جمع موفق الدين ابن قدامة[٢] أقوال السلف في ذم علم الكلام في كتاب، وسماه «تحريم النظر في كتب علم الكلام».

كما نجد أن ابن تيمية يسوق الأدلة الكثيرة على ذم علم الكلام وأنه لا يصح بحال أن يقال إنه من أصول الدين[٣].

وقال السيوطي[٤]: «واعلم أن أئمة أهل السنة ما زالوا يصنفون الكتب في ذم علم الكلام والإنكار على متعاطيه»[٥].

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١١٧.

(٢) عبدالله بن أحمد بن قدامة ٥٤١ - ٦٢٠، يرجع نسبه إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب، من أفقه أهل زمانه كان إمام الحنابلة بالشام، وكان زاهداً ورعاً متواضعاً، له التصانيف الفقهية والأصولية الكثيرة الدالة على فقهه وتبحره أشهرها «المغني». (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٩٩ - ١٠١)

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٨ - ٥٠.

(٤) عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ - ٩١١هـ الملقب بجلال الدين إمام حافظ ومؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيماً، وتلقى العلم على علمائها، اشتهر بالتجميع وكثرة التصنيف في سائر علوم الدين. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٣٠١)

(٥) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي ٦٨، تحقيق علي سامي النشار، سعاد علي عبدالرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، دطت.

وقال التهانوي : «وأما علم الكلام فالسلف لم يشتغلوا به ، حتى إن من اشتغل به نُسب إلى البدعة»[(١)].

إن الحِجاج عن العقائد الدينية عن طريق علم الكلام حرَّمه السلف عن علم؛ ذلك أن أولئك القوم قد استخدموا من المصطلحات في حق الله تعالى ما ليس لهم به علم ، كما أنه أدى بهم إلى تعطيل الله تعالى عن صفاته ، والخوض في قدره سبحانه ، وهو في النهاية لا يوصل إلى الحقائق التي راموها بدليل اختلاف أهله فيه وكثرة تناقضهم واضطرابهم وحيرتهم وشكهم ، حتى أخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه حاله حيث قال الشهرستاني[(٢)] :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم[(٣)]

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي التهانوي ١/ ٧٤ ، تحقيق لطفي عبدالبديع ، المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(٢) محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي ٤٧٩ - ٥٤٨ برع في الفقه والكلام ، أخذ عليه اشتغاله بالفلسفة وميله إليها ، له مؤلفات كثيرة في الكلام والفلسفة والملل. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ٢٨٦ - ٢٨٨).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام ، عبدالكريم الشهرستاني ٣ ، تحقيق الفرد جيوم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دت.

وقال الرازي[١] :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٤]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[٦].

---

(١) محمد بن عمر الرازي ٥٤٤ – ٦٠٦، الفخر الرازي قرشي النسب من طبرستان من أئمة المعتزلة والمتكلمين واللغويين صاحب الكشاف في تفسير القرآن، وله كثير من الكتب الفلسفية وبها الكثير من انحرافات الفلاسفة، ولكنه كما قال الذهبي «توفي على طريقة حميدة». (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٥٠٠ – ٥٠١).

(٢) طه الآية: ٥.

(٣) فاطر الآية: ١٠.

(٤) الشورى الآية: ١١.

(٥) طه الآية: ١١٠.

(٦) ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٠، ونسبه إلى كتابه أقسام اللذات وهو مخطوط بالهند. انظر حاشية محمد رشاد سالم.

وقال الجويني[١] : «قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها ، وعلومهم الظاهرة ، وركبت البحر الخضم ، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام ، كل ذلك في طلب الحق ، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد ، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، ويُختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله ، فالويل لابن الجويني»[٢] .

وهذا الغزالي سلك مسلك الفلاسفة والمتكلمين حتى حاز السبق ، وعلى شدة ذكائه يدع ذلك ويذم علم الكلام ويتحول إلى طرق الصوفية ، وإن كان في آخر زمانه رجع إلى طريقة أهل الحديث.

فهم مضطربون كثيروا الشك لذا قيل : «أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام»[٣] .

---

(١) عبدالملك بن عبدالله الجويني إمام الحرمين ٤١٩ - ٤٧٨هـ من أئمة الأشاعرة والمتكلمين ، ومن أئمة الفقه الشافعيين من أذكياء العالم ، يؤخذ عليه ضعفه في السنة، نشأ بنيسابور وارتحل في الحجاز والعراق وغيرهما ، له العديد من المؤلفات في أصول الفقه والكلام وغيرهما. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٤٦٨ - ٤٧٧).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧١.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٥/ ١٠ - ١١.

ويصدق فيهم قول الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع : «هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، ومتفقون على مفارقة الكتاب .. يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يُلبِّسون عليهم»(١) .

والأدلة الحقيقية باعثة على اليقين موصلة إلى الطريق المستقيم ، وهي الأدلة الشرعية الموافقة للعقل والفطرة السليمة.

إن العقل البشري له حد وغاية فيما يتعلق بالحقائق عن الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى ليس له مثيل أو نظير فلا يقاس بخلقه ، ولا يتكلم في صفاته إلا ما أخبر به عن نفسه.

إن الطريق العقلي والشرعي لمعرفة الله تعالى هو التسليم بما جاء به الوحي الإلهي الذي بلغه رسوله ﷺ ، وتدبر الدلائل على نبوة النبي ﷺ وصحة ما جاء به.

والقرآن مع ما فيه من المسائل فهو يقيم الدلائل المختلفة بأحسن ما يكون من الأدلة قد صُرفت بأحسن تصريف وهي ممكنة لكل عاقل ، بأمثلة واضحة ومقدمات لا تكلف فيها ولا تعقيد ، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً منها :

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٤.

- النظر والاعتبار والاستدلال بعظم خلقه سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [١].

- تقرير التوحيد بآيات عديدة منها : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٢] ، فنسبة الابن والشريك لله يلزم منه أمراً لم يقع ، وهو تخاصم الآلهة ، وعدم انتظام أحوال العالم فدل على بطلانه.

ومنها قوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣] ، فمما يعلم بداهة أن لو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله ، فإنما قيامه بالعدل ، وبه قامت السموات والأرض.

ومنها الآيات الكثيرة التي تبطل عبادة المشركين لآلهتهم وذلك لكونها لا تملك نفعاً أو ضراً ، ومن ذلك

---

(١) آل عمران الآية: ١٩٠.

(٢) المؤمنون الآية: ٩١.

(٣) الأنبياء الآية: ٢٢.

قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا .. ﴾ [(١)]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [(٢)].

ومنها بيان إبطال إلهية المسيح -عليه السلام- بقوله سبحانه :﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [(٣)]، ذلك أن الإله يجب أن يكون مستغنياً عن غيره، فحاجة المسيح للطعام دليل حدوثه.

كما يبطل استدلالات النصارى بكون عيسى استحق العبادة؛ لكونه لا أب له بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [(٤)]، فإن كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ

---

(١) الأنعام الآية: ٧١.

(٢) الفرقان الآية: ٣.

(٣) المائدة الآية: ٧٥.

(٤) آل عمران الآية: ٥٩.

عيسى إلهاً أو ابناً لله ، فإن آدم أولى من عيسى؛ لأنه خلق من غير أب ولا أم ، وهم لا يقولون بذلك.

- تقرير نبوة محمد ﷺ لأهل الكتاب لكونه ﷺ موجوداً في كتبهم، ويعلم ما يخفون منها. يقول سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، فإخباره ﷺ بذلك - مع أميته وعدم تعلمه- من دلائل العقل على نبوته.

كما يرد على طعون المشركين في نبوته ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[3]

---

(١) البقرة الآية: ١٤٦.

(٢) المائدة الآية: ١٥.

(٣) الفرقان الآيتان: ٣٢ – ٣٣.

فهم طعنوا في نبوته ﷺ بنزول القرآن مفرقاً ، فأخبر سبحانه الحكمة من ذلك وهي : تثبيت قلب النبي بالآيات القرآنية وما تتضمنه من تسليته ﷺ بقصص الأنبياء السابقين وصبرهم ، كما أن تجزئته الرد على شبهات المشركين ، وادعى على المحافظة على ترتيله.

- تقرير البعث بآيات عديدة منها : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1] ، وهذه كلها أدلة عقلية فالإعادة أسهل من الخلق ، ومُخْرِج النار من ضدها من باب أولى قادر على خلق الشيء من أصله ، وخالق السموات العظام والأرض لا يعجزه إعادة الإنسان.

بل إن القرآن الكريم يحاجج المبطلين ويطالبهم بما هو ضروري في الحجاج من علم وبرهان : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) يس الآيات ٧٨ – ٨١.

حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١]، وقوله سبحانه :﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢].

قال ابن عبدالبر في تقسيمه لعلوم الدين : «معرفة التوحيد والإخلاص، ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي ﷺ ، فهو المؤدي عن الله والمبين لمراده ، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه»[٣].

ويقول السفاريني[٤] : «واعلم أنا لا نأخذ الاعتقادات الإسلامية من القواعد الكلامية ، بل إنما نأخذها من النصوص القرآنية والأخبار النبوية، وليس القصد بالأوضاع الكلامية إلا دفع شبه الخصوم والفرق الضالة عن

---

(١) آل عمران الآيتان ٦٥ – ٦٦.

(٢) البقرة الآية: ١١١.

(٣) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/ ٤٩.

(٤) محمد بن أحمد السفاريني ١١١٤ – ١١٨٨ فلسطيني من علماء الحديث والأصول والأدب.

الطرق الحقية ، فإنهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول ، فبُين لهم بالقواعد الكلامية معقولية ذلك البعض»[١].

* * *

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ص٥ ، ويلاحظ أن السفاريني يجيز الاشتغال بعلم الكلام للرد على الفرق الضالة ممن دفعوا العقائد الإسلامية بالكلام ، ليبين لهم معقولية ذلك بمنهجهم ، وكما ارتضاه ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٣ عند الحاجة لبيان تناقضهم ، لا ما يفعله المتكلمون من إثبات العقائد به ، ورد نصوص الشرع لأجله ، وغير ذلك من المحذورات.

المبحث الثاني

الطعن في علماء المسلمين [١]

المطلب الأول : الطعن في مذهب الإمام أبي حنيفة :

مع أن الكثير من كتاب الدائرة أثنى على الإمام أبي حنيفة [٢] ومذهبه ، وحظي بالنصيب الأوفى من المذاهب الأربعة في الدائرة [٣] ، وكان أقلها انتقاداً إلا أنه مع ذلك لم يسلم منها ، حيث جاء فيها : (والطابع الغالب على الفكر الفقهي بصفة عامة عند أبي حنيفة هو الإنعام في التعقل ، مما يجعل هذا التفكير يشوبه في كثير من الأحيان شيء من الأناة والتأرجح مع قلة عناية بالتطبيق) [٤] .

قلت : الطعن في أبي حنيفة وبقية الفقهاء هو محاولة لتشويه التشريع الإسلامي بتشويه مجتهديه.

---

(١) هذا المبحث أضيف للكتاب وأصله بحث مستقل محكم ومقبول للنشر في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(٢) الإمام النعمان بن ثابت الكوفي ٨٠ – ١٥٠هـ أحد الأئمة الأربعة وصحاب المذهب المشهور ، أصله من فارس ومنشؤه ووفاته بالكوفة ، أدرك بعض الصحابة ، تتلمذ ولزم حماد ابن أبي سليمان ، ارتحل في تحصيل العلم ذلك حتى أصبح مقصد الناس ، كان آية في الفقه والتدقيق في الرأي والناس عيال عليه فيه. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٣٩٠ – ٤٠٤).

(٣) انظر الدائرة ١/ ٤٥٤ – ٤٥٥ ، أبو حنيفة ، شاخت.

(٤) الدائرة ١/ ٤٥٦ ، أبو حنيفة ، شاخت.

والأصول الفقهية عند أبي حنيفة متميزة عن المذاهب الأخرى لأنها أكثر التزاماً بالوقائع، والكاتب يقصد الوقائع المحتملة الموجودة في المذهب الحنفي، وهو افتراض حوادث لم تقع، وإعطاء الحكم الشرعي عليها، وهذا من الممكن أن يُعبر عنه بالصيغة الآتية: «وقد احتوى المذهب الحنفي ثروة اجتهادية مستنبطة من الكتاب والسنة، حتى إنه لم يكتف بالحكم على الحوادث الموجودة بل أعد أحكاماً اجتهادية وفق الشريعة الإسلامية لكثير من المسائل المستقبلية، التي لم تقع في عهده»، أما التعبير الذي صاغه فلا ينطبق على فقه أبي حنيفة، وإنما ينطبق على فقه نظري بعيداً عن الواقع.

المطلب الثاني: الطعن في مذهب الإمام مالك:

جاء في الدائرة: (وقد كان مذهب مالك بن أنس شائعاً حينذاك [في مراكش أيام المرابطين – القرن السادس والسابع الهجري-] وهو أكثر المذاهب الإسلامية تشدداً)[١].

كما جاء في ترجمة محمد بن علي السنوسي[٢]: (وينادي المؤلف

---

(١) الدائرة ١/ ٢٢٩، ابن تومرت، رينيه باسيه.

(٢) محمد بن علي السنوسي الحسني ١٢٠٢ – ١٢٧٦هـ ولد بالجزائر وتعلم بفاس، وأسس طريقة صوفية. (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٦٦)

بالاجتهاد بالرغم من أنه يزعم أنه مالكي)[1].

قلت : لم يشتهر عن مذهب مالك التشدد كما زعم الكاتب ، وكان الأئمة يختلفون في بعض مسائل الاجتهاد رغبة في إصابة الحق ، دون النظر في التساهل والتشدد ، وينتج عن اجتهاداتهم بعض الخلاف ، وهذا الخلاف لا علاقة له بالتساهل والتشدد ، فيوجد في كل مذهب من مذاهب الأئمة مسائل هو أكثر فيها تشدداً من غيره ، كما يوجد العكس.

والتشدد والتساهل لا يوجب أي منهما ذماً أو مدحاً لذاته ، فالتشدد الموافق للكتاب والسنة ممدوح ، وهو كتشدد الإمام مالك في الخمر والمسكرات والربا ، والتساهل هنا يكون مذموماً ، وأما التشدد فيما أباحه الشرع ، أو سكت عنه ، أو أمر به من الرخص فهو مذموم ، والتساهل في هذا الموضع ممدوح.

وإذا نظرنا إلى مذهب الإمام مالك في الاجتهادات الفقهية ، فإننا نجده كغيره من المذاهب ، يكون أشد في مسائل ، وأسهل في مسائل أخرى ، ولا يظهر للمتأمل في مذهبه طابع الشدة العام كما صوره الكاتب ، بل قد جاء مذهب الإمام مالك بالتيسير في مسائل عديدة ، منها :

في فقه الطهارة نجد أن مذهب الإمام مالك أسهل المذاهب في

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٩٣ ، السنوسي ، صبحي.

الطهارة، فلا ينجس الماء عندهم إلا بالتغير بخلاف المذاهب الأخرى[١].

والماء المستعمل باقٍ على طهوريته بينما بقية المذاهب تزيل عنه الطهارة[٢].

والمالكية هم الوحيدون القائلون بطهارة شعر ووبر وريش وصوف جميع الحيوانات ما عدا الخنزير ففيه تفصيل وآراء عندهم بخلاف المذاهب الأخرى[٣].

والإمام مالك يرى طهارة كل ما يؤكل لحمه حتى بوله وروثه بخلاف بعض المذاهب الأخرى[٤].

وهو في الأطعمة من أسهل المذاهب لاقتصارهم على تحريم ما ورد في النصوص[٥].

---

(١) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي ١/ ١٥٥، تحقيق محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري ١/ ٤٢، دار الفكر، بيروت، دطت.

(٢) الكافي لابن عبدالبر ١/ ١٥٨، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١/ ٢٨.

(٣) الكافي لابن عبدالبر ١/ ١٦١، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١/ ٨.

(٤) الكافي لابن عبدالبر ١/ ١٦٠، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١/ ١٢.

(٥) الكافي لابن عبدالبر ١/ ٤٣٦ - ٤٣٧، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٣٣٥ والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ٢/ ١ - ٥.

أما ما يتعلق بالاجتهاد فكافة الأئمة الأربعة مجتهدون وينادون باتباع الكتاب والسنة ، وإنما يأمرون بالتقليد من لا يتوفر له أدوات الاجتهاد ، وهم متفقون على ذلك ، والمالكيون : فيهم من أغلق باب الاجتهاد عندما رأى قلة العلماء وضعف العلم ، وهم في ذلك كغيرهم من أتباع الأئمة الآخرين لا يختصون بذلك. والحق أن باب الاجتهاد مفتوح لكل من ملك أدواته ، مؤصَدٌ لكل من فقدها.

وإذا نظرنا إلى أبرز من ألف في الأصول من المالكيين المتأخرين نسبياً؛ فإننا نجد الإمام الشاطبي صاحب الموافقات ، وقد عقد كتاباً كاملاً للاجتهاد في موافقاته يربو على مائة وسبعين صفحة؛ فصَّل فيها قضايا الاجتهاد ، وهو مسلِّم به ، ولم ينه عنه أو يغلق بابه[١] .

المطلب الثالث : الانتقاص من الإمام الشافعي :

جاء في الدائرة عن الإمام الشافعي : (كما عرّف الإجماع بأنه الرأي الذي أخذ به كثرة من المسلمين ، واعتبره مصدراً ثانوياً لإيضاح المسائل التي لا يمكن تقريرها من الكتاب وسنة النبي ، وهو يؤيد حجية الإجماع باعتبارات عامة ، وأحاديث تأمر بالتمسك برأي أمة المسلمين ، ولم يكن

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ت٧٩٠هـ ، ٤/ ٨٩ - ٢٦٠ ، تحقيق محمد عبدالله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

الشافعي يعلم إلى ذلك الوقت بالحديث الذي ذُكر كثيراً فيما بعد، وهو: [لا تجتمع أمتي على ضلالة][(١)].

كما جاء أيضاً: (وحاول الشافعي أيضاً وضع قواعد معينة لاستعمال القياس، ولكنه كان قليل التوفيق في ذلك)[(٢)].

قلت: لم يعتبر الشافعي الإجماع مصدراً ثانوياً بل هو الثالث مصادر التشريع، ولم يجعله الذي عليه الكثرة؛ بل جعله ما عليه الجميع[(٣)].

وقوله: ولم يكن الشافعي يعلم حديث: [لا تجتمع أمتي على ضلالة] هو قول بلا علم، وخلاف الدقة في إصدار الأحكام، وهل كل ما علمه الإمام سطره في كتبه؟

إن الشافعي يأخذ بهذا الحديث، كيف لا! وهو القائل: «إجماع علماء المسلمين الذين لا يمكن أن يجتمعوا على ضلالة»[(٤)].

وما يتعلق بالقياس فإن علم الإمام الشافعي به وبأصول الفقه ثابت مشتهر عنه بين أهل زمانه ومن بعدهم.

---

(١) الدائرة ٣/ ١٠٥، أصول شاخت.

(٢) الدائرة ٣/ ٥٠١، أصول شاخت.

(٣) الرسالة للشافعي فقرات ١١٠١، ١١٠٥، ١٣٠٩.

(٤) الرسالة فقرة ٨٨١.

وقد جعل الشافعي القياس في معنى الرد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الوارد في قوله تعالى: ﴿...فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ..﴾[١] وذلك عند الضرورة: أي عند عدم وجود النص[٢].

وعرفه بقوله: «والقياس ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر المتقدم، من الكتاب والسنة»[٣].

وقسّم القياس الصحيح إلى قسمين:

الأول: أن ينص في الكتاب والسنة على تحليل شيء أو تحريمه لمعنى معين «العلة»، فإذا وجدنا نفس المعنى فيما لم ينص عليه فإنه يلحق حكماً فيما نص عليه.

الثاني: ألاّ نجد النص على ذلك المعني عند الحكم، فنلحق به أولى الأشياء شبهاً به[٤].

ومن أمثلة قياسه: قياسه على الربويات المنصوص عنها فقاس بالذهب والفضة كل مثمن، وقاس على الأصناف الأخرى كل مطعوم[٥].

---

(١) النساء الآية: ٥٩.

(٢) الرسالة للشافعي، فقرة ١٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٧٧.

(٣) الرسالة للشافعي، فقرة ١٢٢.

(٤) الرسالة للشافعي، فقرات ١٢٣ — ١٢٥.

(٥) الرسالة للشافعي، فقرات ١٥١٨ — ١٥٢٢.

وقد امتاز الشافعي على علماء عصره باهتمامه بعلم الأصول – ومنه القياس– حتى قيل إنه أول من ألف فيه ، لذا سأله الإمام عبدالرحمن بن مهدي أن يكتب له كتاباً في الأصول ، فكتب الشافعي الرسالة[١].

وقال عنه ابن كثير : «من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشد الناس نزعاً للدلائل منهما»[٢].

والقياس لازم لكل فقيه ، وتواتر فقه الشافعي وتقدمه فيه مشهور معلوم. قال الذهبي عن الشافعي : «حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه»[٣].

وما ذكرته من اهتمامه بالقياس وتعريفه وأقسامه وأمثلة عليه ، إنما يدل على تميزه فيه ، وهذا نقيض ما افتراه الكاتب الذي لم يسند دعواه بمثال أو برهان حتى يتسنى مناقشته.

المطلب الرابع : الطعن في الإمام أحمد بن حنبل ومذهبه :

الناظر للدائرة يجد فيها التنفير من الإمام أحمد وأتباعه ومذهبه ، ويقرأ الصفات الذميمة كالحشو والتشبيه والتعصب والهياج والمغالاة والعجز والتشدد ، كما نجد الاتهام بالتناقض واللمز بالتقرب من السلطان.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٥٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٥٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦.

وأكثر من كتب عن الإمام أحمد المستشرقان قولد زيهر ولاوست، وقد ظهر من كتاباتهما مدى الحقد الذي يحملانه للإمام أحمد وأتباعه، ومن تلك الكتابات :

- (وقد أصبح الرأي المستقر هو أن مذهب ابن حنبل فيه قول بوجود الله مع المغالاة العنيفة بالاستمساك بالتشبيه، وفيه سلفية ممعنة في المذهبية إلى حد لا يمكن أن يتيح لها البقاء، وروح من التعصب مشتعل بالهياج العصبي، وافتقار أصيل إلى التواؤم الاجتماعي، وضرب من العجز المقيم لتقبيل النظام المقرر)[١].

- (ولم يبلغ مذهب من مذاهب أهل السنة في إنكار البدع مبلغ المذهب الحنبلي، ومن ثم اشتط أنصاره في التمسك بالشعائر الدينية والروابط الاجتماعية وفاقوا أهل المذاهب الأخرى في التشدد والتعصب)[٢].

- (وأبدى أحمد تقارباً للبلاط لأول مرة فلم يوفق، وقد ظل تاريخ هذا التقارب وظروفه غامضة «المناقب ٣٥٩ - ٣٦٢»)[٣].

---

(١) الدائرة ٢/ ٣٧٦، أحمد بن حنبل، لاوست.

(٢) الدائرة ٢/ ٣٦٨، أحمد بن حنبل، قولد زيهر.

(٣) الدائرة ٢/ ٣٧٢، أحمد بن حنبل، لاوست.

- وتذكر الدائرة أن الإمام أحمد يكفر بشرب الخمر (كتاب السنة ٣٥ - ٣٦)[١].

كما تجعل الإمام أحمد من الحشوية[٢].

وجاء أيضاً بعد ذكر مذهب الإمام أحمد في التفضيل بين الصحابة : (وهذا المذهب السني الذي يوفق بين الآراء المتعارضة يعترف بفضل علي وشرعية خلافته ، ولكنه يرد أيضاً اعتبار خصومه ، وأولهم معاوية)[٣].

قلت : مناقشة هذا الكلام من وجوه :

الأول : فيما يتعلق باتهام الإمام أحمد بالحشوية ، واتهام المذهب بالمغالاة بالتشبيه والسلفية الممعنة في المذهبية ممالا يتيح له البقاء فإن هذا غير صحيح ، بل إن الإمام أحمد وأصحابه في منهجهم متبعون للكتاب والسنة والسلف الصالح من غير تعصب مذموم أو هياج ، ولكن إثباته للصفات الثابتة في الكتاب والسنة على ظاهرها يطلق عليه أعداؤه لاسيما الزنادقة أنه حشوي[٤] ، وهم بتكلفهم واختلاقهم ما ليس في

(١) الدائرة ٢/ ٣٨٠ ، أحمد بن حنبل ، لاوست.

(٢) الدائرة ٩/ ٣٣١ ، التصوف ، ماسنيون.

(٣) الدائرة ٢/ ٣٧٨ ، أحمد بن حنبل ، لاوست.

(٤) قال الإمام أبو زرعة الرازي : وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية ، ويريدون إبطال الآثار عن رسول الله ﷺ. (اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ١٨٢).

الكتاب والسنة من معان أولى بكل حشو وقبيح.

وقد تجرأ الكاتب في استخدام تلك العبارات واصماً أحد المذاهب المشهورة بها، ولم يستثن منها أحداً بل يطلق تلك الأحكام العامة على بذاءتها، والحنابلة اتهموا زوراً بتلك الصفات، وإن وجد في بعض المنتسبين لمذهب أحمد خروج عن منهج أهل السنة والجماعة؛ فإن ذلك لا ينقص من قدر الإمام أحمد أو مذهبه. يقول ابن تيمية: «وليس هذا من خصائص الإمام أحمد؛ بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريءٌ، فقد انتسب إلى مالك أُناس، مالك بريءٌ منهم، وانتسب إلى الشافعي أُناس هو بريءٌ منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أُناس هو بريءٌ منهم، وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أُناس هو بريءٌ منهم، وانتسب إلى عيسى عليه السلام أُناس هو بريءٌ منهم، ونبينا محمد ﷺ قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدين والمنافقين من هو بريءٌ منهم»[(1)].

وقال الذهبي عن الحنابلة: «وعندهم علوم نافعة، وفيهم دين في الجملة، ولهم قلة حظ في الدنيا، وبعض العلماء يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم، وهم بريئون من ذلك والله يغفر لهم»[(2)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٨٥.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لم ذم التاريخ، محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٧٧، دار الكتب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الثاني : فيما يتعلق باتهامه بالتشدد والتعصب فالجواب : أن التشدد في إنكار البدع والغيرة لدين الله مطلوبة ، وإن كان المقصود في الفقه فإن كل مذهب من المذاهب قد يكون أكثر تشدداً من غيره في بعض الفروع على ما دل عليه الاجتهاد ، وهذا ليس بعيب ما دام الأمر في حدود الأدلة من الكتاب والسنة وما بني عليهما من الاجتهاد.

ومذهب الإمام أحمد أوسع المذاهب الأخرى تضع بعض القيود في ذلك ، وحتى الدائرة اعترفت بذلك محاولة أن تجعلها تشدداً أيضاً ، حيث جاء عند ذكر القاعدة الحنبلية التي عبر عنها ابن تيمية بقوله : «توقيف في العبادات ، وعفو في المعاملات» : (أي الصرامة المسرفة في تطبيق العبادات ، والسماحة الواسعة في جميع مسائل المعاملات)[١].

وقد سبق أن مستشرقاً آخر جعل مذهب الإمام مالك أكثر المذاهب الإسلامية تشدداً ، لأن المقصود تشويه الأئمة ومذاهبهم بمثل تلك العبارات[٢].

---

(١) الدائرة ٢/ ٣٨١ ، أحمد بن حنبل ، لاوست.

(٢) انظر صـ ٩١٨.

إن من أعظم التشدد والتعصب تبني الاجتهادات المخالفة للكتاب والسنة وإلزام الناس بها، وتحريض السلطان على الخصوم بالسجن والتعذيب، كما فعلت المعتزلة، وقد جاء في الدائرة: (حاول أحمد أن يستأنف دروسه، وإن لم يكن مُنع رسمياً من إلقائها، وذلك خشية أن يتعرض لنقمة القاضي المعتزلي)[١].

ويكفي في تسامح الإمام عفوه عن المعتصم وعمن ضربه وعمن حضر إلا صاحب بدعة عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٢] [٣].

وإن كان المقصود من التشدد: التشدد في التطبيق وحمل الناس على ما يرون، فالجواب أن تطبيق السنة وحمل الناس عليها هو من قبيل التشدد الممدوح، وأما حمل الناس فيما لا نص فيه من مسائل الاجتهاد فإن هذا لم يفعله الإمام أو يأمر به، ولا أئمة المذهب من بعده، ومن فعله من سائر الحنابلة فهو خطأ لا يلزم المذهب بذلك.

الثالث: وأما قوله عن المذهب: (وفيه سلفية ممعنة في المذهبية إلى

---

(١) الدائرة ٢/ ٣٧١، أحمد بن حنبل، قولد زيهر، والحديث عن أيام الخليفة الواثق، أما أيام المعتصم فقد عذب وسجن ومنع من إلقاء درس الحديث.

(٢) الشورى الآية: ٤٠.

(٣) المناقب لابن الجوزي ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٢٥٧ – ٢٦١.

حد لا يمكن أن يتيح لها البقاء) فالجواب أن السلفية في عمومها ممدوحة، وعلى الكاتب أن يُفصِّل في انتقاده، ذلك أن السلفية بحد ذاتها يتبناها سائر الأئمة الأربعة وعموم أتباعهم.

وبقاء المذهب ووجود أتباع له إلى اليوم يهدم هذه المقولة من أساسها.

الرابع: فيما يتعلق بالتقارب الغامض للإمام من السلطان فإني أعجب من ذلك البهتان؛ ذلك أن سيرة الإمام واضحة مكشوفة، وهو فيها أبعد الناس من السلاطين، بل جابههم ولم ينزل لرأيهم، وثبت في محنة خلق القرآن التي تبناها المعتزلة ودعا إليها المأمون والمعتصم والواثق، وتحمل السجن والجلد فثبَّته الله وثبَّت الناس به، حتى قال علي بن المديني: «إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة»[١]، وفي خلافة المتوكل الذي رفع الله به المحنة لم يقبل الإمام عطاياه حتى قيل له: «إنه لا يأكل من طعامك، ولا يجلس على فراشك، ويحرِّم هذا الشراب الذي تشرب» فقال: لو نُشِر المعتصم وقال لي فيه شيئاً لم أقبله»[٢]، وقد أخذ

---

(١) مناقب الإمام أحمد، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ١٤٩، تحقيق د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) مناقب الإمام أحمد ٤٥٢.

يرد أعطياته حتى أشار له بعض محبيه بقولهم : «الله الله أن تستعفي أو ترد المال فيتسع القول لمن يبغضك» فأخذ المال ، وأهمَّه أخذه فوزعه على المساكين ولم يبق عنده شيء[١].

فما أبدى من تقارب إنما كان خوفاً أن يقال إنه لا يرى خلافته لشدة بعده عنه ورفض ماله.

وكان ينهى أولاده عن أخذ مال الخليفة ، ولما أخذ بعض أولاده شيئاً من ذلك غضب عليه وأغلق الباب الذي بينهما[٢].

وقد ذكر ابن الجوزي الكثير من ورع الإمام وتعففه عن الأموال وإعراضه عن الولايات[٣].

كل هذه الأخبار من كتاب المناقب ، التي هي مستند الكاتب في دعواه.

إن الإمام أحمد لم يكن كما قال ولو أراد التقرب للسلطان لعرف الطريق إليه ، كيف وقد كان يرفض أعطيات السلطان مع إجازتها لغيره مبالغة في الورع ، وقد قال الإمام الشافعي : «خرجت من بغداد وما

---

(١) مناقب الإمام أحمد ٤٤٥.

(٢) مناقب الإمام أحمد ٤٦٥ وما بعدها.

(٣) مناقب الإمام أحمد حيث بوب لكل مسألة من هذه المسائل باباً مستقلاً ص٢٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٩.

خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل»[١].

وقرب العالم من السلطان ليست مذمة إذا كان يؤدي واجبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق، وإنما المذموم التزلف إلى السلطان الظالم وعدم القيام بما يجب من النصيحة.

الخامس: فيما يتعلق بما زعم من عجز في المذهب لتقبل النظام المقرر، فالجواب: إن مذهب الإمام أحمد يقوم على الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح، ومن ذلك عدم الخروج على الأئمة والتشديد في ذلك، ولكن هذا لا يعني ترك نصحهم وموافقتهم في كل أمر، وعدم رضوخ الإمام للمعتصم أكبر برهان على ذلك.

السادس: فيما يتعلق باتهام الإمام بأنه يُكفِّر شارب الخمر فليس في كتاب السنة للإمام أحمد الذي جعله المستشرق المرجع في هذا النقل شيء من ذلك، ولعل المستشرق رأى في الكتاب الحديث الذي ساقه الإمام عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) ثم ساق الإمام تفسير ذلك عن بعض السلف قوله: «يخرج من

---

(١) تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت المشهور بالخطيب البغدادي ٤/ ٤١٩، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام، فإذا تاب تاب الله عليه»[١]، فاستدل به، مع أن الإمام استدل به على دخول العمل في الإيمان، وهو دال على أن شاربها مسلم، وهو خلاف ما فهمه المستشرق، بل ثبت عن الإمام صراحة نفي ذلك، ففي مسائل الإمام أحمد لابنه عبدالله: قال عبدالله: «قلت لأبي: حكى عنك إنسان أنك قلت: من شرب فهو مرتد. فقال: ما قلت فيه، لقد شنع علي»[٢].

ولم أجد في كتب الفقه الحنبلية ما يؤيد ذلك، بل المستفيض بأن شارب الخمر مسلم يعاقب بحد الشرب لا حد الردة، وهذا عند عامة المسلمين.

فهذه فرية من المستشرق، وهي في أقل أحوالها تدل على جهل فاضح بالمصطلحات الشرعية.

السابع: فيما يتعلق بعلي ومعاوية فليس ثمة معارضة، بل الخطأ في اعتقاد الكاتب بوجود المعارضة، ذلك أن أهل السنة عموماً يرون أن علي ابن أبي طالب ﷺ رابع الخلفاء الراشدين وهو أفضل الموجودين في

---

(١) السنة ١٠٢ والحديث في المسند ٢/ ٣٨٦، وفي البخاري الحدود ١، ومسلم الإيمان ٥٧.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية ابن عبدالله ص٤٣٢، مسألة ١٥٦٢، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

زمان خلافته، وأن الحق معه، وأن سائر من خرج عليه مخطئ، ولكن مع ذلك يرون أن من خرج عليه من الصحابة كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية إنما كان بتأويل سائغ مأجور، وأهل السنة يترضون عن صحابة النبي ﷺ ومنهم معاوية رضي الله عنه أجمعين.

المطلب السادس: الطعن في الإمام الذهبي:

جاء في دائرة المعارف ترجمة الإمام الذهبي: (فلما أدرك قرب منيته كتب تراجم لبعض معاصريه وهم على قيد الحياة، واستقى معلوماته من فتيان متحمسين ممن التفوا حوله. وكان عاجزاً عن التحقق من صدق رواياتهم فلوث بذلك سمعة بعض الأعلام وإن كان ذلك عن غير عمد)[1].

قلت: الإمام الذهبي هو محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨هـ) مؤرخ الإسلام، وكان آية في نقد الرجال شهد له الجميع بهذا، ومن ذلك:

قول الحافظ أبي المحاسن الحسيني[2] في ترجمة الذهبي، وكان قد

---

(١) الدائرة الأولى ٩/ ٤٣٢، الذهبي، محمد بن شنب.

(٢) محمد بن علي بن الحسن ويرجع نسبه إلى الحسين بن علي ولد وعاش وتوفي بدمشق ٧١٥ – ٧٦٥هـ، وتتلمذ على كبار علمائها، واهتم بالحديث والتاريخ والرجال، قال العراقي لما سئل عن أربعة أيهم أحفظ: ملغاطاي، وابن كثير، وابن=

عـاصره وجلـس إليـه : «شـيخ الإمـام العلامـة شـيخ المحـدثين ، وقـدوة الحفـاظ والقـراء ، محـدث الـشام ومؤرخـه ومفيـده : شـمس الـدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ... الذهبي»[١].

ولمَّا مات الإمام الذهبي رثاه السبكي بأبيات منها :

من للحديث وللسارين في الطلب

من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي

من للرواية والأخبـــار ينشرهـــا

بين البرية مـــن عجـم ومن عرب

هو الإمـــام الذي روت روايتـه

وطبــق الأرض من طلابـه النجب

ثبت صــدوق خبيـر حافظ يقـظ

في النقل أصــدق أنباء من الكتب[٢]

=رافع ، والحسيني. قال : أعرفهم بالشيوخ المعاصرين وبالتخريج الحسيني. (انظر تذكرة الحفاظ مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ ٥/ ب-ج)

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ، الذيل الأول للحسيني ٥/ ٣٤.

(٢) طبقات الحفاظ للذهبي تذييل السيوطي ٥/ ٣٤٩.

وقال عنه في الطبقات «محدث العصر» و«شيخ الجرح والتعديل»[(١)].

وقال ابن ناصرالدين[(٢)] عنه: «وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات، له دراية بمذاهب الأئمة، وأرباب المقولات، قائماً بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف»[(٣)].

وقال العيني[(٤)] في ترجمته: «الشيخ الإمام العلامة الحافظ المؤرخ شيخ المحدثين»[(٥)].

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٠٠ - ١٠١.

(٢) الحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصرالدين الدمشقي ٧٧٧ - ٨٤٢ حافظ دمشق ومحدثها، الإمام العلامة والمؤرخ الثقة. (انظر مقدمة الرد الوافر على من زعم: بأن من سمى ابن تيمية «شيخ الإسلام» كافر، محمد بن أبي بكر بن ناصرالدين الدمشقي الشافعي ١٩، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

(٣) الرد الوافر ٦٦.

(٤) العلامة الحافظ محمود بن أحمد بدرالدين العيني الحنفي ٧٦٢ - ٨٥٥، التركي الأصل والمولد والنشأة، ثم رحل إلى الشام ومصر وطلب العلم في الديار، وبرع في علوم شتى كالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والتاريخ، وتولى قضاء الحنفية في مصر ومات بها. (انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/ ٢٨٦، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

(٥) عقد الجمان للعيني ٣٧.

وقال ابن حجر العسقلاني[١] : «شربت من ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ»[٢].

وقال أيضاً في ترجمته : «قرأت بخط البدر النابلسي[٣] : كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم حديد الفهم ثاقب الذهن، وشهرته تغني عن الإطناب فيه»[٤].

وقد قال ابن حجر في ترجمته : «وكان قد أضر قبل موته بسنوات»[٥]،

---

(١) أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي ٧٧٣ - ٨٥٢ حافظ الإسلام والمحدث المشهور أصله من فلسطين وحياته بمصر، رحل في طلب العلم، وقصده الناس بعد ذلك، وكتاباه فتح الباري وتهذيب التهذيب وغيرهما تدل على سعة علومه. (انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني ١/ ٨٧ - ٩٢، ويليه الملحق التابع له لمحمد بن محمد بن يحيى، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ)

(٢) طبقات الحفاظ للذهبي تذييل السيوطي ٥/ ٣٤٨.

(٣) الحسن بن محمد النابلسي الملقب بالإمام بدرالدين من علماء الحنفية، عالم بالحديث والأخبار له العديد من المصنفات، وُلِيَ إفتاء دار العدل بالقاهرة وتوفي بها سنة ٧٧٢هـ. (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي تذييل محمد الهاشمي المكي المسمى لحظ الألحاظ ٥/ ١٥٥، والأعلام للزركلي ٢/ ٢١٦)

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني ٣/ ٤٢٧، تحقيق محمد سيد جاد، دار الكتب الحديثة، مصر، دطت.

(٥) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٣/ ٤٢٧.

ولم يذكر أنه لوث سمعة أحد مع وجود ذكر ابن حجر ذلك الأمر لو صح.

وقال السخاوي[١] في بيان علو قدره ودفاعاً عنه: «ويكفي في جلالته شرب شيخنا ماء زمزم لنيل مرتبته، وهل انتفع الناس في هذا الفن بعده وإلى الآن بغير تصانيفه، والسعيد من عدت غلطاته»[٢].

كما قال عنه: «وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال»[٣].

وقال الحافظ السيوطي في ترجمته: «الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ. ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد...»[٤].

هذا كلام علماء زمانه وما بعدهم فيه، ولم أجد أحداً من العلماء ذكر ما ادعاه الكاتب من اعتماده على فتية لوثوا سمعة بعض الأعلام سوى ابن الوردي في إشارة بسيطة مغمورة في بحر فضائل الذهبي[٥]، فيا سبحان

---

(١) الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٨٣١ - ٩٠٢ مؤرخ حجة، وعالم بالتفسير والحديث والأدب. (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ١٩٤)

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي ٧٦.

(٣) الإعلان للسخاوي ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي تذييل السيوطي ٥/ ٣٤٧.

(٥) تاريخ ابن الوردي، عمر بن الوردي ٢/ ٣٤٨، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

الله كيف ينقب هؤلاء المستشرقون عن العيوب ، ويذكرونها على علاتها فرحين بها دون نظر أو تمحيص!

وربما يكون مصدره في هذه الفرية بعض المتعصبين ضد الشيخ ، وسبب ذلك ما ذكره السخاوي بقوله : «وعلى كل حال فطالما نال غير الموفقين من الذهبي قياماً مع حظوظ أنفسهم لكونه ترجمهم بما هو دون مرتبتهم عند أنفسهم ، أو لغير ذلك مما يقاربه» كما ذكر ذم بعض المتعصبين له بسبب تنقصه من المعطلة ومدحه لأهل السنة المثبتين للصفات[١] ، فالمسألة شخصية لا علاقة لها بالحقيقة التاريخية.

وعلى كُتاب الدائرة التحقق في مثل هذا وعدم تلقفه على علاته فذلك مخالف للمنهج العلمي الذي يزعمون التزامه ، أم يريدون تشويه تاريخ الإسلام بتلويث مؤرخيه وعلى رأسهم الإمام الذهبي الذي عُرف بـ«مؤرخ الإسلام».

* * *

(١) الإعلان للسخاوي ٧٥ – ٧٦.

المبحث الثالث

الطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية [١]

المطلب الأول: نظرة عامة لما في الدائرة:

جاء في الدائرة ذكر ابن تيمية في مواضع عديدة، وذكر كاتب مادته بعض الحقائق كقوله عنه: (ولقد دافع عن سنن السلف الصالح من المسلمين بأدلة لم يسبق إليها)[٢].

كما قال: (إن الحجج التي جاء بها لم تلبث أن جردت خصومه من أسلحتهم)[٣].

كما قال: (وكان ابن تيمية من الحنابلة إلا أنه لا يتبع تعاليم هذا المذهب من دون تبصر أو رؤية)[٤].

كما جاء: (وكان ابن تيمية عدواً لدوداً للبدع)[٥].

---

(١) هذا المبحث أضيف للكتاب وأصله منشور في مجلة جامعة الإمام في عدد رجب ١٤٢٨هـ.

(٢) الدائرة ١/ ٢٣٢، ابن تيمية، محمد بن شنب.

(٣) الدائرة ١/ ٢٣٢، ابن تيمية، محمد بن شنب.

(٤) الدائرة ١/ ٢٣٣، ابن تيمية، محمد بن شنب.

(٥) الدائرة ١/ ٢٣٣، ابن تيمية، محمد بن شنب.

كما جاء أيضاً في نهاية ترجمته : (ابن تيمية ذلك المتكلم الحنبلي العظيم)[١].

إلا أن الأكثرية من سيرته في الدائرة قد تم تشويهه ، كما سيأتي في المطالب الآتية ، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن ابن تيمية قد فند دعاوى النصارى ، واستأصلها من أساسها في كتابه : «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ، كما كان –رحمه الله– سيفاً مسلولاً على الكفرة والمبتدعة من الفلاسفة والمعتزلة والرافضة وغيرهم ، ممن تدافع عنهم هذه الدائرة.

وقد وجدت الدائرة في انتقاص الخصوم لابن تيمية مرتعاً في الطعن فيه. ولعداوة خصومه له أسباب عديدة منها : التعصب للأشخاص حيث انتقد ابن تيمية بعض المعظمين لأولئك كبعض الباطنية والاتحادية والصوفية وطوائف من المتكلمين.

ومنها الحسد على علو مكانته وسعة علمه وانتشاره ، وقوة حجته.

ومنها حدة ابن تيمية في إنكاره على المبتدعة فيما يتعلق ببدع القبور ، وتحريف صفات الله وغيرهما ، وهذه الحدة موجودة في مناظراته لهم مما يزيد معها عداوة القوم له ، والكمال لله تعالى.

والاتهامات والافتراءات على ابن تيمية كثيرة ، وهي على النحو التالي:

---

(١) الدائرة ١/ ٢٣٤ ، ابن تيمية ، محمد بن شنب.

- اتهامه بالتجسيد والتشبيه في صفات الله تعالى.
- اتهامه بإنكار الإجماع، والخروج عليه.
- اتهامه بالتشدد.
- اتهامه بالهوى.
- اتهامه بالسقوط.
- اتهامه بالطعن في رجال الإسلام.

أكثر هذه التهم ليست جديدة وإنما استقاها المستشرقون من خصوم ابن تيمية، وقد تصدى لها كثير من العلماء بالتفنيد كما سيأتي.

وسأبدأ هذا المبحث بمطلب أذكر فيه ترجمة مختصرة لابن تيمية وثناء علماء الأمة المعاصرين له ممن اشتهروا بالإنصاف، ومن بعدهم، وهو بمثابة رد إجمالي على كافة المطاعن.

المطلب الثاني: سيرته وثناء الأمة عليه:

هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ولد في حرَّان سنة (٦٦١هـ) وهاجر به أبوه إلى الشام خوفاً من جور التتار، وعاش في بيت علم ودين، فأبوه من كبار علماء الحنابلة، وجده من كبار علماء الحديث، وهو صاحب كتاب منتقى الأخبار في أحاديث الأحكام.

حفظ القرآن صغيراً ونشأ في طاعة وصيانة وعفاف وتعبد.

وقرأ الحديث على علماء دمشق، فسمع الكتب الستة والموطأ

والمسند ، وله أكثر من مائتي شيخ.

كما تعلم اللغة والتفسير والفقه وأحكم كل ذلك وهو لم يتعد التاسعة عشرة ، فانبهر أهل دمشق بفرط ذكائه وقوة حافظته ، وكان يحضر المحافل والمناظرات في صغره ، فيفحم الكبار ، فاشتهر أمره ، وذاع صيته.

جلس للإفتاء وله تسع عشرة سنة ، وجلس لتفسير القرآن من حفظه وله إحدى وعشرون سنة فكان جهوري الصوت فصيح اللسان لا يتلعثم ، هدى الله بدرسه الكثير.

كان لا يمل من القراءة والاطلاع ، وكان مشتغل بمعالي الأمور ، والاجتهاد في سبيل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في الزهد والورع والعلم والشجاعة والكرم.

له المواقف المشهورة في جهاد الكفار بالسيف والقلم ، فجاهد التتار عند قدومهم دمشق ، وشجع الناس على قتالهم.

وله المصنفات الكثيرة في أصول الدين وفروعه ، وكان جريئاً على المبتدعة والمخالفين مبيناً الحق متبعاً للسلف الصالح ، مجتهداً في اتباع الكتاب والسنة ، ولو خالف غيره ، فأكسبه كل ذلك أعداء وحساداً فسعوا في الوشاية به فدخل السجن مراراً حتى مات فيه سنة (٧٢٨هـ).

كانت جنازته مشهودة بينت محبة الناس له ، وقد وُصفت بأن دمشق لم

تشهد مثلها ، بل ولا سائر الأقطار في ذلك الزمان[١] .

وإذا تدبرنا في تكلّم بعض الناس في ابن تيمية نجد أن من انتقصه كان خصماً له لم يتحمل آراءه ، أو عن جهل به ، أو تقليد لغيره ، أو حسداً له.

بينما نجد الثناء على ابن تيمية والتزكية له من الجمع الغفير من العلماء الذين عاصروه ورأوه ، وشُهِد لهم بالعلم وحسن المقصد.

وقد جمع ابن ناصر الدين صاحب الرد الوافر شهادة سبعة وثمانين عالماً من علماء قرنه على تزكية ابن تيمية[٢] .

كما جمع الكرمي[٣] ثناء علماء الأمة عليه من معاصريه ومن بعدهم بعبارات كثيرة ومدح جم ، وفي تلك التزكيات رد إجمالي على تلك المطاعن ، ففيها سعة علمه ، واستقامة منهجه ، وتسامحه ، وبعده عن الهوى والتعصب[٤] .

---

(١) ترجمته مأخوذة من كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبدالهادي ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دطت ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٣ ، ١٣٧.

(٢) الرد الوافر لابن ناصرالدين الدمشقي الشافعي ٥٧ – ٢٢٢.

(٣) مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي مؤرخ أديب من كبار الفقهاء توفي سنة ١٠٣٣هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٣)

(٤) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ٢٦– ٥٤، تحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف ، دار الفرقان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

ولا يتسع المقام لذكر تفصيل ذلك، ومن العلماء الكثيرين المعاصرين له الذين أثنوا عليه[(١)] :

١-ابن دقيق العيد[(٢)] ، حيث قال : «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلومُ كلها بين عينيه»[(٣)].

٢-ابن الزملكاني[(٤)] ، حيث كتب على كتاب رفع الملام لابن تيمية : «تأليف الشيخ الإمام العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة....»[(٥)].

٣-ابن سيد الناس[(٦)]، حيث قال عنه : «برز في كل فن على أبناء جنسه،

---

(١) تراجم أكثر أولئك العلماء مستقاة من الشهادة الزكية للكرمي ٢٦ – ٥٤.

(٢) محمد بن علي المنفلوطي المالكي الشافعي قاضي القضاة كان إماماً حافظاً فقيهاً انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه توفي ٧٠٢هـ. (انظر البداية والنهاية ١٤/ ٢٧)

(٣) الشهادة الزكية ٢٩.

(٤) محمد بن أبي الحسن الأنصاري الشافعي ، من علماء الفقه والنحو تولى القضاء وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في وقته ، كان سريع الإدراك يتوقد ذكاءً ، تولى مناظرة ابن تيمية أكثر من مرة ت٧٢٧هـ. (انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٣١)

(٥) الشهادة الزكية للكرمي ٢٦.

(٦) أبو بكر سيد الناس الإشبيلي المصري الشافعي ٦٧١ – ٧٣٤هـ ، كان حافظاً أديباً فقيهاً.

ولم تر عين من رآه مثله» ثم تحدث باستفاضة عن تحامل خصومه عليه بالباطل، وعلوه عليهم»[١].

٤-البرزالي[٢]، حيث قال عنه: «كان إماماً لا يُلحق غباره في كل شيء، عالماً باختلاف العلماء، عالماً بالأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قُطع في مجلس مناظرة، ولا تكلم معه فاضل في فن من فنون العلم إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفاً به، مُتقناً له»[٣].

٥-المزي[٤]، حيث قال: «ابن تيمية لم يُر مثله من أربعمائة سنة»[٥].

٦-ابن عبدالهادي[٦]، حيث صنف كتاباً سماه مناقب ابن تيمية، ومما قال عنه: «كان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجاً في حلوق

---

(١) الشهادة الزكية للكرمي ٢٧.

(٢) القاسم بن محمد البرزالي الشافعي ٦٦٥ -٧٣٨هـ، مؤرخ الشام، له الخبرة بأسماء الرجال، وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه. (انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٨٥).

(٣) الشهادة الزكية للكرمي ٤٩.

(٤) يوسف القضاعي الكلبي ٦٥٤ - ٧٤٢هـ حافظ الإسلام أستاذ أئمة الجرح والتعديل.

(٥) الشهادة الزكية للكرمي ٤٥.

(٦) محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحافظ الناقد، عمدة المحدثين ت٧٤٤هـ.

أهل الأهواء من المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق، ونصرة الدين»[١].

٧-أبو حيان النحوي[٢]، حيث قال لما اجتمع به أول مرة وناظره في العلم والنحو: «ما رأت عيناي مثلي – ثم قال بديهة في المجلس- :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا ... داع إلى الله فرد ما له وزر

على محياه من سيما الألى صحبوا ... خير البرية نور، دونه القمر

تام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم؛ إذا عصت مضر

كُنّا نُحدث عن حبر يجيء فها ... أنت الإمام الذي قد كان يُنتظر[٣]

الذهبي مؤرخ الإسلام، حيث أطنب في مدحه وبين أسباب خلاف بعض العلماء له، ومما قال عنه: «كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث مائة مجلد»[٤].

وقال أيضاً: «مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج من الحديث، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية،

---

(١) الشهادة الزكية للكرمي ٥٣.

(٢) محمد بن يوسف الغرناطي أستاذ النحاة والأدباء ت٧٤٥هـ.

(٣) الشهادة الزكية ٣٢، وقد تركت بعض الأبيات.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٩٦ – ١٤٩٧.

واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها. وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون، وهابوا وجسر عليها. حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام، قياماً لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه، وكاتبوه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق الذي أدى إليه اجتهاده، وحدّة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر منه من الورع، وكمال الفكرة، وسعة الإدراك، والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرماته..» إلى آخر ما قال[١].

٨-البزار[٢] حيث ألف كتابه: «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» ألفه بعد إلحاح الناس عليه بعد وفات شيخ الإسلام وقد جمع فيه بعض مناقب الشيخ في أربعة عشر فصلاً[٣].

٩- ابن الوردي[٤]، حيث قال عن رحلته ودخوله دمشق: «فتركت التعصب والحمية، وحضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة .. فقلت:

---

(١) الشهادة الزكية للكرمي ٤٠ - ٤١ من نقولات متفرقة.

(٢) الحافظ الفقيه المؤرخ عمر بن علي البزار ٦٨٨ - ٧٤٩هـ.

(٣) وخرج الآن مطبوعاً في تسعين صفحة تقريباً. (انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي البزار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ)

(٤) زين الدين عمر بن الوردي كان ماهراً في المنثور والمنظوم والعربية ت٧٤٩هـ، وكلامه دال على تحذير خصوم ابن تيمية من حضور مجالسه.

إن ابـن تيمية في كـل العلوم واحد

أحييت ديـن أحمد وشـرعه يا أحمد[(١)]

١٠- ابـن فـضل الله العمـري[(٢)] ، حيـث قـال عنـه : «كـان أمـة وحـده ، أخمل من القرناء كل عظيم ، وأخمد مـن أهـل البـدع كـل حـديث وقـديم ، جاء في عصر مأهول بالعلماء إلا أن شمسه طمست تلك النجوم»[(٣)].

١١- ابـن القـيم[(٤)] ، حيـث قـال عنـه : «شـيخ الإسـلام والمسلمين ، القـائم ببيـان الحق ونـصرة الـدين الـداعي إلى الله ورسوله ، المجاهـد في سبيل الله.. مفتي الفرق ، علامة الدنيا»[(٥)].

---

(١) الشهادة الزكية للكرمي ٣٠ ، وله كلام في مدحه وذكر سعة علمه وزهده ، وخشوعه. انظر تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٠٦ – ٤٠٨.

(٢) أحمـد بـن يحيى بـن فـضل الله القـرشي العـدوي العـمري ٦٩٧ – ٧٤٩هـ مـؤرخ عـارف برجـال عـصره وتـراجمهم غزيـر المعرفـة بالتـاريخ. (انظـر الأعلام ١/ ٢٦٨).

(٣) الشهادة الزكية للكرمي ٥٥.

(٤) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٦٩١ – ٧٥١هـ أخص تلاميذ ابن تيمية برع في علوم متعددة لاسيما التفسير والحديث ، كان عابداً زاهداً قال عنه ابن كثير : «لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه». (البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٥)

(٥) الشهادة الزكية للكرمي ٣٤.

وابن القيم ناله من الدائرة ما نال شيخه من بعض الاتهامات ، كما سبق اتهامه بالتشدد.

وقد قال ابن حجر في تزكيته : «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ ، شمس الدين ، ابن القيم الجوزية -صاحب التصانيف النافعة السائرة ، التي انتفع به الموافق والمخالف- لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته»[1].

١٢- ابن رجب[2] ، حيث قال عنه : «الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الأصولي الزاهد ، تقي الدين ، أبو العباس ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام ، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره ، والإسهاب في أمره»[3].

١٣- ابن كثير[4] ، وقد ذكر عنه الكثير ، وهذا طرف منه : «قرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم،

---

(١) الرد الوافر لابن ناصرالدين ٢٣١.

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب المحدث الحافظ العلامة وواعظ الإسلام ت٧٦٥هـ.

(٣) الشهادة الزكية ٥١.

(٤) إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٠١ - ٧٧٤هـ الحافظ العلامة المؤرخ المفسر الفقيه.
(انظر تذكرة الحفاظ تذييل المحاسني ٥/ ٥٧ - ٥٩)

وكان ذكياً كثير المحفوظ ، فصار إماماً بالتفسير وما يتعلق به ، عارفاً بالفقه، فيقال : إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه ، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، ووجدت بخط الزملكاني عنه أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وإن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين»[1].

فهؤلاء كبار أئمة العلم المعاصرين لابن تيمية ، وقد شاهدوه وسمعوا منه ، وبعضهم طلاب له لازموه وعاصروه ، وأقوالهم تغني عن أي تعليق.

وختاماً لهذا المطلب نذكر شهادة عالمين كبيرين من غير مذهبه وغير متهمين فيه :

الأول : العلامة ابن حجر العسقلاني ، حيث قال تقريظاً على كتاب الرد الوافر بقوله : «وشهرة وإمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس ، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية ،

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ١٣٧.

ويستمر غداً كما كان بالأمس ، ولا يُنكِرُ ذلك إلا من جهل مقداره ، أو تجنب الإنصاف ، فما أغلط من تعاطي ذلك وأكثر عثارة ، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله»[١].

الثاني : العلامة العيني حيث قال في رده على خصوم ابن تيمية ، ومدحه له : «هو الذاب عن الدين ، طعن الملاحدة والملحدين... فمن قال : «كافر»! فهو كافر حقيق ، ومن نسبه إلى الزندقة! فهو زنديق.

وكيف ذاك وقد سارت تصانيفه في الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق»[٢].

بل إننا نجد من المستشرقين أنفسهم من يعترف بأثر ابن تيمية ، في مقاومة البدع ، حيث يقول قولد زيهر : «في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ظهر في سوريا فقيه جريء أحسن التعبير عن ميول الحنابلة وآرائهم ، وهو تقي الدين ابن تيمية الذي دأب في خطبه وكتاباته على مراجعة الإسلام التاريخي دارساً له من ناحية سننه القديمة وما طرأ عليها من ابتداع ، ثم هب لمناهضة البدع التي عملت على تحوير المعالم الأصيلة للإسلام وتعديلها ، سواء كان ذلك في العقائد أم في الأحكام

---

(١) الرد الوافر لابن ناصرالدين ، تقريظ ابن حجر ٢٢٩.

(٢) الرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٤ – ٢٤٥.

والعبادات... وكافح ابن تيمية الصوفية ومبادئها الحلولية، كما استنكر تقديس النبي والأولياء، وأنكر الحج إلى قبر النبي»[(١)].

فالإنصاف مع ابن تيمية وغيره الموازنة بين الخطأ والصواب، وجهاد ابن تيمية وعلمه وفضله وردوده على الكفار والمبتدعة من سائر الطوائف مشهورة معلومة، والخطأ منه ليس إلا نقطة في بحر فضائله التي شهد بها علماء عصره ومن بعدهم، وهذا هو العدل.

قال ابن رجب: «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»[(٢)].

المطلب الثالث: اتهامه بالتجسيد والتشبيه:

جاء في الدائرة: (وكان ابن تيمية مسرفاً في القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير على الله بظاهر اللفظ، وقد تشبه بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروي عنه أنه قال من منبر جامع دمشق: [إن الله ينزل السماء الدنيا كنزولي هذا] ثم نزل درجة من درج المنبر «انظر على الأخص مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣٨٧ وما بعدها»)[(٣)].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام لقولد زيهر ٢٣٥.

(٢) القواعد في الفقه الإسلامي، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ٣، دار المعرفة، بيروت، دطت.

(٣) الدائرة، ٢/ ٢٣٣، ابن تيمية، محمد بن شنب.

كما جاء أيضاً : (ونجد من جهة أخرى أن ابن تيمية تلميذ ابن الجوزي قد عُد هو وأضرابه – مثل أبي عامر محمد بن سعدون القرشي[(١)] – من غلاة المشبهة ، فقد روى ابن بطوطة ونقل عنه كثيرون) ثم ساق نقل ابن بطوطة في نزوله عن المنبر[(٢)].

وجاء بعدها : (وأهم من هذا التعليق رد ابن تيمية في مصنفاته على المشبهة الذين يقولون : بصر كبصري «رسالة الفرقان ١١٩» ، ويد كيدي، وتفسير للآيات القائلة بوجود الله مع الناس ، وهو حقاً من التأويل ، ودأبه على جعل العبارات التشبيهية التي قيلت في الله صفات خاصة به سبحانه، ثم قوله بنوع خاص : إن الأحاديث التجسيدية السخيفة في النزول إنما وضعها الزنادقة الكفار ليشينوا بها أهل الحديث ، وتجريحه المستمر بوجه عام التشبيه والتعطيل مما ينبئ على الأقل بمقصده ومعتقده)[(٣)].

---

(١) محمد بن سعدون بن مرجا العبدري القرشي ، ولد بقرطبة ، وطلب العلم ببغداد ، وكانت له معرفة جيدة في الحديث ، وكان ظاهرياً في الفروع ، قال الذهبي : كان من بحور العلم لولا تجسيم فيه ، توفي سنة ٥٢٤هـ. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٠١ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٥٧٩).

(٢) الدائرة ٩/ ٣٢٠ ، التشبيه ، شتروتمان.

(٣) الدائرة ٩/ ٣٢٠ ، التشبيه ، شتروتمان.

وجاء أيضاً عنه : (استأنف هذا الفقيه النضال في سبيل المذهب الحنبلي ، فأنكر التأويل)[١].

قلت : الرد على الكلام السابق من وجوه عدة :

أولها : العجيب أن يأتي بعد اتهام ابن تيمية أنه من غلاة المشبهة محاولة تبرئة هشام بن الحكم[٢] من التشبيه حيث جاء فيها : (أما موقفنا من أبي محمد بن هشام بن الحكم فأشد عسراً، ذلك أنه لم يصل إلينا من تواليفه شيء ، على أن الأشعري [مقالات الإسلاميين ٢٩] قد بين لنا أن أقاويله قد ظهر اختلافها عند جمعها – وبعد أن نقل قول هشام بالتجسيم قال– ومع ذلك فقد ابتعد جهد طاقته عن التشبيه)[٣].

وإذا سلمنا بذلك جدلاً – مع أن عامة من ألّف في الفِرَق ذكر أنه من

---

(١) الدائرة ٢/ ٣٦٨ ، أحمد بن حنبل ، قولد زيهر.

(٢) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي من متكلمي الإمامية ولد ونشأ بالعراق كان من غلاة المشبهة وغلا في علي فقال إنه إله واجب الطاعة توفي قرابة سنة ١٩٠هـ. (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٤ – ١٨٥ ، والأعلام للزركلي ٨/ ٨٥).

(٣) الدائرة ٩/ ٣٢٠ ، التشبيه ، تشروتمان.

غلاة المشبهة مستنداً إلى أقواله[1]- فإن ابن تيمية وصلت مؤلفاته إلينا بنفي التشبيه، والتشنيع على أصحابه.

فلم يكن ابن تيمية مجسداً أو مشبهاً، ومن الظلم له بمكان وصفه بذلك! وكتاباته جميعها تدل على نقيض ذلك، وابن تيمية على مذهب السلف في الصفات -والذي سبق بيانه في موضوع الصفات- وقد فُهِم إثبات الصفات على ظاهرها بأنه تشبيه، ولم يكن كذلك أبداً، يعلم هذا كل من قرأ كلامه، فضلاً عما يجب على الباحثين المدققين من تحري مقصود الكاتب، وحقيقة كلامه.

وهذه جملة من كتاباته -رحمه الله- :

يقول ابن تيمية: «إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، فإنه يقال له: لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري ٢٠٧ - ٢٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصحيح هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دت، والفرق بين الفرق للبغدادي ٦٥، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٤.

وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال»[١].

من هذا الكلام يستفاد : أن ابن تيمية أكثر احترازاً من التشبيه من أولئك الذين وصفوه به؛ ذلك أنهم مشتركون في نفي التشبيه ، ولكن ابن تيمية زاد عليهم بأنه يستحيل أن تكون ظواهر النصوص تشبيهاً ، وذلك لعظمة النصوص عنده من جهة ، ولشناعة التشبيه من جهة أخرى حتى سماه كفراً وباطلاً وضلالاً ، بينما أقروا هم بذلك فاحتاج ظاهر النص عندهم لتأويل، ولما لمْ يحتج إلى تأويل عند ابن تيمية وصمه الجاهلون بالتشبيه.

كما قال : «والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه ، فإن الله لا مثيل له بل له المثل الأعلى»[٢].

وقال في مقدمة الواسطية : «ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيِّفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ، ولا كفو له ولا ندّ

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٠.

له. ولا يقاس بخلقه سبحانه»[١].

وقال عن مذهب السلف في الصفات الذي يدافع عنه: «فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢]. ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.

والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: ﴿..فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٣]. قال أهل اللغة: هل تعلم له سمياً أي نظيراً يستحق مثل اسمه. ويقال: مسامياً يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ مثيلاً أو شبيهاً»[٤].

وقال أيضاً: «وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة

---

(١) العقيدة الواسطية، أحمد بن تيمية ٧، دار عكاظ، ١٤٠٢هـ - ١٠٨٢م.

(٢) الشورى الآية: ١١.

(٣) مريم الآية: ٦٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ٤.

العقل على نفيه»[١].

فهذا كلامه – رحمه الله – واضح لا لبس فيه في نفي مشابهة صفات الله لصفات المخلوقين مع إثباتها على وجه يليق بالله تعالى.

كانت عقيدته موافقة للسلف الأُوَل، وقد تحدى خصومه أن يأتوا بكلام للسلف يخالف ما جاء به، وأمهلهم ثلاث سنين[٢]، فلم يجدوا شيئاً مع شدة حرصهم على النيل منه، وكان هذا أسهل عليهم من السعي إلى السلطان والوشاية به وسجنه، حتى مات مسجوناً.

ثانيها: فيما يتعلق بنقل ابن بطوطة في اتهام شيخ الإسلام بتلك القصة التي يستدل بها كُتاب الدائرة على أن ابن تيمية مشبه ومجسم، وترديدهم لتلك الحادثة في مواضع كثيرة، فالجواب عنها من وجوه:

أولاً: أن شيخ الإسلام ابن تيمية سجن سجنه الأخير – الذي لم يخرج منه إلا بعد وفاته– في السادس عشر من شعبان سنة (٧٢٦هـ)[٣]، وابن بطوطة لم يدخل دمشق إلا بعد ذلك، وهذا كلامه في كتابه الذي ذكر فيه نزول ابن تيمية من المنبر. قال: «ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٩.

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٢٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٩٨.

رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق»[1].

ثم قال: «وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا»، ونزل درجة من درجات المنبر، فعارضه فقيه مالكي يُعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال حتى سقطت عمامته»[2].

فابن بطوطة لم يرَ الشيخ يخطب؛ لأنه كان آنذاك مسجوناً حتى توفي.

ثانياً: لو صح كلام ابن بطوطة لنقل نقلاً مستفيضاً عنه، ولشنع به أعداؤه، وهذا لم يحصل.

ثالثاً: نقل ابن بطوطة مخالف لما ثبت مستفيضاً عن ابن تيمية في رسائله وسائر مصنفاته، ومن ذلك قوله في الفتاوى عن استواء الله تعالى: «إنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي

---

(١) رحلة ابن بطوطة المُسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد ابن عبدالله الطنجي ٦١، دار الكتاب اللبناني، دطت.

(٢) رحلة ابن بطوطة ٦٨.

دل عليه الخطاب ، فنعلم معنى الاستواء ، ولا نعلم كيفيته ، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته»[١].

ويقول عن الله عز وجل : «ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا»[٢].

يقول ابن حجر العسقلاني –رحمه الله– في رد هذه الفرية عن ابن تيمية –رحمه الله– : «وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم، والتبري منه»[٣].

فلم يكن ابن تيمية مشبهاً أو مجسماً فضلاً أن يكون كما وصفته الدائرة من غلاة المشبهة.

وإنني لأتعجب من الاستدلال بكلام ابن بطوطة ، وترك كلام المعني بالأمر ، وعدم الاستدلال به مع وجوده وتفصيله في مصنفاته بوفرة ، هل هذا من المنهج العلمي في شيء!.

إن كلام الخصم على خصمه لا يحتج به وحده ، وقد جاء هذا في نفس الدائرة : (وصُنفت في الرد على الجهم رسائل شتى بين أيدينا منها رسالة أحمد بن حنبل «الرد على الزنادقة والجهمية» ، ولم يذكر ابن حنبل إلا القليل من أقوال خصمه ، ولا يمكن التثبت من صحة الحجج التي

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٥٢.

(٣) الرد الوافر لابن ناصرالدين الدمشقي الشافعي ٢٣٠ – ٢٣١.

نسبها إليه إلا إذا قام عليها دليل آخر)[1] ، فالإمام أحمد وما استفاض عنه من علم وورع كما جاء في الدائرة مصرحاً به : (وقد جذب علمه وورعه...)[2] لا يُطمئن إلى صحة الحجج التي أوردها عن خصمه حتى يقوم دليل آخر ، مع أن خصمه لم يؤلف كتباً من الممكن الرجوع إليها.

وإذا أقررنا ذلك لزيادة التحري ، وباعتبار أن أقوال الخصوم لا تفيد العلم وحدها ، فَلِمَ لا ينسحب ذلك على خصوم أهل السنة أيضاً! إذ يُقبل كلام خصومهم فيهم كما سبق عند الحديث عن علماء السنة والحنابلة ، وهنا عند ابن تيمية ، وكما سيأتي عند الحديث عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب؛ مع أن أهل السنة لهم من الكتب والمؤلفات المفيدة لليقين عن معتقداتهم دون الحاجة لكلام الخصوم ، ومع ظهور ورعهم وكذب خصومهم عليهم!

رابعاً : ليس في مجموعة الرسائل الكبرى ما يدل على مراده البتة؛ وذكر المرجع والأمر كذلك من التدليس إن لم يكن من الكذب الصريح.

ثالثها : فيما يتعلق بالتأويل ، فالتأويل بمعنى التفسير لم ينكره ابن تيمية، وإنما أنكر تحريف الصفات عن ظاهرها ، التي تليق بالله تعالى وقد كرر ابن تيمية – رحمه الله– في مواضع كثيرة من كتاباته : أن التأويل يطلق

---

(١) الدائرة ٩/ ٣١٧–٣١٨ ، التشبيه ، شتروتمان.

(٢) الدائرة ٢/ ٣٦٦ ، أحمد بن حنبل ، قولد زيهر.

على ثلاثة معان :

الأول : حقيقة ما يؤول إليه الكلام ، وإن وافق ظاهره ، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [1]، ومنه قول عائشة : «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن» [2].

الثاني : التفسير ، وهو اصطلاح بعض المفسرين كما يفعل الطبري.

الثالث : صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك[3].

وهذا الثالث هو موضع الخلاف بين ابن تيمية وخصومه إذ هم يرون التأويل بالمعنى الثالث لصرف معاني الصفات عن ظاهرها ، وهو لا يرى ذلك؛ ويحتج بأن هذا التأويل تحريف لصفات الله تعالى عن مراد الله بسبب الفهم الفاسد : وهو أن ذلك الظاهر لصفات الله يقتضي التشبيه ،

(١) الأعراف الآية: ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، برقم (٤٩٦٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٥٥ – ٥٦ ، ٤/ ٦٨ – ٦٩ ، ٥/ ٥٥ – ٦٦.

وهذا المحذور المزعوم المُقتضى لصرف ذلك الظاهر إلى معانٍ أخرى هو موجود فيما أثبتوه من معان، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، مع التحريف الموجود[(١)].

كما أن هذا لم يفعله السلف؛ بل هم لا يعرفون التأويل بهذا المعنى[(٢)].

فابن تيمية لم ينكر التأويل الموجود في القرآن وفي عُرف المفسرين، وإنما أنكر التحريف الذي سماه بعض المتأخرين تأويلاً لنفي صفات الله.

إن القارئ لكتب ابن تيمية ليعجب من دقة تفصيله واستدلالاته في قضية التأويل حتى قال بعض الدارسين المتعمقين في هذه القضية: «والحق أقول: لم أجد - فيما قرأت - أحداً عالج قضية التأويل بهذا المنطق الواضح قبل ابن تيمية، كما لم أجد إلى من تفطّن إلى ما في هذا اللفظ من إجمال ثم وضّح مجمله وبيّن مبهمه غير ابن تيمية ومن تأثر بمنهجه»[(٣)].

وللأسف أن تخرج هذه العبارة ممن يدعي التحقيق فينسب لابن تيمية

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٦٩.

(٣) ابن تيمية وقضية التأويل «دراسة لمنهج ابن تيمية في الإلهيات وموقفه من المتكلمين والفلاسفة والصوفية»، محمد السيد الجليند ١٣٤ - ١٣٥، نشر شركة عكاظ للتوزيع جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

إنكار التأويل دون تحقيق مذهبه في ذلك!

رابعها : فيما يتعلق بالإشكال الأخير الذي أورده ، فهو أمر منطقي إذ لا يمكن أن يتناسق رده المستمر على المشبه ونفيه التشبيه مع ما وصفه ابن بطوطة واستشهد به الكاتب ، والأَوْلى الاعتماد على مصنفات ابن تيمية ورد ما خالفها.

وأخيراً ذكر المستشرق أن ابن تيمية تلميذ لابن الجوزي وهذا غير صحيح ، ويكفي أن نعلم أن ابن الجوزي توفي – رحمه الله – سنة ٥٩٧هـ، بينما لم يُولد ابن تيمية إلا في سنة ٦٦١هـ.

المطلب الرابع : اتهامه بتحريم زيارة القبور :

جاء في الدائرة عنه : (وكان ابن تيمية عدواً لدوداً للبدع فقد هاجم التضرع للأولياء وزيارة القبور ، ومن جهة أخرى فإنه لم يحرم زيارة قبر المسلم متبعاً في ذلك رأي الشعبي وإبراهيم النخعي ، إلا إذا كانت هذه الزيارة تقام في يوم معين وتحتاج لرحلة خاصة)[١].

كما جاء أيضاً : (أنكر زيارة القبور وعدها بدعة)[٢].

كما جاء عنه : (أنكر التأويل ، وحرّم البدع كزيارة القبور والتوسل

---

(١) الدائرة ١/ ٢٣٣ ، ابن تيمية ، محمد بن شنب.

(٢) الدائرة ١٦/ ١٠٠ ، الحنابلة ، لاوست.

بالأولياء، وغير ذلك)[١].

قلت: لم يحرم ابن تيمية زيارة القبور، وإنما حرم شد الرحال إلى القبور كقبر النبي ﷺ وغيره استناداً إلى قول النبي ﷺ: (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد)[٢]، فإذا حُرم شد الرحل لأي مسجد سوى هذه الثلاثة كان شد الرحل محُرَّماً لأي قبر من باب أولى.

بل الإجماع منعقد على ما ذهب إليه -رحمه الله- إذ لم يؤثر عن القرون الأولى شد الرحل لأي قبر كان.

أما الزيارة الشرعية للقبور التي لا تتعلق بها محاذير كالشرك بالله، والتبرك بالقبور، واتخاذها عيداً؛ فإن شيخ الإسلام لم يحرمها، بل استحبها اقتداء بفعل النبي ﷺ، وهذه نصوص محكمة من كلامه:

- قال فيما يتعلق بالسفر إلى مسجد النبي ﷺ: «ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إن هذا السفر لا تُقصر فيه الصلاة، ولا نهى أحد عن السفر إلى مسجد؛ وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ؛ بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن

---

(١) الدائرة ٢/ ٣٦٨، أحمد بن حنبل، قولد زيهر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم (١١٨٩).

المشروع في زيارة سائر القبور؛ بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد ... وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة ﷺ فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أوْلى»[١].

ومؤلفاته ومعاصروه يشهدون بذلك ، قال ابن كثير في ترجمته مبرئاً له من افتراءات الخصوم : «والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ، ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك... ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢] [٣].

قال العلامة ابن عبدالهادي : «إن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ، ولم ينه عنها، ولم يكرهها ، بل استحبها وحض عليها ، ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وسائر القبور»[٤].

---

(١) الجواب الباهر في زوار المقابر ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ١٤ – ١٥ ، ويليه الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية ، تحقيق سليمان عبدالرحمن الصنيع وعبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، المطبعة السلفية ، الطبعة الأولى.

(٢) الشعراء الآية: ٢٢٧.

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٢٤.

(٤) الصارم المُنكي في الرد على ابن سبكي ، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي=

وللأسف الشديد أن المرجع الذي استقى منه بعض هذه المعلومات هو مؤلف لأحد خصوم ابن تيمية[١].

وفيما يتعلق بالتوسل بالأولياء : فإن ابن تيمية لم ينكر التوسل الشرعي، وهو التوسل بالإيمان والعمل الصالح ، وبدعاء النبي ﷺ وشفاعته لأمته عامة أو أفراد منها؛ بل ذكر ابن تيمية -رحمه الله- أن من أنكر هذا التوسل فهو كافر مرتد[٢].

وابن تيمية أنكر التوسل الشركي بقبر النبي ﷺ وقبور الصالحين كذلك كدعائهم وسؤالهم؛ لأنه شرك؛ بل هو من جنس شرك المشركين في الجاهلية ، وما يفعله أولئك لم يفعله الصحابة والسلف الصالح عند القبور ، بل كانوا يزورون القبور الزيارة الشرعية المتضمنة السلام على الميت والدعاء له ، لا مسألته[٣].

=المقدسي ٢٤ ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١) وهو الفتاوى لابن حجر الهيثمي ٨٧ ، انظر الدائرة ١/ ٢٣٣.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ١٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. ودعاء النبي ﷺ وشفاعته إنما يكون حال حياته وبعد مبعثه ﷺ ، ولم يشرع طلب شيء من ذلك منه وهو في قبره ، ولم يفعله أحد من صحابته -رضي الله عنهم-.

(٣) قاعدة جليلة لابن تيمية ٢٠ - ٢٣.

فكيف يُنكَر على ابن تيمية موافقته للقرآن والسنة وما تبع فيه سلف الأمة؛ بل الواجب الإنكار على من اتبع آثار المشركين في دعاء الأموات وطلب الشفاعة منهم، وقد كان المشركون الأولون يبررون دعاءهم لهم بما يشبه ما يبرره هؤلاء في الأولياء: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴾[1].

وبذلك يكون اتهامه بإنكار زيارة القبور وتحريم التوسل بالأولياء لم يستند على استقصاء لأقواله ومذهبه في هاتين المسألتين، ولم يُبنَ على تصور شرعي سليم.

المطلب الخامس: اتهامه بمخالفة الإجماع:

جاء في الدائرة: (وكان في هذه الفترة أيضاً ظهور تقي الدين ابن تيمية في بلاد الشام الذي أحدث ضجة كبيرة، فقد استأنف هذا الفقيه النضال في سبيل المذهب الحنبلي، فأنكر التأويل، وحرم البدع كزيارة القبور والتوسل بالأولياء، وغير ذلك، وكان نضاله هذا ضد المذاهب التي سادت طويلاً قبل ذلك، ولكنه خرج بعمله هذا على مقتضيات الإجماع عند أهل السنة فاضطهد وخسر المذهب الحنبلي بسقوطه خسارة عظمى)[2].

---

(١) الزمر الآية: ٣.

(٢) الدائرة ٢/ ٣٦٧، أحمد بن حنبل، لاوست.

كما نسب لابن تيمية أيضاً : (ليس من الزندقة أو المروق أن ترى رأياً مخالفاً للإجماع)[١].

قلت : ابن تيمية وإن كان منتسباً إلى المذهب الحنبلي إلا أنه مجتهد ولا يلتزم بالمذهب إذا رأى أن الدليل مع غيره.

والمسائل التي دافع عنها ابن تيمية لا تخص المذهب ، بل دافع عن عقيدة السلف الصالح جميعاً ، ونضال الشيخ لم يكن في مسائل فقهية فحسب ، بل الأغلب كان مضاداً للفلسفات والشركيات والبدع التي سادت باسم الدين ، مع أنها نشأت بتأثيرات خارجية ، فعمل ابن تيمية – رحمه الله – على تصفية الدين منها ، وذلك سبيل المجددين.

وفيما يتعلق بالإجماع فلم يخرج ابن تيمية عنه ، ولا يجوز نقل كلام الخصوم بالتسليم إذ ليس هذا مقتضى الإنصاف ، دون العودة إلى مصنفاته المنتشرة الواضحة.

وقد تبين عدم مخالفته للإجماع في المطالب السابقة.

وابن تيمية مجتهد حسب الدليل ، واجتهاده هو من الاجتهاد السائغ ،

---

(١) الدائرة ١/ ٢٣٤ ، ابن تيمية ، محمد بن شنب.

قال العلامة العيني في الذب عنه : «سارت تصانيفه في الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق ، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق[١] إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالتين مأجور مُثاب ، وليس فيه شيء مما يُلام أو يُعاب ، ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر ، وكيدهم الباهر»[٢].

وقد قرر ابن تيمية - رحمه الله - أهمية الإجماع في نصوص كثيرة، منها قوله : «والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين»[٣].

وقوله : «الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة ، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة ، ولكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة ، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً ، ولهذا اختلف أهل العلم فيما يُذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة»[٤].

---

(١) وهاتان المسألتان من أكثر المسائل التي يشنع عليه خصومه بسببها ويتهمونه بمخالفة الإجماع.

(٢) الرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٥٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٤١.

فشيخ الإسلام ابن تيمية لا ينكر الإجماع، كيف ذلك وما لا يُحصى من استدلالاته تكون بالإجماع[١].

ولكنه أيضاً يعلن بكل صراحة أنه يجب التثبت من وقوع الإجماع، وأنه يصعب ضبطه في الأزمنة المتأخرة، قال -رحمه الله- : «والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثُر الاختلاف وانتشرت الأمة»[٢].

وهذا ليس خاصاً به، فالإمام أحمد كان يحذر من التساهل في نقل الإجماع، وله مقولته المشهورة: «من ادعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا» ومن المعلوم أن الإمام أحمد لا ينكر الإجماع وإنما ينكر تساهل أهل البدع في دعواه لذا نجده يقول: «هذه دعوى بشر المريسي والأصم»[٣].

المطلب السادس: اتهامه بالتشدد:

جاء في الدائرة: (... وبلغ الأمر ببعضهم أن قال بوجوب الاجتهاد على الفقهاء المتأخرين وذموا التقليد مثل داود بن علي وابن حزم،

(١) في مجلد واحد من الفتاوى وفي أقل من أربعين صفحة احتج به خمس مرات، انظر ٣٥/ ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٧.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٣٠.

وغيرهما من ثقات الظاهرية ، وبعض الحنابلة مثل ابن تيمية وابن قيم الجوزية اللذين كانا من متشددي أهل السنة)[١].

كما جاء عن ابن تيمية وابن القيم : (وقد اشتهر كلاهما بصرامة عقائده، وبشدة وطأته على من يعتقد غير معتقدهما)[٢].

قلت : لم يكونا - رحمهما الله - متشددَيْن التشدد المذموم ، حيث لم يكن دافعهما التشدد على من خالفهما ، وإنما من خالف القرآن والسنة ، حيث كانا شديدَيْن في دين الله حريصَيْن على استقامة دينه ، وبيان الحق فيه.

وكان ابن تيمية يرد على من خالف الكتاب والسنة مبيناً أوجه الخلاف، ومشدداً على أهمية الالتزام بأحكام الإسلام واتباع السلف الصالح ، كما يتشدد مع من يعارض الكتاب والسنة بمنهج آخر كالقياس الفاسد ، أو النقل الكاذب ، أو الخطاب الشيطاني ، أو الذوق ، وتحريف النصوص لأجل ذلك[٣].

كما كان شديداً في تحقيق العبودية لله وحده لذا سار على منهج

---

(١) الدائرة ٩/ ٤٧٦ ، التقليد ، شاخت.

(٢) الدائرة ٢/ ٣٦٩ ، أحمد بن حنبل ، لاوست.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٧٦ - ١٠٢ ، ١٩/ ٧١ - ٧٥.

السلف في وجوب الالتزام بالكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وبتحريم صرف أي عبودية لغير الله ، ومن ذلك شرك الاستغاثة بأهل القبور ، وما يتقدم ذلك من محدثات لم تأت في السنة ، وهذا لا شك من التشدد المحمود.

ولأجل تشدده في الكتاب والسنة جعل الأصل هو طاعة الله ورسوله والاجتهاد في إصابة ذلك ، وتحريمه للتقليد لمن استطاع الاجتهاد ، أو لمن يعلم أنه بتقليده لأحد الأئمة يخالف نصاً شرعياً ، إذ لو سُمح بذلك لبقي كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي ﷺ في أمته وهذا تبديل للدين ، ويحتج ابن تيمية على ذلك بأنه مشابه لما عابه الله على النصارى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾[1] ، ولكن ابن تيمية مع كل ذلك لا يوجب الاجتهاد على من لا يقدر عليه عملاً بقول الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ...﴾[2] [3].

فقوله في هذه المسألة وسط فهو ينكر على الموجبين للاجتهاد في كل حال ، وكذا على موجبي التقليد على كل أحد ، فعند حديثه عن بعض

(١) التوبة الآية: ٣١.

(٢) التغابن الآية: ١٦.

(٣) انظر ذلك في مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢١٠ - ٢١٦.

الفقهاء الموجبين للنظر والاستدلال في مسائل الفروع على كل أحد ، يقول : «وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان طلبُها – الأحكام- واجباً على الأعيان فإنما يجب مع القدرة ، والقدرة على معرفتها من الأدلة المفصلة تتعذر أو تتعسر على أكثر العامة.

وبإزائهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على جميع من بعد الأئمة : علمائهم وعوامهم»[(١)].

فهو يتشدد في عدم مخالفة النصوص مع العلم بها لأجل التقليد ، أو لمن قدر على الاجتهاد؛ لأن هذا من تمام طاعة الله ورسوله ﷺ.

أما إذا نظرنا إلى أحواله وآرائه ، فإننا نجد أن فتاواه لا توصف بالتشدد، بل إنه أقرب إلى التسامح ، والأخذ برخص الإسلام فيما أحله الله ، ومن أمثلة ذلك :

- أنه أبعد ما يكون عن التفسيق والتكفير للمعين إذا صدر منهم ما يوجب ذلك إلا بعد العلم أنه قد قامت عليه الحجة[(٢)].

- ترغيبه في التوبة وجعلها مسقطة لما قبلها حتى للمسلم المتأول ، حيث قال : «فالتوبة تجبُّ ما قبلها ، والمسلم المتأول معذور ، ومعه

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٠٢ – ٢٠٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

الإسلام الذي تُغفر مع الخطايا ، والتوبة التي تجبُّ ما قبلها ، وفي إيجاب القضاء وإسقاط الحقوق وإقامة العقوبات تنفير عن التوبة ، والرجوع إلى الحق أكثر من التنفير بذلك للكافر ، فإن أعلام الإسلام ودلالته أعظم من أعلام هذه الفروع وأدلتها ، والداعي إلى الإسلام من سلطان الحجة والقدرة قد يكون أعظم من الداعي إلى هذه الفروع وهذا لا شبهة فيه عندي ، وإن كان فيه نزاع»[١].

وفي قوله السابق دليل على تسامحه واهتمامه بأصول الإسلام وتيسيره في فروعه.

ومن فتاواه الدالة على تسامحه :

- لا يَنْجُسُ الماء إلا بالتغير خلافاً لأكثر الفقهاء الذين يجعلون الماء ينجُس إذا كان قليلاً ، وأصابته نجاسة[٢].

- أنه يأخذ بأيسر المذاهب في مسائل إعادة الصلاة أو قضاء الفوائت[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ١٥ – ١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/ ٥٥٠ – ٥٠١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٩٨ – ١٠٨.

- لا يشترط الطهارة في الطواف[١].

- الأصل في العقود الإباحة مخالفاً لجمهور الفقهاء[٢].

- عدم اشتراط عبارات بعينها في البيع بل يكفي المعاطاة، أو ما يدل على التراضي خلافاً لبعض المذاهب[٣].

- وكذا في الخلع والنكاح فإنه لا يوجب صيغة محددة، وإنما يكفي ما يدل عليه خلافاً لجمهور الفقهاء[٤].

- كما أنه لا ينفذ طلاق الثلاث بكلمة واحدة خلافاً للجمهور[٥].

نعم هو يتشدد في الرضا في سائر العقود، وإن كان ظاهرها مستوفياً للشروط[٦]، ويتشدد أيضاً في وجوب الوفاء بالشروط والعهود والمواثيق، وبأداء الأمانة[٧]، وكذا في وجوب إعانة الناس بعضهم لبعض[٨].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٩٨.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣/ ٢٧٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢١/ ٥-٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٢١/ ٩-١١.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٣١١-٣١٣.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٩/ ١٥٥، ١٨٨، ١٩٦.

(٧) مجموع الفتاوى ٢٩/ ١٤٥-١٤٦.

(٨) مجموع الفتاوى ٢٩/ ١٩٤.

وهذا كله من التشدد المحمود المراعي لأصول الشريعة الإسلامية.

ومما يدل على تسامحه عفوه قبل موته عن السلطان الذي حبسه لكونه مقلداً معذوراً، بل عفا وتجاوز عن سائر خصومه بشرط ألا يكون عدواً لله ورسوله فقال: «قد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه، إلا من كان عدواً لله ورسوله»[١].

المطلب السابع: اتهامه بالهوى:

جاء في الدائرة: (وقد قال ابن تيمية في الباقلاني: «إنه خير متكلمي الأشاعرة لا يدانيه سابق ولا لاحق»[٢]، ولكن هذا المديح ليس خالصاً من الهوى)[٣].

قلت: إنها دعوى من غير دليل، فأين الهوى في ذلك؟

بل إن هذه العبارة وأمثالها قد عدت من انصافاته للأشاعرة الذين ينتقدهم في كثير من المسائل، وابن تيمية امتدح الباقلاني كثيراً في ردوده

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، الحافظ عمر بن علي البزار ٨٢، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

(٢) هذه العبارة موجودة في الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ٥٦، وهي في مجموع الفتاوى ٥/ ٩٨، ونصها: «وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم، وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده».

(٣) الدائرة ٦/ ١٠٦، الباقلاني، مكارثي.

على الباطنية ، ومواقفه العظيمة من النصارى[١] ومدحه لهذه الأسباب هو موقف منهجي يحتمه عليه تمسكه بالإسلام ، لا بأهواء شخصية.

وتزكية الباقلاني[٢] لم ينفرد بها ابن تيمية بل سائر العلماء والمؤرخين ذكروا فضله وعلمه ، ومن ذلك :

ما ذكره أبو الوليد الباجي معللاً طلبه العلم من الباقلاني قال : «كنت ماشياً مع الدارقطني فلقينا القاضي أبا بكر فالتزمه الدارقطني وقبّل وجهه وعينيه ، فلما افترقا قلت : من هذا؟ قال : هذا إمام المسلمين ، والذاب عن الدين أبو بكر بن الطيب ، قال الباجي : فمن ذلك الوقت ترددت عليه»[٣].

وقال الخطيب البغدادي[٤] عن الباقلاني – وهو أقرب المؤرخين إليه-: «فأما الكلام فكان أعرف الناس به ، وأحسنهم خاطراً ، وأجودهم

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن بن صالح المحمود ٢/ ٧١٥ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م «رسالة دكتوراه».

(٢) محمد بن الطيب الباقلاني ٣٣٨ – ٤٠٣ من كبار علماء الكلام والأشاعرة ، أصولي فقيه انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشافعي ، كان ذكياً جيد الاستنباط سريع البديهة فلج ملك الروم في مناظرة مشهورة معه. (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ١٧٦)

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١١٠٤.

(٤) حيث توفي سنة ٤٦٣هـ انظر ترجمته صـ ٧٠٣.

لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم»[١].

وقال ابن خلدون: «وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه ابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار»[٢].

وقال ابن كثير: «محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام... ، وقد كان في غاية الفطنة والذكاء» وذكر من قصصه مع ملك الروم ما يؤيد ذلك[٣].

وابن تيمية مدح الباقلاني، وانتقد بعض آرائه حيث نسب التناقض لبعض كلام الباقلاني فيما يتعلق بالصفات[٤]، ولو كان باعثه الهوى لما فعل ذلك.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ٥/ ٣٧٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٦٥.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٣٥٠.

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/ ٢٣٨.

ومثل هذه الدعوى تحقق لهذا المستشرق صيدين في آن واحد هما : التعريض بالباقلاني الذي رد على النصارى وأهل البدع خاصة الجهمية والمعتزلة اللتين من عادة كتاب الدائرة الانتصار لهما ، والحط من ابن تيمية ووصمه بالهوى ، وقد تبين مكانه الباقلاني ، وأن كلام ابن تيمية ومدحه له لم ينفرد به بل أعطاه المكانة الحقيقية الذي وافقه عليها العلماء والمؤرخين.

وقد كان ابن تيمية أبعد ما يكون عن الهوى حتى في تلك المسائل التي يختلف فيها مع خصومه. قال ابن حجر العسقلاني عن ابن تيمية : «والمسائل التي أُنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ، ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً»(١).

المطلب الثامن : اتهامه بالسقوط :

جاء في الدائرة : (وكان في هذه الفترة أيضاً ظهور تقي الدين ابن تيمية في بلاد الشام الذي أحدث ضجة كبيرة ، وحرم البدع كزيارة القبور والتوسل بالأولياء ، وغير ذلك ، وكان نضاله هذا ضد المذاهب التي سادت طويلاً قبل ذلك ، ولكنه خرج بعمله هذا على مقتضيات الإجماع عند أهل السنة فاضطهد وخسر المذهب الحنبلي بسقوطه خسارة عظمى)(٢).

---

(١) الرد الوافر ، تقريض ابن حجر ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) الدائرة ٢/ ٣٦٨ ، أحمد بن حنبل ، لاوست.

قلت : ابن تيمية لم يسقط ، وليس السقوط بالاضطهاد أو السجن ، وإنما السقوط بضعف الحجة والبرهان ، وخصومه لم يقدروا عليه في ميدان الحجج فلم يجدوا سوى ذلك ، وأما العلو فهو علو الحق المؤيد بقوة الحجة والبرهان.

قال البزار عن شدة عداوة خصومه له وظهور حجته : «وهو مع ذلك كلّما رأى تحاشدهم في مباينته ، وتعاضدهم في مناقضته ، لا يزداد للحق إلا انتصاراً ، ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهاراً ، ولقد سجن أزماناً وأعصاراً وسنين وشهوراً ، ولم يولهم دبره ، فراراً ، ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً ، وأوسعوا حيلهم عليه إسراراً وإعلاناً ، فجعل الله حفظه منهم له شعاراً ودثاراً ، ولقد ظنوا أن حبسه مشينه ، فجعله الله له فضيلة وزينة ، وظهر له يوم موته – من كثرة مشيعيه و محبيه – ما لو رآه وادُّه أقر به عينيه»[1].

والسجن مع الثبات منقبة عظيمة. قال الصديق يوسف –عليه السلام– :

﴿...رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[2].

---

(١) الأعلام العلية للبزار ٧٦.

(٢) يوسف الآية: ٣٣.

ولمّا عجز فرعون عن محاجة موسى قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[١].

وأئمة المذاهب اضطُهدوا فهذا الإمام أبو حنيفة ضُرب أكثر من مائة سوط في عهد مروان بن محمد ،والإمام مالكٌ ضُرِبَ سبعين سوطاً في خلافة المنصور ، وفتنة الإمام أحمد معلومة ، وأكبر تلاميذ الإمام الشافعي البويطي الذي كان الشافعي يقول عنه : «هو لساني» حمُل إلى بغداد أيام الواثق مغلولاً ، كما نُفي البخاري، وضُرب النسائي[٢].

ولو صح الاستدلال بالاضطهاد على السقوط لكان للوثنيين واليهود ممن لا يؤمن بعيسى بن مريم أن يستدل على ما حصل له ، ومن مطاردة لأتباعه على سقوطه حاشاه الله من ذلك!

وإذا كان للنجاح دلالات وشواهد مع حسن السيرة وسلامة المعتقد فإن من ذلك إقبال الناس على الصلاة عليه وتشييع جنازته والدعاء له ،

(١) الشعراء الآية: ٢٩.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ، أبو المعالي محمود شكري الألوسي ١/ ٤٢ – ٤٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

وقد حضر جنازته من الأمم التي شيعته ، حتى امتلأ الجامع أكثر من يوم الجمعة وصلى الناس بالخارج(١) .

قال ابن حجر العسقلاني : «ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخ : «أنه لم يُوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لمّا مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين»(٢) .

إن السقوط هو ظهور الكذب والافتراء وعدم الاستفادة من العلم ، وقد ظهر ابن تيمية وسطعت حجته ، وبارك الله في كتبه ، وعُرف وجُهِل خصومه.

ويثبت الواقع التاريخي أن شيخ الإسلام ابن تيمية يكاد يكون أكثر شخصية أثرت في الفكر السني من حيث التنظير والرد على الخصوم بعد القرون الثلاثة الأولى ، وها نحن نرى أثره بعد قرابة سبعة قرون من وفاته، فأين السقوط؟

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٩٧ ، والرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٩، وانظر تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٩٦ وقد ذكر أن من حضر جنازة الشيخ قرابة مائتي ألف.

(٢) الرد الوافر لابن ناصرالدين الدمشقي ٢٢٩.

المطلب التاسع : اتهامه بالطعن في رجال الإسلام :

جاء في الدائرة في ذم ابن تيمية : (وطعن كذلك على الرجال الذي يعدون حجة في الإسلام ، فقال في منبر جامع الصالحية : إن عمر بن الخطاب وقع في كثير من الأخطاء ، وقال أيضاً : إن علي بن أبي طالب أخطأ ثلاثمائة مرة ، وهاجم الغزالي بشدة ، كما هاجم محيي الدين بن عربي ، وعمر بن الفارض ، والصوفية بوجه عام)[١].

قلت : الحجة في الإسلام هي كتاب الله تعالى وما صح في السنة الشريفة ، ويقتدي بالصحابة -رضي الله عنهم- الذين عدّلهم القرآن ، لاسيما الخلفاء الأربعة الذين أمرنا النبي ﷺ بالاقتداء بسنتهم بقوله : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)[٢].خاصة أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – لقول النبي ﷺ : (وإن يطع الناس أبو بكر وعمر يرشدوا) قالها ثلاثاً[٣].

أما ما يتعلق بما زعمه من مقالة لابن تيمية في حق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما- فليس بصحيح ، فلم يصدر عنه

---

(١) الدائرة ١/ ٢٣٤ ، ابن تيمية ، محمد بن شنب.

(٢) رواه أحمد ٤/ ١٢٦ وأخرجه أبوداود في أول كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة، واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٠.

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٩٨.

ذلك القول ، والكاتب مطالب بالمصدر ، وكتب الشيخ مشتهرة معروفة ، وليس فيها ذلك.

وعمر وعلي من خيرة الصحابة ، وقد تقدم بعض فضائلهما ، وهما مع ذلك غير معصومين عن الخطأ؛ ولكن فضائلهما مشتهرة ، ومناقبهما معروفة ، وما صدر منهما من أخطاء على ندرتها هي من باب الخطأ في الاجتهاد الذي يؤجر عليه المخطئ.

وكل من كان له أدنى خبرة بما كتبه ابن تيمية يعلم خلاف ما كتبه الكاتب عنه؛ حيث نجد توقيره للصحابة عموماً -رضي الله عنهم- لاسيما الخلفاء الأربعة ، وكلام ابن تيمية في مدح عمر وعلي -رضي الله عنهما- والدفاع عنهما كثير جداً من الصعوبة سرده ، ولكن من ذلك :

قال -رحمه الله- : «أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ الزهد الشرعي أبو بكر وعمر»[1].

وقال : «أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر»[2].

وقال أيضاً : «إن عدْل عمر -رضي الله عنه- ملأ الآفاق وصار يضرب به المثل» ثم أخذ يضرب الأمثلة الكثيرة على فضله وعدله وصحة رأيه وموافقته

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/ ٤٧٩.

(٢) منهاج السنة النبوية ٧/ ٥٠٠.

للقرآن وتزكية العلماء له[١].

وقال أيضاً: «ثم استُخلِف عمر فقهر الكفار من المجوس، وأهل الكتاب، وأعز الإسلام، ومصّر الأمصار، وفرض العطاء، ووضع الديوان، ونشر العدل وأقام السنة، وظهر الإسلام في أيامه ظهوراً بان به تصديق قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٣]، وقول النبي ﷺ: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) فكان عمر -رضي الله عنه- هو الذي أنفق كنوزهما. فعُلم أنه أنفقها في سبيل الله، وأنه كان خليفة راشداً مهدياً»[٤].

كما قال: «وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم-: هم الخلفاء

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦/ ٥١.

(٢) الفتح الآية: ٢٨.

(٣) النور الآية: ٥٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

الراشدون ، والأئمة المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ...) وقد تنازع كثير من الناس في خلافة علي.. والصحيح الذي عليه الأئمة : أن علياً -رضي الله عنه- من الخلفاء الراشدين»[١].

وقال أيضاً : «فلما قتل -أي عثمان رضي الله عنه- تفرقت القلوب ، وعظمت الكروب ، وظهرت الأشرار ، وذل الأخيار ، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها ، وعجز عن الخير من كان يحب إقامته ، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ ، وأفضل من بقي»[٢].

فهذه جملة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تبين كذب ما ذكره الكاتب عنه.

ومن تلبيسات المستشرق حشر الخليفتَين الراشدَين عمر وعلي -رضي الله عنهما- مع ابن الفارض وابن عربي وجعل الجميع حجة في الإسلام.

وأما الصوفية فالشيخ انتقدها في مخالفتها السنة ، وما جاءت به من بدع محُدَثة ، وهذا موقف أهل السنة عموماً من المبتدعة ، وقد انتقد ابن تيمية الصوفية ، انتقاد العارف البصير وميّز بين الأخطاء البسيطة والبدع

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

العظيمة التي يصل بعضها إلى الشرك بالله، مميِّزاً بين ما يعذر، وما لا يعذر من تلك الأخطاء، وكانت ردوده ردوداً علمية مبنية على أسس من الكتاب والسنة حيث سلك ابن تيمية العدل معهم، فلم يذم إلا من خرج عن السنة، منتقداً البدع التي أحدثوها، مع الاتزان في ذلك.

قال ابن تيمية بعد ذكره لأقوال بعض العلماء في التصوف بين مغال في المدح ومغال في الذم: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعة، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند أكثر المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج فإن أكثر مشائخ الطريقة أنكروه، وأخرجوه عن الطريق مثل محمد الجنيد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد»[١].

أما الغزالي فلم يكن مراد ابن تيمية التنقص منه، وإنما التنبيه على

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ١٨.

أخطائه في كتبه كإحياء علوم الدين[١] وإلجام العوام عن علم الكلام[٢] والمضنون به على غير أهله[٣] وغيرها ، وما عمله إنما هو بيان للحق ، لا لمجرد الهجوم أو التنقص ، ولم يفتر عليه شيء البتة ، وإنما بيّن تأثره بالفلاسفة والباطنية ، ونقص بضاعته في الحديث ، وهذا معلوم لمن تدبر كتب الغزالي ، وهو مع كل هذا له من التصانيف النافعة التي لا تنكر.

وهو مدح الغزالي في مواضع من كتبه فيما أصاب فيه كطعنه - رحمه الله - لطريقة الفلاسفة في إثبات وجود الله عز وجل ، ونفيهم لصفاته سبحانه[٤].

كما أن ذمه لإحياء علوم الدين لم يكن خالصاً ، وإنما كانت من قبيل التقييم فنجده يقول عنه : «وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة. وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُردّ منه ، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه»[٥] ،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٥١ - ٥٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ٦٣.

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨/ ١٥٥ - ١٥٦.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٥٢.

وقال عنه : «وكلامه في الإحياء غالبه جيد ، لكن فيه مواد فاسدة : مادة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة من ترهات الصوفية ، ومادة من الأحاديث الموضوعة»[١].

فليست المسألة عداءً شخصياً أو حقداً نفسياً ، كما هو ملاحظ في كثير ممن تكلموا عن ابن تيمية فأنكروا فضائله ، وإنما بيان الحق في موضعه ، والتحذير من مخالفة الكتاب والسنة بغض النظر عن الأشخاص.

كما أن ابن تيمية لم ينفرد بذكر أخطاء الصوفية والغزالي؛ فهذا ابن الجوزي انتقد أخطاء الصوفية في أغلب كتابه تلبيس إبليس[٢] ، كما عقد لذلك فصلاً كاملاً من كتابه صيد الخاطر[٣].

ونجد أبا بكر الطرطوشي[٤] قال : «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه ، ثم

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٥.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٦٠ – ٣٨٦.

(٣) صيد الخاطر ، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ١٠٥ – ١٠٧ ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، دطت.

(٤) محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي ٤٥١ – ٥٢٠ شيخ المالكية ، كان إماماً زاهداً ديناً متواضعاً. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٤٩٠ – ٤٩٦).

شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا»[١].

وكذا الإمام المازري[٢] الذي ألف كتاباً سماه: «الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء»[٣].

والقاضي عياض أمر بإحراق الإحياء[٤].

كما انتقده أبو الفرج بن الجوزي[٥] وقال: «قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٤٩٥.

(٢) محمد بن علي التميمي المازري ٤٥٣ - ٥٣٦هـ محدث متكلم من فقهاء المالكية، شرح صحيح مسلم، وله كتب في الفقه، وكان بصيراً بالطب. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ١٠٤ - ١٠٧)

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٣٠.

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان خيرالدين الألوسي ١١٩، دار الكتب العلمية بيروت، دط.

(٥) عبدالرحمن بن علي الجوزي البغدادي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق، أحد أفراد العلماء في العلم والوعظ والفصاحة والبيان والتاريخ والتفسير والحديث صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، يحضر مجالس وعظه الجموع الكثيرة والملوك والأمراء والوزراء، ووضع له القبول في الأرض توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٨ - ٣٠)

(٦) جلاء العينين ١٢٠، وقد أحال إليه في بيان مفاسد الصوفية والمخالفين للشرع في صيد الخاطر ١٣٨، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

وقال أيضاً : «جاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم ، وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه»[١] .

كما أنكر أبو عمرو بن الصلاح[٢] على الغزالي الأحاديث الباطلة في الإحياء وغيرها[٣] .

والذهبي مع مدحه للغزالي أشار إلى الأحاديث الباطلة في الإحياء ، والفلسفة المخالفة للشريعة في كتبه[٤] .

وهذا السبكي[٥] يفرد أكثر من ثلاثين صفحة في انتقاد إحياء علوم

---

(١) تلبيس إبليس ، أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي ١٦٦ ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٦٨هـ.

(٢) عثمان بن عبدالرحمن الشهروزي ٥٥٧ – ٦٤٣ أحد أئمة التفسير والحديث والفقه والرجال درّس بالقدس ودمشق قال الذهبي عنه : «كان ذا جلالة عجيبة ، ووقار وهيبة، وفصاحة ، وعلم نافع ، وكان متين الديانة ، سلفي الجملة ، صحيح النحلة..». (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠ – ١٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٥) عبدالوهاب بن علي السبكي ٧٢٧ – ٧٧١هـ قاضي القضاة والمؤرخ المشهور الخبير بالرجال ، ولد بالقاهرة وعاش بالشام ، صاحب الكتاب المشهور «طبقات الشافعية الكبرى». (انظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٨٤).

علوم الدين بإيراد مئات الأحاديث في الإحياء ليس لها أسانيد[(١)].

فالغزالي رحمه الله تعالى له من الفضل والعلوم النافعة وانتقاده في بعض المسائل أو بيان ما في الإحياء من الأخطاء لا يعيب ابن تيمية كما أن مخالفة ابن تيمية في بعض المسائل أو انتقاد بعض كتبه بالحجة والاجتهاد من أهل العلم لا شيء فيه بل هو دأب العلماء.

وإنما المحذور الافتراء والازدراء بأهل العلم.

أما ابن عربي[(٢)] وابن الفارض[(٣)] فهما ليسا من علماء الإسلام، فضلاً أن يكونا حجة في الإسلام؛ بل هما في أحسن أحوالهما منحرفين مفسدين للعقيدة الإسلامية، وسيأتي الحديث في الفصل القادم[(٤)] عن

---

(١) طبقات الشافعية، عبدالوهاب بن علي السبكي ٤/ ١٤٥ – ١٨٢، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية دت.

(٢) محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي ٥٦٠ –٦٣٨هـ فيلسوف من أئمة المتكلمين القائلين بوحدة الوجود تزهد وعمل الخلوات وله التصانيف العديدة منها الفصوص قال الذهبي: «فإن لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر». (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ –٤٩).

(٣) عمر بن علي بن مرشد حموي الأصل مصري المولد والوفاة فيلسوف شاعر متصوف عاشق قائل بوحدة الوجود له تائيته المشهورة (نظم السلوك) مات سنة ٦٣٢هـ. (انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣)

(٤) انظر صـ ١٠٨٥– ١٠٩١ .

مخالفتهما للعقيدة الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان إنكار علماء الإسلام لهما؛ وليس ابن تيمية فحسب.

وكلام ابن تيمية فيهما واضح، وهو إنكاره عليهما مقولتهما في وحدة الوجود لمخالفتها صريح الكتاب والسنة، ومخالفتهما فيها أهل السنة قاطبة والأشاعرة والمعتزلة، بل حتى أهل الملل الأخرى[١].

ولم يكن مراد ابن تيمية أمراً شخصياً؛ وإنما بيان الحق، لذا نجده يبين أصول مذاهبهم واختلاف طرقهم، مقسماً القائلين بالوحدة إلى أربعة أقسام مبيناً فيما يجتمعون عليه، وفيما يفترقون فيه، ومدى مخالفة كل منهم للإسلام بل حتى لليهود والنصارى[٢].

كما ينتقد ابن عربي في تفضيله خاتم الأولياء على الأنبياء[٣].

وهو مع هذا ينصفه عند الحديث عن مقالات الاتحاديين بقوله: «المقالة الأولى: مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم: وهي مع كونها كفراً فهي أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٩٠، ٣/ ٣٦٥، مجموع الفتاوى ٢/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٧.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٩.

تارة أخرى ، والله أعلم بما مات عليه ، فإن مقالته مبنية على أصلين..»[1].

فلم يكن – رحمه الله- متسرعاً في الحكم ، أو متكلماً بغير عمل ، ولم يقصد الأشخاص بقدر ما كان منتقداً انتقاد الخبير للعقائد التي يحملها أولئك الأشخاص.

وكان مع تقويمه للأخطاء من أحرص الناس على علماء الإسلام ورجاله؛ فضلاً أن يطعن في أحد منهم ، وقد قال –رحمه الله- : «ليس لأحد أن يتبع زلات العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم به أهل؛ فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا..»[2].

بل إنه ألف كتاباً سماه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». جمع فيها أعذار العلماء في مخالفتهم لبعض النصوص ، إما لعدم وصولها إليهم ، أو لاعتقاد عدم دلالة النص على تلك المسألة ، أو اعتقاد أن ذلك الحكم منسوخ ، وحشد الأمثلة المؤيدة لذلك من الصحابة والسلف الصالح[3].

وكان يتحرى العدل في أحكامه ، فها هو ذا يتحدث عن بعض

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٤/ ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٣٩.

(٣) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية رسالة في ستين صفحة وهي موجودة في مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٣١ – ٢٩٣.

المخالفين للسنة في مواضع كأبي ذر الهروي والباقلاني والقاضي أبي بكر ابن العربي وأبي الوليد الباجي ، فيقول : «ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لمّا التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة ، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه ، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين ، وصار الناس بسبب ذلك : منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل ، ومنهم من يذمهم؛ لما وقع في كلامهم من البدع والباطل ، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء ، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين.

ومن اتبع هواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده ، وهو من البدع المخالفة للسنة ، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو وأصحابه ، فقل من يسلم من ذلك من المتأخرين ، لكثرة الاشتباه والاضطراب»[1].

* * *

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٠٢ - ١٠٣.

المبحث الرابع

الطعن في دعوة محمد بن عبدالوهاب [١]

المطلب الأول : نظرة عامة لما في الدائرة :

جاء ذم محمد بن عبدالوهاب[٢] وأتباعه في مواضع كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية ووُصِفوا بالأوصاف الشنيعة ، وافتُرِيَ عليهم ما لم يقولوا به ، وصُدّق كلام خصومهم فيهم ، حيث تزعم الدائرة أنهم

---

(١) هذا المبحث نشر كدراسة مستقلة نشرت في مجلة البحوث الإسلامية التابعة لدار الإفتاء بالسعودية العدد ٦١ رجب ١٤٢١هـ.

(٢) الإمام محمد بن عبدالوهاب ١١١٥ - ١٢٠٦هـ صاحب الدعوة الإصلاحية في نجد «الوهابية»ولد في بيت علم ودين في بلدة العيينة حيث كان والده قاضي العيينة ، وكان الشيخ قوي الذهن فحفظ القرآن وهو صغير ، ثم درس الفقه الحنبلي ، ثم رحل في طلب العلم في الحجاز والعراق ، وعاد إلى نجد سنة ١١٣٩هـ ، وكان حريصاً على إصلاح الأوضاع في نجد بعد ان انتشرت الخرافات وعُبدت القبور ، وكان له ما أراد بعد أن وقف بجانبه محمد بن سعود أمير الدرعية وأبناؤه ، حتى اتسعت الدعوة والدولة لتشمل نجد وغالب الجزيرة العربية ، بل تأثر بها كثير من المصلحين في العالم الإسلامي. (انظر عامة الكتب التي ألفت عن الشيخ ، ومنها : «عنوان المجد في تاريخ نجد» ، عثمان بن بشر النجدي ١/ ١١٣ ، طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤هـ، «الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية» ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، طبع ونشر الحكومة السعودية ١٣٩٥هـ ، و« محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» ، مسعود الندوي ، طبع ونشر جامعة الإمام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. وغيرها).

يُكفّرون ما سواهم من المسلمين ، وأنهم مشبهة في الصفات ، ولا يعترفون بالقياس والإجماع ، وأنهم متطرفون بل هم أشد المسلمين تعصباً وتزمتاً ، ويحرمون زيارة القبور ويعدونها بدعة ، ويهاجمون أشد الأماكن قداسة عند أهل السنة والشيعة ، كما أن لهم دوراً كبيراً في القرصنة في البحر والسلب في البر ، كما كانت تجارة الرقيق بسببهم مزدهرة ، وهم ينكرون التقليد!.

وهذه طائفة من النقول من الدائرة الدالة على ذلك :

عند الحديث عن مصادر التشريع الأربعة : (ومهما يكن من شيء فإن المذاهب الأربعة قد تخلت عن هذه [الاكتفاء بالقرآن والسنة وحدهما] وأخذ الإجماع والقياس مكانهما بين أصول الفقه. وهذه الأصول الأربعة لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية فضلاً عن الشيعة)[١].

وجاء أيضاً : (وكانت زيارة قبور الأولياء من البدع التي حاربها محمد ابن عبدالوهاب)[٢].

كما جاء عن قبائل الدواسر : (وهم يعيشون حيثما تيسر لهم على السلب ، ويقال إنهم أكثر الوهابيين تعصباً وخطورة)[٣].

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٥ ، السنة ، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٧٣ ، زيارة ، فنسنك.

(٣) الدائرة الأولى ٩/ ٣٠٦ ، دواسر ، فاير.

وجاء أيضاً : (ولما كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية يأخذون بما يقوله الغزالي في أمر العقائد الإسلامية ، ويقدرونه تقديراً كبيراً فيحسن أن نرجع إلى الرسالة القدسية التي كتبها في بيت المقدس)[١].

وجاء أيضاً : (وكذلك يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون ، وأن سائر المسلمين مشركون وأنهم هم أنفسهم المكلفون بإحياء السنة ، وهم يرون أن السنة القديمة وشخصية النبي وجوهر الإسلام تبعاً لذلك قد شوهت بسبب تقديس الأولياء ، وهم من أجل ذلك يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة عند أهل السنة وعند الشيعة؛ لأن هذه الأماكن تعتبر في نظرهم معاقل لعبادة الأوثان)[٢].

وجاء : (وزار بورخارت هذا المكان – بقيع الغرقد – بعد غزو الوهابيين فوجد أنه أصبح أتعس المقابر حالاً في المشرق – يشير إلى هدم القباب والزخارف –)[٣].

كما جاء في وصف جماعة أهل الحديث في الهند : (ويسمي

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٦٥ ، الله ، ماكدونالد.

(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٧ ، شرك ، بيوركمان.

(٣) الدائرة ٧/ ٤٦٢ ، بقيع الغرقد ، بلا.

الوهابيون في الهند أنفسهم بهذا الاسم) ثم جاء في وصفهم : (عنوا خاصة بتوكيد التوحيد ، وإنكار علم الغيب لأي من مخلوقات الله ، وقد اقتضى هذا إنكار كرامات الأولياء ، والمبالغة في تقديسهم)[١].

كما جاء : (وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيماً أفضل من اتساع نفوذ الوهابيين)[٢].

كما جاء : (المخترعات الحديثة تستخدم بلا حرج بين الوهابيين ، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتاً)[٣].

كما جاء عن بعض سكان سومطرة الأندونوسية : (وقد عاد من الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منغكابا و بعد أن أدوا فريضة الحج ، ورأوا الحكم الوهابي في مكة بعد سنة ١٨٠٦م فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين وتشددهم)[٤] ، كما جاء وصفهم بـ«التطرف»[٥].

---

(١) الدائرة ٥/ ١٤٣ – ١٤٤ ، أهل الحديث ، ش عنايات الله.

(٢) الدائرة ٦/ ٢٩٧ ، بحر فارس ، بكنكهام.

(٣) الدائرة ٦/ ٤١٧ ، بدعة ، روبسون.

(٤) الدائرة ٦/ ٤١١ ، بدري ، كرن.

(٥) الدائرة ٤/ ٢٦٥ ، الله ، ماكدونالد.

وجاء أيضاً: (ولقد رفض الوهابيون السماح لقوافل المحمل الذي أعدته الحكومة التركية بدخول الأراضي المقدسة، وأبطل سعود الخطبة للسلطان، وقال في رسالة رسمية إنه ليس على والي دمشق أن يعتنق المذهب الوهابي فحسب بل على السلطان أن يفعل ذلك، ولما رفض صاحب دمشق رفضاً باتاً أن يذعن لمشيئته أجابه سعود بسلب حوران في يوليه عام ١٨١٠م)(١).

وجاء في الدائرة أيضاً: (وينكر الوهابية، وأولهم إمامهم ابن عبدالوهاب التقليد)(٢).

وسيأتي في المطالب الآتية مناقشة تلك المزاعم.

المطلب الثاني: عدم وجود الأدلة على ما زعموا:

لم يقُم دليل واحد على غالب تلك الدعاوى، وقد أخذها أولئك المستشرقون من أعداء الدعوة الإصلاحية «الوهابية»؛ إذ إن تلك هي مفترياتهم القديمة على الدعوة.

ورسائل الشيخ وكتبه ومصنفات تلاميذه موجودة متاحة، فالواجب الرجوع إليها والتأكد من تلك المزاعم.

---

(١) الدائرة ١/ ٣٠٩، ابن سعود، مورتمان.

(٢) الدائرة ٩/ ٤٧٦، التقليد، شاخت.

إن كتب أئمة الدعوة طافحة بخلاف أكثر ما ذُكر ، مستدلة في جميع مسائلها بالقرآن والحديث وإجماع أهل العلم.

وقد أنكر الشيخ نفسه في حياته كثيراً من هذه المزاعم التي افتراها عليه بعض أعدائه ، حيث جاء في إحدى رسائله إلى أهل القصيم : «ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتسبين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقُلْها ، ولم يأت أكثرها على بالي فمنها قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وإني أدَّعي الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفّر من توسل بالصالحين ، وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق ، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها ، وجعلت لها ميزاباً من خشب ، وإني أحرم زيارة قبر النبي ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي ، وإني أحرق دلائل الخيرات ، وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل : سبحانك هذا بهتان عظيم»[1].

---

(١) رسالة الشيخ إلى أهل القصيم ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ١١ – ١٢ ، جمع عبدالعزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف[١] عن أعداء الدعوة : «وعندما عجز كبراؤهم في ميادين الحجج والبراهين وباءوا بالفشل لجأوا إلى وضع العقبات في سبيل الدعوة وإلى الاعتداء. الأمر الذي ألجأ الشيخ وحزبه برياسة الأمير محمد بن سعود أن يقاومهم .. فجرت الحروب الشديدة بين حزب الشيخ وبين أولئك المخالفين فكما فشلوا في ميادين الحجج العلمية وخرجوا صفر اليدين فشلوا أيضاً في ميادين المقارعة والحروب، وكان النصر في الأغلب حليف الشيخ وحزبه. فلما لم يبق لديهم من سلاح يحاربون الدعوة به؛ شرع بعض المُدَّعين للعلم والحكام يزيدون في اختلاقهم للأكاذيب والافتراءات وينسبونها إلى الشيخ ، وأخذوا في استعمال الدعايات الكاذبة والإشاعات الباطلة ، وطفق بعضهم يكتب إلى الأتراك ، وإلى الأشراف في الحجاز : إن هذا مبتدع ، ومذهبه خامس

---

(١) عبدالله بن عبداللطيف بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ١٢٦٥ – ١٣٣٩هـ من أئمة الدعوة الإصلاحية بنجد ، نشأ في بيت علم ودين ، تلقى العلم على والده وكبار علماء الدعوة ، انتقل إلى حائل بعد غلبة ابن رشيد ثم عاد إلى الرياض بعد فتح الملك عبدالعزيز لها ، وكان ناشراً للعلم محارباً للبدع. (انظر علماء نجد خلال ستة قرون ، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/ ٧٢ – ٨١ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ)

المذاهب، ولا يحب الرسول ﷺ، وكفَّر جميع الناس إلا من كان من أتباعه...»[١].

إن أعداء الدعوة من أهل نجد والحجاز والمصريين والأتراك غير مؤهلين للسماع منهم لكون غالب عداوتهم للدعوة من باب الجهل والحسد، وكفهم عما يخالف الشريعة مما ألفوه من البدع، وانقطاع ما يصل إلى بعضهم من أموال حقاً كانت أم باطلاً.

وقد فطن لذلك التشويه والافتراءات على دعوة الشيخ -رحمه الله- بعض المؤرخين المسلمين والغربيين المحايدين فنبهوا على كذب تلك المزاعم، ومن ذلك:

ما ذكره الجبرتي[٢] المؤرخ المصري الشهير في حوادث ذي الحج سنة ١٢٢٣هـ حيث قال عن أهم الأحداث: «ومنها انقطاع الحج الشامي

(١) الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، عبدالله بن سعد الرويشد ١/ ١٦٦، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) عبدالرحمن بن حسن الجبرتي ١١٦٧ - ١٢٣٧هـ مؤرخ مصر في وقته، تعلم في الأزهر وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، له كتابه الشهير عجائب الآثار في التراجم والآثار أرخ فيه الحوادث من سنة ١١٠٠هـ وحتى ١٢٣٦هـ، ومع أنه قد ركز فيه على تاريخ مصر إلا أن فيه شذرات متفرقة عن الجزيرة العربية ودعوة الشيخ نظراً لمعاصرته لها. (انظر الأعلام ٣/ ٣٠٤)

والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك؛ فإنه لم يمنع أحداً يأتي الحج على الطريقة المشروعة؛ وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة ، قد وصل طائفة من الحجاج المغاربة حجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشيء ، ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ، ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك ، وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى اسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق ، واتصال الصلات»[1] .

ومن المعلوم أن الجبرتي شاهد منصف وليس له أي ميول في هذه القضية وقد شهد الجميع بنزاهته وتثبته، ومن ذلك ما جاء في الدائرة نفسها بقلم اثنين من كتابها حيث قال ماكدونالد في الطبعة الأولى : (ولا شك في نزاهة أحكام الجبرتي فهو من بيت علم يعرف قدر الرواية

(١) تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبدالرحمن بن حسن الجبرتي ، مطبعة الشعب بمصر ١٩٥٩م.

المحكمة إذا رواها شاهد عيان)[١].

وقال عن تاريخه: (وهو أعظم تواريخ مصر في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة)[٢].

كما وصفه إيالون في الطبعة الثانية بقوله حين الحديث عن أسرته: (وظهر في هذه الأسرة مؤرخ عظيم، كان بلا شك ظاهرة فريدة في فن تدوين التاريخ الإسلامي)[٣].

وقال العلامة العراقي الآلوسي[٤] عن دعوة الشيخ في كتابه «تاريخ نجد»: «ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله ليعلم الناظر فيه بحقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه، وبالغ في كفره واستهواه...» ثم أخذ يسرد فضائله ويبرهن على صحة معتقده[٥].

---

(١) الدائرة ١١/ ٦٥، الجبرتي، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ١١/ ٦٥، الجبرتي، ماكدونالد.

(٣) الدائرة ١١/ ٦٦، الجبرتي، ايالون.

(٤) العلامة محمود شكري الآلوسي ١٢٧٣ – ١٣٤٢هـ عالم عراقي ومن الدعاة إلى الإصلاح ومحاربة البدع مما عرضه للمعادة والنفي، له العديد من المؤلفات. (انظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٢ – ١٧٣)

(٥) انظر: محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، عبدالله بن سعد الرويشد ٤٠٨–٤٠٩، رابطة الأدب الحديث، دطت.

وقال برائجس[١] : «لقد أشاع الباب العالي أنه – أي سعود بن عبدالعزيز – نهى الناس عن زيارة المدينة ، إلا أنه هذا ليس بصحيح فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة ، كما نهى عنها عند قبور الأولياء... بعض الجهال يرونهم –أي الوهابيين– كفاراً ، وقد اعتمد الأتراك على الشائعات التي روجها الأشراف ، إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تماماً للقرآن والسنة ، وكانت حركتهم تطهيرية خالصة في الإسلام» ، وقال أيضاً رداً على أحد الفرنسيين وقد ألف كتاباً سنة ١٨٠٨م ادعى بأنه سمع من مقرب من سعود أن سعود ألغى الحج ، فرد عليه برائجس : «يجب على الفرنسي الأحمق الذي ذكر نسخ الحج أن يعرف أن سعود نهى التقاليد القبيحة في الحج ، وأن أول عمل عمله بعد دخول مكة هو الطواف والعمرة»[٢].

فكما أن هذا هو حال أعداء الدعوة في شبهاتهم فإن حالهم كذلك في قتالهم ، ولا أدل على ذلك مما ذكره الجبرتي بعد هزائم المصريين والأتراك أول الأمر في الجزيرة العربية حيث قال نقلاً عن بعض من

(١) أحد الغربيين الذي زاروا الشرق ، وكان في البصرة سنة ١٧٨٤م ، وله كتابه : تاريخ موجز للوهابيين.

(٢) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ١٨٥ ، نقلاً عن كتابه ١٠٦ ، ١١٤.

حضر الحرب : «ولقد قال لي بعض أكابرهم – في جيش محمد علي– من الذين يدّعون الصلاح : أين لنا بالنصر! وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين ، ولا ينتحل مذهبنا ، وبصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع في عرضنا أذان ، ولا تُقام به فريضة ، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين ، والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم للحرب طائفة ، وتتأخر الأخرى للصلاة ، وعساكرنا يتعجبون من ذلك؛ لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته.

وكان كثير من قتلاهم –الجيش المصري– لما ظهرت عورته لغسيله بعد القتل وُجدوا غُلفاً غير مختونين ، وقد سبي الجيش المصري نساء في بدر ، حتى أن بعض أهل بدر الصلحاء قال لبعض العسكر : أعطني زوجتي. قال : حتى تبيت معي الليلة ، وأعطيها لك من الغد»[١].

وقد شهد بصحة معتقد الشيخ محمد وأتباعه – رحمهم الله– علماء مكة والمدينة من سائر المذاهب وكذا الشريف غالب أمير مكة حينذاك بعد الجلوس مع علماء الدعوة[٢].

---

(١) تاريخ الجبرتي ٧/ ٨٢٣.

(٢) رسائل لعلماء مكة والمدينة كتبوها وختموها بأختامهم ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٣١٨–٣١٩ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

كما مدح دعوته وأطنب في مدحه كثير من العلماء والمفكرين المنصفين من خارج نجد منهم الأمير الصنعاني[١]، ومؤرخ مصر الجبرتي، والشيخ القاسمي[٢] الذي حُوكم بتهمة العمل على نشر الوهابية، والعلامة الآلوسي، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا[٣]، والأمير شكيب أرسلان[٤]، ومحمد كُرْد علي[٥]، والشيخ طاهر

---

(١) محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٠٩٩ - ١١٨٢هـ فقيه مجتهد من بيت الإمامة باليمن، وله المؤلفات العديدة الدالة على سعة علمه أشهرها سبل السلام في شرح بلوغ المرام لابن حجر. (انظر الزركلي ٦/ ٣٨)

(٢) جمال الدين القاسمي الحسيني ١٢٨٣ -١٣٣٢هـ إمام الشام في عصره، تعرض للتهم بسبب سلفيته له العديد من المؤلفات منها موعظة المؤمنين، والتفسير. (انظر الأعلام للزركلي ٢/ ١٣٥).

(٣) سبقت ترجمته صـ ٧٢

(٤) شكيب بن حمود أرسلان ١٢٨٦ -١٣٦٦هـ من سلالة ملوك الحيرة، مؤرخ وعالم بالأدب والسياسة من أكابر الكتاب يُنعت بأمير البيان، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي، نشأ بالشام وأقام بمصر وأوربا وتوفي بلبنان، له العديد من المؤلفات الدالة على غيرته الإسلامية أشهرها: تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي»، و«لماذا تأخر المسلمون»، كما أنشأ صحيفة في جنيف باللغة الفرنسية للدفاع عن القضايا الإسلامية. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٣).

(٥) محمد بن عبدالرزاق بن محمد بن كرد علي ١٢٩٣ - ١٣٧٢هـ، كردي الأصل، دمشقي المولد والوفاة، مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق وتولى رئاسته، عارض حزب الترقي التركي العلماني مما تسبب في اضطهاده.
(انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٢)

الجزائري[١] ، والزركلي[٢] ، وغيرهم كثير[٣].

وهذا المطلب في حد ذاته كاف كرد إجمالي على تلك المطاعن جميعاً.

المطلب الثالث : علماء الدعوة وتكفير المسلمين :

جاءت هذه الفرية في الدائرة : (يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون ، وأن سائر المسلمين مشركون)[٤].

وهذه الفرية نشرها ابن عابدين[٥] في حاشيته[٦] ، وابن دحلان حيث

---

(١) طاهر بن صالح الجزائري الأصل الدمشقي المولد والوفاة ١٢٦٨ -١٣٣٨هـ ، بحاثة من أكابر علماء عصره في اللغة والأدب له العديد من المؤلفات. (انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٢٢٢).

(٢) خير الدين الزركلي المؤرخ السوري المشهور وصاحب كتاب الأعلام ، وقد مدح الشيخ في ترجمته له ٦/ ٢٥٧.

(٣) انظر جميع ذلك ما خلا الجبرتي في «محمد بن عبدالوهاب في التاريخ» عبدالله بن سعد الرويشد ٤٠٨ - ٤٠٩ ، رابطة الأدب الحديث ، دطت.

(٤) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٧ ، شرك ، بيوركمان.

(٥) محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز المشهور بابن عابدين ١١٩٨ - ١٢٥٢هـ فقيه الديار الشامية ، وإمام الحنفية في عصره دمشقي المولد والوفاة ، له العديد من المؤلفات الفقهية والفتاوى المطبوعة. (الأعلام للزركلي ٦/ ٤٢) ، وهو على فضله وعلمه فإنه لم يتوثق في نسبة التكفير للشيخ محمد وأتباعه ، ولعله يُعذر لكثرة شيوع تلك الفرية في وقته.

(٦) رد المحتار ٣/ ٣٠٩ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دطت.

يقول عن محمد بن عبدالوهاب : «وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة عدا من وافقه على قوله»[١].

إن محمد بن عبدالوهاب وأتباعه لا يكفرون عموم المسلمين؛ وإنما يكفرون من قامت عليه الحجة بالعلم ثم أشرك مع الله غيره ، بعبادة القبور، أو بموالاة عُبَّادها على أهل التوحيد ، أو عمل ناقضاً من نواقض الإسلام المجمع عليها.

قال محمد بن عبدالوهاب : «فإن قال قائلهم : إنهم يكفرون بالعموم ، فنقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله ، وأن دعوة غير الله باطلة ، ثم بعد هذا يُكفر أهل التوحيد ، ويسميهم الخوارج ، ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد»[٢].

---

(١) جاء ذلك في كتابه : فتنة الوهابية ٦٦ ، انظر إلى بحث : الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب لعبدالرحمن عميرة ، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٢/ ٦٦ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) رسالة محمد بن عبدالوهاب إلى عالم من أهل المدينة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٤٦ ، وهي موجودة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ٤٨.

وقال أيضاً : «وأما التكفير ، فأنا أُكَفِّر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أُكفر ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك»[١].

وقال عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب[٢] مدافعاً عن مذهبه وراداً على ما قال له : «إنك ضللت وكفرت من خالف مذهبك في الصفات» فقال : «إن الأمة اختلفوا في هذه المسائل اختلافاً كثيراً ، ولم يُكفِّر بعضهم بعضاً؛ وإنما يكفِّرون من خالف نص كتاب أو سنة ، وقامت عليه الحجة ، واعتقد أن الحق خلاف ذلك. وأما نحن فلم نكفِّر أحداً بهذه الأمور ، وإنما كفَّرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره ، وقامت عليه الحجة واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد ﷺ أو شيء منه ، أو كرهه وأبغضه ، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة كقوله تعالى :

---

(١) رسالة محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٥١.

(٢) عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١١٦٥ – ١٢٤٤هـ من أئمة الدعوة ولد بالدرعية ، ونشأ في بيت علم وصلاح ، فحفظ القرآن وتعلم العلم حتى كان له السبق في الأصول والتفسير والحديث ومقالات الفرق ، فخلف والده في أغلب أعماله العلمية والدعوية ، وبعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٣هـ نُقل مصر أسيراً ، وظل بها إلى أن مات سنة ١٢٤٤هـ. (انظر علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ١/ ٤٨ – ٥٥).

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [١] ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [٥] [٦] .

وقال عبداللطيف بن عبدالرحمن [٧] : «وأما القول بأننا نكفِّر الناس

---

(١) المائدة الآية: ٧٢.

(٢) الزمر الآية: ٦٥.

(٣) الحج الآية: ٣١.

(٤) التوبة الآيتان: ٦٥ – ٦٦.

(٥) محمد الآية: ٩.

(٦) نقض كلام الشيعة والزيدية ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، ضمن مجموعة الرسائل المسائل النجدية ٤/ ٩٧ ، جمع سليمان بن سحمان ، مطبعة المنار المصرية طبع قبل ١٣٥١هـ.

(٧) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ١٢٢٥ – ١٢٩٣هـ من أئمة الدعوة نقل مع والده بعد خراب الدرعية إلى مصر وهو صغير فأخذ العلم هناك على جده لأمه عبدالله ابن الشيخ محمد وعن والده وعلى علماء الأزهر ثم عاد إلى نجد سنة ١٦٦٤هـ في عهد الإمام فيصل فأصبح المرجع في العلم والقضاء بعد وفاة والده ، توفي بالرياض سنة ١٢٩٣هـ. (انظر علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ١/ ٦٣ – ٧١).

عموماً، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفّر من لم يكفر ولم يقاتِل، ومثل هذا، وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم؛ فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا! أو لم يكفر ويقاتِل! سبحانك هذا بهتان عظيم»[١].

وقال أيضاً: «وقد جاء في الحديث: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) فإطلاق القول بالتكفير والحالة هذه -انتشار الجهل- دليل على جهل المُكفِّر، وعدم علمه بمدارك الأحكام»[٢].

فهؤلاء أئمة الدعوة ينكرون هذه التهمة مبينين إدراكهم لعِظم تكفير المسلم، وأنه من صفات الجهلة المتعجلين.

وربما صدر تكفير بعض من يستحق ذلك، وقد مضى بيان حال بعض المخالفين في كلام الجبرتي السابق، أو حصول أخطاء من بعض أتباع الدعوة فإنه لا يعمم من الجميع.

---

(١) الإمام محمد بن عبدالوهاب للرويشد ١/ ٧١.

(٢) رسالة لعبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، ضمن مجموعة الرسائل المسائل النجدية ٣/ ٢١، جمع سليمان بن سحمان، مطبعة المنار المصرية طبع قبل ١٣٥١هـ.

المطلب الرابع : وصف أتباع محمد بن عبدالوهاب بالمشبهة :

جاء في الدائرة اتهام أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتشبيه في صفات الله تعالى[١].

والجواب عن ذلك كما قيل في حق الحنابلة وشيخ الإسلام ابن تيمية تماماً من موافقة معتقده لمعتقد السلف الصالح ، الذين اتهمهم البعض بالتشبيه لمّا أثبتوا ما أثبته القرآن من صفات الله تعالى[٢].

ومصنفات علماء الدعوة تنفي هذه التهمة بدءاً من الشيخ نفسه حيث قال في شرح اعتقاده : «أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرِّف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيِّف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه»[٣].

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٦٥ ، الله ، ماكدونالد.

(٢) انظر صـ ٩٥٣.

(٣) انظر رسالة الشيخ إلى أهل القصيم ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ٨.

المطلب الخامس : اتهامهم بإنكار الإجماع والقياس :

جاء في الدائرة : (وهذه الأصول الأربعة لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية فضلاً عن الشيعة) [١] : أي أنهم يقتصرون على الكتاب والسنة ، وينكرون الإجماع والقياس.

وهذا أيضاً من الاتهامات الباطلة ، وليس هناك ما يدل عليها ، وكتب علماء الدعوة طافحة بالاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وقد ذكر علماء الدعوة أنهم على مذهب الحنابلة في أصول الفقه ، حيث يأخذون بالنصوص في الكتاب والسنة ثم بأقوال الصحابة إذا اجتمعوا ، وإذا اختلفوا اجتهدوا في التخير بين أقوالهم ، ولم يخرجوا عنها ، ثم بالحديث المرسل والضعيف المنجبر إذا لم يُعارض ، ثم بالقياس [٢].

المطلب السادس : اتهامهم بالتطرف والتشدد والتزمت :

جاء في الدائرة : (ولمّا كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية....) [٣].

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٥ ، السنة ، فنسنك.

(٢) رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في الدرر السنية ٣/ ١٠.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٦٥ ، الله ، ماكدونالد.

كما جاء : (المخترعات الحديثة تستخدم بلا حرج بين الوهابيين ، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتاً)[١] .

وجاء أيضا عن بعض سكان سومطرة الإندونيسية : (وقد عاد من الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منغكاباو بعد أن أدوا فريضة الحج ، ورأوا الحكم الوهابي في مكة بعد سنة ١٨٠٦م فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين وتشددهم)[٢] .

وجاء أيضاً : (ولقد رفض الوهابيون السماح لقوافل المحمل الذي أعدته الحكومة التركية بدخول الأراضي المقدسة ، وأبطل سعود الخطبة للسلطان ، وقال في رسالة رسمية إنه ليس على والي دمشق أن يعتنق المذهب الوهابي فحسب بل على السلطان أن يفعل ذلك ، لما رفض صاحب دمشق رفضاً تاماً أن يذعن لمشيئته أجابه سعود بسلب حوران في يوليه عام ١٨١٠م)[٣] .

قلت : إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة دين الله هو المقصود بالتشدد والتزمت والتطرف فنعم؛ فقد كانت

---

(١) الدائرة ٦/ ٤١٧ ، بدعة ، روبصون.

(٢) الدائرة ٦/ ٤١١ ، بدري ، كرن.

(٣) الدائرة ١/ ٣٠٩ ، ابن سعود ، مورتمان.

دعوة الشيخ كذلك، بل ذلك هو غاية دعوة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

أما سوى ذلك فلم تكن دعوة الشيخ -رحمه الله- بهذه الصفة ، «بل إن الشيخ نفسه رغم شدة خصومه مناوئيه وضراوتها ، وشناعة عنادهم ، واستمراره إلا أن الشيخ -رحمه الله- قد كان حريصاً على هداية أولئك الخصوم ، فيبذل الأسباب والوسائل لتحقيق ما يؤدي إلى استقامتهم والتزامهم بمتابعة الحق المؤيد بالدليل ، ويظهر اللين والتلطف معهم»[١].

ومن أمثلة ذلك : رسالته للشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف أحد علماء الأحساء ، حيث يخاطبه فيقول : «سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد وصل إلينا من ناحيتكم رسالة فيها إنكار وتغليظ عليّ ، ولما قيل إنك كنت معهم وقع في الخاطر بعض الشيء؛ لأن الله نشر لك الذكر الجميل ، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس»[٢].

---

(١) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ عرض ونقد ، عبدالعزيز بن محمد بن العبداللطيف ٣٦ ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) الدرر السنية ١/ ٣١.

مع أن الشيخ المخاطب سبق له أن ألف رسالة في الرد على الشيخ سماها «سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد»[١].

كما يخاطب الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن عيسى فيقول: «إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليّ وأحبهم عندي»[٢].

ومع ذلك فقد عانى الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الشيخ المخاطب وأبيه معاناة شديدة، وأصابه منهما نكد وهمٌّ كما صرح به الشيخ في رسائله[٣].

وهذا محمد بن فيروز الحنبلي المدافع عن الاستغاثة بالأموات، ومن ألد أعداء دعوة الشيخ، وقد كتب إلى الأتراك يستنجدهم لقتال البغاة الخارجين بنجد وهو يقصد الشيخ وأتباعه، وحسبنا في بيان شدة كراهته وتعديه قوله: «لعل الشيخ – يعني عبدالوهاب – غفل عن مواقعة أمه – يعني أم محمد بن عبدالوهاب – فسبقه الشيطان إليها فكان أبا هذا المارد»[٤].

---

(١) دعاوى المناوئين ٣٦.

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية ٢٨١.

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ، الرسائل ٣١٤.

(٤) محمد بن عبدالوهاب للندوي ١٧١، وانظر دعاوى المناوئين ٣٧.

ومع ذلك يصف الشيخ ابن فيروز في إحدى رسائله : «ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام ، وهو رجل من الحنابلة»[١].

كما كان أمراء آل سعود القائمون بنصرة الدعوة في نجد متسامحين فهذا سعود أعظم أمراء الدولة ولّى على المدينة النبوية قاضياً حنفياً من اسطنبول ، كما أن قاضيه على القطيف كان من أهل فارس[٢].

كما كان علماء الدعوة متسامحون رحماء ، مع حرصهم على تطبيق أحكام الله تعالى ، ويشهد كل من جالسهم باعتدالهم وسعة علمهم ، ومن ذلك ما يذكره المؤرخ المصري الجبرتي : «أنه لما أرسل عبدالله بن سعود اثنين من علماء نجد لمصر للتفاوض مع محمد علي ، وجلسوا مع علماء الأزهر استأنسوا بهما ، وأعجبوا بخلقهما وعلمهما بعد أن ناقشوهما واستمعوا إليهما ، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وعن الكتب المصنفة في مذهبه ، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية ، واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ ، الرسائل الشخصية ٢٠٦.

(٢) تاريخ نجد المُسمى عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن بشر النجدي ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩ ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، طبعة وزارة المعارف بالسعودية، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ.

والبغوي والكتب الستة»[١].

وقال: «وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنساً، وطلاقة لسان، واطلاعاً وتضلعاً، ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب ما يفوق الوصف»[٢].

كما شهد الرحالة الأسباني «دومنغو باديا أي لبيخ»[٣] المعروف باسم

---

(١) المختار من تاريخ الجبرتي المُسمى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عبدالرحمن بن حسن الجبرتي اختيار محمد قنديل البقلي ٨/ ٩٢٥ في أحداث شوال ١٢٣٠هـ بالمعنى، طبعة دار الشعب ١٩٥٩م.

(٢) المختار من تاريخ الجبرتي ٨/ ٩٢٥ في أحداث شوال ١٢٣٠هـ.

(٣) ولد في برشلونة سنة ١٧٦٦ تقريباً ودرس اللغة العربية، وزار البلاد العربية، وتسمَّى باسم علي بك وادعى أنه من نسل العباسيين، سافر إلى مكة، وقد صرح بأن أداءه للحج له فوائد جغرافية بحتة، كان في مكة إبان حكم الدولة السعودية الأولى، أعطى وصفاً منظماً عن مكة وتجارتها، وعمل دراسة مفصلة عن موانئ البحر الأحمر، ويرجح أنه كان عميلاً لجهة ما كما يظهر من دراسته، وإنفاقه المبذخ للمال، قيل إنه كان عميلاً لأسبانيا، ورجح البعض أنه كان عميلاً لنابليون الذي يسعى آنذاك لغزو الشرق، ولأنه عندما مات سنة ١٨١٨ بالزحار - والعلم عند الله - اتهمت فرنسا المخابرات البريطانية بتسميمه. (انظر: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، د. روبن بدول ٢٩ - ٣٤، ترجمة د. عبدالله آدم نصيف، ددط، الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الحاج علي بك العباسي، والذي عاصر الدولة السعودية الأولى وزار الحجاز إبان حكمهم، وشهد موكب الإمام سعود في مكة سنة ١٨٠٦م باعتدال الوهابيين حيث قال: «إن الحقيقة تفرض عليّ أن أعترف أنني وجدت الوهابيين الذين تحدثت إليهم على جانب من التعقل والاعتدال، وقد استقيت منهم كل المعلومات التي أوردوها عن مذهبهم. ولكن على الرغم من اعتدالهم لا يستطيع السكان والحجاج سماع مجرد اسمهم دون أن تمتلك الرجفة قلوبهم، ولا يتلفظون به إلا همساً. لذا فإن الناس يهربون منهم، ويتجنبون التحدث إليهم قدر الإمكان»[1].

وما يتعلق بالدعاء للسلطان فإن الدولة العثمانية في حالة حرب مع الدعوة فمن الطبيعي أن يلغي سعود الدعاء له في الخطبة.

وأما من حيث الحج فقد تقدم ما يدل على أن الأمراء السعوديين لم يمنعوا أحداً من الحج[2]، وإنما نهوا عن البدع وما خالف الشريعة، وكل ذلك إنما كان بعد الإنذار لعام كامل.

ربما صدر من بعض أتباع الدعوة ما ينكر من الشدة في الأمر والنهي وهو لا يعمم على الجميع.

---

(١) اكتشاف جزيرة العرب، جاكلين بيرين ١٤، ٢٠٢ - ٢٠٣، ترجمة قدري قلعجي، تقديم حمد الجاسر، منشورات الفاخرية بالرياض، ودار الكاتب العربي ببيروت، دطت.

(٢) انظر قول الجبرتي وبرائجس ص٩٠٨، ٩١٠.

المطلب السابع : فيما يتعلق بالقبور :

جاء في الدائرة حكاية لمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه : (وهم يرون أن السنة القديمة وشخصية النبي وجوهر الإسلام تبعاً لذلك قد شوهت بسبب تقديس الأولياء ، وهم من أجل ذلك يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة عند أهل السنة وعند الشيعة؛ لأن هذه الأماكن تعتبر في نظرهم معاقل لعبادة الأوثان)[١].

كما جاء أيضاً : (وزار بوركهارت هذا المكان -بقيع الغرقد - بعد غزو الوهابيين فوجد أنه أصبع أتعس المقابر حالاً في الشرق - يشير إلى هدم القباب والزخارف-)[٢].

وجاء أيضاً : (وكانت زيارة قبور الأولياء من البدع التي حاربها محمد ابن عبدالوهاب)[٣].

كما جاء في الدائرة في وصف جماعة أهل الحديث في الهند[٤] :

(١) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٧ ، شرك ، بيوركمان.

(٢) الدائرة ٧/ ٤٦٢ ، بقيع الغرقد ، بلا.

(٣) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٧٣ ، زيارة ، فنسنك.

(٤) أهل الحديث في الهند على مذهب أهل السنة والجماعة ، ومن علمائهم الذي لي به معرفة خاصة الشيخ عبدالحميد الرحماني رئيس جمعية أبو الكلام آزاد بالهند ، وقد ذكر أن كاتب المقال من الهنود المعادين لأهل الحديث.

(ويسمى الوهابيون في الهند أنفسهم بهذا الاسم) ثم جاء في وصفهم: (عنوا خاصة بتوكيد التوحيد، وإنكار علم الغيب لأي من مخلوقات الله، وقد اقتضى هذا إنكار كرامات الأولياء، والمبالغة في تقديسهم)(١).

قلت: الشيخ لم يحرم زيارة القبور، وإنما حرّم ما يصاحب ذلك من بدع وشرك. وفيما يتعلق بمهاجمتهم الأضرحة فصحيح، ولكن لابد من مراعاة اعتبارين:

الأول: أنها وإن كانت أكثر الأماكن قداسة عند مرتاديها فإنها ليست أكثر الأماكن قداسة في الإسلام.

الثاني: أن القبور المرتفعة مخالفة للسنة، فضلاً عن البناء عليها، وقد ثبت عن أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألاّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»(٢).

فرفع القبور مخالفة للسنة الشريفة، وأعظم من ذلك دعاء أصحابها؛ هذا هو الشرك الذي كان المشركون يفعلونه، وكان القرآن ينزل بالنكير عليهم. قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ

---

(١) الدائرة ٥/ ١٤٣ – ١٤٤، أهل الحديث، ش عنايت الله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر برقم (٩٦٩).

فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[١].

وكثير من الناس يشنع على أتباع الدعوة فيما يخص القبور دون تصور للحكم الشرعي في هذا الأمر، ودون فهم للدوافع والأسباب التي جعلت من الشيخ وأتباعه يشددون بأن تكون وفق السنة، وذلك لمغالاة القوم فيها حتى عُبِدت من دون الله تعالى.

وقد لاحظ ذلك بعض المعاصرين للدعوة من الغربيين حيث قالت «جاكلين بيرين» عن سبب عداوة بعض الناس لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «والسبب الأول في هذه العداوة أن الناس لم يفهموا للوهلة الأولى المعنى الإصلاحي لهدم المزارات وتقويض أضرحة الأولياء التي كان المؤمنون يؤدون لها واجب الإجلال، وقد كاد هذا الإجلال يتحول إلى نوع من أنواع العبادة التي لا تجب إلا لله وحده»[٢].

أما عنايتهم بتوكيد التوحيد فهي في مكانها، إذ قد عني به جميع الأنبياء -عليه السلام- بل إن الله حصر رسالتهم فيها: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ... ﴾[٣]، وقال سبحانه:

---

(١) الأعراف الآية: ١٩٤.

(٢) اكتشاف جزيرة العرب ٢٠٣، وقد نسب الشيخ حمد الجاسر هذه المقولة في مقدمة الكتاب ١١ إلى دومنغو بادليا، بينما يظهر لي أنها من كلام المؤلفة.

(٣) النحل الآية: ٣٦.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[١].

أما ما يختص بعلم الغيب فإن مذهب اتباع الدعوة موافق لمذهب أهل السنة، الذين يؤمنون بما جاء في القرآن أن الغيب لله وحده: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾[٢] وأن هذا الغيب يُطلعه الله على رسله كرامة لهم وإظهاراً لإعجازهم قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ...﴾[٣].

وأصل هذه المسألة أن كاتب المادة هو من أعداء أهل الحديث ومن الذين يبالغون في تقديس الأولياء ويثبتون لهم العلم بالغيب، مع مخالفته الظاهرة للقرآن.

أما إنكار كرامات الأولياء فهي فرية لا تنطلي على أحد؛ ذلك أن مصنفات أهل السنة شاهدة على إثباتها، بل إنها جزء من عقيدتهم؛ لأن تلك الكرامات دلت عليها الأدلة، وإثباتها جزء من عقيدة أهل السنة.

قال ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع

(١) الأنبياء الآية: ٢٥.

(٢) النمل الآية: ٦٥.

(٣) الجن الآيتان: ٢٦ — ٢٧.

العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[١].

أما تقديسهم للأولياء : فإن كان المقصود محبتهم ، وطلب الدعاء منهم في حال حياتهم ، والاعتراف بفضلهم فهذا لم ينكروه ، ولم ينكره أحد من المسلمين ، بل هو ثابت عندهم فيمن عُلم ولايته.

وأما إن كان المقصود صرف شيء من العبادة لهم من دعاء أو ذبح أو نذر أو غيرها من وجوه العبادة ، فهذا شرك أكبر ، أُرسل الرسل للقضاء عليه ، كما تقدم في مبحث التوحيد[٢].

المطلب الثامن : الرد على وصفهم بالقرصنة :

جاء في الدائرة محاولات عدة لوصف الحركة الإصلاحية في نجد بالقرصنة ، ومن ذلك : (وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نُظِّمتا تنظيماً أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٦.

(٢) انظر صـ ١٨٢ – ١٨٣.

(٣) الدائرة ٦/ ٢٩٧ ، بحر فارس ، بكنكهام.

كما جاء عن سعود بن عبدالعزيز تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأقوى الأئمة الذين حكموا في الجزيرة العربية : (ونظم سعود القرصنة التي كانت تقوم بها القبائل القاطنة على الخليج الفارسي)[١].

كما جاء عن قبائل الدواسر : (وهم يعيشون حيثما تيسر لهم على السلب ، ويقال إنهم أكثر الوهابيين تعصباً وخطورة)[٢].

وقد قلدهم في ذلك «فيليب حتى» فسمى شاطئ الإمارات بشاطئ القراصنة[٣].

وسبب وصفهم بذلك أن القواسم في ساحل رأس الخيمة والشارقة يغيرون على السفن البريطانية وعملائها في مسقط ، وينهبونها ، ويتم ذلك بتشجيع الأمراء السعوديين في نجد «الوهابيين» وترسل إليهم الخمس من المغنم.

إن من العجب وصف الوهابيين بذلك ، فالمستعمر يصف غيره بالقرصان ، وينسى نفسه!

كما أن قرصنة الإنجليز في بحار العرب سابقة لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث ظهرت في البحر الأحمر سنة (١٦٩٦م)

---

(١) الدائرة ١/ ٣٠٩ ، ابن سعود ، مورتمان.

(٢) الدائرة الأولى ، ٩/ ٣٠٦ ، دواسر ، فاير.

(٣) موضوعية فيليب حتى ، شوقي أبو خليل ٥٤.

خمس سفن بريطانية وسفينتان أخريان على كل واحدة أربعة عشر مدفعاً، ومن البحارة مائة وخمسون، وأخذت تنهب السفن في البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي[١]، ولم تحرك بريطانيا ساكناً.

فهذه القرصنة التي تفتك بسفن الحجاج وغيرهم مسكوت عنها، ودفاع صاحب الأرض ضد المستعمر قرصنة يجب إنهاؤها!

إن الحقيقة التي لا يُجادل فيها هي: أن مرور السفن البريطانية سواء شركة الهند البريطانية، أو غيرها في الخليج إنما كان لأعمال استعمارية خالصة، وهم لا يتناهون عن الاستيلاء ليس على السفن فحسب بل حتى على الأراضي إذا ما وجدوا فيها ضالتهم الاستعمارية رغم أنف أهلها كما هو معلوم بالضرورة عن الإنجليز، فقد استعمروا آنذاك دولاً وأراضي لا حصر لها، كما أن مرورهم في الخليج إنما كان لعبور السفن بين مستعمراتهم العربية في العراق ومستعمراتهم الهندية، التي تديرها شركة الهند الشرقية.

ولقد «تحولت سياسة شركة الهند الشرقية إلى امتلاك الأراضي وفرض السيادة الإنجليزية عليها من أواخر القرن السابع عشر... واستطاع

---

(١) الخليج العربي، السير أرنولد ويلسون ٣٢٢، ترجمة عبدالقادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، دطت.

الإنجليز في مدة قصيرة بين سنة ١٧٥٠ ، وسنة ١٨١٨ فرض سيادتهم على أغلب أراضي الهند»[١] .

وهل يتوقع الإنجليز أن تبحر سفنهم بأمان وهم بهذه المثابة ، بالإضافة إلى تدخلهم في شئون بلاد الخليج حيث كانوا يحرضون حليفهم سلطان عمان على مهاجمة حلفاء الدولة السعودية ، فلما لم يستطع على ذلك ، بل أصبح حليفاً للسعوديين يدفع الزكاة لهم[٢] ، حاصرت بريطانيا جزيرة كشم التابعة للقواسم سنة ١٨٠٥ م ، منتحلة أوهى الأسباب ، وأجبرتهم على اتفاقية مجحفة سنة ١٨٠٦م ، ثم هاجموا رأس الخيمة في السنة نفسها[٣] .

كما أبرموا معاهدة استعمارية أملوها على أمير رأس الخيمة بعد ضعفه حين هزيمة مناصريه السعوديين ، الذين كانوا الساعد الأيمن له ، وكانت تلك المعاهدة سنة ١٨٢٠م بعد سقوط الدرعية بعامين ، ومن بنودها :

---

(١) إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨ ، محمد مرسي عبدالله ١٥٥ ، نقلاً عن مؤرخين إنجليز كبانيكار وغيره ، والكاتب متخصص في هذا الموضوع وقد نال الماجستير والدكتوراه فيه.

(٢) تاريخ ابن بشر حوادث سنة ١٢٢٣ ، ص١٩١ .

(٣) قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ، سليمان بن محمد الغنام ٣٥ ، نشر شركة تهامة ، جدة ١٤٠٢هـ.

«بقاء رأس الخيمة وما حولها من مزارع في أيدي الحكومة البريطانية»[١].

قال بوندار ليفسكي المؤرخ الروسي: «في سنة ١٨٠٥م لما تولى الأمير بدر حاكم مسقط سعى إلى إقامة علاقات طبيعية مع آل سعود وبمساندة إمام عمان، وكان ذلك يتهدد خطط شركة الهند الشرقية في الجنوب الشرقي من الجنوب الشرقي من الجزيرة، فاغتيل الأمير بدر في سنة ١٨٠٨م بأمر من مقيم الشركة، وصار سعيد بن سلطان صنيعة البريطانيين، ومن ثم أصبح عدو الوهابيين اللدود، ثم نشب صراع مسلح أسهم في فرض الحماية البريطانية على مسقط وساحل الصلح البحري الذي سماه المستعمرون بصفاقة ووقاحة: [ساحل القرصنة]»[٢].

إن السبب في الخصومة بين السعوديين والقواسم من جهة، والإنجليز وخاصة حاكم بومباي من قبل الإنجليز من جهة أخرى يتلخص ببساطة بـ: اصطدام مصالح الإنجليز الاستعمارية التوسعية في الشرق بالقوة السعودية الناشئة المصممة على خضوع أراضي الجزيرة للدعوة

---

(١) المقاومة العربية في الخليج العربي، سليم طه التكريتي ١٣٨، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

(٢) الغرب ضد العالم الإسلامي، بوندار ليفسكي ٥٠، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، دطت.

الإصلاحية ، والتي من أسسها عدم خضوع الأراضي الإسلامية للكفار.

وكان لشركة الهند تجارة واسعة في عمان ، بل هي مركزها في المنطقة بعد البصرة ، وكان الإنجليز يمارسون نفوذهم عليها.

إن الدعوة الوهابية ترى في الإنجليز عدواً للإسلام ومستعمراً يجب محاربته ، وحين احتل القواسم بعض مدن عمان سنة ١٨٠٨م وأرسل سلطان عمان رسله للدرعية للتوسط طلب منهم الإمام عبدالعزيز أن يوجه حاكمهم سفنه لضرب البصرة ، وأن عليه أن يثبت ولاءه للقضية الإسلامية ، فيعد حملة ضد شركة الهند المتعاونة مع باشا بغداد[(١)].

«وفي هجمات القواسم على الإنجليز في إحدى المرات وجدوا في إحدى السفن امرأة هي زوجة تيلر القنصل الإنجليزي في بغداد ، فلم يمسوها بأذى بل أعادوها إلى بو شهر طبقاً للتقاليد العربية»[(٢)] ، فليس هذا من عمل القراصنة ، وهو ليس تقليداً عربياً فحسب ، بل هو ما يحث عليه الإسلام من عدم التعرض لغير المحاربين.

إن تحرير الأرض الإسلامية من المعتدين هو من الجهاد في سبيل الله وهو حق مشروع ، بل هو واجب ، وإذا لم يمكن ذلك فلا أقل من معاداة

---

(١) إمارات الساحل لمحمد مرسي ١٧٤.

(٢) إمارات الساحل لمحمد مرسي ١٨٠.

المعتدين، وعدم توليهم، ومضايقتهم، والتصدي لهم.

أما أن ينعت المعتدي أصحاب الحق بالقراصنة فهو من المفارقات العجيبة، وهذا يذكرنا بما تطلقه إسرائيل على المقاومين للاحتلال بالمخربين والإرهابيين.

أما السلب فلا يُنكر أن القبائل البدوية في الجزيرة العربية كانت تمارس السلب على نطاق واسع، ولكن هذا مخالف لتعاليم الإسلام، ولم يكن له صلة بدعوة محمد بن عبدالوهاب، بل إن السلب والنهب انحسر بوضوح مع توسع الدولة السعودية المؤَيَّدة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، ولقد شهد بذلك القاصي والداني ممن اطلع على أحوال نجد في تلك الفترة من المنصفين، ومن ذلك:

ما شهد به الرحالة الأسباني «دومنغو بادليا أي لبيخ» المعروف باسم الحاج علي بك العباسي، عن قرب ومشاهدة شخصية عن الوهابيين بعد فتحهم لمكة بأنهم: «لا يسرقون قط، لا عن طريق القوة، ولا عن طريق الحيلة، إلا إذا اعتقدوا أن المتاع يخص عدواً أو كافراً [١]، وهم يؤدون أثمان كل ما يشترونه، وأجور الخدمات التي تقدم لهم بالعملة التي لديهم» [٢].

---

(١) لم يتعرضوا للكافر المعاهد البتة، وإنما للكافر الحربي.

(٢) اكتشاف جزيرة العرب ١٤، ٢٠٢ هذا مع انتصارهم وفتحهم لمكة قبل أشهر بكامل قوتهم، وعداوة أهل مكة السابقة. كل هذا لم يكن سبباً لأخذ شيء بدون مقابل.

كما شهد بذلك بوكهارت[١] الذي زار الجزيرة العربية بعد ذلك حيث قال عن الأمن في عهد الدولة السعودية الأولى التي تسير على منهج دعوة محمد بن عبدالوهاب : «ولعل هذا الأمن والأمان قد استتب في البلاد لأول مرة بعد النبي العربي[٢] ، ووجد البدو لأول مرة فرصة النوم آمنين مطمئنين على أموالهم وأمتعتهم ومواشيهم»[٣].

وأما ما تفعله الدولة السعودية الأولى من الاستيلاء على ممتلكات الأعداء المحاربين ، فهذه غنائم حرب ، وتلك الغنائم مشروعة في الإسلام ، بل في غالب الأعراف؛ وهم لا يفعلون ذلك إلا مع أعداء دعوتهم الإصلاحية المناوئين لها ، ولا يفعلون ذلك إلا بعد البيان والإنذار ، أما من يسمح لدعاة الدعوة بالإصلاح في الأرض ، ويعينهم في إزالة الشرك والفساد ، فإن أموالهم ودماءهم مصانة محفوظة.

---

(١) جوين لويس بوركهارت ١٧٨٤ – ١٨١٧م مستشرق سويسري الأصل إنجليزي الجنسية تعلم الطب والفلك واللغة العربية ، قصد حلب وتعلم فيها القرآن والفقه الإسلامي ، وأعلن الإسلام سنة ١٨٠٩م ، قضى حياته سائحاً في الشام ، وهو الذي كشف عن مدينة البتراء ، زار مكة وجلس فيها ثلاثة أشهر سنة ١٨١٤م ، زار القاهرة ومات فيها ، وله كتب بتلك الرحلات. (انظر المستشرقون للعقيقي ٢/ ٥٢).

(٢) الحقيقة أن الأمن استتب أيضاً في عصور الخلفاء الراشدين وبعض من بعدهم ، ولكنه اختل عندما أهمل العثمانيون الأماكن الداخلية في الجزيرة العربية.

(٣) محمد بن عبدالوهاب للندوي ١٠٤ – ١٠٥ ، نقلاً عن كتابه ١٣٠.

ولقد أحس أهل نجد بفقد الرحمة والشورى بعد سقوط الدولة عندما حكم إبراهيم باشا الدرعية تسعة أشهر حكماً إرهابياً تعسفياً بشهادة المؤرخين الأوربيين أنفسهم[١].

ومن المفارقات أن يسل أولئك النفر من أهل الكتاب أقلامهم لمحاربة الدعوات الإصلاحية في الإسلام ، آخذين عليها محاربتها لأعداء الدعوة، متناسين تلك الحرب الصليبية الشنعاء التي شنها النصارى في بلاد الإسلام على بعد آلاف الأميال عن ديارهم ، تلك الحرب المتجردة من الضمير ، والتي لم تخلف سوى الدمار ، ولم يكن لها هدف سوى نفث الأحقاد ، متناسين ما فعل اليهود ، وما يفعلون في فلسطين ، وما يقوم به النصارى الصرب من حرب إبادة ضد المسلمين في البوسنة قديماً وحديثاً أمام بصر العالم وسمعه ، بل إن هؤلاء الإنجليز يقفون ضد أي محاولة للسماح للمسلمين للتزود بالسلاح للدفاع عن أنفسهم.

المطلب التاسع : فيما يتعلق بتجارة الرقيق :

جاء في الدائرة : (وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيماً

(١) اكتشاف جزيرة العرب ٢٤٢.

أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين)[١].

قلت : إن حكمنا على الرق نابع من نظرتنا إليه «في ضوء الشناعات التي ارتكبت في عالم النخاسة ، والمعاملة الوحشية التي سجلها التاريخ في العالم الروماني خاصة ، فنستفظع الرق ، ولا تطيق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة أمراً مشروعاً يقره دين أو نظام»[٢] ، بينما يجب أن ننظر إليه في ضوء الإسلام الذي حرم سرقة الأحرار ، وحصر الرق في أسرى الحرب خاصة إذا كان ثمة مصلحة من استرقاقهم ، وفتح أبواب التحرير ، وجعلها من أفضل الأعمال : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[٣] ، كما جعل غالب الكفارات شرطها الأول إعتاق الرقيق. وجعل إعتاقهم من مصارف الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام.

بل أمر بإعتاقهم بالمكاتبة على قدر من المال إذا أسلم الرقيق ، وعُرف

---

(١) الدائرة ٦/ ٢٩٧ ، بحر فارس بكنكهام.

(٢) شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ٣٨ ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) البلد الآيات: ١١ - ١٨.

منه قيامه بنفسه ورغبته في ذلك : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ...﴾[1].

كما أمر بمعاملة الرقيق معاملة إنسانية والإحسان إليهم ، فقد قال النبي ﷺ : (إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويُلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) متفق عليه[2].

كما حفظ حقوقهم وحذر من التعدي عليهم كما جاء ذلك عن النبي ﷺ : (من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال) رواه مسلم[3].

وقد طبق المسلمون هذه المعاملة في الغالب ، كما طُبقت في الجزيرة العربية إبان دعوة محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – هذه التعاليم الإسلامية تجاه الرقيق ، مما لا يقارن مع معاملة الغربيين للرقيق بشهادة

---

(١) النور الآية: ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ «العبيد إخوانكم فأطعموهم» برقم (٢٥٤٥)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس برقم (١٦٦١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب التغليظ على من قذب مملوكه بالزنا، برقم (١٦٦٠).

الجميع ، وإنني لا أذكر شهادات المسلمين ، ولكنني سأستشهد ببعض الأوروبيين الذين زاروا البلاد الإسلامية ، وبالتحديد الجزيرة العربية فهالهم حسن معاملة المسلمين للرقيق ، فهذا أول قنصل بريطاني في زنجبار يصف حالة الرقيق : «إنهم عموماً يتناولون طعاماً جيداً ولا تساء معاملتهم ، ومن النادر ضربهم»(١).

ويقول أحد الذين خلفوه : «لا توجد طبقة في المجتمع سعيدة وخالية البال و تحظى بمعاملة كريمة كطبقة العبيد المسلمين»(٢).

وقد كتب المقيم الإنجليزي في الخليج سنة ١٨٤٤م يصف حالة الرقيق بعد انتقالهم للعرب : «ومن اللحظة التي يتم فيها شراؤهم تتحسن حالتهم من الناحية المادية ، وهم بدورهم يعملون كثيراً عن طواعية وبإتقان ، ويتضح أنهم سعداء وراضون».

ويقول الكاتب والمؤرخ أرنولد ويلسون يصف معاملة العرب للأرقاء في الخليج في القرن التاسع عشر الميلادي – أي أيام دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب – : «كان السادة ملزمين بموجب الشرع بأن يعاملوا الأرقاء معاملة جيدة ويطعمونهم ويكسوهم ويحافظوا عليهم حتى موتهم، ويزودوا كل رقيق ذكر بزوجة ، ويحافظ على أولادهم ، وكانت

---

(١) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠ ، جون. ب. كيلي ٥ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، دطت.

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨١٠ لجون كيلي ٥.

حياة الرقيق في الجزيرة العربية على قسوتها ليست على التأكيد أقسى من حياة العربي العادي، كما كانت أقل عسراً من حياة رجل القبائل الإفريقي، ومن المؤكد أنها لم تكن حياة مهينة، ويصل الأرقاء في العادة إلى منازل رفيعة من الثقة، ونظراً لاعتناقهم الإسلام كانوا أهلاً للحصول على حريتهم في الظروف الصحيحة «المتفق عليها»[١].

وقد أكد برترام توماس الكلام السابق من واقع خبرته ومعرفته الوثيقة بحضرموت وعمان حيث قال: «إن معاملة العربي للعبد قد قضت نهائياً على وصمة العار التي تلازم العبيد في المناطق الأخرى، وذلك أن المعاملة الحسنة والرفق بالعبيد هي السمة الغالبة اليوم في معاملة العرب للرقيق»[٢].

وقد حكت الليدي آن بلنت – وقد زارت الجزيرة العربية سنة ١٨٧٩م إبان حكم آل رشيد– مناقشة لها مع أحد مشائخ الحرم المدني وقد التقت به في حائل وهو صالح بنجي حيث قال لها: ما هي مصلحة الحكومة البريطانية الدنيوية من تدخلها في تجارة الرقيق.

قالت: إنها منع القسوة.

ولكنه أصر على ألا قسوة فيها وسأل: من ذا الذي رأى زنجياً تساء معاملته؟

---

(١) الخليج العربي لأرنولد ويلسون ٣٦٨.

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠ لجون كيلي ٦.

فسكتت، وجاء في كتابها: «حقاً إنه لشيء مشهور أن العبيد عند العرب كالأطفال المدللين أكثر من كونهم خدماً»[١].

إن أكبر استرقاق بل سرقة للأحرار واسترقاقهم قد تمت تحت نظر الدول الغربية وسمعها، بل بإشرافها ورعايتها، فهل كان السببُ في تدخل بريطانيا في سياسة بحر فارس - وهو يبعد آلاف الأميال- الغيرةَ على العبيد؟!

كيف! وهم السابقون إلى سرقة الأحرار في إفريقيا -خاصة في السنغال- وبيعهم في أسواق أوروبا.

إن أكبر مراكز تجارة الرقيق كانت في عمان، وكانت تجارة الرقيق تعتمد في الدرجة الأولى على موسم حصاد البلح في البصرة[٢].

ومن المعلوم أن أُمراء عمان المتعاقبين كانوا خلفاء الإنجليز ضد الحركة الوهابية، وكانت البصرة التي تهيئ العمل للأرقاء تحت حكم الإنجليز في تلك الفترة.

---

(١) رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت ٢٦٠ - ٢٦١، ترجمة محمد أنعم غالب، تقديم حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ - ١٩٦٧م.

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ لجون كيلي ٥.

المطلب العاشر : فيما يتعلق بالتقليد :

جاء في الدائرة : (وينكر الوهابية ، وأولهم إمامهم ابن عبدالوهاب التقليد)[١].

قلت : هذا أيضاً من مفتريات القوم فلم ينكر محمد بن عبدالوهاب وأتباعه التقليد بهذا التعميم؛ لأن المسألة فيها تفصيل ، ذلك أن محمد بن عبدالوهاب وأتباعه يرون وجوب الاجتهاد بحسب القدرة ، وذم المقلد مع قدرته على الاجتهاد ، أو التقليد مع علمه بمخالفة ذلك لما جاء به الرسول ﷺ ، أما من قلد الأئمة الأربعة من عوام الناس فأقروه من غير نكير[٢].

وهذا قول جمهور العلماء[٣].

ذلك أن التقليد كما عرفه العلماء وجاء في نفس المادة في الدائرة : «قبول قول الغير أو العمل به في مسائل الدين بلا دليل» وعبر عنه بعض الأصوليين بأنه : «قبول قول القائل بلا حجة»[٤].

---

(١) الدائرة ٩/ ٤٧٦ ، التقليد ، شاخت.

(٢) الدرر السنية ٣/ ٨ – ١٤.

(٣) الإبهاج شرح المنهاج عبدالوهاب بن علي السبكي ٣/ ٢٧١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٤) الإبهاج للسبكي ٣/ ٢٧٠.

وكيف يسوغ لمن عرف الأدلة واستطاع الاجتهاد أن يقلد!

فمذهب الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه موافق للقرآن والسنة وسلف الأمة وجمهور العلماء، وهو ظاهر راجح لمن تأمله وتدبره، فإنكاره ليس لعموم التقليد، وإنما لفروع منه.

وختاماً: فهذه دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوة إصلاحية موافقة للقرآن والسنة متبعة مذهب أهل السنة والجماعة، دعاتها أرادوا تنقية الدين وتجديده من الشرك والبدع والتقاليد الجاهلية، وهم كغيرهم من البشر ليسوا معصومين، قد يقع منهم الخطأ، ولكن من العدل أن توزن الأمور فمن طغى خيره وصلاحه وإصلاحه عُذر فيما وقع منه من الأخطاء البسيطة التي هي من ضرورات البشر.

والناظر لهذه الدعوة ببصيرة متجرداً من الحقد والهوى فإنه سيعلم فضلها على الأمة، وتضحية أصحابها.

وللإنصاف فإن كان غالب كتاب الدائرة ممن كتب عن الدعوة تجنى عليها، إلا أنه صدرت من بعض المؤرخين الغربيين أقوال منصفة في حق الدعوة، ومن ذلك: ما جاء في دائرة المعارف البريطانية:

«الوهابية: اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح»[1].

---

(١) انظر محمد بن عبدالوهاب في التاريخ للرويشد ٤٢٢.

قال «وليمز وارمسترونج» : «...لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبدالوهاب يحارب البدع ، ويدعو إلى جمع الصفوف لإعادة مجد الإسلام ، وعبادة الله بقلب سليم ، ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد واتُّهِمَ بالإلحاد والزندقة»[1].

وقال المؤرخ الأمريكي لوثرب ستودار[2] : (...فالدعوة إنما هي دعوة إصلاحية صالحة بحتة غرضها إصلاح الخرق ونسخ الشبهات وإبطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله ، ولبابه وجوهره ، أي إنما الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة)[3].

وقد توقع الكاتب الفرنسي «الكسندر دوماس» بعد دراسة لدعوة

---

(١) صحائف مطوية ، عبدالله خيام إمام وخطيب المسجد الحرام ٣٤ ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ١٣٩٨هـ ، نقلاً عن كتابه «ابن سعود».

(٢) لوثرب ستودار ١٨٨٣ – ١٩٥٠م مستشرق أمريكي ومؤرخ اجتماعي ألف العديد من الكتب منها كتابه المشهور «حاضر العالم الإسلامي» وقد تُرجم بالإضافة إلى العربية إلى الألمانية والتركية والفارسية. (كتب ترجمته عجاج نويهض مترجم حاضر العالم الإسلامي ٤٣ – ٤٤)

(٣) حاضر العالم الإسلامي ، لوثرب ستودار ٢٦٤.

الشيخ واطلاعه على كتب الرحالة الغربيين لجزيرة العرب وتأليفه في ذلك[١] : انتشار تلك الدعوة وظهورها وذلك عند حديثه عن احتمال ظهور قوة عربية جديدة[٢] ، بفضل : «أمة الوهابيين التي تمتلك حيوية الأجيال الفتية ، وإيمان المرسلين ، وحماسة واقتناعاً دينيين مبعثهما المعتقد الوهابي ، هذا المعتقد الذي هو مؤهلاً لأن يسود ... إن الإصلاح لوشيك الحدوث من القفقاس إلى رأس زنْجبار.. إن مائتي مليون مسلم يتعادون ويتنازعون ، تجمعهم نقطة عقائدية واحدة هي الحج ، تشتم خلاله كل شيعة الشيعة الأخرى... ولكن المستقبل في غمرة كل ذلك للوهابيين وحدهم... ولمذهبهم الذي يختفي أمامه ألوف الأولياء ، والشيوخ والمتصوفون ، الذين يقدسهم المسلمون من غير الوهابيين ، وأمام مبادئهم الخُلقية التي تكاد تكون مبادئ إنجيلية تمحور ذلك الانحلال الشرقي المنتشر في أكثر العواصم»[٣].

---

(١) مما ألف : قصة رحلة إلى شبه الجزيرة العربية ، ألفها في سنة ١٨٥٦ ، وزيارة الحاج علي بك لمكة والمدينة والعربية السعيدة ، ألفها في ١٨٥٦ — ١٨٥٧.

(٢) كتب هذا الكلام بعد سقوط الدولة السعودية الأولى ، وظهور الدولة الثانية.

(٣) اكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين ٣٤٧ ، وهو يتوقع ظهور دعوة محمد بن عبدالوهاب لوضوحها وعدم تقديسها المخلوقين والأضرحة ، ولمبادئها الخلقية السامية ولبعدها عن التعصب ، وهي إسلامية قرآنية لا إنجيلية ، والانحلال الشرقي ليس أعظم من الانحلال الغربي.

المبحث الرابع

طعون أخرى متفرقة

المطلب الأول : الطعن في الدعاة والمجاهدين :

جاء في الدائرة : (أما الإسلام فإنه بعقيدته المتشددة التي تنادي بالوحدانية في غير تهاون أو تسامح ، والذي كان يقاومه الناس بسبب اعتزاز دعاته بأنفسهم ومسلكهم المثير)[١] .

كما جاء أيضاً : (ولقد لفتني الأب لامنس إلى أن الحديث الذي يروى أن أبا بكر استعبر عندما سمع عظة النبي يرجع كذلك إلى أصل مسيحي ، فإن هبة الدموع المعروفة في التصوف المسيحي لا تتفق كثيراً وخلق العرب الفاتحين)[٢] .

وجاء أيضاً : (ويمتدح شيوخ المسلمين بصفة عامة إكراه أي شخص على اعتناق الإسلام في أية ناحية من نواحي جزائر الهند الشرقية ، ويعدون هذا أداء لواجب من أهم واجبات الجهاد)[٣] .

قلت : يرمي كتاب الدائرة في النقول السابقة إلى الطعن في الإسلام

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٤٧٧ ، الصين ، هارتمان.

(٢) الدائرة ٤/ ٥٧٩ ، إنجيل ، كارد فو.

(٣) الدائرة ٧/ ١١٣ ، برنك سبيل «أي الجهاد باللغة الأندنوسية» ، كرن.

ودعاته ، ونجد في النصوص القليلة السابقة عدة دعاوى رُكبت على بعض ، وهي :

١-أن عقيدة الإسلام متشددة.

٢-سوء مسلك دعاة الإسلام.

٣-مقاومة الناس لدعاة الإسلام ، وهي نتيجة للاتهامين السابقين.

٤-امتداح شيوخ المسلمين بصفة إكراه الناس في أية ناحية في جزر الهند الشرقية «الملايو : ماليزيا وأندونوسيا والفلبين...» على الإسلام ويعتبرونه من الجهاد.

٥-قسوة قلوب العرب الفاتحين.

٦-تضعيف حديث بكاء أبي بكر. وهو نتيجة للاتهام السابق.

والجواب على كل ذلك من وجوه :

الأول : فيما يتعلق بدعوى مقاومة الناس للإسلام بسبب عقيدته المتشددة ، ومسلك دعاته ، فإن ذلك قلب للحقائق؛ ذلك لأن الإسلام أقل الأديان التي واجهت مقاومة من الناس؛ بسبب عقيدته المتسامحة ، وخلق دعاته الرفيع.

إنني لا أزكي جميع دعاة الإسلام في كل مكان ، ولكن من حيث العموم هذا هو الواقع ، وقد دخل الإسلام ماليزيا وأندونوسيا وسواحل

الصين وجميع جزر الهند الشرقية التي يذكر فيها الإكراه من غير دولة ولا قوة بل بسبب أخلاق المسلمين التجار.

أما العقيدة الإسلامية فقد تقدم سماحتها وملاءمتها للفطرة بما يغني عن الإعادة[١]، ومما يجدر التنبه إليه أن مثل هذه الأحكام تفسير لنا اتهامهم للدعوات الإسلامية الإصلاحية بالتشدد؛ حيث أن المقصود ليس جماعة بعينها، بل الإسلام كله.

الثاني: فيما يتعلق بإكراه الناس للدخول في الإسلام فقد تقدم في مبحث الشريعة أن الإسلام لا إكراه فيه ولم ينتشر بحد السيف[٢].

وفيما يتعلق بالمشائخ المذكورين الذين حاول الكاتب التشنيع عليهم، فلا أعتقد أن الأمر صحيح، و«لسنا نعرف في أي بلدة من بلدان الإسلام أن هناك علماء من شيوخ المسلمين يرضون عن إكراه إنسان على اعتناق الإسلام -فضلاً على أن يشجعوا عليه- ولا نظن كاتب المادة متحققاً من هذا النقل»[٣].

إن شيوخ المسلمين يشجعون المسلمين لدعوة غيرهم للدخول في الإسلام، ولكن من غير ضغوط.

---

(١) انظر صـ ٢٥١.

(٢) انظر صـ ٨١٧.

(٣) الدائرة ٧/ ١١٣، برنك سبيل، تعليق أحمد شاكر.

وقد تقدم أن الإسلام دخل تلك الجزر من غير قوة ولا إكراه، وليس من المعقول أن يخالف عامة شيوخ الإسلام تعاليمه في تلك المناطق، وإذا حصل شيء من ذلك فهو خطأ وشذوذ، والشاذ لا حكم له، والإسلام بريء منه.

الثالث: فيما يخص النقل الذي لفت فيه الأب لامنس كارده فو على تضعيف بكاء الصديق -رضي الله عنه- لما سمع عظة النبي ﷺ وإرجاعه إلى أثر مسيحي بسبب جلافة العرب الفاتحين واستبعاد تصور ذلك فهو أمر مثير للعجب، فتضعيف الحديث دون نظر في سنده، ودون رجوع إلى قوانين نقد الرواية عند المختصين، وإنما لاستبعاد أن يصدر ذلك من العرب الفاتحين هو تحامل وعنصرية تنبئ عن منهج القوم المجافي للعلمية والإنصاف، ولو افترضنا جدلاً شراسة العرب الفاتحين وقسوة قلوبهم، فهل هذا يسري على كل عربي، ويجوز من خلاله أن نطعن في كل رواية تدل على رقة قلب أحدهم؟ إنه بهذا المنهج يمكن أن يطعن في مئات الروايات المتواترة التي فيها رقة قلوب المسلمين الفاتحين.

والحديث الذي ضعفه هو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، ونصه: أن النبي ﷺ خطب في الناس وقال: (إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله) فبكى أبو بكر، وعجب الصحابة لبكائه، قال أبو سعيد الخدري راوي الحديث: «فكان

رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمَنا»[١].

وأبو بكر قد ثبت عنه الرقة والبكاء بوجوه عدة منها: ما ثبت في الحديث الطويل الذي فيه محاولة أبي بكر للهجرة إلى الحبشة وجوار أحد المشركين له لحسن خلقه، وصلاته بفناء داره واجتماع نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه قالت عائشة: «وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين»[٢]، ولمّا مرض النبي ﷺ وقال لعائشة: (مُري أبا بكر فليصلّ بالناس) قالت: «إنه رجل أسيف متى يقم مقامك رقَّ»[٣].

وبكاء المسلمين عند سماع القرآن، أو عند ذكر الله متواتر معلوم، كما جاء في القرآن بالحض على ذلك، وذم قساوة القلوب في آيات عديدة منها قوله سبحانه في ذم المشركين: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٤]، وقوله سبحانه مادحاً البكاة من خشية الله:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قول النبي: «سدوا الأبواب» برقم (٣٦٥٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، برقم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق، برقم (٤٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، برقم (٣٣٨٤).

(٤) النجم الآيتان: ٥٩ ــ ٦٠.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[(١)]، كما حضت السنة الشريفة على ذلك حيث يقول النبي ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: - وذكر منهم- ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[(٢)]، بل كان النبي ﷺ نفسه يبكي عند سماع القرآن[(٣)]، وكان يُسمع من جوفه وهو يصلي أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء[(٤)].

الرابع: المجاهدون في سبيل الله الذين فتحوا البلاد كانوا أرقى الأمم في فتوحهم، وأحسن الناس مسلكاً، وكانوا يمتثلون لأخلاق الإسلام العالية، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان إذا أمَّر أميراً على جيش أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً)[(٥)].

---

(١) مريم الآية: ٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، برقم (٦٤٧٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

(٣) انظر البخاري كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك، برقم (٥٠٥٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن برقم (٨٠٠).

(٤) أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة، تفريع أبواب الركوع والسجود، باب البكاء في الصلاة برقم (٩٠٤)، والنسائي في كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة، برقم (١٢١٤)، وأحمد ٤/ ٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ١/ ٢٦٠ برقم ١١٥٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، برقم (١٧٣١).

كما كان ﷺ ينهى عن قتل النساء والصبيان[١].

وهذا الصديق - رضي الله عنه - الذي استبعد المستشرق رقة قلبه يوصي يزيد بن أبي سفيان لمّا ولاه على جيش في غزو الشام: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن»[٢].

ونهي الشريعة الإسلامية عن التخريب والتدمير وقتال غير المقاتلين في الجهاد معلوم لكل من اطلع عليها[٣].

وقد التزم الفاتحون في فتوحهم بذلك، كيف لا! وقد خرجوا لإعلاء كلمة الله.

إن أكبر شاهد على ذلك، وعلى سماحة خلق العرب الفاتحين هو: الفتوح الإسلامية حيث لم يُكره اليهود والنصارى على الدخول في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب برقم (٣٠١٥)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، برقم (١٧٤٤).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو برقم (١٦٢٧).

(٣) انظر المغني، محمد بن أحمد بن قدامة ٨/ ٤٤٨ - ٤٥٤، ٤٧٥ - ٤٧٨، مكتبة الرياض الحديثة، دطت.

الإسلام بل ظلوا بين المسلمين في ديارهم حتى اليوم.

وفتح المسلمون الهند وحكموها ثمانية قرون ، ولم يفرضوا العقيدة الإسلامية على الوثنيين الهنود ، بل تركوهم لعقائدهم مع أن فيها ما لا يعقله عاقل من عبادة للبقر وتبرك بروثها وبولها[١].

بل جاء في نفس الدائرة : (وتعاقب على حكم السند كثير من الولاة المسلمين تاركين الإدارة في أيدي أهل البلاد الذين كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في حرية لا يحدها شيء)[٢].

وبعد فتح القسطنطينية حرم محمد الفاتح اضطهاد المسيحيين ، وأعلن نفسه حامي الكنيسة الإغريقية ، وكانت رئاسة الكنيسة في عهده تتمتع بسلطات أهلية واسعة لم تتمتع بها أيام الأباطرة المسيحيين ، فكانت تفصل بين قضاياهم ، ولها أن تحكم بالإعدام في بعض القضايا ، وقد حكى المؤرخون الذين عاصروا تلك الفترة تسامح العثمانيين مع الرعايا المسيحيين[٣] ، هذا كله رغم أن القسطنطينية «استانبول» فتحت بالقوة بعد حصار شاق ، ويكفي أن رئاسة الروم الأرثوذكس ظلت في مقر الخلافة العثمانية آمنة الجانب.

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ٦٠١.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٥٧ ، السند ، هيج.

(٣) الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ١٧٠ ، ١٧٣.

تلك حقائق واقعة، اعترف بها المؤرخون والمفكرون الغربيون، بل أطنبوا في ذكر محاسن المسلمين الفاتحين وما جر على أصحاب البلاد من رحمة مدنية وتقدم وحرية، ومن ذلك:

- قال الأب بروغلي: «إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوماً صادقين ذوي دراية وذكاء، منهم أبو بكر وعمر رجلان توليا زمام دولة فسيحة الأرجاء، فأحسنا سياستها، وكانا ذوي ثبات وعدل، وقناعة وفضل، وكانا أرفع قدراً وأبعد مرمى من القياصرة الذين حاربوهما»[١].

- وقال المؤرخ الشهير غوستاف لوبون: «استردت سورية أيام الحكم العربي ما أضاعته من الرخاء منذ زمن طويل، وبلغت درجة رفيعة من الرقي في العهد الأموي، وفي الصدر الأول من العهد العباسي، وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي، وقد ترك العرب المسلمون الناس أحراراً في أمور دينهم، وأظل العرب أساقفة الروم ومطارنة اللاتين بحمايتهم، فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقاً من الدعة والطمأنينة، وقد بلغت الصناعة والزراعة درجة رفيعة في سوريا، وازدهرت بسرعة كبريات المدن فيه كالقدس وصور وصيدا ودمشق»[٢].

---

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي ١٩١ - ١٩٢، دار البيان، الكويت، دطت.

(٢) إلى الدين الفطري الأبدي للطرازي ٣٠٥.

- وتقول فاغليري[١] : «ليس من الغلو أن نصر على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني ، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية ، وكان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد ، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد»[٢] .

- وقال المؤرخ لوثرب ستودار[٣] : «ما كان العرب المسلمون قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا ، تواقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب»[٤] .

- وقال أيضاً : «وكانت بيت المقدس في أيدي المسلمين منذ الفتح العربي (٦٣٧م) وكان الخليفة عمر يرعى حرمة الأماكن المقدسة

---

(١) لورا فيشيا فاغليري مستشرقة إيطالية كانت أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بإيطاليا ، وكتابها هذا نشر بالإيطالية سنة ١٩٥٢م. (انظر مقدمة الكتاب ٥ – ٦)

(٢) دفاع عن الإسلام لورا فيشيا فاغليري ٣٥ ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

(٣) سبقت ترجمته صـ ١٠٤٨.

(٤) حاضر العالم الإسلامي للوثرب ستودار ٤.

النصرانية أيما رعاية ، وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره؛ فلا ضيقوا على النصارى ، ولا نالوا بمساس طوائف الحجاج الوافدين إلى بيت المقدس من كل فج من أفجاج العالم النصراني»[١].

- وهذه طائفة من أقوال المؤرخ الغربي الذائع الصيت توماس أرنولد[٢] : «اعتنق أهل أسبانيا الإسلام لاقتناعهم بالإسلام وكرههم للطبقية المسيحية... تسامح العرب كان وراء دخول الكثير في الإسلام ، وذلك تركهم لشعائرهم ، ويحكمون فيما بينهم بحكمهم... ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون إلى العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة ، واستمر في الأجيال المتعاقبة ، نستطيع أن نخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذي يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح... ولم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام ، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي ، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين

(١) حاضر العالم الإسلامي للوثرب ستودار ١٣ – ١٤.

(٢) سبقت ترجمته صـ ١٠٣.

لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها «فرديناند وإيزابلا»[١] الإسلام من أسبانيا، أو التي جعلت لويس الرابع عشر يعد المذهب البروتستنتي مذهب يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة ثلاث مئة وخمسين سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت تماماً عن سائر العالم المسيحي حيث لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف في جانبهم، وذلك باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن بقاء هذه الكنائس «أي في البلاد الإسلامية» حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحو المسيحيين»[٢].

- وقال كايتاني[٣] واصفاً تقبل المسيحيين للفتح الإسلامي: «لقد

---

(١) فرديناند وإيزابلا شخصيتان، فالأول هو فرديناند الأرغواني أحد ملوك أسبانيا النصارى وكان قاسياً معروفاً بالغدر، وأما ايزابلا فهي وريثة ملك قشتالة صليبية حاقدة تعلمت على أيدي الأحبار المتعصبين، وقد تزوجت فرديناند سنة ١٤٦٩م، فاتحدت المملكتان الصليبيتان في دولة واحدة، وارتكبت أبشع الجرائم الإنسانية باسم النصرانية. (انظر مصرع غرناطة، شوقي أبو خليل ٦٥ - ٦٦، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

(٢) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ١٥٤ - ١٥٩، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

(٣) ليونه كايتاني ١٨٦٩ - ١٩٢٦م مستشرق ومؤرخ إيطالي، كان يحسن سبع لغات=

تقبل السكان عن ارتياح واضح تغيير الحكومة ، وذلك بمجرد أن علموا أن العرب المسلمين سيحترمون حقوقهم الشخصية ، وسيتركون الحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية ، وفي الشام أسرعت مدن ومقاطعات بأكملها إلى التفاهم مع العرب حتى قبل أن تقع هزيمة الروم النهائية ، وفي العراق تقبل أهلها الحكم الإسلامي دون قيد أو شرط»[١].

الخامس : إن من العجب أن تُقلب الحقائق فيصور الأمر النقيض منه ، فتصور تلك الفتوح التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من حيث انتشارها وتقبل الناس لها على ضدها ، وينسى ما يوجد في الأسفار المقدسة عندهم حيث يوجد في التوراة الأمر بضرب جميع ذكور القرية إذا فتحت بحد السيف ، واستباحة جميع ما فيها ، وإذا فتحت صلحاً فإنه يستعبد جميع من فيها[٢].

كما مارس النصارى اضطهاد اليهود بعد القرن الثالث الميلادي ، ومن ذلك أن ملك الرومان بعد تنصره أمر ألا يسكن بيت المقدس اليهود ، ولا

=منها العربية ، له كتاب تاريخ الإسلام صدر بالإيطالية في ثمان مجلدات ضخمة.

(انظر الأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٠)

(١) إلى الدين الفطري الأبدي للطرازي ٣٠٢.

(٢) سفر التثنية ٢/ ١٠-١٧.

يمرون بها ، ومن لم يتنصر يُقتل ، فتنصر من اليهود خلق كثير[١] .

كما اضطهدت طوائف النصارى بعضها بعضاً ، فنجد أن الكنيسة الرومانية استعملت مرات عديدة الطرد والاضطهاد ضد البروستانت في ممالك أوروبا ، وقد بلغ من أُحرق بالنار أكثر من مائتي ألف ، كما أصدر كارلوس الخامس أحد ملوك أوروبا أمراً بطرد البروستانت سنة (١٥٢١م) من بلاد الفلامنك براي البابا ، وتسبب ذلك في قتل نصف مليون منهم ، وفي فرنسا قُتل في يوم واحد ثلاثون ألفٍ رجل ، كما شهدت مدينة كالابري الإيطالية سنة (١٥٦٠م) أمراً مماثلاً. يقول أحد الكتاب الرومان : «إنني ارتعد كلما تذكرت ذلك الجلاد والخنجر الدموي بين أسنانه ، والمنديل يقطر دماً ، وهو متلطخ اليدين إلى نهاية المرفقين ، يسحب واحداً بعد واحد من المساجين كما يفعل الجزار بالغنم»[٢] .

ثم ما انفك النصارى في حرب الإسلام واضطهاد أهله ، رغم حسن تعامل المسلمين معهم إبان الفتوحات ، وحسبنا في ذلك ما فعل

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/ ٢٨.

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، محمد جمال عبدالهادي ٣٥٧ – ٣٥٩ ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧هـ.

الصليبيون بالمسلمين في الشام وفلسطين ومصر من قتل وتدمير وتخريب. قال ميشو في تاريخ الحروب الصليبية : «لمّا استولى عمر بن الخطاب على بيت المقدس لم يُلحق بالنصارى ضرراً ما ، فلما استعاده النصارى قتلوا المسلمين قتلاً ، وأحرقوا اليهود حرقاً»(١) .

وذكر ابن كثير أن النصارى لما احتلوا بيت المقدس قتلوا ستين ألفاً من المسلمين(٢) .

وما فعل النصارى بالمسلمين في الأندلس من وحشية واستئصال ، حيث حولت المساجد إلى كنائس ، وأجبر المسلمون على دفن موتاهم في الكنيسة وحُرّم الختان والأسماء الإسلامية ، ومُنعوا من ذبح ذبائحهم، وفي النهاية أقيمت محاكم التفتيش التي كان العنف هو طابعها ، وكان الاستئصال التام للإسلام في تلك المناطق(٣) .

كما لا ننسى استعمار الدول النصرانية لبلاد الإسلام في القرن الماضي بقوة السلاح ، وامتصاص خيراتهم وفرض لغاتهم ، كما يمارس التنصير

---

(١) التعصب والتسامح للغزالي ١٩٦ ، ١٩٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٥٦.

(٣) انظر تاريخ مسلمي الأندلس «الموريسيكيين» ، انطونيو الأسباني وبرنارد الفرنسي ١١٥ – ١٢٥ ، ترجمة عبدالعال صالح طه ، دار الإشراف ، قطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

المُسمى بالتبشير أبشع الصور في استغلال النكبات وسرقة الأطفال تحت شعارات المنظمات الدولية[1].

وما يُرى اليوم تحت سمع العالم وبصره في البوسنة والشيشان وغيرهما حيث التخريب والدمار وقتل الأطفال والنساء.

كل ذلك على أيدي النصارى الذين نسب الكاتب إليهم هبة الدموع، وجعلها لا تتفق مع خلق العرب الفاتحين.

* * *

(١) انظر للاستزادة: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ ٣، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م. وأجنحة المكر الثلاثة للميداني ١٠٤.

المطلب الثاني : انتقاص قادة المسلمين :

يلاحظ على الدائرة انتقاص القادة المسلمين الذين حاربوا النصارى أو حققوا للإسلام مكاسب ، ومهما كانت سيرهم حسنة فإنهم يحاولون الاصطياد في الماء العكر ، وسأتناول نماذج منهم : صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس ، وملوك المرابطين في المغرب.

جاء في ترجمة صلاح الدين الأيوبي محاولة الكاتب التقليل من شأن انتصاراته بقوله : (وقد استطاع أن يحقق هذه الأهداف -تمكنه من السلطة وكبح جماح الشيعة ومقاتلة الصليبيين- إلى حد كبير ، لأن الطريق كان ممهداً له بغض النظر تماماً عن قدرته وحميته ، إذ لولا ما أتاه نورالدين من قبل من أعمال ، ولولا قدرة أبيه أيوب السياسية ، واضمحلال الخلفاء الفاطميين ، وكسل أهل مصر ، بل لولا المشاحنات الداخلية بين الصليبيين ، لما استطاع قط أن يحرز تلك الانتصارات العظيمة في حياته بالقدر الذي أتيح له)[١].

كما جاء في الدائرة عن الظاهر بيبرس بعد مدحه في الجوانب العسكرية : (وعلى الرغم من عدم سمو مثله الخُلُقية؛ فقد كان أكثر السلاطين المماليك قدرةً وتوفيقاً)[٢].

---

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٢٢٦ ، صلاح الدين ، سوبر نهايم.

(٢) الدائرة ٨/ ٤٨٩ ، بيبرس ، سوبر نهيم.

كما جاء عن أمراء المرابطين في المغرب والأندلس : (وكان مذهب التجسيم في أغلظ صوره شائعاً عندهم ، فأخذوا التعابير المجازية في القرآن ظاهر لفظها ، وصوروا الله بصورة تجسيدية)[١]، وقال ابن تومرت: (فهاجم بشدة المرابطين الذين كانوا يتبعون المذاهب الباطلة)[٢].

قلت : أما صلاح الدين[٣] فقد جاء في وقت تفرق المسلمين فسعى لتوحيدهم ، وكان العالم الإسلامي في حالة تمزق شديدة ، فبفضل الله تعالى ثم ما آتاه من حسن ديانة ومؤهلات في شخصيته استطاع أن يهزم الصليبيين ويحرر بيت المقدس بشهادة الجميع ، وما ذكره الكاتب هي ظروف مساعدة وليس هي كل شيء.

قال الذهبي عنه : «كان خليقاً للأمارة ، مهيباً شجاعاً حازماً ، مجاهداً كثير الغزو.. وكانت له همة في إقامة الجهاد ، وإبادة الأضداد ما سُمع

---

(١) الدائرة ١/ ٢٢٩ ، ابن تومرت ، رينيه باسيه.

(٢) الدائرة ١/ ٢٣٠ ، ابن تومرت ، رينيه باسيه.

(٣) يوسف بن أيوب صلاح الدين الأيوبي ٥٣٢ – ٥٨٩ ، كردي من أشهر ملوك الإسلام، نشأ بدمشق وتعلم الحديث والأدب والعلم بها ، اشترك في وقائع عسكرية مع عمه شيركوه فظهرت مزاياه العسكرية ، تولى الملك ، وحارب الصليبيين ، وحرر بيت المقدس منهم ، كان شجاعاً كريماً متسامحاً زاهداً ، غيوراً على الإسلام. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٤ – ٦)

بمثلها لأحد في دهر... محاسن صلاح الدين جمة، لاسيما الجهاد، فله فيه اليد البيضاء ببذل الأموال والخيل المُثمَّنة لجنده، وله عقل جيد، وفهم، وحزم، وعزم»[١].

وقال ابن كثير: «كان همه الأكبر، ومقصده الأعظم نصرة الإسلام، وكسر أعدائه اللئام... وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها جماعة... وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث، وكان كثير التعظيم لشرائع الدين.... وكان من أشجع الناس وأقواهم بدناً وقلباً»[٢].

وأما **الملك الظاهر بيبرس**[٣] فيكفيني في هذا المقام لتفنيد كلام الكاتب أن أستشهد بما ذكره العلامة ابن كثير في صفات الظاهر بيبرس الخُلُقية – وهو من أقرب المؤرخين المسلمين زماناً إليه– ولنعلم أيضاً السر في حقد الدائرة عليه رغم سيرته العطرة.

قال – رحمه الله– عنه: «كان شهماً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٢٧٩ – ٢٨٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٥.

(٣) بيبرس البندقاري الصالحي الملك الظاهر ٦٢٥ – ٦٧٦هـ أفضل سلاطين المماليك صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، وكان شجاعاً يباشر الحروب بنفسه، وله الوقائع الهائلة مع التتار والصليبيين والفتوحات العظيمة. (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٣، ٢٧٥ – ٢٧٦)

إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير»[١].

وقال أيضاً: «كان الملك الظاهر شهماً شجاعاً عالي الهمة بعيد الغور مقداماً جسوراً معتنياً بأمر السلطنة يشفق على الإسلام، متحلياً بالملك، له قصد صالح في نصرة الإسلام وأهله... وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عوناً ونصراً للإسلام وأهله، وشجاً في حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين، وأبطل الخمور، ونفى الفساق من البلاد، وكان لا يرى شيئاً من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته، وقد ذكرنا في سيرته ما ارشد إلى حسن طويته وسريرته»[٢].

أما أمراء المرابطين فلم يكونوا مجسمين، بل كانوا يثبتون صفات الله تعالى كسلف الأمة، ولكن الدائرة تجعل ذلك تجسيماً، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنهم نسبوا نفس التجسيم للقرآن الكريم[٣] وصحيح البخاري[٤].

إن أُمراء المرابطين لاسيما يوسف بن علي وابنه علي – الذي حكم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٢٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٣) انظر صـ ٢٧١.

(٤) انظر صـ ٢٩٧.

ستاً وثلاثين سنة - اشتهرا بالصلاح والعدل والجهاد في سبيل الله ، وقد أنقذ المرابطون الأندلس من الضياع وحافظوا عليها نصف قرن من الزمان، وكانوا حرباً على الصليبيين ، ولا أدل على ذلك من معركة الزلاقة التي دحروا فيها النصارى بعد فتكهم بجيش ابن عباد أحد ملوك المسلمين في الأندلس(١).

وأما ابن تومرت(٢) الذي هاجم أصحاب المذاهب الباطلة على زعم المستشرق ، فهو أوْلى بهذه الصفة ممن هاجمهم ، حيث أنه مع ما ظهر منه من التعبد والزهد والأمر بالمعروف ، إلا أنه ادعى من المعجزات ما ليس له ، ليُظهر أنه المهدي مع علمه بكذبه ، كما ادعى أن مَلَكاً نزل عليه وعلّمه القرآن والموطأ ، وكان يكلف أناساً بأن يختبئوا في الآبار ، ويدّعي أنهم ملائكة يشهدون له ، فيسألهم فيشهدون له ، فيأمر بطم البئر عليهم.

قال ابن كثير : «وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلداً في

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٢/ ٦٩ ، الأعلام للزركلي ٥/ ٣٣ ، الزلاقة ، شوقي أبو خليل ٢٢ - ٥٤ ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) محمد بن عبدالله تومرت المصمودي ٤٨٥ - ٥٢٤ ولد بالمغرب وتعلم بالعراق وتتلمذ على أبي حامد الغزالي ، ثم عاد إلى المغرب وأظهر الزهد ، والشدة فيما ينافي الشرع وخرج على المرابطين وكون جيشاً وسمى من معه الموحدين وقضى على المرابطين. (انظر البداية والنهاية ١٢/ ١٨٦ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٢٨ - ٢٢٩) .

أحكامه وإمامته ، وما كان في أيامه ، وكيف تملك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهم أنها أحوال برة ، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزهق من الأنفس»[١].

وقال ابن تيمية عنه : «كان فيه طرفاً من الزهد والعبادة ، ولما رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب؛ إلى قوم من البربر وغيرهم : جهال لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله ، فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام ، واستجاز أن يُظهر لهم أنواعاً من المخاريق ، ليدعوهم بها إلى الدين ، فصار يجيء إلى المقابر يدفن بها أقواماً ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم ، ويشهدوا له بما طلبه منهم ، مثل أن يشهدوا له بأنه المهدي... وأن من اتبعه أفلح ومن خالفه خسر ، فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ، ويشهدون له بذلك عظم اعتقادهم فيه ، وطاعتهم لأمره ، ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا ، ولا يُظهروا أمره ، واعتقد أن دماء أولئك مباحة... واستحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة... فزعم أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة»[٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٤٧٦ - ٤٧٨.

كما بين ابن تيمية أن عقيدته أقرب إلى عقائد الفلاسفة في الأسماء والصفات ، وأنه لم يذكر في كتابه المُسمى «المرشدة» عقائد السلف وأئمة المسلمين من إثبات صفات الله ، بل كان يصف الله بالوجود المطلق مشابهاً للفلاسفة والجهمية ، وتسميته لأصحابه بالموحدين إنما كان لنفيهم صفات الله ، كما سمى المعتزلة أنفسهم بأنهم أهل العدل والتوحيد، وتخصيص أصحابه بهذا مما أنكره المسلمون إذ جميع أمة محمد ﷺ موحدون ، ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد[١].

وبذلك يعلم أن مقصود كتاب الدائرة برمي المرابطين بأنهم أصحاب مذاهب باطلة لسبب اتباعهم القرآن والسنة ، وما وافقوا فيه سلف الأمة في إثبات صفات الله تعالى.

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٤٨٥ – ٥٨٧.

المطلب الخامس : وصف متبعي السنة برؤية الهلال في الصوم بالتشدد :

جاء عن متبعي السنة في جزر شرق آسيا : (وفريق المتشددين في تطبيق الشرع ، ومعهم الجددون ، وهم يصرون على الرؤية «الهلال»)[١] .

قلت : رؤية الهلال معتبرة لدخول شهر رمضان ، لقول النبي ﷺ : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن أغمي عليكم فاقدروا له)[٢] .

وقد بوّب النووي شارح صحيح مسلم : «باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، والفطر لرؤيته»[٣] .

فليس اشتراط الرؤية تشدداً بل هو تطبيق للسنة الشريفة في الصوم وهو مذهب سائر العلماء ، ومنهم الأئمة الأربعة[٤] .

---

(١) الدائرة ٨/ ٤٠٩ ، بوسة «وهو الاسم الذي يطلق على شهر رمضان في جزر الملايو» ، كرن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ «إذن رأيتهم الهلال فصوموا» برقم (١٩٠٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، برقم (١٠٨٠).

(٣) شرح مسلم ٧/ ١٨٨.

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١/ ٥٤٨ – ٥٤٩.

الفصل الخامس
تمجيد الدائرة لأئمة الضلال والبدع [1]

- نظرة عامة لما في الدائرة
- الأناجيل المحرفة
- الفلاسفة
- فلاسفة التصوف القائلين بوحدة الوجود والحلول
- الباطنية
- الزنادقة
- الشيعة
- المعتزلة
- الصوفية
- مطالب متفرقة

---

(١) هذا الفصل أضيف للرسالة وأصله بحثان مستقلان، الأول يتعلق بالفلاسفة، والباطنية والزنادقة وهو بحث محكم ومقبول للنشر في مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية بإسلام آباد، والآخر يتعلق بأكثر المتبقي وهو بحث محكم ومقبول للنشر في كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر بالمنوفية.

المبحث الأول

نظرة عامة لما في الدائرة

يحرص المستشرقون على تزكية الفرق وتبرئتها من انحرافاتها ، وتعظيم أئمة الضلال ، وهذا موجود بكثرة في كتابات المستشرقين في الدائرة وخارجها ، كما مارسوا عملاً انتقائياً في مجال التحقيق فأخرجوا كتب أئمة البدع فحققوها ونشروها ، وألّفوا المؤلفات العديدة في الإشادة بالفرق المختلفة ورجالها.

وأكبر أهدافهم في ذلك إبراز تلك الفرق وإحياء ما مات منها ، وتبرئتها من الانحراف ، وإلصاقه بأئمة السلف.

يقول قولد زيهر : «يُنسب للإسلام عادة كثرة فرقه الدينية وتعددها ، وتباين تعاليمها وتنوعها ، وذلك إلى الدرجة التي لا يسمح بها التقدير المتزن للوقائع الصحيحة المستنبطة من تاريخه.

ويرجع أغلب الخطأ في هذا إلى علماء الكلام المسلمين أنفسهم؛ إذ أساءوا فهم حديث من الأحاديث النبوية قُصد به في الأصل تمجيد الإسلام وإعلاء شأنه ، فخصه بقدر من الفضائل والمزايا ، بلغت في عددها ثلاثاً وسبعين ، تقابلها في فضائل اليهودية إحدى وسبعون ، ومن المسيحية اثنتان وسبعون ، ففهمها الكلاميون على أنها ثلاث وسبعون

فرعاً أو فرقة»[١].

ولا يحسد المستشرق على هذا الفهم الذي تفتق عنه ذهنه، وعلى هذا السبق والتفرد الذي ظن أنه فاق به الجميع!

إن الخطأ الذي ظن قولد زيهر اكتشافه لم يقع فيه علماء الكلام فحسب؛ إذ أن هذا الفهم هو ما فهمه صحابة النبي ﷺ وتابعوهم وكافة علماء الإسلام سواء كانوا محدثين أو متكلمين أو غيرهم.

إن هذا نموذج لمحاولة التحريف المكشوف الذي يقوم به أولئك القوم لتحقيق أهدافهم، ومنها محاولة تبرئة الفرق المنحرفة.

ولو تابعنا ما كتبه قولد زيهر في هذه المسألة فسنجد قوله: «فمما يدل مثلاً على الجهل بتاريخ الإسلام جهلاً تاماً، وضع المعتزلة في عداد الفرق»[٢].

إن تبرئة تلك الفرق سيؤدي إلى أن تُحسب انحرافاتها بتناقضاتها على الإسلام الذي حذر منها!

والمتدبر للدائرة يجد أن نشر البدع من أهدافها الواضحة حتى أشار فريد وجدي إلى: «سيطرة البدع الدخيلة في الدين الإسلامي على مواد

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام لقولد زيهر، في مقدمة موضوع الفرق ١٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧.

الموسوعة باستفاضة مثيرة، حتى ليظن الباحث أنها من أصول الإسلام. وقد أمعن مؤلفوا الدائرة في تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررة، في حين تسطر هذه البدع على أنها من المعارف الإسلامية، في حين أن الإسلام يبرأ منها، وهو ما جاء إلا لمحاربتها»[١].

وفي الدائرة يُغض الطرف عن كثير من انحرافات المبتدعة من صوفية ومعتزلة وباطنية ومتفلسفة وعلمانية؛ بل ويُمجَّدون، وتحسب انحرافاتهم لهم بطريقة أو أخرى، ويُوصم خصومهم بالتشدد والظلم.

إن الميزان الواجب اتباعه عند المسلمين هو الوحي الإلهي الذي جاء في الكتاب والسنة: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾[٢].

وهما الحكمان اللذان يجب الرجوع إليهما عند التنازع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٣].

---

(١) سموم الاستشراق للجندي ١٨.

(٢) الرحمن الآيات. ٧ – ٩.

(٣) النساء الآية: ٥٩.

وهذا الميزان يجب أن يكون موجوداً في هذه الدائرة لاسيما وقد تسمت بالإسلام ، وليس هناك ميزان آخر معتبر عند المسلمين سوى هذا، فيجب أن يقيم الأفراد والدعوات من خلال الرد إلى هذا الحكم عند التنازع.

وقد بدأت بمبحث عن سعي الدائرة لإعطاء الشرعية للأناجيل التي بين أيدي النصارى اليوم ، وهو وإن كان مختلفاً عن المباحث الأخرى إلا أنني آثرت ألا أدع هذا المبحث ووجدت أن هذا أنسب مكانٍ له باعتباره محاولة لإعطاء الشرعية ليس فقط للفرق الأخرى بل حتى لكتب الملل الأخرى.

* * *

المبحث الثاني

مدح الأناجيل المحرفة

في مادة الإنجيل نجد أن الكاتب يعطي انطباعاً : أن المسلمين يقبلون بما في الأناجيل الأربعة الموجودة بأيدي النصارى اليوم ، فيسرد نقل المفسرين المسلمين وغيرهم من الأناجيل ليظهر مدى حجيته ، ثم يقول : (ومع هذا فإن المسعودي يشك بعض الشك في هذه الأناجيل بينما يتحدث عنها القرآن في احترام عميق)[١].

كما يقول أيضاً : (والمسلمون على وجه عام يحترمون الأناجيل ويبجلون عيسى بن مريم. ويقول الترك عن الأناجيل «الإنجيل الشريف»، ويروي عدد من الكتاب الذين عاشوا في تركية أن كثيراً من الترك يؤثرون الإنجيل على القرآن دون أن يجهروا بهذا الرأي، ويذكرون على وجه خاص حادث قابظ أفندي الذي جاهر إبان حكم سليمان الأول بأنه فضل الإنجيل عن القرآن ، فكان جزاؤه الإعدام)[٢].

قلت : في مادة إنجيل حاول الكاتب إثبات أمرين :

الأول : أن الإنجيل هو المصدر الأساسي لما في القرآن ودين

---

(١) الدائرة ٤/ ٥٨٠ ، إنجيل ، كارده فو.

(٢) الدائرة ٤/ ٥٨١ ، إنجيل ، كارده فو.

الإسلام، وقد سبق الكلام عن ذلك.

الثاني – وهو ما يعنينا هنا- : أن القرآن مدح الأناجيل وتحدث عنها باحترام عميق ، وكذا علماء المسلمين وعوامهم ، وأنه يظل محل قداسة لدى الجميع.

والجواب : أن احترام القرآن إنما كان للإنجيل وليس للأناجيل ، وهو الذي نزل على عيسى –عليه السلام– قبل أن يطرأ عليه التحريف الذي تقدمت الأدلة عليه[1].

فكتاب الله الذي نزل على عيسى –عليه السلام– ليس موجوداً بين النصارى اليوم ، بل هناك عشرات الآلاف من المخطوطات ، ومئات الأناجيل المطبوعة ، فكيف لنا أن نعلم كلام الله الذي أُنزل على عيسى –عليه السلام– بين أكثر من عشرين ألف مخطوط كلها يُزعم أنها من عند الله ليس بينها اثنان متشابهان[2].

---

(١) انظر صـ ٤٨٢.

(٢) من مناظرة أحمد ديدات الداعية الإسلامي المعروف الهندي الأصل جنوب أفريقي الجنسية متخصص في الرد على النصارى ، مع القس الأمريكي سويقرت ، وقد عرضت تلك المناظرة على شاشات التلفزيون ، وسجلت على الأشرطة ، وقد أقر سويقرت بتلك الحقيقة. (انظر : المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سويقرت ١٥١ ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، تقديم الشيخ محمد الغزالي ، مكتبة زهران ، القاهرة ، دطت.

وكيف لنا أن نعلم ذلك والنصارى اليوم بأيديهم عشرات الأناجيل المطبوعة المتباينة ، فالكاثوليك لديهم ثلاثة وسبعون إنجيلاً مختلفاً ، والبروستانت لديهم ستة وستون إنجيلاً كذلك[١] .

ثم إن الله تعالى قد أخبر في القرآن بنسخ جميع الأديان والكتب السابقة – حتى على فرض صحتها- وأن المؤمنين بها يجب عليهم الإيمان بالنبي ﷺ وبالكتاب الذي جاء به ، واتِّباع شريعته ، وأن الله لا يقبل سوى دين الإسلام ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٢] ، كما أنكر الله في القرآن على النصارى تكذيبهم بمحمد ﷺ ، وشركهم بالله وما أحدثوه من التثليث والعقائد الباطلة ، والصد عن دين الله : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ...﴾ [٣] ، ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا

---

(١) من مناظرة ديدات مع أنيس شورش منصر إيرلندي فلسطيني الأصل ، وقد عقدت المناظرة في بريطانيا. انظر : بين الإنجيل والقرآن ، أحمد ديدات ٦٢ ، دار المختار ، مصر ، دطت.

(٢) آل عمران الآية: ٨٥.

(٣) المائدة الآية: ٧٣.

لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [١]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [٢]، وأمر نبيه ﷺ في القرآن بجهادهم وقتالهم حتى يعطوا الجزية، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [٣].

---

(١) النساء الآية: ١٥٧.

(٢) التوبة الآيات: ٣٠ – ٣٤.

(٣) التوبة الآية: ٢٩

ثم كيف لم يذكر في هذه المادة ما ذُكر في القرآن وعُلم بالضرورة أن المسلمين بكافة فرقهم يقولون بتحريف الإنجيل، وقد أُلفت عشرات الكتب في بيان تحريف الإنجيل وفساد دين النصارى، وممن ألف في ذلك على سبيل المثال: الجاحظ[1]، وابن حزم الأندلسي[2]، وأبو الوليد الباجي[3]، والجويني[4]، وأبو حامد الغزالي[5]، وأبو عبيدة الخزرجي[6]،

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالجاحظ ١٦٣ – ٢٥٥، من أئمة المعتزلة كان حسن البيان. (انظر الأعلام للزركلي ٥/ ٧٤) ألف كتابه «المختار في الرد على النصارى».

(٢) تقدمت ترجمته صـ ٢٧٣ له كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» بين فيه تحريف الإنجيل ٢/ ١٣ – ٤١.

(٣) سليمان بن خلف الباجي ٤٠٣ – ٤٧٤، فقيه أندلسي من أئمة المالكية رحل إلى المشرق في طلب العلم، أجاب عن رسالة لراهب فرنسا لملك المسلمين، وطبعت كلا الرسالتين. أخذت الترجمة من مقدمة المحقق ١٣ – ١٥، تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

(٤) تقدمت ترجمته صـ ٩٠٩، ألف كتابه «شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل»، وقد حقق الكتاب د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

(٥) ألف كتابه «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل».

(٦) أحمد بن عبدالصمد الخزرجي ٥١٩ – ٥٨٢ فقيه أندلسي له كتاب الرد على النصارى اسمه «مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان». (انظر الأعلام للزركلي ١/ ١٥٠).

والرازي [١]، وشهاب الدين القرافي [٢]، ابن تيمية [٣]، وابن قيم الجوزية [٤]، وغيرهم كثير.

والشك في الأناجيل والقول بتحريفها ليس نابعاً من الهوى أو الخلاف الشخصي، بل يقول به أيضاً بعض المحققين النصارى، وهذا ثابت بأدلة علمية وموضوعية تقدمت الإشارة إليها[٥].

والمسلمون يبجّلون عيسى ابن مريم -عليه السلام- ويؤمنون به، ويكفِّرون من كَفَرَ به، أو طعن بأمه، أو جعل له نصيباً من الألوهية، بل هو عبد الله ورسوله، كما يحترمون الإنجيل الذي أُنزل عليه لأنه كلام الله.

---

(١) تقدمت ترجمته صـ ٤٧٠، له مناظرة مطبوعة بعنوان «مناظرة في الرد على النصارى»، تقديم وتحقيق د. عبدالمجيد النجار، دار المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦م.

(٢) أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي المشهور بالقرافي ٦٢٦ - ٦٨٤ مصري المولد والنشأة والوفاة، إمام المالكية في عصره. له في الرد على النصارى «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، «وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية»، أخذت ترجمته من مقدمة المحقق للكتاب الأخير ٧ - ١٠، تحقيق عبدالرحمن دمشقية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(٣) ألف كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

(٤) ألف كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

(٥) انظر صـ ٤٨٢.

أما ما بأيدي النصارى اليوم فهو محرف منسوخ ، وتقديم بعض المسلمين هذا الإنجيل على القرآن جهل وضلال ، ولا يحتج بفعلهم على الإسلام.

* * *

المبحث الثالث

الفلاسفة

أكثرَ المستشرقون في الدائرة من ذكر الفلاسفة ومصطلحاتهم، مع عدم الإشارة إلى تكفير علماء المسلمين لأكثرهم، وتبديع الباقين بسبب مخالفتهم الصريحة لبعض الأصول القطعية عند المسلمين، بل تجاوز الأمر إلى مدحهم وتمجيدهم، ولعل سبب ذلك جهودهم الحثيثة لنقل الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي، مما ترتب عليه إفساد عقائد كثير من المسلمين.

ومن أمثلة ذلك:

مدح الفارابي[١] عند الحديث عن سيف الدولة الحمداني: (وكان يحيط نفسه بالشعراء والعلماء، وأشهرهم الشاعر المتشكك المتنبي مدّاحه، ثم مدّاح كافور من بعده. وكان من جلسائه أيضاً الفارابي ذلك الفيلسوف والموسيقي العظيم الذي توفي وهو يصحبه في رحلة إلى دمشق؛ وقد أهدى إليه صاحب الأغاني نسخة من هذا الكتاب الجليل التي كتبها بخطه)[٢].

---

(١) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ٢٦٠ - ٣٣٩ هـ، ويعرف بالمعلم الثاني، موسيقي وفيلسوف مشهور له مقالات فلسفية كفرية مخالفة لما عُلم ضرورة من الكتاب والسنة. (انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٢٤)

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٧٨، سيف الدولة الحمداني، كارده فو.

وعند الحديث عن ابن سينا [١] الذي أُفرد له ثماني صفحات نجد أنه لم يذكر خلالها مخالفة معتقده للقرآن ولما يدين به أهل الإسلام ، والإشارة الوحيدة لنقده صيغت في سياق المدح ، وهي : (لا نستطيع أن نفصل القول هنا في آراء ابن سينا التي لا يزال يرجع إليها في الأوساط الدينية والفلسفية والطبية في الشرق إلى اليوم رغم ما وجهه الغزالي إلى بعض أجزائها من المطاعن ، ولكن نكتفي هنا بإجمالها والإشارة إلى مميزاتها) ثم أخذ يسرد مميزات فلسفته وعلومه بل قال عنه في افتتاحية ترجمته : (كان يعد طوال عدة قرون -ولا يزال يعد في بعض بلاد الشرق الإسلامي- إمام العلوم «الشيخ الرئيس»)[٢].

قلت : لابد من الإشارة إلى سعة علمه في الطب ، وذكائه ، ولكن فلسفته لم تبن على الكتاب والسنة ، وإنما كان متأثراً بالفلسفة اليونانية.

---

(١) الحسين بن عبدالله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ، كان عالماً بالطب، ولكن له من المقالات الفلسفية الباطنية المخالفة لمسلمات المسلمين وما جاء في القرآن والسنة مما كفره بها علماء السنة. (انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٢)

(٢) الدائرة ١/ ٣١٨ - ٣١٩ ، ابن سينا ، ده بور ، والأسوأ من ذلك أن أحد المعلقين وهو محمد ثابت أفندي علق على ترجمته بما يعادل الترجمة ذاتها أطنب في فلسفته ، ولم يشر إلى زندقته.

ونظرية الفيض التي يؤمن بها مخالفة لعقيدة القرآن ، ذلك أنها تسلب إرادة الخالق ، كما أنها أدت به إلى القول بقدم العالم ، وخلود الأنفس وإنكار الحشر الجسماني؛ وأن ما ذكره الرسل في ذلك إنما هو من باب التخييل لا الحقيقة[١].

إن الفارابي وابن سينا من الفلاسفة المخالفين للقرآن في مسائل أساسية كفّرهم من أجل بعضها الغزالي وابن تيمية وغيرهم ، ومن ذلك قولهم : إن المعاد لا يكون بالأجسام ، والقول بقدم العالم ، ونفي علم الله بالجزئيات ، وما انفرد به الفارابي من تقديم الفيلسوف على النبي[٢] ، وما قرره ابن سينا من كذب الرسل على الناس بما خيلت به عن الله وملائكته واليوم الآخر.

قال ابن كثير في ترجمة الفارابي : «ويخص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين ، ولم أرَ الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته والله أعلم»[٣].

---

(١) الرسالة الأضحوية في أمر المعاد ، ابن سينا بن عبدالله ٤٤ - ٤٨ ، تحقيق د. سليمان دنيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ٨ مطبعة حجازي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤.

المبحث الرابع

فلاسفة التصوف القائلون بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول

جاء في الدائرة تمجيد للقائلين بتلك المقولات و محاولة الدفاع عنهم، وذم منتقديهم ، وقد تقدم في الدائرة في ذم ابن تيمية : (وطعن كذلك على الرجال الذين يعدون حجة في الإسلام... ، كما هاجم محيي الدين بن عربي وعمر بن الفارض ، والصوفية بوجه عام)[١].

كما جاء في ترجمة ابن عربي[٢] : (أما فيما يختص بالعقائد الدينية فقد كان باطنياً ، وابن عربي مع قيامه بفرائض الإسلام و تمسكه بعقائده ، كان رائده الوحيد هو ذلك النور الباطني الذي أفاضه الله عليه على ما كان يعتقد. وذهب ابن عربي إلى أن الوجود كله واحد ، وأنه ليس إلا مظهراً للذات الإلهية. وعلى ذلك فالأديان كانت في نظره متكافئة)[٣].

وجاء عن الحلاج[٤] في الدائرة ترجمتان : الأولى في الطبعة الأولى

---

(١) الدائرة ١/ ٢٣٤ ، ابن تيمية ، محمد بن شنب.

(٢) تقدمت ترجمته صـ ٩٩٤.

(٣) الدائرة ١/ ٣٤٤ ، ابن عربي ، فاير.

(٤) الحسين بن منصور الحلاج كان جده مجوسياً ، تصوف ودخل بغداد وتردد إلى مكة، صدر منه عبارات كثيرة في الحلول دالة على كفره فقتل سنة ٣٠٩هـ. (انظر البداية والنهاية ١١/ ١٣٢ - ١٣٤).

لماسنيون ، وجاءت في صفحتين[1] ولا يظهر فيها التعصب الموجود في الترجمة الثانية التي كتبها كارديه ، وخير ما في الترجمة الثانية إعادة لما كتبه ماسنيون ، مع بعض التغيير ، حيث أن ماسنيون كتب بعد سرد لسيرة الحلاج ما نصه تحت عنوان : «مذهب الحلاجية» :

أ- في الفقه : يمكن الاستعاضة عن الفرائض الخمس بشعائر آخرى بما في ذلك الحج «إسقاط الوسائط».

ب- في علم الكلام : تنزيه الله عن حدود الخلق «الطول والعرض» ، وجود روح ناطقة غير مخلوقة تتحد مع روح الزائر المخلوقة «حلول اللاهوت مع الناسوت». يصبح الولي الدليل الذاتي الحي على الله «هو هو» ومن ثم القول «أنا الحق» (انظر الطواسين ٦/ ٣٢).

ج- في التصوف : الاتحاد التام مع الإرادة الإلهية «عين الجمع» عن طريق الشوق والاستسلام للألم والمعاناة ، أما الذكر الذي ينسبه الشيخ السنوسي إلى الحلاجية فمن الأمور المستحدثة ، وقلّ بين المسلمين من ثار حوله الجدل كما ثار حول الحلاج. ذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية على الرغم من إجماع القضاة على تكفيره» ثم سرد آراء الفقهاء والمتكلمين والصوفية ثم العلماء الأوربيين الذين

(١) الدائرة الأولى ٨/ ١٧ – ١٩ ، الحلاج ، ماسنيون.

انتقدوه، وتباينت مواقفهم بين من اتهمه بالكفر، أو النصرانية في سريرته، أو بالتناقض، أو بالمرض العصبي[١].

بينما نجد أن كارديه في الطبعة الجديدة ترجم للحلاج في اثنتي عشرة صفحة تُصوِّرُه مظلوماً مفترى عليه تُدبر عليه الحيل والمكائد وهو ماض في الإصلاح حتى انتهى الأمر إلى قتله الذي كان الدافع له ما نصه: (وكانت مطالب الحلاج بالإصلاح الروحي، وأثره في الناس، مصدر إزعاج لكثير ممن كانوا في السلطة)[٢].

كما يدافع عن اتهامه بالحلول بأنه لم يُفهم كما أراد الحلاج، وإنما دخل ذلك في التهم التي حُوكِم من أجلها، والحلول عنده ليس التجسيد أو اتحاد المادة، وإنما (حلول الحلاج بأجلى معانيه يجب أن يفهم على أنه اتحاد كامل مراد «في الحب»)[٣].

ثم يسرد بالنص كلام ماسنيون السابق مع عدم التصريح بنقل النص السابق منه مع بعض التغيير فهو يضع مذهب الحلاج تحت النقاط التي دار حولها الجدل، وساق إجماع القضاة بأسلوب آخر: «وعلى الرغم من إجماع القضاة الذين أدانوه فإننا نجد له متعصبين من الحكماء، وعامة

(١) الدائرة الأولى ٨/ ١٧ – ١٩، الحلاج، ماسنيون.

(٢) الدائرة ١٥/ ٣٦٢، الحلاج، كارديه.

(٣) الدائرة ١٥/ ٣٦٤، الحلاج، كارديه.

الناس» ثم سرد ما ذكره ماسنيون من اختلاف الآراء فيه[١] كما ينتقد آراء بعض المفكرين الغربيين الذين ذموا الحلاج ويصفها بالسطحية، ويختم مبحثه عنه بقوله: (لكن البحوث الدقيقة المتميزة التي أجراها ماسنيون أعادت هذه الشخصية الفذة إلى مكانها الصحيح في بيئتها، وفي تطور الفكر الإسلامي ..... إن شهرة الحلاج قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العالمية)[٢].

وفي آراء العلماء التي ساقها ماسنيون[٣]، ونقلها بدوره كارديه[٤] تصنيف الموقف منه إلى ثلاثة أقسام: الأول: التكفير ورمز له بحرف «ك»، وأبدله كارديه بالرد، ورمز له بـ«رد». الثاني: التوقف عن الحكم عليه «ت». الثالث: جعله من أهل الولاية «و».

أما الفقهاء فجاءت آراؤهم على النحو التالي: الفقهاء الظاهرية «ك» داود وابن حزم. الإمامية «ك» ابن بابويه والطوسي والحلي. «و» الشوشتري والعاملي. المالكية «ك» الطرطوشي وعياض وابن خلدون. «و» عبدري والدلنجاوي. الحنابلة: ابن تيمية «ك» وابن عقيل [تَرَاجَعَ

(١) الدائرة ١٥/ ٣٦٦ - ٣٦٧، الحلاج، كارديه.

(٢) الدائرة ١٥/ ٣٦٨، الحلاج، كارديه.

(٣) الدائرة ١٥/ ٣٥٦، الحلاج، ماسنيون.

(٤) الدائرة ١٥/ ٣٦٧، الحلاج، كارديه.

فيما بعد] والطوفي. «ت» ابن بهلول والنابلسي. الشافعية «ت» ابن سريج وابن حجر والسيوطي والعرضي. «ك» الجويني والذهبي. «و» المقدسي واليافعي والشعراوي والهيثمي وابن عقيلة وسيد مرتضى.

ثم المتكلمون وهم أيضاً مختلفون وأشهر من قال بكفره الباقلاني والجبَّاني، ومن قال بولايته الغزالي والرازي.

ثم الفلاسفة وساق ابن طفيل والسهرودي والحلبي وجميعهم قالوا بولايته.

أما الصوفية فذكر أن عمرو المكي وغالب الكتاب المتقدمين كفروه، بخلاف غالب المحدثين[١].

قلت: من المعلوم في القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح، وهو ما يدل عليه العقل والفطرة علو الرب سبحانه وتعالى ومباينته لخلقه، والآيات القرآنية الدالة على علو الله تعالى واستوائه على عرشه كثيرة معلومة، والفطرة دالة على العلو، إذ يتجه الداعي إلى العلو دون غيره فطرة، وحلول الله واتحاده بالمخلوقات مما يأباه العقل.

أما ابن عربي فإن من يقرأ كتبه يجد الانحرافات الكثيرة المكفرة، وكيف يكون متمسكاً بعقائد الإسلام، وهو يرى وحدة الوجود وتكافؤ

(١) الدائرة ١٥/ ٣٦٧، الحلاج، كارديه.

الأديان كما جاء ذلك في الدائرة.

قال ابن كثير عن كتابه الفصوص المكية : «فيها ما يعقل وما لا يعقل وما ينكر وما لا ينكر وما يعرف وما لا يعرف»[١].

وقال أيضاً عن كتابه فصوص الحكم : «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح»[٢].

وقال الذهبي : «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر... وقد عظمه جماعة وتكلّفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات ، وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عزالدين بن عبدالسلام يقول عن ابن عربي : شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً»[٣] وقال : «إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز فوزاً عظيماً... له شعر رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص»[٤].

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٩.

وأما ابن الفارض[1] فهو يصرح بالاتحاد في تائيته، ومما جاء فيها:

جلت في تجلّيها الوجود لناظري ... ففي كل مرئي أراها برؤية

وأشهدت غيبي، إذ بدت فوجدتني ... هنالك إياها بجلوة خلوتي

ففي الصحو بعد المحو لم أكُ غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تحلَّت تجلَّتِ

إلى كم أواخي الستر ها قد هتكتُه ... وحلّ أواخي الحجب في عقد بيعتي

فإن دُعيتْ كنتُ المجيب، وإن أكن ... مُنادى أجابت من دعاني، ولبَّتِ

ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهود بذمة

فلا حيّ إلا من حياتي حياته ... وطوع مرادي كل نفس مريدةِ

كلانا مُصلٍّ: واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدةِ

وما كان لي صلّى سواي، ولم تكن ... صلاتي لغيري في أداء كل سجدةِ

وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال بديعةِ

ففي مرة لُبنَى وأخرى بثينة ... وآونة تدعى بعزة غرتِ

ولسنَ سواها ولا كُنّ غيرها ... وما إن لها في حسنها من شريكةِ[2]

ففي البيت الأول يزعم أن الذات الإلهية تجلّت له فرآها في كل الوجود، وفي الثاني شهد الوجود الإلهي لم يجد للرب سوى وجوده

---

(١) تقدمت ترجمته صـ ٩٩٤.

(٢) انظر ديوان ابن الفارض، عمر بن المرشد بن الفارض ٨٧ – ٩٣، دار النجم، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

«ابن الفارض» ، وفي الثالث خشي أن يتوهم أحد أن ذلك الوجود وهم طارئ ، أو سكرة ، فنبه إلى أن ذلك كان في «الصحو» وهو عند الصوفية رجوع العارف إلى الإحساس بعد السكرة التي تختلط عليه فيها الأمور ويتداخل عنده الخالق والمخلوق ، ويصدر منها الكفر ، فنبه ابن الفارض أن ذلك حقيقة في الصحو ، وهو بذلك هتك السر والسر وهو عدم المغايرة بين الرب وخلقه - تعالى عما يقول علواً كبيراً - ، وفي جميع الأبيات الباقية يزيل الفرق بين العابد والمعبود ، ويدَّعي أنه لولاه «ابن الفارض» لم يكون وجود ، وأن كل حي لم يكن إلا به ، وهذا هو الكفر الصريح ، ثم لا يدع فرقاً بينه وبين الله فكلاهما ساجد إلى نفسه ، ولفظه كلانا قد تقتضي اثنين فنجده يستدركها في البيت الذي يليه ليزال ذلك التوهم فلم يكن يصلي إلا إلى نفسه[1].

والحلوليون مع تصريحهم بما يدل عليه إلا أنهم ينفرون من لفظه ، فنجد ابن الفارض مع ذلك ينفي الحلول بقوله :

ولي من أتم الروايتين إشـــارة تنزه عن رأي الحلول عقيدتي[2]

---

(١) انظر شرح الأبيات في : هذه هي الصوفية ، عبدالرحمن الوكيل ٢٥ - ٣٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

(٢) ديوان ابن الفارض ٩٥.

وليس هذا تراجع ولكنه كما ذكر ابن تيمية عنهم : «وهم يفرون من لفظ «الحلول» لأنه يقتضي حالاً و محلاً ، ومن لفظ «الاتحاد» لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر ، وعندهم الوجود واحد»(١) .

وقد انتقده ابن تيمية وغيره ، فنجد ابن تيمية يمدح نظم القصيدة ، ويذم ما فيها من الكفر حيث يقول : «وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة «بنظم السلوك» وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية ذهب. وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك»(٢).

ومن ذلك قول الذهبي في الميزان : «ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة ، فتدبر نظمه ولا تستعجل ، ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم إلا زيّ الصوفية ، وإشارات مجملة ، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعٍ ، وقد نصحتك»(٣) ، وقد نقله بدوره ابن حجر في لسان الميزان(٤) .

وأما الحلاج فباعتراف كِلا المستشرقَيْن فإن غالب الفقهاء والمتكلمين

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٧٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤ – ٢١٥.

(٤) لسان الميزان ٤/ ٣٦٤..

والمشايخ المتقدمين كفروه، وتبرأوا منه.

قال عمرو بن عثمان المكي: «كنت أماشي الحلاج وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا؛ ففارقته»[١].

وقد بدأ يصدر منه الدجل ويطالب الناس بالإيمان به وطاعته، ويدعي أنه الإمام المنتظر، وأنه النبي، وأخيراً أنه إله مع الله، فأحضره القاضي، وقد وُجِد عند بعض أصحابه: «أن من أراد الحج، ولم يتيسر له فليبن في داره بيتاً لا يناله نجاسة ولا يدخله أحد، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يُطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره ما يفعل الحجيج في مكة، ثم يطعم ثلاثين يتيماً ويخدمهم ويكسوهم ويعطي كل واحد بضعة دراهم، فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج» وله قريب من ذلك في الصيام وغيره، فأقر بذلك عند القاضي كتابياً وشهد من كان حاضراً، وكتب القاضي للوزير، فكتب الوزير إلى الخليفة المقتدر: إن أمر الحلاج قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان، فأمر الخليفة بقتله[٢].

قال ابن النديم عن الحلاج: «كان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفية يتحلى بألفاظهم ويدعي كل علم، وكان صِفراً من ذلك،

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٣٣.

(٢) انظر البداية والنهاية ١١/ ١٣٩ – ١٤٢.

وكان يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء، وكان جاهلاً مقداماً جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم، يروم انقلاب الدول، ويدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة»[١].

وقال ابن الجوزي: «كان الحلاج متلوناً وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم»[٢].

وقال ابن تيمية لما سُئل عنه: «من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قُتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد، كقوله: «أنا الله».

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله، وأن الله خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق و ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ...﴾ الآيات[٤]، وقال تعالى:

(١) الفهرست لابن النديم ٢٦٩، وقد توفي الحلاج ٣٠٩، وابن النديم ٣٨٥.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٣٧.

(٣) مريم الآية: ٩٣.

(٤) النساء الآية: ١٧١ – ١٧٣.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ...﴾ الآيتين[١].

فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله، واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله: كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم، فمن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح -كما تقول الغالية في علي، وكما تقول الحلاجية في الحلاج، والحاكمية في الحاكم، وأمثال هؤلاء- فقولهم شر من قول النصارى؛ لأن المسيح بن مريم أفضل من هؤلاء كلهم»[٢].

وصدق ابن القيم في رده على الحلولية:

حاشا النصارى أن يكونوا مثله   وهم الحمير عابدوا الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه   وأولاء ما صانوه عن حيوان[٣]

وقال ابن كثير: «لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره، فأما الفقهاء فحُكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان كافراً ممخرقاً مموهاً مشعبذاً، وبهذا قال أكثر

---

(١) المائدة ١٧ – ١٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٨٠ – ٤٨١.

(٣) القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن القيم ١/ ١٨٢، شرح وتحقيق محمد خليل هراس، دار الفاروق، مصر، دطت.

الصوفية فيه. ومنهم طائفة أجملوا القول فيه، وغرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يكن له علم، ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان»[1].

وقال الذهبي في ترجمته: «المقتول على الزندقة، وما روى ولله الحمد شيئاً من العلم، وكانت له بداية جيدة وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه فقتل»[2].

* * *

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٣٣.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٦.

المبحث الخامس

الباطنيـــة

جاء في بيان أسس المنهج الإسماعيلي الباطني : (ومذهب الباطن يقوم على ركنين : الأول : تأويل القرآن والشريعة الذي برع فيه القاضي النعمان وجعفر بن منصور اليمن ، والثاني – وهو أهم من الأول بكثير – : الحقائق : أي ذلك المنهج الإسماعيلي في الفلسفة والعلم الذي يتسق مع الدين ويكشف عما ينطوي عليه باطنه من أسرار.

وهذا المذهب ثمرة مُثلى للعقل الإسلامي في القرن الرابع أو الخامس الهجري ، وهو يشبه من عدة وجوه فلسفة الفارابي)[١].

مع أن بعض كتّاب الدائرة نبهوا على حقيقة المذهب الباطني[٢] إلا أن الأكثر هو تمجيده والدفاع عنه.

ومذهب الباطن يقوم في عقائده على مذاهب الفلاسفة ، وتحريف النصوص الشرعية لمعانٍ توافق ما يعتقدون ، فيقوم مذهبهم على سلب كافة الصفات عن الله تعالى ، والتصريح مع ذلك بتعدد الآلهة ، والغلو في

---

(١) الدائرة ٣/ ٣٩٠ ، الإسماعيلية ، فاير.

(٢) الدائرة ٦/ ٨٧ – ٩٠ ، الباطنية ، هودكسون وهو لم يذكر تكفيرهم ، وإنما ذكر حقيقة مذهبهم من غير حكم عليهم.

الأئمة إلى حد المجاهرة بحلول الله في البشر فآلهة الإسماعيلية هم الأئمة المستورون، وإله النصيرية علي بن أبي طالب، وإله الدروز الحاكم العبيدي، والملائكة لا وجود لهم، والنبوة مكتسبة وهي فيض من العقول، لا بواسطة ملك، وليس هناك جنة ولا نار حقيقية، وإنما عذاب ونعيم روحي وحلول وتناسخ.

أما الشريعة فلا حقيقة لها، حيث أن الباطنية بمذاهبها المختلفة تحرف معاني النصوص الشرعية في القرآن الكريم لمعانٍ باطنة، فلا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج، حيث أنهم متفقون على عدم حقيقة تلك العبادات وكافة ما في الشريعة؛ فالصلاة هي الطاعة للإمام، أو الاتصال به، أو تعلم العلم، أو الدخول في العهد والإحرام....، والصوم ستر المذهب وكتمانه، والحج لا علاقة له بمكة؛ بل هو قصد إمام الزمان، ومعرفة الأئمة، بل وصل الأمر بالدروز إلى إلغاء هذا التأويل الباطني للشريعة، وإسقاط التكاليف، وإنكار الرسل[(١)].

---

(١) انظر:

- الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير ٢٧٨ – ٣١٣، ٤٢١ – ٤٢٦، ٤٥٣ – ٤٥٥، ٥٠٠، ٥٠٨، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، أحمد محمد جلي ٢٠١ – ٢١٤، ٢٧٦، مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٤٩ – ٥٠، ٢٢٤ – ٢٢٥، ٥١٣.

فهل هذا المذهب الكفري هو ثمرة مثلى للعقل الإسلامي! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكان الغزالي ممّن درس الباطنية وخالطهم، ثم تبين له فساد عقائدهم، فألف كتابه «فضائح الباطنية»، ولخص فساد مذهبهم بمقولته: «إن مذهب الإسماعيلية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض...» ثم أخذ يطيل في سرد تفاصيل مذهبهم[1].

وقال ابن تيمية عنهم: «إن باطن مذهبهم أعظم كفراً من أقوال كفّار أهل الكتاب، ومن أقوال الغالية الذين يدعون نبوة علي أو إلهيته ونحوهم؛ إذ كان مضمون مذهبهم: تعطيل الخالق، وتكذيب رسله، والتكذيب باليوم الآخر، وإبطال دينه»[2].

وقال ابن القيم عن الباطنية: «لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا رب خالق ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى، وكان هؤلاء زنادقة يتسترون بالرفض، ويبطنون الإلحاد المحض، وينتسبون إلى أهل بيت

---

(١) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي ٣٧، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/ ٩.

الرسول ﷺ؛ وهو وأهل بيته براء منهم نسباً وديناً ، وكانوا يقتلون أهل العلم والإيمان ، ويدَعُونَ أهل الشرك والكفران ، لا يحُرِّمون حراماً ، ولا يحلون حلالاً ، وفي زمنهم وخواصهم وُضِعَت رسائل إخوان الصفا»[1].

فكيف يتسق هذا المذهب مع الدين؟

* * *

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، دار الباز للنشر ، مكة المكرمة ددطت.

المبحث السادس

الزنادقة

حظي الزنادقة والمنحرفون في الدائرة بالدفاع عنهم وتبرئتهم، بل ومدحهم وتمجيدهم، ويلاحظ أن الزنادقة قد يجمعون بين كفريات وبدع مختلفة، وسوف أعرض لدفاع الدائرة عن زنديقين: الأول فيلسوف متصوف باطني زنديق، والثاني فيلسوف مغالٍ في الزندقة:

أولاً: أبو حيان التوحيدي[١]: حيث جاء في ترجمته: (وأبو حيان - كابن الراوندي وأبي العلاء- يعد من زنادقة الإسلام، وخاصة أنه قد عرض آراءه في الحقيقة عرضاً أغمض، بل هو من ثم أكثر دهاءً، بيد أن مصنفاته التي وصلت إلينا لا تكاد تبرر هذا الرأي، ولو أن اسم الكتاب العاشر «الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي» يوحي بالزندقة التي أودت بحياة الحلاج)[٢].

قلت: ذكر العلماء المؤرخون فساد عقيدة أبي حيان وقلة ورعه، وطعنه في الشريعة.

---

(١) هو علي بن محمد التوحيدي فيلسوف متصوف معتزلي توفي سنة ٤٠٠هـ. (الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٤)

(٢) الدائرة ١/ ٤٦٠، أبو حيان التوحيدي، شتيرن.

وقال الذهبي في السير : «أبو حيان التوحيدي الضال الملحد»[(١)].

كما جاء في الميزان للذهبي : «نفاه الوزير المهبلي لسوء عقيدته ، وكان يتفلسف».

قال ابن الرماني[(٢)] في كتابه الفريدة : «كان أبو حيان كذاباً قليل الدين والورع مجاهراً بالبهت ، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة ، والقول بالتعطيل».

وقال ابن الجوزي : كان زنديقاً ، وكان صاحب زندقة وانحلال»[(٣)].

واسم كتابه المذكور ينبئ من عنوانه بصحة حكم العلماء بزندقته ، إذ هذا مذهب الباطنية المعطلين لشعائر الدين بما يستبدلونه من معانٍ أخرى كما سبق بيانه.

ثانياً : أبو العلاء المعري[(٤)] حيث جاء في الدائرة مدحه ، ومحاولة

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ١١٩.

(٢) علي بن عيسى عبدالله ، من كبار علماء النحو واللغة ، وكان عارفاً بالمنطق والكلام ، وكان معاصراً للتوحيدي توفي سنة ٣٨٤هـ. (انظر البداية والنهاية ١١/ ٣١٤).

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٥.

(٤) هو أحمد بن عبدالله التنوخي المعري ٣٦٣-٤٤٩ فيلسوف ولد ومات بمعرة النعمان «بلد صغير قرب حماة» عمي وهو صغير رحل إلى بغداد ، حرم أكل اللحم وإيلام الحيوان ، كان عفيفاً زاهداً نابغة في الشعر ذكياً سريع الحفظ أملى فيه العديد من المؤلفات ، إلا أنه كان زنديقاً. (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣-٣٩ ، الأعلام للزركلي ١/ ١٥٧).

تبرئته من الزندقة ، ومن ذلك :

(ولكن يجب أن نعترف بأن أبا العلاء قد ظهر في هذه المجموعة – اللزوميات– بمظهر للفكر الجريء المبتكر إلى حد عجيب ، كما أثبت أنه رجل الأخلاق السامية)[١].

وجاء أيضاً : (وقد حدث جدل طويل حول عقيدة أبي العلاء في حياته، وهو وإن لم يعدم من يدافع عنه ، فقد عده الكثيرون من معاصريه زنديقاً ، وشاعت عنه هذه الصفة منذ ذلك الوقت. والشواهد على ذلك من مصنفاته غامضة متناقضة)[٢].

وإنني سأحتكم للدائرة وللكاتب نفسه في نفس ترجمة أبي العلاء، فما ذكره آنفاً يتناقض مع عقيدة أبي العلاء التي ذكر الكاتب طرفاً منها ، ومن ذلك :

اعترف الكاتب بالمروق الشديد في العادة لآراء أبي العلاء ، وعند الحديث عن مجموعة أشعار للمعري تسمى «سقط الزند» شرحها أبو العلاء نفسه في كتاب «ضوء السقط»؛ جاء : (ومع أن الشاعر تند منه

(١) الدائرة ١/ ٥٥٠ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٢) الدائرة ١/ ٥٥٠ – ٥٥١ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

في بعض الأحيان عدم الاحترام عند تعرضه للمسائل الدينية ، إلا أننا لا نجد في هذا الكاتب أثراً للآراء الشديدة المروق التي يُعرف بها عادة)[١].

وعند المقارنة مع أبي العتاهية قال : (وقد تخلص أبو العلاء في اللزوميات من القيود الثقيلة التي كانت تقيد سلفه ، وسما بنفسه إلى مستوى أعلى)[٢].

كما جاء في وصف رسالته المسماة بـ«رسالة الغفران» : (هي في الحقيقة قصة جريئة خلط فيها الجد بالهزل ، وسخر فيها من العقائد والأفكار الإسلامية التي تتعلق بالحياة الأخرى)[٣].

قال الذهبي : «ومن أردأ تواليفه «رسالة الغفران» وقد احتوت على مزدكة[٤] وفراغ»[٥].

---

(١) الدائرة ١/ ٥٥٠ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٢) الدائرة ١/ ٥٥٠ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٣) الدائرة ١/ ٥٥٠ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٤) نسبة إلى آراء مزدك الفارسي وهو من الثانوية القائلين بوجود إلهين اثنين. (انظر الملل للشهرستاني ١/ ٢٤٩)

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥.

كما جاء في الدائرة : (فليست هناك عقيدة إسلامية لم يسخر منها)[١] .

وأخيراً : (وكان أبو العلاء يؤمن بالتوحيد بيد أن إلهه ليس إلا قدراً غير مشخص ، كما أنه لم يأخذ بنظرية الوحي الإلهي ، فالدين عنده من صنع العقل الإنساني ، ونتيجة للتربية والعادة)[٢] .

فهذه المقالات للكاتب تدل على مروقه من الدين الذي حاول المستشرق التشكيك فيه.

وهذا عرض لبعض أشعاره الدالة على زندقته وإلحاده وعداوته لله ورسله وكراهته لهم :

يقول المعري معترضاً على حد السرقة :

تناقض فما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قُطعت في ربع دينار[٣]

قال ابن كثير : «وهذا من إفكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته. وذلك أنه إذا جُني عليها يناسب أن تكون ديتها

---

(١) الدائرة ١/ ٥٥١ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٢) الدائرة ١/ ٥٥١ ، أبو العلاء المعري ، نيكلسون.

(٣) اللزوميات ، أبو العلاء المعري ١/ ٣٦٩ ، تحقيق جماعة من الأخصائيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتصان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لمّا كانت أمينة فلما خانت هانت»[١].

وقال أيضاً طاعناً في جميع الأديان :

ديـن وكفر وأنباء تُقص وفر ... قـان ينص وتوراة وإنجيل
في كـل جيل أباطيل يُدان بها ... فهل تفرد يوماً بالهدى جيل[٢]

فأجابه الحافظ الذهبي -رحمه الله- :

نعم أبو القـاسم الهادي وأمته ... فزادك الله ذلاً يا دجيجيـل[٣]

وقال أيضاً :

فلا تحسب مقـال الرسل حقاً ... ولكن قول زور سطـروه
فكان الناس في عيش رغيـد ... فجاؤوا بالمحال فكـدروه[٤]

فأجابه ابن كثير -رحمه الله- :

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) اللزوميات للمعري ٢/ ١٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠.

(٤) هذات البيتان نسبها له الذهبي في السير ١٨/ ٣٠ ، وابن كثير ١٢/ ٧٤ ، ولم أجدها في اللزوم.

فلا تحسب مقال الرسل زوراً ... ولكن قول حق بلَّغوه

وكان الناس في جهل عظيم ... فجاؤوا بالبينات فأوضحوه[١]

وقال أيضاً معترضاً على الموت والبعث:

أنهيت عن قتل النفوس تعمُّداً ... وبعثت أنت ليقضيها ملكين

وزعمت أن لها معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين[٢]

لذا نجد أن الذهبي يقول: «له شعر يدل على الزندقة»[٣].

كما ينقل ابن حجر عن الحافظ السلفي[٤]: «أن المعري يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع وإنكار الرسل، وفي شعره ما يدل على هذا الرأي، وفيه ما يدل على غيره، وكان لا يثبت على نِحلة»[٥].

وقد قيل إنه تاب وندم، وصدر منه ما يدل على التحسر مما جعل البعض يقول إنه مؤمن.

---

(١) لم أجدها، وقد ذكرها ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) حكاها عنه الذهبي في السير ١٨/ ٢٩، ولم أجدها.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١١٢.

(٤) شيخ الإسلام أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد الأصفهاني السلفي من كبار المحدثين في زمانه، كان ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. نشأ ببغداد ورحل إلى الإسكندرية. عُمِّر فجاوز المائة، وتوفي سنة ٥٧٦هـ. (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٩٨ - ١٣٠٤)

(٥) لسان الميزان ١/ ٢١٩.

ومما يكذب ذلك أنه أوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جناه أبي عليَّ　　　وما جنيت على أحـد

قال ابن خلكان[١] : «وهذا متعلق باعتقاد الحكماء[٢] ، فإنهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه؛ لأنه يتعرض للحوادث والآفات»[٣].

وقال الذهبي بعد ذكره لوصية المعري : «الفلاسفة يعدون اتخاذ الولد وإخراجه إلى الدنيا جناية عليه ، ويظهر لي من حال المخذول أنه متحير لم يجزم بالنحلة. اللهم فاحفظ علينا إيماننا»[٤].

قال ابن كثير : «وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها»[٥].

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان. قال عنه ابن كثير : «أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء» صاحب التاريخ. توفي بدمشق سنة ٦٨١هـ. (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٠١)

(٢) الحكماء اصطلاح يدل على الفلاسفة المفكرين ، وهو تفكير على غير منهج النبوة ، وهو أبعد ما يكون عن الحكمة المقتضية لالتزام الشرع.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١١٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٨٣٦.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٧٦.

فهل يصح بعد ذلك ما يلبس به المستشرق من أن الزندقة في مصنفاته غامضة ومتناقضة؟ إن ما سقته من شعره هو قليل من كثير مما اتهم بالزندقة بسببه ، ولا شك أن في تلك الأبيات الكفر الصريح باتفاق أئمة الإسلام ، إما لاعتراضه على حكمة الله في ابتلاء عباده وحسابهم ، أو على شرع الله ، أو لذمه كتب الله ورسله ، وهل بعد هذا الكفر من كفر؟

وأقوال هذا المستشرق الممجدة لهذا الملحد تدل على اندثار غيرته على دينه حيث أن المعري اعترض على ما تتفق عليه جميع الرسل ، واستخف بكل الأديان وخاصة الثلاثة الأخيرة كما سبق في بعض أشعاره، وكما قال : في لزومه :

عُقول تستخف بها سطور ولا يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور[١]

* * *

(١) اللزوم للمعري ١/ ٢٨٩.

المبحث السابع

الشيعــة

نجد في الدائرة بعض الحقائق عن الشيعة ، ومن ذلك شدة خلافهم مع بعض ، وتأويلهم للقرآن ليوافق ما يدَّعون[١] ، ولكن فيها أيضاً أخطاء عدة ومنها :

جاء في مادة الشيعة تبرير موقف الحلوليين منهم : (هذا التصور : هو تصور ظهور الإله في أشخاص البشر. هذا التصور لم يكن غريباً على محمد ﷺ؛ لأن المسيح مثلاً كان في نظره «كلمة الله» [سورة آل عمران الآية ٤٠] لكنه لم يجعل الوساطة في النجاة في شخص يكون بين الله والإنسان.... إلى أي حد كانت آراء الشيعة من ظهور الإله في البشر ، ومن شفاعة الإمام استمراراً مباشراً لتلك التصورات المماثلة التي ناطها بحسب ما يرويه ابن إسحاق بعض شعراء الإسلام الأولين بشخص محمد ﷺ)[٢].

(١) الدائرة الأولى ١٤/ ٥٧ ، ٦٣ ، ٧٢ ، الشيعة ، شتروتمان.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/ ٦٠ – ٦١ ، الشيعة ، شتروتمان.

وقد تقدمت الإجابة عن هذا الكلام[١] علماً أن غالبية الشيعة لا يعتقدون بهذه العقيدة، وإنما يقول بها الغلاة منهم كالإسماعيلية والنصيرية والدروز.

كما جاء تزكيتهم إلى درجة تفضيلهم على أهل السنة، ومن ذلك ما جاء في مادة الحديث: (الحديث: والشيعة سنيون أكثر كثيراً ممن يسمعون أهل السنة، ولا يصح أن نرجع أحاديثهم إلى عهد جد متأخر؛ لأننا نجد أن بعضها يرجع إلى عهد متقدم يرد إلى أبي الأسود الدؤلي)[٢].

قلت: أما ما يتعلق بدعواه أن الشيعة سنيون أكثر من أهل السنة؛ فإن هذا القول مثير للعجب حيث إن الشيعة ينكرون أكثر السنة النبوية بسبب تكفيرهم لغالب صحابة رسول الله ﷺ الذين حفظوا سنته ورووا حديثه، ومما يدل على ذلك ما رواه الكشي[٣] عن جعفر الصادق[٤]: «كان الناس

---

(١) انظر صـ ٢٦٠.

(٢) الدائرة الأولى ١٤/ ٦١، الشيعة، شتروتمان.

(٣) محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي، من فقهاء الإمامية، اشتهر بكتابة «معرفة أخبار الرجال» توفي سنة ٣٤٠هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٣١١)، وهو من أعلمهم بالرجال.

(٤) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي -رضي الله عن الجميع- لُقب بالصدق لمبالغته في الصدق، له منزلة رفيعة في العلم أخذ منه العلم=

أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي»[١].

وكيف يكونون كذلك ، وهم أكذب الطوائف في حديث النبي ﷺ حتى قال عنهم الشعبي -وكان بهم خبيراً- : «لو طلبت منهم أن يملأوا لي هذا البيت ذهباً على أن أكذب على علي لأعطوني»[٢].

وقال عنهم إمام السنة عبدالله بن المبارك[٣] : «الدين الحديث والكذب للرافضة»[٤].

ولم يكتفوا بذلك في السنة النبوية بل تجاوزوه إلى كتاب الله تعالى ،

=كثير من علماء عصره منهم أبو حنيفة ومالك ، ومرياوته في الكتب والسنة موجودة ، كا صداعاً بالحق ، جريئاً على خلفاء بني العباس ، جعلته الرافضة سادس أئمتهم ويكثر كذبهم عليه كما كذبوا على أبيه من قبل ، وكان -رحمه الله- يمقتهم إذا تعرضوا لجده لأمه أبي بكر الصديق -ﷺ- توفي بالمدينة ١٤٨هـ. (انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥).

(١) رجال الكشي ، محمد بن عمر الكشي ١٢ - ١٣ ، تقديم أحمد الحسيني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، كربلاء ، دطت.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٢٣.

(٣) عبدالله بن المبارك المروزي ١١٨ - ١٨٠هـ قال الذهبي : «عالم زمانه وشيخ الأتقياء في وقته» ، من أثبت العلماء في السنة ، وقد أجمع أهل العلم على إمامته وجلالته. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٦ - ٢٧١)

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/ ٤١٢.

حيث نجد في كتبهم الموثوقة عندهم الروايات عن أئمتهم المشككة بكتاب الله تعالى، ومن ذلك ما ساقه الكليني[١] في الكافي عن أبي جعفر[٢] أنه قال: «ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أُنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[٣].

* * *

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني فقيه إمامي من كلين بالري، كان شيخ الشيعة ببغداد، توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٤٥). وكتابه الكافي في علوم الدين من أمهات كتبهم.

(٢) محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين -رضي الله عن الجميع- كان ناسكاً عابداً ت ١١٤هـ. (انظر الأعلام ٦/ ٢٧٠)، اعتبرته الرافضة خامس أئمتهم وهم يكثرون من الكذب عليه.

(٣) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، محب الدين الخطيب، ١٤/ ددطت نقلاً عن الكافي ٥٤ طبعة ١٢٧٨ بإيران.

المبحث الثامن

المعتزلـــة

جاء في الدائرة الذكر الجميل لبعض المعتزلة والتغاضي عن انحرافاتهم، ومن ذلك:

جاء في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد[١]: (... جعل مذهب المعتزلة المذهب الرسمي للدولة، ومن ثم كان لأحمد شأن هام في محاكمة أحمد بن حنبل، ومع ذلك فقد أظهر في قيامه على هذا المنصب تسامحاً وإنسانية يندر وجودهما في تلك الأيام... وطبيعي أن الكُتّاب من أهل السنة قد اشتدوا في الحكم على ابن أبي دؤاد، ولم يخفوا عداوتهم له في أمور الدين، ولكنهم جميعاً اعترفوا بعلمه الغزير وكرم أخلاقه)[٢].

كما جاء تمجيد ثمامة بن أشرس[٣] في قولهم عنه: (من المتكلمين، وهو إمام أهل الفكر الحر في العصر العباسي الأول، وقد استدعاه كل من

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الأيادي ١٦٠ – ٢٤٠، من أئمة المعتزلة والقضاة المشهورين ورأس فتنة القول بخلق القرآن. (انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ١٤١).

(٢) الدائرة ٢/ ٢٨٢، أحمد بن أبي دؤاد، تسترشتي – بلا.

(٣) ثمامة بن أشرس النميري البصري من أئمة المعتزلة توفي سنة ٢١٣هـ. (انظر طبقات المعتزلة، القاضي عبدالجبار ٢٧٢ – ٢٧٥، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧/ ١٤٥ – ١٤٨).

الخليفتين هارون والمأمون إلى بلاطهما لسعة علمه ورجاحة عقله... وكان فريد عصره في العلم والمعرفة، وخصماً في النقاش يُخشى بأسه)[١].

وبعد أن ذُكر الجاحظ[٢] وأدبه جاء: (ولم يكن الجاحظ يخرج عن حدود العقيدة رغم ما في هذا من بعض المشقة)[٣].

قلت: من الطبيعي أن تُعلي الدائرة من رموز المعتزلة، وأن تزور الحقائق لتمجيد أولئك القوم، وسأتناول هؤلاء الثلاثة:

أما ابن أبي دؤاد فهو على كرم وسخاء ومكارم، وكان شاعراً أديباً كما ذكر العلماء والمؤرخون[٤]، واعتراف أهل السنة بذلك مع كرههم له دليل إنصافهم وعدلهم.

ومما ذكروه أيضاً سوء مذهبه، وجمع مع ذلك امتحان الناس بخلق القرآن وحملهم على ذلك بالقوة. قال الخطيب البغدادي: «أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن»[٥].

(١) الدائرة ١٠/ ٣٤٢-٣٤٣، ثمامة بن أشرس، هورتن.

(٢) تقدمت ترجمته صـ ١٠٧٩.

(٣) الدائرة ١٠/ ٣٨٤، الجاحظ، بلا.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٤/ ١٢٤، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب ٤/ ١٤٢، ١٥٣.

وأما التسامح فهو منه براء ، ذلك أنه حمل الناس على بدعة خلق القرآن ، ودفع المعتصم إليها وحمل العلماء عليها ، فقطعت أرزاق كثير منهم ، وامتُحنوا ، وعُذبوا ، وجُلد الإمام أحمد؛ بل وشجع ابن أبي دؤاد الخلفية على قتله.

وقد رق قلب المعتصم على الإمام أحمد لما رأى تصميمه وصلابته ، فأغراه ابن أبي دؤاد على ضربه ، وقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله.

وذكر الإمام أحمد أنه أفاق مرة من إغمائه حال تعذيبه فسمع المعتصم يقول لابن أبي دؤاد : «لقد ارتكبت إثماً في حق هذا الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك قد أشرك من غير وجه» ، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد ، وقد أراد تخليتي بلا ضرب ، فلم يدعه[١].

فكان من جراء ذلك أن ضُرِب الإمام أحمد مئات السياط وحبس أكثر من سنتين ، وأغمي عليه مراراً ، وخرج منه الدم مراراً حتى قال أحد جلاديه : «لقد بطل أحمد بن حنبل الشطار ، والله لقد ضربته ضرباً لو أُبرك لي البعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه» ، وقال شاباص أحد جلاديه : «لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربتها فيلاً

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٣.

لهدته» ، وقال آخر للإمام أحمد لمّا أفاق من إغمائه : «كببناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك باريه[١] ودسناك»[٢] ، وأعظم من ذلك كله أن وصل بابن أبي دؤاد أن يقول للمعتصم : «يا أمير المؤمنين! اقتله هو ضال مضل»[٣].

ورغم كل ذلك فإن الإمام أحمد عفا عن المعتصم وكل من ضربه إلا صاحب بدعة مستشهداً بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٤]، وقوله سبحانه وتعالى :﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥][٦] ، فهذا هو التسامح الذي يجب الإشادة به.

وأما ثمامة فهو معتزلي نافٍ لصفات الله تنسب له فرقة الثمامية من

---

(١) أي حصير.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٤٠٦ – ٤١٢ ، سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٨ – ٢٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٠ ، ويقال إنه تراجع عن هذا القول ليس شفقة بالإمام أحمد ، ولكن خوفاً من تأثر العامة بثباته كما صرح بذلك للمأمون لمّا أشير عليه بقتله. (سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٩)

(٤) الشورى الآية: ٤٠.

(٥) النور الآية: ٢٢.

(٦) المناقب لابن الجوزي ٤٢٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٥٧ ، ٢٦١.

المعتزلة، وكان ممن سعى بأهل السنة في فتنة خلق القرآن، وقيل: إنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال[١].

وقد انفرد عن المعتزلة بكثير من المسائل الجريئة المناقضة للكتاب والسنة، - وربما هي سبب القول عنه في الدائرة: إنه إمام الفكر الحر- حتى قال البغدادي[٢]: «انفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيها»[٣]. ومن تلك المسائل: أن الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية يصيرون هم وأطفال المؤمنين والبهائم تراباً يوم القيامة، مع خلود أصحاب الكبائر من أمة محمد في النار[٤].

وذكر البغدادي عن سخافة ثمامة ومجونه أموراً عجيبة منها:

أن ثمامة رأى الناس يسرعون إلى المسجد وقت الجمعة، فقال ثمامة لرفيق له: انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر، ثم قال ماذا صنع العربي بالناس؟ يعني رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٠.

(٢) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني إمام في الأصول والفروع توفي سنة ٤٢٩. (انظر البداية والنهاية ١٢/ ٤٤)

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢.

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٠ - ٧١.

وأن المأمون ركب يوماً فرأى ثمامة سكران قد وقع في الطين، فقال له: ثمامة؟ قال: أي والله، قال: ألا تستحيي؟ قال: لا والله، قال: عليك لعنة الله، قال ثمامة: تترى؛ ثم تترى[١].

وقال الشهرستاني عنه: «كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة»[٢].

فأين رجاحة العقل والفكر الحر، وهل هذا سلوك فريد عصره بالمعرفة والعلم؟ أم فريد عصره بالمجون والخلاعة.

إن ما تسميه الدائرة فكراً حراً إذا عارض القرآن؛ فهو زندقة وانحراف عن سائر المسلمين.

أما **الجاحظ** قبل الخوض في ضلالته لابد من الإشارة إلى الالتزام بعقيدة القرآن ليس فيها مشقة بل هي الفطرة، لأنها عقيدة جميع الأنبياء، وهي واضحة سهلة كما سبق[٣]، والجاحظ لم يلتزم بتلك العقيدة، بل هو من المعتزلة المعطلين لصفات الله النافين لقضائه، بل تنسب إليه فرقة

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٠.

(٣) انظر صـ ١٨٢، ٢٦٢.

الجاحظية من المعتزلة ، ومن ضلالتها القول : أن لا فعل للإنسان سوى الإرادة ، واستحالة عدم الأشياء بعد حدوثها ، وأن الله لا يُدْخِلُ النارَ أحداً، وإنما هي تجذب أهلها بطبعها[١] .

قال البغدادي عن تلك الفرقة : «الجاحظية أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول ، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً ، فضلاً أن ينسبوا إليه إحساناً» ثم ذكر الكثير من ضلالاته[٢] .

* * *

---

(١) انظر :

- الفرق بين الفرق ١٧٦ .

- الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٥ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٥ .

المبحث التاسع

الصوفيــة

جاء في الدائرة محاولة إضفاء الشرعية على التصوف البدعي من خلال أساليب شتى :

فتارة من خلال الإكثار في الدائرة من مصطلحات التصوف ، حيث وردت بكثرة في الدائرة ، وعلى سبيل المثال وردة المواد الآتية في ذلك :

«أهل الصفة»[١] ، و«أوتاد»[٢] ، و«البسط»[٣] ، و«البردة»[٤] ، و«البقاء والفناء»[٥] ، و«بير»[٦] ، و«التصوف»[٧] ، و«الحال»[٨] ، و«حضرة»[٩] ، و«الحقيقة»[١٠]

---

(١) الدائرة ٥/ ١٥٨ ، أهل الصفة ، ريكندروف.

(٢) الدائرة ٥/ ١٧٢ ، أوتاد ، قولد زيهر.

(٣) الدائرة ٧/ ٢٣٩ ، البسط ، آربري ، من أحوال الصوفي.

(٤) الدائرة ٧/ ٣٠ - ٣١ ، البردة ، باسيه.

(٥) الدائرة ٧/ ٤٤٧ ، بقاء وفناء ، رحمن ، من أحوال الصوفي.

(٦) الدائرة ٨/ ٥٤٤ ، بير ، دون توقيع ، والبير هو المرشد في الطريقة الصوفية.

(٧) الدائرة ٩/ ٣٢٨ ، التصوف ، ماسنيون.

(٨) الدائرة ١٣/ ٢٥٢ ، الحال ، ماكدونالد.

(٩) الدائرة ١٥/ ١٤٠ ، حضرة ، ماكدونالد ، أي المثول في حضرة الله.

(١٠) الدائرة ١٥/ ١٨١ ، الحقيقة ، كارديه.

و«الخرقة»[١]، و«الدوسة»[٢]، و«الذكر»[٣]، و«السبحة»[٤]، و«السماع»[٥]، و«الزاوية»[٦]، و«الدرويش»[٧].

أما الفرق الصوفية فقد أُفردت لها المواد الآتية:

«البيومية»[٨]، و«التيجانية»[٩]، و«الجلوتية»[١٠]، و«الحريرية»[١١]، و«الحلمانية»[١٢]، و«الحمالية»[١٣]، و«الدرقاوية»[١٤]، و«الرحمانية»[١٥]،

---

(١) الدائرة الأولى ٨/ ٢٩٤، الخرقة، ايوار.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ٣١٧، الدوسة، ماكدونالد، وهو احتفال صوفي.

(٣) الدائرة الأولى ٩/ ٢٧٨، الذكر، ماكدونالد.

(٤) الدائرة الأولى ١١/ ٢٣٣، السبحة، فنسنك.

(٥) الدائرة الأولى ١٢/ ١٨٨، السماع، ماكدونالد.

(٦) الدائرة الأولى ١٠/ ٣٣١، الزاوية، ليفي بروفنسال.

(٧) الدائرة الأولى ٩/ ٢١٩، الدرويش، ماكدونالد.

(٨) الدائرة ٩/ ٧٥، البيومية، ايوار.

(٩) الدائرة ٩/ ٢٢٦، التيجانية، مرجليوث.

(١٠) الدائرة ١٢/ ٢٣٩، الجلوتية، كلونيا.

(١١) الدائرة ١٤/ ١٨٢، الحريرية، ماسنيون.

(١٢) الدائرة الأولى ٨/ ٥٣، الحلمانية، ماسنيون.

(١٣) الدائرة ١٥/ ٤١٨، الحمالية، فروليش.

(١٤) الدائرة الأولى ٩/ ١٩٨، درقاوي، كور.

(١٥) الدائرة الأولى ١٠/ ٧٩، الرحمانية، مرجليوث.

و«الروشــــنية»[١] ، و«الـــسالمية»[٢] ، و«الــسعدية»[٣] ، و«الــسنبلية»[٤] ، و«الشيخية»[٥].

كما ذكرت عشرات الطرق تحت مادة «الطريقة»[٦].

إضافة إلى ما ذكر في ترجمة بعض رجاله كالبـدوي[٧] ، والبسطامي[٨] ، وبكتـاش[٩] ، والبكـري[١٠] ، والرفـاعي[١١] ، والدسـوقي[١٢] ، ورابعـة العدويـة[١٣] ، والـسنوسي[١٤] ،

---

(١) الدائرة الأولى ١٠/ ٢٣٦ ، روشنية ، مرجليوث.

(٢) الدائرة الأولى ١١/ ٦٩ ، السالمية ، ماسنيون.

(٣) الدائرة الأولى ١١/ ٤٢٠ ، السعدية ، مرجليوث.

(٤) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٤٠ ، السنبلية ، مرجليوث.

(٥) الدائرة الأولى ١٤/ ١٩ ، الشيخية ، لا يوجد اسم.

(٦) الدائرة الأولى ١٥/ ١٧٢ – ١٨٧ ، الطريقة ، ماسنيون.

(٧) الدائرة ٢/ ٣٠٥ – ٣١٥ ، أحمد البدوي ، فولرز – وليتمان.

(٨) الدائرة ٢/ ٣٠ ، أبو يزيد البسطامي ، ريتر.

(٩) الدائرة ٧/ ٤٦٧ ، بكتاش ، تشودي.

(١٠) الدائرة ٧/ ٤٩٦ ، البكري ، بروكلمان.

(١١) الدائرة الأولى ١٠/ ١٤٧ ، الرفاعي ، مرجليوث.

(١٢) الدائرة الأولى ٩/ ٢٣٧ ، الدسوقي ، مرجليوث.

(١٣) الدائرة الأولى ٩/ ٤٣٨ – ٤٤١ ، رابعة العدوية ، مرغيث سميث.

(١٤) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٩٣ ، السنوسي ، صبحي.

والسهروردي[١] ، كما سبقت الإشارة إلى ابن عربي وابن الفارض والحلَّاج.

إن المطلع على الدائرة ليظن أن التصوف جزء من الإسلام لا يتم بدونه فنجد المواد الكثيرة والتفصيلات الدقيقة عن التصوف، التي لا وزن لها ، وبالرغم من ذلك يُفرَدُ لها المواد والصفحات الكثيرة ، ويتجلى ذلك في كثرة المواد المعنونة بمصطلحات التصوف ، كما يوجد عند ذكر تراجم أعلامها ، بل تعدى الأمر إلى غلبة عادات التصوف على الحقائق الشرعية في بعض المواد، فمثلاً في مادة «الذكر» عرض مشوش في صفحتين تقريباً بدأ بالتعريف الديني زعم الكاتب بأنه : «تمجيد الله بعبارات محددة معينة تردد بحسب ترتيب الشعائر ، ويكون ترديدها جهرة أو سراً مصحوبة بشهقات خاصة وحركات جسمانية معينة» ، ثم الخلاف في الجهر أو الإسرار به ، وساق آية الأحزاب وحديث حضور الملائكة للذكر ثم اختلاف المتصوفة في تفاصيليه[٢].

بينما كان الواجب أن يأتي بمعناه الشرعي الذي لا علاقة به بالشهقات والحركات ، وفضله في الكتاب والسنة ، وأثره على حياة المسلم ، ثم

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٩٦ ، السهروردي ، فان دان برغ.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ٢٨٧ – ٢٨٨ ، الذكر ، ماكدونالد.

أهم الأذكار المشروعة وفضل كل منها ، وأهم الكتب التي عنيت بالذكر ، ثم ما أحدثه المتصوفة من بدع مخالفة للشريعة.

وكثيراً ما يُسكت عن انحرافاتهم عند الحديث عن أساطينهم دون الإشارة إلى مخالفتهم للإسلام ، أو انتقاد علماء المسلمين لهم ، وكمثال على ذلك امتداح البردة للبوصيري دون أن يُشار إلى مخالفتها لعقيدة التوحيد من قريب أو بعيد أو حتى كلام علماء السنة فيها وانتقادهم لبعض أبياتها؛ بل تُذكر أهميتها وشهرتها ، وما يشاع من خوارق لها ، ويُعرض عن الرأي الآخر حولها[١].

ومن المفارقات العجيبة أنهم عند الحديث عن رموز أهل السنة والحديث؛ فإنهم يفتشون عن أي منتقد لهم ، أو يلصقون بهم ما يشوه سيرتهم من تهم ليس لها مستند علمي وبغير توثيق.

ومن الأمثلة الواضحة ما سبق بيانه في فصول ماضية من تشويههم لسمعة أهل السنة وأهل الحديث ، وكذلك الأئمة الأربعة وابن تيمية وغيرهم ، بل إن صحابة النبي ﷺ لم يسلموا من ذلك.

* * *

---

(١) الدائرة ٧/ ٣٠ – ٣١ ، البردة ، باسيه.

المبحث العاشر

مطالب متفرقة

المطلب الأول: مدح أبي الفرج الأصفهاني[١] وكتاب «الأغاني»:

حظي الشيعي الماجن أبو الفرج الأصفهاني[٢] بكيل وافر من المديح، حيث سبق أن جاء مدح كتاب الأغاني في الدائرة بقوله عند الحديث عن سيف الدولة الحمداني: (وقد أهدى إليه صاحب الأغاني نسخة من هذا الكتاب الجليل التي كتبها بخطه)[٣].

كما جاء في ترجمته ثناء عاطر عليه وعلى كتابه «الأغاني» لم يمازجه أي انتقاد إلا في عدم ترتيبه مقروناً بالتمجيد، ومما جاء: (ولم يلزم أبو الفرج في هذا الكتاب نظاماً معيناً، ومع ذلك فإنه لا يعتبر أهم مرجع للتاريخ الأدبي إلى القرن الثالث الهجري فحسب، بل ويعتبر أيضاً أهم

---

(١) لم أجعل أبا الفرج في مبحث الشيعة لأن ما يناقش فيه متعلق بالمجون والفسق لا التشيع.

(٢) علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني ٢٨٤ - ٣٥٦، ولد بأصبهان ونشأ وتوفي ببغداد، كان شاعراً وأديباً وكاتباً عالماً بأخبار الناس وأيامهم، ولكن فيه تشيع ومجون أشهر كتبه الأغاني وأيام العرب. (انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٦٣، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٧٨).

(٣) الدائرة الأولى، ١٢/ ٤٧٨، سيف الدولة الحمداني، كارده فو.

مصدر لتاريخ الحضارة)[١].

وجاء في نهاية ترجمته : وصفوة القول فإن الأغاني يعرض لنا الحضارة العربية جمعاء من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي] هذا إلى ما أسداه إلينا صاحب الأغاني من فضل آخر بانتهاجه سُنَّة الكُتّاب العرب ، واستشهاده بفقرات طويلة لكُتّاب قدامى لم تصلنا مؤلفاتهم ، ومن ثم فإن كتابه مرجع أيضاً لتطور الأسلوب العربي)[٢].

قلت : كتاب «الأغاني» للأصفهاني وإن كان فيه من الأخبار الكثير ، إلا أنه أفسده بما عرض فيه من المجون والفسق وشرب الخمر والخلاعة، وهو بهذا يفقد مصداقيته فضلاً عن أن يمثل الحضارة العربية أو الإسلامية ، بل يمثل في الغالب مجتمعات الفساق. قال ابن الجوزي عن أبي الفرج : «ومثله لا يوثق به ، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني وجد فيه كل قبيح ومنكر»[٣].

ومن المفارقات أن يوصف هذا الكتاب الخليع بالجلالة.

---

(١) الدائرة ١/ ٥٧٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ، بروكلمان.

(٢) الدائرة ١/ ٥٧٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ، نالينو.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٧/ ٤٠ - ٤١ ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

وعند المقارنة بين الأغاني وصحيح البخاري في الدائرة يظهر العجب؛ فالبخاري على تقواه وورعه ومنهجيته، واشتمال كتابه لأحاديث النبي ﷺ مروية بأصح الأسانيد، المحتج بها بين الفقهاء، والمقبولة بين كافة أهل العلم نجد كثرة الافتراءات عليه كالحكم على بعض أحاديثه بالوضع دون براهين، أو رمي البخاري بالهوى، وكتاب الأغاني المليء بالمجون مع ضعف الأسانيد، وانحراف صاحبه يثني عليه، ولا ينتقد، بل يوصف بأنه أهم مصدر لتاريخ الحضارة!

إن هذا هو الهوى بعينه، وصدق من قال: «رمتني بدائها وانسلت».

أما الثقافة الإسلامية فيعرضها المؤرخون الموثوقون كابن سعد، والطبري، وابن عساكر، والخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن خلكان، وابن كثير، والذهبي، وابن حجر، وأمثالهم.

المطلب الثاني: مدح ابن العلقمي الخائن[١]:

جاء في دائرة المعارف في ترجمة ابن العلقمي[٢] الوزير الرافضي

---

(١) لم أجعله في مبحث الشيعة لأن الموضوع المُناقش استقامته لا تشيعه.

(٢) محمد بن أحمد بن العلقمي ٥٩٣ - ٦٥٦ وزير المستعصم البغدادي، كان رافضياً حاقداً، أعان التتار على دخول بغداد، فحصلت المذبحة العظيمة، ولم ينفعه ذلك إذ مات مهموماً مغموماً بعد أن أهانه التتار، وفي ذلك عبرة. (البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢١٢)

الخائن : (واشتهر ابن العلقمي بعلمه واستقامته وجودة خطه ، وكان من هواة جمع الكتب ، كما كان نصيراً للعلم ، وتقول بعض المصادر : إن ابن العلقمي هو الذي دعا هولاكو إلى بغداد ، وبعد استيلاء التتار على هذه المدينة ، وكل إلى ابن العلقمي إدارتها)(١) .

قلت : كيف يكتب هؤلاء عن تاريخ الإسلام؟ فهذا ابن العلقمي يشار لعلمه ، واستقامته —والاستقامة منه براء– بالتسليم ، وما تواتر من تواطئه مع التتار بعبارة : «وتقول بعض المصادر».

وقد قال عنه ابن كثير : «وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه من الفضلاء في الإنشاء والأدب ، وكان رافضياً خبيثاً رديء الطويلة على الإسلام وأهله ، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ، ثم مالأ على الإسلام وأهله الكفار : هولاكو خان ، حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله»(٢) .

وقال الذهبي : «أفشى الرفض فعارضه السنة ، وأُكبت فتنمّر ، ورأى أن هولاكو على قصد العراق ، فكاتبه ، وجسَّره وقوى عزمه على قصد العراق ، ليجد عنده يداً ، وليتمكن من أغراضه ، وحفر للأمة قليباً فأُوقِع

---

(١) الدائرة ١/ ٣٥٢ ، ابن العلقمي ، فاير.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢١٢.

فيه قريباً وذاق الهوان ، وبقي يركب كديشاً وحده ، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سُلطان ، فمات غبناً وغماً ، وفي الآخرة أشدّ خزياً وأشد تنكيلاً»[١] .

وكان بسبب فعلته تلك المجزرة الشنيعة التي فعلها التتر في بغداد : إذ قُتل الخليفة وأهل العقد والحل ، واستُبيحت بغداد تسعة وثلاثين يوماً حتى جرت سيول الدماء ، وأصبحت خراباً بعد عمار[٢] .

إن ما حصل منه ليس مجرد دعوة لهولاكو لدخول بغداد ، ثم إدارته لبغداد بعد ذلك ، بل ما حدث منه إنما هو خيانة عظمى للدولة الإسلامية التي كان وهو وزيراً لها ، وقبل ذلك خيانة للإسلام والمسلمين ، ومعلوم ما تواتر من المذابح التي أحدثها التتار عند فتح بغداد ، وإنهاء الخلافة الإسلامية على أيديهم ، والتي يبوء ابن العلقمي بكفل وافر منها ، والتي بسببها استحق الثناء والإشادة من كُتّاب الدائرة.

وقد قال المؤرخ المعاصر خيرالدين الزركلي عنه – رغم قلة نقده- : «صاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد في رواية أكثر المؤرخين»[٣] .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣/ ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢١.

المطلب الثالث : حركة تحرير المرأة :

جاء في دائرة المعارف مدح الحركة المسماة بتحرير المرأة في مصر ، فقد جاء في مادة الحجاب محاولة لتحطيم الحجاب ومدح القائمين بذلك ، وهذه مقتطفات من ذلك :

(ومن المحقق أن سنة الحجاب لم تكن مرعية في المدينة إلا في القليل النادر ، ويبرر القرآن ذلك في الواقع على أساس أن ﴿...ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...﴾ [١] ، على أنه لما اتسعت رقعة الإسلام انتشرت هذه السنة بسرعة... وارتداء الحجاب الذي هو عام في الحضر حيث تطورت الحركات العقلية أسهم إلى حد كبير في إبقاء النساء المسلمات في نوع من العزلة ، على أنه حدث في نهاية القرن التاسع عشر بفضل الآراء الإصلاحية للخديوي إسماعيل.... غير أن النصير الحقيقي لحركة المرأة كان هو قاسم أمين ، وقد استنكر في كتابه «تحرير المرأة» إبقاء المرأة في حالة خضوع ، وقرر حقها في التعلم ، ونوه بمضار الحجاب إذ رأى أنه شر أنواع العبودية ، وقد قرر وهو الفقيه ، بأنه : لا يوجد في الشريعة الإسلامية حقاً نص يبرر استعمال الحجاب على النحو الشائع وقتذاك)[٢].

---

(١) الأحزاب الآية: ٥٩.

(٢) الدائرة ١٣/ ٣١٩ – ٣٢١ ، الحجاب ، شلهود.

قلت : الحجاب فريضة مأمور بها بنص القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١) ، وكان مرعياً في المدينة إذ كان الصحابة -ﷺ- يبادرون إلى الاستجابة لأمر الله تعالى ، وهذا هو الأصل، وعلى المخالف الدليل.

والحجاب أولاً أمر رباني بنص القرآن ثم هو سنة نبويه ، وهو كذلك تدبير وقائي لصيانة المرأة والمحافظة على عفتها ، ولحفظ المجتمع كله من الفواحش وما يترتب عليها من مفاسد وخراب البيوت ومنكرات.

والحجاب يعزل المرأة عن الرجال الأجانب عنها؛ لأن في ذلك مصلحتها ومصلحة المجتمع كله ، ولكنه لا يمنعها من المساهمة في بناء المجتمع ، وعلى رأس ذلك القيام بحقوق زوجها ، وتربية أولادها ، ولها أن تعمل في أي عمل لا يمس واجبها الأصلي في بيتها ، ولا يُعرِّض عفتها لأي مخاطر.

أما الخديوي إسماعيل (٢)

---

(١) الأحزاب الآية: ٥٩.

(٢) إسماعيل «باشا» بن إبراهيم بن محمد علي ١٢٤٥ - ١٣١٢هـ ولد ونشأ في القاهرة وتعلم في فرنسا ولي مصر سنة ١٢٧٩ ، وهو ابن إبراهيم باشا وحفيد محمد علي=

وقاسم أمين[١] فقد تلقى كلاهما تعليمه في فرنسا ، وعملا على نشر الآراء التحررية المخالفة لتعاليم الإسلام ، والتي أدت إلى هجر كثير من المصريات الحجاب ، وانتشار الطلاق في المجتمع ، وذيوع الفاحشة ، ولا شك أن هذا من أبرز مظاهر التأثير الغربي المفسد للمجتمع الإسلامي ، وقد اعترف الغربيون أنفسهم بذلك التأثير ، حيث قال أحدهم: «إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة»[٢].

وقد ألف قاسم أمين كتابه «المصريون» الذي دافع عن الإنسان

=الذين غزوا الجزيرة العربية ، وهو أول من أُطلق عليه لقب الخديوية من أسرته ، كان مولعاً بالبناء فبنى الكثير من المشاريع وكبد الدولة كثيراً من الديون ، ونكب مصر بإنشاء المحاكم المختلطة بالقوانين الأوربية ، ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر ، عُزل بطلب من الحكومات الغربية ونُفي إلى الآستانة سنة ١٢٩٦هـ ، وقضى بقية أيامه في أوربا والآستانة. (انظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٨)

(١) قاسم بن محمد أمين المصري ١٢٧٩ - ١٣٢٦هـ كردي الأصل ولد ونشأ بمصر ودرس الحقوق بفرنسا ، ألف كتابيه «المرأة الجديدة» و«تحرير المرأة» فأحدث صدورهما دوياً في مصر. (انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٤)

(٢) الإسلام والغرب ، جان بول رد ١٧٨ ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

المصري وتقاليده ومنها زي المرأة كما هاجم الاختلاط ، وتشبُّه بعض المصريات بالغربيات ، وكان تبريره لشعائر الإسلام فيها ذلة وخضوع ، وأغضب هذا الكاتب بعض النساء في مصر ذوات النفوذ فشنت حملة ضد قاسم أمين ، ولكن ما لبث قاسم أمين أن اقتنع بالأفكار التي كان يهاجمها ، فرأى تصحيح خطئه ذلك فألف كتابه «تحرير المرأة» (١٨٩٩) الذي دعا فيه إلى تغريب المرأة المسلمة ، وتناول أربع مسائل هي : الحجاب ، وعمل المرأة في الشئون العامة ، والطلاق ، وهو يذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين ، وقد حرص مع تلك الآراء أن يقول إنها موافقة للإسلام[١].

وقد فرح الغربيون بهذا الكتاب حتى كتب مصطفى كامل في «اللواء» بتاريخ (٩ فبراير ١٩٠١) مستغرباً لانتشار الكتاب : «هذا وقد انتشر خبر كتاب «تحرير المرأة» في جهات الهند ، واهتم الإنكليز بترجمته وبث قضاياه ، وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً ، لما وراء العمل من فائدة لهم»[٢].

وقد أدرك قاسم أمين خطأه في توقيت تلك الدعوة ، ونشر ذلك في أحد الصحف المحلية حيث قال : «لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى

---

(١) عودة الحجاب محمد أحمد المقدم ٢/ ١٩ – ٢٤ ، دار طيبة ، دطت.

(٢) عودة الحجاب ٣٠.

اقتفاء أثر الترك بل الفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم.

ولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي... إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل»[1].

وقد تلقفت دعوة قاسم أمين الجمعيات التحررية فأفسدت المجتمع المصري، وقد شهد بذلك الشهود:

قال محمد فريد وجدي: «إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة، وأحدثت انتشار مفزعاً لمبدأ العزوبية، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض، وهرب

(١) رجال اختلف فيهم الرأي، أنور الجندي ٢٩، دار الأنصار، القاهرة، دط، نقلاً عن جريدة الظاهر أكتوبر ١٩٠٦م.

الشابات من دور أهلهن»[١].

وقالت بنت الشاطئ : «إن المرأة دفعت ثمناً للتطور ، ويكفي أن أُشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا... وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي ، وترفعها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد.. أما الأبناء فترُكوا للخدم...»[٢].

ووصف المستشرق لقاسم أمين بقوله : «وهو الفقيه حق الفقيه» ابتذال لهذه اللفظة وما حوته من معنى كبير ، ومنبئة عن طريقة أولئك المستشرقين في إصدار الأحكام.

* * *

(١) رجال اختلف فيهم الرأي للجندي ٣٠.

(٢) المرجع السابق ٢١.

الخاتمة

- أهم النتائج
- التوصيات

أولاً : أهم النتائج :

أهم نتائج هذا البحث حسب ترتيبها فيه ما يلي :

أولاً : العلم بمعنى الاستشراق وبداياته.

ثانياً : العلم بأهداف الاستشراق ، وأبرزها تشويه الإسلام.

ثالثاً : معرفة وسائل المستشرقين المختلفة لتحقيق أهدافهم ، ومن ذلك تأليف هذه الدائرة.

رابعاً : العلم بالمستشرقين وأحوالهم وتباين طرقهم حيث يمكن تصنيفهم كما يلي[١] :

- الدرجة الأولى وهم من لا يظهر في كتاباته الحقد على الإسلام ، بل يحاول الإنصاف ، وقد يقع أخطاء كثيرة متفاوتة : إما للجهل باللغة ، أو الاعتماد على غيرهم ، ومن أمثال هؤلاء كرامرز وبروفسنال وكارديه.

- الدرجة الثانية وهم من كانت دراساتهم وتحليلاتهم أقوم من غيرهم ، وأقرب للموضوعية ، ولكن التجرد من الأثر الصليبي صعب المنال ، ومن أمثال هؤلاء كارل بروكلمان ، وهاملتون جب ، وفشيا فاليري.

- الدرجة الثالثة وهم الحاقدون النافثون لسمومهم وهؤلاء ينبرون

(١) مع استبعاد من أسلم منهم.

للكتابة في أصول الدين وشرائعه، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى تحريف النصوص، ومن أمثلة هذا القسم قولد زيهر، وبول، ولامنس، وفنسنك، ومرجليوث، وماكدونالد، وكارده فو، وشاخت، وغيرهم كثير.

خامساً: استياء رجال الإسلام مما في دائرة المعارف الإسلامية من تشويه للإسلام والمسلمين، وإبراز للمبتدعة والمنحرفين.

سادساً: بيان طرائق الأعداء في محاولاتهم للنيل من الإسلام.

سابعاً: بيان منهج الدائرة وأهدافها.

ثامناً: ثبوت نبوة النبي ﷺ بالدلائل الكثيرة القاطعة، ومن ذلك:

أ- البشارات به ﷺ في الكتب السابقة، وذلك مذكور في القرآن الكريم، وتواتر تصديق أهل الكتاب بها، كما أن بعضها (قرابة ثمانية عشر) موجودة إلى اليوم في كتبهم.

ب- حسن سيرته ﷺ وثبوت صدقه وأمانته، واستحالة كذبه.

ج- إعجاز القرآن الكريم بوجوه عديدة كفصاحة ألفاظه، وتمام معانيه، وإخباره بالأمم السالفة، والغيوب المستقبلية، وكشوفه العلمية، وقوة تأثيره، وعجز الجميع عن معارضته مع وجود الأسباب وانتفاء الموانع.

د- المعجزات الأخرى الثابتة وهي كثيرة جداً، كالإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، واستجابة دعائه ﷺ، وتكثير الطعام والشراب، وإخباره

بالغيب، وغير ذلك كثير.

تاسعاً: قيام الدلائل المتنوعة على تحريف الكتب السابقة «التوراة والإنجيل».

عاشراً: بيان معتقد أهل السنة في مباحث مستقلة كنموذج لما يجب أن تكون عليه الدائرة: «توحيد العبادة، توحيد الأسماء والصفات، الملائكة، الأنبياء، اليوم الآخر، السنة النبوية، الصحابة».

عاشراً وحادي عشر: بيان أخطاء الدائرة، ومفترياتها على الإسلام والمسلمين، ودحض مطاعن المستشرقين في الدائرة، وقد فصلت في ذلك كما يتضح في العنوان الآتي؛ لأن هذا الأمر وحده يوازي جميع ما سبقه من نتائج.

أبرز طعون وتشويه دائرة المعارف الإسلامية للعقيدة الإسلامية:

١-تشويه التوحيد الإسلامي بفرض أخطاء المنحرفين عليه.

٢-تشويه عقائد المسلمين، وذلك بالإكثار من ذكر معتقدات الفرق الباطلة من غير بيان.

٣-تشويه عقيدة الأسماء والصفات بشتى الوسائل لتظهر أسماء الله وصفاته: متناقضة وغامضة وناقصة ومضللة ودالة على التشبيه.

٤-ترويج الخرافات المخالفة لما يعتقده المسلمون؛ وتأخذ تلك

الخرافات أشكالاً متعددة :

- فتارة تكون في عمل المسلمين للتعاويذ الشركية.
- وتارة تكون في بدع وخرافات.
- وتارة ثالثة في القصص الخيالي عن الأنبياء والملائكة واليوم الآخر.

٥-ادعاء استقاء النبي ﷺ لعامة ما جاء به من عقائد وشرائع من الأمم الماضية كالرومان وبابل واليونان والسامرية، والملوك البهلوية واليهودية والنصرانية والحضارة العربية القديمة وأعراف الجاهليين.

وجعل ذلك من الأمور المسلَّمة فلا يقام معها أي دليل سوى التشابه بين ما في الإسلام والأديان الأخرى متناسين أن جميع الأديان السماوية في أصلها هي دين الله، وأن أخذ النبي ﷺ الدين من الأمم السابقة مستحيل لأمور عديدة منها :

- قيام الدلائل المتنوعة على صدقه وحسن سيرته ونقاء سريرته.
- عدم وجود الاتصال الكافي، الذي لو تم لعلمه الجميع وأولهم أعداؤه، ولشهروا به عليه، ولادعى معلموه هذا الفضل إليهم.
- إتيان النبي ﷺ بكثير من المعلومات والقصص التي لم تكن معلومة بغير الوحي.
- أن وجوه إعجاز القرآن ليس مقصوراً على ما فيه من قصص وأخبار

وتشريعات ، بل فيها ما لا يحصل بالاستقاء من الأمم السابقة كبلاغته ، وقوة تأثيره ، وإعجازه العلمي.

- من الممتنع أن يكون هذا الدين العظيم حصيلة جلسات سرية.

- لو صح أخذ النبي ﷺ من غيره لعلمه المقربون منه ، ولعلموا كذبه، مع أنهم أشد الناس تصديقاً به.

٦-التخبط الشديد في البحث عن مصادر النبي ﷺ كما يزعمون في استقاء تلك المعلومات الضخمة ، هل هي من شعراء العرب المترددين على خانات الحيرة ، أم من بعض الحنفيين الجاهليين ، أم من الصحابة الذي أسلموا ، وكانوا على علم بها ، أم من يهود المدينة ، أم من الجو الفكري السائد ، أم من معلمين مجهولين؟

وإذا كان ثمة خلاف زعموا أن النبي ﷺ أو معلميه أخطأوا في نقله.

وإذا لم يجدوا أي تشابه بين ما جاء به ﷺ وكافة الأمم الماضية فإنه يقال إنه من اختراع محمد ، وقد يعلل ذلك لمصالح خاصة.

ولعدم موضوعيتهم فإن الاختلاف في دعاواهم كثيرة جداً ، إذ قد يتنازعون في نسبة الأمر الواحد إلى عدة مصادر.

٧-التشكيك بالنبوة بنفي دلائلها :

- نفي البشارات السابقة بالنبي ﷺ.

- إنكار إرهاصات نبوته ﷺ.
- التشكيك في ثبوت القرآن الكريم.
- إنكار معجزات النبي ﷺ الأخرى.

٨-الطعن في الوحي بادعاء أنه حالة نفسية تنتاب النبي ﷺ.

٩-ادعاء تناقض القرآن والسنة.

١٠- نسبة ما ليس في القرآن والسنة لهما.

١١- ادعاء التحولات في مبادئ دعوة النبي ﷺ لإثبات بشريتها.

١٢- الطعن في السنة النبوية بطرق عدة :

أ- الحط من أهمية السنة النبوية عند المسلمين.

ب- ادعاء وضع السنة النبوية.

ج- تجاهل جهود المحدثين في حفظ الحديث النبوي.

د- الطعن في رواة الحديث مثل طعنهم في أبي هريرة وأنس بن مالك والزهري.

ه- الطعن في كتب الحديث مثل الطعن في صحيح البخاري.

١٣- فقدان جل المستشرقين الموضوعية في الحكم على الأحاديث النبوية. ويلاحظ سيطرة الهوى على كثير من المستشرقين في الاحتجاج بالأحاديث النبوية ، فلا يخضعون لمعايير واضحة في الاحتجاج وعدمه ،

فضلاً عن تقبل المنهج العلمي في ذلك.

١٤- ادعاء وضع السيرة النبوية برمتها لتمجيد النبي ﷺ أسوة بالملوك الذين قبله.

١٥- الطعون الكثيرة في شخص النبي ﷺ، كاتهامه بعدم العدل في توزيع الأموال، واتهامه بالشهوانية، وبالتحايل ونقض العهود، وبالهوى.

١٦- التنقيص من شأن صحابة النبي ﷺ بأساليب شتى:

أ- التنقيص من شأن الأنصار لاسيما الأوس.

ب- ادعاء أن قصص بعض الصحابة وكراماتهم إنما هي موضوعة بغرض التمجيد.

ج- اختلاق المؤامرات والمكائد ونسبتها لصحابة النبي ﷺ، كزعمهم وجود حزب يتزعمهم أبو بكر وبسببه كانت الهجرة إلى الحبشة، وأن هناك اتفاقاً ثلاثياً بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة على تولي الأمر بعد النبي ﷺ، ويدعمهم مجموعة أخرى من الصحابة كعائشة وحفصة -رضي الله عن الجميع-.

د- ترديد كلام الشيعة فيما يتعلق بعثمان - رضي الله عنه -.

ه- الطعن في بعض الصحابة أو الانتقاص من مكانتهم مثل أبي عبيدة بن الجراح وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعائشة والحسن

ابن علي وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك وأبي هريرة وخالد بن الوليد - رضي الله عن الجميع -.

١٧- التشويش في عرض العقيدة الإسلامية ، حيث تكون المواد مليئة بالكذب والخرافات والأساطير فاقدة لكثير من الحقائق الإسلامية ، مما يفقدها الفائدة المرجوة ، بل ويُنفِّر منها.

١٨- الخلط بين معتقد أهل السنة وبين آراء المتكلمين الأشاعرة والماتريدية.

١٩- الاعتماد على الكتب غير الموثوقة في تقرير اعتقاد المسلمين ككتب القصص والنوادر.

٢٠- ادعاء أن نعيم الجنة مادي حسي فقط.

٢١- ادعاء أن الدجال شخصية أسطورية عند المسلمين.

٢٢- ادعاء التناقض عند النبي ﷺ في خلود أهل النار ، وفيما يتعلق بخلود الروح.

٢٣- الطعن في الشريعة الإسلامية والتنفير منها بأساليب متعددة منها:

- التشويش في عرض المواد المتعلقة بالشريعة الإسلامية.
- إرجاع الشريعة الإسلامية لمصادر جاهلية كالقانون الروماني.
- الدعوة بتناقض أحكام الشريعة الإسلامية.

- الدعوى بمخالفة الشريعة الإسلامية للعقل.

- الدعوى باستحالة تطبيق الشريعة الإسلامية على أرض الواقع.

- اتهام الشريعة الإسلامية بالتسبب في سوء العلاقة بين الرجل والمرأة.

٢٤- تشويه الدائرة لعموم مذهب أهل السنة، وطعنها في علماء الأمة ودعاتها وملوكها على النحو الآتي:

- الطعن في أهل الحديث ووصفهم بمجانبة العقل في تقرير العقائد.

- الطعن في الأئمة الأربعة، لاسيما المذهب الحنبلي ووصف أتباعه بالتشبيه والتشدد.

- انتقاص الإمام الذهبي.

- التركيز على تشويه سمعة شيخ الإسلام ابن تيمية باتهامه بالتشبيه والتشدد واتباع الهوى ووصفه بالسقوط، وأنه حرَّم زيارة القبور، وخالف الإجماع، وطعن في رجال الإسلام.

- إثارة الشبهات الكثيرة على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لتشويهها، ومن ذلك: وصف أتباع الدعوة بالتشدد والتطرف، واتهامهم بتكفير المسلمين، وأنهم ينكرون الإجماع والقياس، وأنهم يهاجمون الأماكن المقدسة، وأنهم ينكرون التقليد، وأنهم قراصنة في البر وقطاع

طرق في البر، وتجار رقيق.

- الطعن في عموم الدعاة والمجاهدين، وفي ملوك المسلمين الذي عرفوا بمحاربة النصارى كصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس.

٢٥- تمجيد ما يخالف الإسلام ومحاولة إضفاء الشرعية عليها، ومن ذلك:

- مدح الأناجيل المحرَّفة.

- الغلو في مدح الفلاسفة مثل ابن سينا والفارابي.

- تبرير عقيدة الحلول والدفاع عن الحلاج وابن عربي وابن الفارض.

- مدح الباطنية وأنها ثمرة مثلى للعقل في الإسلام.

- تمجيد الزنادقة والمنحرفين والرفع من مكانتهم من أمثال التوحيدي والمعري، وأبي الفرج الأصبهاني وابن العلقمي.

- تزكية الشيعة وتبرير معتقداتهم.

- الإكثار من ذكر بدع المتصوفة، وفرق الصوفية، ورجال التصوف من غير التنبيه على مخالفتهم للسنة، مما يضفي الشرعية على التصوف.

- تمجيد المعتزلة ورجالها أمثال ابن أبي دؤاد وثمامة بن أشرس والجاحظ.

- وأخيراً مدح دعاة التبرج والسفور «حركة تحرير المرأة في مصر» ورائدها قاسم أمين، وناصرها الخديوي إسماعيل.

ثانياً : التوصيات :

أولاً : إنشاء موسوعة إسلامية بديلة :

من المعلوم أن أئمة الإسلام الأوائل قد ألفوا الكتب الجامعة التي هي بمثابة موسوعات متخصصة، جمعوا فيها المعلومات والتحليلات المناسبة بحسب حاجة المسلمين في أوقاتهم مثل الجوامع وكتب التفسير والتاريخ.

وفي عصرنا هذا من المفيد جداً إنشاء موسوعة إسلامية شاملة يشارك فيها مئات المتخصصين لإفادة المسلمين في الموضوعات المستجدة في سائر العلوم الإسلامية، على أن تكون متاحة لكل أحد بما توفره من سهولة صياغة، وحسن ترتيب، والهدف من ذلك يتمثل في ثلاثة أمور :

١- تسهيل الوصول إلى المعلومات.

٢- سد النقص في المكتبة الإسلامية فيما يتعلق بالمعلومات المستجدة.

٣- سد الطريق أمام هذه الدوائر ووجود البديل المناسب.

وهناك مشروعان نرجو أن يحققا البديل المناسب عن هذه الدائرة :

الأول : الموسوعة العربية الدولية ، وهي عبارة عن ترجمة للنسخة الدولية من موسوعة الكتاب العالمي ، وهي موسوعة أمريكية شاملة تصدر سنوياً بعد إعادة مراجعتها من سنة ١٩١٧م ، وتم اختيارها لمميزات عديدة[١] ، وقد تبنى المشروع الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد ووزير الدفاع في المملكة العربية السعودية ، وكُلف مكتب الشويخات للترجمة بالرياض بالترجمة والدراسات والتنقيح والحذف والإضافة بعد الاستعانة بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين ، بما يخدم القضايا العربية والإسلامية بعد الاتفاق مع نفس الموسوعة الدولية، وقد بدأت الدراسات في سنة ١٤١٠هـ ، وفي شهر رمضان ١٤١٣هـ بدأ تنفيذ المشروع عملياً ، وقد خرجت كاملة بفضل الله تعالى.

الثاني : الموسوعة الإسلامية ، وهي دائرة معارف إسلامية عامة في تركيا يقوم مركز الدراسات الإسلامية بوقف الديانة التركي باسطنبول بتأليفها.

---

(١) منها شمولها وكثرة الخبراء المساهمين فيها حيث أن عددهم أكثر من ثلاثة آلاف عالم وخبير ، وحسن تبويبها وإخراجها.

وكان من البواعث على تأليفها وجود دائرة المعارف الإسلامية الأوربية، وعدم وجود بديل إسلامي لها، فأنشت مؤسسة الموسوعة الإسلامية عام ١٩٨٣.

ويعمل بالمؤسسة عشرات الأساتذة والخبراء، ونُظِّم العمل بها على هيئة لجان متنوعة، وأخذت تصدر أجزاء الموسوعة في عام ١٩٨٨م، ووصلت حتى سنة ١٩٩٤م إلى ثمانية أجزاء، ويتوقع أن تزيد على ثلاثين مجلداً، وشارك فيها ٧٥٠ كاتباً، كما تم الاتصال بـ٣٠٠٠ مؤلف من ٣٠ جامعة داخل وخارج تركيا.

ويربو مؤلفو الجزء الواحد على ٢٢٠ مؤلفاً، وتصل عدد المواد غير المكررة إلى ١٨٠٠٠ مادة في كافة العلوم الإسلامية[(١)].

كما أن هنا الكثير من الموسوعات المتخصصة في جوانب معينة كالقرآن والسنة والفقه والتراجم والأديان والفرق، أو تكون شاملة، ولكنها لا تكون متخصصة في الإسلام، أو تكون على غرار هذه الدائرة، أو لا يكون فيها التفصيل الكافي، أو المواد الكافية؛ وذلك نظراً لأنها نتاج جهود فردية، ومن المحال أن يكون المؤلف متخصصاً في جميع

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٢/٨/١٩٩٤م الصفحة ١٥ بعنوان «الموسوعة الإسلامية رد علمي للتشويه الغربي لحضارتنا».

الموضوعات المطروحة مما ينعكس ذلك على عمق المعلومات وصحتها.

ثانياً : العمل على وقاية المسلمين من سموم المستشرقين :

يجب وقاية المسلمين من شرور المستشرقين ، إذ أن الوقاية خير من العلاج ، وبوسائل سهلة من أخطار الفكر الاستشراقي ، لكن إذا ترك الأمر فإن العلاج سيكون صعباً للغاية ، وأكبر شاهد على ذلك تغلغل الفكر الاستشراقي في كثير من المفكرين المصريين الذين نقلوه بدروهم إلى طلابهم في الجامعات المصرية؛ فهو كالمرض يسهل محاصرته والوقاية منه ، ولكن يصعب ذلك بعد انتشاره.

ومن الممكن الوقاية من سموم المستشرقين والحد منها بوسائل عديدة منها :

١- تكثيف نشر العلم الشرعي بفروعه المختلفة لاسيما ما يتعلق بفضائل الإسلام في المساجد والمدارس ووسائل الإعلام المتنوعة؛ لأن في العلم تحصيناً من كل باطل ، ودعوة لكل خير.

٢- الرد على شبهات المستشرقين التي يروجونها في مجلاتهم وكتبهم.

٣- الحد من انتشار كتب المستشرقين ومجلاتهم وموسوعاتهم المسمومة لتبقى في إطار المتخصصين.

٤- التنبيه على أخطار المستشرقين في مادة مستقلة لطلاب الدراسات الإسلامية[١]، وفي موضوع منفصل في مادة الثقافة الإسلامية التي تُدرس في جميع تخصصات الجامعات السعودية.

٥- إنشاء مجلة دورية متخصصة في متابعة الاستشراق، لكشف أهدافهم، ووسائلهم، والأفكار المستجدة التي يروجونها.

٦- تمويل الأبحاث والدراسات التي تكشف أولئك المستشرقين وتبين مراميهم.

٧- تنبيه الطلاب المبتعثين للخارج على أخطار المستشرقين وتزويدهم بالمعلومات المعينة لتحصينهم ضد شبهات المستشرقين عن طريق المحاضرات[٢]، والنشرات.

---

(١) تم إضافة مادة الاستشراق في الدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض.

(٢) مثل ما تقوم به دورات المبتعثين في المملكة العربية السعودية لكل طالب مبتعث إلى الخارج، وهو جهد مشكور لإفادة الطلاب وتحصينهم ضد الأخطار التي قد يتعرضون لها.

ثالثاً : تحسين سمعة الإسلام عند غير المسلمين ودعوتهم إليه :

وذلك لإصلاح ما أفسده المستشرقون ، وهو خطوة أولى لدعوتهم إلى الإسلام حيث أن ذلك بمثابة القاعدة التي يبني عليها الدعاة إلى الله دعوتهم ، ويمكن عمل ذلك بوسائل عديدة منها :

١- تأليف الكتب ، ونشر الدوريات ، وكتابة المقالات المخاطبة لغير المسلمين.

٢- تكثيف ترجمة الكتب الإسلامية المحققة لهذا الهدف ، وقد شهدنا ترجمة كثير من الكتب الإسلامية التي أسهمت إلى حد كبير في هذا الجانب ، والمطلوب عدم التوقف في هذا المجال، والتوسع فيه.

٣- استغلال وسائل الإعلام المختلفة في الغرب وخاصة التي يقبل عليها الناس كالتلفزيون والصحف والإذاعة للتعريف بالإسلام ، بلغاتهم والإجابة عن جميع الشبه الموجهة إليه ، ولو عن طريق استئجار قنوات لهذا الهدف ، فإن أحق ما يبذل فيها المال هو نشر دين الله تعالى.

٤- مساعدة الجمعيات الإسلامية في تلك البلاد لتصحيح النظرة نحو الإسلام والدعوة إليه من خلال مدهم بالدراسات

والكتب وانتداب العلماء المتخصصين في هذا الجانب إليهم ، وإمدادهم بالأموال بعد التحقق من القائمين عليها وسلامة عقائدهم.

٥- استغلال زيارة غير المسلمين للبلاد الإسلامية للسياحة والعمل أو لغير ذلك لتحسين صورة الإسلام ودعوتهم إليه من خلال نشر الكتب ، وعرض الأفلام في الرحلات الطويلة بالطائرات ، وفتح مكاتب خاصة بالجاليات وتوزيع النشرات والعمل على وضع برامج خاصة بهم ، ولا شك أن النجاح الكبير الذي ترتب على ما قامت به مراكز دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية بفضل الله تعالى ثم بجهود القائمين عليها ومموليهم من أهل الخير في بيان سماحة الإسلام؛ ترتب عليه إسلام العدد الكبير منهم وتصحيح النظرة لآخرين ، وإن ذلك ليُنشِّط أهل الخير للتوسع في هذا الجانب ، ويشجع الدول الأخرى لاحتذاء حذو هذه البلاد في هذا المجال.

٦- أن يكون المسلمون قدوة صالحة في كافة تصرفاتهم لاسيما عند التعامل مع غيرهم ، وأن تكون دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتجنب الشدة وما يسيء إليهم وينفر من دينهم

وقد دخل الإسلام دولاً عديدة من هذا الباب حيث انتشر في جنوب شرق آسيا عن طريق التجار الحضارمة.

أسأل الله عز وجل أن يكون هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم...

* * *

الفهارس

* فهرس المراجع
* فهرس الأعلام
* فهرس الموضوعات

١ - مراجع البحث

أولاً : الكتب :

١ - القرآن الكريم.

٢ - الإبانة عن أصول الديانة ، أبو الحسن الأشعري ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض دطت.

٣ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، عبدالله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق رضا نعسان معطي ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤ - الأبطال ، توماس كارليل ، تعريب محمد السباعي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥ - ابن تيمية وقضية التأويل ، محمد السيد الجليند ، شركة عكاظ للنشر ، جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦ - الإبهاج في شرح المنهاج ، عبدالوهاب بن علي السبكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستشراق - الاستعمار ، عبدالرحمن حسن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٨ - الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الآمدي ، تعليق عبدالرحمن عفيفي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٩ - إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

١٠ - أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دد.

١١ - **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي أشراط الساعة**، السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٢ - **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**، يحيى بن شرف النووي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م.

١٣ - **آراء أهل المدينة الفاضلة**، محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي، مطبعة حجازي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

١٤ - **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٥ - **الاستشراق بين الموضوعية والافتعال**، قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦ - **الاستشراق: المعرفة - السلطة - الإنشاء**، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية دت.

١٧ - **الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، محمود حمدي زقزوق، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٨ - **الاستشراق والمستشرقون**، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبدالرحمن النمري القرطبي، وهو بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٢٠ - **الإسلام**، هنري باسيه، صدر بالفرنسية في باريس ١٩٦٠م، ترجمة بهيج شعبان، تعليق مصطفى الرافعي و محمد جواد مغنية، طبع في عويدات بيروت، دطت.

٢١- **الإسلام على مفترق الطرق**، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، دط.

٢٢- **الإسلام كبديل**، مراد فلفريد هوفمان، ترجمة غريب محمد غريب، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٣- **الإسلام والاستشراق**، محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٤- **الإسلام وبناء المجتمع**، أحمد محمد العسال، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥- **الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب**، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة الثقافة، قطر الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

٢٦- **الإسلام والعرب**، روم لاندرو، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٢هـ.

٢٧- **الإسلام والغرب**، جان بول رد، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٦٠هـ.

٢٨- **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين**، أبو الحسن على الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٩- **الأسماء والصفات**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٣٠- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب لابن عبدالبر، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٣١- **الأصولية في العالم العربي**، ريتشارد هرير دكمجيان، ترجمة وتعليق عبدالوارث سعيد، الوفاء للطباعة والنشر، والمنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٢- **إظهار الحق**، رحمت الله بن خليل الهندي، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٣٣- **أظهار البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد بن الأمين المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، دطت.

٣٤- **أضواء على الاستشراق والمستشرقين**، محمد أحمد دياب، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٣٥- **الإعلام بمناقب الإسلام**، **أبو الحسن العامري**، تحقيق أحمد عبدالحميد غراب، دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٦- **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، حافظ بن أحمد الحكمي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٣٧- **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، عمر بن علي البزار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.ط

٣٨- **الأعلام**، قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٣٩- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

٤٠- **أعلام النبوة**، علي بن محمد الماوردي، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤١- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٢- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الباز للنشر، مكة المكرمة، ددطت.

٤٣- **اكتشاف جزيرة العرب**، جاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي، تقديم حمد الجاسر، منشورات الفخارية الرياض، ودار الكاتب العربي، بيروت، دطت.

٤٤- **إلى الدين الفطري الأبدي**، مبشر الطرازي الحسني، دار عمر ابن الخطاب، الإسكندرية، دطت.

٤٥- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، عياض بن موسى اليحصبي، تحقي السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٤٦- **إمارات الساحل وعمان والدولة والسعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨م**، محمد مرسي عبدالله، المكتب المصري الحديث، القاهرة ١٩٧٨م.

٤٧- **إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية**، علي عبدالفتاح المغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م (رسالة دكتوراه).

٤٨- **الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ**، عبدالله بن سعد الرويشد، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٤٩- **الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته**، أبو عبيد القاسم ابن سلام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٠- **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تعليق أحمد شاكر، دار التراث، مثر الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥١- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

٥٢- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، ويليه الملحق التابع له لمحمد بن محمد بن يحيى، مطبع السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٥٤- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، الطبعة الثانية دت.

٥٥- بريطانيا والخليج ١٧٩٥- ١٨٧٠، جون. ب، كيلي، ترجمة محمد أمين عبدالله، دطت.

٥٦- بين القرآن والإنجيل، أحمد ديدات، كتاب المختار مصر، دطت.

٥٧- تاريخ ابن عساكر المسمى التاريخ الكبير، علي بن الحسن بن عساكر، تصحيح عبدالقادر أفندي، مطبعة روضة الشام ١٣٣١هـ.

٥٨- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٦٧هـ.

٥٩- تاريخ بغداد، أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

٦٠- تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، مطبعة الشعب، مصر ١٩٥٩م.

٦١- تاريخ الحضارة الهلينية، ارنولد تويني، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأنجلو

المصرية ١٩٦٣م.

٦٢- تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة دت.

٦٣- تاريخ العرب العام ، ا. أ سيديو ، ترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.

٦٤- تاريخ العلم ، جورج سارتون ، ترجمة لفيف من العلماء ، إشراف إبراهيم مدكور وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٦٥- تاريخ مسلمي الأندلس «الموريسيكيين» انطونيو الأسباني وبرنارد الفرنسي، ترجمة عبدالعال صالح طه ، دار الإشراف ، قطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٦٦- تاريخ نجد المسمى عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن بشر النجدي ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، طبع وزارة المعارف بالسعودية ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ.

٦٧- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ١٩٧٢م.

٦٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف دار الكتب الحديثة ، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

٦٩- تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد الذهبي ، ومذيلة بثلاثة ذيول : الأول للمحاسني ، والثاني لحظ الألحاظ للهاشمي المكي ، والثالث للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت دطت ، موافقة لطبعة حدير آباد.

٧٠- التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، مناع خليل قطان ، مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٧١- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٢- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، دار البيان ، الكويت ، دطت.

٧٣- تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٧٤- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، حسين بن مسعود الفراء البغوي ، تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧٥- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبدالله بن عمر البيضاوي الشيرازي ، ضمن كتاب مجموعة من التفاسير البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تصوير للطبعة الأولى بالمطبعة العامرة ١٣١٧هـ.

٧٦- تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر الشافعي الملقب بالفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة دت.

٧٧- تقريب التهذيب ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تعليق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٧٨- تلبيس إبليس ، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ١٣٦٨هـ.

٧٩- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي ، أحمد بن حجر العسقلاني ،

تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، دطت.

٨٠- تهذيب الأسماء واللغات ، يحيى بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، دطت.

٨١- تهذيب التهذيب ، أحمد بن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت ، طبعة حيدر آباد ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.

٨٢- تهذيب سنن أبي داود ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، حاشية على مختصر سنن أبي داود للمنذري ، تحقيق أحمد محمد شار و محمد حامد الفقي ، المكتبة الأثرية ، باكستان ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٨٣- توجيه النظر إلى أصول الأثر ، طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي ، المكتبة العلمية ، المدينة النبوية ، دطت.

٨٤- التوحيد ، محمد بن عبدالوهاب ، كتاب ضمن مجموعة التوحيد، عدة كتب ورسائل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية و محمد بن عبدالوهاب ونخبة من علماء المسلمين، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، الرياض ، دطت.

٨٥- التوسل أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨٦- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، محمد نسيب الرفاعي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٨٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق محمد زهري النجار ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

٨٨- جامع الأصول من أحاديث الرسول ، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ،

تحقيق عبدالمجيد سليم و محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.

٨٩- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي ، دار الفكر ، بيروت ، دطت.

٩٠- جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ، وبهامشه تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، على طبعة بولاق ١٣٢٩هـ.

٩١- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٩٢- الجرح والتعديل ، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، طبعة حيدر آباد ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م ، دد.

٩٣- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، نعمان خير الدين الألوسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دطت.

٩٤- الجواب الباهر في موار المقابر ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ويليه الرد على الأخنائي واستحباب زيادة خير البرية ، تحقيق سليمان عبدالرحمن الصنيع وعبدالرحمن يحيى المعلمي اليماني ، المطبعة السلفية ، الطبعة الأولى.

٩٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبدالرحمن ابن تيمية ، دار المجد دطت.

٩٦- حاشية ابن عابدين المسماة رد المحتار ، محمد أمين بن عمر المشهور بابن عابدين الشامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دطت.

٩٧- حاضر العالم الإسلامي ، لوثرب ستودار ، تعليق شكيب أرسلان، ترجمة عجاج نويهض ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٩٨- الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٩- حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف، مصر، الطبعة الحادية عشر دت.

١٠٠- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠١- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، محب الدين الخطيب، ددطت.

١٠٢- الخليج العربي، السير أرنولدت ويلسون، ترجمة عبدالقادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، دطت.

١٠٣- دائرة المعارف، بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩١م.

١٠٤- دائرة المعارف الإسلامية «الإصدار الأول» أعلام المستشرقين، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر، القاهرة ١٩٣٣م.

١٠٥- دائرة المعارف الإسلامية «الإصدار الثاني» أعلام المستشرقين تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

١٠٦- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٠٧- الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، زيد ابن أحمد العبلان، بحث ماجستير مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، غير مطبوع. دت.

١٠٨- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

١٠٩- دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، ترجه احسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

١١٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر دطت.

١١١- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقد (رسالة ماجستير)، عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١٢- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

١١٣- دفاع عن الإسلام، لورا فيشايا فاغلييري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

١١٤- دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد بن الأمين المختار الشنقيطي، ملحق بالجزء التاسع بن أضواء البيان للمؤلف، عالم الكتب، بيروت، دطت.

١١٥- دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، عالم الكتب، بيروت، طبعة قديمة، دت.

١١٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١٧- ديوان ابن الفارض، عمر بن أبي الحسن الفارض، دار النجم، بيروت، الطبعة

الأولى ١٩٩٤م.

١١٨- رجال اختلف فيهم الرأي، أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، دطت.

١١٩- رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، تقديم أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، دطت.

١٢٠- الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، روبن بدول، ترجمة عبدالله آدم نصيف، ددط، الرياض ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٢١- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، محمد عبدالله الطنجي المشهور بابن بطوطة، دار الكتاب اللبناني، دطت.

١٢٢- رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت، ترجمة محمد أنعم غالب، تقديم حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م.

١٢٣- الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٢٤- الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر، محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، تحقيق زهير سالشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٢٥- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، والمؤلفون إخوان الصفا، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٧هـ- ١٩٧٥م.

١٢٦- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، دطت.

١٢٧- الرسالة الأضحوية في أمر المعاد، ابن سينا الحسين بن عبدالله تحقيق د. سليمان دنيا، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

١٢٨- رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها ، تحقيق محمد عبدالله الشرقاوي ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٢٩- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، محمد شريف الشيباني ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٠- الرسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ١٤٠١هـ.

١٣١- الرسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام في نظر منصفي الشرق والغرب ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

١٣٢- روح المعاني ، محمود عبدالله الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٣٣- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة لابن هشام ، عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، تقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد ، مكتبة ومطبعة الحاج عبدالسلام بن محمد شقرون ، القاهرة ، دت.

١٣٤- رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد عبدالحميد غراب ، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٣٥- رياض الصالحين ، يحيى شرف النووي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

١٣٦- الرياض النضرة في فضائل العشرة ، أبو جعفر أحمد المحب الظهيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

١٣٧- زاد المسير في علوم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت،

الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٣٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٣٩- الزلاقة، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٤٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الأجزاء ١-٤ المكتب الإسلامي، بيروت، الجزء ٥ مكتبة المعارف، الرياض.

١٤١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

١٤٢- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤٣- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، نصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٤٤- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي، دطت.

١٤٥- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٤٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، وبهامشه معالم السنن للخطابي، إعداد عزت الدعاس وعادل السيد، نشر دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

١٤٧- سنن البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار المعرفة، بيروت ، وبذيله الجوهر النقي للمارديني ، دطت.

١٤٨- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٤٩- سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دطت.

١٥٠- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٥١- سيرة الإمام البخاري ، عبدالسلام المباركفوري ، دار السلفية ، بومباي ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٥٢- السيرة النبوية ، عبدالملك بن هشام المعافري ، السيرة النبوية ، تعليق عبدالرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، دطت.

١٥٣- السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥٤- شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥٥- شرح فتح القدير ، محمد عبدالواحد السيواسي «المشهور بابن الهمام الحنفي»، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

١٥٦- شخصيات فوق العادة ، السيد فرج ، دار المعارف بمصر ، دطت.

١٥٧- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي ، تحقيق أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، دت.

١٥٨- شرح صحيح مسلم ، الإمام يحيى بن شرف النووي ، المطبعة المصرية ومكتبتها دطت.

١٥٩- شرح العقائد النسفية ، مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق كلود سلامة ، نشر وزارة الثقافة ، دمشق ، دطت.

١٦٠- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

١٦١- شرح القواعد الفقهية ، أحمد الزرقا ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٦٢- الشريعة ، أبو بكر محمد بن حسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٦٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى اليحصبي ، دار التراث ، القاهرة ، دطت.

١٦٤- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، أبو المعالي الجويني ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٦٥- الشهادة الزكية بثناء الأمة على ابن تيمية ، مرعي بن يوسف الكرمي تحقيق نجم عبدالرحمن خلف ، دار الفرقان عمان ، ومؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

١٦٦- الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، قدم له وصححه عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٥هـ.

١٦٧- الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي ، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي المقدسي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٦٨- صحائف مطوية ، عبدالله خياط ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ١٣٩٨هـ.

١٦٩- صحيح ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٧٠- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية ، استانبول، موافقة لطبعة العامر ١٣١٥هـ.

١٧١- صحيح الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٧٢- صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٧٣- صحيح سنن أبو داود ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٧٤- صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٧٥- صحيح سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٧٦- صحيح مسلم ، مسلم ابن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي،

دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٧٧- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٧٨- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبدالرزاق، نشر مجمع البحوث العلمية، مصر دطت.

١٧٩- صيد الخاطر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

١٨٠- طبقات الشافعية، عبدالوهاب السبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، دت.

١٨١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري، دار صادر، بيروت، دطت.

١٨٢- العرب في التاريخ، برنارد لويس، ترجمة نبيه أمين فارس و محمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.

١٨٣- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، محمود بن أحمد العيني، القاهرة، دطت.

١٨٤- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبدالهادي، مطبعة المدني، القاهرة، دطت.

١٨٥- العقيدة الطحاوية، أبو جعفر بن محمد الطحاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ.

١٨٦- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، مكتبات عكاظ ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٨٧- العقيدة والشريعة في الإسلام، قولد زيهر، ترجمة وتعليق محمد يوسف

موسى وآخرين ، دار الكتاب الحديث بمصر ، الطبعة الثانية ، دت.

١٨٨ - علماء نجد خلال ستة قرون ، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٨٩ - عودة الحجاب ، محمد أحمد المقدم ، دار طيبة الرياض ، دطت.

١٩٠ - غاية الأماني في الرد على النبهاني ، أبو المعالي محمود شكري الألوسي، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ.

١٩١ - الغرب ضد العالم الإسلامي ، بوندار ليفسكي ، ترجمة إلياس شاهين ، دار التقديم ، موسكو ، دطت.

١٩٢ - الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

١٩٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، إخراج وترقيم محب الدين الخطيب و محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة السلفية دار الفكر ، دطت.

١٩٤ - الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني ، أحمد عبدالرحمن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة ، دطت.

١٩٥ - فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، دطت.

١٩٦ - فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوى والإرشاد ، الرياض ، دطت.

١٩٧ - الفتوى الحموية الكبرى ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، المكتبة السلفية، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

١٩٨ - الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

١٩٩ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق

محمد إبراهيم نصر ، عبدالرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٠٠- فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ.

٢٠١- فضائل الصحابة ، أحمد بن محمد بن حنبل ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٠٢- الفقه على المذاهب الأربعة ، عبدالرحمن الجزيري ، دار الفكر، بيروت، دطت.

٢٠٣- الفهرست ، ابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، دطت.

٢٠٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٠٥- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.

٢٠٦- قالوا عن الإسلام ، عماد الدين خليل ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٠٧- قالوا عن كالإسلام : رسائل إلى سلمان رشدي من كبار مفكري وفلاسفة العالم المسيحي ، سيد حافظ أبو الفتوح ، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤٠٩هـ.

٢٠٨- قراءة جديدة في سياسة محمد علي باشا التوسعية ، سلمان ابن محمد الغنام ، نشر شركة تهامة ، جدة ، ١٤٠٢هـ.

٢٠٩- القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، شرح وتحقيق محمد خليل هراس ، دار

الفاروق، مصر، دطت.

٢١٠- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. (رسالة ماجستير).

٢١١- القواعد في الفقه الإسلامي، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، دطت.

٢١٢- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، تحقيق محمد ولد ماديل الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢١٣- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبيس برك كالدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٥هـ.

٢١٤- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق لطفي عبدالبديع وراجعة أمين الخولي، المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٢هـ- ١٩٧٣م.

٢١٥- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، دار خياط، بيروت ١٩٦٦م.

٢١٦- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على الألسنة، إسماعيل بن محمد العجلوني، تعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢١٧- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دطت.

٢١٨- اللزوميات، أحمد بن عبدالله أبو العلاء المعري، تحقيق جماعة من

الأخصائيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢١٩- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، دطت.

٢٢٠- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٢١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، محمد بن أحمد الصفاريني ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٢٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحرير العراقي وابن حجر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٢٤- المجموع شرح المهذب ، يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر ، دطت.

٢٢٥- مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ، الرياض ، دطت.

٢٢٦- مجموعة التوحيد ، عدة كتب ورسائل ، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية و محمد بن عبدالوهاب ونخبة من علماء المسلمين ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، دطت.

٢٢٧- مجموعة الرسائل الكبرى ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، دطت.

٢٢٨- مجموعة الرسائل والمسائل ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٢٩- محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٢٣٠- محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، محمد بن سعد الرويشد، رابطة الأدب الحديث، دطت.

٢٣١- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي، ترجمة عبدالعليم البستوي، مراجعة محمد تقي الدين الهلالي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٣٢- محمد في مكة، مونتقمري وات، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دطت.

٢٣٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٣٤- المختار من تاريخ الجبرتي، محمد قنديل البقلي، مطبعة الشعب، مصر ١٩٥٩م.

٢٣٥- مختصر العلي الغفار، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق واختصار محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٣٦- مختصر المقاصد الحسنة، محمد بن عبدالباقي زرقاني، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٣٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد ابن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٢٣٨- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٣٩- المرأة المسلمة أمام التحديات، أحمد عبدالعزيز الحصين، دار البخاري،

بريدة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٤٠- مسائل الإمام أحمد بن حنبل ، رواية ابنه عبدالله ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٤١- المسامرة شرح المسايرة ، الكمال بن الهمام ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٧هـ.

٢٤٢- المستدرك ، أبو عبدالله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للذهبي ، دار الكتاب العربي بيروت ، دطت.

٢٤٣- المستشرقون ، نجيب عقيقي ، دار المعارف ، بيروت ، الطبعة الرابعة دت.

٢٤٤- مستشرقون ، سياسيون- جامعيون- مجمعيون ، نذير حمدان ، مكتبة الصديق للنشر ، الطائف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤٥- المستشرقون والإسلام ، عرفان عبدالحميد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م.

٢٤٦- المستشرقون والدراسات الإسلامية ، محمد عبدالله مليباري ، دار الرفاعي للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٤٧- مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل الشيباني ، دار الفكر العربي ، دطت «موافقة لطبعة المعجم المفهرس».

٢٤٨- مشكل الآثار ، أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي ، دار صادر ، بيروت ، موافقة لطبعة حيدر آباد ١٣٣٣هـ.

٢٤٩- مصرع غرناطة ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٥٠- المصنف ، عبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٥١- معارض القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، حافظ بن أحمد الحكمي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، دطت.

٢٥٢- المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٥٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، جماعة من المستشرقين على رأسهم فنسنك ، طبعة بريل ، ليدن ١٩٦٥م.

٢٥٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دطت.

٢٥٥- معجم المؤلفين ، عمر رشا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دطت.

٢٥٦- المغني ، عبدالله بن أحمد بن قدامة ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، دطت.

٢٥٧- مفتاح كنوز السنة ، أرند جان فنسنك ، ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي ، دطت.

٢٥٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تصحيح هلموت ريتر ، الطبعة الثالثة، دطت.

٢٥٩- المقاومة العربية في الخليج العربي ، سليم طه التكريتي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.

٢٦٠- مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون المغربي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الخامسة دت.

٢٦١- الملل والنحل ، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٦٢- من هم في العالم العربي ، الجزء الأول سوريا ، مكتب الدراسات السورية

والعربية، دمشق ١٩٥٧م.

٢٦٣- مناظرة بين الإسلام والمسيحية، محمد جمال عبدالهادي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٧هـ.

٢٦٤- المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين لشيخ ديدات والقس سويقرت، تحقيق أحمد حجازي السقا، تقديم محمد الغزالي، مكتبة زهران، القاهرة، دطت.

٢٦٥- مناظرة في الرد على النصارى، فخر الدين الرازي تحقيق عبدالمجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦م.

٢٦٦- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٦٧- المنتظم من تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي الجوزي، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٢٦٨- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، سلمان بن خلف الباجي، دار الفكر العربي، دطت.

٢٦٩- المنتقى من دراسات المستشرقين، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ- ١٩٨٠م.

٢٧٠- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبدالعزيز بن حمد المعمر، دار ثقيف، الطائف، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٧١- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تقديم وتعليق علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٧٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٧٣- الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق محمد عبدالله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، دطت.

٢٧٤- المواقف في علم الكلام ، عبدالرحمن الإيجي ، عالم الكتب ، بيروت ، دطت.

٢٧٥- موسوعة المستشرقين ، عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

٢٧٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٧٧- الموضوعات ، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢٧٨- موضوعية فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب والمطول ، شوقي أبو خليل، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٢٧٩- موطأ الإمام مالك ، إعداد أحمد راتب عمروش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٢٨٠- موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ((رسالة دكتوراه)).

٢٨١- النبوات ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٢م.

٢٨٢- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر ، عبدالقادر بن أحمد بن بدران الدمشقي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٨٣- نهاية الإقدام في علم الكلام ، عبدالكريم الشهر ستاني ، تحقيق الفرد جيوم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دطت.

٢٨٤- هذه هي الصوفية ، عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

٢٨٥- واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٨٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دطت.

ثانياً : البحوث والمقالات والرسائل :

٢٨٧- اجتماع وزراء داخلية حلف الناتو مع نظرائهم في الدول العربية ، صحيفة الشرق الأوسط اليومية ، لندن ٢٥/ ٩/ ١٤١٥هـ ، الصفحة الأولى.

٢٨٨- الاستشراق في نطاق العلم و في نطاق السياسة ، عمر فروخ ، بحث ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٨٩- الاستشراق والفقه الإسلامي ، محمد الدسوقي ، بحث ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر ، العدد الخامس ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٩٠- تصريح للأمين العام لحلف الأطلسي ، صحيفة الشرق الأوسط اليومية ، لندن ، ١٧/ ٩/ ١٤١٥هـ.

٢٩١- تعليق بدون عنوان لمجلة الهلال سنة ٤٢ جزء ١٣٠٢ شعبان ١٣٥٢هـ- أول ديسمبر ١٩٣٣م.

٢٩٢- جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/ ٩٧ ، جمع سليمان بن

سحمان ، مطبعة المنار المصرية ، طبع قبل ١٣٥١هـ.

٢٩٣- دوافع مواجهة حلف الأطلسي للأصولية الإسلامية في دول الشرق الأوسط ، فهمي هويدي ، صحيفة الشرق الأوسط اليومية ، لندن ، ١٤ ، ٩/ ١٤١٥هـ.

٢٩٤- رسائل لعلماء مكة والمدينة والشريف غالب ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٣١٨-٣٢٠ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي ، دار العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢٩٥- رسالة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى أهل القصيم ، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس ، الرسائل الخاصة ٤٣-٤٩ ، جمع عبدالعزيز بن زيد الرومي ، محمد بلتاجي وسيد حجاب ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٢٩٦- رسالة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى عالم بالمدينة ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٤٣-٤٦ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي ، دار العربية ، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨٩م ، وموجودة أيضاً في مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس : الرسائل الخاصة ٤٣-٤٦ ، جمع عبدالعزيز بن زيد الرومي ، محمد بلتاجي وسيد حجاب ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٢٩٧- رسالة للإمام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣/ ٨-١٢ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي ، دار العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢٩٨- رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٤٦-٥١ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، دار العربية، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م ، وموجودة أيضاً في مؤلفات الشيخ

الإمـام محمـد بـن عبـدالوهاب القـسم الخـامس : الرسـائل الخاصـة ١٥٠-١٥٨ ، جمـع عبدالعزيز بن زيد الرومي ، محمـد بلتاجي وسيد حجاب ، نشر جامعـة الإمـام محمـد بـن سعود الإسلامية بالرياض.

٢٩٩- رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الـشيخ ، ضـمن مجموعـة الرسـائل والمسائل النجدية ٣/ ٢١ ، جمع سليمان بـن سـحمان ، مطبعـة المنار المـصرية ، طبـع قبـل ١٣٥١هـ.

٣٠٠- الشبهات التي أثيرت حـول دعـوة الـشيخ محمـد بـن عبـدالوهاب ، عبـدالرحمن عميرة ، ضـمن بحـوث أسـبوع الـشيخ محمـد بـن عبـدالوهاب ، ٢/ ١٥-٩٨ ، نـشر جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٠١- شبهات حول التشريع الإسلامي ، محمد نبيل غنايم ، بحث ضمن مجلة أضـواء الشريعة التابعة لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بـن سـعود الإسـلامية ١٤٠٣هــ- العـدد الرابع.

٣٠٢- الغزو الفكري والتيارات المعادلـة للإسـلام ، ضـمن كتـاب بـنفس العنـوان وهـو عبارة عن مجموعة بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام القسم الأول لعـلى عبدالحليم محمود ، والقسم الخامس لأحمد بشير ، نشر الجامعة ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣٠٣- القرآن والمستشرقون ، د. التهامي نقرة ، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، ١٩- ٥٧ ، عدة أبحاث لأكثر من مؤلف ، المنظمة العربية للعلوم والثقافة وكتب التربية العربي لدول الخليج ، دطت.

٣٠٤- لم الاهتمام بالاستشراق ، شكري النجار ، مجلة الفكر العربي ، بـيروت ، العـدد ٣١ ، مارس ١٩٨٣م ، صفحة ٦٠-٦٩.

٣٠٥- كرستيان سنوك هورخرونيه ، شـوردفان كـوننكز قيلـد ، مقالـة في مجلـة عـالم الكتـب ، الرياض ، المجلد السابع ، العدد الرابع ٧/ ١٤٠٧هـ صفحة ٤٣٥-٤٣٧.

٣٠٦- المستشرقون بين الإنصاف والعصبية ، محمد علوي مالكي ، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٠٧- المستشرقون ليسوا كلهم أعداء ، فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات ، عبدالوارث كبير ، مجلة الوطن العربية ، الكويت ، العدد ١٠٢ ، ٢١/ ١/ ١٣٨٧هـ ، أيار ١٩٦٧م صفحة ١٤٤- ١٤٥.

٣٠٨- المستشرقون والتاريخ ، أنور الجندي ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٠٩- المستشرقون والسنة ، أنور الجندي ، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣١٠- المستشرقون السيرة النبوية ، أنور الجندي ، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣١١- المستشرقون والسيرة النبوية ، عماد الدين خليل ، ضمن مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، ١٩-٥٧ ، عدة أبحاث لأكثر من مؤلف ، المنظمة العربية للعلوم الثقافة ومكتب التربية العربي لدلو الخليج ، دطت.

٣١٢- المستشرقون والسيرة النبوية ، عماد الدين خليل ، بحث في مجلة البعث الإسلامي الصادرة بالهند عدد رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

٣١٣- المستشرقون وعلم الكلام ، د. بير نصري نادر ، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة ببغداد العدد الثالث سنة ١٩٨٩ص ٩٢- ١٠١.

٣١٤- المستشرقون القرآن الكريم ، محمد صدر الحسن الندوي ، الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣١٥- مقابلة مع داستن كاو ، مجلة اليمامة ، العدد ١٣٠٧ في ٢٢/ ١٢/ ١٤١٤هـ- ١/ ٧/ ١٩٩٤ ص ١٥.

٣١٦- الموسوعة الإسلامية رد علمي للتشويه الغربي لحضارتنا، مقابلة مع طيار التي قولاج، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، ١٢/ ٨/ ١٩٩٤م ص ١٥.

٣١٧- موقف العرب من المستعربين، ميشال حتي، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة من بغداد، العدد الأول ص ٤٢، كانون الثاني ١٩٨٧م.

٣١٨- وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، يوسف القرضاوي، بحث ضمن كتاب، وجوب تطبيق الشريعة والشبهات التي تثار حول تطبيقها، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٦هـ، طبع بإشراف الجامعة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢- فهرس الأعلام

٣- فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة